الأعمال الكاملة

محمود حسن إسماعيل

المجلد الأول

أغانى الكوخ

هكـــذا أنت

المـــلـــك

أيـــن المفـــر



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٤



الاخراج الفني : صلاح الدين ابو بوفرج


الناشر

الديـوان الأول



○ أغانى الكوخ ○

الطبعة الأولى، القاهرة، أول يناير ١٩٣٥


الناشر

○ مقدمة الطبعة الثانية ○

... من عام ١٩٣٣م

... من عويل السواقى وهى تذرف حسرة الإنسان لتراب الكوخ!

... من إطراق الوجوه النبيلة التى طحنت إباءها مسيرة الظلم على أيامها الصابرة، وجرّعتها غفلة الرق، وطمأنينة الهوان!

... من الضجر القانت الذى أختى على كاهل الفلاح بآلفة الفقر والقهر، وقناعة الحرمان!

... ومن أعماق ليل هذا الشجن المخنوق الأوار فى صدر القرية، نزح مع الشاعر من قريته فى صعيد مصر ناىُ أخرسُ الغناء.. لم يكد ينشق لهاثُ المدينة فى أكتوبر ١٩٣٢ حتى هزجتْ ناره بهذه الأنغام التى حملتها أوراقُ «أغانى الكوخ» وطلعت بها للناس أولَ يوم من عام ١٩٣٥م.

... ظهرت فى مناخ شعرى أحول الرؤى، زائغ الدرب، يقبضُ بيدٍ مما غبرَ من تراثه، ويخلسُ بالأخرى

مما عبر من غير ذاته! ومن بينهما تحركتْ أقلامٌ برينة الإصغاء للقاءِ صوتٍ جديد..

واليوم.. يظلُ «أغانى الكوخ» فى طبعته الثانية هذه، بعد ثلاثة وثلاثين عاماً..

والناى ملزال.. إصغاء الحقيقه. ونرنم الذات، وحداء الإنسان!!

... غنى جراح الكوخ. ومظالم ايامه. وامتدت أنفاسه حتى سمع أصداءها تتلاحم صرير الحق على أعتاب ليله الطويل..

... فإلى الجيل الذى لم يكن مع مولده أول عام ١٩٣٥!

... وإلى الشباب الذى شب معه. والتف ضراعه بأغانيه. حتى طلع من قلبه الفجر... أعيد نشره كما صدر.. ليرى الفجر شررا من أغلال أمسه الذاهب. ويرى النور أثرا من جراحات ليله الذى مات!!

٢ يوليو ١٩٦٧م

محمود حسن إسماعيل



○إهـــداء ○

إلى الزهرة التي روّحت أطيابُها عن شجن الحياة..!!

إلى شذاها الخالد الذي رشفت من أثيره الإلهام. وسبحت روحي إلى ضفافه السحرية المجهولة في عالم الخيال!!

إلى...


الناشر

○ الكـــوخ ○

تعـــثـــرُ عليـــه الدمعُ مـــا صـــففْتْ

فى قلبكَ الألحـــانُ يا شـــاعـــرُ

واحـــترقْ له الأجـــفـــانُ. مـــا مـــسَّهـــا

برحُ الضنَى، والحـــــزنُ يا ســـــاهرُ

عـــرجْ عليـــه ســـاعـــةً، والتخـــذْ

[illegible] يا عـــــابرُ

وطُفْ حــــوالىْ ركنِه، والتـــمسْ

نُورَ الـهُدى والـرّشـــــدِ يا حائـرُ

هنا خـــبـــايا النفسِ مطمـــورةٌ

غـــشى عليـــهـــا الزمنُ الجـــائرُ

لو «لابنِ ســـــينا» خطرةٌ بينـهـــــا

مـــا قـــال: نفسٌ لغـــزها قـــاهرٌ!

• • •

ضمّتْ حــواشــيــه عـلـى عــابد

مـــحـــرابهُ مـــن فـــاقـــةٍ دائـــرْ

يبكى عليـــــه تحت جُنْـــحِ الدُجى

شـــيخُ الليـــالى يومُهـــا الصـــافـــرْ

ويشـــــتكى بلواهُ رادَ الضـــحـى

حمــامــهُ المسترحـــمُ الذاكـــرْ

مزمـــــارهُ فى الليل أنســــامهُ

والنجمُ، والنابحُ، والخـــــــــاترْ

تمليـــــه من وحىَ الوفا حكمـــــةً

ألوى عليهـــــا سحرهُ الفـــاترْ

هذى تناغــــيه العذارى فى جـــذلٍ

من صــوته مـــا يجـــتلى الســاحــرْ

إن هبَّ يشـــــدو سَحَرًا بينهـــــا

فــاخطبْ مـــزامـيـرك يا زامـــرْ

أو راح يُزْجى لغنيـــاتِ المهـــا

ضنّـتْ بها شــعــرٌ وبها شــاعــرًا

رُهبانٌ.. عــبّادون حـــازوا الهـــدى

ليـــلاً. فـــمـــا فى دَيرهـــم كـــافــرْ

من لم يقمْ منهمْ صـــــلاةَ الدجى

فى النوم أدّاهـا له الســـــاهـرْ

يغفون والكلبُ على مهدهمْ

سهرانُ، لا يُغفي له ناظرُ

يصرخُ إن غرتهُ اطيافُهُ

او راعهُ بالسطوةِ الخاطرُ

إن غاب نجمٌ فوقهم سُحرةً

فهو على أرواحهم حاضرُ

او ارجفَ الليلُ ينادى به:

حلفتُ يا ليلُ.. انا الخافرُ

ارمى عيونًا امنتْ فى الكرى

وهالها بحرُ الرؤى الزاخرُ

تحلم أنّ الكوخ فى جنّةٍ

يزهو عليها السندسُ العاطرُ

وانّ اهليه على رفرفٍ

فى الخلدِ لا يسمو له طائرُ

حظوظهمْ من طيبات المنى

وعيشهمْ مبتسمٌ ناضرُ..

حتى أراق الفجرُ اقداحهُ

وانسابَ منها ضوؤه الغامرُ

مرتْ عليهم سارياتُ الصَّبا

ينفخ منها السوسنُ الباكرُ

فاستيقظوا.. والكوخ في غفلةٍ

ما دار في بابه المنى دائرا

يُلقي عليه الديكُ أرجوزةً

غنى بها إصباحةُ الصافرْ

كأنه ينعى ممات الدجى

ونعشهُ فوق الربى سائرْ

أو أنه يشدو لعرسِ الضُّحا

ونورها ضالى السنا طافرْ

أو أنه يُسمِع ركبَ الملا:

كنا يجْهلُ الأول الآخرْ!

• • •

يا زورقًا ألقى بشط الضحى

مجدافهُ. كما كبا العاثرْ

يهنيك شمسٌ خلّفتْ قُبلةً

على جبينٍ حظُّه خاسرْ

لم يحلم القصرُ بها في الكرى

ولا رآها بُرجُه العامرْ

وجنةً حولك.. غيسانةً

ريحانها منتفقٌ زاهرْ

وجـــــدولٌ بـرويـك.. مـــــمــــــنوذبٌ

سلسـالـه مـــــصـطفقٌ زاخـــــرُ

ونخـلـةٌ فـــــوقـك.. تهـــــدى الجنى

والظلُّ.. يســـتـزرى[1] بـه العـــابر

تهـــتـــزُّ للســـارى، ونـخـلُ الـورى

فى القـــصـــر مـرهوب الحـمىَ كـاشـــرًا

يهنيكَ عـــــذراء إذا اقـــبـلتْ

للنيل اصـــفـى مـــوجُه الهـــادرُ

يســـــتلهمُ الـعـــــنةَ من جـــرةٍ

يحنو عليـــــهـــــا ملكٌ طاهـرُ

قـــدسـيةُ القلب، بهـــا عـصـــمـــةٌ

لـم يُؤتهـــا نسـرُ السـمـــا الـكاسـرُ

كـــانمـــا ريشـــتْ جـلابيـــبُهـــا

فـــالويلُ إن مـــرَّ بهـــا فـــاجـــرًا!

حـــرائرٌ أطـلـعـنَ عُرسَ الهـــوى

فـــيك، حـــديثـــا نبـــرهُ ســـاحـــرُ

خـــبـــاتَ كنزَ الحـــسنِ فى ايكةٍ

والقـــصـــرُ مـــا حـجّبـــهُ ســـاترُ

---

(١) يستظل.

شتان ما الدرُّ بأصدافه

والدرُّ في كومته بائرْ!

• • •

شهيدةٌ ينزو دخان الأسى

والوجدُ في كانونه ساعرْ

تبكي سواقي الحقل أشجانه

وما بكاه مرةً شاعرْ!

والبائسُ الفلاحُ في ركنه

عريانُ! يشكو ضنكه! خائرا!

شالت بزرع الليل أكتافه

وما رعاه البلدُ الغادرْ

لهاه[1] بزيف الغرب في مدنه

والريف عن أوجاعه حائرْ!

• • •

يعثر عليه الدمع، ما صففت

في قلبك الألحانُ يا شاعرْ

واحرقْ له الأجفانَ ما مسها

نزحُ الأسى والحزنِ يا ساهرا

O

(١) من اللهو.

○ كنز الذهب الأبيض! ○

زهرة القطن

حـين ذاب الطلُّ في كـأسـانها
لؤلؤاً يجـري على كفِّ الشعـاعْ
لثمتْ خدَّ الضحى، وابتسمتْ
كابتسامِ الطفلِ في عهدِ الرِّضاعْ
وبدت صفـراءَ تحكي غـادةً
ذبلتْ نضرتهـا يوم الـوداعْ
تخفق النسمةُ في أهدابهـا
خفقةَ العاشقِ في ليلِ الزِّماعْ[1]
فتـراها في الربى راقصـةً
زانهـا الضوءُ بزهوٍ والتماعْ
ذاتُ كـاسٍ أترعتْ شمسُ الضحى
ريقهـا من خمـرةِ النورِ المشاعْ

---

(١) العصر.

كلما خفقتْ لها ريحُ الصبا

أهرقتْ صهباءها فوق البقاع

فجرتْ في كل حوضٍ جدولاً

ساريًا حول الروابي واليَفاع(١)

هامسًا يشدو على أعوادها

نغمًا مستعذبًا حلو السماع

ينهلُ الفلاحُ من كوثرِهِ

ريقةَ النحلِ، وسلسالَ الدُّماع(٢)!

• • •

يا عروسًا لم تزينها يدٌ

غير كفِّ المبدع الفنّ، الصَّنَاع!

عقدتْ إكليلها من سوسنٍ

باهتِ الأطوافِ، تبرى القِناع

مستعارٍ من ضنى العشق، ومن

لوعةِ الهجر، ومن لونِ الوداع

يجدُ الشاعرُ من فتنته

سجدةَ الفنّ زها حسنًا وراع!

عانقت طيفَ الضحى، واكتأبتْ

لأصيلٍ لاحَ مخنوقَ الشعاع

---

(١) المنخفض أو المرتفع من الأرض.

(٢) ما يسيل من الكرم إبان قطفه.

ورنتْ للشمس يطبو سحرها

بعد ما انحلّ اجفانَ القلاعْ

فبدت حانيةُ الرأس اسىً

ترمقُ الغربَ بمضٍ والتياعْ

مثل صوفىٍّ تراءى خاشعًا

مطرقَ الرأسِ بمحرابِ التلاعْ!

• • •

واتاها الصيفُ وهّاج السنا

يضرمُ الأنفاسَ نارًا فى البقاعْ

فارتدت برنسها من ذهبٍ

ابهضٍ توجَ هاماتِ الضياعْ

تحسبُ الأغصانَ لاحتْ بينهُ

اسطرًا تزهو على بيضِ الرقاعْ

ذاك تاجُ الحقل! فاندبْ عنهُ

املُ الفلاحِ، والجهدُ المضاعْ

وارثٍ للمسكين عيشًا اسودًا

رانَ فى كوخٍ حقيرٍ متداعْ

نامت النعمةُ عنه! وجفتْ

معدمًا، لم يرْغهُ فى مصرَ راعْ

صفرتْ ريحُ الأسى كبَترتهُ

وطوت نعماءهُ دنيا الصراعْ

رقص القمرُ على أكتافهِ

وهوجاتٍ.. بين ذلٍّ واقتناعْ

وسطا البؤسُ عليه، فغدا

زورقًا في اليمّ محطومَ الشراعْ!!

○

○ الفردوس المهجور ○

ريف النيل

تفجّرَ في صفحتيهِ الجمالُ

ورفَّ على جانبيهِ الخلودْ

وطوّفَ ريحانُهُ في الجنانِ

وفي كلِّ منضورةٍ بالوجودْ

بنفتش من روضةٍ برّةٍ

بفيءِ الظلالِ الرطيبِ الرّغيدْ

وعن سحرها في ركابِ الضحى

وقد لبستْ أُرجوانَ الورودْ

تخطرُ في حُلةٍ من شعاعٍ

مُوَشّى بطلِّ الصباحِ النضيدْ

وترفلُ في سندسٍ ضاحكٍ

ترنّح من سكرةٍ بالنشيدْ

إذا شـــامتْ(١) الخلدُ فى مجـدِهِ

تجـرُّ على الخلد ضافى البرودْ..

فما هزّه للمقامِ الهنىّ

سوى جنةٍ فوق هذا الصعيدْ!

ترنّم من سحرها «بنتـوورُ»(٢)

وأوحتْ «لشوقى» أغانى الخلودْ

وخرَّ الفراعين فى عزّهم

إذا شمتُها شارفتْهُم، سجودْ

وحجَّ الفرنجُ إلى ساحها

كأنَّ الصليبَ على كلِّ عودْ!

يعبّون منها الرحيقَ الشهىَّ

وأبناؤها يشربون الصديدْ!

تنفس سوسانها(٣) عن شذى

كحلمِ الأزاهر ذالٍ(٤) شرودْ

يضوعُ لناشقهِ بالشباب

وبالأمل المستطاب السعيدْ

إذا استافه العاشقُ المستهامُ

تنسَّمَ ريّاهُ طيفَ العهودْ

---

(١) رأت.

(٢) الشاعر الفرعونى القديم.

(٣) السوسان: الزهر.

(٤) عاطر فائح.

وينشقه الطيرُ فوق الغصون

فيسكبُ فى الروضِ خمرَ القصيدْ

يغنى فتصحبُ الحانهُ

من الوجد أنغامَ شاكٍ عميدْا

وريانةٍ فوق خدِّ الربى

ترعرعُ من عجبها او تميدْ

إذا داعبَ النسمُ أعطافها

تفتَّقُ عن لؤلؤٍ فى الخدودْ

من الفلِّ ، او من بناتِ الأقاحِ

تُضمِّخُ بالطيب جَيْبَ النجودْ

ترقرقَ فى مهدها جدولٌ

عطوفٌ على الزهرِ ، عذبٌ برودْ

تململَ من نيلهِ كالأمانى

ترفُّ على ناعماتِ المهودْ

والقى الزمام إلى حادبٍ

على الأرض يغرسُ فيها الجهودْ

سميرُ العصافيرِ لا يأتلى

يجاوبُ تغريدها بالنشيدْ

ويخلو مع النحل فى ربوةٍ

منغمةِ الصمتِ من غير عودْ

ترفّ الفراشة في حوضه
رفيف المنى في مجالي السُّعودْ
تحومُ في موكبٍ زاخرٍ
من الضوءِ غشّى عليه الهمودْ
تراها وقد كللتْ بالضياء
عروسًا تُزفُّ لزاهي الورودْ!
وندابةٍ[1] تحت ظلّ الكروم
على الثورِ يشكو إسار القيودْ
تضجُّ على دائرٍ كالرَّحى
يذوق من السوطِ ذلّ العهودْ
مضيَّعة النوح.. كم أرسلتْ
شجاها بئنٍّ أنين الشريد!
وكم ضحك الزهر لما بكتْ
وهزّ على الدمع رخصَ القدود!
فلما خبا دمعها صوّحت[2]
أفانينهُ.. واعتراهُ الركودْ
أيحيا على فيض أجفانها
ويأبى لها الصفو؟ باللجحودْ!

---

(1) الساقية.
(2) ذبلت.

وسنبلةٍ فوقَ صدرِ الكثيبِ

تصيخُ لأحلامِها في هجودْ

تهبُّ لإيقاظِها في المساءِ

رياحُ الصبا، والنسيمُ الوئيدْ

فتخفقُ أهدابُها للرياحِ

وتهفو ذوائبُها للسجودْ

فتبدو كخاشعةٍ للجمالِ

وقد لاح تمثالهُ من بعيدْ..

برفرفُ من غادةٍ عَفةٍ[1]

محجبةِ الحسنِ ميساءَ رودْ

كزنبقةِ الفجرِ في طهرِها

وأحلامُها كابتسامِ الوليدْ

تعودُ إلى كوخِها في الغروبِ

وقد حاكتِ الشمسُ قلبَ الحسودْ

مؤججةُ القرصِ ملهوفةً

على النيلِ.. ترجو له أن تعودْ

فتلهمهُ العهدَ في قبلةٍ

من الشوقِ تذكو كنارِ الوقودْ

---

(١) حاملة الجرة.

وتصبغُ فى لجةٍ من دمٍ

على أفقها من غرامٍ شديدْ..

إذا عشقَ النيل عرشُ السماءِ

فواديه جنةُ هذا الوجودْ!

ں

○ في المحراب ○

أبدًا أجنُّ إذا تحجَّرَ طيفُها

من عرشه السامي إلى محرابي

وأهمُّ أرشفُ من منابعِ حسنها

فيضَ الهوى المترقرقِ المنسابِ

خمرًا من الألق المعلى تدفقتْ

لا من جنى التفاحِ والأعنابِ

عافت شفاه الكون واعتزلتْ، فلمْ

تجد الحبيبَ لها سوى أكوابي

فحموتها لم يمتزجْ في جامها

إلا الحنينُ بلورها الخلابِ

تمتاجُ في كبدي.. فتطعمُها على

ريٍّ وتضرمُ لوعتي وعذابي

الطهرُ فى لألائها، والسحرُ فى أضوائها
والنور فى صهبائها، والنارُ فى أعصابى!

• • •

صدحتْ على قلبى الجريح بهاتفٍ
من حسنها، شادٍ على أعتابى
سجدت له روحى، وصفق خافقى
وتدلهتْ نفسى، ومات صوابى!
ونهلتُ. أعذبَ ما نهلتُ. روائعًا
من لحنه، رفافةَ الأهداب
طوافةً بالزهر تنشقُ عطرهُ
وتحيلهُ فى الطِّرْس همس رباب
طفاحةً بالطهر تحسبُ ريحهُ
من نفحةِ الأملاك والأربابِ
بساميةً.. لولا ضنى متصوفٍ
بين الضلوعِ، وَهى لطولِ غيابِ
متهجدٍ يشكو الهوى، فتخالهُ
داودَ يتلو الآىَ فى المحراب!!
نواحةً.. لولا أمانٍ أشرقتْ
من لحظ عينيها الغرير الصابى

ساقى النفوس من الفتور عُلالةً
تُذكى وتشرحُ كلّ سرٍ خابى!
ونثبتْ من تبر الضحى تصويرها
ومن الأصيل الممرعِ الجذابِ
ورسمتْ من شطّ الغروب خيالها
شفقًا يلوح بوجنةِ العُنّاب
ومنها للكون فتنةَ شاعرٍ
من سحر أجفانٍ، وسحرِ روابى!

• • •

وافتنتنى بالحسن يشرقُ هاتكًا
من سدة الأسرار كلَّ حجابِ!
ومشرفُ الفنُّ الرفيعُ ضياءهُ
ويعبُّ من مجراهُ كلُّ لبابِ
ويراهُ للفنان وحيًا صادقًا
لمعينه الصافى، وفيض عُبابِ
ننهل دبمتهُ على متعففٍ
يرنو بطرفِ القانتِ الأوّابِ
ونعبض عن متصنعٍ لا ينثنى
يغرى الأنامَ بفنّه الكذابِ

يحنو إذا خطر الجمالُ تأدبًا
فإذا خلا أولاه طبعَ ذئابِ
ما المدمعُ المسفوحُ من أجفانهِ
إلا حبائلُ عفةٍ، وتحابى
ما الخافقُ النواحُ من الحانهِ
إلا خداعُ هوىً، وزيفُ تصابى!

• • •

من ثغركِ الزاكى رشفتُ قصائدى
ومن اللحاظِ قبستُ ومضَ شهابِ
ومن العيون الحالماتِ تعلمتْ
عيناىَ سرَّ الفتك بالألبابِ
ارنو لها فأرى خيالى خاشعًا
فى مائها، كالعابدِ التَّوابِ
فى كل هدبٍ رفَّ من أهدابها
رشدٌ لقلبِ الحائرِ المرتابِ
من راح يُغويه الجمال، فإننى
أُلهمتُ منكِ هدايتى وصوابى!
فتنتِ فيكِ الشرقَ.. فتنةَ منظرٍ
وجلالِ إيمانٍ، وقدسِ جنابِ

ما النيلُ؟ ما ماءُ الحياةِ؟ إذا
أجرى الهوى من فيكِ شَهدَ رُضابِ!
ما نفحةُ الفلِّ المنورِ في الضحى؟!
إن فاحَ زهرُ عبيرِكِ الوثابِ!
ما خطرةُ الريحانِ يرقُّ مائسًا؟!
إن تاهَ عطفكِ من هوىً وتصابي!
ما السحرُ؟! ما تيارةُ الخلاقِ؟! إذا
همستْ شفاهكِ مرةً بخطابِ!
ما بهجةُ الدنيا وزينتها؟ إذا
أشرقتِ في دلٍّ وفي تلعابِ!
أهدى ابتسامتكِ العزيزةَ بالمنى
وبعمري الزاهي وشَرْخِ شبابي
وأرى الحياةَ بدونها أسطورةً
مملوءةً بالمُنْكرِ والأوصابِ
عيشي بها عيشُ اليتيمِ! ومنزلي
في ظلها المنبوذِ ركنُ خرابِ!
فتبسمي.. فعلى ابتسامتكِ المنى
بيضاءُ، منعمةٌ بكلِّ طِلابي..
فبها مسارحُ فتنتي.. ولغزلي..
وبها المعينُ الثرُّ للأترابِ

وأثيرها للروحِ دنيا عذبةً..

دفاقةٌ بالسحر والترهابِ

تجرى على تيارها فتنُ الهوى

سكرى تروعُ بموجها الصخّابِ

يترشفُ القلبُ الحزينُ ضياءها

راحًا تميتُ الهمُّ فى الأعصابِ

هى مأملى السامى.. وراحةُ خاطرى

والمنهلُ الصافى لعذب شرابى..!!

* * *

لولاكِ ما أحببتُ مصرَ، ولارنا

طرفى لروعةِ نيلها المسكّابِ

ولما هتفتُ لريفها بملاحنٍ

فضحتْ هزارَ الروضةِ المطرابِ

شرحتْ لشانئها اللدودِ روائعًا

غرّاءَ من متعَ الجمال الخابى

تسرى على نفس الصّبا بأصيلهِ

وعلى الضحى بالربوةِ المِعْشابِ

وعلى الحقولِ الممرعاتِ براقصٍ

من نُوّرِها طربًا من الدولاب..

أمتِ التى زينتها فى ناظرى

فلمحتها بالزهو والإعجابِ

لولاك لاحَ النور فى آفاقها

نارًا.. وحالى الروض قفرٌ يبابا!

وعشِقتُ.. لا يبدو لعينى حسنها

إلا بمرآى المحلِ والإجدابِ!

• • •

أهواك روحًا ساميًا.. وصفاتنًا

عذراء.. فحبها فؤادى الصابى

حسنتها بالطهر تشرق بينهُ

كالنجم يلمعُ من خلال سحابِ

ووهبتها لمدلّهٍ أوحتْ لهُ

قدسَ الخيالِ، ورقةَ الإطرابِ

• • •

هى صورةٌ أنا من جنون غرامها

وغيابها.. فى حرقةٍ وعذابِ!

كالشاردِ المخمور.. أمشى ذاهلا

من بعدها.. أبكى عظيم مصابى!

أسرى.. ويسرى الشوق بين جوانحى

كالنار فى الذاوى من الأعشابِ

لا تستفيقُ من الحنان مشاعرٌ

يا طالما رجفتْ لحظى الكابى!

• • •

يا بؤس روحى.. إن هفا بكِ خاطرٌ

فى غمر آمالٍ لدىَّ عذاب..

نستافُ ريحَ المجدِ من أعطافها

ونعيشُ فى يسرٍ، وفى إخصابِ

أو أشغلتكِ مُنى المقاصير العلا

ومباهجٌ للمالِ جِدُّ كِذابِ

كوخى الوديعُ أعزُّ من تلك الذرا

شأناً.. إذا قدستهِ بركابِ

أضفى عليه الطهرُ من أبرادهِ

ما عزَّ عن صلفِ القصورِ النابى

وهواكِ.. لو لمستْ خطاكِ ترابهُ

لزرى بكلِّ مشيدٍ معجابِ

وزها على الأيام، والتمستْ لهُ

فرصُ السعادة أمنعَ الأسباب!

يا بؤس روحى.. إن صغيتِ لعاذلٍ

حسبَ الجمالَ مراتعَ الأوشاب!

فالحسنُ إن لم يسبِ مهجةَ شاعرٍ

أولى به فى الكون بطنُ تراب!

ولغ العـــذارى بالصـــدود.. وانت مـــا

اغـــراك إدلالٌ على إغـــضـــابى

فـعـشـقـتـنى.. وعـشـقـتُ.. حـتى لم نـدعْ

لغـــرامنا يومًا مـــصـــيـن عـتـــابا

هى صـــورةٌ.. انا من جنون غـــرامـــهـــا

وغـــيـــابـهـــا.. فى حـــرقـــةٍ وعـــذابِ

ابـدًا اجنُّ إذا تحـــدرَ طيـــفـــهـــا

من عـــرشـــه الســـامى على مـــحـــرابى!!

٥

○ عروس النيل ○

حاملة الجرة

سارتْ إلى جدولها الدافقِ

سِحر الكرى في مقلة العاشقِ

وانية الخطو، كأنّ الثرى

يحمل منها خطرةَ السّارقِ

شاهدتها والشمسُ في أفقها

تحكي فؤاد الشاعرِ الحانقِ

والشاطئُ المسحورُ من روعةٍ

يسبحُ في موكبهِ الفارقِ

كأنه دنيا المنى أقبلتْ

تلمعُ في ليلِ الشجى الغاسقِ!

جُنّ جنونُ البحر لما رأى

أحلامها من فيضهِ الرائقِ

مصفّق الموج على ساقها

من فتنة كالواله الخافق!

وريع طيف الشمس لمّا زها

جبينها عن لمحه البارق

مالت الأضواء عنها لما

أخجلها من نوره الشارق!

تمتح بالجرة من منهل

صاف كريق الكوثر الدافق

ينساب فوق التبر في سندس

نضر، ونخل مثمر باسق

يمزج في الوادي بأنشودة

ألحانها من وتر الخالق!

• • •

إذا دهتها الريح أبصرتها

حمامة تفزع من باشق

مسبغها[1] تخفق أهدابه

خفق الأسى في الشجن الطارق

غريرة اللحظ لها نظرة

زوراء عن ختل الهوى الفاسق!

---

(١) ملاءة سوداء تستتر بها الريفيات.

كم ألهمتْ من وحيها شاعراً

فحسها في عصره السابقِ!

وكم شدا العصفور لما سرتْ

تختالُ تحتَ الغصنِ الوارقِ!

وشاعرُ العصرِ سباهُ الهوى

فناح نوح الأسودِ الناعقِ!

• • •

من عهد «بنتاءور» ما شبهوا

يومًا بسحر الجرةِ الناطقِ

وهى التى توحى المنى.. والهوى

للشاعرِ المفتونِ.. والعاشقِ!

ر

○ الفستان الأحمر ○

إنْ تكنْ نارًا، فما الشمس خلودى فى سعيرك!

أو تكن وردًا: فيا لهفةَ روحى لعبيرك!

طرفك الهفهاف يبدى لوعةً خلف ستورك

ولمستْ روحى فطارت ترتوى من فيض نورك

تتمنّى لو تهادتْ موجةً فوق غديرك

أو خيالاً من هواها سابحًا علىْ ضميرك!

ليتَ يا فستانُ لما لُحتَ تزهو فى حريرك!

كنتُ ذرًّا نابضَ الإحساس يجرى فى اليرك!

يلثمُ الحسنَ ويهوى فاتنًا بين عطورك!

○ القريةُ الهاجعةُ ○

في ظلِّ القمرْ!

لفَّها الليلُ. فاستراحتْ من الأينِ
. على حضنهِ الرفيقِ الهنِّي
وسدتها الأضواءُ من لمحها الضا
في وسادَ الطبيعةِ العبقريْ
وحيتها المهادَ موجةَ نورٍ
اشرقتْ في ترابها القرمزيْ
لمعاتٌ من وجنةَ القمرِ الزاهـ
ـي. وفيضٌ من ثغرهِ المسجديْ
غرقت في جلالهِ الروحُ سكرى
من طِلا جامهِ الوضيءِ السنِّي
تنهلُ الحلمَ من رؤى تتجلّى
هامساتٍ بكل معنى خفِّي

رائعاتِ الأطيافِ، لماحةِ الومضِ

. تهادى على مهادٍ رضيّ

نسجتهُ يدُ الشقاءِ من القشّ

. فراشًا لمستطابٍ شقيّ

بائسٍ شفّهُ القنوعُ، فأغفى

في حمى كوخه القنوع الأبيّ

صدفَ الحظّ عن حظائره السُّو

دِ إلى ساحةِ الركابِ الغنيّ!

حضنتهُ على الضنى قريةٌ نا

مَتْ على شطّ جدولٍ ريفيّ

لاح فيه تخيلها خافضَ الرأ

سِ كطيفٍ في خاطرِ الصوفيّ

وصفَى الصدرُ للسكون كرهبا

نٍ أصاخوا في معبدٍ قُدسيّ

لمعتْ الأنوار من بردها الما

ضي بثوبٍ من السنا موشيّ

ورنا النومُ للشعاع كملهو

فٍ صبا إلى نهرهِ الفضيّ

فاستطالتْ سيقانهُ تطلب النجوى

. وتهفو إلى الوميضِ القصيّ

كـعـذارى سـبـحنَ فى لجـة النو

ر هيامًا بفيضه اللُّجِىِّ!

* * *

إيه يا قريتى! أصيخى لشادٍ

مكبٍّ اللحنَ فى رنينٍ شجىِّ

شاعرٌ هزَّه هواكِ فغنَّى

لكِ أنشودةَ الجمالِ البهىِّ

مداو تارةً أشعةَ بدر

غارقاتٍ فى صمتكِ السرمدىِّ

ساحراتِ النُّهى برعشة أطيا

فٍ تراقصن في الفضاءِ الوضىِّ

ناهلاتٍ كأنها حلمُ صبٍّ

تاهَ فى سكرة الهوى العُذرىِّ

صدحتْ بالجلالِ فى صمتها المنَّا

هى لسرٍّ محجبٍ أزلىِّ

بهرةً للعقول تملى على الكو

نِ نداء الطبيعة العلوىِّ

تلهمُ الرشدَ للضلولِ، وتلقى

معجزاتِ الهدى لكلِّ غوىِّ

وتسوقُ الإيمانَ للجاحدِ الغا

وى فتنضو من قلبه كلَّ غىِّ

فضحت كلَّ ملحدٍ حين أضحتْ
قدرة الله من سناها الملي!
هي فنُّ السماء لاحَ على الأر
ض بلوحٍ منمقٍ مُوشَى
خشعَ الزهرُ في نواحيهِ ريًا
ن رطيبًا من النسيم الندىْ
لنسمةُ الصبا فهزّ من النشوةِ
. أكمامَ كأسهِ العطرىْ
وأذاعَ العبيرَ يخفقُ في الحقلِ
. بنفحٍ مطيّبٍ مسكىْ
سار في خاطر الربىَ وادعَ الأنفاسِ
. يحكي تنهداتِ الصبىْ
كم شجىَ عاشقًا! وهاج ادكارًا
في فؤادٍ من الشجون خلىْ!

• • •

إيه يا قريتي لقد شفَّ نايي
شجنٌ في الحشا عظيمُ الدوىْ!
غرسته يدُ الليالي بقلب
شدَّ ما ذاق من أساها العتىْ!
فشدا في رباك بلبلُ أيكٍ
هيّجتهُ خواطرٌ بالعشىْ

صرخ البؤس فى أغانيه لهفا

ن على فرعه الرطيب الجنى

ناح فى جنة تلقن شاديها

. نشيد الهناءة السحرى

وشح النيل شاطئيها بأبرا

د ضواف على الربى والقنى

كللتها زنابق القاع، فازدا

نت كعرس تكللت بالحلى

ضحك الصبيان فيها بنور

ساهم الطرف أصفر ذهبى

وزها القطن وارتدى حلة بيضاء

. كالطهر فى جبين نبى

نسجتها بنانة حير العقل

. مدى فنها الخصيب السرى!

من ثرائك العزيز غنت جنى الرو

ض فاغرى لقطفه كل حى

وارتوى نبتها من العرق الها

مى على تربك الطهور الزكى

من جباه تعفرت فى ثرى الذل

. على موطىء ظلوم قسى

رضخت للصَّراة من كل فظّ
عبد المال فى طماعٍ زرىْ
انت اسمدته، واشتقيتِ أروا
حًاتهاوين فى حماكِ الشقى
نمتِ فى الضنك والهوان! واغفى
رافه النفس فى حريرٍ طرىْ!
فاستفيقى من هجعةٍ تخدع الرُّو
حَ رُؤاها بكل طيفٍ فرىْ
وارشفى خمرة الضياء، وساقى
موكب الزهر من طِلاها الشهىْ
وارقصى للنشيد سلسلتُ روحى
نغمًا فى خياله العبقرىْ
سحرَ الليلَ عزفُه، وانتشى البدْ
ر بصهباء لحنه الروحىْ
فبدا عائمًا تعلّقَ على النيلِ
بطرفٍ من العفافِ حيّى
خدرُ اللحنُ روحها فترامتْ
فوق مهدٍ مكوكبٍ شفقىْ!
واسمعى أرغنَ الطبيعة يُلقى
وحىَ صداحك الحبيب الوفى

قبل أن يغرُب الشعاعُ، ويمضي

بنشيدي إلى الفضاءِ القصيّ!!

○

○ تبسّمي ○

إنْ مات زهرُ الفولْ ... في مزرعات الوادْ
ولفّه (ابريلْ)[1] ... في منجل الحصادْ...
تبسّمي للنيلْ ... يزخرُ بالأعوادْ
وتمرعُ الحقولْ ... بالسندس المنهادْ
ويفتدى المقتولْ ... من زهرها (عيّادْ)

• • •

إنْ مات في الهجيرْ ... لحنٌ على العيدانْ
غنى به العصفورْ ... في فجره الريانْ
تبسّمي للحورْ ... يهتزُّ كالسكرانْ
ولتنهلُ الطيورْ ... من ثغركِ الألحانْ!
يا قدسَ هذا النورْ ... في خافقي الحيرانْ
يلقى أسى المهجورْ ... في واحة النسيانْ!

• • •

---

(1) إشارة إلى موسم الحصاد في صعيد مصر.

إن مـات فى المساءْ		نورُ الضحى الرفافْ
أو مـحَتْ الأنواءْ		من زهره الأفوافْ..
فأرسلى الأضواءْ		من ثغرك الشفافْ
تمزقُ الظلماءْ		وتهتكُ الأسدافْ
وتغمرُ الأجواءْ		بالنور والألطافْ!

• • •

فى ثغرك الأعطارْ		نضَّاحَةَ العيونْ
فى ريحها أنهارْ		دفاقةُ الحنينْ
تطفى لهيبُ النارْ		فى مهجة المحزونْ
وتلهمُ الأشعارْ		للعابد المفتونْ
روحى عليها سارْ		للشاطئ المكنونْ!

• • •

٥

○ القيثارة الحزينة ○

الساقية

ناحتْ.. فلا الزّهرُ على عودِهِ
ألفى عقودَ الطلِّ من جيدِهِ
ولا مُغَنِّى الطيرِ فى وكرِهِ
رقَّ لها وازورَّ عن عودِهِ
ولا رثى المطرابُ فى أيكِهِ
من مباهج الروض وغرّيدِهِ
والعاشقُ البلبلُ فى عشِّهِ
أسرفَ فى نجوى صباباتِهِ
يختالُ فوق الغصن مستلهمًا
وحىَ الهوى من روحِ محبوبِهِ
أقام للبستان عيد الهوى
فراحَ يلهو الروضُ فى عيدِهِ!

لم يسمع النوحَ لمخنوقةٍ
تشكو إلى الدهر أسىً قبدِهِ
خرساءُ، لكنّ صوتها صارخٌ
يذيب قلب الصخر من وجدِهِ
لها طنينُ النحل في فغرة
يهماءَ لم تُبق على شهدِهِ
وهزّة العاشق مستصرخًا
أذواه حرُّ الشوق في بعدِهِ
ولوعةُ النائي بَرَاهُ الهوى
ونال كيدُ الهجر من ودِّهْ
لها عيونٌ دائماتُ البكا
بدمع كالسيل في رفدِهِ
تفنى دموعُ الناس من فيضها
ودمعُهَا باقٍ على عهدِهِ
تحيا زروع الحقل من ريّه
من سوسن النبتِ ومن نَدِّهِ

• • •

ويزدهي الزهرُ إذا ما جرى
مُنهلُّها الصافي على خدِّهِ
يفترُّ إن ناحتْ... ويذوي إذا
لم تسكب الدمع على مهدِهِ

حياتهُ فيها.. ولكنهُ

عقَّ الهوى حرصًا على عوده!

• • •

ذؤوبة الشكوى على راسف

في الذلِّ مفجوعٍ على جدِّهِ

دارتْ به البلوى، فما راعهُ

إلاَّ عماءٌ غالَ من رشدِهِ

وضلةٌ يمشي بلا رائدٍ

على سبيلٍ فلَّ من جهدِهِ

أعمى.. رماه البينُ في دارةٍ

لم يدرِ نحس الخطو من سعدِه!

شُدَّت حبالُ الذلِّ في رأسه

وفتَّ صرفُ الدهرِ في كبدِهِ

منادحُ الضجة في أذنه

وملعب السوط على جلدِهِ

والسائق الأبلهُ لا ينثني

عن ضربه العاتي وعن كيدِهِ

يتلو على آذانه سورةً

من قسوة السيد على عبدِهِ

كـــــــانـهُ الـدهـرُ يـزجْي الـورى

قـــســـراً إلى مـــانـدْ عن وجـــده!

ن

○ وقفةٌ حيال القصر! ○

أغسطس ١٩٢٨

«في ساعة مريرة تطاير فيها رشد الشاعر
من لوعة الحرمان حيال معبد غرامه»

يا صرخةَ الأعصاب لا تهدئى
فى مهجة المحروم من موردِه
فالنار مازالت على مضجعى
تذكى بخور القلبِ فى معبدهْ

• • •

بعدَ الضنى الكاوى.. وما مزقت
من كبد المفتون أهدابها
وافيتها ظمآنَ، فى لهفةٍ
فأوصدتْ دونىَ محاريبها..

• • •

ظمآن! يا بؤسي! ويا شقوتي!
والمنبع الصافي لثغري قريب!
ترفّ روحي حول سلساله
فيختفي عنها.. كأني غريبْ!

• • •

هجرتُ كوخي.. وهوى سحره
وعشبه الزاهي، ونُوّاره
وجئتُ للقصر أنادي به
معبودةً غابت بأستاره

• • •

فأطرق القصر كجفن الحزينْ
وملّت الأصداءُ في وحشةْ
وضجّت العذراءُ في صمته
ضجتها الكبرى على غفلته!

• • •

يا قصرُ! قد طال وقوفي! ألا
يشرق منك الحسنُ للهاتف؟!
أجبْ! تكلمْ! إنّ سحر الهوى
طار برشد المدنف الواقف!

أيُّ القرابين أضحّي بها
فتفتحُ الأبواب للعابدِ؟
الروحُ؟ ما الروح! وشعري؟ وما
شعري سوى ترنيمةِ الشاردِ!

• • •

والكونُ؟ ما الكون إذا لم تُصغْ
للصارخ المشدوه إلاّ عدمْ!
وبهجة الدنيا؟ وما قدرها
إن لم يذعْ فيكَ رنين النغمْ!

• • •

وأي كنز تشتهي جوهرَهْ؟
فأحرق القلبَ على تبره!
وأي سرٍّ تبتغي كشفَهُ؟
فأهتك المسدولَ من ستره!

• • •

وأيُّ.. ما أيُّ وما أمرها!
والقصر في إغفاءة الذاهلِ
والهاتف المحروم لمّا يزل
يشكو الهوى في ذلةِ السائل!

• • •

يا ليت انى ذرةٌ فى الضحى
تنساب فى الضوء على مخدعكْ
يجرى بىَ النورُ على موجةٍ
تُثنى فمى الظامى إلى منبعكْ!!

• • •

اوليتَ انى نسمةٌ فى الدجى
مسيْرها الليل على جبهتِكْ
تسجدُ إن مرتْ على وكرها
وتنهلُ الأحلام من جنتِكْ

• • •

وطالتْ النجوى.. ولم يستمعْ
وكرُّ الهوى الألحانَ من شاعرة
ولجْتْ الذكرى على بابه
فضاع صوتُ الشعرِ فى سامرهْ!!

ە

○ القلبُ الحزين! ○

قلبي..!!

ولي على الدهر قلبٌ بالأسى أبدًا

لهفانُ !! يصرخ مضنًا من عواديه

معذبًا كلما رنتْ مواجعهُ

بكيتُ أنْ عزْفي دهري مواسيهِ

كأنهُ ناسكٌ طالتْ بمعزلتهِ

سودُ الذنوبِ فهاجتْ حزنَ ماضيهِ

لمسبحهُ من نثارِ الدمع منتظمٌ

والروحُ ثورةُ همٍ في أغانيه!

على الصبا كدتَ يا قلبي تموت أسىً..

فكيف لو شِبتَ تحيا في لياليهِ؟!

○

○ سنبلةٌ تتغنى ○

من له فى الأرض مُلكٌ ... مثل ملكى فى الكثيب؟!

موردى النيلُ وزادى ... من ثرى النيل الخصيب

كلّلَ الفجر جبينى ... بالندىّ الغضّ الرطيب

والأصيلُ البرُّ النقى ... تبرهُ بين جيوبى

وشعاعُ الشمس حيّا ... فى شروقٍ وغروب

لو رأى الرهبانُ طهرى ... وصلاتى فى المغيب

هجروا الدّيرَ وخرّوا ... سجدًا فوق كثيبى

• • •

طيبَ الصبحُ مهادى ... بعبير الزعفران

والربى وشّحن عودى ... بوشاح الصهصبان

والضحى لما رآنى ... ذاتَ دلٍّ وافتتان

ثوبَ النورَ واجرى ... نهرهُ فى طيلسانى

وسقانى الطلُّ أشهى ... من بنيات الدّنان

• • •

فزهرات الحقل لما … خشيت لفح الهجير!

ولجأت ظلي خجالى … نغمته في الصغير!

وحبا العُلّيق(1) فوقي … عاشقًا لثم شعوري

كأسهُ البيضاء تحكي … حُلُم الطفل الغرير

مدّها شوقًا ليحسو … هالة الضوءِ المنير!

• • •

أنا عذراءُ تجلّى … سحرها بين الحقولِ

الصِّبا جُنّتْ غرامًا … بشحوبي ونحولي

فتلوّتْ حول خصري … في شرودٍ وذهولِ

تشتهي لثمي.. فتضري … آهةَ الصبِّ العليلِ

فأُناغيها بهمسٍ … رقَّ عن نفحِ الأصيلِ!

• • •

كم ربيعٍ ناعمِ الأ … صالِ طلْقِ الغدواتِ!

ومضتْ فيه عفةُ المهدِ … يحضنُ الربواتِ

بين ترتيلِ السواقي … ورفيفِ النحلاتِ

وترانيمِ الصبايا … في سكونِ الطرقاتِ

والصدى المشبوبِ حولي … من أناشيدِ الرعاةِ..

ودنا الصيفُ فشابتْ … من لظاهُ سنبلاتي!

وذوى عودي! ولفَّ المنـ … ـجل القاسي حياتي!

• • •

---

(1) نبات ذو زهر أبيض يلتف بعيدان القمح.

وتحطمتُ.. فـــاحـــيـــا النّـــاس عـــيشَ من رفـــاتى!

أنا فى عـــرسى، وحـــصـــدى وحـــيـــاتى، ومماتى!

مـــثلَ أعلىَ ورمـــزً خـــالدً للتـــضـــحـــيـــات!!

٥

○ عندَ زَهْرَةِ الفُول ر

طلعَ الحسنُ في قُرى الريفِ روضًا

حاليَ الأيكِ بالأزاهرِ والندْ

سرقَ العطرَ من جيوبِ العذارى

وحباهُ للأقحوانِ المنضدْ

وسطا في ثغورهنَّ فأجرى

كوثرَ الريقِ في ثراهُ المعبدْ

لمسَ النبتُ من طِلاها فرفّتْ

كلُّ مبتلّةٍ به تتأودْ

ههنا السنبلُ المرنَّحُ يصبو

في مهبِّ النسيمِ حينًا ويسجدْ

وهنا الفولُ أبيضُ الزهرِ نضرٌ

كسدولِ النقابِ لاحتْ بمشهدْ

وترى الصادحَ الطروبَ من الطيرِ

يناغي الهيفَ المتوجّدْ.

بتطنى ترتيله فى ذرا الدو

ح صلاةٌ من الملائك تُنشدْ

وكان الريحانُ من رونق الخضرة

. صففتْ عيدانهُ من زَبرجدْ

ضاع من كمِّه العبيرُ كما نرا

ه براها الهوى فراحتْ تنهَّدْ!

وتخالُ الضحى عليه برودًا

فصِّلتْ من سنا شعاعٍ وعسجدْ

وقدودَ النخيلِ قاماتِ غيدٍ

ساكراتٍ من خمرة الطلِّ مُيَّدْ

خفقت حولها النَّوالى[1] فريقتْ

وتاسَّتْ على الأسير المقيَّدْ

لطمتْ سوقها على الثورْ حزنًا

حرةٌ فجعتْ على مستعبدْ!

ونزا فى مراحه كلُّ جدىٍ

حائرِ الروقِ ناثرِ الخطو، أغيدْ

قد سقتهُ الربيع كأس سُلافٍ

من رحيق الندىَ فثارَ وعربدْ!

وإذا ما الأصيلُ أحرق فيه

جامَ صنهباته ، العتيقَ المصعَّدْ!

---

(١) جمع دالية وهي الساقية.

شبّت أغصانهُ ذوائب شقرٍ

مذهباتٍ على نواصي خُرّدْ

وعلى النيل للسفائنِ همسٌ

كطيوفِ الأحلام تهفو بمرقدْ

سبحتْ في عبابهِ الشمس تبغي الطهرَ

في مائهِ النمير وتنشدْ!

• • •

جنةٌ تلهمُ الخيالَ، وتوحي

عبقري الفنون من كلِّ مشهدْ

شُغِلَ القوم عن هواها .. وكانت

للأُلى شيّدوا الحضارة معبدْ!

٥

« ظَمَأ العُيون! »

١٩٣٥

عـــابـد النـور جـــــاء للنور يشكو
ظمــأ فى الحـــشـــا لســـحر خــيـانة
وعلى الجـفن ضجـةٌ.. مـات فـيـهـا
ألقُ النـور والتـــــمـــــاعُ سنانة
وخـبتْ بهـجـةُ الحـيـاة وأضـفى
بؤسـهـــا، لوعـــةً علـــى لألائــــه
جنتْ الأعـــينُ الظّمـــاءُ إلى الحــسن
. وحنتْ دمـــوعـــهـــا لبـــهـــانة
وتمشّ الهــوى بأهـدابهــا الســو
د فكادت تضيءُ من كـــهـــربائه!

• • •

عاشقٌ شفَّهُ النوى، وتلظّتْ
صالياتُ الغرام فى أحشائهْ!
جال فى مصرَ هاتفًا ينشد الحسنَ
. ويبكى لبعدِهِ واختفائهْ
وتنادى عيناهُ فى سكرة الصمتِ
. وتغنى أنوارها فى نداته
فيغيب النداءُ فى لُجة الجو
ويذوى الرنينُ فى ضوضائهْ
ويعودُ الصدى غيابة همٍّ
نشرتْ ليلها على أرجائهْ!

• • •

صرخ اللحظُ فى مشابك جفنيه!
. وضجَّ الإفريزُ من أصدائهْ
وبدا كالجنون فى ثورة الهـا
ذى، وساجى الأحلام فى فكرِ تائهْ
صاخبـاً كالهوى بجنبيه! أعمى!
غمرَ التيهُ واسماتِ فضائه
كلما صورَ الخيالُ أمانيه
. ففى الأسى! لغايا بدائهْ
الجنانُ اللهيف يغلى بجنبيهِ
. فيغلى المذابُ من بُرحائهْ!

ظامئًا للحبيب، يشتاقُ أن لوْ

رشفَ اللمحَ من قصيّ إنائهْ

تمسِ العمر إنْ قضى لم يزودْ

من سناه بلمعةٍ فى فنائهْ

فهى خلدٌ لخلد روحى، وعمرٌ

لا يدانى الفناءُ حدُّ انتهائهْ

* * *

غابَ يالهفة العيون ضياءٌ

كل زادى ومتعتى من رُوائهْ

جمحتْ خلفه الأمانى فضلتْ

فى البرِ ضللتْ بين عمائهْ!

ن

○ النعش! ○

يا زورقَ الموتِ مـــاذا دهاكَ من ذى الحياه؟
فرحت عجلانَ تجرى لضجــــةٍ فى فلاهْ!

* * *

غادرتَ دنياك لم تحفلْ بضجتها
حول الركاب ولا بالمدمعِ الجارى
يمشى الناسُ بأكبادٍ ممزقةٍ
من الجوى! ورحيل الموكب السارى!
وللأرامل صرخاتٌ لها ضرمٌ
تحت الأضالعِ مشبوبٌ من النارِ
لاحتْ مناديلهنَّ السودُ خافقةً
كأنما فُصِّلَتْ من حالكِ القارِ
كأنها فى سماءِ الحزنِ أغربةٌ
تنعى حياتك فى لهفٍ وإنذارِ

• • •

لغوك فى صابرىٌّ مكلل بالزهورْ..
ما قيمةُ الزهرِ يزهو على طعام القبورْ؟!

• • •

طوفتَ بالأرض حتى ملّ جانبها
وعدتَ خسرانَ منها نضوَ تسيارِ
كأنَّ عودكَ يوم البين مهتصرًا
ريحانةً فنيتْ فى جوفِ إعصارِ
واهًا على نظرة لم يحظَ مرسلها
إلا برجع الصدى من دهره الزارى!
واهاً على أعظم همتْ مصادعةً
غول الردى فهوت من بطشه الضارى!
واصبحتْ كاللقى.. مدتْ على خشبٍ
مضمخ بنفاحِ الطيبِ والغارِ

• • •

أيسعدُ الطيبُ ميْتًا رنتْ إليه اللحودْ؟!
أكفانه عن قريبٍ يسيلُ منها الصديدْ..

• • •

يا عابرًا هبطَ الدنيا فظنَّ بها

موانعَ الخلدِ لا تحصى بمقدارِ

فراح يطرب مخدوعًا بفتنتها

ما بين لهوٍ... وكاساتٍ.. وأوتارِ

حتى ادارت له الأيام هازئةً

كاسًا مبرّأةً من وصمةِ العارِ

من كرمةِ الدهر من طافت بساحته

لا يستفيق صريعًا بين أحجارِ!

وكم تزهّدَ لا تخفقْ سبحتُه

مجنونةَ الثوْبِ من إثمٍ وأوزارِ!

• • •

حتى ثوى في حفيرٍ

وياله من ظلماتهْ!

يلهو مع الدود فيهِ

لهوَ البلى في رفاتهْ

• • •

مهما سقى الوردَ ساقيهِ وانعشهُ

خمرُ الندى.ونسيمُ الربوةِ السارى

فرفَّ تحتَ الضحى سوسانهُ نضرًا

في موكبٍ من بنات الزهر معطارِ!

لابدَّ للوردِ من ريحٍ تقصفهُ

رغم الضحى وصمت الجدول الجاري!

يا حامل النعش لا تعجلْ.. فإن أسىً

من حسرة الموت أعيا بطش أفكاري

هذا الذى ضاقت الدنيا بمطمعه؛

نصيبهُ كان منها عشرُ أشبارِ!!

• • •

وتستوى أن تردَّتْ في هاويات الحتوفِ؛

جماجم البُلْه فيها ومخُّة الفيلسوفِ!!

ه

○ درٌّ ودمعٌ! ○

«الزهرة بين الشتاء والربيع»

زهرةُ الوادى تجلّتْ كعروسٍ للربيعْ
زانها الحسنُ بطلٍّ خاطفِ اللمحِ لموعْ
فهو دُرٌّ فى لماها وعلى الجفنِ دموعْ..

* * *

ضحكت للفجر بصفو نورةٌ فوق الزروعْ
وللصبح حالمٍ كالطيفِ رفّافٍ وديعْ
وللصحو الطير يشدو بعد ما طال الهجوعْ
ولأنفاسِ الأقاحى فى رُبى النيل تضوعْ
وللريحانِ الضحى منفتقُ الكمّْ خليعْ!

* * *

وبكتْ ترثي شتاءً ... حائلاً بشكو النزوعْ
كم أساها حين أدواها ... ببردٍ وصقيعْ!
فتعرّى من كساءٍ ... من حُلَى الزهر بديعْ
عاش عُريانًا.. فلمّا ... مات وشّاه الربيعْ!!

٥

○ دَمْعَةُ بغِيٍّ! ○

مومسة تسقط في المحبة...!

واهاً على دنيـاي.. مـا صنعتْ

بالحسن في كنفِ الصبْا الفـاني؟!

فتكتْ بمهجـتهِ.. ولـو عدلتْ

فتكتْ بقلبِ الآثم الجـاني!

• • •

في الريفِ فتّح للورى زهري

وسرى بطهري في مغـانيهِ

كحمائمِ البستانِ، لا أدري

من سفرهِ أو منَ معـانيهِ

• • •

لحظاً لعمركَ كنتُ أرسلهُ

عفّاً.. نماهُ سحرُ نظراتي

يلهو به الراني.. فيقتله

ويذيب قلبَ الصخرة العاتي!

• • •

عذراء كم لوعتْ مشتاقا

فنيتْ حشاشةُ قلبه الدامي!

ولكمْ مررتُ بمابدٍ لاقي

وضح الهدي بِعَفافِيَ السامي!

• • •

عصفتْ بي الأرزاق بلدي

فتركته .. واحسرتا وطني!

كوخي الجميل! وملعبي وددي[1]!

ومراحي المحبوب! واحزني!

• • •

ونزلتُ في بلد شهدت به

قدسَ الحجاب ممزقَ الستر

مشتْ الفضيلة من كواعبه

مشي الذليل بربقة الأسر

• • •

---

(١) الدد: اللهو واللعب.

بصرهن والأجسامُ عارية
تغري بحسن القدّ والقامة
فضحت مفاتفهن اردية
كحبائل الصياد.. نمّامة

• • •

وشبابةٌ غنو. قصاراهُ
من عيشه لهو ونجمبلْ
سلب الأنوثة من عذاراهُ
ومشى.. عليه العارُ مسدولْ!

• • •

والحبّ.. ما ادني[1] رغائبه
بين الكؤوس.. ورنّة الوتر!
فإذ الهوى يرخي ذوائبه!
كان العفافُ لُبانةَ الوطرِ

• • •

وجرتْ على حسني المقاديرُ
فوقعت فيما كنتُ أخشاهُ
عبثتْ بفتنتيَ القواريرُ
وصبابة الشاكي ونجواهُ

• • •

[1] من الدناءة

سرق الألم قداستي ومضى...

ومضيتُ أندبُ حظيَ الكابي

حسري! أروم القبر لي عوضاً

عن خسة الدنيا، وأوصابي..

• • •

هابيَ التربُ لما بنصهُ

من لوثة الآثام والعار

فنزلتُ.. ما أقذى وأرحمهُ!

بيتَ الفجور، وعش أوزاري!

• • •

أفتنُّ فيه لمن يساومني

عرضي.. بيما يلهي الطويَ شبها

ويد تصافح من يكلّمني

ويد تصونُ القلبَ أن يقما!

• • •

وردٌ جناهُ المرء من كمّهْ

واستافَ منه الروّح للقلبِ

حتى إذا أضوعَ من شمّهْ

ألقاه مبتذلاً على التربِ

• • •

وبقالُ في حكم الهوى: سقطتْ!

وتَمَّ! ولكن من خداعكمُ

لولا أذى الإنسان ما حملتْ

إثمَ الهوى عذراءُ.. ويحكمُ!

ه

المساء!

«من خواطر المساء في القرية.»

ووجنةُ الشمس حين تبدو

بشاطئ الأفق في احتراقِ

كأنها كاعبٌ تعاني

مرارة العشقِ في الفراقِ

ويصبغُ الحقلُ في أثيرٍ

مذهبِ الوشي والنطاقِ

أزاهر القطنِ فيه لاحتْ

صفراءَ عُذريةَ العناقِ

تُصيغُ للجدولِ المغنّي

بمدمعٍ في الثرى مراقِ

ونسمعُ النوحَ من أسيرٍ

مقيدٍ هامَ بالسواقي..

* * *

هنالك الفلك يا فتاتي

في عزلةٍ برةِ التلاقي

فارشف النور من طيوفٍ

شفافةٍ حلوةِ المذاقِ

اشكو الى سحرها دموعًا

كالنارِ في ذابل المآقي!

عيناك قد طارتا بروحي

في عالمٍ ساحرِ الرواقِ

نهلتُ من وحيهِ الأغاني

عذراءَ فتيةَ المراقي

سحريةَ اللحنْ.. في هواها

تمائمٌ تعجزُ الرواقي!

• • •

الهمتها القلبَ في خيالٍ

اصفى من الكوثرِ الدهاقِ

امالُ سكران من نداها

او تبلغُ الروحُ للتراقي!

٥

○ خَمْرُ الأنوثة ○

«الأنوثة حياة عذرية سامية، مفعمة بالسحر والفتنة والجنون الروحي الغامض! وهي رحيق معنوي يترعه الجمال للعاشق فيغمره الذهول والتلاشي الملاذ بين يدي حبيبته... ويعسر على النفس أن تسعد بهذه الحياة إلا إذا تمحضت للطهر وانتهت مشاعرها في تقديس الجمال! وقد شف الشاعر في فترة فراق، حنين جامح إلى تلك الحياة فصور إحساسه في هذه القصيدة..»

١٩٣٥

هي الخمرُ! ما سكبت في الدنانِ

ولا عُصرتْ من رحيقِ العنبْ

ولا شعشعتْ جامها فاغتدتْ

عروسًا مكللةً بالحببْ

إذا خلعتْ للنديم العذارَ

فيا ضيعةَ الرشد المستلبْ!

ولكنها من عبيرِ الجمال

ومن نوره الساحرِ المختلبْ

مرفرفةً من شفيفِ الخيال

على خدها المشرقِ الملتهبْ

أما نكهةً من جنونِ الشباب

وإحساسهِ الهائجِ المضطربْ

لو أنّ «النُّواسيَّ» غنى بها

لزين بالطهر شعرَ العربْ

تدفقُ أنهارها فى الأنهر

بشوقٍ على مهجتى مصطخبًا

إذا ما تنفسَ فى أضلعى

طويتُ على القلب نجوى اللهبْ

عوالمُ طفاحةٌ بالطيوفِ

ترفُّ على ثغرها المقتربْ

تمهدُ للصارعِ المستهامِ

أمانىَّ فياضةً بالأربْ

جمعنَ على الحب طهر الهوى

وأشرقنَ للعاشقِ المكتئبْ

وأسكرنَ روحى فأرسلتها

تغنى لغاياتها المغتربْ

فتسكُبُ ألحانها الدامعاتِ

مجرحةً من وراءِ الحجبْ!

وتهفو على وكره صبْوةٌ

مدلهةٌ شردتها النوبْ

ترفرفُ عابدةً حصنةً

وانوارهُ الساطعاتِ الشهبْ

وترشفُ من كوثرٍ رائقٍ

كحلْم العذارى رقيقِ الطربْ

مداما من الطهر مصورةً

ومن نَفَسٍ عبقرىّ النسبْ

ومن شفقٍ قرمزىّ الجبينْ

على شفةٍ صُوّرتْ من لهبْ

ومن حُلُمٍ ذاهلٍ فى العيونْ

تحيّر فى نورها واضطربْ

ومن نغمٍ عازفٍ فى الجفونْ

يترجمُ عن صارخٍ محتجبْ

تصوّف من عفةٍ فى الضلوعْ

وضجّ على لوعتى واكتئابْ

وثوبُ إلهامهُ فى شعاعٍ

من الحسن طهر قلب المحبْ

والهمهُ من نشيد الغرامِ

روائعَ ما خالجتها الريبْ

اغـــاريدُ مـــفــمــمـــةً بالحنين

يـصـــفق فى لحنهـــا المنتـــحبْ

* * *

بروحى من الخـــمـــر مـــا انهلتْ

عـــيـــونكِ من زاخـــرٍ مـــا نضبْ!

جـــلالُ الأنـوثـةِ فـى طـهـــرهِ

بعـــيـــدُ المدى، مـــســـتـــحـــيلُ الطلبْ

إذا مـــا تنفَّستُ فـى ســـحــــرهِ

وفـى عـطـرهِ المســـتـــــراد المحبْ

ممـــمـــوتُ إلى عـــالـمٍ اقـــدسٍ

اتـيهِ بـه فـــوق هـام الـســـحـبْ

يـلاطـفـنى فـــيـــه طيفُ الـهـــوى

ويُشـــــرق لـى فـى ظـلالِ الـرهـبْ

ويمـــسح من شـــقـــوتى فى الحـــيـــاة

ظـلامَ الأسـى، والـضـنـى، والتـــعـــبْ!

* * *

بروحى إذا لاح فـــجـــرُ الهـــوى

عـــبـــيـــرٌ بـثـــغـــركِ يُذكى العـــجب!

إذا رقَّ يـــنـــفـــح طـــيـــبَ الـــورودِ

وإنْ هـاج يـضـــرم حـــرَّ اللهبْ

تنفّستهِ فى سكونِ الحبيب

فنمَّ على ولهٍ محتجبْ

كتمتِ لواعجه فى حشاكِ

فكشّفها صدركِ المضطربْ

ولحظٌ تغلغل بين الأثير

وأمعنَ كالراصد المرتقبْ

كأنى به حارسٌ للجمالِ

فمن مال صرّعه بالهُدُبْ

رنوتُ لإنسانه فى ذهولٍ

وبى ما به من جنونٍ وحبْ

فلما رأى عفتى فى هواهُ

وما شفّنى عشقه من عطبْ:

تضاعقَ(1) لى جفنه رقةً

وخفَّ إلى شفتى واقتربْ

فنويتُ روحىَ فى نورهِ

وخلّدتها فى السنا المنسكب.

٥

---

(١) هزّ وتكسّر من الجفان.

○ مِن فم الراعي ○

١٩٣٥

شجتني رنةُ العصفو ... ر في فجر الرُّبى الصاحي

وعذبُ اللحن من شادٍ ... رخيمِ الصوتِ صدّاحِ

وساري العطر من زهرٍ ... رطيبِ العود فيّاحِ

فرنمتُ على المزمار ... أغنياتِ أفراحي..

نشيدَ الحقلِ.. والشاةِ.. ... ولحنَ الروح.. والراحِ

• • •

لقد ذبنا مع الفجر ... ندى كاللؤلؤ الصافي

فرصّعنا كؤوس الزهـ ... ـر من لألائنا الضافي

ولحنا في مراعينا ... نجومًا بين أسدافِ

عدونا نسبقُ الشمسَ ... إلى مربعنا الغافي

لم نترك لرائينا ... سوى أشباح أطيافِ

• • •

رشفنا خمرة الأنداء من زرع الربى النامي
وارقصنا أغانينا فرفت مثل أحلام
بعثناها مزامير لمحراب الضحى السامي
يطوف الحقل شاديها بلحن عازف هام
كأن الحقل في عرس بهيج اللمح بسام

• • •

لنا المطر إذا فاحت بواديها الأزاهير
وعذب اللحن إن غنت على الأيك العصافير
وإن رفت على الوادي من النبت البواكير
عشقناها أكاليل زهاها الحسن والنور
لثغر الشاة ضاحيها وللأذن المزاميرا

• • •

وكم ناعورة ناحت على مستعبد فيها
أسير السوط كم ضجت له يومًا أغانيها
شربنا المدمع الصافي نميرًا من مآقيها
ونادمنا ظوامي الزهر حتى هام صاديها
ورحنا ننهب الخطو سكارى بين واديها

• • •

لنا ملكٌ بشروقِ الشمسِ لو تحبو بناديه
من الزهرِ بنيناهُ وشِدنا من أواسيه
وبعطرنا أمانينا شعاعًا في روابيه
إذا غنّى به الراعي وألقى السحرَ منْ فيه،
يصبغُ الكونُ مفتونًا بما توحي أغانيه!

• • •

جهلنا عثرة الإنسا ن.. ذاك الألم الفاجرْ
حليفِ الظلمِ، كم ألوى على المستضعفِ الخائرْ!
وكم مالَ فلم يدفعـ ـهُ إلا حتفه القاهرْ!
سواءٌ ذلك الطاغي ووحش الغيضةِ الكاسرْ
إذا هاجا من البغي: فيا ويلاهُ للعاثرْ!

• • •

وعشنا عيشة النُّسا ك في طهر بوادينا
لقاءُ الشاءِ تسبيحٌ وتهليلٌ لبارينا
وصوتُ الناي ترتيلٌ به طارتْ أمانينا
إذا رنتْ خلال العشـ ـب من وجدٍ أغانينا!
فقلْ: يا معبدَ الريفِ لقد هام المصلونا!

• • •

إذا مــــا الشــــفق الدامى ضــــفت فى الأفق أنهــــارهْ
ولفّ الشــــمسَ فى نعشٍ من النهــــران أســــتارهْ
ومــــات الموجُ فى النهــــر فــــمــــا يســــمع لهــــدارهْ
ومــــات المطرُ فى الروضِ فــــمــــا تنفخُ أزهارهْ
ولاح الــــنــــبــــلُ وســــنــــانًا تروع الفكرَ أســــرارهْ..!

• • •

تمــــينا الشــــمس فى لحنٍ شــــجى الأغنامَ شــــاديهِ
فــــراحت فى جناز النــــو رولهى من مــــراثيــــهِ
اقــــامتْ مــــاتما فى الوكــــر مــــا أشجى الأسى فيــــه!
كــــانــــا حين أرخى الليــــل - فى صمتٍ - دياجــــيه!
شــــجونٌ فى ضــــمــــيــــر الريــــف هاجــــتــــهــــا أمــــاســــيه!!

○

○ الغَديرُ الذَّهَبِىّ! ○

١٩٣٦

سلة الشعر

مهداة إلى الجبين الطاهر الذى طالما...

كم تمنيتُ لو أنى   بين طياتك ذرةْ!

أملُ العطرَ لديها   وأناغى كلَّ شعرةْ..

• • •

وارى انفاس عنبرا   نى ضوافٍ فى اثيرك

مالداتِ النفح، تذكى   ارجَ الحسن بنورك

• • •

انْ خمر تلك لم تشـ   ـرقْ لحلمها بكأسٍ؟!

مريتْ روحى من صهـ   ـبالها دون مساسٍ!

• • •

اأراها قطرةً من   ـفرها ذابت بنهرك؟

يوم الفتْ شفتاها   قبلةَ العهد بثغرك!

• • •

أىُّ نور فـــاضَ كـــالـلـــ ـجـة مـجـهـولَ الضـفـا
رفَّ فـى نعـنـى بـمـعـنـىً غـامضِ الأطيـاف خـا

• • •

أتراه لُمـعـةً سـحـ ـرِيةً مـاجتْ بِتـبـرِلكْ؟
شـردتْ من مـقلتيـهـا وتـهـادتْ فـوق صـترلكْ!

• • •

أىُّ عـطـر ذاك لـم يـخـ ـلقْ لمـا يـزكـيـهِ زهـرُ؟!
جُنَّ حـسـى حين لفَّ الرُّ وحَ من مـاريه نشـرُ[1]

• • •

أتراه نكهـةَ الحبِّ (م) نماها فى شـعورِلكْ؟
أم أريـج الـوصـل يـنـدى فـوحـهُ بين عـبـيـرلكْ؟

• • •

يـا غـديرًا ذهـبـيًّـا رقَّ عن نفح الأصـائلْ!
ضـفـرتْ سلسـاله للصـ ـبِّ غـيـداءُ الأنـاملْ..

• • •

قـد تـهـادىَ فـيك منى زورقُ الروحِ الحـزيـنـة
ويكى الملاحُ شـجـوًا هـل تـمـمـتَ أنيـنـهْ؟!

• • •

غلونى الحـيـرى، لكم طا رتْ هـيـامًا فـوق مـوجلكْ!
ضلت الخلد، فـجـاءتْ ترتجـيـه بين لجلكْ..

• • •

---

(١) النشر: عبق الطيب.

١ امــــا يـمـمتُ شطًا — منكَ لماح الســـمات

. ـامتْ الأجــواءُ فى عــيـ — ـنى وضـــاعتْ أمنيــاتى!

* * *

را ترى أنتَ خــبـــالٌ — شــفــقُ الوحى، ســام؟

م. ـبـغتْ أطيـــافـــه منْ — لـوعـــتى، نارُ الغـــرام؟!

* * *

أم نشيد عـبـقـرىٌ — هـزهُ نـاىُ الجـمـــال؟

م. ــور الـوهـمُ صــداهُ — نـغـمًا يـهـفـو خـيــالى!

* * *

أم شذى فـجـرٍ رفـيـفِ النـ — ـور فى حلمِ الحـبـيـبْ؟

روحتْ أطيـــابهُ عنى — (م) شـجى العـمـر الكئيبْ!!

* * *

. ا لشـعـراتكِ صـفـرًا — كــرياحين الخــريفْ؟

ار لاتٍ.. تتـهـــالـ — ـكنَ بممســود(١) الشـفـوفْ!

* * *

ها، شجـاهنْ أسى ضـرُّ (م) — ـهُ برحُ الشـتـاتْ؟

. ـتـهــاوينَ منْ اللـهـ — ـفـة - مـثلى - فـانبـات!

* * *

ـاقـهنُ الحـسنُ لم يلـ — ـمحْ عليـــهنْ سناهُ

وامـــاهنْ حـنـين — شفُ جـســمى وبـراهُ

* * *

---

(١) ...امد حريرى أسود.

كم تصافينا على مفـ ـرقه عند العناق!

وترشفنا الهوى من كأسه العذب الدهاق..

• • •

وسبحنا في ضياء فاض سحرًا من جبينه

وشدونا الشعرَ للحبْ (م) ونبنا في رنينه

• • •

وسكبنا الفجر في قبـ ـلاتنا طهرًا مذابا

فتطايرنا على منـ ـهله الضافي حبابا

• • •

ثم عدنا من أسى البيـ ـن سكارى ذاهلينا

نندب الماضي، ونهفو في جنونٍ حالمينا..

• • •

شهد الصمتُ.. لكم صلـ ـيت بالروح لطهرك

وتهافتُّ لعلي أنشقُ العلوي بعطرك

• • •

فدنوتُ روحي من النجـ ـوى ولم تغنِ صلاتي!

وامحى شعرك وجدًا في سعيرِ القبلات!!

○

○ أحزانُ الغروب ○

«وحى هذه القصيدة أمسيات حزينة كانت تحضن الشاعر في قريته (النخيلة) على ضفة النيل اليسرى في أعالي الصعيد»

١٩٢١

ماتَ النهارُ وهذى الشمس جازعةً

عليه، تخطرُ في دامى الجلابيبِ

كأنها نعشُ (خوفو)[1] مال متكئًا

على سريرٍ بثوب النور مخضوبِ

أمامهُ الأفقُ، يجرى فوق ساحله

على دمٍ من عيون الشرق مسكوبِ

ملتفٍ في سحاباتٍ سبحنَ به

لشاطئٍ في ضمير الغيب محجوبِ

---

(١) بانى الهرم الأكبر

عُصْبنَ بالشفق الباكى، ولُحْنَ أسىً
في موكبٍ رائعِ التعبيرِ مرهوبِ
كأنهنّ وركبُ النور مرتحلٌ
من ساحةِ النيل ، صحتْ لتأويبِ:
راياتُ مصرَ تهادتْ كي تشيعه
بلاعجٍ من أساها جدِّ مشبوبِ!

* * *

وثورةٍ من دخانِ الكوخِ فائرةٍ
تغلى على بائسٍ في الكوخ محروبِ
كم بعثرتْ وجدها في الجوِّ صاخبةً
فطار والريحَ في شتى الأهاضيبِ
تنفستْ بضناه المرّ شاكيةً
الام شيخٍ[1] رقيقِ العيش مغلوبِ
طبٍّ[2] بغن الثرى.. إن مسّ قاحله
يعود ريانَ مفتنَّ التعاشيبِ
تزهو به جنةٌ لغاءُ ناضرةٌ
مخضلةُ الأيك، تذكى نافحَ الطيبِ
لكنه في مَجَالِ الرزق مرتفقٌ
بعاثر من سواد الحظ منكوبِ!

---

(١) الفلاح المحروم.
(٢) خبير بارع.

طعامه لقمةٌ عفراءُ يابسةٌ!
والماء من أكدرٍ في النزْ مربوب!
ومهدُهُ! لا تمل إن لغفةُ وسنٌ
عشٌ الهوامِ وأبياتُ العناكب!
كأنهُ حكمةٌ عمياءُ نلقمة
في عاطلٍ من فجاج الفكر مخروب
سجى الظلامُ فغطتْ في مجاهلها
واسترسلتْ في خيالاتٍ وتغييب
لا ضجةُ الضفدع المجنون تقلقها؛
فلا تلذُّ بحلم فيه مرغوب!
ولا الرعاة؛ إذا غنوا لسربهمُ
مروحين بإنشادٍ وتطريب
بغريهمُ لرفيق الشدو ذو طرب
من الجداء[1]. ولوعٌ بالألاعيب.
طوى المروجَ طليقًا في مخاضرها
وعاد مبتهجًا من غفلة الذيب!
ولا صدى بومةٍ هتافةٍ؛ نعبتْ
فلم تدعْ في الدجى شجوًا لمكروب!

---

(١) جمع جدي.

ولا الظلامُ، سرتْ في الكون؛ وحشتهُ
بهاجسٍ حالك الأطياف غربيبِ

ينبعُ في النفس أصداءً مروعةً
من عالمٍ لسحيقِ الوهمِ منسوبِ!

ولا الجنادبُ[1]؛ ألقتْ في مسامعه
مناحةَ الصرِّ من جوف النخاريبِ[2]!

نام الغريرُ! ونصتْهُ[3] براءته
إلى حمى رائعٍ ثرٍّ[4] الأعاجيب

فيه من الحلم دنيا عزَّ مطمعها
إلا على طاهرٍ عفِّ الأساليب

صافى السريرة من زيف الورى، ورعٍ
محصن النفس من وشىِ الأكاذيبِ.

فيه المساءُ ضحى، ردَّ الخيال له
هالاتِ عرشٍ من الأضواء مخضوبِ

والزنبقُ الذابلُ الوسنانُ، مبتلعٌ
في صحوة الحلم، مسلوبُ الجلابيبِ

تسرى به الروح في بيضاءَ سابحةٍ
من زاخرِ العطر في نفحٍ وتطييبِ

---

(١) ضرب من الحشرات يألف الظلام.
(٢) جمع نخروب وهو الشق في الحائط أو غيره (التخر بالعامية).
(٣) رفعته.
(٤) كثير التهاويل التي تصورها الأحلام.

إلى الأماني التي نام العثارُ بها

ونكبتْ في حماها أيَّ تنكيب!

إلى الضفاف السواجي في ضمائره

من دافقٍ في شعابِ الحلم مصبوبِ

ودٌّ لو كان في أثباجه[1] زبدًا

تزجيه نسمةُ أسحار لتتبيب[2]

ولا يفيقُ إلى صحو تقلبه

مرارةُ الضنك فيه شرُّ تقليب!

* * *

يا نغمةً في المساطير موّلهةً

حيرى تدفقُ من ناي الدواليب!

كأنها خفقةٌ من قلب محتضر

يشدو بها العمرُ في لهفٍ وتكريب

ماذا شجاك هرقلتِ الأسى نغمًا

ورحتِ نواحةً بين المطاريب؟!

النورُ حين ذوى في الحقل ناضرهُ

والحلم الضوءَ من تلك المحاريب؟

ونام في حضن زنجي قد التشحتْ

متونه بدجى كالهمّ غربيب..

---

(١) ثبج البحر وسطه.

(٢) الهلاك.

أمْ نعبةٌ صرختْ من جوف كافرةٍ[1]

بالنور، تدعو له دومًا بتغريب؟

ما تلك الأصداءُ البأساءُ تنفثُهُ

أُنسًا لكل طليحِ النفسِ مغلوب!

أمْ ضلةٌ غمرتْ حيرانَ، مضطهدٍ

محرق بلهيب السوط ملغوب[2]؟

ما الناسُ إلا أسارَى قوةٍ خفيتْ

تسوقهم لردىً فى الغيب مكتوب!

أىُّ المقادير التى حكمه بهمُ

ولم يجد غيرَ قلبٍ منه مرعوب؟!

أمْ شاعرٌ غره فى دهره أملٌ

فعاد لهفان من يأسٍ وتخييب؟

يسرى من الشجو مخطوفًا بلوعته

كشاردٍ من طيوفِ الحلمِ منهوب

ويرمقُ النورَ، لا يأسى لغرقته

ولا يهيمُ بطيفٍ منه مكذوب..

فنوره ومضةٌ للروح خاطفةٌ

تنساب لماحةً من جفن محبوب

---

(1) البومة.

(2) متهالك فى مشيته من شدة الإعياء.

نشوى ترف على إحساسه أرجًا
يروّح المعز من بؤس وتعذيب!
سيان عندى دجى غيمان فى كبدى
ولمح فجر بتاج النور معصوب
نبتُ فى بيئة للفضل جاحدة
فما بأوطارها لى أىُّ مطلوب
حسبتنى من أساها طائرًا غردًا
يلقى أهازيجه فى جوف مجدوب[1]
لولا هواها وأنى فى خمائلها
نموتُ ذا خافق للشدو موهوب
حطمت قيثارتى زهدًا بسامرها
ولا أسيتُ لحظ فيه مسلوب!
أشدو وأذن الورى عنى مغلقة
فيا لضيعة إنشادى وتطريبى!

• • •

حزينة أنت يا روحى؟ فيالهفى!
كم هاج حزنك إيلامى وتعذيبى!
تلك الأناشيد قد سلسلت رائعها
أسوان[2] يذكى صباباتى وتشبيبى

---

(1) قفر موحش.
(2) من الأسى.

عفّ الهوى، لم يرغْ في لحنه وزرٌ

ولم يدنس بإثمٍ طيبه أو حوبِ(١)

فأي ذنبٍ جنى حتى بشهبِ أسىً

وأنتِ ريانةٌ ماستْ على الشهبِ؟!

إن كان فتنته بالنيل مصطخبًا

مصفقَ اللجّ، وكُفافَ الميازيبا(٢)

تحكي سفائنه في الليل ساريةً

عرائسَ الحلم في مهد الرعابيبِ(٣)..

أو كان تشبيبه الداوي على وطنٍ

مذللٍ في يد الأعداء مغصوبِ.

وشدوهُ بالهوى.. سحرًا بفاتنةٍ

محتْ شقاوةَ قلبٍ فيه معطوبِ..

فما له ما أثمّ راحتْ براءتهُ

تنعى في الورى طهرًا، وتصمو بي!!

(١) خطيئة.

(٢) فياض الينابيع.

(٣) العذارى الناعمات.

○ شاعِرُ الفَجْر ○

«أذَن»

«في ذلك الصوت العميق الذي يهتف في صمت
السحر من القباب والمآذن لتحفل روحية الشرق،
ويهتز الجو بأشباحٍ وطيوفٍ شعريةٍ هائلة!»

١٩٣١

وشــاعــرٍ في الفـــجــــر يـســبـي النهىٰ

بـــســــــــــورةٍ جـلـت عـن الـمــأثـمِ

حـــيـــــالـهُ مـن ســـــدرة المنتــــــهى

ولـحـــنـــــــه مـــــــن وتــــــر الأنـجـــم

عفُّ التــــــرانيم... إذا نصــــــهـــــا

كــــادت تضيء الطهــــرَ فـــوق الفمِ!

* * *

مـــــنـبــــرُ اللحن، إذا مـــــا شـــــدا

ورجـع الأنـغـــــامَ فـي فــــجـــــره؛

تخاله مجمرةً، والصدى

فرخُ التقى ينصاب من ثغره

وسائرُ الكون له مَعبدًا

أترعه الإيمانُ من طهره

• • •

النورُ – لما صاح في جوه –

هلَّل بالأضواء من فرحته

ولاح كالنشوان من شدوه

يرقص من بشرٍ على صيحته

كتَّم سرُّ الشمس، لم يروهِ

إلا لذاك الصبِّ في نشوته!

• • •

والديكُ لما رنَّ في سطحه

صوتٌ نديُّ اللحن، زاكي النغمْ:

كبَّر حتى خف من صيحه

من نام في الكوخ ومن لم ينمْ

ورتل الأنغامَ في صبحه

يطري بها النورَ، ويهجو الظلَمْ!

• • •

تلك النجومُ الغُرُّ، لما رنا
وطيرُ النجوى لها نغمةْ؛
حباتُ نورٍ ضافياتُ السنا
جوهرها الله له سُبْحةْ
وقال: يا هتّافُ إنى هنا
أسمعها منكَ مُنَىً عفةْ.

• • •

جنْحتها بالطهر، حتى غدت
أزكى من الزهر غنتْهُ اللطفُ
ريانةَ الأصداء، إما شدت
جلّى لها العرشُ رخيُّ الصُّحُفْ
فحومتْ فى قدسه، وارتوت
من منبع الرحمة عذبَ الرَّشَفْ

• • •

هذى الطيورُ البيضُ قد رفرفتْ
تعانق التسبيحَ من مسجدهْ
والسبحةُ العذراءُ قد طوفتْ
كأنها نسكةٌ فى يدهْ
ظمأى إلى الإيمان، قد أشرفتْ
تغنّى من الشوق على موردهْ

○

○ ملاك لا شيطان ○

يا ملهمي الشعرَ لم تلمعْ بخافقه

إلا روائعُ من طهرٍ وإيمانِ

لأنتَ طيفُ ملاكٍ رفَّ في خلدي

من السمواتِ، لا مبعوثُ شيطانِ!!

• • •

○ على باب الهَيْكَلْ ○

١٩٣٥

جئتك يا هيكلُ بعد النوى
ألقى تسابيحىَ فى معبدك
قربانىَ الروح! أضحى بها
فى اللهب الضاوى على موقدك

• • •

ألقى التسابيحَ التى رفرفتْ
كالحلم فى مهد الهوى النائمِ
تنسابُ من قلبى أناشيدها
كالعطرِ من فجرِ الربى الحالمِ

• • •

من وحيِك العالي ترشفتها

ومن سنا محرابك الأقدسِ

أزكى من الريحان في روضةٍ

رفّ عليها ضاحكُ النرجسِ

• • •

وشِئتها من كل ريانةٍ

ماستْ على النهل بأعطافها

ترشف خمر النور من هالةٍ

طفاحةٍ فاضت بأفوافها

• • •

وصغتها أنشودةً عذبةً

تنساب سحرًا من فم البلبلِ

هتافةً طافتْ رحابَ الضحى

فهاج منها سجعُ الجدولِ

• • •

جاشت بها نارُ الهوى.. وارتوت

من مدمعي الهامي، وغالي دمي

وذوبتْ نفسي بألحانها

وأترعتها لهبًا من فمي!

بنجى الليالى لحنها إن شدا
ويذهل الأكوانَ إما صدحْ
ويثملُ الدنيا فلا تغتدى
إلا وقد عبَّتْ رحيق القدحْ!

• • •

عبقرية جنتْ بعبقرية
حجبتها فى صترك المنسدلْ
جاءتك تشكو من عذابِ الهوى
ملهوفةً كالشاردِ المختبلْ

• • •

فارفعْ لها الأستارَ يا هيكلى
فإنها من ظمأ فانية
ما فى حياتى غيرها قربةٌ
فداهُ تلك الفتنة الخافية!!

ه

○ العذراءُ الشهيدة ○

«غريقة، مخذولة الساعدين، سابحة بفتنتها المقتولة على أكتاف الموج»

١٩٣٦

راحتْ بلا زورقْ.. تنسابُ في الماءِ.. كأنها موجةْ!

في صمتها تخفقْ.. لحناً بلا نايٍ.. أنشودةُ اللجةْ!

تقول: يا جاني!.. هزأتْ بالموتِ.. وأنتَ لا تدري

فصمتُ الحاني.. في سكرة الصمتِ.. من عالمٍ سحري!

أرنى بها عذراءْ.. منهوبةَ العمرِ.. كالحلم الغافي

طاحتْ بها الأنواءْ.. في ثبجِ البحرِ.. كالزبد الطافي!

• • •

تسري إلى سيفٍ[1].. في مائجِ الغيبِ.. مخلفِ السرْ

كخطرةِ الصوفي.. في سورةِ القلبِ.. نشوى بلا خمرِ

• • •

---

(١) ساحل.

أكفانها الطهرُ.. ونعشها النسمُ.. وقبرُها لا قبرُ
لوْ بعقلُ الزهرُ.. كفنها الكمُّ.. ولفها في العطرْ!

• • •

يا حسنُ ما بالكَ.. مكبلَ الروحِ.. سهوانَ كالطيفِ؟
لم تفنِ أسدالكَ.. عن مسترٍ وضاحٍ.. من جسمكَ الغضْ!

• • •

خصلاتك السودُ. منثورةُ الشعرِ.. يلهو بها الموجْ
كأنها خودُ.. يندبن في ذعرٍ.. ما غيب اللجُّ

• • •

وزارةٌ بيضاءْ.. لماحةُ الومضِ.. رفتْ على طهركْ
كأنها روعاءْ.. من حلمٍ فضي.. مازال في فكركْ

• • •

إخالها وحيا.. من موطنِ الحورِ.. جاء ليرثيكِ
قد صور الدنيا.. طيفًا من النورِ.. هفا ليفديكِ!

• • •

بالرفق يا نوتي.. سرْ في حمى الحسنِ.. واهدأ بمجدافكَ
واصدحْ بمبهوتٍ.. من ناعمِ اللحنِ.. يندىّ بزفزافكَ

• • •

وانتِ يا نسمةْ.. إنْ طفتِ في الفجرِ.. بالراقدِ الهانى
فطيّرى لثمةْ.. منْ شفةِ الزهرِ.. للمفرقِ القانى

• • •

وسلسلى الأنداءْ.. من أعـــــينِ الوردِ.. دمع الأسى المرْ
وابكى على عذراءْ.. منبوذةَ القدْ.. فى صاخبِ الغمرِ[1]

• • •

ذاويةَ الرسمِ.. كـــالحلمِ الناعسْ.. فى خـــاطرِ اللهلِ
تمجُّ فى وهمى.. من جـــوها الهــامسْ.. روائعُ الهـــولِ

• • •

لأنتِ فى فكرى.. يا فتنةَ القيـــثارْ.. طيفٌ سبى الخــاطرْ
ينساب فى شعرى.. مستغلقَ الأســرارْ.. كهمسةِ الساحرْ!!

○

(١) الماء المزبد.

○ البومة والملحِد ○

وشيطةٍ عابسةٍ في الضحى

غبراءَ تحكي سحنةَ الملحدِ

كلاهما في غيبه خابطٌ

ضلَّ الهدى - جهلا - ولم يرشدِ

فهي من الأضواء في بلجةٍ

ضحياءَ، أبهى من سنا الفرقدِ

النور ضحَّالٌ على وجهها

ضافٍ بوهدِ الأرض والأنجدِ

لكنها عمياءُ في حالكٍ

من غيبها ممتقعٍ اربدْ

وهو من الايمان في هالةٍ

قدسيةٍ روحيةِ المشهدِ

لكنه أعمى، غواه الهوى

فضلَّ من جهلٍ ولم يهتدِ

● ● ●

الحدث بالنورِ وكلُّ الورى

لولاه ما خفّوا إلى موردِ

حبّاتهمْ من لحمهِ ومضةً

لولاه لم تخلقْ ولم توجدِ

إنْ عزْ في الدنيا دليلُ الهدى

فحسبكِ اليوم تقى الهدهدِ[1]

○

---

(١) يرى الشاعر في الهدهد وداعة تشبه سمات النسك.

« ثَوْرة الضفادع »

في أصغر مظاهر الطبيعة ما ينبت غراس الحكمة العليا في أرواح المتأملين.

هاجها في الليل صمتٌ غمرتْ
كلُّ نفسٍ فيه آلامُ الشجونْ
وضفافٌ غارقاتٌ في الكرى
حالماتٌ بلمس الريف الحزينْ
لم يهجها الموجُ، حتى خلتها
خاصمتْ كل نسيمٍ في الدجونْ
وطريقٌ أخرسٌ، ما همهمتْ
في ثراه خطواتُ العابرينْ
وصخورٌ لم تزلْ راصدةً
في محيط الكون ملّاحَ السنينْ
طال في اليمِّ - ضلالاً - سبحهُ
فمتى ترسو على الشط السفينْ؟!

ونخيلٌ فضحتْ الظلالةُ

في ثنايا الماء طهرَ الساجدينْ

ونجومٌ بعثرتْ أضواءها

تكشفُ الأسرارَ عن سرٍّ دفينْ

فتحدثه بهن لمحٌ وسنا

ودنتْ تبحثُ في ماءٍ وطينْ!

• • •

فغدتْ تصرخُ في جوف الدجى

صرخاتٍ هتكتْ ستر السكونْ

خلفها والليل أعشى هابطٌ

يصداها في غيابات الظنونْ:

أرغنُ الشيطان يشدو ملقيًا

ثورة الأنغامِ في وادي المنونْ

• • •

يا ابنة الطين! لقد ملَّ الدجى

لفظًا من فيك مجهولَ الرنينْ

ونقيقًا أزعجتْ ضوضاؤهُ

أذنَ الكونِ وسمعَ النائمينْ

أعجميًا حيرتْ لكنتهُ

شاعرَ الفصحى بلحنٍ لا يبينْ!

جاوبتْهُ في الدجى صافرةٌ
من بنات البوم صاحت في الوكونْ

تتحدى الليلَ في رهبته
لوْ يجلى غامضَ السر الكمينْ

أيُّ معنى في صداها كامنٌ
طهرت حكمتهُ العقل الرزينْ؟!

لم تغنى.. والدنا في صحوة؟
لم تصحو وبنوها هامدونْ؟!

لمَ أفنى النورُ من أعينها
صولةَ النور؟، وربتها الدجونْ؟!

سكنتْ أغبرَ مهجورَ الحمى
مكفهرُّ اللمحِ كالطيفِ الحزينْ

ولديها كلُّ روضٍ مونقٍ
ريقَ الأنداءِ، ضحّاك الجبينْ

أي سرٌّ في البلى هامت به
غاب في طياته لا يستبينْ؟!

• • •

خبرى عنه، فقد ضلَّ الورى
كنهه الخافي، وظلوا حائرينْ

وسلينا.. لمْ تشاءمنا به؟
إنّ ما تلقين غيٌّ وجنونْ

هذه الأصداف من سدل الدجى
ضللت أهوالها لحظ العيون
كم شقي بات في أحضانها
خافت الآهات، مكتوم الأنين!
هل تسمعت أساه فاتحى
مثل صبر كان في القلب كمين؟
أم توجمت لدنيا كلها
صخب داو، وزيف وفتون؟
وسراب للأماني خادع
كم خبت فيه حظوظ الآملين!
وصراع فجر الباغي به
وانتشى من دم مظلوم غبين
ولقى يا شر ما راغوا بها
في ضمير الدين من إثم مبين!
الحفوا، حين تهاوا[1] للورى
ولعين الله لاحوا فاجرين
كرموا الجاه ولو مر على
طهرهم يومًا بما يندى الجبين!

---

(١) تظاهروا بالهدى رياء.

صمت يا ذا العقل فهم حينما

عاد ذو الجهل بحظ النابغين!

• • •

مهدكُ الماءُ، تهادى فيضه

من رضاب النيل، سلسال المعين

خاض فيه النجمُ، ظمآنَ إلى

رشفة من خمرهِ الصافى المعين

وعلى شطك عشبٌ ناضرٌ

قصفُ الأعواد، مياد الغصون

عانقَ (القيشاءُ) فى مهشاتها[1]

نورةَ (البطيخ) فى لطف ولين

ورنا (العباد)[2]، حيران إلى

مغرب الشمس بشوقٍ وحنين

فارقته فغدا مكتئبًا

مطرقًا بحلمُ بالضوء الفتون

والنسيمُ الغضُّ يسرى ناعمًا

كالمنى تهفو بمهد الحالمين

---

(١) الرمال الناعمة.

(٢) عباد الشمس.

○ أنا ظمآن ○

أنا ظمآن فهاتي ... خمرَ عينيك الشهيّة

ألهمني سحرها السا ... مي وروّى شفتيه

واسكبي روحك في رو ... حي بكأس الأبديّة

قبل أن تغربَ شمسي ... بين أطباق المنيّة!

... مرةً من هالة النو ... ر ... عينيك رويّة

... مع الآلام من نفـ ... ـسا بالآمي قريبة

ولتمنحني ضنًى عمـ ... ـري وأيامي الشقيّة!

• • •

أنا ظمآن فهاتي ... خمر عينيك الشهيّة

قبل أن تغربُ روحي ... في سحابات المنيّة!

○

○ خفقات ○

يا مُتْرعَ الأقداحْ من ريقةِ الخمرِ!
حطِّمْ كئوسَ الراحْ واشربْ طِلا شعرى
فهْوَ على الأرواحْ أندى من العطرِ!

• • •

عصرتها فى الفجرْ من قلبىَ المجروحْ
نفاحةً كالزهرْ هفافةً كالروحْ
خفاقةً كالعمرْ فى ضجةِ المذبوحْ!

• • •

تهفو على الآذانْ كالحلمِ فى المهدِ
عفيفةَ الألحانْ قدسيةَ الوجدِ
أزكى من الريحانْ فى حلةِ الندى!

• • •

علمتها سحرا من لحظها النعسان..

ورشفتها خمرًا من ثغرها الريان..

ما الساحةُ طهرًا كالزنبقِ الفينانْ..

• • •

عبقريةُ الإلهامْ ياطهرَ موحيها!!

قلبٌ على الأيامْ يشدو الهوى فيهاً

وسكبُ الأنغامْ في الوحيِ ترقيها!!

• • •

والنغمةُ الشعرِ في خافقي الولْهانْ

كالحلم السحرى في الشفقِ الوسنانْ!

في الكون لاتسرِي يوماً إلى إنسانْ..

• • •

وكفيكِ أن تخلدْ الخالدِ البيضاءْ

في ساحةِ المعبدْ على فمِ الحَسناءْ!!

المحاب لا تنشدْ من ثغرها الأضواءْ!!

٥

○ النأى الأخضر! ○

«للطفولة الريفية فى لهوها روح خاصة من أمتعها عود البرسيم
الأخضر الذى يلهو به الصبيان خلف السواقى الرائعة فى الحقول»

١٩٣١

زمـــارتى فى الحــقـــول كم صـــدحتْ
فكدتُ من فَرْحــتى أطيـــرُ بهــــا !
الجـــدىُ فى مـــرتعي يراقـــصـــهـــا
والـنـحـلُ فـى ربـوتـى يـجـــــاوبـهـا
والضـــوءُ من نشــوةٍ بنغـــمـــتـــهـــا
قـــد مـــال فى رأده يلاعـــبـــهـــا
رنا لهــــا من جــفـــون ســــوسنةٍ
فكاد من سكرةٍ يخـــــاطبُهــــا ..
نفـــــخت في نايهـــا فطرَّبني
وراح فى عـــزلتى يداعـــبُهـــا

يغازلُ الروحَ من ملاحنه
بخفقةٍ في الضحى توائبها
سكرانُ من بهجة الربيع بلا
خمر به زُقزقتْ سواكبها
يرنو إلى مهيه بمائسة
من غضْ برسمه يراقبها
صبيةٍ فوّفتْ غلائلها
وطرّزت بالندى جلابيبها
واشرقتْ في الصباح لاهيةً
فكلّلتْ بالسنا ذوائبها
غنيتُ في ظلها.. فهل سمعتْ
لحني وقد أُرعِشتْ ترائبُها!
ام زارها في مهادها نَسَمٌ
وراحَ من فتنةٍ يجاذبُها!؟

٥

○ زهرتي ○

١٩٣٥

ولي زهرةٌ طُيّبتُ من عطرها نفسي
وضمّختُ روحي من شذاها وأنفاسي

على شاطئ من فيض روحي تفتّحتْ
وراحتْ تعبُّ الريَّ من نبع إحساسي

مكللةً بالنور تحسبُ وشيها
وميضاً من الصهباء يشرقُ في كاسِ

تميسُ على قلبي إذا هزّها الهوى
فتفضحُ بالإدلال ريانةَ الآسِ

غذاها السنا من زاخر اللمع فاغتدتْ
تبلّجُ في هالاتها.. فتنةَ الناسِ

كأني بها نفحٌ من الخلد روّحتْ
أفاويحهُ عني ضنىً عمري الآسي[1]

---

(١) الحزين.

بروحي من انفاسها عطرُ جنةٍ

تراءتْ بحلمٍ رائعِ الطيفِ مؤنسِ

وانداهُ فجرٍ اسكرَ الروحَ نسمهُ

وطهّرَ بالأعطارِ إثمي وارْجاسي!

بروحي حنانٌ شعَّ من جنباتها

كما فاض في جنح الدجى ضوء نبراسِ

رشفتُ نعيمي نشوةً من عبيره

وشردتُ الامي على نفحهِ الآسي!!

٥

ه أنــا .. ه

.. خَـــفقـةٌ من أرضٍ متحطمٍ

غـيّبتْ أصـداءهـا ريـحُ القـدَمْ

نقرتهُ نـســمـةٌ تـائـهـةٌ

فى كـــونٍ لـيلٍ دجيٍّ مـرتطمْ

فـشـداهـا .. ثم أغـفـى فـمـرتْ

فى الدجى حـائـرة بـيـن العدَمْ !!

ه

○ راهبة الضحى! ○

١٩٣٤

الفراشةُ

وراهبةٍ في الضُحى أوقدتْ
من الزهر مَجْمرةً ذاكيةْ
إذا فاح منها العبيرُ النديُّ
وطوَّف في الأيكةِ الضاحيةْ!
تُصليّ.. فتركعُ فوق الغصونِ
وتسجُدُ في معبدِ الرابيَةْ!
وتصغي لهمسِ أطارَ الشعاعُ
ترانيمهُ في الربَى الصاحيةْ
حيال الندى في أناشيده
تحدَّرُ من لمحةٍ صافيةْ

يسبحُ من فتنةٍ بالضياءِ

ويفنىَ بلمعته الزاهيةِ!

كأنى به شاعرٌ فى الأثير

يغنى لمعشوقةٍ خافية

أحال الضحى روحها نغمةً

وسلسلها قطرةً فانيةْ!

ألا يا ابنةَ الزهر.. كيف ارتوتْ

بروحكِ أعطارُه الساريةُ؟

وكيف التفتْ فى ضمير الشذىَ

طيوفكِ بالنفحةِ الهاميةْ؟!

لقد نادم البلبل المستهامُ

ورودك بالغنوةِ الدامية

فهل ساورتكِ شجونُ الهوىَ

فهمتِ بأطيافها السامية؟

... ...

تعالىْ نطرْ فى سماءِ الخيالِ

ونهفو بجنته النائية

بعيداً عن الكون حيث المنى

ترفُّ بأظلاله هانية

وحيثُ الشذىَ من أزاهيره

أفاويحُ من حلمِ طافية

ونبزُ الصدى من مطاربه
طيوفٌ على أيكهِ شادية
إذا ظمئتْ روحنا نرتوى
بخمرٍ لآلامنا آسيه
مرفرفةِ الكأسِ من هالةٍ
من النور ضاحيةٍ طاميه
تروح عنا شجونَ الحياة
وتطفى لظى الكبدِ الواريةْ!
هنالك لا دمعٌ لذرةٌ
تهاوى، ولا مهجةٌ شاكيةْ
ولا عالمٌ بالأذى صاخبٌ
ودنيا بأشباحها زاريةْ
ولا زهرةٌ تنتشى فى الصباحِ
بكأس الندى الحلوةِ الصافيةْ،
ويأتى المساءُ بأنوالهِ
فتمضى أعاصيرهُ السافيةْ!
ربيعٌ حياة الهوى كلها
بأفيائه البرةُ الساجيةْ
فهيا نهلل فى ظلِّهِ:
فنطفو بغدرانها الجارية

ونسبحُ في جوِّها كالخيالِ
يرفرف في مُهجةٍ غافية
وننسى الدُّنا وأهاويلها
وآلامها المرة العاتية
ونُغني أسانا بأندائها
شعاعاً مع النسمة الهافية
أغني لك الحبَّ.. ياطهرَهُ!
ويا قدسَ أوطاره السامية!
خيالٌ أساقيك فيه الهوى
طيوفاً عذاباً بالحانية
تنسيك أحلامها في الصباحِ
ترانيمَ نحلتك الشادية
ومسراك في ناعمات الربى
هياماً بأضوائها الضافية
ولهوكَ في مستهلِّ الضحى
بسنبلةِ الربوةِ النامية
تناغينها بالرفيفِ الوديعِ
فتلقاك من خجلٍ ساهية
كعاشقةٍ فترتْ جفنها
حياءً من القبلةِ الصالية

• • •

أصابعة النور.. ما البسنا

أطاز تسابحك الصابية؟!

وحجّبها في ضمير الضحى

سرائر في جبة خافية..

أصابئة أنتِ تبغي الهُدى

ضلالاً بشمس الربى العالية؟!

تروحُ وتغدو على ضوئها

وتمرحُ في ظلها لاهية

بستطين[1] رفًا كحلم الصباح

تناجيه سوسنةً راوية

صلاةٌ من الصمت مكبوتةٌ

بروحكِ هفافةً نازية

أفيضي على مهجتي طهرها

وروّى بها غُلّتي الصادية

فإني إلى سرها ظامئٌ

لعل بها رشفةً شافية!

حياتي من البؤس ملهوفةٌ

وعمري من الحزن في غاشية

---

(١) صاحبي.

وروحى تخبطُ فى صدفةٍ
من الهمّ حالكةٍ داجية
فهيا خذى فلكها واسبحى
على لجةٍ فى السنا قاصية!!

٥

○ كلمة ختام ○

أغانى الكوخ

اعتاد المؤلفون أن يصدروا كتبهم بأقلامهم أو بأقلام من يقدمونهم للقراء بمقدمات يكال فيها الثناء كيلاً يخرج بها من الدراسة الفنية التى يرمى بها إلى توجيه القارئ لما فى مادة الكتاب من مذاهب أو رسالات أدبية، إلى التقريظ الذى يفسد على القارئ طريقته فى المطالعة واستقلاله الذاتى فى فهم الروح السائدة فى الكتاب، وكثيراً مايرفع الحكم الأدبى فى مقدمة كتاب حتى إذا اصطدم القارئ بمادته فوجئ بتناقض بين الحقيقة الأدبية التى يطالعها والأحكام المموهة التى شهدها فى تقدمه المؤلف!

وقد رأينا أن تقدم مادة الديوان نفسها للقارئ دون أن نمهد لها بشئ حتى لايصل إلى دراستنا هذه إلا بعد أن يكون رأيه الأدبى، فيطالعها بروح مستقلة ذهنه لنزاهة الحكم واستواء الرأى!

لم تكن الروح التى أوحت أغانى الكوخ فيما طالعت من شعر الطبيعة بهذا الديوان، وليدة عام أو عامين أو أكثر، ولكنها فى الحقيقة وليدة شباب كامل حضنته الطبيعة فى ريف مصر منذ الطفولة اللاهية إلى عهد قريب تغلغلت به

روحى الشابة فى جميع مظاهر الطبيعة وأسرارها حتى امتزجت بها الامتزاج الذى أورثها الحنين الدائب إلى تلك الحياة الهادئة بين الحقول المصرية الممرعة، والقرى النائمة على ضفتى النيل الزاخر. وخلفت فى دمى الشوق الملح إلى الحياة بين رياها وأزهارها: ونحلها وأطيارها، ونخيلها الساهم فى سكون الفضاء كأنه معاصم نساك تطير الدعوات للسماء، وأكواخها البريئة التى تشركهم فيها الدواجن وبواجن الطير. وتقاسمهم شظف العيش وبؤسه فى حياتهم الطبيعية التى لم تخرجها عن القنوع والغبطة تلك النزعات التى تلتهم بها المدينة عيشها التهاء فى تناحر ماتت به كل معانى الرحمة والتعاطف بين الأسرة البشرية المتحضرة!

وقد حفزتنا لإظهارها الرغبة فى تسجيل أول باكورة فنية لفترة خاصة من العمر، وروح التشاؤم السائدة فى النقد الحديث بالشعر ومستقبله وبوجه خاص بشعر الشباب الذى غلبت عليه المسحة التقليدية المحضة، والرخاوة والضعف في معانيه وأساليبه، مما يرجع إلى عدم التركيز الفنى فى الاستعداد الطبيعى وضعف الطاقة الشعرية فى التعبير الدقيق الصادق عن الإحساسات المختلفة لكل ما يخالج نفس الشاعر من المرائى والوجدانات المنعكسة فى نفسه، والتهافت على الشهرة من غير زاد فنى يدعم به الشاب محاولته الظهور فى المجتمع، مما أغرى الكثيرين إلى النظم الجاف فى كل مناسبة أقل ماتوصف به أنها بعيدة عن التأثير فى إحساس الناظم وشعوره فلا يستطيع أن ينتج فيها غير كلام منظوم ساعد على رصفه فى قوالب موزونة تكرار المحاولات فى محاكاة الشعر القديم والسطو على صياغته وأفكاره، ومهما بلغت به الإجادة فى السبك فهو حافل متهالك لنضوب الروح وجفاف الطبع فى مادته، وقلما نراه إلا فى صور فاسدة يشوبها النزوع إلى العامية التى جر إليها عدم الاحتشاد للشعر بطبع فطرى، واستعداد قوى، واطلاع عميق، وتأمل فى الفنون المختلفة والتشرب بروحها، وهى طليعتها الشعر!

وإنا نلقى تبعة هذا التشاؤم من النقاد والأدباء عليهم هم أنفسهم لإفساحهم صدر المجلات والصحف لنشر النتاج الشعرى الفج، مغررين بالملق والزلفى التى

يقوم بها نفر من الشباب مغرورون أو مغرر بهم ممن لايميزون الشعر رديئة من جيده، وهم الذين لم يوهبوا ذوقا فطريا يسمدهم بعد الوقوف على أسرار الشعر وروائعه باستقلال فى الرأى الأدبى يصوب أفكارهم للنقد الحكيم. فتراهم يهللون لكل تافه مسرفين فى المحاباة التى تختفى فى ظلها أصوات الموهوبين الذين يختبئ فنهم من الجحود إلى حين يكتشفه الزمن بعد انقضاء حياتهم، كما حدث ويحدث لكثير من عظماء العالم الذين يعبرون الحياة فى صمت ممض وألم من عدم التقدير، حتى إذا قضوا شف بيناتهم ندم على عقوقهم لهم ولات حين مندم!

وهذا هو الشاعر الإنجليزى «كيتس» يبلغ به التبرم من بيئته التى أضناه جحودها إلى أن يوصى صديقه «سيفرن» قبل وفاته بأيام قلائل قائلا له:

«فلتكتب على قبرى: هنا ينام من نقش اسمه على الماء..!!» تلك الكلمة التى يحس فيها بتلاشى كل آثاره شاعرٌ عبقرى شهد له بعض كبار النقاد فى عصره بعظمة ممتازة فى فنه الشعرى رغم وفاته فى السادسة والعشرين من عمره!

وكذا يشعر بحياة الضنك والبؤس التى كابدها «حافظ» شاعر النيل. والجحود الذى قوبل به حيا وميتاً..! حتى نفث شيئاً من آلامه متبرما بشعره بحياته وبيئته فقال:

حطمتُ اليراعَ فلا تعجبي	وعفتُ البيانَ فلا تعتبي
فما أنت يامصر دار الأديب	ولا أنتِ بالبلد الطيب!

والطبيعة فى كل زمان ومكان تأسر مشاعر الإنسان وتملك عواطفه فيندمج فيها بآلامه وآماله. وكل إنسان فى الحياة شاعر بالجاذبية الخفية بينه وبينها إلى حد ما. غير أن هذا الإحساس بالرابطة القوية بين النفس البشرية وبين الطبيعة يتفاوت عند الناس حسب استعدادهم وقوة إدراكهم الفطرية؛ فإحساس الرجل العادى الذى لم يوهب شعوراً كاملا يستطيع أن يترجم بوساطته عن خفايا

التجاوب بينه وبين مايشاهد من صورها المتباينة، يختلف كل الاختلاف بل ينقص نقصاً كبيراً يصل به إلى حد التلاشى بالنسبة إلى إحساس الشاعر الذى وهب قوة عليا تمكنه من تصوير شعوره إزاء الطبيعة والترجمة عما يخالج نفسه من اثر الانمدماج فيها، فهو يحس بكل ماتتحمله هذه الكلمة من معان. حتى لقد تمتزج هذه الأحساسات فى نفسه فيترجم عما يراه بعينه بسمعه، وعما يسمعه بأذنه بنظره، وهذا مايعبر عنه بمزج الأحساسيس ويظنه بعضهم لونا جديدا لا عهد للشعر العربى بمثله، وانه وليد الآداب الأجنبية او الابتداع الجديد فى الشعر، ولكن المطلع على أسرار الشعر العربى يرى. سبق العرب به. ولابن حمديس مثلٌ فى ذلك حين يصف الخمر:

حمراءُ تشرب بالأنوفِ سلافها ... لطفاً وبالأسماع والأحداق

فانت ترى أن الشاعر قد انمح بشعوره اندماجاً كلياً فيما وقع عليه بصره، واحس إحساساً عاما بعيد الأثر، اعمق وادق من إحساس النفس العادية.... فالفلاح يعيش بين أحضان الطبيعة طول يومه وتغمره بكل مظاهرها. من دبيب الحشرة السارية بين الغصن والورقة الملتفة عليه إلى تموج الشعاع فى عينيه على الحقول البسيطة، ومن زقزقة العصفور الهامسة فى رأد الضحى بين يديه إلى نعيب البومة فى جنح الظلام. وانين الدولاب الصارخ فى الفضاء، ومن همسة الجدول مع الصفير إلى الموج الهادر على شط النهر... ولكنه مع كل ذلك لايصل به إحساسه بتلك المظاهر إلا إلى أنها وسائل لمنفعته الخاصة؛ تهتز السنبلة فى مزرعته فيهتز فرحاً لأنها ثمرة من ثمار عمله، وتئن الساقية فى ريونه فيطرب لها لأن من دمعها رى نبته وسقيا غراسه! وليس كذلك الشاعر المتأمل الذى يحس إحساساً ينفذ إلى ماوراء تلك المظاهر التى فتن بها الفلاح فتنة عابرة واحس بها إحساساً مجرداً. فالشاعر والطبيعة روح واحدة ممتزجة: تصفر القبرة فكأنما تسلسل روحه فى صفيرها وتنوح الساقية فترجع له اصداء الآلام الإنسانية، ويرى فى ذلك الثور المستعبد الذى يلهبه الفلاح بسوطه حتى يمسه

الالهوب وهو صادح خلفه بأغانيه الوديعة، معنى خفيا ترمز به الطبيعة إلى قوة القدر التى تسخر الإنسان وتسوقه إلى المخابئ البعيدة عن إدراكه وحسبانه!!
ولهذا أحب الشعراء الطبيعة وفتنوا بها من قديم الزمن وأودعوا جمالها وأسرارها فى أناشيدهم وشكوا إليها آلامهم وتعزوا بها عن نكبات الحياة!!

وهؤلاء شعراء العرب فى العصر الجاهلى تحضنهم الطبيعة فى البادية بين وهادها ونجادها ويترامى بهم انتجاع الرزق فى فيعانها المعشبة حاثين لها المطايا حداءاً إلى موارد عيشهم يحدونها بالأهازيج الطبيعية التى تنبعث من قلوبهم بهجة بريئة، تطرب رواحلهم وتسليهم فى وحشة السرى ومضاضة الأسفار، ونراهم قد عبروا عن إحساسهم فى هذه المعيشة البدوية بشعر صادق يعد مثلا أعلى لتصوير أثر الطبيعة فى نفس البدوى، فوصفوا لنا الجبال الشامخة، والسحب السارية، ورهبة الليل فى البيد، وعصف الرياح حول الخيام، والدمن الماثلات يمرون بها فيخطف سكونها كامن شعورهم، فيندبون قطانها ويناجونها بأنات النجوى، ووصفوا نار القرى ولمحها فى قلوب المدلجين الحيارى، وماكانوا يمرون به فى مسالكهم من شجر البان وزهر الخزامى والشيح، يتنفسون من عبيرها أرج الذكرى لسالف عهودهم، فجاءت أشعارهم صوراً حية للتجاوب مع الطبيعة التى عاشوا فيها، حتى ليعدها الناقد النزيه أبرع الآثار الشعرية الخالدة لطبيعة البادية وحياتها، تتقاصر عن محوها الأجيال...

ولقد أولع أيضاً شعراء الغرب بالطبيعة وهاموا بها وخلدوا بها الآثار الرائعة التى تدل على سيطرتها على كل نفس شاعرة فى البيئة التى تعيش فيها فى مختلف بقاع الأرض، وكان الشاعر الانجليزى «بيرس شلى» يحب الطبيعة ويتلهف على الحياة فى كنفها؛ وهذا نداؤه إليها متبرما بحياة المدن وضجيجها. «تعالى بعيدا عن الناس والمدن.. إلى الغابة الوحشية، والوهاد والبرية الصامتة، حيث لاتكبت الروح موسيقاها مخافة الا تجد لها صدى فى النفوس الأخرى... هنا فى الطبيعة الخالدة، يؤلف توافقه وانسجامه بين القلوب!!»

ولبيرن الشاعر الإنجليزى أيضا كلمة فى هذا المعنى تعبر عن إحساس قوى بالحنين إلى الطبيعة والخلود إليها لآلامه ومشاعره: «إن الطبيعة المحبوبة لاتزال أبر أم لنا.. فدعنى أرتم فى صدرها الحنون، فإنها أجمل ماتكون فى مظاهرها الوحشية حيث لاشئ إلا الفطرة والوداعة والبعد عن كل زينة وصنعة.. أيتها البحيرة الراقدة فى ظلال السكون! لقد لجأت إليك فى هذا العالم الصامت. إن فيك لدفئاً لفؤادى، وإن فى مياهك الهادئة لراحة وسلوانا لنفسى!»

وممن أفاضوا فى وصف الطبيعة من شعراء العرب، ابن الرومى وقد استطاع أن يخلص بشاعريته العظيمة إلى حد بعيد من التوشية اللفظية التى بدأت تنمو فى الشعر العربى من عصر الأندلس، فترك من شعر الطبيعة آثارا رائعة يقف عليها المستوعب لشعره! و«ابن خفاجة» الشاعر الأندلسى لولا الترصيع البيانى الذى غمر شعره فكبت روح الطبيعة خلاله!

والطبيعة المصرية لوحة فنية رائعة، وشاها النيل منذ فجر الله ينابيعه من هذا الوادى الخصيب بأصباغ فذة وألوان تثير شغف الفنان وتحرك فيه الميل إلى تصويرها فى فنه... جنة غناء بسامة الزهر، يتسلل تحت نخيلها وزيتونها وسدرها وصفصافها، نهر دافق لم تراوده الطبيعة يوماً ما على أن يفيض فيغمر الحرث والنسل، أو يفيض فيردها صعيداً جرزاً؛ وريف ناعم الأظلال وريف الأفياء، نضرت قيعانه تلك اليد السوداء التى شمرت لتثميرها حاملة الفأس عامة النهار لاتكل من هاجرة ولا تنكمش من زمهرير! يد الفلاح البائس الشقى الذى يراه العابر من أقصى الوادى لأدناه، منحنى القامة فى قميص أزرق، مكباً على الأرض يغرس فيها الحب، ويرعى النبت الغض الوليد، ويحصد اليابس الذى استوى على سوقه وأدى ثمره لغارسه، فلم ينل منه إلا كسرة معفرة سوداء يأكلها بين زوجه وأولاده فى كوخه الضيق الذى ينكمش فيه مع البهائم والحشرات! ذلك هو الرجل الذى لولاه ماأمرع وادى النيل، ولا زكا نبته. ولاتفتحت فسائله تراه فى الضحى فانيا فى مزرعته حرثاً وتقليباً، يتصبب جبينه عرقاً وهو هادئ ساكن لايشكو تعبا ولايعتريه ملال، يتغنى خلف قطعانه أغانى تفيض براءة وطهرا كأنها

رحل الطير، وهو فى عزلته هذه عن العالم يرى أثراً من نعيم المدن فى طائرة تمضى فوق رأسه أو نعمة فارهة يتراءى بها ثرى فى قريته من أولئك الذين يلهمون جاههم على أكتافه، فلا يتألم ولايحقد ولايتبرم بعيشه، بل يمضى فى حياته قانعاً بكل حال! يرضيه من تلك الجنة التى نضر غرسها: ورعى ثمرها، عشب ذاوٍ تصطدم به قدمه، أو ثمرة تساقطت من ظفر طائر، يعود بها لمواشيه وأولاده فى غبطة وسلام..!

فى كل هذا الجمال الطبيعى الذى تبلج به ريف مصر، وفى كل هذا الشقاء الذى اكتوت بناره نفوس بريئة لاتعرف من الحياة إلا الإخلاص لعملها، بيد أنها محرومة من أتفه متع الحياة المترفة فى المدينة، لايرى الفن فى مصر وحياً لإلهامه، ولا خاطرة تثير فيه نشوة العمل على إبراز الجمال المخبوء فى وادى النيل للعالم، ليرى الناس إلى أى حد نعتز بوادينا ونفاخر بما فيه من روعة وجمال!.

اضرب بقدمك فى ليلة من ليالى السرار بين تلك الأكواخ المتداعية فى قرى مصر، وحدثنا عما تلاقيه من أهوال الظلام وعثرات المسالك فى عصر كاد يفترش فيه المدنى الشعاع ويتوسد مساقط النور!! وخض بها تلك القنى التى تساور الفلاح فى غيطه، واجلس بجانبه فى الظهيرة تحت ظل الخيمة التى نصبها من ردائه على عصاه وفأسه، وقاسمه الطعام والشراب، وتعال فحدثنا كيف أكل؟ وكيف شرب؟ وهل تردد عشرين فى احتساء الماء المقطر من كوب بلورى شفيف، أم انبطح على بطنه فعب الماء من مصرفه العكر وقام إلى فأسه فواصل عمله، لايستريح ولايعرف طعم الهدوء!!..

اللهم إن هذا هو المعوق بعينه لبيئة نبتنا فيها ورحنا نتغنى بغيرها! تتهادى الريفية الوادعة إلى النيل عند الغروب لتملأ جرتها كأنها طيف «أوزوريس» يشهد الدمعة الخالدة التى سكبتها، فتنضرت جنة فى الرمال! وفجرت نهراً فى قلب الصحراء؟ وأنبتت شعباً لم يحمل لواديه خلجة من وفاء!! وتتراقص أزاهر القطن

على مهادها الأخضر الريان! ثم تتفتح عن زهر أبيض جميل كأنه أحلام الم...
بعثها لتحدث عن مجد غابر وتغرى بالتلفت إلى فردوس مهجور!

والشاعر فى مصر شخصى النزعة، ينظم فى كل مالا صلة له بالبيئة أو ...
على الأطلاق. ويشرد من هذا المنبع الخصيب إلى أثر أدبى قديم فى لغته أو ...
أجنبية. فيحاكى وينقل؛ ويقولون عبقرية وتجديداً!!

اللهم إنا براء من هذا الهذر الذى أصموا به الآذان وشوهوا به وجه الأد...
الحديث!!!

لقد تبارى فى القرن الماضى شعراء ثلاثة فى نظم أغنية عن النيل وهم
(ليهنت) و(كيتس) و(شيلى) من شعراء الأدب الانجليزى فى القرن التاسع عشر
وكتب كل منهم أغنية شبب فيها بالنيل ومجده وسحره الخالد، حتى لقد قال
«ليهنت»: «إننى أسمع وسط خريره العذب ضحكات كليوباترة وأصداء سلطانها ...
العظيم! فماذا كتب شعراء مصر أنفسهم عن النيل، وسحر الطبيعة الفاتنة ...
واديه الرهيب، الذى يجتازه العابر فتملكه رهبة السكون المخيم على ريفه ...
كأنه يجتاز معبداً فسيحاً من معابد الفراعين: أو واحة فيحاء لم تقلق ...
ضجة الوافدين؟!!».

ولقد نهضت فى مصر بعض الفنون الأخرى فبدأت تستلهم وحيها من الطبيعة
المصرية، وبدأ العالم الغربى يرى فى متاحفه ومعارضه الفنية آيات فذة ...
مناظر الريف المصرى، وهذه صور مصرية يكاد ينطقها جلال الفنّ. عرضها ...
المثال المصرى «محمود مختار» فى متاحف باريس، من حاملة الجرة التى صورها
على شاطئ النيل إلى بائعة الجبن التى نراها فى الأسواق الريفية، إلى غير ذلك
من وحى الفن المصرى الذى تتوثب فيه روح القومية التى طالما ندبناها فى الأد...
الحديث! والتى انحرف عنها الشعر بوجه خاص انحرافاً عطله عن مجاراة
الفنون الرفيعة الأخرى!!

وكما أن للطبيعة فضلا كبيراً على الشاعر فى إلهامه روائعها الخالدة فكذلك الحب فضل أكبر عليه فى كشف المخبوء من جمالها، ورصد إحساسه لجميع مفاتنها، وصهر المشاعر الوجدانية التى يلهبها غرام الشاعر فى نفسه ومزجها بكل ما يحيط به من صور الطبيعة المختلفة. ترى ذلك واضحاً فى قصيدة «البحيرة» التى نظمها (لامرتين) الشاعر الفرنسى مناجياً فيها بحيرة إكس التى قضى شطرا هانئاً من غرامه مع حبيبته (جوليا) وكان قد عاد إليها فى موعد مضروب بينما حال الموت دون وفائها به، فتفجرت عبقريته بعدة قصائد من غرر الأدب الفرنسى تعد أروعها وأسماها هذه القصيدة! ونراه أيضاً فى الشعر العربى عندما كان يفزع الشعراء الغزلون إلى الطبيعة، يناجون آثارها ويتسلون بما توحيه لهم من طيوف الذكر عما شفهم من لهفة الحب وحسرات البعاد، من أمثالهم فى ذلك «ابن الدمينة» و«ابن حزام» و«قيس بن ذريح» و«العباس بن الأحنف» وغيرهم من الشعراء الذين تامهم العشق. ولولا أن الرواية فى الأدب العربى لم توافنا بكل أشعارهم لطالعنا لهم فى ذلك الرائع البديع!

وانت تطالع فى أغانى الكوخ شيئاً من النسيب دفعنا إلى إقحامه فيها الاعتزاز بوحى عاطفة صادقة، شاء الحب أن ينفثها متباينة الألوان، وهو الذى يبتسم تارة فيسلسل الشعر الغزلى هادئاً رائقا، ويتجهم تارة أخرى فيفجره صارخا مشبوهاً؛ على أنا نرتاح كثيراً لعرض الآثار فنية من أى لون، مادامت صادقة الإلهام لم يشبها الانتحال الذى وله به كثير من الشعراء فى العصر الحديث، ذاهبين فى ذلك مذهب شعراء العرب الذين اتخذوا الغزل سبيلا عاما يمهدون به لجميع أغراضهم فى الشعر سواء كان ذلك صادقاً من شعورهم أم مصنوعاً متكلفا!

ويستطيع الشاعر الدقيق الاحساس الذى ينظر للمرأة كمصدر للإلهام الفنى لا أن تكون وسيلة للتعاطف الجنسى المجرد من النظر الروحى الذى تخلقه مارمة الجمال فى نفس الفنان، أن يستلهم المرأة فنونا شتى من الشعر الغزلى،

جديدة فى معانيها وأخيلتها، عميقة التصوير، فياضة النوازع الوجدانية السامية التى يتمنع خلقها على الإحساس العادى.

إن المرأة التى غذت الفن بروحها ومازالت تغذوه، والتى يدين لها عظماء العالم بأروع ماينتجون من آثار كفلت لهم المجد والخلود: لانستريح إذا أغفلنا التنويه عن أثرها القوى فى إلهام هذا الديوان، وإمداد الروح الشعرية فيه بما يجدر بنا أن نشيد بذكره.. راجين أن يستغل الفن مثل هذه القوة الطبيعية التى رافقته من قديم الزمن، فى توجيه تياره إلى تهذيب الانسانية، والطفرة بها من المستوى المادى الجاف إلى أبعد حدود الكمال الروحى الذى ينشده المجتمع البشرى فى جميع أطوار الحياة.

والشعر أولى الفنون بالنزوع إلى هذه الغاية العليا بفضل ماوهب من قدرة على التغلغل فى النفوس والتأثير فيها برسالته التى اعترف بها كبار الفلاسفة والمفكرين، وقد قال أحد فلاسفة الغرب «إذا كان مخترعو الآلات قد أضافوا إلى النوع البشرى أشياء هى بمثابة الأعضاء المساعدة لجسمه، فإن الشعراء قد منحوه منحة اسمى وأشرف.. إذ فتحوا نوافذ جديدة فى أرواحنا».

محمود حسن اسماعيل

القاهرة فى ١ يناير ١٩٣٥

الديــوان الثانــى

« هكـذا أغنـى »

الطبعة الأولى القاهرة أول يوليو ١٩٣٨

○ إهـــداء ○

إلى ملهمتي الخالدة...

لقد أشعلت روحي بلهيبك المقدس، ثم أخفيت نورك عني وراء الغيوب، وتركتني أترشف الإلهام من جذوة لا يهدأ سعيرها حتى تعودي إليّ...

ولعل نغمة واحدة من رجع هذا الأنين، تغريك بالعودة إلى جدولنا العزيز حيث الظلال الشاعرة.. والجمال العبقري، والحب العالي عن مطامع الآدميين!

«من لهيب الحرمان..»

«أسدل المحرابُ أستاره فنفث العابدُ هذه الخفقات».

١٩٣٦

أسدلتْ سترها، وقالتْ: رويداً
عابدَ الحسن، وانشد فى صلاتكْ

غبْ قليلاً عن العيون، وأنشدْ
خفقاتِ الغرام فى خلواتكْ

إن همساً يرفُّ فى ساحة المعـ
ـبد أخشىَ ذيوعه من وشاتكْ!

غبْ قليلاً وفى دمى لك عهدٌ
أنا.. والحب.. والمنى.. لحياتكْ

خمرتى شعركَ العفيفُ، وياطهْـ
ـرى إذا ما انتشيتُ من كاساتكْ!

وجلالَ الهوى، وقدْس جمالى
خفقاتٌ صدحنَ من أغنياتكْ

رِيُّ روحي إذا ظمئتُ خيالُ
مستطارٌ يرنُّ من أبياتِكْ

فترنّمْ! فإن روحي تصغي
خلفَ أستارها إلى نغماتِكْ!

قلت: والنارُ في دمي كيف تهدا
إن حجبتِ الضياءَ من قسماتِكْ؟

إن زادي من الحياة وميضٌ
رشفةٌ المفتونُ من بسماتِكْ

فتنتي إنْ رنوتِ موجةُ نورٍ
أشرقتْ في الجِنان من نظراتِكْ،

كم طغى البؤس عابثاً بشبابي
فقبستُ النعيم من وجناتِكْ!

وتوجعتُ.. فانتحبتِ لشجوي
وسكبتِ الهناءَ من قبلاتِكْ!

كيف أحيا، وفي دمي تقلق الرو
حَ نوازٍ مفجعاتٌ فواتكْ؟

أنا لهفانُ! والنعيمُ بكفيـ
ـك دعيني أمتْ على عتباتِكْ

قالتْ: اهدأ! فما عهدتُك يوماً
تستثير اللوى دفينَ شكاتِكْ

كم غزا البينُ قربنا فتصبرْ
تَ ورمتَ السلوانَ من ذكرياتِكْ!

قلت: بالوعـــــنا لظمـــــآن جُنَّـــتْ

روحـــه لهـــفـــةً على رشـــفـــاتك!

كم وقـــفنا حـــبال قـــصـــرك نبكي

وخلعنا الغـــرامَ من شـــرفـــاتك!

وشـــدونا الهـــوى مـــلاحنَ ســـحـــر

رقـــرق النور طيـــفـــهـــا من ســـمـــاتك

وشكونا النـــوى، فكـــاد يطيـــــــرُ الـــ

ـــحـــسنُ فـــرطَ الحنان من غـــرفـــاتك

آه يـــا زهـــرتـــي! الـــغـــــــد شفَّ روحي

ظمـــأ مـــحـــرق إلى نفـــحـــاتك

فـــارفـــعي الســـتـــر بيننا، ودعـــيني

أتحـــسَّى الضـــيـــاءَ من هـــالاتك

رُبَّ ومضٍ من لحظ عـــينيك صـــاحٍ

فـــجَّـــر الوحـــي مـــن سنـــا لمحـــاتك

نهلتـــهُ عـــيناي فـــانســـاب شـــعـــراً

عـــبـــقـــرياً يفـــيضُ من نظراتك!.

• • •

وهنا، أسبـــدل الســـتـــارُ! ورنَّـــتْ

خـــفـــقـــةٌ: لهـــفـــتـــا على أمنيـــاتك!

○

○ ضجة الروح.. في يومْ (عيد)! ○

يافرحة العيد مالي لايساورني

لديكِ إلا أسى في القلب موّارُ

لو أنّ دمع اليتامى فيكِ كانَ طِلاً

حسوتُه نهلةً بالروح تُشتارُ

لم يكفني مدمعي أجرى سواكبَهُ

ثمّ أناخَ على جنبيّ جبّارُ

ترصّدَ الروحَ أنى خالستْهُ طغى

ولفّها منهُ طيّ البؤسِ إعصارُ

مسكينةٌ أنتِ ياروحي! فما انأدت

عنكِ الليالي ولا أعفاكِ مقدارُ

تزاحمتْ حولكِ الأحزانُ عاصفةً

إذا ونى كدرٌ، هدّتكِ أكدارُ

صبيةٌ في الشباب الغضّ ماأثمتْ

يوماً، ولامسها رجسٌ ولا عارُ

قد شهدتها الزوايا السود جمعها

لؤم الزمان.. وأهوالٌ.. وأقدارُ

لانصال الشعر عنها فهي ملحمةٌ

من الأسى غلفتْ معناهُ أسرارُ..

صوفيةٌ شردتْ في الصمت حكمتها

فما تفيدُ أناشيد وأشعارُ!

رأيتها في ظلال (المهد) قد خنقتْ

صفاءها من كثيفِ الهم أستارُ

تسهرُ في ضجة الأفراح واجمةً

يلهو بها من خفيفِ الدمع إسرارُ

كأنها ميتٌ في البيد مُطَّرحٌ

تصايحتْ حوله باللحن أطيارُ!

خمس وعشرون[1]، في البلوى تُقطِّعني

كما يقطعُ لحمَ الشاة جزارُ

لا لوعتي هدأتْ فيها ولا كبدي

خبتْ بآلافها من حرقتي نارُ!

تصرمتْ في أناشيد الضنى عبثاً

كأنْ عمري مزامير وأوتارُ!

٥

(١) عاماً.

○ آهةُ شقيٍّ! ○

ضاق عيشي، وضاقتِ الأرضُ حولي

وانحنتْ من شقاءِ عمري الأهلّةْ

ونشدتُ المنى فولّتْ هباءً..

«ربِّ ما هذه الحياةُ المملّةْ؟»

○

○إلى سجينة.. القصر!○

«عصفت بقلب الشاعر عاصفة من الوجد الصارخ عقب فراق مفاجئ نكب به منذ عامين. فاستحالت حياته إلى جحيم من العذاب النفسي، والقلق الممض!.. وقد نزع به الحنين يومًا. إلى قصر عذرائه.. حيث مهد غرامه، وشط أحلامه فسبق الشمس إلى أستاره في الصباح بنظرات مشدوهة.. وروح شارد، فوقف لحظة. ثم فاه بهذه الدموع المشتعلة التي سكب نارها في هذه المناجاة.»

سبتمبر ١٩٣٨

يا زهرتي! طلعَ الصبـــاحُ وفي فمي
نغمٌ يلوحُ، فهل سمعتِ نواحَهُ؟

ما زال يصرخُ في الفضاء، فلم يجدْ
شفةً تناغمُ لحنه وصُداحَهُ

أسيانَ مختبلَ النشيدِ أذابه
منْ خافقٍ دفنَ الزمانُ مراحَهُ

قلبٌ كعصفورِ الأراكةِ نيدَ عنْ
عشِّ الصبا، والسجنُ شلَّ جناحَهُ

جـرَّحـتـه بالـهـجـر... ثم تركـتـه
مـاذا عليكِ إذا أمـوتِ جـراحـهُ!

كم رتلَ اسـمكِ - خـاشـعًا - فكانه
(مـومنٌ) يـرتّـمُ فـى الدُّجى الواحـهُ

الـهـجـرُ عـذبه واذبلَ روحـه
والفكر غيَّـب فى الأسى أفـراحـهُ

وبكى ونُوح فى الظلام، فـمـا أسـا
قلبُ الحـبـيـب بكائه ونيـاحَهُ!

حـجـبـوكِ.. هل حـجـبـوا سناكِ مـفـجّرًا
كـالنبع يسكبُ فى الحـشـا تلّمـاحـهُ؟

حجبوكِ.. هل حـجـبـوا عـبـيركَ عنْ دمى
ريَّان يُذكى فى الـفـؤادِ نُفَاحـهُ

حـجـبـوكِ.. هلْ حـجـبـوا نشيدكَ عن فمى
لهـنـانَ خلَّـد فى الهـوى تصداحـهُ؟

حـجـبـوكِ.. هل حـجـبـوا نُفـاثةَ عـاشق
أضـرى الغـرامُ جـلادهُ وكـفـاحـهُ؟

مـتـولّعٌ بهـواك مـا أغـرى به
بينٌ، ولا فلَّ الفـراقُ سـلاحـهُ

وافى بُروجك فى الصـبـاحِ فلعُ فى
ظلم النوى، وبكى الحـزينُ صـبـاحـهُ

لم يلقَ إلاّ ظلمـةً مـشـبـوبـةً
وسنًا تخطفتِ الدجى لمـاحـهُ

يا ليلةً، انزعْ لواعجَ قلبه!

حدِّثْ عن الخفقات يا مصباحهُ!

لم يبقَ منه الحبُّ إلاّ نأمةً

مجنونةَ الحركاتِ تقلقُ ساحهُ

وقصيدةٌ هزتْ ملاحنها الدجى

ومحتْ رؤاهُ، وفزّعتْ أشباحهُ!

• • •

ظنوا غراميَ فيكِ لُهْيةَ ساخرٍ

يلقى على الزمن الضحوك مزاحهُ

فتّوكِ عن نظرى وخلّوا مهجةً

حيرى، يجرّعها الهوى أتراحهُ

كالطائر المنبوذ فى قُبب الفلا

يذرى الهجيرُ بساحها أرواحهُ

وأنا الذى صاظلُّ باسمكِ هاتفًا

حتى يمدَّ الموتُ نحوىَ راحهُ

لاتحسبى النسيانَ يلمسُ عابدًا

خنقَ التأوّهُ والأنينُ سراحهُ

لو كان زورقَ عيلمٍ (١) متوثبٍ

لجعلتُ قلبى فى الهوى ملاحهُ

---

(١) العيلم والعيلام: البئر الغزيرة الماء والمراد البحر أو النهر.

وحطمتُــهُ! وهزمتُ صاحب بيتِه!

ودفنتُ في قبر الخيالِ رياحهُ!!

○

○ دنيا أدمع ومآتم ○

إلى الذين لاتشجيهم تأوهات العاشقين..

١٩٣٩م

حزينٌ؟ أجل.. والحزنُ أضحى منادمي

فدنيايَ دنيا أدمعٍ ومآتمِ!

يقولون: سوّدتَ الأغاني وبشرَها

وأصبحتَ تهذى باللحونِ القواتمِ

خيالكَ أضحى ظلمةً سرمديةً

ترامتْ على ليلٍ منَ البؤسِ فاحمِ

وشعركُ هدتهُ المآسى، وسوّدتْ

أغاريدهُ فى الحبُ بيضُ المعاصمِ..

تضجُ على أنثى تجافتكَ فى الهوى

وتبكى بدمعٍ من أسىَ الشوق عارمِ؟

وتفنى شبابًا فى الغرامِ وذلّه

وشكواهُ من سحرِ العيون النوائمِ؟

وتصبحُ فى الأكوانِ سخرية الورى

هضيمَ الحواشى! مستخفَّ المعالم!

فقلتُ لهمْ: لاتكثروا اللومَ إننى

تحيرتُ فى كونٍ عجيبِ المظالم!

شغفتُ بحبى وهوَ عفٌّ مطهرٌ

وغيرى سعيدٌ فى الهوى بالمآثم!

تملكتُها عذراء يندى حديثُها

صفاءً تجلّى منْ عفيفِ المباسم

هىَ النورُ.. أو فى النور منها الائتلاقةٌ

هىَ السرُّ يضوى فى غيوب الطلاسم

إذا نظرتْ.. فاحبس بخورك دونها

فقدْ سحرتْ سحرَ الرُّقى والتمائم!

تلقيتُ منها وحىَ شعرىَ ساميًا

والهمتُ منها خالدات الملاحم

ولمّا تلاقينا وكادَ صفاؤنا

يرفُّهُ منْ وجْدِ القلوبِ الهوائم.

تصاوحتِ العيدانُ فى جنة الهوى

وجالى رقيقُ اللحن عنْ الحمائم

وبدلتِ الأنسامُ بينَ اراكها

فصبحَ أعاصير، ولفحَ سمائم

كأنّ اختلاجَ النور فوق حطامها
من الألق الخابى تهاويلُ واهمِ..
وغَيْمانةَ الأفياء، وَفْنانةِ الصبا
مُشردةِ الأطيابِ ريّا النسائم
سَائلتُ رُباها: أين بلبلك الذى
تغنى طويلاً فى المروجِ التوائم؟
فأطرقتِ الأغصان حزنًا، وأصبحتْ
كمرتبكٍ منْ حيرة الفكر واجمِ
وقالتْ: بعيد عن ظلالى مكانهُ
هناكَ على صُمِّ الصخورِ الصلادمِ
بنيفاءَ ملُّ الصمتُ فيها مقامه
نسيلَ الخوافى، مستهاضَ القوادمِ
تمزق أرواحُ الهجيرِ شغافهُ
وتصليه من لفحِ السوافى بجاحمِ
وكمْ نغمةٍ بين الحشا رامَ عزفها
فظلتْ كوهمٍ فى الحنايات جاثمِ!
وناويهةٍ فى الليل سوداءَ مرةٍ
تُفَزِّعُ فى قلب الدجى كلَّ نائمِ
براها كما تبرى ما فيه دمعها
وساز كمخبولٍ على الأرض هائمِ!

هو الحبُّ يا عذراءُ شابت همومهُ
ولمْ يحظَ منْ دنيـاهُ يومًا براحم

بكينا.. فلا الدنيا أطلتْ لدمعنا
عشيَّةَ أسرى في الجفون السواجم(١)

ونحنا.. فما رقَّتْ لنا عينُ كائنٍ
ولا أصبحتْ شجوًا قلوبُ العوالم

كأنا بتلكَ الأرض أنفاسُ واحةٍ
جفا نبتَها خفقُ الطيور الحوائم!

٥

(١) السواجم: أي السائلة الدموع.

« صوتها فى ضميرى »

«هاجنى الحنين إلى صوتها الوديع الذى طالما ترشفت من همسه راحة العمر ولذة الحياة.. فلم يلهنى صخب الدنيا عن صداه الذى ظل يرفرف على روحى ويموج فى حواسى.. حتى نبع منه هذا اللحن الملوع الحزين!!»

١٩٣٥

لحنٌ يهمهم فى صدرى فيشجينى
ويسكبُ النغمةَ الحيرى فيُبكينى

وافى من الغيب علويُّ الصدى فسمتْ
طيوفُه البيضُ عنْ عزفى وتلحينى

شق الأثير من الماضى وناغمنى
بمزهرٍ كاسفِ الرناتِ محزونِ

على مثانيه أرواحٌ مجنحةٌ
تُطلُّ من خاطرى الدامى تُحيينى

رفتْ على فمها المسحورِ أغنيةً
حزينةً صرخَت شوقًا لمحزونِ

فنسمةً حَمَلتْ منْ ثغر فاتنتى
صوتًا منَ الذكْرِ الأولى يناديني

وهنانٌ من قدحةِ الآلام مختنقٌ
مجرَّحُ اللحنِ، مكبوحُ الأرانينِ

ســامــانٌ من طولِ ما اضنَتْهُ غُربتُهُ
عن مسمعٍ لصدى نجواهُ مرهونِ

لهفانُ! يخفقُ فى قلبى فيصدعُهُ
ويلهبُ الوجدَ فى روحى فيضنينى

بُمبتَسٍ . إنْ جفتْ أصداؤهُ . خلدى
فإن خفقْنَ على الأحشاءِ يحيينى

نايٌ ولا صافِرٌ فى الصمتِ ينفخُهُ
لكنْ رناتِهُ فى القلبِ تصبينى

ومزهرٌ غابَ شاديهِ وخلّفنى
ونغمةٌ فى الصدى بانتْ تصلّهنى

وعازفٌ فى ضميرى مُلهمٌ غَرِدٌ
ما شدَّ أوتارهُ يومًا لتلحينِ

تهلُّ أسجاعُهُ فى الشجو تنشرنى
ونثرُها فى عذابِ الحبِّ يطوينى

إذا شدا فدع الدُّنيا وضجتَها
واسمعْ . فديتكَ . قُمرىَّ البساتينِ

وإنْ تهامس في صدري خصبتُ به
وحيًا من الله في البلوى يعزّيني!
هوَ الهوى يا «ابنة البُسفور» علمني
حزْنَ الثكالى، وأوهامَ المجانين
عيشٌ به آهةٌ في صدرِ مُبتئسٍ
ودمعةٌ تلتظي في جفنِ مسكين
وثورةٌ في حنايا الصبِّ صاخبةٌ
حرّى توهّجُ من حينٍ إلى حينِ!
ماذا جنيتُ وروحي في طهارتها
أزكى لحبِّكِ من طيبِ الرياحين؟
نفحتُ حسنكِ روحًا سامَها ألقًا
وكنتِ كالناسِ من ماءٍ ومن طين!
وظلْتُ أبلي شبابي في صيانتهِ
وأنتِ بالهجرِ والتعذيبِ تُبليني!
خلّدتُهُ بأغاريدي ورحتُ به
أزهو على كلِّ فتانٍ ومفتون
هلا عذارى بلادي هِجنَ من غزلي
إيماءةٌ عن سنًا عينيكِ تُلهيني
وهُنَّ والحسنُ لا عارٌ ولا دنسٌ
كاللؤلؤِ في شطوطِ النيلِ مكنون..

و(الكوخُ) أهديْتُهُ سحرًا ومعجزةً

لعلَّ قصرك بالقبا يُهاديلى

فما وفيتِ! ولا مهدُ الغرام رثى

لشاعرٍ بالهوى العذرىِّ مجنون!

لو كنتُ أهديتهُ للنجم من قلقى

لخرَّ من برجهِ العالى يُواسينى!

أو كنتُ أهديته للصخرِ من ظمئى

لفجرَّ السلسل الرقراقَ يرْوينى!

أو كنت أهديتهُ للكون من شجَنى

لحاز دمعةَ مفجوعٍ تُواسينى!

يا صوتها فى ضميرى.. طف بساحتها

وقل: لأيةِ أذْنٍ رحْتِ تُلقينى؟!

هذى المسامع أثامٌ مغلقةٌ

وخُدعةٌ ذهبتْ بالصمتِ تُغوينى

أقصيتنى عن ملاكٍ كان يصبُغُنى

ولُفْتِ بى بين أسماع الشياطينِ

وكنتُ فى قمةِ الصداحِ غُنْوتهُ

فمنْ على البعد يا ويلى يغنينى؟!

٥

○الصاخب المجنون○

١٩٣٥

لقدْ طال فى صمْت الليالى نداؤهُ

لمن نوْحهُ تحت الدجى وبكاؤهُ؟!

حزينٌ ذوَى فى الهمّ ضوءُ شبابهِ

وماتَ على هول المآسى بهاؤهُ

جريح أضاعَ الطبُّ سرُّ جراحه

فيا رحمتا يا ربُّ! أينَ دواؤهُ؟

شريدٌ ترامى فى الحياة مضيَّعًا

فما عيشهُ فوق الثرى وبقاؤهُ

يسيرُ على التُّرب المهين تخالهُ

من الترب ذرًا لا يقرُّ هباؤهُ

تباغتِه الأنواءُ منْ كل وجهة

فيشتدُّ فى عصفِ الرياح بلاؤهُ

لعَينيكِ يا عــذراءُ غنىَّ، فــضمَّهــمتْ
أناشــيــدُه بيــن الأســى وغنــاءُ

أتاكِ من الغــيب الخــفىِّ كــأنه
منَ الغــيب وحى أنزلتــه ســمــاءُ

على فــمــه أغــرودةٌ عــبــقــريةٌ
وفى قــلبــه نــور تجلَّـــى ســناءُ

وفى الروح إلهــامٌ من الحب خــالدٌ
لذلك أصــفى طهــرُه وصــفــاءُ

ضــراعــاتُ مــعــمــودٍ إذا القلبُ نصَّها
يفــيضُ على ســود الليــالى ضيــاءُ

مــجــمــعــةٌ من كلِّ ســرٍّ مــحــجب
تغلغلَ فى قلبِ الوجــودِ خــفــاءُ

من الحُلم البــســام فى هالة الرؤى
يرفُّ على دنيــا الحــزين رواءُ

منَ السحــرة الفــيحــاءِ تندى زُهاتها
بــوادٍ عــلــى شطِّ الخــلــود لــواءُ

من الجــدول الرقراق فى ظُلَل الضُّحى
يعــانقُ أفــيــاءَ الخــمــيــلاتِ مــاءُ

منَ الدعــواتِ البــيضِ فى ثغــرِ ســاجدٍ
إلى الله يرقى فى الصــلاة دعــاءُ

من الزهر غــيــمــانًا، من العطرِ نافجًا
منَ الريفِ وسنانُ المروج مــســاءُ

فهمتُ أغاريدَ الهوى من خلالها
وغنيتُ، علَّ القلبَ يدنو رجاؤُه

فماذا جنى المهجورُ من خفقاته؟
لقد زاد في ظلِّ التمنّي شقاؤُه!

مناجاتهُ للناس أضحتْ تسليًا
وسخريةٌ أودتْ بها كبرياؤُه

وأضحى بها جرحًا إلى القبر سائرًا
على يدك البيضاء يرجىَ شفاؤُه

تعاليْ إليه، وانظري جثة الهوى
يمر بها والليل داجٍ رداؤُه!

مُضمخةٌ بالدمع من فيضٍ ما ذرا
تَحَجُّمهُ طول النوى وبكاؤُه

أساكيبُ من نبع الحشا قد تفجرتْ
لهيبًا بأعصابي سرتْ (كهرباؤُه)

تكفِّنها الأطراس معًا نقشتِه
مواثيقَ حبٍّ هاجهنَّ جفاؤُه

يُحوّمن كالغربان فوقَ رُفاته
وينعَيْنَ عهد الحب مات هناؤُه

يمر بها حيرانًا لهفانَ جاذعًا
يحطمه كربُ الردى وعناؤُه

ويصخبُ كالمجنون في كل خطوةٍ
فيقلقُ سمعَ العابرين هُذاؤُه

وفى عينه من طولِ ما بكتْ الهوى

ذبالةُ نورٍ لجَّ فيها عماؤهُ

وفى الصدر مذبوحٌ تغنى جراحُه

وتصرخُ من بؤس الليالى دماؤهُ

فؤادٌ كأنْ الله سوّى شغافه

من الدمع والآهاتِ.. جفَّ نماؤهُ

لغيركِ لم يُخلقْ، ولكنْ عبرةٌ

على الدهر أنْ يبقى لديكِ فناؤهُ!

تعالىْ إليه واتركى الكونَ ساخرًا

فقد عزَّ فى دنيا البرايا وفاؤهُ

تعالىْ إليه قبلَ أن يغربَ الصِّبا

ويصبحَ وادى الحبِّ قفرًا فضاؤهُ

فلا مزهرٌ شادٍ ولا عازفٌ شجٍ

ولا عاشقٌ يهفو إليكِ نداؤهُ!

تنادين.. لا السكرانُ يرحمُ مرةً

نداكِ ولا المقرورُ بالٍ عزاؤهُ

يردُّ الصدى الندمانُ منك مجاوبًا!

هنالك على شطِّ الفناء لقاؤهُ!

○

○ أسرعي قبل أن تموت الأغاني ○

«.. وقد كتبت صاحبة القصر بعد صمت طويل سائلة عما فعل صرف النوى بعهدها القديم فخفق لها القلب بهذا النشيد»

سبتمبر ١٩٣٨

سلسلي لحنَكِ الجريحَ وهاتي

رجعَ قيثارتي، ونَجوى صلاتي..

طال شدوي حيالَ قصرِك شوقًا

فاهتكي السترَ، وارحمي خفقاتي

وانظري جذوةَ الهوى في خيالي

وشحوبَ الفناء في نظراتي

وتهاويلَ من بقايا جنونٍ

خلّفتها الأحزانُ فوقَ سِماتي

وبريقًا من الشباب المولّي

كهشيم الريحان فوقَ الرُّفاتِ

وخيوطُ المنى على صفحة القلـ

ـبِ كأطياف غيمة فى فضاء

منيةً أزهقتْا واخرى تعايا

والبقايا فى الصدر مُنْتحرات!

* * *

هيكلٌ من فواجعِ الكوْن ثاو

بينَ كهفٍ مجنّح الظلماء

الأفاعى رهبانهُ، وصدى البوُ

مِ هتافُ الرهبان فى الصماء

ورياحُ الدُّجى تزفُّ حواليْـ

ـه، وتنعىَ فى صمتهِ مُغلولا

نبذتْهُ الأقدارُ فى وحشةَ البيـ

ـد أنينَ الصخور فى الفلاة

صمته ضجةٌ؛ ونجواهُ صمتًا

بالهولِ الضجيج بين الصماء

ورؤاهُ فى الليل موكبُ جنٍّ

غطَّ من فدحة السرى فى سُبات

من يراهُ يرى بقيةَ نحسٍ

افلتتْ منْ حظوظهِ العاثرات

جاثمٌ فى التراب.. كالأملَ الخا

ئبِ فى خاطرِ ذبيحِ الشك!!!

ـــالشَّجى في اللَّهاةِ! كــالهمِّ في المهْ

جـــةِ! كــالموتِ في ربيعِ الحـــيـــاةِ!

ـــرمـــامِ القُبـــورِ! كـــالبـــيْدرِ المهْ

جـــورِ! كـــالرجسِ في جنوبِ العُصـــاةِ!

ــــحـــفـــيفِ الظلام في أذن الفـــا

بِ، كـــإثمٍ يطيفُ عند الصـــلاةِ![1]

ـــورود الخـــريفِ مـــاتتْ على الأيْـ

ـكِ ومـــات الشـــذا على الورقـــاتِ!

ـــرفـــاتِ الأحـــلام في عـــالم النسْـ

ـيـــانِ ضـــاعتْ بظلّه امنيـــاتي!

ـــانينِ الغـــريبِ في وحـــشـــةِ الليْـ

ـلِ! كلطم النوادب الثـــاكـــلاتِ!

ــــــفــــحــــيح يريقُ سمَّ المنايا

نفـــخـــتـــهُ الحـــيـــاتُ في الكـــراتِ!

ـشـــــيـــعِ الأيتـــــام ملوا من الدَّمْـ

ـعِ ومـــالوا برعـــشـــةِ الأمـــهـــاتِ!

ـخـــيـــالِ النُّدمـــانِ! كـــالنغم الحـــيـ

ـرانِ دســـتْ رنـــيـــنـــهُ ابيـــــــــاتي!

ـــدخـــانِ الأكـــواخ تنفـــخـــه الريـ

ـحُ فـــيـــفنى في ظلمـــةِ الأمـــســـيـــاتِ!

---

(١) يطيف من باب (باع يبيع) وطوفان الخيال مجيئه في النوم (مختار الصحاح).

كحنوطِ الأكفانِ في جدثٍ زفّتْ

عليه نوائحُ هبّةِ السافياتِ!

كجبينِ المشنوقِ خطّ عليهِ الـ

ـموتُ أسطارَ عمرِه النّحِساتِ!

هكذا صرتُ بعدَ ما غبتِ عنّي

في الأسى والنُّحوسِ ضاعتْ حياتي!..

• • •

كان شعري على يديكِ مُعطّرًا

سكبتْهُ روائحُ الجنّاتِ

طيّبةٌ للقلوبِ فوحةُ خلدٍ

نسّمتْها الغيوبُ في صفحاتي

قبستْ وهلةَ السنا من رُبى النيـ

ـلِ وشعّتْ بها منَ الأبياتِ

ورأتْ في المروجِ طلسمَ سحرٍ

ظلّ مستغلقًا لكلّ حصاةٍ

فنضتْ سرّهُ بسحرِكِ لحنًا

رددتْهُ هواتفُ الرابياتِ

وهو اليومَ زورقٌ منْ خيالٍ

حطمتْهُ ثوائرُ العاصفاتِ

ما لملاحِهِ سوى صرخةِ اليأ

سِ يدوّي بها لفظُ النجاةِ!

وأعـــاليلُ مــنْ ومـيضٍ علـــى الأفْـ

ـقِ نفــتْ منْ طـيــوقِهِ المظلمـــاتِ

كـلـمــــــا اذنتْ .. يـردُّ سنـاهـا

قـبسٌ مــنْ شــعــاعٍ عـبـنبك اتِ

فــتــرى هداةُ الردى فى حـــواشــيـ

ـه وظلُّ الحـيــاةِ فى القــســمـــاتِ

ســاعـفـيــهِ بلمــحــةٍ تنعشُ الرو

حَ، وتلهــيـــهِ عنْ كــروبِ الممـــاتِ

واســمـعـيــهِ بينَ المآسى يغنى

بلحـــونٍ صـــواخبٍ والهـــاتِ..

جـــدولى لمْ يزلْ يصـــغُ للحبْ

وتهـــفـــو بشطـــه قُبْـــراتى

والصـــبــاباتُ مـــا يزلنَ يعـــوْدْ

ـنَ فــيُكـرينَ علّةَ النســمـــاتِ

والأغــاريدُ مــثلمــا كـــنَّ بالأمْـ

ـسِ يُهــــازجنَ بلبلَ الربـــواتِ

والصـــبــاحُ الحـــزينُ مـــازالَ سكراً

نَ بخـمـــر الأحـــلامِ والصـــبـــواتِ

والضـــحى شـــاعـــرٌ تهـــيـــا للوحْـ

ـيِ فــاصـــغىَ وقـــال للناى: هـاتِ!

هاتِ لى قصةَ الهوى والأمانى

وليالى غرامنا الفانياتِ

وانْبِهَا فى النور.. وابعثْ صداها

فى الروابى ملاحنًا خالدات

وكؤوسُ الهوى ظوامٍ إلينا

يتنظَّرْن عَوْدنا مُتْرعات

وأنا خاشعٌ هنالك فى الأيـ

ـك كمستغفرٍ جثا فى صلاة

أتحسَّى شذاكِ من صحوةِ الظلّ

واقتاتُ مزعجَ الذكريات

وأنادى.. فيخنقُ الحزنُ صوتى

وتموتُ الأصداءُ طىَّ لهاتى

وأرى رسمَكِ الحبيبَ مطلاً

من سمائى وجدولى وربانى

مطرقًا فى السنا كزنبقة الصبـ

ـحِ كطيفِ الغريبِ فى المرآة..

* * *

أسرعى قبلما تغيبُ الأمانى

فى دخانِ الهمومِ والحسراتِ

إلى قلبي العليل!

يا شاكياً من فدحة الألم
والطبُّ عن شكواهُ في صمم
هلاّ وقفت بها . لتسعدني
منْ ضرها . في الشاطيء العدم!
اضويتني حتى ذبلتُ أسىً
وشربتُ كأس الذل من سقمي
شاهَ الشبابُ وحالَ رونقُهُ
في عابس بالهمّ مُرْتطم
والناسُ.. لا ناسٌ إذا خلجتْ
عيني.. كأني في الحياةِ عم!
صنعوا عن الشكوى فلا أذنٌ
تُصغي لما رتّلتُ من نغمي
حسبوا أنين القلب فلسفةً
عبثتْ بها أنشودةُ القلم

فتمافلوا عنى، ولو علموا

شربوا صُبابَ الدمعِ مِنّ المى!

• • •

وجعٌ بقلبى شلَّ دورتَهُ

لولا خَراك هفَتْ مِنْ قدمى

كالطائر المذبوح منتفضاً

خفقانهُ فى جانبِ الظلم

قلقُ المهاد، كأن مهجتَهُ

من ريقةِ الأفعى تعبُّ دمى

او انه إلمٌ يقلِّبُهُ

وَخزُ الضميرِ بوقدةِ الندمِ

إما شكوتُ جراحَهُ وهناً

ماتتْ شكاةُ القلبِ طىَّ فمى...

يامحنةً فتكت براحتِهِ

فتلقّ اللظى بالهابسِ الحُطمِ

هذا العليل باضلعى دنفٌ

لهفانُ يرزحُ فى ضنىً غمم

كم ثورةٍ للحبِّ جالحةٍ

طاحتْ به فى ساعرِ الضرمِ!!

ودفينةٍ ابلتْ لفائفه

منْ كلِّ خافى البؤسِ مُكتتمِ

مشفوفة بصباه تأكله

بالحزن أكل الجائع النهم

جعلت سرائره لها طلقا

تقتات من جنبانه بدم

يا ملهمي الشكوى معذبتي

بفواتك[1] الأحزان والسقم

شكواك يا مسكين نبض شجى

بلغت صداه منفذة الظلم

هي خفقة المزمار طهرها

بددا مع الأرواح والنسم

ه

(١) فواتك: جمع فاتك من فتك بمعنى قتل على غرة.

الشعرةُ الهاربةُ...

«لمحتها فجأة على قميصى هاربة من
ذوائب حسناء فكانت وحى هذا النشيد».
١٩٢٩

مِن أى تاجٍ طاهرِ المفرِقِ
انهت لى حيرى كقلبى الشقى؟
فارقتِ عرشَ النورِ فى مُفخرةٍ
الله فى موكبها المونق!
فجرٌ نهلتُ الوصلَ فى ظلّه
خمرًا لغير الروح لم تخلقِ
أندى على قلبىَ من روحه
ومن شذا أنسامه الريّقِ
معصورةً من كرمةٍ فى الرؤى
ريًّا بغيرِ الطهرِ لم تُسقَ

قبل انبثاق النور كانت معًا

محجّبَ التِّلْماحِ والمشرقِ

ونغمةٌ تشدو على ضوئهِ

عُلْيا لغير الحبْ لم تخفقِ!

يا زهرةً كانت بوادى الهوى

تندى على جدوله الريِّقِ

شرابُها النورُ إذا ما ارتوتْ

من هالةٍ سحرية الرونقِ..

لما احتوانا الوجدُ فى ساعدٍ

وضمَّنا الحبُّ على مرفقِ!

كنا سميرًا خالدًا فى الهوى

فكيف فى نجواهُ لم تحرقى؟

○

○ خاطرة مفاجئة! ○

أنا

... إلى التي حملت لي الأسلاك شدو «أغاريدي». وعتابها الغامض على صمتي

ايها الصوتُ! من وراءِ الغيوبِ
كيف هيَّجتَ مزهري للنحيبِ؟
انتَ اشعلتَ ماضيًا مزّقَ الرو
حَ والقى حطامها في اللهيبِ
انت عاتبتني على الصمت.. فاسمع
نغمات الجراح تحت الجنوبِ
لاتلمني فإن صمتي شِعرٌ
ألبستهُ الأيام ذلَّ الغريبِ
انا همسٌ يموت في قلبِ ناي
نبذته الرياحُ خلف الكثيبِ

أنا ترنيمة الحزانى! أنا اليتـ

ـم! أنا الشجو ذائبًا في القلوب،

أنا حظُّ الترابِ من موكبِ الدنْـ

ـيا! وفي القبر ذرةٌ من نصيبي

أنا نوحُ المظلومِ بينَ زحام الدّ

هر يدعو ومالهُ من مجيب،

أنا جرحٌ يذيبُ في هذه الأرْ

ضِ. وقد ملَّ عائدي وطبيبي،

أنا زهرُ النعوشِ ماتَ عبيري

وغدتْ بهجتي رمادَ الخطوب!

أنا صمتُ الكهوفِ يهتزُّ للوحـ

ـي إذا هلَّ في السكون الرهيب،

أنا فنٌّ معطلٌ سجنتهُ

ثورةُ الحبِّ في الغرام الكئيب.

فأعيدي الحديث يا جارة المـ

ـلكِ ونوحي لعاشقٍ مكروب،

أنا إثمٌ.. والحبُّ غفرانُ ذنبي

فإليه علام ينسى ذنوبي!!

○

○ حين أطرقت... ○

«لفها صمت عميق في مساء يوم من أيام اللقاء،
فبدت في هالة من الجمال الحزين.. أشبه ما تكون
بأمنية سماوية على شفة ملاك تألم!»

٦ يوليه ١٩٣٨

أطرقتْ كالخيالِ في خاطرِ الشا
جي، وكالنبعِ في الظلالِ الحزينهْ
تتملّى في صمتِها.. ذاتَ جفنٍ
شاعرٍ في الدجى يواسي شجونَه
أطرقتْ! يا لكُربةِ النأيِ من بُعْـ
ـكِ هوامة ومن يناغي لحونه؟
من يواسيه إن طغت ثورةُ القلـ
ـبِ فهاجتْ لها الهموم الدفينه
مَنْ له؟ آه من لأنغامه السو
دِ إذا شبتِ الليالي أنينهْ؟

كم شــدا فى ظلالهـــا ناعمَ اللحـْ

ـنِ، والقى على يديهـــا رنينهْ!

ناغــمًا بالهــوى كــقــمــرية الفــجـ

ـرِ طروبًا كـــالنحلةِ المفـــتـــونهْ!

مـــا لهُ عـــادها فـــصـــدَّتْ أمــانيـ

ـهِ وظلَّتْ فى الصـــمتِ وَلْهى حـــزينهْ

• • •

اطرقتْ فى الظلامِ كـــالأبد الوسـْ

ـنانِ مـــا فـــرت الدياجى سنينهْ

صـــمـــتـــهُ الغـــيبِ غلَّفـــتهُ يدُ اللـ

ـه، واخـــفت عن العـــقـــول كـــمـــينهْ

مـــثل ريحـــانة المســـاءِ جـــفـــاها

نَمنـمٌ منه، فـــاســـتطابتْ سكونَـــهْ

يَعْبَـــق المـرْجُ فـــى الدجى مـــن شـــذاها

وهى وَسْنى بين الروابى ســـجـــينهْ!

• • •

إيهِ مـنْ تلهمُ الأغـــــاريدَ، تـنـدى

من صـــفـــاءٍ. يا بؤس منْ تلهـــمـــينهْ!

ظمئَ النائ للتـــــلـنى، فـــهـــانى الـ

ـكـلـس، وروِّى لـبـّـاغـــــه وحـنـيـنـه

انت فى الصمت آيةٌ فجَّرَ اللـ
ـهُ عليها من الجلال معينه
فاصمتى أو فحاورى الصبْ بالسحـ
ـرِ وناغى هُيَامَهُ وفتونه
بهتٌ شعرٍ على جبينك غافٍ
أيقظَ الصمتُ سرهُ وفتونهْ
وفؤادى الذى تكشف نجوا
هُ ونزى على الخيال دفينة..
وعلى الأعينِ السواجى صلاةٌ
انا منها فى خشعةٍ وسكينة
ما لنُسْكها وجودٌ! ولكن
عابدُ الحُسْن . وحدهُ . تعرفينهْ
وعلى الصدرِ هزةٌ جاوبتها
ضجةٌ فى مشاعرى مجنونَهْ
حلْتُ منها وزفرةُ الصمت تغلى
نارَ زقٍ من الأسى تقتفينهْ
وعلى الثغر جدولٌ منْ أغانٍ
آه لو فى جوانحى تسكبينهُ!
نشرتْ مهجتى القلاعَ على شطْ
طهِ شوقًا ـ فرحمتا للسفينة

لم نجدْ مرفأً لديهِ سوى الصمـ

ـتِ، وشطٍ مُغيَّبٍ ترقبينَهْ

وظلالٍ وراءَ كونٍ بعيدٍ

فجَّرَ الصمتُ في رُباها عيونَهْ

طيرُها نام في زُرقاتِ الأغاني

بعدما أنكرَ التَّغني غُصونَهْ

فلأيٍّ من الضفافِ سيمضي

سابحٌ في هواكِ لا ترحمينَهْ!

قد هجرتِ الخيالَ والشعرَ والصمـ

ـتَ.. وخلَّفتِ نارَهُ وجنُونَهْ

وامَّحى كونُكِ المجسَّمُ.. إلاَّ

قَبَسًا من صبابةٍ تُشعلينَهْ

رُحتِ تذكينَهُ من النظرِ السا

هي وفي معبدِ الهوى تُضرمينَهْ!

رحمةً بالحبيبِ يا هالةَ الوحـ

ـيِ! وزُفِّي ضلالَكِ يُسقي عيونَهْ

وابسمي! أو تكلَّمي! لا وإنْ شئـ

ـتِ فلحظًا على دمي تنثرينَهْ

يَنثرُ السحرَ والهوى والأماني

فوقَ دنيا بخاطري مَحزونَهْ

أو غصناً ورفرفي حول روحي

واسكبي الوحيَ في ظلالِ السكينة

أنت نبهتني هجوعي في الكو

خ وأغنيتِ لي ضجيجَ المدينة

وجعلتِ الأكوانَ لحناً خفيّاً

ليتَ - يا لوعةَ المنى - تعزفينهْ!

وترى مات في يديْ حنينا

وغليلُ الهيامِ أبلى متونهْ

فابعثيهِ من البلى يتغنّى

مثلما كنتِ دائماً تسمعينهْ

لفظةً منكِ فتنةً وحياةً

تتهادى بها الأغاني السجينهْ

أنت يا سلوتي على نكد الدنـ

ـيا، وصفوي على الليالي الحزينهْ

شاب عمري ولاتَ.. والروحُ أضحتْ

من أساها يتيمةً مسكينهْ

والرزايا أقمن عُرسًا لحظي

لاتمنيتُ مرةً تشهدينهْ

أتغنيا بشقوتي! والمزامـ

ـرُ بكفي شقيةً محزونهْ

يتسلّى بنا الوجود.. ولكنْ

سطوةُ الذئبِ بالشياهِ السمينهْ

ونُغنّيه مُلهمينَ حيارى

بين رجسٍ، وغفلةٍ، وضغينهْ

فاعذريني إذا ألحّتْ بي النجـ

ـوى لصوتٍ مقدّسٍ تكتُمينهْ

فأنا الهامسهْ.. وصوتُكِ للرُّو

حِ عبيرٌ تذيعُهُ ياسمينهْ

○

○ بُحَيـرةُ النِسْيـان!! ○

رفـــــرفتْ في سمـا وزرَقْتَ على الرُّو

حِ وذابتْ... بُحَيـــــــرةُ النـسْيانِ

عندها قـــدْ نسيــتُ ذاتي، وحسي

وزمــــاني، وعِبْـــئي، ومكـانـــي

ونسيتُ النسيــانَ.. حتى كـأني

هجْعـــةٌ في خـــواطر الأذهــانِ

فـــاحضُنّي يا بحيــرتي زُرْقةَ الرو

حِ، وغيبي عن ضجــةِ الأكــوانِ..

○

○ الذهــول ○

نامَ السنا فوق ضفافِ الذهولْ

.. يا ليتهُ يصحو!

كأنهُ زنبقةٌ في الحقولْ

.. أسكرها الصبحْ

أوْ نجمةٌ بين ثنايا الأفولْ

.. مات بها اللمحْ!

أو نسمةٌ قيدها في السهولْ

.. من شمسها لفحْ

• • •

نامَ.. ولكنْ يقظةٌ في الضميرْ

.. مثلُ العبيرْ!

الوجهُ ساجٍ كصلاةِ الفجرْ

.. بين الطيورْ!

والقلبُ شلالٌ عنيُّ الهديرْ

.. فوق الشعورْ!

يا لهفتا! والجفنُ حلمٌ غريرْ

.. أمْ طيفُ نورْ!

* * *

حلمٌ طواهُ في الأسى والذُّبول

.. من لوعتي جُرحُ!

أم دمعةٌ حَيرى بجفنٍ كليلْ

.. أتعبهُ النوحُ!

أم بلبلٌ تحتَ ظلالِ النخيلْ

.. أسكرهُ الصدحُ!

فنامَ.. واستلقى عليهِ الأصيلْ

.. والظلُّ والدوحُ!

* * *

أم جدولٌ في شطهِ للعصورْ

.. كأس تدورْ!

أغفى عليهِ، وتحتَّى الشعورْ

.. خمرَ الدهورْ!

ورقرقَ الطيبَ لهُ والعطورْ

.. قلبٌ طهورْ!

وبلاهُ! هل من رشفة يا حموز

.. للمستجيرْ؟!

سهوانُ يا حُسنُ. شدهتْ العقولْ

.. فلفها بَرَحْ!

أذابَ أحلامكَ يومَ الرَّحيلْ

.. بين الحشا جُرْحْ!

أمْ هاجها في الأفق طيفٌ جميلْ

.. سرى به نفحْ!

فاستيقظَ الشَّوقُ! ونامَ الأصيلْ

.. والمزجْ والمُقَحْ!

• • •

سبحتِ في دنيا عليها يطيرْ

.. قلبي الكسيرْ!

وذاعَ منْ جفنيكِ فيها عبيرْ

دام حبيرْ!

بيضاءُ، أغانى إليها المسيرْ

.. يا للمصيرْ!

فعدتُ والخيبةُ تسقى الشعورْ

.. منتَ القبورْ!

○

○ أنتِ ديرُ الهوى، وشعري صلاةٌ... ○

«إلى غمامتي الشارقة.. أهدي هذه الصلاة!»

يولية ١٩٢٨

أقبلي كالصلاةِ رقرقها النسْـ
ـكُ بمحرابِ عابدٍ متبتلْ

أقبلي آيةً من الله عليـا
زفَّها للفنون وحيٌ منزَّلْ

أقبلي فالجراح ظمأى! وكأس الـ
ـحبِّ ثكلى! والشعرُ نايٌ معطلْ

أنتِ لحنٌ على فمي عبقريٌّ
وأنا في حدائق الله بلبلْ

أقبلي.. قبل أن تميل بنا الريـ
ـحُ ويهوي بنا الفناءُ المعجَّلْ

زورقى فى الوجود حيران شاك
مثقلٌ بالأسى، شريدٌ، مضلل
ازعجته الرياحُ، واغتاله الليـ
ـلُ بجنح من الدياجير مُسْبل
فهو فى ثورة الخضم غريبٌ
خلطَ النوحَ بالمنى وتنقل
اقبلى يا غرامَ روحى! فالشطُّ
بعيدًا والروح باليأس مثقل
وغمامُ الحياة اعشى سوادى*
ونورُ المنى بقلبى، ترحلْ
انا ميتٌ تغافلَ القبرُ عنى
وهو لو درى شقوتى ما تمهلْ
فاسكبى لى المنا، وطوفى منعشى
ينعشُ الروحَ سحركِ المتهلل
انتِ نبعى، وايكتى، وظلالى
وخميلى، وجدولى المتسلسلْ
انتِ لى واحةٌ افئُ إليها
وهجيرُ الأسى بجنبىَّ مُشْعل
انتِ ترنيمةُ الهدوِّ بشعرى
وانا الشاعرُ الحزينُ المبلبلْ

(*) سوادى: عينى

أنتِ تهويدة الخيال لأحزا

نى. بأطيافِ نورِها أتملَّى

أنتِ كأسي، وكرمتي ومدامي

والطِّلا من يديكِ سُكرٌ مُحلّى

أنتِ فجري على الحقولِ.. حياةٌ

وصلاةٌ، ونشوةٌ، وتهلُّلْ

أنتِ تغريدةُ الخلودِ بألحا

نى.. وشِعرُ الحياةِ لغوٌ مُهلهل

أنتَ طيفُ الغيوب.. رفرفَ بالرحمـ

ـةِ والطُّهرِ والهُدى والتبتُّلْ

أنتِ لي توبةٌ إذا زلَّ عمري

وصحا الإثمُ في دمي وتململْ

أنتِ لي رحمةٌ براها شعاعٌ

هلَّ من أعين السما وتنزلْ

أنتِ لي زهرةٌ على شاطئِ الأحـ

ـلامِ تُروى بمُهجتي وتظلَّلْ

أنتِ سحرُ الغروبِ، بل موجةُ الإشـ

ـراقِ عن سحرِها جناني يُسائِلْ

أنتِ صفوُ الظلالِ تسبحُ في النهـ

ـرِ وتلهو على ضفافِ الجدولْ

أنتِ عيدُ الأطيار فوق الروابى..

اقبلي فالربيعُ للطير اقبل..

أنتِ هولى، وحيرتى، وجنونى

يوم للحُسْنِ زهوةٌ وتدلُّلْ

أنتِ نيّرُ الهوى وشعرى صلاةٌ

لكِ طابتْ ضراعتى والتذلُّلْ

أنتِ نبعٌ من الحنانِ، عليهِ

اطرقَ الفنُّ ضارعًا يتوسَّلْ

اعينٌ للخُشوع تغرى فخلِّي

ها على لوعتى تُغَضُّ وتُسْبَلْ

وانركيها وسحرها يتمادى

علمًا (١) «بابلٌ» بنجواهُ تُشْغَلْ!

هو فنى، وملهمى.. فابعثيهِ

فهوَ من زهوه شحيحٌ مُبْخَلْ

يتفانى على الجفون، فإنْ رُحـ

ـتُ أناجيهِ لجَّ فى الكرى وتوغلْ

وانتشىَ من سناكِ وانسابَ فى لحـ

ـظكِ يحسوُ الضياءَ منهُ وينهلْ

وانبرَى من جفونكِ السودِ كالأقـ

ـدارِ يُردِى كما يشاءُ ويقتُلْ

---

(١) لعلمًا

لهثٌ لى من صراعـــه كلّ يوم

غـــزوةٌ فى سكونِ قلبى تُجلجلُ!

ولكِ الصـــوتُ ناغمًا عـــلاهُ الشـــو

قُ فـــاضحى حنينُهُ يتـــرسلُ

نبـــراتٌ كـــانهـــا شـــجنُ الأو

تارِ فى عـــودِ عـــاشقٍ مُتـــرحلُ

او حـــفـــيفُ الأذانِ فى مسمعِ الفجـ

ـرِ نديُّ الصـــدى، شـــذيُّ المنهلُ

او غناءُ الظلالِ فى خـــاطرِ الغُـــدْ

رانِ شـــعـــرٌ فى الصمتِ عـــانٍ مكبلُ

او نشـــيـــدٌ اذابهُ الأفقُ النا

ئى، وغنّـــاهُ خـــاطرى المتـــاملُ!

ولكِ البـــســـمـــةُ الوديعـــةُ.. طهـــرٌ

وصـــفـــاءٌ، وصـــبـــوةٌ، وتغـــزُّلُ

لذةُ الهـــمـــسِ فى دمى تنقلُ الرو

حَ لوادٍ بصـــفـــوِ عـــمـــرى مظلّلُ

فـــاسكبـــيـــهـــا على جَنانى، وخلّى

ســـحـــرها فى مـــشـــاعـــرى يتهدّلُ!

ولكِ الهـــداةُ التى تغـــمـــرُ الحسْ

فـــيـــروى منَ السكون ويثـــملُ

واحة للجمال، قلبي فيها

من أسى الدهر ناسكٌ متعزِّلْ

علمتني ظلالُها كيف أنسى

صخبَ الهمِّ وهو عصفٌ مزلزلْ

ولكِ العِفةُ التي عاذ منها

عبقريُّ الستور فوقكِ مسبلْ

ولكِ الحبُّ ساعدي في وغى الأيا

مِ والقلبُ وهنانُ أعزلْ

فتعالي نغيبُ عن ضجة الدُنـ

ـيا، ونمضي عن الوجود ونرحلْ

وإلى عُشنا الجميل.. ففيهِ

هزجٌ للهوى وظلٌّ وسلسلْ

وعصافيرُ للمُنى تتغنى

بالترانيم بين عشبٍ وجدولْ

وغرامٌ مُقدسٌ، كاد يَضوى

نورهُ العذبُ في سمانا ويُشعلْ

ووفاءٌ يكاد يسطعُ للدنـ

ـيا بشرعٍ إلى المحبين مُرسَلْ..

عاذ للعشّ كلُّ طيرٍ، ولم يبـ

ـقَ سوى طائرٍ شريدٍ مخبّلْ..

هو قلبي الذي تتلمسـ ـيت بلوا

ءُ.. فـاضـحـيَ علىَ الجراحِ يُولولُ!

اقـبلي.. قبلَ انْ تميلَ بهِ الريـ

ـحُ، ويهـوي به الفناءُ المُعجَّلُ!

ن

○ عارية ستانلى باى ○

مَنْ علمَ البحرَ لجاجَ الهوىَ

واترعَ الحبُّ بشطانهِ؟

وقال للموجة: خمرُ الصبَا

صافٍ، فصبى الكاس من حانهِ؟

وانشدى فى الشطْ اغنيةً

اودعها النائُ بالحانهِ!؟

حُوريةً صورها ساحرٌ

مِنْ روعةِ السحر وسلطانهِ

لو شامَها قسٌ بمحرابهِ

يُذوبُ الروحَ لقربانهِ،

لأحرقَ القلبَ بخورًا لها

واشعلَ النارَ بصلبانهِ!

عريانةً قدتَ مُسوحَ الصبّا

مِنْ بهجةِ الفَجْر والوانهِ

لمْ ترضَ بالديباج مبترا لها

مُهفهفَ الطرفِ بقمصانه

فهلهلتْ أسدالها في الضُحى

ورفرفتْ طيرًا بجثمانهِ

أندى على الأرواحِ منْ نسمةٍ

فيحاءَ ينكبها بريحانهِ!

سارتْ إلى البحْرِ وفي هولها

ما يضرمِ النار بقيعانهِ

ظماى لظمآنَ هفت مثلما

يهفو حشا الطيْرِ لغدرانهِ

يا فتنةً رفّتْ على فتنةٍ

كالغرْفِ إذْ رفَّ بعيدانه

سلبتِ رُشْدَ البحرِ حتى غوى

وانحلَّ العقلَ بطُغيانهِ

هذا الذي جردته للصبَا

يميسُ كالزهر بأفنانه.

فضيحةُ الحسنِ أتيحتْ لنا

من شططِ الغربِ وكفرانهِ

جسمٌ لو ان الروحَ التفتْ له

زمانهَا . فرُّ لأكفانهِ

خزيانَ مزقتْ نِقابَ الحيا

مِنْ كلِّ مستورٍ بجثمانِه

يُرعِشُهُ الخِزْىُ إذا ما انبرى

فى لهوِهِ العارى وتَفْنانِه

فيحسبُ الناظرُ مِنْ فتنةٍ

كهربةً تجرى بسيقانِه!

* * *

يا بدعةَ الشَّطِّ سلبتِ الهُدى

مِنْ كلِّ معصومٍ بإيمانِه

لولا جلالُ الفنِّ فى بَهْرةٍ

للحُسْنِ اصطلى بنيرانِه،

ألهمتُ فى شعرى سَعيرَ اللظى

ورحتُ أُصليكِ بأوزانِه

أو أُلهمَ البحرُ مسلَّ الحِجا

لأغرقَ البرَّ بطوفانِه

ولمْ يدعْ فى غمرِهِ سابحًا

يُصافحُ الموجَ بشطآنِه!

دمعة فى قلب الليل

١٩٢٨

فزِعتْ للظلام رُوحى كما يفـ

ـزَعُ أعشى لومضةٍ من ضياءِ

فتعبتُ الخيالَ حتى إذا ما

ضجَّ فى خاطرى من البُرَحاءِ

هربتْ أدمعى إلى ساحةِ الليـ

ـل تهاوى فى الدجيةِ الظلماءِ

ما لها فى السَّنا ملاذٌ ولا فى

فجة النورِ خفقةٌ من رجاءِ

ساقها فى الظلامِ حادٍ من الهمْـ

ـمِ بلا رَنَّةٍ ولا إبطاءِ

مستحثُ الخطى حدوبٌ على القـ

ـلب يزجيه فى رحابِ الفضاء

فى عبـــاب الدجى يهـيمُ بمصـــرا

دُ فـتـضـويهِ غـيـبـةُ الميناء

ليتَ مـــــلاَّحَ الضلولَ هدتهُ

بـارقـــــات الهُدى لشطِّ الغناء

طالَ فى الليل سـبـحـهُ وهوَ حيْرا

نُ شـجـتـه مـضـاضـةُ الإعـيـاءِ

وطحتْ بـالشـــراعِ هبـــاتُ ريحٍ

عـاصـفـاتٌ من زعـزعٍ نكبـاءِ

إيهِ ياليل! قـد لى من حـواشـيـ

ـكَ حـجـابًا وناجنى فى خـفـاءِ

لا تُـذِعْ شـجـوىَ الكئـيبَ ولا تكـ

ـشفْ دمـوعى لأعـين الرقبـاءِ

ودَعِ النسـمـةَ العليلة تحـمـو

من فم الزهر بلسمًا للشـفـاءِ

ودَعِ الكونَ هـاجـعـًا. ودعِ النا

سَ نشـاوى فى غـمـرةِ النعـمـاءِ

خلِّنى للدمـوع وحـدى أُناجيـ

ـهـا وحـيـدًا فى العُزلة السـوداءِ

انا من كـاسـهـا شربتُ صـبـيًا

خـمـرةً سلسلتْ من البـأسـاءِ

عُصِرتْ من مطارفِ الألمِ الدّا

وي بقلبى وعُتِّقتْ فى دمائى

نخبتْ جامها المحاجرُ والمنا

فىَ هنا يموجُ فى أحنائى

منَ أشهى إلى عيونى من النُّو

رِ وأبهى من لمحةِ الأنداءِ

هاتِ يا ليل قطرها فهى حيرى

كتمتْ برحها من الكبرياءِ

سبقتْ مطلع الندى للنّ.. دعها

لتهادى للسُّحرةِ الفيحاءِ

ربما أطلعتْ بظلك فجرًا

شعشعتْ منه هالةً فى السماءِ

ربما روتْ الأزاهرَ طى للزْ

ع فهامتْ فى الربوة الغنّاءِ

ربما فجّرتْ لقلبك نبعًا

وردُهُ مُنيةُ القلوب الظماءِ

همسُها فى الجفون أصداءُ نايٍ

بلغتْ شدوهُ رياحُ المساءِ

مزهرٌ للعيون أوتاره الهُدْ

بُ.. وأنغامهُ رنينَ البكاءِ

صـــامتٌ في الظلام الهم قلبي

من مـعـانيـه عـبـقـريُّ الفناء

لا مُنى في هواه خـالٍ من الهمّ

بليـدُ الفـؤادِ جمُّ الغـبـاء

ردُّ عني يا ليل دعـواه.. إنّي

كـدتُ من لومه احطّم نائي

لغـةُ الدمع في سماءٍ من العصـ

ـمة عزتْ مشاعرَ الأغبياء

حـبسَتْ وحيها عن العقل إلاّ

حين تسمو ملاحنُ الشعراء!

* * *

هات يا ليل من أغانيك واملأ

نغمي بالخواطرِ الهوجاء

أنا في غارك المغلّفِ بالظلـ

ـمةِ أستبيانٌ مُثقلٌ بالشقاء

حكمـةٌ في دُجاك أنكرها العقـ

ـلُ فلاذتْ بالصمت والإنزواء

سمعتْ أرْغُنَ الليالي فهامتْ

من صداه بنغمةٍ خرساءِ

هوّمتْ في الفؤاد تُزجيه للحيـ

ـرة والسحر والأسى والفناء

وامِ يا ليل جـــرحَهُ فلقـــد طا

ل أســــــاه بـرهـبَةِ الأدواءِ

انتَ بحـرُ الحـيـاة يا ليل كم فـيـ

ـكَ أعاصِيلُ من صــروفِ القضاءِ

كم غـريقٍ بيـمـك الأســودِ الحا

خِبِ أدتهُ صــرعــةُ الأنواءِ!

صفـحـتـهُ عنيـفـةٌ من كـفـوفِ الدم

فـانحـلّ في مــهـاوي البـلاءِ

وســبـوحٍ على مـتـونك مـجـدو

دٍ تخطتـه هـبـجـةُ الدامــاءِ!

قـد ضـمـمتَ الأكـوان تحت جناحـ

ـيكَ سـواءُ الى جُنـحِ هذا العـمـاءِ

هـو ذا الـكـوخُ رازحٌ تحت انـقـــا

ضكَ وهنـــانُ كــالضـريـرِ المُسـاءْ

حـالكٌ من ســدولِكَ الكحـيلِ غطاءُ

وارتمى جـــانبًا ببطنِ العـــراءِ

عـابرٌ في حِمـاكَ شـفتْ مطايا

هُ شجـونُ السـرى وبـرحُ الحـفـاءِ

لم يجـدْ راحمًا يواسـيـه في الهـ

ـوى ويُنسـيـه مـحـنـةَ الإنضـاءِ

فتنادى من الضنى ينشد الرحـ

ـمةَ والصفوَ في الخيال النائي

وجفتْ شمعةٌ بجنبيه تهفو

في دُجاه كالمُقلةِ العمشاءِ

خنقَ الليلُ نورها خنقةَ البؤ

سِ لأرواحِ أهلها (التعساء)

فرنتْ للقصور غضبى شجاها

اخيلُ من لواحِظِ (الكهرباء)

سادرٌ في البروج كادَ من الفتـ

ـنةِ يرقى إلى بروجِ السماءِ

لقيَ الليلُ حتفه حين وافا

هُ طريدًا مُهزَّمًا في الخلاءِ

فثوى في التخوم كالهمّ ألقى

رحلَهُ صوبَ هالةٍ من صفاءِ

ودنا الفجرُ في غلائلهِ البيـ

ـضِ شفيفَ الإهابِ نضرَ الرواءِ

يسكب النورَ في العيون.. ولكنْ

أين للروحِ ومضةٌ من سناءِ؟!

أين فجرُ الجنان؟ يا فجرُ هدهدْ

نغماتي، ولا تُضيّعْ ندائي...

○ أغنيةٌ ذابلة! ○

١٩٣٩

غنيتُ لمّا شاقني الملتقى
باسملٍ. في الحرمانِ. يا زهرتي!
فمات لحني في شفاهي! وما
حظيتُ بالمكوانِ من غنوتي!
عبدتُها.. روحًا إذا رفرفتْ
طهرتُ في أنوارِها سجدتي
لا بهجةُ الدنيا. ولا صفوُها
يَشغلُ عن تقديسها فكرتي
في كلِّ لمحٍ من سناها هوى
وفتنةٌ جُنتْ بها فتنتي
وكلُّ نبرٍ من صدى صوتها
دُنيا من اللحن بقيثارتي

عـبـدتـهـا .. مـالهال من أرخصت

رُوحى لهــا تمــعن فى جــفونى؟

فنســيــةُ الألحــانظِ إمّا رنت

قــبســتُ من أجــفـانهــا عِفتى

كم ســامــرتْ روحى تحت الدُّجىٰ

فى طــهــر مــا إثم ولا ريبــةِ!

وألهــمــتنى الشــعــرَ.. هل اسْمــعتْ

أُذنـاكَ لحنًا مــن شـــــذا وردةِ؟!

(٢)

○ الصَّدِيق ! ○

سألتُ عنه .. فقالَ الوهْمُ . مُرتبِكًا

رُفاتُ أُسْطورةٍ كانتْ تُسلِّينى

دفنتُها فى خيالى يَوْمَ أنْ عصفتْ

بِىَ الهواجِسُ فى أحلامِ مجنونِ !

○

من نار المعترك

«راهبُ الغَـرب»

«ألقيت في أحد المؤتمرات الوطنية التي عقدها الشباب في (مصر) احتجاجاً على تصريح المستر هور وزير خارجية انجلترا إبان ثورة سنة ١٩٣٥م».

هاجها مِزْهري وقد خَنَق القيْـ

ـدُ أناشيدَهُ فضجَّ وثارا

وهْيَ حيرى تُطِلُّ لهفى على النيـ

ـلِ وترنُو لمتْعَبينَ حيارى

مُنْذُ خمسين.. لم تحرِّكْ إليهمْ

قدمًا، أو تُطلِقْ إليهمْ مَزارا

دِرَجَتْ في السنين من عهْد «خوفو»

حُرَّةً ما وَعتْ لديْها إسارًا

عقدتْ تاجَها على الشمس كِبرًا

أنْ يُحلى جواهرًا ونُضارا

وبَنَتْ عرشها على مفرق الأهـ

ـرام زهوًا بمجدها وافتخارا

وَجرَى النيلُ ساجدًا بين كفيْـ

ـها جلالاً وروعةً وصغارا

ثمّ دارَ الزمانُ دورةَ نحسٍ

فإذا حظُّها مع النحسِ دارا..!

وإذا راهبٌ أتاها من الغرْ

بِ تقيٌ يرومُ منها الجِوارا!

قال: إنّجيلَ السّلامُ! فقالتْ:

مرحبًا بالسلام خِلا وَجارا!

أنا رَيْحانةُ الغريبِ، وكهفٌ

للذي عزّه الحِمى فاستجارا!

نِيلِيَ الخمرُ.. ذُقْ طِلاهُ، وقلْ لي:

أينَ خفّ الجنانُ منك قطارا!؟

سلسلٌ يُلهِمُ الهدى للذي ضلْـ

ـلَ وإنْ كانَ فاجرًا كفّارا

وجِنانِي مُنضّراتٌ حوالِ

حالماتٌ تروعُ الأفكارا

جوسقٌ في خلالها تَرقصُ الرُّو

حُ صفاءً وتُسكِرُ الأعمارا

كانتْ الطهرَ سكْنَنا.. فتهادتْ

في سمائي فهاجت الأطيارا

فإذا ما المساءُ عطّلَ فاها

نفرتْ في الصباحِ نُقْفاً وطارا

أنا في الشرقِ هالةٌ لو رآها

فاقدُ اللمحِ فجّرَ الأنوارا

أنطقتْ «بنتئور» (١) في صمتهِ الدهـ

ـرَ فغنّى وخلّدَ الأشعارا

أنا ديرُ الجمالِ يا راهبَ الغرْ

بِ فهيّجْ بساحتي المزمارا

جُسْ رحابي، وطُفْ حواليَّ، واخشعْ

وادعُ ما شئتَ جهرةً وسرارا

إنْ للضعفِ في حماي، وإن ذلْـ

ـلَ حماهُ، عزةً ووقارا...

فتجلّى الراهبُ المقنّعُ صادقا

لكَ، وألقى عنْ جانبيهِ العِذارا

وسرى في الديار تصحبُهُ الفتـ

ـنةُ أنّى مشى وأيانَ سارا

ساطيًا في الخفاء آناً، وآناً

بختل الناس لا يبالي جهارا

---

(١) بنتئور: شاعر من قدماء المصريين خلد موقعة قادش بملحمة من الشعر القصصي.

اطمأنت غضاضة القوم حتى

ظنَّهُمْ . ضلةً . لديه أسارى

فبدا بينهم هزبرًا إذا ما

صاح خلفَ القطيعِ ولّى فرارا

كلما ضجَّ منهمُ قلبُ حُرٍّ

انتزعَ الكاسَ من دِماهُ عُقارا

وفحت طبعه الغدائفُ تُلقى

لم يرُعْها الردى، ولم تخش نارا

تسفكُ الرُّوحَ بالظبى؛ وهى ثملى

روايات من الدماء، سُكارى

علمته السفاة فى منطق الحقْ

فأخزتْ حياءهُ المستعارا

قالها «هور» (1) كلمةً ساقها البطـ

ـشُ فجرتْ على جبين النيل عارا

كم أمتْ أنفسًا وأقمتْ ضحايا

فى صداها! وجرَّحتْ أحرارا!

أيقظتْ (مصرًا) من سُبات لوانْ الصخـ

ـر فيه لما أطاقَ القرارا (2)

---

(1) هور: وزير خارجية إنجلترا صرح بتصريح ضد مصر.

(2) القرار: القليل من النوم والمراد البقاء.

فرنتْ نحو ضعفها عنْ عتبًا

يرعوى منهُ او يسوق اعتذارا

فإذا بالصروحِ شامخاتُ ذلت

خشيَ السطوَ جهرةً فتوارى!

وإذا النهرُ فورةٌ منْ دماءٍ

تتلظى فتفزعُ الأقدارا!

وإذا بالتى شجاها تُبدى

ومرى جفنُها الدموعَ الغزارا،

هى (مصرُ) التى أثار شجاها

أنْ تُطيقَ القُلوبُ عنها اصطبارا

كبلوها بكلّ قيدٍ أليمٍ

عاقها أنْ تجوسَ تلك الديارا

سألتُهم: علام أسرى؟ فصمُّوا

وأصروا واستكبروا استكبارا!

● ● ●

فابعثوها تُصيمُ سمعَ الليالى

ثورةً تُضرمُ السماكينِ نارا

ماتَ عهدُ الكلام! فلنجعل الثو

رةَ والموتَ للجهادِ شعارا!

«على مذبح الحرية»

(ألقيت في احتفال الأمة المصرية بذكرى شهيد «دار العلوم» عبد الحكم الجراحي، في ثورة ١٩٣٥م وهي استيحاء موكب من [illegible] الشهداء شق القاهرة وهي تضطرم كالجذوة في غروب يوم من أيام الثورة السالفة الذكر.

يا وادِيَ الموتى بشطِّكَ راقِدٌ
خفقَتْ لَهُ الأرواحُ بالصلوات

ما ضمَّهُ جدَثٌ هناكَ.. وإنما
حَضنَتْه دُنيا النُّورِ في هالات

سهِرت عليهِ مِنَ السماءِ ملائِكٌ
تُضفِي عليهِ سوابغَ الرحمات

ألِقُ الضُّحى في ساحِهِ مُتصوِّفٌ
ورِعٌ يطوفُ بأقدسِ الحُرمات

وعوابِرُ الأنسامِ تخطِرُ حولَهُ
ريًّا بنفحِ عُطورِهِ عَبِقات

تنسابُ خاشعةً، وتسربُ عفّةً

كعطيِّبٍ يمشي على عرفاتِ

والفجرُ قبلَ شروقِهِ فوقَ الرُّبى

يختارُ منهُ وشائعًا لفتاتِ

أفوافُ مِنْ لُمَعِ السنا، ومطارفٌ

يُلقي غلائلَها على الربواتِ

ويسُوفُ(١) عطرَ الخلدِ مِنْ جنباتِهِ

ويذيعُهُ مِنْ أكؤُسِ الزُّهراتِ

سألَ الدُّجى أصدافَهُ لما بدتْ

في ليلِهِ الغيمانِ مُلتمعاتِ:

ما بالُ ما أصدلتِهِ فوقَ الورى

وصفوتِهِ مِنْ حالكِ الظّلماتِ

لمّا نزلتِ بهِ على هذا الحمى

أضحى مُتوعُ (٢) الشمسِ فوقَ رباة (٣)

فأجابتِ الأصدافُ: إنَّ مُضرَّجًا

بدمِ الفداءِ أضاءَ لي قسماتِي

لمّا لمحتُ رفاتَهُ خلتُ الضحى

يُزجي ركابَ النورِ فوقَ سماتي

---

(١) يسوف: يشم.

(٢) متوع الشمس: ارتفاعها.

(٣) رباة: الربوة: ما ارتفع من الأرض

سمْوهُ في الورقِ الشهيدِ وما اسمهُ

إلاَّ الخُلودُ بصفحةِ المُهجاتِ!

ما زالَ سِحرُ النيلِ طيَّ حفيرهِ

يرتاعُ منهُ النزُّ في الحَصَياتِ

وطلاسمُ الأهرامِ فوقَ جبينهِ

قبسُ الخلودِ يشعُّ للنظراتِ

وشعاعةُ الإيمانِ تُشرقُ بينَها

كالنجمِ يسكبُ رائعَ اللمُحاتِ

وشواظُ هيجتهِ يكادُ على الثرى

يُذكي اللظى بالأعظُمِ النخِراتِ

مِلْ نحو مضجعِهِ! وأصغِ لجرحهِ

واسمعْ نشيدَ الدمِّ في القطراتِ!

مازالَ يترعُ ثورةً مِنْ قلبهِ

خرساءَ مُفصحةً بلا نبراتِ

وكأنَّ آخرَ لفظةٍ هتفتْ بها

شفتاهُ - مزمورٌ مِنَ التوراةِ

وكأنَّ أجراحَ الأسِنَّةِ رايةٌ

حمراءُ شهَّرها الدخيلُ العاتي

لمحَ الشهيدُ خيالَها، فنضا[1] لها

روحًا يثورُ بأصلبِ العزماتِ

---

(١) فنضا: نزع وانتقى

وأحالها مِزقًا صواعقُ أصبحت
كفنًا يضيقُ القيدُ مُرْتسماتِ

وارتدَّ في ريحانِهِ مُستشهدًا
يُزهى بقُدسِ الموتِ في الحُفراتِ

وكأنَّهُ لم يلقَ مِن كُربِ الردى
إلاَّ رسيسَ ضنًى وظلَّ صماتِ!

• • •

أعوادُ زانٍ كُنَّ في كنفِ البلى
صُغرًا نُبذْنَ بأبشعِ الكسراتِ

حمَلْنَهُ فأمادهنَّ عرائشًا
تختالُ فوقَ الهامِ مُؤتلقاتِ

وكأنَّ بين حنوطِهِ (١) ريحانةً
أزليةً هربتْ من الجناتِ

نمَّتْ عبيرَ الخُلدِ طيَّ سُطورِهِ
وترعرعتْ في رونقِ النفحاتِ

وترى الشموعَ الموقداتِ لنعشِهِ
شُعلاً من الفردوسِ مُنبعثاتِ

تهتزُّ والهةً، وتفضي رهبةً
كلوائبٍ في الركبِ مُستحياتِ!

---

(١) الحنوط: كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم.

والسابريُّ [١] نخالهُ منْ طيبه
بُردَ النبيّ مُعطَّرَ الصفحاتِ
لفَّ الشهيدَ مُطهرًا فحسبتَه
مَلَكًا تهيَّأ مهدَهُ لسُبات
حارتْ شفاهُ الهاتفين حيالهُ
ماذا تقصُّ لهُ من الدعواتِ!
واهتاجتِ الغيدُ العوانسُ حيرةً
ماذا يُفضْنَ لهُ من الشرفاتِ؟
الزَّهر؟ ما تطيابُهُ! والعطرُ؟ ما
تسكابُهُ لمُعطرِ النسماتِ!
والحُسنُ؟ ما تَلمَاحُهُ! واللحنُ؟ ما
تَصدَاحُهُ لمُفجرِ النغماتِ!
خُبنَ حينَ زجَوْنَ ايةَ سلوةٍ
فوجمْنَ منْ هوْلِ الردى جزِعاتِ
يتفُنَ ادمُعهنَّ من طولِ البكا
وظللْنَ في الأبراجِ مُكتئباتِ!
ودنَا الشهيدُ منَ القبورِ فأرعشتْ
طربًا بمقدمِ نعشهِ فرحاتِ
كحمائمٍ نزحتْ فضلَّ سربُها
ظلُّ المساءِ بوحشةِ الفلواتِ

(٢) السابري: الثوب الرقيق الجيد.

جثمت على الكثبان تنتظر المنى
وأتى الصباح فهجن منتعشات
حتى إذا وافى الهجير كأنه
وحى السماء، مبلغ الآيات
كانت عظام الهالكين تخشعا
لجلاله تنعطف فى الطرقات
وتعوذها الأرواح من فرح به
وتظل حتى البعث مبتهجات
من مثل هذا الحر؟ كرم موته
من سائر الأحياء والأموات!
وهناك تحت الغاب يعزف شاعر
بقصيدة مكروبة الأبيات
أشجى بها الشهداء بين قبورهم
وأثار شجو الليل فى الغابات
وشدا، فكاد القلب يسجد نشوة
ويرتل الأشعار فى السجدات
لما أذاع شجونها فى ليلة
سوداء كالأمواج مصطخبات
وثبت له روح تنفض حماسة
ومضت تلوح بكل ثبات:

مَا بَالُ قلبك لجَّ في نَغمِ الأسى

وفواجعِ الأحلامِ والصبواتِ؟

حطمْ (ربابتكَ) التي تَشدو بها

وادفنْ نَشيدَ الهمِّ والحسراتِ

وأصدحْ لنَا بِقصيدةٍ وَطنيةٍ

تَدَعُ الشهيدَ مُعطَّرَ النفثاتِ

أَسْمِعهُ قِصتَهُ.. فإنَّ حَنينَهَا

سمرُ الزَّمانِ بهذهِ الخلواتِ!

• • •

فانسابَ وحْيُ الشِّعرِ من أوتارهِ

كجداولٍ في الحَقلِ منسكباتِ

وغدا يُغنِّي في الحمىَ: يا جَنَّةً

فجَرتْ بين ظِلالِها نَغماتي!

النيلُ فيها قصةٌ أبديةٌ

والطيرُ قارئُها على العَذَباتِ [1]

والنَّخلُ فيها ذاكرٌ مُسترسلٌ

هيمانُ مسحُورٌ على الورقاتِ

والنَّخلُ في صمتِ الرياحِ كأنَّهُ

نُسَّاكُ فَجْرٍ أذنوا لصلاةِ

---

(١) العذبات: الأغصان.

والشاعرون كأنَّ مسَّةَ جِنَّةٍ

خبلتهُمْ منْ روعةِ الخطراتِ

تلقى أناملَهُم إذا جاسوا بها

مِن رحمةِ الإلهامِ مُرتعِشاتِ!

كنَّا نُسمِّرُ بها ولا حُسْنٌ! ولا

فِتَنٌ! سوى الأغلالِ مُحتدِماتِ

نُسقى بها البلوى، ويشربُ عمرُنا

منْ نهلِها بالأكؤسِ الشبِماتِ (١)

والقيدُ يَسْبِقُنا إذا رُمنا به

فتكًا.. فيرهِقُ عِزَّةَ الخُطواتِ

وإنا بأرواحِ الشبابِ تُطلُّ مِنْ

خللِ الأسى والذُّلِّ مُنفطِراتِ

حتَّى أتى يومُ الفداءِ فزُلزِلَتْ

غضبًا وراحتْ فيه مُشتعِلاتِ

ليصبَّ بُرْوعَ الثأرِ ثم تقدَّمَتْ

لسلاسلِ الفُولاذِ مُضطرِماتِ

نسفَتْ صفائحَها، وألقتْ ذرَّها

وتهافتَتْ في التُّربِ مُبتسِماتِ

---

(١) الشبمات: الباردة.

رَشَفَتْ رَحيقَ الخُلدِ قبلَ مماتها
وتهيَّاتْ لِحمَاهُ مُنتشيات
فوقفتُ ابعثُ ذِكرَها بِملاحِنى
فشدتْ مُرفرِفةً على ابياتى:
يا شاعِرًا غنَّى فكاد نشيدُهُ
يهتزّ فى الأكفانِ منهُ رُفاتى
هذا خيالُ الخالدين فغَنّنى
واعِدْ بِشعرِكَ للشَّباب حياتى!

ن

○ إنّى سائر للخلود ○

«ألقيت أمام النصب التذكارى لأحد
شهداء الوطنية فى ثورة ١٩٣٥م»

مِنْ دمكَ الغالى قبستُ النشيدْ
يا راقداً تحتَ ظلالِ الخُلودْ
إنْ لم تكنْ وحيًا لشعرى، فمنْ
يوحى نشيدَ النيل غيرُ الشهيد؟
لفظٌ إذا ما رنَّ فى مسمعٍ
خفقتْ به الدنيا، وطارَ الوجودْ
يحسبهُ القيدُ إذا ما علاَ
فى شفةِ الهتّافِ[1] زأرَ الأسودْ
فيذعرُ الفولاذُ منْ هولهِ
ويحطمُ الغلُّ وتبلى القيودْ

---

(١) الهتّاف: زعيم الهاتفين يهتف فيرددون هتافه.

أعــــزلُ! لا ســــيفَهُ، ولا خنجــــرٌ

لـكـنّـهُ بـالـروحِ فـلُّ الحـــــديدْ!!

حــــرٌ.. رأى الأوطانَ مــــغلولةً

تُسقى من الغـاصبِ ذلَّ العـبـيـدْ

والنيلَ.. رغمَ الكوثرِ المشــــتهى

من مـائه الملـحـال فـوق الصـعـيـد:

أضحى لظمآنِ الحمى علقمًا

مــرًا.. وللعــادى شـهيُّ الورودْ

والجنةَ الفـيـحـاءَ فى شطهِ

كـادت من الـنـصـالِ حـزنًا: تبيـدْ

تقـولُ: يا غـارسُ! مـالى أرى

زهرى بكفٍّ لم تهبْ لى الجـهـودْ

عطرى على أنملها فـــائحٌ

والشوكُ فى جنبيكَ يفرى الكُبودْ

والظلُّ للعـادى مهـادُ الهوى

وأنتَ لهـفـانُ بحـرِّ النُّجـودْ!

قـد فـزّعوا طيرى بأعشـاشهِ

فطارَ فى الأدغالِ مـثلَ الشريدْ

حـيـرانَ! لا عشٌّ، ولا أيكـةٌ

والقـومُ هـانونَ بقضِّ المُهـودْ!

وزاحموا النهل فشادو له

من زحمة الأجسام سُرَّ السدودْ

في كلِّ شيء لهمُ مطمحٌ

ولوعةٌ كبرى ووجْدٌ شديدْ

لو اشعلوا النار ولم يُسعفوا

بالحطبِ الناوى فنحن الوقودْ

يا من رأى «مصرَ» تُعاني الضنى

في قبضةِ الغربِ العتِّى العنيدْ

ضيفٌ أتاها زائرًا في المسَا

فطنَّبَ الخيماتِ عند الحدودْ

واستغرق الصبحُ على نحصها

فطاح ميثاقٌ وخينتْ عهود

وأصبحَ الضيفُ بها سيّدًا

وسائرُ الأحياءِ فيها عبيدْ

وإذ يروح من بنيها فتى

فطهر القلب كروحِ الوليدْ

حرٌّ رأى الأغلال موثوقةً

أحكمها في الطوقِ ضيفٌ جحودْ

فهبَّ كالإعصارِ في صرخةٍ

تهزم(1) في الوادي هزيمَ الرعودْ

---

(1) اهزم: تصوّت.

براحـــةٍ عــــزلاء لكنهـــا
تروعُ بالحقّ جَنان الحســـود
ناعـمـــةٌ.. هاجتْ لقيـدِ الحمى
شديدةُ البأسِ كصخرٍ صلودْ
وقـــال.. والموتُ على كفِّه:
لا تفزعى يا مصرُ.. إنى شهيدْ!
وخـرَّ فى الأرض على وجهِـهِ
قـداسـةُ التقوى، ومَهرُ السجودْ
شـعـاعـةٌ للحقِّ مِن جـفنِه
تبقـى منارًا هاديًا للوجـودْ
وخـفـقـةٌ مـاتت على ثغرِهِ
كـادت لهـا شُمُّ الرواسى تميـدْ
أنشـودةٌ عُلويةٌ أصبـحتْ
فى عـالم الألحانِ لحنًا جـديدْ
تناغمُ الأطيار من قبـرِهِ
فى سـاحة الموتى بلحنٍ بعيـدْ!
يصبـغُ.. والدمُ على جسمِـهِ
غـلالةٌ تُـزْرى بضافى البُـرودْ
يا مـصـر لا تبكى على مصرعى
يومًا.. فـإنى سـائرٌ للخلودْ!

ما سلوتى فى الترب يا أمتى

رخامةٌ تزهى، وقبرٌ مشيد

لن يستريح العظمُ فى حفرتى

وتنعم الروحُ بعيش رغيدْ

إلا إذا كنتم ضحايا المُنى

وسرتمُ خلفَ ركابى وفودْ

إما حياةً حرةً فى الحمى

أو فازحموا الأرماسَ حولى رقودْ

روحى عليكمْ أبدًا حائمٌ

يرقب للأوطانِ بذلَ الجهودْ

لا تخدعونى فى حفاواتكم

برونقِ اللفظِ وسحرِ القصيدْ

فالمجدُ أن تُلقوا بأرواحكمْ

. لا ترهبوا . فى النارِ . هولَ الوعيدْ

وتحطموا القيد بها .. إننى

أسمعُ فى الأكفانِ جرسَ الحديدْ

○ على قبر شهيد ○

١٩ من نوفمبر ١٩٢٥

«ألقيت على قبر (الجراحى) شهيد ثورة سنة ١٩٢٥

ليلة الاحتفال بدفنه يوم ١٩ من نوفمبر»

مصـــــر ظمـــــأى وذلك الدمُ رِيٌّ

لصـــداها.. فـــلا تنوحـــوا عليـــه!

كم ســقــتنا من سلسلِ النيل خـــمــرًا

لم تفضْ كـــأسـهـــا ســوى شـــفــتــيـــه!

مـــالنا نُرخصُ الدمـــوعَ إذا مـــا

سُفكــتْ قطرةٌ على شــاطئــيـــه؟

وهو أحـــرى بأن نســوق الضـــحـــايا

حـــاشـــداتٍ تُزفُّ لهـــفى إليـــه!

صـــرختْ (مـــصـــرُ) للظلوم.. ولكنى

غلَّفَ الظلمُ جـــهـــرةً أذنيـــه

تخــــذ النار والرصـــــاص جـــوابًا

للذى يشــــــتكى إســـــارًا لديه!

ولوىْ جيـــــــده عن الثـــــائر الحُرْ (م)

وشـــدْ الأغــــلال فى ســـاعديه

واعــــــار الدُنــيــــــاءَ نظرةَ ذئب

يقطر اللؤمُ من سنا عــــينيه

فلــنــثر ثــورة الأبــىّ! ونلــقـــى

كل يوم ضحـــــيةً فى يديه!

علْ طُهـــرَ الدمــاء يلهـــمـــهُ الطهـــرَ

ويمـــحـــو الأرجاسَ من جانبـــيه!

○ مرثية غصن الزيتون ○

إلى رابين ملك اليهود،
صريع السلام في الحرب الإيطالية
للحبشة،

لا زهرةٌ يندى، ولا هو ينفحُ

ذاوٍ على طرف الصبا متصوّحُ

ريّانُ أمسِ، هذلتْ أطرافُهُ

هو جاءهُ من نارِ المطامعِ تلفحُ

فرعٌ من الزيتون لم يخفقْ له

فنٌّ، ولم يسجع عليه صيدحُ

أنداؤه من حكمةٍ أبديةٍ

صمتتْ فما تلغو ولا تتفصّحُ

وغذاؤه من رحمةٍ علويةٍ

يضفو بها طيفٌ هناك مجنّحُ

يشدو بها شادي السلامِ ويصدحُ

لو رنَّ هاتفها بسمع كتيبةٍ

هوجاء في رهَجِ اللظى تترنحُ

سجدتْ له الأسيافُ خجلى رهبةً

وتكفَّأتْ فوق الثرى تتطوّحُ

• • •

يا سرحةً بِرُواقِ «جهنيف» ارتوتْ

من جدولٍ بدم الضحايا ينضحُ

نبعٌ من الأرواحِ سلسلُ فيضهُ

وجرى على بطحانها يتفوحُ

ومصابُ من خلل الجماجم صاخبًا

أمواجهُ من كل عِرْقٍ تطفحُ...

ماذا دهاكِ فلم يدعْ سومانةً

من هوله في جانبيكِ تُفتحُ

صوتٌ من الطليان أروعُ غاشمٌ

متحفزٌ بين الورى يتبجحُ

خدعتهُ صامتةُ القنابلِ حينما

نهضتْ تهددُ بالردى وتُلوِّحُ

مجنونةً بالموتِ، جُنَّ حديدها

ومريدُها خطرًا يروعُ ويفدحُ

رعناءُ لو مسَّتْ مطارفَ شاهقٍ

لا ندكَّ من عالي الذرا يتطرَّحُ

سكرى بخمرِ الموت تهذي جهرةً

بملاحنٍ من كبرها تترنَّحُ

خرساءُ لو نطقتْ أصمَّ ضجيجُها

أذنَ الحياةِ، فلا تعي ما تُفصحُ

حبلى بنصلِ النارِ. يا ويلاهُ إنْ

ولدتْ فحتفٌ للبريةِ يكمحُ!

كم أفزعتْ «عزريلَ» حين تبرجتْ

تلهو على جُثثِ العبادِ وتمرحُ!

سلْ أمةَ الأحباشِ.. كيف تمزَّعتْ

وغدتْ على قُضُبِ القنا تترنَّحُ

لم تُغنِها الأجبالُ تعصمُ هاربًا

أو شاكيًا تحت المغاورِ يرزحُ

خيماتُها في الحرب لو أبصرتَها

شُعلاً على كنفِ الهواضبِ تلمحُ

هي المِنُّ للحقِّ ذاعَ بيانُها

ضرمًا عن الوجدِ المكتمِ يُفصحُ!

يا رُبَّ مُسْودِ الجبين يظلها

قسماتُهُ عند الوغى تتوضحُ

بمحليه إيمانُ العزائمِ باللظى

فيضلُّ من قسماتِهِ يتروحُ

يلقى الطغاةَ بعزمةٍ لو صادفتْ

قلبَ الحديدِ لخرَّ بالدمِ يرشحُ!

* * *

يا فارسَ الرومِ العنيدَ تحيةً

من شاعر باللوم جاءك يصدحُ

أنغامُهُ في النيل ضيعها الأسى

وهي التي بهوى البلاد تُسبِّحُ

عُذريةً تشدو. فإن هي أقبلتْ

تأسو يراوغُها الشَّماتُ فيجرحُ

صرخت على حرية مسلوبةٍ

شعراؤها في كل فجٍ نُوَّحُ...

ما ضرَّ لو أمهلتَ . طائشةَ الوغى

قومًا تفادوا بالشكاة وروَّحوا؟

أوطانهم! يا رحمتا لمصيرها!

أمل لسفَّاكِ الطغاةِ ومطمحُ

فزعوا من الغازات تخنقُ جوهمْ

فيضوعُ بالموتِ الأصم وينفحُ!

الله طــهّره هــواهُ طـيــــــــــــــبًا

كـــالرّوضِ ضـــمّخه العـــبــيـــرُ الأفـــيحُ

وابن التـــراب.. أحـــالهُ مـــــمــــومـــةً

نكبــــاهُ ذاريـــــةً تُبـــــيـــــد وتقـــــدحُ

(في وادي النسيان)

(ألقيت في مهرجان ذكرى شاعر النيل
حافظ إبراهيم ١٩٣٧)

جـدثٌ بمدرجـة الرياح مـعـفّرْ
اليـومَ ضـيفُ ترابهِ والغُبْـرْ
ذاوي الرسـوم من البلى فكأنه
أثر النّمالِ مشتْ عليه الأعصرْ
أو خطُّ رملٍ أنشـأته بنانة
«لسطيح» من ماضي الدهور مسطرْ
أو حِكمةٌ مرقومةٌ في معبدٍ
مُتـهدّمٍ شـابتْ عليـه الأسطُرْ
أو نقشةٌ في حـانةٍ مهجـورةٍ
الجـامُ صـفّاح بهـا مـتبعثـرْ
عَبـرتْ عليه الريحُ كاسِفةَ الخُطا
مَوْهونةً فـوق الثّرى تتـعـثّرْ

والليلُ اطرقَ واجماً فكأنه الزنجىُّ

(م) فى حلك الأثير يفكرُ

والنجمُ يخفقُ رحمةً فتخالهُ

عيناً من الشهب المعثّر تنظرُ

والنيل حين جرى بجانبه سرت

فى موجه البلوى وكادَ يزمجرُ

والعبقرية اعولت مشدودةً

لكلى تفجّع صوبهُ وتحسرُ

قالت وقد شهدتهُ منبوذ الحمى

وحفيرهُ فى البيد اشأمُ اغبرُ

والسافيات شددن من أوصاله..

قصباً تزفُ بجانبيه فيصعرُ

ونشرنَ من اكفانه رغمَ البلى

طاراً عليه يدُ النسيم تنقرُ

وهزجنَ والبوسُ المخلّدُ ماثلٌ

كالأمس فى حرم الردى يتبخترُ

وافىمن عرساً ماج فوق ترابه

يلهو به جن الفلاةِ ويسمرُ

يا قبرُا لى تحت الصفائح شاعرٌ

تاريخه من نحسه متفجرُ

عبر الحياة فما صفت لنشيده

أُذن، ولا واسنه عينٌ تبصرُ

فكأنما الحانةُ تاويهةٌ

فى الليل رددها شج متحيرٌ

او دمعةٌ مخنوقةٌ.. وقفتْ على

شط الجفون سجينةٌ لا تعبرُ

او دعوةٌ محبوسةٌ فى مهجةٍ

جلّى هداها فى الدجى مستغفرُ

او همسةٌ فى الغاب تائهةُ الصدى

ابلى نُفاثتها الظلامُ المُصحرُ

دنيا من النسيان ألقىَ مهدهُ

فيها وسوّى لحدهُ المتهجرًا

ونصيبه بعد الغناء.. مصفقٌ

يهذى لراثٍ فى المنابر يهترُ

ومهللون لشاعرٍ مترنمٍ

يلغو باسجاعِ البيان ويهذرًا

يا قبرُ.. هُدّ بناك عن جنبانه!

منْ قال نسلُ العبقرية يقبرُ؟

فاهتز مُرتاعًا، وغمغمَ جاثيًا

ومضى يهلل نحوها ويكبرُ:

لا تجزعي! فهنا الخلودُ وسرّه
خافٍ على كلّ العقولِ مستّرْ
لا تحسبي قُبب الرخام أظلّها
بالمروِ ريّانُ الفروعِ منضّرْ
نفضتْ بساحتها العطارُ جُيوبها
فالمسكُ يسطعُ تحتها والعنبرُ
وأحالها فنُّ العصورِ آيةً
سرتِ الحياةُ بها فكادتْ تطفرُ
ومضتْ بها التيجانُ تلمعُ في الدجى
(كسرى) نزيلُ رحابها أوْ (قيصرُ)!
أزكى ثرى من حُفرةٍ مطموسةٍ
دفنتْ بها ميتًا لديها . عبقرُ
تذرى ويُذرى المعظمُ في هبواتها
والخلدُ من نزّ التراب منوّرْ!
هذا ربيبكِ أعظمٌ منسيّةٌ
رجفتْ لها في الخافقين الأدهرُ
في مهرجان الخالدينَ حديثه
نغمٌ على شفةِ الخلودِ مُعطرُ
حشدتْ له الأهرامُ ذكرًا لو عدا
فيها البلى، لصبا إليهِ المحشرُ

فى كلّ محرابٍ بها وبنيّة[1]

شادٍ يرتل لحنهُ ويكررُ

شعرٌ إذا ما القيد صلَّ حديدهُ

فى ظلها، يُضرى لظاهُ فيصهرُ

هزَّ الجنوبَ بثورةٍ صخّابةٍ

يغلى بها صمتُ القصيد ويسعرُ

تسرى، فيرهبها الطغاةُ، فتنبرى

كالموت لا تبطى ولا تتأخرُ

من راحَ يُنكرِ حاسدًا أصداءها..

هذا دمُ الشهداء منها يقطرُا

فى «دنشواى» لها رنينٌ خالدٌ

زعغ الزمانَ دويُّهُ المتسعرُ

سجدتْ لصرخته المشانقُ رهبةً

وارتاع منْ خفقاتها المتجبِّرْ

وأناملُ الجلاد ودّتْ . رحمةً .

لو كل أنملةٍ عليها خنجرُ

ترتدُّ فى عنق الذى يهوى بها

قدرًا يذودُ عن البرىء ويثأرُ

---

(١) البنية : كل ما يبنى.

تخنوا الحمام إلى الحمامِ وسيلةً

شنعاءَ. واهتاجوا هناك وزمجروا

نصبوا مشانقهم لنا.. فكأننا

قُطعانُ شاءٍ في المجازرِ تُنحرْ

ولو أنها نطقت لصاحت في الورى:

كيدٌ (لمصر). وخونةٌ لا تغفرْ

إن كان بطشهمُ تكبَّر عاتيًا..

فالله والوطن المفدى أكبرْ!

قم عاشق النيل! استفق: فصباحه

حيرانُ في الشطين أغينُ(١) أصفرُ

صديانُ؟ ما نقع الندى لغليلهِ

شوقًا، ولا رواه موجٌ يزخرُ

لهفانُ! ينتظر الذي غنّى له

ويصيح في نور الخميل ويزأرُ:

أين الندى والسلسلُ المسكوب منْ

نغمٍ صداهُ بلا أثامٍ يُسكرُ؟

أين البلابلُ في الضحى مسحورةً

بالشدو. أنطقها الربيعُ المزهرُ.

---

(١) الأغين: الملهم.

من شاعرٍ نهبَ الضحى.. واذاعهُ
لحنًا يغردُ فى الرُبَى وُيصفّرُ
ما شدَّ أوتارًا له أو أرغُنًا
بل كان شطّى فى يديه المزهرُ!
وَلهٌ بمصرا وهِزّةٌ فى قلبه
بغرامها كالثلْجْ راحتْ تهدرُ
وهوًى أحال الشرقَ قلبًا ثانيًا
فى صدرهِ باسى النوازلِ يشمرُ..
سل «غادةَ اليابان» كيف أهاجها
فى الروعِ عن ضافى الشبابِ تُشمّرُ؟
تمضى بمشتعلِ السنانِ فإنْ فما
تاسو جراحات السنانِ وتجبرُ!
واسمع نشيدَ (الأرز) فى (لبنانه)
«بردَى» يكاد بسحرهِ يتخدرُ
و«الحورُ» مُنتفضُ الغدائرِ، راقصٌ
نشوانُ من رجع الغناءِ مُطيَّرُ
شادٍ بأطلالِ «الجزيرة» ساجلتْ
الحانهُ تحتَ الصنوبر «دُمَّر[1]»

---

(١) دُمّر بضم ففتحة مشددة: عقبة بدمشق.

أسرى إلى الدنيا الجديدة صوته

فاهتز من طرب لديها المهجرْ

وأسى النزيل بها، فكاد غريبُها

بعبيبه للوطن الحبيب تذكرُا

سل عنهُ في يوم الإمام، خريدةً[1]

وضحُ الهدى من صفحتيها مُسفرْ

فزعتْ إلى القبر الطهور... وقلبُها

جزعًا عليه. من المحاجر. يقطرُ

بالأمس علَّمها التصبر في الأسى

وطحتْ بها البلوى.. فكيف تُصبِّرُ؟

هتفت به: يا موقظَ الإسلام قُم!

فالشرقُ بعدلكَ واهنٌ متعثرْ؟

كادت مآذنهُ تميد قبابُها!

وأذانها يرثى! ويهوى المنبرُ!

يا ومضةً من «كامل»[2] قد أشرقت

فَيْضًا من النعشِ الطهورِ يُحدِّرْ

هاجت على أوتار شاعره لظى

متخشعًا[3] يُخفى اللهيب ويسترْ

---

(١) إيماء إلى تأبينه المشهورة في فقيد الإسلام الإمام (محمد عبده).

(٢) نبي الوطنية وشهيدها الأول (مصطفى كامل).

(٣) متخشعا: متضرعا متذللا.

تذكو، فيرهبها الجلال، فتستحي

فتدسُّ أنفاسَ الضرامِ وتضمرُ

الشعلةُ الأولى بوادٍ مظلمٍ

هالاتها من أصغريه تُزرُّ

قلبٌ كأنَّ النيلَ أرضعهُ الندى

في المهدِ، قدسيُّ الشغافِ مُطهَّرُ

فإذا يحنُّ لمصرَ تحسبهُ الصَّبا

في فجرها فوق الخمائلِ تخطرُ

وإذا يثور لها، تخالُ مُروجَها

غيلاً يهيج على ثراه (الغضنفرُ)

مجنونٌ بالأوطانِ تحت لسانهِ

وجنانهِ نبعٌ لها متفجرٌ

إن الجنونَ بمصرَ أروعُ حكمةٍ

يوحي بها شرعُ الوفاءِ ويأمرُ

قم عاتبِ الأوطانَ (حافظُ) هاتفًا

بهواه.. إنَّ جنانَها متحجرٌ[1]!

شبرٌ إذا ينصفهُ شعبكَ جاحدًا

فالنيل في يوم الفخار سيذكرُ

خبلَ الحزانى حين رنَّ لبؤسهم

غرباءُ بالفودِ المفاجئِ بشّروا

---

(1) مازال تمثاله حبيسا.. حتى عن نور الوادى الذى استشهد (مصطفى) فى سبيل حريته!.

يا ساوا واجراحُ الزمان دهينةً

كسرائرٍ . فى قلبه . لا تُحْصَرْ

انكى لساى ولم أر الشادى به

لكنهُ نسبُ الجحودِ مزمنٌ

○ ثورة الإسلام... في بدر ○

«بجهد التذكر استطاع الشاعر أن يلحق ما
ضاع من ألحان هذه القصيدة...»
ألقيت سنة ١٩٣٢ في مهرجان ذكرى غزوة بدر
١٧ من رمضان بجمعية الشبان المسلمين.

خفقَ القلبُ بالنشيدِ المُطهَّرْ
فدعِ الشعرَ والأغاني.. وكبْرًا
وإذا شئتَ نغمةً.. فدعِ الرو
حَ - جلالاً - من شرفةِ الغيبِ تَنظُر
وتهيَّأْ للوحي يأتيك بالشعـ
ـرِ كمنسكابِ ديمةٍ تتفجرْ
وتلفَّتْ لمربعِ الجنِّ في البيـ
ـدِ ترَ الجنَّ غيرةً يتفطَّرْ
فاحكِ للجاحدين يا شاعرَ الخلـ
ـدِ أساهُ! وصفْ مناحةَ (عبقرْ)!

هكذا قال لى صدى مُلهم الوحـ

ـى فاصغيتُ لحظة كالمخدرْ

وانتظرتُ الإلهامَ حتى إذا ما

رنَّ بى هاتفُ الخيالِ المصوَّرْ

رجفت فى الجنانِ كالزعزعِ القصَّافِ (م)

تغلى بجانبىَّ وتزارْ

من عجاجِ الهبوب هاجت صباحًا

ثورةً فى الرمال هبَّتْ تَزمجرْ

قيل: (بدرٌ) فزلزلتْ هداة النائى (م)

وكاد النشيدُ بالدمِ يقطُرْ..

اقبلتْ كالعجاج(١) فى هبوةِ الحرْ

بِ (قريشٌ) على الحصاض تُغيرْ

كل ذى سحنةٍ كغاشيةِ الليـ

ـلِ، وهولٍ يرتاع منه الغضنفرْ

يتنزَّى بسفههِ من ضلالٍ

هُو أعمى لديه والسيفُ مُبصرْ!

ملةٌ من قرابهِ وهو خزيا

نُ لأىٌّ من الرجال يُشهرْ

---

(١) العجاج: الغبار والدخان.

لو مضى يستشهرهُ ساعة الرّو

عِ لرداه كالحطامِ المبعثرْ

عجبًا للحديد يُهدى إلى الحق(م)

وهاديه كالضرير المحيَّرا

....

حشدوا موكب المنايا وخفُّوا

لضياءِ الإلهِ غاوين فُجَّرْ

يتراءون كالصواعقِ في الرمـ

ـلِ، ووجهُ الضحى من الرَّوعِ أغبرْ

كالشياطين جلجلت في دُجى الليـ

ـلِ وهاجت في البيد تعوي وتصفرْ

أرزمت فوقهم سيوفًا وريمت

من تناديهمْ أضاةٌ[1] ومغفرْ[2]

زلزلوا راسي الجبال وراحتْ

منهم البيدُ تقشعرُّ وتُذعرْ

ومضى الشركُ بينهم مزعجَ الهيـ

ـجاءِ، طيشانَ كاللظى المتسعرْ

جمع الهولَ كلَّه في يديهِ

ومضى بالحسام في الهولِ يزفرْ

---

(١) الأضاة: المستنقع من سيل أو غيره، وتشبه الدرع بالأضاة فيقال عليه درع كالأضاة.

(٢) مغفر: زرد ينسج يلبس تحت القلنسوة.

إن يكن كِبْرهُ أجنَّ البلايا

لنبيِّ الإسلام.. فالله أكبر!

....

سجدَ (اللات)(١) مؤمناً! وجثا (العُزّى) (م)

يناجي (مناةُ): يا صاحِ ابشرْ!

هل في ساحنا ومهبِّضٌ من النو

ر غريبُ الشّعاعِ، خافي التصوُّرْ

ذرُّهُ ارعدَ الصفا! واحال الصخر (م)

روحاً يكادُ في الرمل يخطرْ

لا من الشمس فيضُهُ فلكم شمتْ (م)

علينا فلم تَرُعْ أو تبهرْ!

لا من النجم لمحُهُ.. فلكم لا

ح كنيهِ الضهاء! وهْنانَ! أصفرْ!

قد نُبِخنا به! ومن غابر الدهـ

ـر نُسَخُنا البلى ولم نتغيرْ!

ألّهونا.. وعفّروا. وهمُ الصيد (م)

عُلاهم على ثرانا المعفّرْ

صبر بنا يا (مناةُ) نخشع جلالاً

لسنا النور.. علّهُ اليوم يغفرْ!

---

(١) اللات والعزى ومناة.. أصنام عبدها كفار (قريش) وهذا تصوير لنور الإسلام حينما حل في محاريب عبدة الأصنام من المشركين!

عجباً! خرّت المحاريبُ والأصـ
ـنامُ دكّا.. والعبدُ مازال يكفُرُ!

....

وعلى النخلِ خاشعٌ في عريشٍ
قدسيّ الظلال زاكٍ، منوّرْ
كاد من طيبه الجريدُ المُحنّى
من ذبول البلى يميسُ ويزهرْ
هالة تسكبُ الجلال، وتندى
بوميض الهدى يُفيقُ ويسحرْ
لو رمت كاسفَ البصيرةِ أعمى
عاد منها مبلّغَ القلبِ أحورْ
قصمًا ما أراه إنمّا.. فبني
أتحدى به ينلنَ المصوّرْ!
باسطً كفّه إلى الله.. يدعو:
ربِّ! حمّ القضا لدينك.. فانصرْ!
إنّ أجنادكَ البواسلَ قُلٌّ
وخميسُ العدوّ كالموج يزخرْ
خفقةٌ من كرى تجلتْ عليه
مال من طُهرها الرداءُ المحبّرْ[1]

---

(1) المحبر: المزين المنمق.

وإذا الوحي بارقٌ مُستهلٌ

من سماء الغيوب هنًا وبشْرْ

فانتضى سيفه! وهبَّ على الغا

رة بالصارم القويّ مؤزْرْ

ينفخُ القومَ بالحصا. فتدوّى

أسلاتُ الإسلام في كل منحرْ

وجنودُ السماء من كلّ فجٍّ

غُيَّبٌ للعيان! في القلب حُضَّرا

تُشعل النارَ في قلوب المذاكي

وتزجُّ الرجال نارًا تسعَّرْ

قوةٌ من جوانب العرش هبَّتْ

ذاب من بأسها الحديدُ المشهَّرْ

و (بلالٌ) يلقى (أميةَ) غضبا

ن.. فيغلي الغليل منه ويثارْ

امس.. كم حمَّل الصخورَ الذواكي

من لهيب الرمضاء تغلي وتسعرْ

ضجَّ من هولها الأذان! وكادتْ

تتهاوى لها أواسي المنبرْ

وهو اليومَ قاذفٌ صخرةَ المو

ت.. عليه تهوي.. فتردي.. وتكبرًا

ر (ابوجـــــهل) جـنـدلتــــــهُ قناةً

فهـــوى تحتَ جندلِ البــيــدِ يزحـــرْ

وقف الكفــر فــوقـــه يندبُ الكُفـ

ـرَا ويهـــذى على الرُّفـــاتِ ويهــذرْ

يا عـــدوُّ الإسلام! خــذها من الإسـ

ـلام.. ردتك كـــالقنا المتكســرْ

طعنةٌ من (مــعـــاذٍ)(١) اخـــرس فُوها

فــاكَ.. بعـــدمــا كنت تَهْــى وتامُــرْ

لـكـانـى بـمـعـظـمـكَ الآنَ يـمـصـطـكُّ (م)

ويغلى من الأسى والتحـــــــمُّرْ

وشظايا اللســـانِ ندمــانةٌ كــا

دت لنور الهـــدىَ حنينًا تُكبـــرًا

تمراتٌ فى كفِّ أعـــزلَ، جـــوعـــا

نَ، هضـــيمٍ بين الوغىَ مـــتـــمـــثـــرْ

عـــربىٌ من شـــيـــعـــةِ الله وانٍ

عن صـراعِ الهـيـجـاءِ. حــزنًا . تاخـرْ

حـــينـمـــا شـــاهدَ النبىُّ تلظَّتْ

جـمـرةُ النصــرِ فى حـشــاهُ المفـتَّرْ

---

(١) معاذ: أحد صحابة النبى ﷺ.

ـلُ من روحـه حـسـامًا ومن اسـ

ـلامـه في مـسـابحِ الروعِ خنجـرْ

هكذا نجـدةُ السـمـاءِ احـالتْ

واهـنَ الجـسمِ كـالعـتيِّ المدمُّرْا

فـإذا النصـرُ صـيـحـةٌ هزَّت الدنـ

ـيـا وراعت بروجَ (كـسـرى) و (قـيصـرْ)

وإذا (بدرٌ) خـفـقـةٌ في لسـانِ الشـ

ـرقِ يُزهى على صـداها ويفـخـرْا

ر

○ أنا شاعر الوادي.. وعزّاف اللظى!! ○

«ما ألقيت في ظلال المنصورة يوم احتفالها بمحمد محمود باشا في أثناء رحلته السياسية في ٢٧ مارس ١٩٣٧»

لمحتْ ركابكَ . يا مُظفَّرُ . مثلما

لمحَ الحجيجُ بظلِّ «مكة» زمزما

فأتتكَ حاشدةً.. تكادُ سماؤها

تهتزُّ فوقكَ فرحةً وتبسُّمًا

بلدُ الهوى والسحرِ.. هزَّ ملاحني

فهفوتُ نحو ظلالهِ مترنّما

كادت مباهجها تُنسي خافقي

سحر الصعيد، وما أفاض وألهمَا

قد كنتُ أحسبها خميلةَ شاعرٍ

شدهُ الربيعُ خيالهُ فترنّما

فإذا بها للحقِّ ثورةُ ثائرٍ
نسخَ التصنُّمَ على الضلالِ جهنما

بالأمسِ لاذَ بظلها متجبرٌ
ضاقت به الدنيا فثار وبعدما

صلفُ الزعامةِ غرَّهُ فمشى بها
يُرغي ويزبد فوق شُطآنِ الحمى

زعم المواطنَ كلها أجنادهُ
ولو استطاع على الورى لتزعَّما

معبودُ قومٍ.. كلما نادى بهم
سجدوا لديه ضلالةً وتأثُّما

أيبسًا والأصنامُ أقدسُ حُرمةً
منه.. وأوهنُ في العبادةِ مالَما

دينُ الحجارةِ صامتًا لكنهُ
طلبَ الصلاةَ لنفسهِ متكلِّما!!

قل للزعامة[1] بعد ما أودى بها
عضُّ الأناملِ حسرةً وتندُّما:

أين الرفاقُ؟ ألا فنوحي بعدهم
قد صار عُرسُكِ يا كئيبةُ مأتما

---

(١) المقصود به زعامة الحزب المعارض (الوفد) آنذاك.

وعطلوك! حتى صم منعلك عنهم
تركوك ثاكلة السواعد! أيما!
أصبحت في التاريخ دمعة ظالم
نار العدالة أو سعته تضرما
تركوك حتى صار . فرط ضلالة
صنم القدامة في حماك مهشما
هذا حمى «المنصورة» انصدعت به
أسس معقلك القديم فحطما
بلد الفدا والتضحيات.. أبى لها
شرف الكرامة أن تقاد وترغما
«دار بن لقمان[1]» ودارة حصنها
ودت مدارج سجنها لك سلما
نبذتك نبذ الريح ذابلة الصفا
ودعت عليك تسخطاً وتبرما
وشبابها ترك الضلال وعافه
فغدا مسيرك في ثراه محرما
قد لاذ بالوطن الذي برحابه
الجهل، والنيل المقيد قد احتمى!
زرت الصعيد.. فكان ركبك مهجة
والشعب يجري في لفائفها دما

(١) معقل قديم بالمنصورة سجن به الملك لويس التاسع ملك فرنسا في أثناء الحرب الصليبية.

وعطفت بالدلتا .. فكاد نخيلها

يجثو لديك محييًا ومسلما

ومصابحُ الرِّياحِ أصبح موْجُها

يدعو لركبك في الشطوط منغمًا

والسنبل المفتون يرقصُ فرحةً

و«السروُ» يبدو في الخشوع متيما

دنيا من الأفراح يخفق بشرها

أنّى حللتَ منَ الديار، وأينما..

فاقم بظلّ الحقّ أرسخ دولةٍ

في النيل طابَ زمانها وتنعما

واسمع نشيدَ الشعر! فهو مشاعرٌ

فاضَ الولاءُ بها فهاجَ ورنَّما

أنا شاعر الوادي وعزّافُ اللظى!

إما شهبتُ جنّانهُ متألما!

أهدى العطور لمنْ يغنى لبلادهِ

وأسوق للطاغى الخؤون جهنما!

لاموا على الشدوا قلت رويدكم!

من ذا يلوم العبقريَّ الملهما؟

غيرى يسوق الشعرَ فضل بلاغةٍ

وأنا أفجّر في منابعهِ الدّما!!

ن

○ لم يَطب للنّبوغ فيك مُقامْ ○

«لحن حزين عزفته ذكرى الأديب العربي
الخالد مصطفى صادق الرافعي
١٩٣٧

لمَ يطبْ للنبــــوغ فــــيكِ مُقــــامُ..
لا عليكِ ـ الغـــداةَ ـ مني ســــلامُ!
المنـاراتُ تنـطفي بين كـــفــــيـــ
ـكِ! ويزهو بشـــاطئــيكِ الظلامُ
والصَّـدى من مناقـرِ البُومَ يحيــا
ويمــــوتُ النشــيــدُ والإلهــامُ
قد حبوتِ النصيب ظلك.. لكنْ
أين قـرَّتْ بظلكِ الأنغـامُ؟
في هجـــيــر الأيام تمضي أغانيـ
ـكِ حيارى يلجُّ فيها الضرامُ

عبرتْ مصبغ الجداول، والنهـ

ـر، وغابت كأنها أوهامْ

تسكبُ السحرَ من شفاهٍ عليها

مصرعُ السحر: لهفةٌ! وأوامْ

تسكبُ العطرَ والخمائلُ صفرٌ

مات في الأيك نورُها البسامْ!

تسكبُ البرءَ من جراحٍ.. عليها

ترعشُ العمرَ شكوةٌ وسقامْ!

أنتِ يا (مصر): واصفحي إن تعتّبـ

ـتُ وأشجاك من نشيدي الملامْ..

.. قد رعيتِ الجميلَ في كل شيءٍ

غير ما أحسنتْ به الأقلامْ!

من روابيك خفَّ للخلدِ روحٌ

قد نماهُ لعصرك الإسلامْ

لبستْ بعده العروبةُ ثوبًا

صبغُ أستاره أسىً وقتامْ

لم تُفقْ من شجونها فيه (بغدا

دُ)! ولا صابرتْ أساها (الشامْ)!

وعلى (بلدة المعزّ) دموعٌ

خلدتْ ذكره بها الأهرامْ

صاحبُ المعجزاتِ أعيتْ حجا النـ

ـها، وعيّتْ عن كشفها الأفهامُ

يخبأُ الحكمةَ الخفيةَ في الوحـ

ـي كما تخبأُ الشذا الأنسامُ

ويزفُّ البيانَ كالسلسلِ المسـ

ـكوبِ تهفو بشطهِ الأحلامُ

فإذا رقَّ خلتَه قُبلَ الفجـ

ـر على نارها يلذُّ المنامُ

أو حديثَ النسيمِ للزهرةِ السكـ

ـرى.. من الطلِّ كأسُها والمدامُ

أو حفيفَ السنابلِ الخضرِ.. رفّتْ

في رباها قنابرٌ ويمامُ

أو دُعاءَ النسّاكِ.. ابتلتْ صداهم

في حمى الله سكرةٌ وهيامُ

وإذا ثار خلتَه شهبَ الليـ

ـلِ أطارتْ لهيبَها الأجرامُ

أو شواظًا مسطرًا.. قذفته

من لظى المقتلِ هيجةٌ وعُرامُ

أتعبَ الجاهدين خلفَ مراميـ

ـهِ بقصدٍ منالُه لا يرامُ

أصيدُ الفكر واليراعةِ والوحـ
ـى.. على كبرهِ يفلُّ الحسامُ

حيَّر النقدَ أن تروغَ المعانى
عن مريديه، أو تندُّ السهامُ

فانزوى الحاسدون.. إلا فضولاً
لا يداريهِ عائب شتَّامُ

قد سقاهم من منِّهِ مصرعَ الرو
حِ وإن لمْ تلاقهِ الأجسامُ

فلتقم بعد موته ثورةُ الشا
نى.. فقد فارق الوغىَ الصمصامُ

ولهُ الشأنُ.. عزةً وخلودًا
ولهمْ شأنهمْ صدىً وكلامُ..

إيه يا ساقى «المساكين»[1] كأسًا
لم تسلسلْ رحيقها الأيامُ

قد جلعتَ الآلامَ وحيكَ حتى
فجرتْ نبعها لكَ الآلامُ

ما الذى كان فى سحابتك الحمـ
ـراء إلا الشجونُ والأسقامُ!

---

(١) إشارة إلى كتاب المساكين للرافعى.

كنتَ في عـــزلةٍ مع الوحي تشكو

ولشكواك كـــاد يبكي الغمـــامُ

تمسحُ الدمعَ من عـيـونِ اليتـــامى

وببلواك يـنشجُ الأيتـــــامُ

منذ عـهـد البـيـان لم ترخصِ القـو

ل، ولا شـابَ سـحـركَ الإعجـامُ

وتفـــردتَ بالصـيـاغـــة.. حـتى

فهل في عـــالم البـيـــانِ: إمـــامُ!

ووهبتَ (الفـرقـان) قلبكَ.. حـتى

فـــاض من قـبـســهِ لكَ الإلهـــامُ

فـبـعـثتَ الإعـجـازَ كـالشـمس منه

يتـهـدى علـى سنـاهُ الأنـــامُ

فـقم اليومَ! وانظر الشـرقَ!: ضـاعتْ

من يـديـهِ مـــواثـقٌ وذمـــامُ

مـــزقت قلبَـهُ الذئابُ من الغــــا

بِ.. ونـامَ الـرعـــاةُ والأغـنـامُ!

في (فلسطين) لو علمتَ جـــراحٌ

مـالهـــا في يد الطغـــاةِ التئـــامُ

وطنُ الـوحـيِ، والنـبـــواتِ، والإلـــ

ـهـامِ.. أودى! فـعـاث فـيـهِ الطغـامُ

جذوةً في جوانح الشرق تغلي

فيروعُ السماءَ منها اضطرامْ

يُنبئُ القومَ في المجازرِ - فرطُ الظلم (م)

فيها - كأنهم أنعامُ

ويهانُ (المسيحُ) في موطن القد

س، ويشقى بأرضه الإسلامُ

وحماةُ البيان خرسٌ.. كأنُّ النودَ (م)

عن كعبةِ الجدودِ حرامُ!

إيه يا «مصطفى» وفي القلب شجو

نٌ! وفي الصدر حرقةٌ وضرامُ

لهت لي سمعكَ الذي كرّمَ اللـ

ـهُ صداهُ! فصاتَ فيه الكلامُ

كنتَ والوحي عاشقين.. فماذا

بعد نجوى السماءِ يبغي الغرامُ؟

كنتَ والوحيَ في سكونٍ نبيٍّ

عادهُ في صلاتهِ إلهامُ

تتلقاهُ خاشعَ الهمس عفوًا

مثلما رفَّ بالغديرِ حمامُ

لا ضجيجٌ! ولا اصطخابٌ! ولكنْ

هداةَ الروح قد جلاها المنامُ

هكذا نعـــشك الطهــور.. تهـــادى

كـــالأمـــانى، لا ضـــجةً! لا زحـــامُ!

فـــاذهب اليـــومَ للخلودِ كـــمـــا كُنْـ

ــتَ.. تغـــاديك هداةٌ وســـــلامُ

لـم يمتْ من طواهُ فى قلبـــه الشْـ

ـرُ وغنّى بذكـــرهِ الإســـلامُ!

ن

○ الشعاع المقيد ○

«إلى هالة الوطنية التى تتفجر أنوارها من تمثال رسول الجهاد الأول مصطفى كامل.. وهو يرسف فى قيوده بين ظلام النسيان والجحود».

١٩٣٨

خذْ أماناً منَ الشُّعاعِ المقيَّدْ

فهوَ فى القيد جمرةٌ تتوقَّدْ

أو فذُقْ منْ شواظهِ اللَّهبُ الحرُّ (م)

فأنتَ المقيدُ المستعبدْ

ذقْ شواظًا لو مسَّه صاهر الأغـ

ـلال أضحى بناره يتعبَّدْ

من حواشى الرخام يسطعُ للأحـ

ـرار دينًا يهدى العبادَ ويرشدْ

هوَ نورٌ لكنه فى ظلامِ السجن (م)

نارٌ على القيود تمرَّدْ

ملءُ ذراتهِ اناشيدُ مجدِ

بصداها مجرُّ النيل أنشدْ

ذرةٌ ترعبُ الحديدُ على العنْـ

ـتا واخرى في الهول تُرغي وتزبدُ

غللته بالأمسِ كفٌّ ضلولٌ

تنصر البغى بالحسام المجردْ

شدَّ طغيانها عتيٌّ من الغرِّ

ب، على النهلِ كم طغى وتمردْ!

ملكته . والملكُ لله ! . دنيا

ظللها عاجلُ الفناءِ مبددْ

فمضى في مسابح الشرق كالأفـ

ـداءِ يشقى كما يشاءُ ويسعدْ !

كمْ عدا فاتكًا واحكم اغلالاً .

لأ عليها الرقابُ في الشرقِ تشهدْ !

في «فلسطين» ظلمهُ الدنـ

ـيا وما هزهُ الصراخُ المرددْ

وعلى «مصر» كم اذلَّ واردى !

وتمطى على النجوم وهددْ !

عبقريٌّ في القتلِ يدمى ويرتدَّ (م)

على الجرحِ باكيًا يتوجدْ

كم ســـقى النيلَ من ضـــروانه الهـــوْ

نُ وعـــــهـــــشـــــاً من المذلة أنكدْ !

وتمادى.. فكنتَ يا «مـــصطفى» الهـــوْ

لُ على هوله تثـــــورُ وترعـــــــدْ

فى غـــبـــاءِ المنهن! والنيل مـــــغفٍ !

وبنوهُ من سكرةِ الضـــيم هُجَّـــدْ

قـــمتَ كـــالعـــاصفِ المجلجل تجـــتـــا

حُ فـــــلا تـنـثـنى ولا تـتـــــردَّدْ

تلبسُ القـــهــدَ من جنانك قـــهـــداً

حـــزَّهُ فى الحـــديدِ نقشٌ مـــخلد

هتـــفـــاتٌ بحبِّ مـــصـــرَ ومـــوتٌ

فى هواها ! ونشـــوةٌ! وتعـــبـــدْ

وصــــلاةٌ بمجـــدها.. كنتَ فـــيـــهـــا الـــ

ـــعـــابدَ الصبُّ والشـــواطيء معـــبـــدْ

وذيادٌ عن حـــرمـــة الوطن الشـــا

كى بعـــزمٍ «كنهله» ليس ينفـــدْ

ودفـــاعٌ عن الحـــمى كنتَ فـــيـــه

مـــا لغيـــر الحـــمى تروم وتقـــصـــدْ

فـــارسٌ فى قـــتـــامة الليل تمضى

بشـــهـــابٍ من السمـــاءِ مـــؤيدْ

مـــشـــعلٌ في يديكَ شــرّدَ بالأمْــ
واءِ جُنْحًا على الشـــواطئِ اربدْ
كنتَ تَسـرى به فـتُهضُ فـانيـ
ـنَ عليهم شيخوخةُ اليأس تُقعدْ
بضياءٍ من الهدَى انعشَ الشرْ
قَ وطرفُ الزمانِ في مصر ارمدْ
وبيانٍ كـأنه لهبُ البـرْ
كانِ تختارُ جمرهُ وتنضّدْ
كلُّ لفظٍ من الصـراحةِ سهمٌ
في حشا الغاصبين ماضٍ مسددْ
هاتِ لى من صداهُ نبرًا، لعلى
انفثُ النارَ من صداىَ المغردْ
هاتهِ فالجحودُ واراهُ فى سجْ
ـنٍ على شاطئِ الليالى مشردْ
في زوايا النسيان قبرٌ.. وذكرٌ ..
ورُخامٌ في الصمت لهفانُ مُكْمَدْ
كاد ينضو الأستارَ عنه وينفى
انا رمزُ الفخار يا نيلُ فاشهدْ !
انا علمتك الوثوبَ على القيْـ
ـدِ! وعلمتنى الأسى والتنهدْ !

مـــا الذى فى الضـــفـــاف نســـالك روحًا

ذاق من أجلك الرّدى واستـــشـــهـــدْ؟

أشـــيـــوخٌ على الكراسىْ هاجـــوا

وهىَ من هزلهم تمتـــدُ وترعـــدْ ؟!

أمْ شـــبـــابٌ على ترابك يمـــشى

حـــول ساقـــيـــة كـــالأســيـــرِ المصفـــدْ ؟

خـــانعٌ فى حـــمـــاك.. ينتظرُ البـــعْـ

ـــثَ ليـــمـــضى إلى الأمـــام وينهـــدْ

علمـــوهُ. والرزقُ فى مـــصـــرَ رهنٌ

بـــرجـــــاءٍ ! وذلـــةٍ ! وتـــوددْ !

كـــيـــف يُلقى بعـــزمـــه تحت نعليْـ

ـــه وفى الذلِّ يســـتنيمُ ويرقـــدْ !!

مـــا الذى فى الضـــفـــاف نسألك يا «نيل» (م)

هوى ذلك الشـــعـــاع المقـــيـــدْ؟

فـــمنحتَ النـــمـــثـــالَ شـــبـــرًا.. عليـــه

تلةُ الـدود فى البلى يتـــمـــردْ !

وحـــرمتَ الجـــهـــلاء فـــجـــرًا من النور (م)

يُهـــــدى إلى عـــــلاك ويرشدْ

« دمعةُ وفاء !.. »

«.. على فقيد دار العلوم المرحوم «أبى الفتح الفقى» »

ما ترى يا حزينُ تشدو المزاهرْ
بعد ما خُدِّرتْ بلحنِ المقادرْ !

لا تَرُمها شوادى النغم العذْ
بِ، طرابًا بالأغنياتِ السواحرْ

عبثٌ فى الفناء أنْ ينسى الكرْ
بةَ أو يوهنَ الفجيعةَ زامرْ

من يكنْ لحنهُ يهُزُّ الحنايا
فلحونُ الرّدى تنيبُ المرائرْ

وإذا الشاعرُ الطروب تغنى ..
قالهُ عنهُ !! فالموتُ أبلغُ شاعرْ !

• • •

طفتُ في ساحة البهتان وقلبي
راجفُ الحسّ، مستطارُ المشاعرْ
والضحى واجمُ الظلال، كسيفٌ
باهتُ النور، مطرقُ الزهر سادرْ
جمدَ الطلُّ في الكمامِ وماتتْ
فوحةُ العطرِ في جيوبِ الأزاهرْ
ورمى الطيرُ عوده غيرَ ندما
نٍ عليه، وعافَ ضربَ المزاهرْ
كلما خفّ هائجٌ من أغانيـ
ـه تمايا فذاب طيَّ الحناجرْ!
سكتتْ في العشاش عصفورةُ النيـ
ـل.. وشلَّ الأسى صداحَ القنابرْ
وكأنَّ السماءَ خيمةُ شيخٍ
شدَّ أطنابَها حبالُ المقابرْ
غمرَ الشكلُ روحهُ بصماءٍ
وشقاءٍ ووحشةٍ وديَاجرْ
لا يحسُّ الحياةَ إلا زفيرًا
نفختهُ الشجونُ حولَ الحفائرْ!
إنها صرعةُ الفناءِ أثارتْ
كلَّ قلبٍ وأذهلتْ كلَّ خاطرْ

طلسمتْ سرها القلوبُ وارختْ

دونها للورى كثيفَ الستائرْ

طمحتْ أعيني إليها، فردتـ

ـها صراعًا إلىْ حيرى حواسرْ

ما لها سلوةٌ عن الحزْن إلاّ

مسكبٌ من مرقرق الدُمع مائرْ

قلبتْ طرفها طويلاً فلم تبـ

ـصر سوى لمعةِ الدموع المواطرْ

تتهاوى حبالها من عيونٍ

كاسفاتٍ من البكاءِ غوائرْ

يا «ابا الفتح» كنتَ هالةَ نورٍ

قبستها فاشرقتْ فى البصائرْ !

غبتَ عنها.. ولم يغبْ لك ومضٌ

زاخرُ اللمع خالدٌ فى الضمائرْ !

انملاتُ الطبيب راحتْ تواسـ

ـلك من الداءِ وادعاتٍ غرائرْ

خدَعَ العلمُ طرفها فتهادتْ

فوق جنبيك تبتلى وتغامرْ

فإذا راحةُ المنيّة صدفـ

ـها فخرّتْ على يديها صواغرْ

ويحها ! لو نضت حجاب المنايا

عرفت أنها لديه تقامر !

هللت للربيع زنبقة الريـ

ـف، وماست له الورود النواضر

فتهادت كالشعاع إليها

تنشد العيش فى الظلال الزواهر

ـسجوة تحت أيكها لك مهد

ناعم الفىء، باسم الضوء، عاطر

يتلقاك فى خشوع ويضغى

حيرَ الزهر فى خطاك الطواهر !

ـسرت للدلجمون[1] عجلان. مانا

ـضرُ يا ربُ لو تأنى المسافر !

نصلت خلفك القلوب حيارى

واجفات تحت الضلوع صوائر

لو ونى الدمع عن صداها تلظت

جمرات ملذعات سواعر

كنت تسرى والناس حولك سيل

جارف فى الشعاب كالموج هادر

(١) الوطن الأول للفقيد وقد شيع إليه نعشه ودفن به.

خيلَ تمتيارهُمْ وراءكَ نشا

كمــا تراموْا على حواشى المنابرْ

اقلقوا مسمعَ الأصيل صراخًا

ونحيبًا وفزّعوا كلَّ عابرْ

اخذوا إخذةَ المؤمل دكّتْ

صرح آماله الجدودُ العواثرْ

كلّما رنّ خافقٌ من صداهُمْ

لطمتْ خدها كرامُ الحرائرْ !

اطّرقَ السُنْبُلُ الحزينُ وجُنّتْ

من اسى خَطْبِك الطُيورُ العوائرْ

حسبتْ نعشك المطَهرَ طيرًا

للجنان الفساح فى الخلدِ سائرْ

فتسامتْ فى الجوّ صوبكَ غيرى

تتهدّى العلا بأقدس طائرْ

ووصلتَ الضفافَ من لجة المو

ت، وكلٌ لشطها بعدُ صائرْ

لانمالُ الشقوقِ تعصمُ منها

لا ولا فى البروج صيدُ القياصرْ

هى أسطورةُ الزّمان، ولغزٌ

من يردْ حله فلا بدَّ خاسرْ !

وزجفنا خُرْسَ البيان! فصاح الدمـ

ـعُ! صمُّ القلوبِ ! عُمْيُ النواظرْ

كلٌّ من جوارحٍ تتنزى

كهشيمٍ من البلى متطايرْ

من يشأ سؤلنا نطقنا دموعًا

وجوابُ الحزين ذوبُ المحاجرْ!

سلْ شحوبَ المساء، كيف احتوانا

في جحيمٍ من التأوه ساعرْ

لو نفخنا به لكنّا رياحًا

سافراتٍ على متونِ الهواجرْ

شرَدَ الليلُ نوحنا في حواشيـ

ـهِ وقلبُ الدجى سريرةُ كافرْ !..

○ ويعيشُ أحرارُ العقول بظلها.. غرباءَ..○

○ . فى تأبين المرحوم أمين لطفى بمسرح حديقة الأزبكية يوم ١٤ من فبراير عام ١٩٣٦م.

وترٌ على شطِّ المنية غافى
شلتْ عليه أناملُ العزّافِ

ماتتْ أغانى الروحِ فوقَ مهادهِ
وذوت رؤى الأشباح والأطيافِ

يا منْ عشقتَ نشيدهُ متسلسلاً
من هائجٍ صخبٍ، ومن هفهافِ

إن كنتَ ذا حسٍّ عليه ورحمةٍ
مزقْ بقلبكَ مئزرَ كلِّ شغافِ

قد كانَ ملهمهُ الحبيبُ منغمًا
فى زورقٍ حولَ الضحى طوافِ

ملاّحهُ ملكٌ يقودُ زمامهُ
فى هالةٍ منْ نورهِ الرفرافِ

يسري به والطهر مدّ شراعهُ
لجلال مرفأةٍ وقدسٍ ضفافِ
في جوقة النوتي أيقظ روحه
شجن المساء بهمسة الزفزافِ
فشدا ورنّم والطيورُ حياله
خرسُ الحناجرِ هُجّعُ الأطرافِ
تصغي له نشوى كأنّ هتافهُ
زفُّ الصدى لقوادمٍ وخوافي
وهبتْ له مزمارها فأعارهُ
لحنَ الضحى وقصيدةَ المجدافِ
واليمُّ صديانُ الحشا متلهفٌ
ظمئًا لشدو السابح الهتّافِ
والكونُ أشيبُ خدرته نغاثهٌ
هاجتْ بها ذِكَرٌ لديه خوافي
يا منْ رأى الدنيا تَحارُ سفينةٌ
تجري على نور الصباحِ الضافي !
وأتى المساءُ لحظها متجهمًا
يطوي السنا بحوالكِ الأسدافِ
دَجْوانَ مصطخبَ الرياحَ تنوح في
قلبِ الدجى بالزعزع القصافِ

فتهافتَ الملّاحُ يطلبُ نجوةً
من يمِّه المتوثبِ الرجافِ

سبقَ الردى لكَ يا مؤملَ خلده
وطحا به الريح العتيُّ السافى!

سلْ عنهُ فى يوم[1] «استفانو» موقفًا
خلدَ الوقوفَ به على الأعرافِ

كفٌ مطهرةٌ تصافحُ أختها
فيقالُ: آلعةً من الأجحافِ

وتروح كفَّ الظلمِ تبسطُ خمسها
نقمًا.. وتسرفُ أيما إسرافِ

والله يشهدُ أنها ما استأثمتْ
يومًا ويشهدُ ساحلُ المصطافِ

عذريةً مدتْ أناملها هوىً
ومحبةً تهفو لخلٍّ وافِ

فيحوطها الشكُّ الأثيمُ وينبرى
لعقابها اللاحى بلا إنصافِ

وهى التى لولا مستْ قلبَ الصفا
لأذاعَ عطرَ الروح للمستافِ..

---

(١) فى عهد سياسى غاشم. صافح الفقيد صديقه الوفى معالى النقراشى باشا «مكازينو سان استفانو» بالأسكندرية. فلقى من الحكومة حينئذ كل عنت واضطهاد.

وعقيدةٌ كادتْ تضيءُ قداسةً

إنْ غالَ صبحَ القومِ ليلُ خلافِ

إن عاشَ فيها المستضامُ فراهةً

فهو الذي يرضى بعيشِ كفافِ

شرفُ الجهادِ عقيدةٌ لم يغنها

بهجُ الحلى وبهرجُ الأفوافِ

يا أمةً يُسقى المداهنُ بينها

شهدَ المنى، والحرُّ كأسَ زُعافِ

ويعيشُ أحرارُ العقولِ بظلها

غرباءَ من عنتِ الزمانِ الجافى !

أفمنْ يظلُّ على المبادىء ثابتًا

قذفَتْهُ فى البؤسِ شرُّ قذافِ

ودفنتِ فى وضرِ الجحودِ ضياءهُ

دفنَ الثرى للجوهرِ الشفافِ !

ماذا عليك إذا سقيتِ غراسهُ

حبا، وقد أولاكِ عذبَ قطافِ؟

كرَّمتِهِ بعدَ المماتِ ومنْ سوى

كفيكِ زفَّ الموتَ أىَّ زفافِ !

قدْ كانَ فى الصمتِ المجاهدِ آيةً

أعيتْ سرائرها حجا الوصافِ

نارٌ تئزُّ بجدولٍ مترقرقٍ

ولظى يشبّ بزنبقٍ رفرافِ

وذبالةٌ تذكي الفناء لعمرها

وخيوطها بالنور جِدُّ ضوافي !

هو ذا الجهاد فلا تقلْ بوقُ اللهى

يهدي بطنطنةٍ ورجفِ هُتافِ

كم حكمةٍ صرخت بمنطقِ شاعرٍ

ونصيبهُ منها خيالٌ خُرافي !

ه

إلى ضمير الإنسانية ..

○ زفرةٌ على «فلسطينَ» الدامية! ر

«... وإلى ريح «التاميز» العاتية!»

١٩٣٧

صوتٌ بأرض «القدس» مشتعلُ الصدى

كادتْ له الأكبادُ أنْ تتوقدا

لما تأوهَ صارخاً بينَ الورى

أسيانَ يرزمُ تحتَ نيرانِ العدا

جزعَ «المسيحُ» له ولولا طهرُهُ

ما مدَّ للرحماتِ كفّاً أوْ يدا!

رهبانهُ في الغرب.. منبعُ حكمةٍ

ما غلّقتْ يوماً لملتمسِ الهدى

رشفوا منْ «الإنجيل» فيضَ رشادِهِ

وتخشعوا حول الهياكلِ سجدا

وشدوْا بملحمة السلام، ورنموا

مزمورةً للكونِ خلابَ الصدى..

لكنْ شعبهمْ أثار عجاجةً

فى الشرقِ طافحةً بأهوال الردى

فإذا التمائمُ التى هتفوا بها

من سورة الأطماع قد ضاعت سُدى

وإذا بلحنِ السلْم بينَ شفاههمْ

عصفتْ بهِ شهواتهمْ فتبددا!

تخذوا الرصاص شريعةً قدسيةً

وقذائفَ الأرواحِ نهجاً مُرْشدا

لم يرهبوا التاريخَ فى استعمارهم

أنّى سطوْا وكنزوهُ أروع سيدا

لطموهُ فى القدس المحرم لطمةً

كادت لها الأجيال أنْ تتهددا

مهدُ الشرائع منْ قديم.. مالهُ

أضحى لأحرارِ البرية موقدا

فى كلّ مرتبعٍ به وحنيةٍ

تلقى صريعًا فى الترابِ ممددا

هانتْ على البطل المجاهد نفسهُ

فسعى لحوضِ الموتِ يطلب موردا

ألقى إلى اللهب المسعر روحه..

وكذا يكون الحرُّ في يوم الفدا!!

الله في وطن النبوة نال من

شره الطغاة اليوم حظًا أنكدا

الفتنة الشعواء هاجت قلبه

لم تبق فيه كنيسة أو مسجدا

شرعت من الرق البغيض سلاحها

لتفزع الأقدار إمَّا جردا

صرخ الضعيف شكاية من هولها

فمحى اللهيب صُراخه فتشردا

فتخاله والصدر ينفث ناره

من كل زافرة تريق الأكبدا.

حملاً بيد الجزار دقت عمره

فقضى بصرخته على حد المدى!

محن مرزئة ا وموت عاصف

لم يبق شيخًا في الحمى أو أمردا

يارب واد في الصباح منضر

فيه ان باكره السنا فتأودا

لما دهته الحادثات ضحية

وسرى دخان الموت أقتم أربدا!

نفضتْ خمائلهُ شبيبة عمرها

وتصاوحت فنبتْ محيلاً اجردا

ما ذنبها؟ ما ذنبُ صيدحِها الذي

قد كانَ يسجعُ في الظلائل منشدا؟!

خنقتْ مزاهرهُ ! وماتَ نشيدهُ !

ونأى عن الوطن الحبيب وأُطردا!

لولاَ هياجُ الحرْديسَ مهادهُ

للـّوى بجنتهِ وظلّ مفردا!

* * *

يا يومَ «بلفور» وشؤمكَ خالدٌ

ما ضرَّ لو اخلفتَ هذا الموعدا؟!

عاهدتَ اعزالَ الجُسوم، سلاحهمْ

ما كانَ إلا الحقُّ صاحَ مغردا

وتركتهمْ رهنَ المطامع تبتغي

منهمْ على حرِّ المواطنِ اعبدْا

ثاروا بأرضِ الله ثورةَ عاجزٍ

سمعَ القويُّ شكاتهُ فتوعدا

هاجوا على الأصفادِ هيجةَ ناسكٍ

زحمتهُ آثامُ الصبا فتمردا

هجمتْ على النارِ المطهرِ في الدجى

فأثار عزلتهُ، وهاجَ المعبدا..

ضجوا على «نابلس»[1] حتى كاد من

صخبِ الأسى والحزنِ أنْ يتنهدا

عجباً ! يكادُ الصخرُ يدمعُ رحمةً

لهمُ ! وقلبُ الآدمي تجلدا

ومعالمُ الإسلام بين ربوعهمْ

كادتْ تزمجرُ لهفةً وتوجُّدا

بسطتْ إلى قدمِ النزيلِ رحابها

فبغى على قسماتها وتهددا

وهو الذي لولا نعيمُ ظلالها

لمضى على كنفِ الوجودِ مُشردا!

* * *

والشرقُ؟ ويحَ الشرقِ! نامَ أسودُهُ

عن ثائرٍ في القدسِ ضجَّ وأرعدا

شلتْ عزائمهم ! ونامَ جهادهم!

وتصرعوا في كلِّ مهدٍ هُجَّدا !

○

(١) جبل بفلسطين

جيلكمُ ماتَ.. فدسُّوا نعشهُ !

«يا وطني! لا أملك غير هذا القلم أنفث منه ثورتي الصامتة على جيلك.. وهو في غمرة التطاحن الحزبي لا يكاد يفيق!»

١٩٣٩

جيلكم شابَ.. فواروا ضعفه   واحرقوهُ بلظى الدّمّ الجديدْ

كفنوهُ من بلى أيامهِ   وادفنوهُ في ثرىَ الماضي البعيدْ

واذهبوا لا تندبوهُ للوجودْ !

هو جيلٌ لعبَ القيدُ بهِ   منذُ مارنَ على أرضِ الحمى

فاصعقوهُ ! واحطموا أصفادهُ   وافرعوا بالعزمِ أبراجَ السما

شرعةُ الأغلال جاءت للعبيدْ !

أمكمْ (مصرُ) وفي تاريخها   ما يرد الغربَ نديانَ الجبينْ

فاسألوها.. واسمعوا في تربها   يزعجِ الأفاقَ صوتُ الراقدينْ

من هنا تسطعُ أنوارُ الخلودْ !

جيلكم مات.. فدسوا نعشه فهو عارٌ في ضمير الزمن

مزقتْ قلب الحمى أطماعهُ فارجموه، يا شبابَ الوطن

ولأحزابِ الحمى شُقّوا اللحود !

السياساتُ كلامٌ وصدى وزعاماتٌ، وخلفٌ، وخصامْ

والكراسيُّ إذا أبصرتها موردٌ القلقُ شطية الزحامْ

فهي تنعى منْ أساها وتميدْ !

فانهضوا، فالعصرُ وثابُ الخطا ولكم من أمسكم أعلى مثل

وطنٌ يطمحُ لوْ نالَ السّها وتخطاها واسرى بالأملْ

وعلا بالنيل في هامِ الوجودْ !

○

○ العزلة ! ○

اتركوني وعزلتي يا بني الطيـ

ـن فإنّي في حماكمْ غريبٌ !

أنا في صمتها صلاةٌ .. فغضوا

واهجروا أرضها. فأنتم ذنوبٌ

واتركوني بظلها أتغنى

فغنائي لما جرحتمْ طبيبٌ

أنتم الهمُّ في دمي! وهي الفرْ

حةُ، والصحْوُ، والمنى والحبيبُ

○

○ شعر... ○

.. شعرٌ لوَ أنَّ الجنَّ تسمعُ شدوهُ

سجدتْ لدى جنِّ الصدى أرواحُها

ولوَ أنَّ همسَ نشيدهِ في حانةٍ

خشعَ النُّدامُ[1]، وكبرتْ أقداحها

ولوَ أنَّ سحرَ بيانهِ بمفازةٍ

لمضى بسلسلِ لحنهِ صفّاحها

ولو أنَّ تهويلَ الخيالِ بساحةٍ

خلفَ الغيوبِ لفُزعتْ أشباحُها

قدْ سابقَ الأرواحَ في وثبانها

وشأى فعطل عن صداه جماحها..

فإذا برقُ حسبتهُ قمرية

قد هاجَ أحلامَ الضحى تصداحها

(١) الندام، جمع نديم، المصاحب على الشراب المسامر.

أو نغمة في ثغر حادٍ مدلجِ
بين الكرى والصحو ذاب صداحها

عذبُ الحفيف على القلوب كأنهُ
دنيا أمانٍ قد زها إصباحها

خمرٌ.. تحدُّ الخمرَ فيه! وقل لها:
ما كرْمةُ الدنيا! وما تفاحها!

وإذا بثور بجنةٍ مخضلةٍ
زارتْ بأنفاس اللهيب بطاحها

نورٌ! ونارٌ.. روضةٌ! وجهنمٌ
وسطورُ فنٍّ معجزٍ إفصاحها

هذا الذي يا ناىُ تجحدُ سحرهُ
دنيا تنزُّ بجانبىَّ جراحُها..

ب

○ من مرج عبقر ... ○

«إلى روح المتنبي»

١٩٣٨

مــزمــارُ جنْ بتــيــهِ الكونِ مــفــقــودُ
تصــرعتْ بعــد مــا غــاب الأناشــيــدُ
مــغلفٌ فى جــيــوب الغــيــب، لجْ بهِ
فى ســرمــدٍ منْ ظلالِ الموتِ تخليــدُ
تســاءلتْ عنه أرواحُ الفــلا. ومــضتْ
تضجُ من وحــشــةٍ فــيــهــا الجــلامــدُ
واســبلَ النجمُ اجــفــاناً مــحــيــرةً
أمــضــهــا من عــذاب البــين تســهــيدُ
مطروفــة من غــبــار الدهر اتعــبــهــا
طــولُ التــمــلى، وإمــعــانٌ، وتفنيــدٌ

ترصدت موكب الدنيا فأزعجها

أنْ شلَّ خطونها في الذرْ تأييدُ

فأرعشتْ في الدجى أهدابها خبلاً

كأنما غاب في سودائها عودًا

وضاعفتْ علةَ الأنسام سفرتها

جوابةً.. حظها في السهر منكودُ

تمرُّ بالدهر حيرى.. ما تهامسهُ

إلاّ ويرمضها منْ فيه تنكيدُ

تقولُ : هذا عجيجُ اللحن محتدمٌ

ترنُّ في جرسه السارى الأغاريدُ

وأين . يا زهر . نايٌ كان ملْهمهُ

ما أسكر الكونَ من نجواهُ ترديدُ

هذا النشيدُ فمُ الدنيا يردده

فأينَ من سحرهِ القيثارُ والعودُ؟

فطَّرحَ النورُ أكماماً مخضلةً

وفتّقتْ نفسها منهُ الأماليدُ

وذابَ في مهدهِ عطرٌ يؤرجهُ

وغابَ منْ خده سحر وتوريدُ

واهتزَّ هزةَ أوّاهٍ يرنحهُ

في سورة الذكر إيمانٌ وتوحيدُ

وقال : كم مرت الأجيال عابرة

ولحنهُ في فم الأجيال غِرّيدُ

لكنها وجمتْ مثلي . وقد سئمتْ .

وغال نبيانها عيّ وتبلدُ !

وإذ بعاصفة هوجاءَ قد صعقتْ

لهولها الجنُّ والآطام، والبيدُ

كأنها صيحةُ الأقدار، مذ عصفتْ

ما طاقها في شعاب الأرض موجودُ

من مرج (عبقرٍ) قد هبتْ مجلجلةً

كأنها من عتاةِ الجنّ تهديدُ

في قلبها .. إن رقّ، تحسبهُ

نارية ردها في الليل ممدودُ

وإنْ قسا فقلوب الناس واجفةٌ

والأرضُ لاهفةٌ، والكونُ رعديدُ

ألقت على الزمنِ المجنونِ حكمتها

فراح يهدي بها شيخٌ ومولودُ

واطربتْ مسْمع الدنيا بنغمتها

كأنما نفخ المزمار «داودُ»

تلقنُ الشرقَ الهيّابَ سورتها

فيغتدي وهو في الهيجاء صنديدُ

صهباءُ ما جاورتْ كاساً، ولا شُربتْ!

ولا استقلَّ بها فى الكرمِ عنقودُ

مازال ندمانها حيرانَ تكربهُ

ضلالةٌ عن مجانيها وتشريدُ

حتى أتى «حلبُ» الشهباءَ منتشياً

وجسمهُ من ضنى التسيارِ مهدودُ

فراعه ما رأى من سحر مشهدها..

الخمرُ أخيلةٌ، والعقلُ راقودُ

ومزهرُ «المتنبى» عازفٌ هزجٌ

معلقٌ بأواسى النجمِ مشدودُ

يفجرُ اللحنَ إما رنَّ صادحهُ

خرت على وجهها من سحرهِ الصيدُ..

فزمزمتْ شفتاه برهةً، ومضى

والقلبُ من سكراتِ اللحن مفئودُ

يقول: لا تحشدوا عيدًا لذكرتهِ

فكلُّ لحنٍ شداً من نايهِ عيدُ!

٥

وطنُ الفاس

○ وطنُ الفأس ○

ظلت القرية المصرية إلى عهد قريب منبوذة من الفنون القومية وبخاصة الأدب فلقد انحرف عنها سمته، ولم يتنفس له أثر بأسرارها الفنية المخبوءة حتى على يد أكبر الأدباء والشعراء في (مصر) نبوغا وشهرة. إما لصلف في الأقلام أغرقها به نزعة التحضر ومصانعة المدينة المصرية الزائفة حرصا على مسايرة أذواق الجماهير.. وإما لموات الإحساس الفني الصادق الذي يتجاوب هو والبيئة ويترجم عن أثرها فيه. وإما لهما مجتمعين !. ولقد كان للشاعر بحكم الوضع والمنزع الفني هيأتهما له الطبيعة المصرية بتفتح روحه على فطرتها الرائع الحزين. أن تكون بواكير الحافلة في التغني بسحرها، وأن تظل إلى اليوم الملهمة الثانية لأناشيده. فما كاد يظهر ديوانه القروي الأول (أغاني الكوخ) في مستهل عام ١٩٣٥م حتى هب أنصار هذا الاتجاه الجديد في الأدب إلى إقامة حفل تكريمي له يوم ٢١ من فبراير سنة ١٩٣٥م وقد كانت هذه القصيدة لحن الشاعر في هذا الاحتفال.

في الضحى، والشعاعُ جاثٍ على النهـ

ـل، كما خرّ ساجدٌ في صلاتهْ

والرياحينُ ناهلاتٌ من الطلّ (م)

رحيقَ الصهباءِ من قطراتهْ

خمرةٌ سلسلَ الضياءُ طِلاها

فجرتْ كوثرًا على ربوانه

عربدَ الزهرُ منْ شذاها فأفشى

ـسرَّ جناتهِ على نغماته !

والفراشُ الوديعُ يسبحُ في الأيـ

ـك، ويحسو العبيرَ من زهراته

ومنَ الطيرِ سجعةٌ ورنينٌ

ومنَ النحلِ زُفةٌ في زِناته

وهنا هدهدٌ تولع في الحقـ

ـلِ بظلٍّ يفيء من نخلاته

فيلسوفٌ أضاع حكمتهُ الدهـ

ـرُ فرام الرشادَ من نقراته !

وفصادٌ يزقُّ في صحوةِ النو

رِ، فيحيي الربيعَ في خطراته

فتنتهُ من القنابر عذرا

ءُ، فهاج الدفينُ من صبواته

والعصافيرُ شادياتٌ في الدوْ

حِ، تناغي بشدوها شجراته

جنةٌ نضرةُ الخمائلِ في الريـ

ـفِ، نماها معذبٌ في حياته

ناسكٌ فى الحقول، هيمانُ بالأر
ض، يجلّى بتربها دعواتهْ
حملتْ فأسهُ من الغيب سرًا
حير العقل كامنٌ من صفاتهْ
حطبٌ يابسٌ يمر على الصخ
ر، فتزهو الورودُ فى جلباتهْ!
رصدٌ فى الحديد، لو أنّ «هارو
ت» رقاهُ لضلّ فى قسماتهْ!
حكمةٌ تبهرُ النُّهى حطمَ العلْ
مَ لديها العظيمَ من معجزاتهْ
لو رنا الملحدُ العنيدُ إليها
وهوَ جمُّ الضلالِ من نزغاتهْ
رجمتْ غيبهُ وكادت ـ جلالاً ـ
تصكبُ الرشد والهدى من لَهاتهْ!
جنةٌ، برةُ الأفانين، لفا
ءُ، نماها معذّب فى حياتهْ
شاعرٌ فى الضحى يغنى فتصغى
كلُّ سوسانةٍ على رابياتهْ
سرق الطيرُ شدوهُ حين فاضتْ
خلجاتُ الإيمان من أغنياتهْ

وبكى النبتُ شجوه حين غنى

واذاعَ الشجونَ فى نبرانه

هل رايتَ الندى مدامعَ زهرٍ

فِضْنَ من رقةٍ على وجنانه؟

اتولسيه فى الضنى نبتةُ الحقـ

ـل، ويغضى الإنسانُ عن حسرانه؟

تلك اعجوبةُ الوفاء! فيا ويْـ

ـح لشعبٍ بهم فى غفلاته!

والسواقى مفجعاتٌ عليه

نائحاتٌ تريقُ من عبراته

عندها الثورٌ فيدتهُ بدُ الظلـ

ـم، وهذا حليفه فى سماته!

والشواديفُ كمْ ارنتْ بالنيـ

ـه، وصاحتْ تئنُّ فى مزرعاته ا

شهدتْ شملةً عليه تحاكى

كفناً مزقتْ بوالى رفاته

صبغَ الحظُّ لونها بسوادٍ

منْ اسىَ نحمه، ومن عثراته

تصفُ عريانَ ا لو سرى نسمُ الفجـ

ـر عليها نطيرُ من خفة

عبثتْ والضياءُ مبتلعُ اللمْ

ـحِ تميس الحقولُ في هالاته

فحكتْ خطرةً من الهمْ رانتْ

في ضمير الضُحى على قنواته!

يابسَ الكفّ من عناءٍ وبرحٍ

شقّقَ الكدُّ بالضنى أنملاته

وهو إن مسّ زهرةً لم تفتّحْ

نفحتْ عطرها على راحاته!

كم صبا السنبلُ الحبيبُ إليه

ساكبًا بين راحتيه قبلاته

وهفتْ نورةٌ من الفُول بيضا

ءُ كطيفِ الإيمان في صلواته

عشقَ الزهر كفَّهُ فتمنّى

خلدَ أطرافها على ورقاته!

• • •

إيه يا جنّتي! لقد صدح النّا

يُ، وروحي تفيض من نفثاته

شغلتْ في جمالك قومٌ حيارى

نذبوا نحسهم على صفحاته

نضروا غرسكِ الرطيب، وناموا

فغدا غاضبٌ على ثمراته

قطفت اليانع الشهي، والقى

لبنيك الجياع، فضل فتاته!

إيه يا كوخي الحبيب ! الا تمت

مع شدوا سكرت من صدحاته؟

غزل في المروج عف الأماني

عبقري هنيت في نغماته

ودت الغيد لو تكللن منه

ورشفن الغرام من سجعاته

حسد القصر لحنه، وتمنى

خفقة للبروج من أبياته

قد غنمت السرى إلى الخلد منه

ووهبت العزاء من أغنياته!

٥

○ عاهلُ الريف! ○

اغسطس ١٩٣٨

الثور

في جوقة للريف يعزفُ عودها
ويرنُّ في سمع الضحى تغريدُها

قبستْ من الأطيار رقةَ شدوها
وأعارها سحرَ الصدى غرّيدها

وترنمتْ بين الحقول قصيدةٌ
عذراءُ من نغم السماءِ نشيدها

تشدو فيصغي الصمتُ من ولعٍ بها
ويكادُ من طربِ السكونِ يُعيدُها

ثاوٍ هنالك كبلته يد الأسى
ولفته عن عبث المراح قيودُها

شيخٌ أصم تكنفت أطرافهُ
سوداءُ من صلب الزمان حديدها

احكامُ ذلٍ لُحْنَ فوق جبينه
سوداً تكتم بالسياط وعيدها
سجنتهُ فى رحبِ الفضاء، وخلدت
آذانه رهن الحبال جدودها
عكازهُ سوطٌ تلهّبَ فوقه
ناراً يشبُ على حشاهُ وقودها
رقمتْ على اضلاعه اسطورةً
دفنتْ بأسرارِ الدهور عهودها
اسطارُ مظلمة ! واية ذلة!
اعيا فلاسفةَ الورى ترديدها
لو الهمتْ سحرَ البيانِ لما شدا
إلا بفلسفة السياطِ قصيدها

• • •

صرختْ نواعيرُ الربى لإسارهِ
وتفجعت اسفاً عليه كبودها
فانسابَ فيضُ عيونها، وتفجرتْ
دمعاً من البلوى لديه مهودها
عجباً لنائحةٍ عليه لوانها
تبكى لصمُ الصخر ذاب جليدها
وهى التى القته فى كنف الضنى
ورماه فى العدم المهين وجودها !

• • •

عينـاهُ فلقَـتـا فـمـات سناهمـا

في ضحوةٍ رقّتْ عليه سرودُها

وأزاهرُ البستانِ ترنو حوله

متفتحا بحمو الضبا أملودها

من نورهِ المكبوتِ تشرق نورُها

فاهتزّ في الألق المنضر عودُها

وشدا الحلنُ المرُّ من دولابهِ

فتراقصتْ فوق المروجِ قدودُها

ولو أنَّها علمتْ أساهُ لصوّحتْ

وذوى له ريحانُها وورودُها!

* * *

يا ثورُ! كيف غزتك أسواطُ الورى

وتقطعتْ في جانبيك جلودُها؟

مرّتْ على كتفيك سحراباً، إذا

صلتْ به يغري حشاك سجودُها

وكأنما نشقتْ بجلدك فوحةً

من روحها الفاني، فجنَّ وريدُها[1]

شربتْ دماءك خمرةً وتصابحتْ

سكرى تخبط هائماً عربيدُها

---

(١) إيماء إلى انجذاب الشيء لأصله.

يهذى فتحسبُ حين يصطخبُ الصدى
جنّاً تنفزّ في الفلاةِ شريدها !

«ابيس»[1] اىُّ سريرةٍ بلهاةَ في
عطفيك قد اعيا الحجا معقودها

حملتْ منْ «حوروس»[2]، اقدم ايةٍ
عبدتْ وقدسَ في حمالك عهيدها

اذكى لها الكهّانُ نارَ بخورهم
في منفٍ، يسطع في المعابد عودها

ارواحُ ضُلّالٍ حبتك رشادها
وجثتْ لديك على التراب وفودها

بذلتك تقديسَ النُهى ولوانهُ
للصخرة الصماء ريعَ صلودها

عبدتك ابلهَ لا تعي! يا ضلّةً
لو تستطيعُ ذراً هداك جحودها !

• • •

يا حكمةً في روْقك المعانى كبا
في العقل ناهضها، وطاش سديدها

زعموك تحمل ارضهم.. ولو انها
عقلتْ تميد وهادها ونجودها !

---

(١) اسم العجل الذي عبده الفرعون قديماً.

(٢) في أساطير الفراعنة ان «حورس» هذا هو الإله الذي حلت روحه في «ابيس».

ما العاهلُ الجبارُ منْ ذا دولةٍ

وقفتْ على ذلّ العباد جهودها؟

هو انتذا من جعل المروج خمائلاً

فيْدانةً يسبى النفوس شهودها

في كل حقلٍ من جهادك آيةً

يضفو على الريف الشقي خلودها!

○

○ راهب النخيل ○

١٩٣١

(الغراب)

أشيخٌ من الأزمان والناس ساخرٌ
لهول الذي كابدت؟ أم أنت طائرٌ؟
تطيرَ منك العالمون فأرجفوا
بمحملك، حتى قيل: بالحظ كافرٌ!
وما زال منهم من يراك كأنما
أحست دبيبَ الموتِ فيه المشاعرُ
ومن يهجرُ الدنيا إذا كنت ضيفها
وأنتَ بهذا الكونِ سامانُ هاجرُ
تطلُّ بعينٍ ملؤها المُنْخَرُ بالورى
وأخرى بها للناسِ لحظٌ محاذرُ

وتستشرفُ الوديانَ.. لا قلبك ارتوى

هدوءًا، ولا اهتزتْ لديك المخاضرُ

ولا جادك الفيءُ الظليلُ بجوسةٍ

تقرُّ بها عينٌ، ويهدأُ خاطرُ

ولا المرجُ حيّاك الغداة بأيكةٍ

تروحُ فيها عن شجاك الأزاهرُ

ولا نلتَ رزقًا لمْ يغيّبْ نعيمهُ

حذارك أنْ تُلقى عليه النواظرُ

فهوماً منَ الناطور[1] تحنّيًا مفزعاً

تميلُ.. فتثنيك الجدودُ العواثرُ

ظلالٌ، والثمارُ، ونبعٌ وجنةٌ

وصمتٌ على البستانِ ريانُ ناضرُ

وخمرٌ على شطِّ الكرومِ سجينةٌ

تكادُ لنجواها تهيجُ السرائرُ

مختّمةُ الأقداحِ، نامتْ غصونها

فأيقظها زفزافُ ريحٍ مسافرُ

تحنّتْ [2] دواليها، وحنتْ ظلالُها

إلى رشفةٍ مخبوءةٍ لا تُعاقرُ

---

(١) الحارس.

(٢) انحنت فروعها.

وجُنَّتْ سواقيها. فأنَّت، واقسمت

إذا لمْ تذقها لا رعاها التصابرْ

يرنُّ على أعنابها الفسيح ساجعُ

تنادمهُ كأسُ الضحى وتسامرُ

تغنَّى بها شادٍ، وتمتمَ في الرُّبى

يمامٌ على عنقودها النضرِ ذاكر[1]

كأنَّ رُباها مرضعاتٌ.. كأنما

عناقيدها أملاكُ مهدٍ طواهرُ

كأن بشطِّ النيل أقدس حانةٍ

إلى اليوم لم يلمسْ بها الكأس فاجرُ

حُرِمتْ طلاها. وانتشتْ برحيقها

ابابيل[2] منْ نخلِ الضحى وقنابرُ

وما يفعل الظمآنُ.. والنبعُ سلسلٌ

إذا مالَ والحظُّ المخيبُ عاثرُ؟!

عيونٌ بظلِّ الكرمِ يا صاحِ أوشكتْ

تواسيلك منها أدمعٌ ومحاجرُ

وفرعٌ منَ الجميز اطلس واجمٌ

حواشيه أنفاسٌ عليك زوافرُ

---

(١) دائم الذكر والتسبيح.

(١) جماعات.

وصــــبك هذا النخلُ.. إنى أحــبــــهُ

وبى مـــابه: وجــدٌ لبلواك ســـاعــــرُ

تظلُّ على عُرْجــونهِ مــتــارجـــحــاً

خطيـبـــاً.. فــتــحنو أغــصنٌ ومنابرُ

وتنمو فى الظلاله مــتــصــايحــاً

فــيـحـسبُ أنْ شـدَّتْ عليــهِ المزاهرُ.

وراح رخــيمُ الكفُّ والصــوتِ والصــدى

تناديه ألحـــانُ الخلودِ الســـواحــرُ..

فــتــخــشعُ أهدابُ الجــريدِ كــأنما

تودع نـعـشَ الريـحِ مـنـكَ المنـاقـــرُ

وتاوى إليــه فى الهــجــيــرِ فــتــرتوى

منَ الظلِّ.. حــيث الظل أفــيحُ عـــاطرُ

على شــاطىءٍ لا مــاءَ فــيــه.. وإنما

مــواردُ خُبُّــابِ الحظوظِ مَصـــادرُ!

فتُمنى هـدوءًا عــنــده وسـكــيـنــةً

وأمناً لديه يســتــقــرُّ المهـــاجــرُ

ونصـقــيــه. شــأنَ الغــادرين لجــاجــةً

وفى الطيــر مـــا فى الناسِ وافٍ وغــادرُ!

نعــيقٌ ولغــوٌ أعــجــمتْ نبــراتهُ

وطالَ.. ولمْ يكشفْ خــبــايلهُ صــاحــرُ

تخطته أحقابٌ، ومرتْ أداهرٌ
وظلّ.. ولغزٌ منه للكون قاهرْ
فمنْ قائل: يُمنٌ مُشتٌ، وفرفةٌ
ومنْ قائل: شؤمٌ على الأرضِ طائرْ
ومن قائل: لا اليمنُ! لا الشؤمُ! إنّما
بهذا الصدى النعّابِ أولى المقابرْ
وأنتَ . كمثلى . هاربٌ من فضولهمْ
جوابكَ للأكوان: إنّى ساخرْ !
فدعهمْ بلوكونَ الحديثَ، واصغِ لى
فما منهمُ للسمع إلا الثرثائرْ
لهم فلسفاتٌ.. أنتَ ضلّلتَ رشدها
بسرٌ تناهتْ فى مداه الخواطرْ
وعقلٌ إذا مارفَّ مِقْطلة(1). لم يزل
يراوغه طيفٌ منَ الشكّ عابرْ
بهمّ إلى الأستار يكشف غيبها
فيصفعه غيبٌ على الغيب ساترٌ
ويمضى بكبرٍ فى الحجا فيصده
ويرديه كبرٌ فى المقادير ظافرٌ
فسرُّكَ لوْ يدرى الألى.. ظلَّ ريشةٍ
بمثلكَ هاجتها الرياحُ الزّوافرُ

---

(1) جناحه.

ورقشٌ على الكثبـانِ خلّفتُ رسمه

يـنزّيه رملُ الزعـزعِ المتطايرُ

فطرْ فى البرارى كيفَ شئتَ.. وغادنى

إذا عدتَ بالغيبِ الذى أنتَ ناظرُ

فما لك غيرى فى البرايا متيمٌ

وإن كنتَ تجفو عزلتى وتهاجرُ[1]

ولى فيك دنيا منْ خيالٍ يظلها

زوارق للشطِّ الخفىّ سوائرُ

حدتهنَّ ريحٌ منْ مسابحِ عبقرٍ[2]

بمثلِ صداها ما تغنى مصافرُ

إلى الخلدِ أوْ منه تهبُّ.. فوالنى

بعلمك عنها، إننى اليوم حائرُ

لها الوحىُ نوتىٌ، وظلُّ شراعها

على الدهر ممدودُ التظاليلِ غامرُ

عبرتُ بها الأجيالَ أنشد شاطئى

ودون مداه أتعبتنى الأداهرُ

فيا راهبَ الأزمانِ كشّفْ ستورها

وأفصحْ.. فإنَّ العقلَ حيرانُ سادرُ

---

(١) من الهجر.

(٢) مسابح جـ . . جة عبقر أو عبقر موضع تزعم العرب أنه موطن للجن ثم نسبوا إليه كل ما تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه.

ودعني وسرًا في الليالي دفنته

سيبعثه ناي بكفّ ساحر

والهامُ شعر بين جنبيّ دافقٌ

عليه رحيقُ الخلدِ سكرانُ ساكرْ

إذا أنا لم أكشفْ سرائرك التي

شدهت بها الدنيا. فما أنا شاعرْ !..

تعالَ فطارحني الأحاديثَ في الورى

فمنْ دهرهمْ فاضتْ لعينكَ النوادرْ

عبرت فضاء الله من عهد (آدم)[1]

ومن قبله ملّتْ خطاك المعابرْ

وجئتَ بأمر الله في الأرض هاديًا

تداوي وتأسو ما جناه التناحرْ

رأيتَ طريحًا في التراب معفّرًا

تنوحُ عليه السافياتُ الثوائرْ

هو البذْرةُ الأولى على الشاطئ الذي

بمسراه شلّالُ المنهاتِ هادرْ

تمرُّ به الأيامُ خرساءَ رهبةً

كما في رحاب القدس أطرق سائرْ

ويهوي به ركبُ الحياة كما هوى

من الأفقِ نجمٌ كفّنتهُ الدياجرْ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في قصة قابيل وأخيه بسورة المائدة ٣١: ﴿فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه. قال: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي﴾

هو الرشفةُ الأولى «لعزريل» من دم
به الإثمُ دفاقٌ من الإنسِ فائرُ

هو الكرْمةُ الأولى على ملعب البلى
تحمَّلَ خمْرَاها تقيٌّ وفاجرُ

هو الموتُ ساقٍ فوقَ أعتابِ حانه
سواءٌ صعاليكُ الورى والقياصرُ

يموتُ ضياءُ الشمسِ إن مسَّ دنَّه
ويفنى البلى إنْ لامستهُ الحفائرُ..

رأيتُ صريعاً ذاقَ منْ فيهِ قطرةً
فنامَ.. ومن بلواهُ «قابيلُ» ساهرُ

يناديه الدنيا: تعالَ ! وسترى
منَ الأرضِ جرحاً أثخنتهُ الهواجرُ

فتمهلْ بكفي.. رحتُ ندمانَ فوقهُ
وكادتْ لمرآهُ تشقُّ المرائرُ

على التربِ عريانُ الفناء كأنهُ
فناءٌ لدنيا الآدميين ساخرُ

أكادُ وقد كفنتهُ، بخواطري
- وفي الكرب قد تأسو وتُبرى الخواطرُ -

أفضُّ له منْ مهجتي سابريةً[1]
تغطيه.. لكنني من الضعف خاسرُ !

---

(١) سابرية: ثوب رقيق جيد.

أ «هابيلُ» ا مـا ذنبـاً جنيتُ على أخي..

ولكنَّ سـهـمـاً أنفـذتهُ المقـادرُ

ويارِبُّ ا غـفـرانَ الـسـمـاء، ورحـمـةً

وسـتـراً.. فـمـالي غـيـرك اليومَ سـاترُ!

فـيـا كـاهـنَ الأيلم جـئتُ مـسـلمـاً

«لقـابيل».. يفـضي بالذي أنت آمـرُ

دعـيتُ بـأمـر الله تحـضـر في الثـرى

فـتـسـكبُ نورَ الرشـدِ منك الأظافـرُ

نقـشتُ على الكثـبـانِ خطًا تهللتْ

وقـرتْ لمرآه النفـوسُ الحـوائرُ

فـواريتُ للإنسـانِ في مـثله أسى

ويأسـاً، وسـوءًا سـارعـتـهُ الكبـائرُ

وأصبحَ تابوتَ الزمـانِ.. ومـضـجـعـاً

على مـهـدهِ يغـفـو الأولى والأواخـرُ

عـشـقتُ كـراهُ غـيـرَ أني أخـافـهُ

وأخـشى لهيـاتي البلى وأحـاذرُ

فـأحلمُ بالدنيـا كـمـا كنتُ فـوقـهـا

وتقـدحني منهـا الخطوبُ الجـوائر..!

• • •

سلامـاً قـسيمي في الحظوظِ.. وصـاحبي

وقـد أرخـصـتْ عـهـدي القلوبُ الفـوادرُ

عشقتك منذُ النخلُ مدَّ ظلالهُ

عليَّ... تغاديني به وتباكرُ

وتمسحُ خبزَ الشمسِ فوق جريده

ليختلسَ الأطيارَ في الروضِ ماكرُ

ومذْ كانَ لي في «الكرخِ» عهدٌ فقدتهُ

فسلْ عنه.. تنبيكَ الليالي الغوابرُ

صلاتي به في سنبلِ الحقلِ لم تزلْ

تسابيحها تغذو[1] المنى وتسامرُ

ونوحي على الدولابِ دارتْ بشيخهِ

صروفُ الليالي، وهو في الذلِّ دائرُ

فوائدهُ تروي الربى وهو ظامئٌ

وألحانه جزاعةٌ وهو صابرُ

وفي مزجه «الفلاحُ» يشدو قناعةً

وتشدو بجفنيهِ الدموعُ الهوامرُ

سليبٌ من الأستارِ إلا ذؤابةً

عليها صراخُ البؤسِ في الكونِ ساعرُ

وفأسٌ بكفيهِ يكلُّ حديدها

يسيلُ..! ودمعُ الظالمين مكابرُ

---

١) تغذو : تطعم والمراد تقوي.

يخطط في القيعان أسطارَ شقوةٍ
لها الظلمُ وحيٌ بالرزيات هامرُ

قصائدُ من شعر الهوانِ نشيدُها
إذا رنَّ ماتت في أساها القياثرُ

لها عرق المسكينِ دمعٌ أذلّه
من القلبِ ظلامٌ على الأرضِ جائرُ

مرارتُ أصمَّ الناسُ عنها جنانهم
ورنَّتْ بها فوق السياجِ المصافرُ

لأقسمتُ يا شيخَ العصورِ تذيعها
وتنعى بها فوقَ الصبا وتجاهرُ

فقدْ طال نسيانُ الورى لأنينها
ورنَّتْ بشكواها الطلولُ الدوائرُ...

وعطرٍ لديه الطيبُ نشوانُ ذاهلٌ
تجنُّ عليه في الذهول الخواطرُ

على أغصنُ «الليمونِ» غنى خيالهُ
فضاعتْ بأحلامي لديهِ المجامرُ

رشفتُ شذاهُ مرةً فلعطتني
فتيمتَ إحساسي وطرفك ناظرُ

وأوشكتُ أجثو من خشوعٍ فخلتني
عدوك... فأزورتْ لديك النواظرُ

وطرت.. وخلفت الخيال وذكرة

على العشب تشجيه.. فهل أنت ذاكرُ؟

• • •

أحاجيك.. ما قميصُ ديرٍ مسوحة

وشائعُ من فنّ السماء سواحرُ؟

تشبُّ لحى الأحقابِ وهى شبابها

على الدهر جنحٌ أسحمُ الصبغِ عاكرُ

ويفنى ظلامُ الليل وهىَ ظلامها

خضمٌ على ابادها يتقاطرُ

تسابيحهُ فى الدير «غاق[1]» وإنها

لأسطورةٌ مجنونةٌ تتهاترُ

له صلواتٌ فى البرارى، وعزلةٌ

تضاءلُ عنها فى الجبالِ المغاورُ[2]

ونوحٌ على صمتِ الكهوفِ كأنهُ

يؤبنُ ميتاً شيعته السرائرُ

ورهدٌ على «صدر» الصحارى كأنهُ

على رملها أحلامُ جنٍ سواكرُ

ونقرٌ على الأكفانِ والجثثِ التى

جفتها ولم تستر رداها المقابرُ

---

(١) غاق غاق: حكاية صوت الغراب.

(٢) المغاور: مفردها مغارة وهى البيت المنقور فى الجبل.

وخجْلٌ إذا مــا ســازَ تحـمـبَ نقـشـةُ
انابيضُ رشَّـالٍ غــزتهــا الأعــاصــرُ
فــيــاراهبَ الأجــبــالِ إن كنت مــثلمــا
نمــستُكَ.. فليــشفِ القليلَ التنادرُ..
اجبنى على أُحـجـيـتى.. واحكِ مــثلهــا
فمنْ فيكَ يحلو لى الصدى والتسامرُ..
فــقــالَ: انا القـسـيسُ والكونُ مـعـبـدى
وبالشــرع فى دينى، البــرايا كــوافــرُ!
فــانصتُ لنجــوائ الفــداة، لعلمــا
يهــدهدُ جــرحــاً فى حشــاى التناظرُ:
احــاجــيكَ.. مــا طيــرٌ على النهل شــاردٌ
جــفــتــه عـشــاشٌ فى الحـمى ومــمــاسرُ
يرفُّ على الأكـــواخ نـمى نشــيــدهُ
امــاسِ صــريمــاتُ المنى وبواكـــرُ
تغنى طويلاً بــالأسى فى ظلالهــــا
فــلــمــتْ باناتِ اللحــونِ الحناجــرُ
ومـــالَ إلى دنيـــا الحـضــارة نجـمـــهُ
فــاشــجــتــه اطمــاعٌ بهــا وتهــاترُ
وقـــومٌ على زيف المناصبِ حــوّمــوا
وهاجــوا على بهــتــانهــا وتناحــروا

ومن خلفهمْ جيشٌ ـ من البؤس والضنى
وهول العوادى ـ مضرمُ القلب ثائرُ
فلولٌ من الأبشار ساق حطامها
واغرقه لج منْ الظلم زاخرُ
وقطعانُ إنسٍ للمضجور تواكبتْ
كما دفُ سربٌ لليفنابيع صادرُ
فرَوّعَ قلبُ الطير منها.. واصبحت
قياثيرهُ خُرّسُ الأغانى خوادرُ
فمال إلى عشْ تحنُّ لطهره
وتهفو إليه فى البروج الحرائرْ
به ضبةً عذراءُ من طيبها ارتوتْ
وضاعت على نسكِ الغرام المباخرُ
اسىْ جرحهُ الدامى، وواسىْ شجونهُ
ونسّتهُ ماجرتْ عليه الحواضرُ..
ودارت علىَ العشّ الليالى فاضرمتْ
بدنياهُ أنفاسُ الرياحِ السواعرُ
فاصبحَ مفطورَ الأغانى مشرداً
على الأفق طيرٌ عن مغانيه نافرًا
اجبنى على احجيتى.. وانض[1] سرها
فإن لم تُكشْفهُ فما انتَ شاعرًا

---

(١) اكشف.

فقلت: أنا الطيرُ الشريدُ وهذه

بلادىَ يشقى فى حماها العباقر

أعيش بها أسيرةُ الحظِّ صدفةً

كما عاشَ منْ سَفَى[1] البيادرِ طائرُ

فلا الحظُّ واتانى! ولا اليأس صدَّنى!

كأنى على خضر الروابى مقامرُ!

ن

(١) ما تسفيه الرياح من بيادر القمح.

○ الشادوف ○

ـغ لحنك الشادى بلا تحريف..

طربَ الخيالُ لأنهِ (الشادوف)

ـريانُ جردهُ الضحى منْ سترِه

فغدا يضج بدمعهِ المذروفِ

ـم يرضهِ ثوبُ السنا مسدلاً له

يختالُ فى بَهَجٍ ولمحِ شفوفِ

ـبكى ونكسَ رأسهُ متذللاً

متحسرًا كالعاشقِ الملهوفِ

ـإذا تقاعسَ خلتهُ فى صمتِه

جثمانَ مصلوبٍ بقبرِ كفوفِ

ـرتْ مواعدهُ الليالى، وانبرتْ

تبليه فى سخطٍ وفى تعنيفِ

وإذا جثا ألفيته متعبداً

طهرت سرائره من التزييف

مجدانه في النبع قبلة واله

طبعت على سلساله المرشوف

صديان قدم للورود شرابه

وأعاز أدمعه لقلب الريف

فيظل يطمأ عارياً، والزهر في

ري ونبت الحقل في تفويف

ثار على الجب العميق كأنه

أعمى على جوف هنالك موفي

جبار أفزعه الردى، فتقلصت

أضلاعه من صرعة التخويف

فتخاله في الوهم جثة مارد

ضجرت لهول في القبور مخيف

فأعارت الأكفان ثورة حانق

برمت بحتف فارتمت بحتوف!

يا صامتاً والريح تخفق حوله

والنبت يطربه بسجع حفيف

وتصايح الغربان ينثر مرجه

بحصيد سافية وجدب خريف!

وربابةُ الراعي تهدهدُ عندهُ

قلباً يهيم بلحنها المزوفِ

سكرى من الأنغام أسكرَ شدوها

آذانَ ثاغيةٍ، وسمعَ خروفِ

هلاّ شجتْكَ نُفايةٌ منْ بائسٍ..

لهفانَ في كنف الطوى ملفوفِ!

روّى الزُّروعَ بصيّبٍ منْ دمعه

وثوى بقلبٍ في الظلامِ لهيفِ!

٥

○ إلى دخان الكوخ ○

أترى أنت على الأفـ ... ـق لهيبٌ أمْ دخانٌ !

أم جراحُ الكوخ ساجا ... ها من البؤس الزمانُ

أم دموعُ الشاء والرغـ ... ـبانُ أذراها الهوانُ؟

أم شجونُ الفأس أبلا ... ها الضنى والحدثانُ ؟

أم هي القريةُ لم يخـ ... ـفقْ لبلواها جَنانُ ؟

زفرتْ في الجو ثكلى ... لمْ يصابرها الحنانُ !

فهي جرحٌ ودخانُ الـ ... ـكوخِ بالشكوى لسانُ !

○

○ [١] سنبلةٌ تحتضرُ.. ○

في ليالي الحصاد..

كانَ لي عرشٌ على الربوةِ   ممدودُ الظلالِ

تهجعُ الشمسُ إذا هلّتْ   بهِ فوقَ التلالِ

والضحى يخشعُ، والآ   صالُ تجثو، والليالي..

عابداتٍ ساجداتٍ   في ثرى النيل حيالي !

• • •

يا فراشاتِ الضحى واسألنْ   عنهُ في الكثيبِ،

كيفَ ولّى.. وتوارتْ   شمسهُ خلفَ المغيبِ،

وطوتْ أحلامَهُ الخضـ   ـراءُ أشجانُ الغروبِ،

وعرتهُ شبهةُ الأكفـ   ـانِ في قبرِ الغريبِ؟

• • •

كـــانَ للراعى به شـــدْ   وٌ. ولـلـنـخـل تـغـنـى

ولـلـفـــلاحى بـه.. ويـلا   هُا فـــنٌ أىُّ فـــن..

قـبلَ أن تصـحـوَ شـمـسى   فى الربى يوقظُ جــفـنى

ويغنى... فـيـسـاقـيـه   ـلى الهــوى من كل لحنى !

• • •

وإذا ترمـضــةٌ فى الحـقلِ   م انفــلتْ الهــجــيـــر

يـنـثـنـى تحتَ ظـلالى   غـافـيـاً مـثلَ الطيور

حلـمــــهُ : سنبلة تـزْ   هـمُ فى شطِّ الغـــديـر

فـإذا اسـتـيـقظَ صــاحت   فى الربى: حانَ مصيرى !

• • •

وإلى أينَ ســيـمـضـى   نعشُ عـودى ويصـيــرُ؟

إنْ مـــوتـىَ لودرى الإنْـ   ـسـانُ بعثٌ ونشـــورُ

فـــاسـألوا «المنجلَ» عنى   فـهـوَ بالسرِّ خـبـيـرُ

واســألوا «النورجَ» ينبـ   ـئكم بحـديثهِ المصيـرُ !

○ [٢] هكذا قال «النورج» ○

تحت حدّى قمةُ السـ ... ـنبلِ يرويها الفناءُ

غرسةٌ صلّى لها الصـ ... ـبحُ، وحيّاها المساءُ

واحتسى خمرَ هواها ... فى الضحى ظلٌّ وماءُ

وانتشى من سحرها طـ ... ـيرُ الربى والشعراءُ..

ملعبٌ دنياهُ أعرا ... سٌ، ورقصٌ، وغناءُ

هللَ الكوخُ عليه ... وتناجى البؤساءُ..

ثم دارَ الدهرُ حيناً.. ... فمشى فيه العفاءُ !

* * *

غرسةٌ صلّى لها الصبح ... وحيّاها المساءُ

عانقتْ حدّى.. وقالت: ... أنا للكونِ فداءُ!

هاتِ لى الموتَ.. فنعشى ... لبنى الدنيا غذاءُ..

○

○ هكذا قالت دودة القبر ! ○

انا فى ظلمة قبرى ... ارتوى من كل خمر..
من رضاب فى شفاه الغيـ ... ـد، اشتهى بسحرى!
وسراب فى جباه الصيد م ... كم اغرى بكبر!
كم ملوك دانت الدنيا ... لهم. ذلوا لأمرى
وعروش رصعت ... تيجانها.. حليا لصخرى
وصوسات الدر فيها ... كن انفامى وشعرى
لى يا ابن الطين ملك ... فى البلى لو كنت تدرى
صولجان الدهر عندى ... وزنه مثقال ذر
تظمأ الدنيا فتمضى ... تستقى من كل بحر..
لا يرويها، ولا يطفى ... اصداها غير نهرى
شاطئه مهدت للنسـ ... ـيان فيه كل عمر
اقلق الأزمان فيه الـ ... ـموج من بر لبر
فانزوت فى القبر حينا ... ثم نامت تحت صدرى !

○

○ هكذا أغنىّ ○

إن تسلْ فى الشعرِ عنى..   هكذا كنتُ أغنى !

لا أبالى أشجى سمـ   ـعكَ أمْ لمْ يشجِ لحنى !

هو منْ روحى لروحى   صلواتٌ وتغنى

وهوَ منْ قلبى ينابيـ   ـعُ بها يهدرُ فنى

للأسى، فيها تعالـ   ـيل وللبأس تمنى

وهو إحساسى الذى ينـ   ـسابُ كالجدولِ منى

والحبُّ كالطيرِ فى الأظـ   ـلالِ منْ غصنٍ لغصن

ذاهلٌ كالوترِ المهـ   ـجور فى عودِ المغنى

ساهمُ الأنفاس حيـ   ـرانُ.. أيبكى أمْ يغنى ؟

لم يصبْ من دهره غيـ   ـر جحودٍ وتجنى

فانبرى يعصفُ فى دنيـ   ـاه بالشدوِ المرنْ

زاجلاً تبكى سماهُ   نارُ أيامى وحزنى

إنْ تردْ منهُ سلوًّا   عن أساهُ.. فاعطفْ على

هكذا يخفق نايي	بين إلهامي وبيني
يلهمُ الله.. فيمضي	وتر الروح يغني
فسواءٌ رحتُ تُغضي	لاتماً.. أو رحتُ تُثني
مِزْهري نشوانُ لاتو	قظهُ ضجةُ كوني !
مذهبي؟ لا مذهبَ اليَـ	ـومَ سوى أصداءِ لحني
ولها الخلدُ ! ولي في	ظلها سحرُ التمني
هي خمري ! وهي حاني !	وهي أعنابي ودَنِّي
قد وهبتُ الفنَّ عمري	ووهبتُ الشرقَ فني
فليلمْ من شاءَ.. إني	راسخٌ كالطود جني
فإذا رقَّ.. فقل: يا	قُبلةَ الأسحار غني!
وإذا هاجَ .. فهولٌ	ساقهُ موكبُ جنْ!
إن تسلْ في الشعر عني	هكذا كنتُ أغني!
إنْ تشأ فاسمعْ نشيدي..	أو تشأ فارحلْ ودعني!
وإذا أشجاكَ همسٌ	من صداهُ.. لا تلمني !
ما أنا إلاّ كظلٍّ	لشعوري.. فاعفُ عني !

○

الديوان الثالث

(الملك)

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان يوم ١١ فبراير ١٩٤٦ وهو عيد ميلاد الفاروق.

الإهـــداء

مولاى صاحب الجلالة،

هذا هتاف الفن لأنوارك الجديدة فى كل آفاق الحياة. سكبته من دمى غناءً ينهض للدنيا بحبك، وينبض فى جوانح الزمن بآيات وطنيتك.

وحملته إلى الوجود أمانة عن تراب واديك العزيز.... من القرية التى خضّبت ملامحها واستلهمها حتى طرقت باب الكوخ بيمينك لتطمئن على حياة شعبك. فشددت ساعد الفلاّح والعامل، ورفأت دمعة البائس والسقيم. ونفضت غبار الذُّلّ والمسكنة عن هؤلاء الذين طرحتهم عبودية الفقر والجهالة فى كهوف النسيان.

... من المدينة التى لقّنتها عدالةُ الوجود مع أختها القرية تحت ظلال تاجك، فآمن كلُّ أبناء مصر بأنهم سواسية على أعتاب ملكك، وأن الحياة حق للجميع على دين سواء.

... ومن الآفاق البعيدة التى تنجاها خُطاك بالنّور والحياة، فتشعر بأنك، وأنت قلبُ مصر. تغذو كلَّ أطرافها بشبابك وقوتك، وأنك لاتنام وحفنةٌ من تراب واديك يُعوزها الضياء.

... ومن النّيل الذى عَصَمتَ عزّته!

... ومن الشرق الذى عَصّبتَ وحدته!

... ومن نفخة الصُّور التى بعثتْ بها الجيل كلّه.

فكنت حاملَ الشُّعلة الأولى فى طريق أيامه، ورائدَ الوثبة الكبرى فى كفاح نهضته.

إلى شعبكَ الفادى أهُزُّ هذه التَّرانيم.

وإلى نوركَ الهّادى أرفع هذه الأمانة.

القاهرة فى أول يناير ١٩٤٦

٢٧ محرم ١٣٦٥

محمود حسن إسماعيل

«ارفعوا المشاعل فوق الطريق، ولا تجعلوها نارًا تحرق،
بل اجعلوها نورًا يضيء»

«الفاروق»

(من رسالة ملكية)

○ نور من الله ○

في يوم الميلاد للملك السعيد
وهو عيد مصر الخالد المتجدد،
شعت على سماء وادي النيل أول هالة
من نور الفاروق العزيز!
مع أول شعاعة من قبس النهضة الوطنية
فكان فجر الحرية ورمزها الأبدي.

نورٌ من الله ترعـــــــاهُ العنايـاتُ
هاتوا أغـــانيكمْ في حـبـــهِ، هاتوا..
وطاولوا هامـــةَ الدنيا بعــــزتِهِ
فنحنُ منْ دونها في الأرضِ أمـــواتُ
ورددوا في ضــحى الوادي بشـــائرهُ
فـما لنا غيـرهَا للمــجْدِ آيــاتُ
وامشوا كـما خطرتْ مصرٌ بسـاحتـهِ
نشوى ترنّحُ جنبيْهــا الصـبابات

غـــذا هواها دمًا يجـــرى بمهـــجـــتـــهِ

كـــمـــا جـــرتْ بحـــيـــاة البـــحْر مـــوجـــاتُ

حنا عليـــهـــا. كـــمـــا تحنُو الظلال علَى

ســـارِى هـجـــيـــر لهُ فى الدوّ آهـاتُ

حنا عليـــهَا. كـــمـــا يحنُو الشـــعـــاعُ على

مـــحـــيّر الليلِ تشـــقـــيـــهِ المفـــازاتُ

حنًا عليـــهَا. كـــمـــا تحنوا المنَى فـــجـــاتْ

قلبًا تـراوغُ جنبـــيـــهِ العُـــلالاتُ

حنا عليـــهـــا وســـقّـــاهَا العـــلا. فـــمـــضتْ

ومَا لـهَا غـــيـــرُ شعلةِ النجْمِ غـــايـاتُ

مملكٌ فى شـــبـــابِ العـــمـــرِ، تحـــســـبـــهُ

لحكمـــةِ الرأىِ تحـــدوهُ الفـــداســـاتُ

اســـاس ملكِ الورى ســـيـــفٌ وصَولجـــةٌ

وملكهُ الضـــخمُ تعليـــهِ الحُشـــاشـــاتُ

احـــبـــهُ الناسُ. حـــتى لوْ ســـجـــا حلمٌ

بغـــيـــر رؤياهُ، تُبليـــهِ النُّفـــاثـاتُ

احـــبّه النـيلُ ؛ سلْ امـــواجـــهُ ترْهـا

وملْءُ اقـــداحـــهَا منهُ بشـــاشـــاتُ

احـــبّه الطيـــرُ؛ حـــتّى قـــالَ اعـــجـــمـــهَا

من نشـــوةٍ بـالـهـــوىَ: ايـنَ الربـابـاتُ؟

أحبَّه الشرقُ: حتى صار قِبلتَهُ

أنَّى مشى خلفَهُ تمشي الصباباتُ

أحبَّه اللهُ إذ أوحى لكلِّ هوًى

بشرى هواهُ، فحفَّتهُ الضَّراعاتُ!

كأنما حبُّهُ للكونِ هاديةٌ

من الشرائعِ ساقتها الديانات

متوَّجٌ فوقَ عرشٍ منذُ ما بزغتْ

شمسُ الوجودِ تحييهِ البريَّاتُ

شمختْ على مفرقِ التاريخِ صفحتُهُ

كأنها لظلامِ الدهرِ مشكاةْ

من عهدِ «فرعونَ» ما زالتْ عظائمُهُ

تتلو بها لبني الدنيا رواياتُ

أهرامُ «خوفو» تهابُ الجنُّ ساحتَها

كأنما هي للأقدارِ خيماتُ

مخيماتٌ، وأسرارُ السماءِ بها

كأنما هي للأفلاكِ جاراتُ

وخيلُ «رمسيسَ» مازالتْ سنابكُها

تلقي حديثَ الوغى عنها الفتوحاتُ

والسيفُ في يدِ «إبراهيمَ» ما فتئتْ

للنصرِ ترعشُ حدَيهِ الخيالاتُ

وادٍ أشمُّ العلى، مـرتْ به حقبٌ
أيامهنَّ بكفِّ الدهرِ راياتُ

ضفافُهُ منزهُ الدنيا ومعبدُها
ونيلُهُ لعذارى السحرِ مرآةُ

وللطيورِ به شدوٌ، تسيلُ على
إيقاعِهِ من أغاني الخلدِ رناتُ

شعرٌ من النغمِ العالي يساجلُهُ
من أفرعِ الدوحِ تسبيحٌ وإنصاتُ

وللرياحِ أباريقٌ مختمةٌ
بمثلِ صهباتِها لم تسقِ حاناتُ

تجري بأسرارِها، لمْ يدرِ شاربُها
أسرٌ هنالكِ أم للروحِ إفلاتُ!

دنيا من السحرِ لمْ تكشفْ سرائرُها
لساحرٍ لمْ تكاشفْهُ السمواتُ

ضجتْ رباها، وقلبُ الأرضِ مضطرمٌ
تفزعُ الجنُّ من شكواهُ أناتُ

«فاروقُ» أنتَ لها فجرٌ على يدهِ
ترقرقتْ من ضياءِ اللهِ هالاتُ

«فاروقُ» أنت ملاذٌ عند حيرتِها
على يديكَ لها ترجى المناراتُ

«فـــاروق» أنت هداها كلما عـصـفـت

وعـمـمـتـهـا عن النورِ الضـلالاتُ

«فـــاروقُ» كم رحتَ في البلوى تهدهدُها

ومنْ ســـؤالكَ إذا تطغى البليـــاتُ؟

كمْ بائسٍ كنتَ سلوانًا لكربتـــهِ

لولاكَ من دمعـــهِ يروى ويقتـــاتُ!

وكم شقي الثرى، عـاري الأديمِ، مضتْ

رفـــرافـــةٌ منكَ تحـييـهِ السعـاداتُ!

وكم خـــريفٍ على الأكـــواخِ أهلكه

نداكَ، فـهـــوَ رياحـــين وأيكاتُ!

في كلّ يوْم شـــعـــاعُ الحقّ ذهبت

تـطـوف مـنـكَ بـهِ لـلـنـهـلِ داراتُ

عطفٌ، وبرٌ، وإحـســانٌ، ومـرحـمـةٌ

يا قـــومُ منْ هـهنا تزكـــو العـبـاداتُ!

قـــال المصلونَ: من هـذا؟ فـقـلتُ لهمْ:

في كلّ بيتٍ هدًى منهُ عـــلامـــاتُ

هذا الذي يرهبُ الأيامَ صـــولجـــهُ

لله مـنْ نسكهِ تمتـــدُّ راحـــاتُ

يقظانُ للوحـــدةِ الكبـــرى لذي وطنٍ

كـــادتْ تمزقُ جنبـيـهِ الخـلافـاتُ!

مــــافــــانهُ مـــثـلٌ أعلى لمصـــرَ، ولا

لغـــيــرِ عـــزتهـا منهُ «صـــبـــابـاتُ»

مــــولاي! قُــــدنا إلى الأفــــلاكِ وامضِ بنا

شـــعـــبًا إلى المجـــدِ تحـــدوهُ البطولاتُ

واسـمعْ نشـيدَ الحمى! مـافى مـقـاطعـه

إلا قلوبٌ إلى «عـــبــــدين» مُـــزْجَـــاةُ

شـعـرٌ ضـيـاؤكَ يجـرِى فى مـصـابحـه

كـــمـــا جـــرتْ بضــيـــاءِ الطورِ «توراةُ»..

ه

○ فاروق ○

عيد الجلوس ٦ مايو ١٩٤٥

..وكان عيداً للإنسانية والطبيعة والوطن. سكن فيه أوار الحرب، والتقى على أعتابه موكب الربيع وفجر السلام.

عيد النيل والطبيعة

منكَ الربيعُ.. ومنّي اللحنُ والوترُ

فلا عليَّ إذا بالشدوِ انهمرا

صلّا المغنّونَ ليلاهمْ ولهارسِمْ

وانتَ حبٌّ لحلوى الناسِ مُدَّخرُ

وملَّ حاديهمُ الترنيمَ، فانتبهوا

على قوافلِ لمْ يبدأ لها سفرٌ..

قوافلٌ منْ أغانٍ؟ أنتَ ملهمُها

وانتَ فيها الهوى، والشجوُ، والذِّكرُ

حدا خطاها سليمانٌ، وطارَ بها

بساطهُ، وهدى أرسانها القدرُ

هائماتُ الصدى، تسري فتحسبها

بناتُ طيرٍ جلاها الصمتُ والسَّحَرُ

ذواتُ سحرٍ يروعُ الجنَّ، ما طرقتْ

غيبًا ولمْ ينتها عن سرِّهِ خبرُ

كم صادفتْ في السُّرى ركبًا فأذهلهُ

أنَّ الرياحَ لها تُصغي وتأتمرُ

أطلقتُها من صحارى النفسِ عاتيةً..

دنا القطافُ، ولكنْ أوغلَ الثمرا

إني أغنّي، وما بي حاجةٌ لفمٍ

يروي، وقلبي بما يرويه منبهرُ

هنا جناحي: فليطرح حبائلهُ

صيادُ أرضِ النجومِ الخاتلُ الحذرا

طيرتُ في الأفقِ أسرابي، فحيرها

أن الفضاءَ سجينٌ خلفهُ النظرا

فحومتْ، ورمى الأفلاكَ هازجُها

بنغمةٍ لكَ في توقيعِها أثرُ

ألستَ من غمستها في مُقلٍ واهلةٍ

من الضياءِ، عليها حومُ البشرُ؟

النهرُ حولكَ يجري، ما يشاطئهُ

إلا هوًى لكَ طيَّ الموجِ مستترُ

ضفافُهُ الخضرُ والأحلامُ تمكلها

لنورِ تاجِكَ فيها معبدٌ عطِرُ

غنّى به العشبُ والأنسامُ حين سرتْ

أدتْ صلاةَ الهوى من أهلها زمرُ

وقالت الريحُ قولاً، منذُ ما نزلت

كلُّ الرسالاتِ لم تهتفْ به سورُ

تمائمٌ، وأساطيرٌ، وقافلةٌ

منَ التهاويلِ لمْ تلمحْ بها صورُ

هزتْ مزاميرها أشجانَ من سجدوا

سحرًا لواديكَ في الماضي ومنْ عبروا

وشاهدتكَ فأغضتْ واستحتْ وسجتْ

كأنها رسلٌ للوحيِ تنتظرُ

كلُّ الطبيعةِ في الشطينِ زاهرةٌ

وأنت ماوودها: لم ترويك السهرُ!

انظرْ تجدْها بأفراحِ الربيعِ أتتْ

وعندها لكَ من أعراسهِ خبرُ

ذابتْ على يومكَ الميمونِ أدمعُها

وطابَ للناسِ في محرابِها السمرُ

وراحَ كلٌّ نديمٍ عندَ حانتِها

بخمرِ ذكركَ لا يُقضى له وطرُ

تخالفت خمرها في كأس شاربها

رحيقُ حبلك أمْ عنقودُها النُضِرُا

سبحانَ من ردّها عن ظلمةٍ، وقفتْ

فيها تولولُ كالثكلى وتحتضرُ

خرساءُ! لا طائرٌ فيها ولا نغمٌ

جرداءُ! لا أيكةٌ فيها ولا زهَرُ

العابرُ فيها شياطينٌ مجنحةٌ

من الحديدِ! صدى ألحانها شررُ

قذائفُ الموت عمياءُ الطريق به

حمقاءُ! إنْ تخطُ لاتُبقي ولاتذرُ

أعشاشُها من ضلوعِ الناس إنْ سكنتْ

وجوها هبوةٌ بالهولِ تستعرُ

والماءُ فيها دمٌ تغلي سواكبهُ

كأنه من جحيمِ النارِ منفجرُ

هذي هي الحربُ: أعمارٌ مبعثرةٌ

ولا نعاةٌ، ولا نعشٌ، ولا حُفَرُ

لفَّتْ أعاصيرُها الدنيا. وفي يدِها

فجرُ الحضارةِ والآمالِ ينتحرُ!!

صانتْ يدُ الله ملكًا أنتَ عاهلهُ

وأنتَ حاميهِ إنْ طافتْ به الغِيَرُ

وإذ رميتَ الضحى في جنبِ غفوته

فهبَّ من رقدةٍ طالت بها العُصرُ

كانتْ تعيشُ على التاريخِ عزتَه

واليومَ منك صباها الفارعُ النضرُ

بعثتها وشببتَ النارَ في دمها

وقلتَ: هُبِّي! فكان الرادُ والصدرُ

ومثلُ عزمك يا «فاروقُ»: عاصفةً

ركابُها بهبوب الليل مدَّثرُ

تُذرى بصولجها قلبَ الهشيم، كما

تمزقَ اليأسُ في كفيكَ والخورُ

ومثلُ برقك يا «فاروقُ»: زائرةً

من الغمامِ تلقىَ فيضها الزَّهَرُ

مالتْ عطاشُ الليالي نرتجيك كما

بالنهر مالَ حمامَ شفَّهُ سفرُ!

ومثلُ خطوك يا «فاروق»: فاجئةً

من الهوى لمشوقٍ هدَّهُ السهرُ

أفاقَ «مصرك» «سيناء» وأنت لها

«موسى» يشعشعُ منك الحالكُ المُكبَرُ!

ومثلُ عدلك يا «فاروقُ» ساريةً

من الضياء سعى عبدانها القمرُ

سبأن فيها عزيزٌ في مقاصره
وشاردٌ ذاده عن كوخه الضجرُ
هذي موازينُ شعبٍ أنتَ سائسهُ
فاحكمْ! فإنك في أيامه «عمرُ»!
ومثلُ تاجك يا «فاروقُ»! ماعرفتْ
مفارقُ الملكِ والتيجانُ. والصورُ
منورٌ بالعلا، من عهد أنْ وقفتْ
أهرامُ «خوفو» وغلى الفأسُ والحجرُ!
ومثلُ شعبكَ يا «فاروقُ»: كوكبةً
منَ الطيورِ جفاها الظلُّ والشجرُ
في قارظٍ منْ سهوبِ الصيفِ يرهبهُ
خطوُ النسيمِ؛ رمى أسرابها القدرُ..
فزقزقتْ، وتلاشتْ قبلكَ لوعتُها
وأنتَ روضٌ بقلبِ الفجرِ مُزدهِرُ!
ومثلُ عطفكَ يا «فاروق»: شاديةً
منَ الأنامل يشكو تحتَها وترُ
تُشجي وتُطربُ؛ لاتدري الذي سحرتْ
ولا الذي صوبك باللحنِ ينسحرُ
تُشفى وتُبرئُ لاتدري.. كما شربتْ
طعمُ الربيعِ جراحٌ دسها زهرُ!

ومثلُ عصرِكَ يا «فاروقُ» مُزعِجةً

من الليالي، تهاوتْ حولَها النُّذُرُ

وأنت للنيلِ فيها فارسٌ عجبٌ

معلمٌ دونَ حربٍ كيفَ ينتصرُ!

شبابُ ملكِكَ للأوطانِ أغنيةً

على صداها جميعُ الناسِ قدْ سكِروا!

إن كانَ فرقَنا رأيٌ.. فأنتَ لنا

قلبٌ لديهِ ذنوبُ العقلِ تُغتفرُ

فاجمعْ هواناً، وطِرْ للنجمِ محتشِدًا

فما يزالُ هناكَ المجدُ ينتظرُ..

عدلتَ في الحبِّ إذْ سويتَ خطوتَهُ

فكلُّ أرضٍ لها منْ سحرِهِ أثرُ

أما نزلتَ على الصلبانِ ساحتَها(*)

هلالَ حبٍّ رآهُ القلبُ والنظرُ؟

وقامَ «بَطْرِيقُها» هيمانَ منتشيًا

وجفنُهُ بمُذابِ الشوقِ ينهمرُ

كأنما أنتَ منْ «عيساهُ» خاطرةٌ

يشجَى بزورتِها الإنجيلُ والسورُ!

(*) شرف الفاروق بحضوره حفل هذا المعهد احتفالا علميًا لمدارس الأقباط.

فــاروقُ! هذا الذى توحى الســمــاءُ إلى
تاى بُحمنُّ، ويســـتـــوحى، وينفـــجـــرُ
شــعــرٌ ضـبـاؤك يجـرى فى مــقــاطعــهِ
فنًا حــــنةُ العُــلا وللمجـــدُ، والخطرُ
ويمضُ مــــاتهمُ التــيـجــانُ أغنيــةً
للفنُّ والعـــحـــر فى إنشــادها صــورُ
يبكـــى الغنــاءُ، وشــادبه، وســامــعــهُ
إلاَّ غنــاءٌ بـه الأحــــــــــــاسنَ منفطرُ
هـذا غنــائى يا «فـــــــــاروقُ» خلـدهُ
جـديدُ وحــــى، كـضـوءِ الشـمسِ منتـشرُ
يـروى عُـــلاك، وتُـــروىَ عنْ تمائمــــهِ
إدهاشـةُ السـحـرِ فى آلبـابِ منْ سـحـرُوا..

ن

○ أسألوا عنه ○

امِ من شوقٍ اثارته الأغانى!

امِ من لحنٍ اهاجته المثانى!

امِ من سحرٍ خفىٍ فى جنانى

ايها الناىُ الذى حمّلته

ما الذى تحمل من غيب الزمان؟!

• • •

كلُّ يومٍ لك صحوٌ والتفاتُ

وتسابيحٌ، ونسكٌ، وصلاةُ

والمحاريبُ جمالٌ وحياةُ

ومعانٍ لستُ ادرى فى مداها

االقيها بروحى ام لسانى؟

• • •

سائحٌ انتَ على الدنيا غريبُ
في ضميرِ الدهرِ تسري وتجوبُ
اخيالٌ انتَ. امْ انتَ لهيبُ؟
لكَ خطوُ الطيفِ إنْ ريعتْ خطاهُ
ولكَ النار التي هدّتْ كياني!

* * *

ومقيمٌ انتَ، ام عنيَ راحلْ؟
كلما قلتُ: تجافتكَ المناهلْ
عدتَ في سربٍ منَ الإحساس زاجلْ
افطيرٌ انتَ، امْ اشواقُ طيرٍ
افردتهُ الريحُ في ليلِ الجنانِ؟!

* * *

كمْ تغنيتَ بدمعٍ وابتسامِ!
وتناجيتَ بصمتٍ اوْ كلامِ
افبحرٌ انتَ للأرواح ظامْ؟
امْ غديرٌ خفَّ ملهوفٌ إليهِ
وتناجيَ في حماهُ عاشقانِ؟!

* * *

مالنا ياناىُ في الدنيا حيارى؟
نشربُ الايامَ اشجانًا ونارًا
ونزفُّ الشدوَ للكونِ سُكارى

أهُو دمعٌ أمْ خمرٌ جفاها
قدحُ الساقى، فأنْتَ فى الدنان؟!

• • •

حولكَ الشطآنُ خضرُ الربوات
خضرُ أحلامِ الطيورِ المشجيات
وبها الأمواجُ خضرُ الخفقات
تمنحُ الضفةَ حلمَ النهلِ منها
ساحرَ الرؤيا، حفىُّ المهرجان!

• • •

ما الذى هزَّ من الخلد ركابه؟
ما الذى أترعَ بالنورِ شعابه؟
ما الذى سوَّاه قلبًا وأذابه؟
فجرى شوقًا، وحبًا، وغرامًا
ساعرَ الجذوةِ فى كلِّ مكان!

• • •

هوَ نهرٌ يهوىَ «الفاروقَ» يجرى
وعلى راحاتهِ من روحِ «مصر»
ينقلُ الأمجادَ منْ عصرٍ لعصرِ
ويسوقُ الحبَّ موجًا خلفَ موجٍ
والهَ اللُّجةِ، مشبوبَ الأمانى!

• • •

ملكٌ فاض صباهُ بالبشائرْ
وسناهُ شعَّ نورًا في الضمائرْ
وهواهُ شبَّ نارًا في السرائرْ
كلُّ صدرٍ فيه «للفاروقِ» قلبٌ
هائمُ اللوعة. خفَّاقُ الحنانِ!

• • •

خلوُهُ في الأرضِ تهواهُ القلوبُ
فهوَ روضٌ في ثراها وطيوبُ
وهوَ فجرٌ للحيارى، وطبيبُ
للذى ادمتْ يدُ البلوى حشاهُ
فغدا قوتًا لنارِ الحدثانِ!

• • •

اسألوا عنهُ دموعَ البائسينا
واسألوا عنهُ ليالى اليائسينا
اذ ما كانَ لهمُ صبحًا مبينا!
وضحىً يفجأُ بالنورِ اساهمْ
فجاةَ البشرى لضُلَّالِ المغانى!

• • •

واسألوا عنهُ الضنى والشجنا
والأسى في اىّ قلبٍ سكنا
افما كان يُنيقُ الحزنا

ماتثنيق النارُ أعصابَ الهمم؟
فزعةُ الموتِ، وإرجافُ الجبانْ!

• • •

واسألوا عنهُ محاريبَ الصلاةْ
كيفَ أسقاها تعاليمَ الهداةْ؟
وسرى كالنورِ يمحو الظلماتِ
ويردُّ الغبنَ في قلبِ العبادْ
شامخَ العزةِ، عُلويُّ الكيانْ!

• • •

واسألوا عنهُ جراحَ الوطنِ
كيفَ لاقاها غداةَ المحنِ؟
بيدٍ تحيي الضنى للكفنِ
وبقلبٍ كانَ أعتى جانبًا
منْ خطا الريحِ بداراتِ الدخانْ!

• • •

واسألوا عنهُ أماني العربِ
وهوَ يرعاها بإحساسِ الأبِ
ويذكّيها بعزمِ اللهبِ
إنْ دجا ليلٌ، سرى منْ تاجهِ
كوكبٌ للشرقِ صافي اللّمعانْ!

• • •

كمْ قبرٍ زرتهُ عانٍ طريحِ!

في دجىً كوخٍ كأحشاء الضريحِ

لحتَ في ظلمائه مثلَ المسيحِ

فأحلتَ النوحَ فرحًا، والرزايا

رحماتٍ من يدِ الشاكي دواني!

• • •

إيه يا «فاروقُ» أشرِبنا العلا!

وانشرُ البعثَ بنا والأملا!

واضمنْ للسالكينَ السبلا!

نحنُ راكبٌ.. أنتَ حاديهِ إلى

غاية تعجزُ أقدارُ الزمانِ!

٥

○ نشــوة الحــب ○

اغنيــة

هات اسقنى، واشربْ على لحنى　　خمرَ الجمالْ

وغنِّى، وارو الهوىَ عنّى　　وارو الخيالْ

واشهدْ غرامَ الريحِ بالغصن　　طوقَ الدلالْ

الحبُّ يسقى الطيرَ فى البستانْ

بالظلِّ، والأزهارِ، والعيــــدانْ

والنيلُ يسقينى بلا دنْ　　مــنْ هــذه الألحــان!

• • •

ياموجُ فَمْ رددْ معَ الطير　　نجوى ليالينَا

البلبلُ الصداحُ فى الوكر　　سهرانُ يشجينَا

والزورقُ النشوانُ فى النهرِ　　يحكى أغانينَا

والليلُ يروى عنْ فمِ الأكـــوانْ

«للتــاجِ»، والفــاروقِ، والأوطانْ :

مـاتكتمُ الأشـواقُ فى الصـدْرِ من حبِّ واديـنا ..

* * *

«فــاروقُ» هذى نشــوةُ الحبْ تهــفــو بواديكا

شمتْ بها منْ عالمِ الغيبِ أعراسُ ماضيكا

فى النهـر، والأدواح، والعشبِ دنيــا تحييكا ..

فى كلِّ وادٍ نورك الفـــتــــان

يسـرى معَ الأعـمـارِ والأزمـانْ

كـمـا سـرىَ دينٌ على قلبٍ والله يحـمـيكا ..

ن

○ باعث الجيل ○

إن لم أر الأفلاك تصغي لمزهري
وأنا أغني التاج.. ما أنا شاعرا

فلكٌ بحبلكَ في الشواطئِ دائرُ

أملُ الحياةِ به عتيٌّ هادرُ

رقصتْ له الأيامُ، وازدحمت على

كفيهِ من سحرِ الخلودِ بشائرُ

وتنفّسَ الوادي بهِ، فكأنهُ

نغمٌ من الفجرِ المهلِّلِ طائرُ

فإذا رأيتَ النيلَ، قلتَ: متوّجٌ

الدهرُ صولجهُ القويُّ القاهرُ

وإذا رأيتَ الحقلَ، قلتَ: قصيدةٌ

خضراءُ وقّعها الربيعُ الساحرُ

وإذا رأيتَ الطيرَ، قلتَ: ملائكٌ

للحبِّ في فمها نشيدٌ طاهرُ

وإذا رأيت الناس خلت بهم هوىً

مما يحمله المشوقُ الساهرُ

مهجٌ يرفُّ بها سناك كأنها

ظمأً يشفُّ إليه نبعٌ زاخرُ

ودعاءُ المسنةِ يكادُ لطهرهِ

ترفضُّ منهُ على الوجودِ مجامرُ

ويكادُ ينقلهُ إلى شفةِ الربى

ويعيدُ نغمتهُ الحمامُ الذاكرُ

وأكادُ في موجِ الشفقِ أرى لهُ

رجعًا يردده الرشاشُ الثائرُ

وأكاد أسمعهُ جنينًا لم تذعْ

أصداءَه لحبهِ إليك سرائرُ

أنا مرعشُ الأسرارِ في كبدِ الدجى

والليلُ عرافُ الظلامِ محاذرُ

شعرٌ هو الدمُ لو لمستُ خيالهُ

في الروحِ أحرقني الهدوءُ الساعرُ

أرسلتُ في «فاروقه» آيةَ حبهِ

إعجازَ فنٍ وحيُهُ يتواترُ

إنْ لم أذعْ للنجمِ سرَّ جلالهِ

حتى يهيمَ به الشعاعُ الطائرُ

إن لم أرِقْ لعلاهُ أحلامَ الضحى

حتى أرى الدنيا به تتسامرُ

إن لم يطرْ نفسي إليه على رؤى

بيضاءَ يحملها الصباحُ الماطرُ

إن لم أرَ الأفلاكَ تُصغي لمزهري

وأنا أغني التاجَ.. ما أنا شاعرُ!!

«فاروق» يا حادي المطالعِ في حمىً

بكَ نجمةٌ فوقَ العوالمِ ثائرُ

في ضجةِ الأيامِ والدنيا غدتْ

بركانَ هولٍ نارُهُ تتطايرُ

والحربُ عاجلتِ القيامةَ يومها

فمشتْ بها بينَ العبادِ تقامرُ

نقلت جهنمَ للشعوبِ وإنما

حملَ الخطيئةَ في لظاها الطاهرُ

إن حلَّ جاحمها بأرضٍ أصبحتْ

وبها القصورُ الشامخاتُ مقابرُ

نشرت خريفَ الموتِ في ساحاتها

فجماجمُ الهلكى بهنَّ أزاهرُ

ذبحتْ أمانيها على راحاتها

فغدا المؤمّلُ في هواها خاسرُ

وغـــدا بها ســـهـــانِ فى لهبِ الردَى

ذوُ رحـــمةٍ يخـشىَ الســمـــاءَ، وجـــائرُ

لاتروِ «للزيتـــون» ذكـــرًا عندها

فـحـديدُها بالسلم جــانٍ كـــافـــرُ

دفنتْ شـرائعـــهـــا فـضَلَّلَ دهرها

فى غـيـهبِ الطغـيــانِ شـرعٌ جـــائرُ

فى ليلهـــا الداجى ودونَ قـــتــامــه

خطوُ الرياحِ الهــوجِ خطوٌ عـــاثرُ!

سطعتْ بلكَ الأوطانُ شـــرقىُّ السنا

فـجـرُ البـشـــائر منْ يمـينكَ سـافـرُ

نشــرتْ خطاكَ بهـــا سكينةَ مــؤمنٍ

يحـدوهُ بطشٌ للعــزيمـــةِ قـــادرُ

انى مـــشـــيتَ بدتْ بـركـــبكَ آيةٌ

ليـــستْ لهـــا فى المالكينَ نظائرُ:

حبٌ مـــداهُ إلى القـــداسـةِ ينتـــهى

لوْ كـــانَ للحبِّ المقـــدسِ آخـــرًا!

اذكـــاهُ شـــعـبٌ فى ظلالكَ ســابغٌ

يا طالما أغـــفـىَ وطرفكَ ســـاهـرُ!

أوْ لستَ آسى جـــرحـــهِ منْ بعـــد مـــا

شُقَّـــتْ بنارِ الخُلْفِ منهُ مـــرائرُ؟

أو لستَ جامعَ شملهِ من بعد ما

أرداهُ في لهبِ الشقاقِ تنافرُ؟

أو لستَ باعثَ جيله من رقدةٍ

بوقُ النشورِ لها أنينٌ عابرُ؟

أو لستَ قائدهُ لعصرٍ أبيضٍ

آياتُ مُلكك في سماهُ منائرُ؟

أوَ لستَ فجرَ البائسينَ بشطّه

وزمانهمْ كالليلِ داجٍ عاكرُ؟

أوَ لستَ منْ ماضيهِ بعثًا أوشكت

أيامُ فرعونٍ بهِ تتفاخرُ؟

أوَ لستَ للشرقِ المجرَّحِ بلسمًا

يا طالما بندائهُ قَبرٌ الثائرُ؟

يا أيها الأملُ الفتيُّ لأمةٍ

كادت يشيبها الشبابُ الصادرُ(*)

قدها إلى الجوزاءِ، أنتَ شبابُها

ومعينُ حكمتها الدفيقُ الزاخرُ

واسبحْ بها فوقَ النجومِ، فطرفُها

أبدَ الحياةِ لنورِ عرشك ناظرُ!

ㅇ

(*) المستهتر الضال.

«.. إنى أعطف على هؤلاء المتألمين الصابرين»

«الفاروق»

(من رسالة ملكية)

○ ركابُ عيسى ○

«في شتاء سنة ١٩٤٤ هبت على أعالي الصعيد ريح عاصفة من وباء «الملاريا» فآثر «الفاروق» مواساة شعبه المعذب في جحيم هذه الحمى الفتاكة، على أن يشهد عيد ميلاده في عاصمة ملكه»

الفاروق في أسوان

فاروقُ! لوْ أنَّ للأيامِ أجنحةً

رأيتها بالهوى تأتيكَ أسرابا

فاروقُ! حبكَ سحرٌ لمْ تدعْ يدهُ

في الشاطئين حشًا إلاَّ وقدْ ذابا

فاروقُ! نوركَ خمرٌ صاغَ بارئها

ضرائرَ الناسِ للعشاقِ أكوابا

قال الصعيدُ . وقد كرُمتَ ساحتهُ .

نزلت بالركبِ أرواحًا وألبابا

تسرى، فتشدك الدنيا أغانيها

زهرًا، وطهرًا، وأمواهًا، وأعشابا

رآك فى الكوخ قومٌ لاحراك بهم

من الضنى، فأهاجوا الريفَ إطرابا

منقبتَ أوجاعهمُ بُرْءًا ومرحمةً

والدهر أترعها منًّا وأوصابا

قالوا: رؤى الموتُ بلواهمُ! فقلتُ لهم:

ركابُ «عيسى» يردُّ الموتَ كذّابا

فاروق خفّ لهمْ فجرًا، يسوق لهم

بحرًا من النور فى الظلماء سكّابا

يامنْ رأى ملكًا أعراسُ مولده

تهزُّ عرشَ الضحى بشرًا وإعجابا

ويسبقُ الشمسَ للأكواخِ يلبسُها

من النعيم سرابيلاً وأثوابا!

يجوسُ فى أرضها رفقًا، يناجيها

مهللاً فى قلوب الناسِ وثّابا

تلك العنايةُ يا «فاروقُ» رُحتَ بها

تلقّنُ الشعبَ أمثالاً وآدابا

وتجمعُ الرأىَ فى البلوى، وتسكبهُ

فى مهجةِ الناسِ أفرادًا وأحزابا

مولاى، لولا لظىً فى الروح قيدها

لطار شعرى على الآفاق سحابا

يُشجى بذكرك سمعَ الدهرِ فى نغمٍ

أعتقنَ منَ الدهرِ أوتارًا وأسبابا

٢

٥

○ سبقت خُطا الشمس ○

أغنية

تغنّى بحبك موجُ النهرْ
وعطرُ الربيع، وحلمُ الزهرْ
وهزتْ لك الطيرُ قلبَ الوترْ
تلفتُّ ترَ النورَ فوق النخيلْ
يحييكَ منه الضحى والأصيلْ
ويهواكَ سحرُ الصباح الجميلْ

• • •

سبقتَ خطا الشمسِ للهائمينْ
وسقتَ الأماني للعابرينْ
فكنتَ كفجرٍ يشقُّ السنينْ
ويمحو من الأرضِ خطوَ الظلامْ

مسحتَ بكفيكَ فوقَ السقامْ

فلم يَغْدُ في الكوخِ شاكٍ عليلْ

• • •

أفاروقُ أنتَ عزاءُ الوجودْ

وأنتَ على كلِّ قلبٍ شهيدْ

هفا مستجيراً إليكَ الشهيدْ

فمزّقتَ عنهُ ثيابَ المحنْ

وعلّمتَهُ كيفَ يلقى الزمنْ

ويعلو على الشمسِ في كلِّ جيلْ

٥

○ لمّا رآك الحيارى ○

«طرقتَ باب الحزانى أنت.. أم قدرٌ
فلم يبقَ للهم في واديهم شغلا؟!»

خلّوا هوانا يذيعُ الوجدَ أحيانا

فما وهبْنا سوى التغريدِ سلوانا

نمشي على الكونِ أطياراً، فإن سكنتْ

بنا الأغاني مشينا فيه عبدانا

وما لنا في فضاء الله أجنحةٌ

حتى نطيرَ إذا لمْ تُصغِ دنيانا

لكنهُ قدرٌ فينا يسيّرُنا

شجواً، وشدواً، وأوتاراً، وألحانا

نحنُ الأغاني، وما الأشباحُ غيرُ صدًى

مجسّدٍ ظنّهُ الزائرون أبدانا

أشباهُ إنسٍ.. وفينا كلُّ بارقةٍ

منَ السماءِ تردُّ السحرَ حيرانا

لاتعذلونا إذا ما الشعرُ أذهلنا

فهكذا هزّ لهُ الجبارُ صوّانا!

مشى الربيعُ إلى قلبى فقلتُ لهُ:

لا أعرفُ الحسنَ أزهارًا وأغصانا

إن كان فى ذلك المخبوءِ من نغمٍ

هات استقنيه صبابات ونيرانا

مالى انتهكتُ ولهانًا، وعدتُ كما

انتهتُ، أحملُ قلبًا عادَ ولهانا!

هل البقايا التى فى الكاسِ أهرقها

ساقى خريفٍ سقاكَ الودُّ يُهتانا؟

حاشاكَ ياخمرةَ العشاقِ أنْ نظرتْ

إليكَ عينى، فلم تبصركَ نشوانا

إنى عشقتكَ.. لا ظلاً ولا زهرًا

لكنّ زمانًا مُضى الروحِ فتانا

تلفتِ اليومَ فى الوادى، تجد ملكًا

هوَ الربيعُ خميلاتٍ وأفنانا

إذا مشى، ايتمتْ الضياءُ خطوتهِ

ظلاً، ونبعًا، وأنهارًا، وريحانا

وإنْ تلفتَ، ألقى نورُ لفتتهِ

فجرًا رطيبًا على الأرواحِ ريانا

وإن أشار: فمن إيماء إصبعه

يضيء شيء.. دعا الناس إيمانا

وإن تحرك منه أي جارحة

فمصر تدفعها هفا وإمكانا

وإن تكلم: أجرى النيل منطقه

بعزة كم جرى فيها قدامانا!

ياحارس التاج! يارئبال غابته

من غير باسك بعد الله يرعانا؟

أعدت للنيل عهد الصائرين به

لغاية تنشد الأفلاك أوطانا

وكان في غفوة سكرى، فأنعشه

ورد طرفك اليقظان يقظانا

إذا جرى فيه إعصار، وقفت له

ورحت تلقى على جنبيه بركانا

مصر التي وهبتك الحب ما عرفت

إلاك قلبًا لها في الروع غضبانا

نشرت فيها هوى الأحرار فاحتشدت

وقاسمتك الهوى شيبًا وولدانا

أنى خطوت ولو للنجم، تبصرها

على خطاك زرافات ووحدانا

نخوضُ بحرَ الليالي غيرَ عابثةٍ

ما دمتَ للموكبِ السيّاحِ رُبّانا

ألم تجدها على كفيكَ خاشعةً

لمّا رجعتَ منَ البلقاءِ أسوانا!

فجئتَها وهيَ في الأسقامِ نائمةً

أحالها البؤسُ للأكفانِ أكفانا

بزورةٍ كنتَ «مهمساها»، وبي حذرٌ

لولا جلالُ الهدى أدعوكَ رحمانا!

دخلتَ في ظلمةِ الأكواخِ تقتلُها

برحمةٍ لم تدعْ فيهنَّ لهفانا

لمّا رأتكَ الحيارى في مخادعهمْ

شكوا إليكَ الضنى: فقرًا، وحرمانا

سمحتَ بيمناكَ مُعطاةً وتعزيةً

لم تنسَ في زحمةِ الأسقامِ إنسانا

مسحتَ رعشةَ حُمْلهمْ بفرحتهمْ

فأُشربوا منكَ طبَّ الروحِ ألوانا

ورفرفتْ لكَ أيديهمْ كأنّهمُ

للماءِ طيراتٌ في البيدِ حَيرانا

طرّاقُ بابِ الحزانى أنتَ.. أمْ قدرٌ

لم يبقَ للهمِّ في واديهمْ شانا!

جردتَ سيفًا على الأحزان، مذ لمعتْ
شِفارُهُ البيض لم تُبْصرنَ أحزانا
وهكذا أنتَ للأوطانِ شاطئها
إذا ظلامُ الليالى السودِ غشَّانا
يُحسكُ الدمعُ فى أحشاءِ صاحبه
فلا يَمَسُّ بطيفِ الحزنِ أجفانا
الله أكبرُ يافاروقُ! ما عجبٌ
أنْ يرتجيكَ ضلالُ الدهرِ شطانا
فأنتَ للشرقِ تجديدٌ لعزته
تعلى وترفعُ آساسًا واركانا
وانتَ للنيلِ بعثٌ، ليمنَ يوقفهُ
ركبُ الحوادثِ مهما كنَّ فرسانا
انظرْ ترَ الشعبَ فى واديكَ مبتهجًا
يُزْجى لكَ الحبَّ إحساسًا ووجدانا
واسمع أناشيدىَ اللائى وقفتُ بها
أماجلُ السحرَ ترهيبًا وسلطانًا
منْ كانَ حبكَ يا «فاروقُ» مُلْهِمَهُ
أشعةُ الشمسِ لاترضيهِ عيدانا!

○ يــوم الفقيــر ○

(تضيق المستشفيات بكثير من المرضى فتخرجهم فى دور النقاهة إلى حيث يتقاسمهم البؤس فيعدمون الغذاء والمأوى ويعاودهم علاتهم من جديد.. ولقد مد «الفاروق» جناحًا من بره على هؤلاء المعذبين، فكان لهم ملجأ ورحمة وصار لهم كل عام يوم ينتظرونه هو يوم المستشفيات)

عيد الرحمة

سرتُ والقيثارُ يومًا فى يدى

أسكرتْهُ خمرةُ الحبِّ فنامْ

والضحى يُلقى عليه وعلىّ

نشوةَ الطوافِ بالبيتِ الحرامْ

والهوى فى خاطرى لحنٌ شجىّ

هزهُ عزافُ ليلٍ مستهامْ

وإذا طيفٌ من الرؤيا إلىّ

يتهادى سارقًا خطوَ الغمامْ

مثلما رفرف وحي بنبي
لقن النجوى لقيثاري.. وهام!

• • •

كنت والشعر غريبين نسير
زورقا ضل طريق الشاطئين
غربة الظل بصحراء الهجير
نتلاشى في اللظى مستنفين
نشرب الأنغام خمرا ونطير
اينما كنا ظللنا حائرين
وإذا أيك وطير، وغدير
وهوى يرجو لقاء العاشقين
حطم المقدار أصفاد الأسير
فليغرد كيفما شاء، وأين..

• • •

أطلقته في ربى النيل السماء
يُطرب الدوح ويهتاج النخيل
نيله موج، ومرج، وضياء
ورياح زاجلات، وحقول
فإذا النوتي غنى، والفضاء
ردد اللحن لفلاح الحقول؟

فاصْغَ لي فيها.. تجدني في الهواءْ
والثرى، والماء، والعشبِ الجميلْ
انا اهواها! وفنني في السماءْ
تلكَ خمارَ الضحى يسقى الأصيلْ

• • •

مصرًا والدهرُ على اعتابها
حشدَ الدنيا قديمًا وسجدْ
واضاءَ الفنُّ في صحرابها
مشعلاً يسطعُ في قلبِ الأبدْ
واداَر السحرُ في اكوابها
معجزاتٍ ماتَ عنهنَّ الرصدْ
هات اسكرْني من اعنابها
وانسني، لاتروِ عنيْ لاحدْ
فانا المنيةَ فلي بها
كلُّ نسمٍ في روابيها شردْ

• • •

تاجها والشمسُ ساقاً للشعوبْ
منذ شبَّ الكونُ انوارَ الزمانْ
غير انَّ الشمسَ تبدو وتغيبْ
وهوَ خلدَ شعَّ في كلِّ مكانْ

حلَّ «فاروق» به عرشَ القلوبْ

وسرى حبًا على كلِّ لسانْ

فسلِ الطيرَ، وسلْ زهرَ الكثيبْ

وسلِ النيلَ.. يُجبكَ الشاطئانْ:

كلُّ مايحملُ وادينا الرطيبْ

بالهوى يهفو إليهِ والحنانْ

* * *

ملكٌ ذاقت ليالي البائسينْ

من يديهِ رحمةَ القلبِ الكبيرْ

تؤْذ الآهةُ في الصدرِ الحزينْ

قبلما يرنو إليه المستجيرْ

فإذا ماركبهُ الهادى الأمينْ

مرَّ في الوادى بشاكٍ أوْ فقيرْ

طفرت نعماؤه للبائسينْ

طفرةَ الفرحةِ من وجه البشرْ

وسَرَتْ فوقَ دموع الحائرينْ

سيرةَ الشمس على طلِّ الزهورْ

* * *

أيها الداعي إلى يومِ السقيمْ

لترى شكواه رُدتْ رحماتْ

الضلل، والداءُ، والبرحُ الألمْ

والأسى الكاوى الجنوبَ الموجعاتْ

كلها عادتْ هباءً من هشيمْ

منذُ «فاروقُ» بدا يُعطى الهِباتْ

فتمتّع كلُّ ذى جُرحٍ كليمْ

نارهُ تشوى الضلوعَ البائساتْ

تجدِ السلوىَ منَ التاجِ الرحيمْ

نسختْ نارَ التشكى بسماتْ!

• • •

إيه يا «فاروقُ» ارسل بعثَنا

كلُّ يوم آيةً تجلُو المحنْ

واعدْ فوقَ الثُّرَى أيامنا

نحنُ إن لم نسبقِ الدنيا فمنْ؟!

وابعثِ الجهلَ، تجدْ أحلامنَا

تزحمُ الأنسُرَ فى عالى القُننْ

وامضِ فالدنيا ولوبٌ حولنَا

وإلى الأفلاكِ قُدْ مجدَ الوطنْ

راودَ الإلهامُ نابِي.. فمرنَا

طالما أنتَ نشيدٌ للزمنْ!!

٥

○ تشهد الفاس ○

(.. وهؤلاء الذين أدمى الحفاء أقدامهم، وبرح بأجسامهم الشتاء! غنت لهم «الفاروقية» فكانت أغنيته أول نداء للعدالة الاجتماعية. ويقظة الشعور الإنساني بهؤلاء المكدودين في دروب الحياة! وكانت أول نواة لمشروع الحفاء).

أغنية الحفاة

قلْ لساريـنَ مشـوْا فـوقَ الثـرى

بقلوبٍ كخطاهمْ داميـات..

ومشتْ أيامهمْ بينَ الورى

في ظلام البؤسِ حيرى حافيات:

أسبغَ التاجُ عليكمْ نورهُ

ورعاكمْ وحباكمْ برهُ

فاطرحوا الشكوى وإنْ طالَ السرى

أيقظَ اللهُ لكمْ جفنَ الحياة!!

• • •

في عبير الحقل، او رمل الهجير
تشهدُ الغاباتُ على الامكم
لا تمرّون بنبع او غدير
لمْ يصفقْ لروعةٌ منّا بكمْ
وعلى راحاتكمْ ينمو الزهرْ
والى الوادي تزفّونَ الثمرْ
فلذا عدتمْ حفاةً في المسير
تجرحُ الطيرُ اغانيها لكمْ!

* * *

يالمنْ احصي حصاكمْ بالمنى
واسا جرحُ اساكمْ بالهبات
ياشراة النحل.. منْ هذا السنا
علموا المال معاني الرحمات
منْ منَ الفاروقِ احنى وابرّ؟
ملكٌ قالَ لكعبةْ القدرْ
إنّ للرحمةْ معنىً ها هنا
جددوه كلُّ يومٍ للحياة!!

٥

○سجدت لهيبته الريّاح○

(ضوى الفاروق مليك الأقطار في خريف ١٩٢٨ إلى شطر من شعب
زواهم النسيان في مجاهل الصحراء الغربية حينًا من الدهر. فنزل
على الأعراب الجالسين في مضارب خيامهم، وصافح أياديهم...
أسعد فقيرهم، وأبرأ سقيمهم، وأحيا فيهم كيان الأسرة بمنح الهبات
للراغبين في الزواج).

نغمٌ على شفة الصحارى هائلُ
رجفتْ لسحرِ الشدوِ منّه «بابلُ»!
سجدتْ لهيبته الرياحُ، وكبرتْ
تحتَ الخيامِ عشائرٌ وقبائلُ
واهتزّ قلبُ البيدِ هزةَ عاشقٍ
بكرتهُ بالبشرى مُنىً ورسائلُ
ومضى البشيرُ على القفارِ كأنهُ
سَيْكابُ مزنٍ في السباسبِ هاطلُ
وكأن رجعَ صداهُ ضجةُ فاتحٍ
فزعَ الخلاءُ لها. وماد الأهلُ

لهدًا وتحتشدُ القلوبُ لجرسه

ويهلّل الشاكى ويهفو الأملُ

وترفُّ أرواحُ العباد لطيفه

رفَّ الحمائمِ تكنفتهُ ظلائلُ

«فاروق» والصحراءُ راحتْ بلمسه

شرفًا على نجمِ السما تتطاولُ

لبستْ له حللَ الأشعةِ فرحةً

وارتجَّ فى فيها السكونُ الذاهلُ

وتدفقتْ مهجًا، وسالتْ أنفسًا

لولا صفاءُ البشرِ، قيلَ: جحافلُ!

من شهبةِ النسيانِ هلَّ شبابُها

وضفتْ عليها من صبابةٍ غلائلُ

مستملؤها صفوُ المنى، وهواؤها

عبقٌ من الركبِ المطهّرِ ناهلُ

وصباحها أملٌ، ومغربُ شمسها

حلمٌ على شفقِ البوادى مائلُ

قد فاض إعجازُ السنا بربوعها

سيانِ شارقُ نورها والآفلُ

أصبحتَ يا «فاروق» خلدَ ضيائها

لولاكَ لظلَّ قتامها متواصلُ

«فاروقُ» خطوكَ في الرمالِ نبوءةٌ
للخيرِ في يدها البشيرُ العاجلُ
بيضاءُ يفترُّ الضحى لقدومها
طربًا وتخشعُ في الكثيبِ رواحلُ
وتميلُ أجنحةُ السوافي رهبةً
وتفرُّ من لهبِ الهجيرِ جداولُ
ويكادُ صمتُ القيظِ حولَ خيامِها
هزَجُ الربيعِ بظلهِ يتماجلُ
وخريفُ واحتِها يعودُ عرائسًا
يخضلُّ ملبسُها، ويحيي الذابلُ
وتذوبُ أنفاسُ الفراديسِ حولها
فتُنيخ نافجيا رِيٌّ وخمائلُ
غوثٌ وغيثٌ للقفارِ، ورحمةٌ
وندى، أجبني: هل يداك مناهلُ؟
بحرٌ من الخيراتِ صفقُ موجِهِ
للواردينَ، وراحَ يدعو الساحلُ
بركاتُ ربِّ التاجِ تُترعُ فيضَهُ
ويثيبُ لُجّتَهُ الكريمُ الباذلُ
أنّى سريتَ رأيتَ نثرةَ فضةٍ
هي في ليالي الياسمينِ مشاعلُ

من راحتيها سكبتنا هبة العلا
منْ نبعها الغرِب الأبيُّ نواهلُ
قومٌ على جَلَد الصفاة تماسكوا
وعلى المنابع قد تذوبُ جنادلُ
همْ لقنوا الدنيا الفضائل والهدى
والكونُ في همجِ الرذائل واغلُ
منْ ارضهمْ شعتْ رسالةُ احمدٍ(٥)
بالنور لا بالسيف عنهُ تناضلُ
طلعت على الفوضى، فهار عمودها
والشركُ صالتْ بها. وذلّ الباطلُ
بدوى مكةَ زفها قصبةٌ
ألقتْ الشموس بظلها بخمائلُ
وانبتْ تُعلى في القفار منارَها
والعصرُ مطموسُ السريرةِ غافلُ
صخبُ الحضارةِ ما اتنافته ولا الورى
ركبَ العلا، لفظُ الشعوب الهائلُ
فسريّتْ للأعراب تخطرُ بينهمْ
فلكًا على قُبب العلا يتنافلُ

---

(٥) النبيُّ صلوات الله عليه.

بشمائل عُمَرية سطعت بها

للصولجانِ على الجبينِ مخايلُ

هُرعوا إليك من الشِّعاب وبعثت

نورَ الركاب من الفجاج قوافلُ

وتهامس الركبانُ في فلواتهم

وأهاج صمتَ البيدِ منهمْ سائلُ

ماذا على الصحراءِ؟ جنٌ كهوفها

زمرٌ يجللها الخشوعُ حوافلُ

والريحُ أنسامٌ هنالك شذيةٌ

والصمتُ أعيادٌ هنا ومحافلُ

والبيدُ محرابٌ توهّجَ بالهدى

والثارُ للتكبيرِ شغلٌ شاغلُ

ماذا؟ وجلجلَ بالبشارةِ هاتفٌ

هذا السنا قبسٌ الركابِ الواصلُ

منْ هالةِ «الفاروق» شعشع لمحهُ

فليروِ غُلَّةَ قلبهِ المتسائلُ

مولايَ حبكَ أصحرتْ أباتهُ

فبكل وادٍ منْ هواكَ دلائلُ

غنى بكَ الحادي، فكبرتِ الفلا

وترنحتْ بينَ السهوبِ رواحلُ

حيَّاك قطرُ المزنِ حين وصلتَها
وانهلَّ بالنعمِ السوابغِ وابلُ

وسرتْ خطاك اليمنُ يسبقُ ظلَّها
وتفيضُ بالخيراتِ منك أناملُ

فالبائسون مضَى يكفكف بؤسهم
أملٌ يهلُّ بينهم وتفاؤلُ

ما هلَّ نورك بينهمْ حتَّى غدا
نجمُ الشقاوةِ عن حماهمْ مائلُ

والبائسون من الشفاءِ رحمتهمْ
والداءُ فتاكُ المواجعِ قاتلُ

ما كدتَ تشرقُ فيهمُ حتى بدا
للبرءِ جرحُ زمانهم يتماثلُ

يا وارثَ الأبطال حيتكَ العلا
وحباك تكرمةَ البطولةِ عاهلُ

ملكٌ شأى بالتاجِ، ينهضُ شعبهُ
وينودُ عنْ مجدِ الحمَى ويُصاولُ

ترك الحدودَ كتائبًا مخمورةً
بالنصرِ أملها القويُّ العادلُ

وأتى وقلبُ الشرقِ فاضَ بحبهِ
والنيلُ أزتْ من هواهُ مراجلُ

ه

○ من أغانى البائسين ○

يد الفاروق

يا يدَ الفاروقِ جدواكِ لنا
موسمُ البشرِ وأعيادُ المُنى

كلَّ يومٍ مهرجانٌ للندى
تصفينَ الشمسَ فيه علننا

تنسخين اليأسَ فجراً للمنى
وخيالَ البؤسِ بشراً وهنا

رحمةٌ أنتِ! مشتْ فى صاحنا
وأفاضتْ فى لياليها السنا

فى ظلالِ التاج قامتْ ركنها
عافَ أبراجَ الذرارى مكنا

كعبةٌ للبرِّ مبداهُ العُلا
جلّ من أنشا وسوّى وبنى!

وأصحاب الخلد لو طفت بها

فاهجر الخلد، وجاف الوطنا

هل علك الحزن في ساحاتها

إن شمخ الجود رقراق سنا..

• • •

يا بنت الفاروق، إنا معشر

هدنا البؤس، وأبلانا الضنى

قد ضربت البوم فينا مثلا

لذوي النعمى، وعباد الغنى

ختموا المال على أكبادهم

وأصموا عن أسانا الأذنا

لبثهم منك لسلهوا قبسا

ثم ساروا مثلما سرت بنا..

يمسحون الدمع من أيامنا

ويحضون الليالي الحزنا

ويمرون على حيرتنا

ويعادون الأسى والشجنا

مثلما مرت رخاة في الدجى

تلثم النهر، وتهدي المسكنا

ليتهم الغوا فتاتا للطوى

وأعاروا للجسوم الكفنا!

نحنُ أكبادٌ نفرّاها[1] الأسى

ومشى الداءُ إليها مؤهنا[2]

وجراحٌ. لا طعمتم نلزها.

أترعتْ في جانبيها الوهنا

نلبسُ الليلَ رداءً. فإذا

نعملُ الليلُ لنبنيَ المحنا

وسرينا مهجًا لا تشترى

ولو أنّ الموتَ كان الثمنا

وأعدّنا البرقُ راحًا وخطى

ودفنّا في الحلكوع الزمنا

فارحمونا واجعلوا من ضعفنا

قوةً في البأس تحمي الوطنا

كفُّ «فاروقَ» أهلّتْ نعمًا

وضفتْ نورًا وفاضتْ مننا

بعثتنا من بلى أرواحنا

وأعادت حلمَ الدنيا لنا

فاقبسوا من نورها، وامضوا بنا

مقدمًا يمضي سناها فوقنا.

ه

---

(1) تحطمها وتمزقها.

(2) في ظلمة الليل.

○ نادمتهم يدُ المليك ○

كمْ يمينٍ لولاكَ لمْ تلقَ في العيدِ

سوى الدمعِ والترابِ طعاما !

ومُغنِّينَ حينَ مرُّوا على القوتِ

جياعَ البطونِ مرُّوا كراما

فاسألِ المحزونينَ في كلِّ فجٍّ:

كيفَ حلَّ الندى؟ وكيفَ أقاما؟

لطمَ البؤسُ في حِمانِهمْ، وَوَلَّى

بائسَ الحظِّ هاربًا مُستضاما

نادمَتْهُمْ يدُ المليكِ، وكانوا

للأسى في دجى الليالي ندامى ..

○

«إن عرشاً وإن تاجاً يحف بهما العلم والشباب لعرش وتاج جديران بمصر، مصرُ التي كانت ومصرُ التي ستكون»

«الفاروق»

[من رسالة ملكية]

○ وكانت له ظمأى ○

أسكن الفاروق بيمينه جراح الإسكندرية عقب غارة شعواء خاض فيها بين الخرائب والأنقاض مواسيًا راحمًا، وكان من حزنها أن افتتح بها جامعة فاروق الأول فرد لها مجدها الغابر!

أغنّى على الألهام واسمع تعبُّدى
ترَ الدّهرَ مسحورًا بما أُلهمتْ يدى
تشفّنْتُ شجوًا فى غنائى، فلم أدعْ
شُعاعًا من التّغريد يُطربُ لى غدى
يجنبنىَ بحرُ هادرٌ من ملاحِمٍ
وأينَ لى الشطُّ البعيدُ لأهتدى ؟
وأينَ شراعى؟ أم لو كانَ فى يدى
لأذهلَ سمعَ الدهرِ ترديدُ معبدى
وماذا بكفّى غيرُ ناىٍ وَهَبتُه
لكلّ غرامٍ بالضّفافِ مُقيَّدِ

هبُونا أضعْنا العُمر فديةَ حُبها

فأيُّ تُرابٍ طاهرٍ نحنُ نفتدي!

هوانا على أدواحها وظلالِها

تنهدُ نارٍ في حُشاشاتِ مُوقدِ

ونُورُكَ يا (فاروقُ) فوقَ عبابِها

أباريقُ فجرٍ في رُبَاها مُخلَّدِ

وحبُّكَ يجري في حشاها مرقرقًا

كأمواجِ زخَّارٍ تروحُ وتغتدي

وخطوكَ فيها موكبٌ لبشائرٍ

تُزوِّدُ بالنعماءِ من لمْ يزوَّدِ

فيومًا إلى بؤسٍ تفضُّ أنينَهُ

كما فضَّ خطوُ الفجرِ همَّ المُسهّدِ

ويومًا إلى ضيقٍ تفاجئُ كربَهُ

كما تفجأُ البُشرى حديدَ المُصفَّدِ

ويومًا إلى محرابِ علمٍ تَصُبُّهُ

وترفعُ من صرحِ العُقولِ المهدَّدِ

وتبني خلودًا ليسَ يبنيه فاتحٌ

ولوْ أرهبَ الدُّنيا بسيفٍ مجرَّدِ

فبابٌ على هاماتِها البعثُ هاتفٌ

يقضُّ ظلامَ الجهلِ في كلِّ مرقدِ

فـــــائلْ مِنَ «الإسكندرية» مـــوجـــهَا
وكُلّ نســـــيـمٍ فـى ثُراهـا مـــــرنَّدِ

فجرْت لهَا بـالأمسِ نبــعًا مـصـــفّقًا
وكـانتْ له ظمـــأى، فـــقلتَ لهـــا: ردِى!

ودكّتْ جـــراحـــاتُ الزمـــانِ شـبـــابَهـــا
فـاحـيـيـتـهُ نضـرًا، وقلت لهـا: اسـعـدِى!

كـــــذلكَ تمشـى فـى الـديـارِ ممـلَّكًا
وتسـبقُ بالإصـــلاح كلَّ مُجـــددِ

• • •

ســـلامٌ علـى كفٍّ تـنـيرُ بـنـانُهـــا
مـصـابيحَ هادٍ، أو مـصـابيحَ مُرشـدِ

تضوّع تُقى عند الصـــلاةِ، فطيـبـهَا
يحـــدّثُ عنـه ربهُ كلَّ مـســـجدِ

إذا رَضـيـتْ كـــانتْ ســلامًا ورحـــمةً
وإنْ غضـبت راعتْ ضـمـيـرَ المهندِ

فـيـومًا لمجدِ النيل يُزجي شـبـابُهــا
ويومًا نرجّيـهـــا لدين «محـمـــد»

تباهى بهــا الإعـجــازُ.. فهىَ معـجـبـةُ
لكلِّ رجـاءٍ يبـتـغـيـهـا ومقـصـدِ

سلوا الشـرقَ عنهـا فـهى فى كـلِّ مـوطنٍ
سلوا العلمَ عنهـا فى كلِّ مـعـهـدِ

ألمْ تكُ للعُــــمران أذْنى شَجاعةٍ

ألمْ تكُ للظلمـــآن أسْـــرغَ مَـــوْردِ؟

ألمْ تكُ للأوطان بأسًا يُعِـــــزُّها

ويرعى بهــا الأحـــرار مِنْ كلِّ معْتَدِي؟

سلوا كل شــالٍ، كل بالٍ، رنا لهــا

أمــا نفثتْ نورَ الله مِنْ هذه اليـــدِ؟!

• • •

أمــولاي مـــا هذا غناءً مُزَقْــزَقًا

ولا مَـدْحًا يشجى لهـا قلبُ منشــدِ

ولــكنـــهُ حُبٌّ، وحــقٌّ، وآيــةٌ

سَحرتْ بهــا قلبَ الخيـالِ المُفـرْدِ

إذا استبق الشّادونَ قبلكَ صبَابَةً

فأنتَ رحيقُ الحبِّ للظامئِ الصدي

تهــافتَ روحُ الشرقِ حولكَ هائمًا

كمـا سرتَ بالوادي يَسيرُ ويَهتدي

إلى القائد الأعلى يُحِفُّ زِمـامَـهُ

فأين تقصدْ في ذُرى النجم يقصدِ

فخذْ لزمانِ النيلِ أرفعَ ذروةٍ

مِنَ الدهرِ، وأملكْ في عُلاها وشيّدِ

ولا تسألِ الأيامَ مـا سرُّ خطبها

ولو لُحْنَ في ليلٍ مِنَ الهولِ مُـربدِ

فـــانتَ منارٌ ســـاطع فى سكينةٍ..

لهــا هــزعــةُ العـــافى، وبطشُ التـــمـــردِ

لهـــا التّاجُ قلبٌ شــعــبــهُ فى شــغـــافــهِ

كـــمـــا تسكنُ الأعطارُ فى الزّهـــرِ الندى

لهـــــا التّاج حُبُّ خـــــالدُ.. هـامَ طُهْرَهُ

وحـــوّمَ فى مـــــــــــرى قلوبٍ وأكـــبُدِ

لهـــا التـــاجُ رمـــزٌ للعــــلا وصـــحــيــفــةٌ

عليــهـــا سطور المجـــد يكتبنَ للغـــدِ

فـــيـــا واهبَ الأوطانِ حـــبلكَ هنئهِ

أغـــانى حولهـــا خـــالداتُ التّرنُّدِ

تدفّقن «للفـــاروق» شـــعـــراً، كـــأنّهُ

تســـابيحُ طوّافـــينَ فى قلبِ مَعْبـــدِ!

٥

○ أصغي لك السودان ○

(تحية من صوت العرب هدية تحملها في افتتاح الخط التليفوني بين مصر والسودان)

بالسفحِ، والقيعانْ،

والدَّوحِ، والأغصانْ،

والموجِ، والشُّطآنْ

أصغي لك السُّودان

• • •

مُسبِّحٌ توّابْ

نعسانُ بينَ الغابْ

وحولهُ الأعشابْ

كأنها أهدابْ

ترنُو إلى الرَّحمن

• • •

حـــادِ لـــهُ أنغــامْ

مــصــريـةُ الإلهـــامْ..

مــن غـــــابـر الأيــامْ

والـــنــيـــلُ، والأهـــرامْ

فى كـــفـــهِ عـــيــدانْ!

* * *

طـافـتْ بـه الأصــــداءْ

مِنْ صـــوتكَ الوضّـــاءْ

كـــأنـهـــا إيحـــاءْ

بـيـــقـظةٍ شــمّــــاءْ

لــهــــــــذهِ الأوطــان !

○

○ فى وادى الشمس ○

(الفاروق يشق عنان السماء، على طائرة حملته إلى عاصمة الصعيد «أسيوط» حيث أرسى بيده قواعد جديدة للإصلاح والعمران كان فى طليعتها افتتاح للمعهد الدينى بناحية الحمراء)

هيّئى الأشعة من ضحاك مثانيا

وتلقَّ منى المعجزات أغانيها

أوتارى احتدمتْ، وجلجل أزْغُنى

منْذا يهُزُّ، سوى مناك، بيانها؟

أخجلتَ كِبرَ الشمس حين زحمتها

نَسرا لأجواءِ العظائمِ هاديها

سبّحتَ بلدَ البيضاءُ تشمخُ فى الضُّحى

وتشقُّ فى الأضواءِ بحرًا طامِها

لقّنتها سرَّ العُلا، وتركتَها

للجوِّ تقتحمُ السِّماك العاليها

في زاخرٍ بالنورِ، ماتَ ضبابُه

وشتاؤُه بالدفء أصبحَ كاسبا

الجوُّ أطرقَ . والرِّياحُ على كرىً

مِنْ هيبةٍ في السفحِ رُحنَ غوافيا

صيَّرتَ منتجعهُنَّ رفرفَ كعبةٍ

للطَّيرِ، أو حرمًا هُنا لكَ ثانيا

واستشرفَ الوادي ضياءكَ مثلما

يتنظَّرُ المثاري شُعاعًا هاديا

وطغى الحنينُ فكلُّ ذاتِ ربابةٍ

في الدوحِ سلسلت البغامَ الشاجيا

ورقاءُ انعشتِ الخميلَ، وأرعشتْ

بالسِّحرِ مِنْ فمِها النَّسيمَ السّاريا

والنَّحلُ أشعلَ في الحقولِ مجامرًا

خُضرًا على بردِ الظلالِ حَوانيا

طيَّبنَ أرديةَ الصَّباحِ، ولم يَزلْ

جَيْبُ المساءِ بِهنَّ أفيحَ زاكيا

وصبا النَّخيلُ فكلُّ ذاتِ ضفيرةٍ

رَقصتْ غدائرها هوى وتناجيا

واهتزتِ الأكواخُ رغمَ سُكونها

تحتَ العرائشِ، فرحةً وتناغيا

نَسِيَ المُقَلُّ بِهـا لَيَالِيَ ضَنْكِهِ
وَمُـرَزَّحُ الجَنَبَاتِ أَصْبَحَ صَالِبَا

وَلَوِ السَّوَاقِي دَارِيَاتٌ.. مَا غَدَا
دُولابُها تَحْتَ الخَمَائِلِ بَاكِيَا

بِالأَمْسِ ذَكَّرَهَا البَشِيرُ، فَرَنَّحَتْ
نَغَمًا، وَهَزَّتْ أَذْرُعًا وَدَوَالِبَا

وَغَدَتْ تُغَنِّي.. وَالقَنَابِرُ حَوْلَهَا
وَالنُّورُ فِي الكُثْبَانِ يَرْقُصُ لاعِبَا

اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّ أَعْرَاسَ العُلا
فِي الرِّيفِ هِجْنَ إِلَى لِقَائِكَ طَوَامِيَا

فَارُوقُ، تِلْكَ «مَنْيَوطُ» فَارِعَةُ العُلا
بِلِقَائِكَ تَاهَتْ أَرْبُعًا وَمَغَانِيَا

وَبِيَتِكَ فَرْحَتُهَا أَسَارِيرُ الضُّحَى
وَارْتَكَ فَتَنْتُهَا الأَصِيلَ الجَالِيَا

وَجَلَتْ مَفَاتِنَهَا فَكُنْتَ شُعَاعَهَا
وَصَبَاحَ فَرْحَتِهَا الشَّذِيَّ النَّادِيَا

مَوْلايَ كَرَّمْتَهَا بِخُطُوكَ. إِنَّنِي
مِنْ حَوْضِهَا أَرِدُ الفَخَارَ الصَّافِيَا

لَبِسَتْ لَكَ «الحَمْرَاءُ»(*) فَوْقَ ضِفَافِهَا
إِكْلِيلَ غَارٍ بِالبَشَائِرِ حَالِيَا

(*) ضاحية على شاطئ النيل بأسيوط وبها المعهد الديني.

اعليتَ فيها الدينَ، والدنيا غدتْ

أيامُها بيضَ الحظوظِ هوانيا

ورفعتَ أمرَ المنشآتِ بظلِّها

رُكنًا لأنضاءِ المقادرِ حانيا

وأقمتَ للوادي صُرُوحَ عظائمٍ

شُمًّا على فلكِ النجومِ عواليا

فاسلمْ الفداةَ كما تشاءُ لك العُلاَ

واطلُعْ على الوادي منارًا هاديا

وانشرْ ضياءَكَ في المواطنِ كلها

واظلْ تحتَ التاجِ شعبًا فاديا!

ن

«.. إن الممالك تمر بالشعوب وتمضي وتبقى الشعوب بحالها»

«الفارس»

(من رسالة ملكية)

○ على جبال «رضوى» ○

أعلى تلك القمة العربية الخالدة في سفوح جبال رضوى التي على ساحل مقابله بساحل «العزيزة»، فكانت بمثابة كبرى لوحدة الشرق، وصمود العرب، وعزة الإسلام!

زيدي إنشادك .. زيدينا   واسقي أكوابك واسقينا

وخذي الأوتار وغنينا   ودعينا للحبِّ دعينا

واصغي للموج النشوانِ

ولهمس الدوح النعسانِ

ونسيم الفجر الحيرانِ

وبكل صدى فوق الوادي   نادى أحبابك.. تجدينا

• • •

النّيلُ بكفيه سقاكِ وثراهُ الأخضرُ غذّاكِ
وهفا بالسحر جَنَاجاكِ فعلامَ بَخِلْتِ بنجواكِ؟

وسموتِ إلى أفقٍ عاتِ
حلّقتُ له بخيالاتى
وخفقتُ له بصباباتى

فإذا بى مازلت أنادى وأمدُّ على الأرض شباكى !

• • •

طيرى باللحنِ، وبالعودِ ما فوق بحارٍ، أو بيدِ
واشجى الآفاقَ بتغريدِ أحلى مِنّ رشفات الشهدِ

وأسرى ما شئت على الدهرِ
كأغنيةٍ تلعبُ بالسحرِ
وتقمّصُ أرواحَ الطهرِ

وتحومُ فى كل فؤادِ فيهيمُ بها.. لكن عُودى!

• • •

عودى واحكى لىّ عن نجوى سمعتها الريح على «رضوى»
لجراح الشرقِ غدَتّ سلوى وحديثًا فى الدنيا يُروى

عن أول ضيف للعرب

لغيبته جباههم كبى

مجهول الزورة مرتقب

فجأ الصحراء بميعادٍ ... ما كان بخاطرها يُطوى!

* * *

حيّاه، وكرمه الجبل ... وأضاءت ببنيه السُّبل

واختشع الحادي، والجملُ ... فكأنَّ ملائكةٌ نزلوا

والصَّخرُ توهجَ للقادمْ

والسفحُ تموجَ لخُطاهمْ

والقفرُ الأخرسُ غنّاهمْ

شعراً أبدى التّردادِ ... كالوحي تتمتمهُ الرُّسل!

* * *

ومَرَى تحدوهُ الأرواحُ ... وترف سهولٌ ويطاحُ

فالرملُ عبيرٌ فواحُ ... والجو هتافٌ صدّاحُ

والنّاسُ حنينٌ مشبوبُ

وشفاهٌ تلهجُ وقلوبُ

والأرض قفارٌ وسهوبُ

ولبثَ للقاءِ بابرادِ ... فيهنَّ خميلٌ وصباحُ

• • •

مَنْ مثلك بين الركبان ... كريمٌ بين الأزمانِ؟
يترقرقُ في كل مكانِ ... نورًا للساري الحيرانِ

ونداهُ تُفجرُ أرزاقًا
وخطاه تنورُ آفاقًا
وصباهُ يجددُ إشراقًا

ويشعُّ كمصباحٍ هادٍ ... يُبلي ظلماتِ الأحزانا

• • •

والفُلكُ تموج مباخرهُ ... وتضوعُ لديهِ مجامرهُ
يمشي والطاهرُ يساورهُ ... وجلالُ الملكِ يُسايرهُ

والعطرُ يشقُّ له السُّبُلا
ويتيه على يده القُبلا
مازال به... حتى نَزَلا

في روضٍ(*) خضلٍ ميادٍ ... نبتتْ في الخلد أزاهرُها

• • •

(*) روضة المدينة المنورة حيث زار الفاروق قبر الرسول وأم المصلين.

فتجردْ إلا مِنْ نورٍ   لله عليه منثورِ

ما بين ضياءٍ وعطورٍ   وقداسةِ أرضٍ وصخورِ

ومقامٍ برهبةِ القدرْ

ومزارٍ قبلةُ البشرْ

فتراموْا فيه واعتبروا

حرمٌ أزليُّ القُصّادِ   قدّستْ ثراهُ بشعوري

• • •

الصولجُ، والباسُ العالى   خشعا اجلالَ الحرماتِ

مَنْ أمَّ الناسَ بساحاتٍ   بيضِ الأركانِ مُضيئاتِ

مَنْ زار قبورَ الأصحابِ

فى ميعةِ عمرٍ وشبابِ

لمْ يُرزأ بملكٍ غلابِ

وبتاجٍ للشمسِ ينادى :   خلِّى التسيارَ لخطواتى!

• • •

«فاروق» وكم دكَّ صعابا!   وأذلَّ منَ الهولِ رقابا!

وتوثّبَ نمرًا جوّابا   يجتازُ فجاجًا وشعابا

وبقلبُ انفاضَ الزمنِ

وبفتشُ فى ليلِ المحنِ

وبخوضُ باحشاءِ الدِمنِ

ويمرُّ بجنبِ ووسادِ فيذيبُ دموعًا وعذابا!

• • •

فاروقُ نزلت البيداءْ حبًا، وسلامًا، وصفاءْ

حيتكَ رباعًا وفضاءْ ورياحًا تخفقُ وسماءْ

وأتاك العربُ البادونا

يُسقونَ الحبَّ ويسقونا

عُشاقًا حولك يهفونا

سكرُوا مِنْ خمر الإنشادِ وتهادوْا .. رقصًا، وغناءً!

• • •

ذكرتْ البيدَ بماضيها واهجتْ الصحرَ بواديها

فكأنَّ الوحى سَرَى فيها وكأنَّ ركابكَ حاديها ..

وكأنَّ النيل بها يجرى

وكأنكَ منْ رؤيا مصرِ

حلمٌ للشرقِ بها يسرى

ويمـــــرُ كـريانٍ هادٍ يتجنبُ ليلَ عواديهـا!!

• • •

فاروقُ! وأنتَ على العربِ أحنى من قلبِ أخٍ وأبِ
جمعتَ هواهم فى سببٍ ووصلتَ به خطوَ الشهبِ

ولقـــدْ وحّدنا فى البلوى
عهدٌ كالصخرة أو أقوى
تُطوى الأعمــارُ ولا يطوى

وتمرُّ جميع الآبادِ وصداهُ يمرُّ على الحقبِ!

• • •

مولاى وحبكَ لا أدرى لمداهُ سماءٌ فى شعرى
شىء فى قلبى كالسحرِ كالموج يدومُ فى صدرى

فاسمعْ غناهُ دوّنى
وطوانى فى تيهِ الزمنِ
واسكبْ أنوارك للوطنِ

ولشهد فى الرائح والغادى حبًا يتفجرُ كالبحرِ...

ن

هذى فلسطين

أعلى يديك جراح الشرق قد لمست
أطب الخليل وبره للمدنف العانى

سَرَى إلىَّ مع البشرى وحيّانى

بمثل همسِ الرُّؤى فى قلب نعسانِ

لحنٌ على دارةِ الأفلاك مرتجزٌ

هزَّ النجومَ بترجيعٍ وإرنانِ

فاروقُ هذا هوى الوادى ترنُّ به

فى مسبحِ الشمسِ أنغامى وألحانى

أعيادُ عصرِكَ دُنيا ما سمعتُ بها

ولا تبدّتْ حواشيها لإنسانِ

مواسم ما اجتلى «فرعون» فرحتها

ولا صفا بِشرُها يومًا لسلطانِ

على يديكَ جراحُ الشرقِ قد لقيتْ

طبَّ الطبيبِ وبُرءَ المُدنَفِ العاني،

فما به جنوةٌ إلا وكُنتَ لها

بردَ الرحيقِ على أحشاءِ ظمآنِ

ولا تأوهَ شعبٌ مِنْ فوادحِهِ

إلا نشرتَ عليهِ ظلَّ سُلوانِ

هذي «فلسطينُ» تغلي في مراجلِها

كأنما قُذِفَتْ في جوفِ بُركانِ

تلفَّتتْ القدسُ فيها شاكيًا فمضتْ

أنوارُ ملككَ في عطفٍ وتحنانِ

ترضى، وترحمُ والأقدارُ شاهدةٌ

وفي يمينكَ للإسلامِ سيفانِ

سيفٌ مِنَ اللهِ علويٌّ تصرُّ به

كالهولِ بالهولِ في صبرٍ وإيمانِ

وسيفُ عزمكَ الجبارُ ما شهدتْ

مضاءهُ بالليالي عينُ إنسانِ

في عهدكَ الشعرُ غنَّى صادحًا طربًا

وما زال يضربُ أوزانًا بأوزانِ

وفي صدى الحربِ هتَّافٌ أنا فمهُ

وهوَ المزقزقُ إحساسي ووجداني

لئن كنتُ منْ زُغْبِهِ فى العُمرِ. لا عجبًا

فالعبقريةُ لا تُحصى بأزْمانِ

أنا الذى بسنالفِ أيهضْ لى نغمٌ

وخلّدتْ ساحةُ الأقيالِ ألحانى

○

○ دجلة .. والنيل ○

لمحتُ بجنات مصرٍ شُعاعا | لأنواره صفّق الشاطئان
غزا طيفه كلَّ قلبٍ وشاعا | فلم يخل من صفحتيه مكانْ
تهادى فخلّت الرُّبى والبقاعا | وشمسُ الضُّحى موكبًا من حنانْ
فيا «نيلُ» من هزّ فيك البقاعا | ملاكٌ وفي كفه صولجانْ
حمَى الله ايامه انْ تُراعا | ووقّى لياليه ريبَ الزمانْ

واعلى مع الشرق مُتَّكًا حواهْ
ونهرًا تهيم به ضفتاهْ
وتاجًا على الباسِ يرسو عُلاهْ
وشعبًا إلى «مصر» يهفو هواهْ
ويربطنا فيه عهدُ الحياهْ

خُطانا إلى كل كلّ مَجد خُطاء

فدجلة والنيل ذاقا الرضاعا — شقيقين: دينًا ونجوى لسانْ

• • •

فياتاج مصر أتتك الشعوبْ — من الشرق تسكبُ أحلامها

والقت إليك زمامَ القلوبْ — فكُنتَ هواها وإلهامها

إذا ارعشتْ جانبيها الكروبْ — أسيت. فآسيتَ آلامها

وإن مسّها في سُراها لُغوبْ — إلى النجم طيّرتَ اقدامها

فانت لها في ظلام الخُطوبْ — صباحٌ يُنوّرُ ايامها

وينشرُ في كل وادٍ ضياء
فينسى به كلُّ قلبٍ أساهْ
على النهر أو في هجير الفلاة
زمانٌ بفاروق ضاحٍ سناهْ
مليكٌ على الشرقِ تحنو يداه
رعى ملكهُ ورعاهُ الإلهْ

صحتْ أممُ الشرقِ تبغي الهبوبْ — فهيا لنرفع اعلامها

• • •

منَ الرافدين اضاءة القبابْ — شُعاعٌ بمهدِ العُلا يرفلُ

سَرى والربيع يحث الركابْ — إلى الدوحِ فردوسهُ المُخضلُ

فكانا ربيعين بين الشعابْ — يحييهما الحُبُّ والجدولُ

وهذا يُناجيه قلبُ الشبابْ — وهذا الطيور له تهدلُ

ولكن ربيعك عَخُ الأهابْ — حبيبٌ إلى النيل يا «فيصلُ»

فموجُ «الفرات» جرى في رِبَاهْ

وأحلامُ «بغداد» فضَّتْ شذاهْ

وقلب «العراق» انتشى من صباهْ

ورقرق آماله في سماهْ

غناً من هديلك يُلقي مُناهْ

وفي ظل عرشك يجني جناهْ

ونصبحُ بالشرقِ فوق الشباب علي وحدةٍ .. دينُها منْزِلُ

○ أرزة لبنان ○

لبنانُ، والسحرُ في يديهِ

والفن نشوانُ في ثراهُ

والشعر، والحبُّ والأغاني

مشبوبة الوجد في رُباهُ

وناى داوده مِنْ قديمٍ

يرن في سفحه صداهُ

حببتَ آفاقَهُ، وقامتْ

قيامةُ الشوق في جبلهُ

وغالبتْ خُلدها وكادتْ

تصبر من لوعةٍ خُطاهُ

وكاد يأتيك والأماني

تُسابقُ الحبَّ في هواهُ

أرزتُهُ في أسى الليالي

وكنت في كربه أخاهُ

عـــات على القـــيـــد، كم لوته
بغـــضـــبـــة الحُـــرّ راحـــتـــاهُ
مـــتـــوجٌ بـالجـــمـــالِ حـــبًّـا
مـــتـــوجًا بالعُلا ضـــمـــاهُ
واقـــبلتْ «ارزةٌ» علـــيـــهـــا
تمائمُ الســـحـــرُ او عـــصـــاهُ
خـــضـــراءُ مـــشـــبـــوبةٌ سنـــاهـــا
منْ عـــزة الشـــرق مَنْ سنـــاهُ
حطّت «بقبّدين» عـــنـــد فـــجـــر
يفـــيـــضُ بالنـــور شـــاطئـــاهُ
وكـلّـنـــا حوله طـيـــور
وحُبُّـــه الـــرّوْضُ والمـــيـــاهُ

ن

○ جــار الصحــراء ○

في خريف ١٩٤٣ كانت قرية القصاصين القائمة على مشارف الصحراء الشرقية في شمال الدلتا كعبة للمصريين، هرعوا إليها بأجسامهم وأرواحهم حالمين حول خيمة مباركة أوى إليها المليك العزيز مستشفياً من عثرة هلع لها قلب الوطن!

أصبحت يوم عيد جلالته ملحقاً إلي عاصمة ملكه!

جــاءتك تشكو الظمــا قــيــائرها
أشــرقْ.. فــإن الضــيــاءَ هاجــرُها
خــمــيلةٌ مِنْ هوىً مــمــدنيةٌ
اســبــانَ شوقاً إليكَ طائرُها
رياضُهــا. نهــرهُــا. جداولهــا
أنســامُهــا. عِطرها.. أزاهرها
مــشــبــوبةٌ في الضــفــافِ والهــةٌ
تُثــيــرُ وجــد الدجى زوافــرها
الليل هــيــمــانُ تحتَ أغــصُنهــا
كعــاشقٍ في الربى يُســامــرها

جاءتك أمواجه مغمغمة

يضجُّ فرطَ الحنين هادرُها

تجري، وللدهر أرغنٌ صدحت

بسحره للورى مزاهرُها

في جنةٍ مولدُ الخُلودِ بها

تروي أحاديثهُ مخاضرِها

تُنكي جُنونَ الصبا ملاعبُها

وتستنيرُ الهُدى منابِرها

أمعبدٌ للجمالِ؟ أم وطنٌ؟

أمْ كعبةٌ شعشعتْ مجامرِها؟

أمْ مُهجةٌ كلما خطرتْ بها

منقتلك خمرُ الهوى سرائرها؟

أمْ أمةٌ أنتَ سرُّ يقظتِها

من رقدةٍ أظلمت ستائرها؟

آبانَ أومأتَ للعُلا، وقفتْ

مُعلّقاتِ السنا نواظرُها

كمْ أمةٍ تقهرُ الجبالَ مضتْ

وأنتَ تحت الضُلوع قاهرُها!

ودمعةٍ قبل أنْ تبوح بها

إليك، ضنّتْ بها محاجرُها!

انتَ شعـــاعٌ يخضرهُ غمُّتـــهـــا
انى ســـرى نورتْ ضـــمـــائرُها

كـــيف الفـــلا يا مَليكُ لُذتَ بهـــا
ولمْ تذُبْ نشـــوةُ مـــزامِرِها؟

خـــيَّمتَ فـــجـــرًا على مـــشـــارفـــهـــا
فـــقرّتْ نيهـــانُهـــا وحـــائرُها

خـــرســـاءُ جـــاءتكَ ليس فى يدها
إلا هـــوىً عـــاصِفٌ يخـــامـــرُها

نفـــثتَ فـــيـــهـــا صِبا الربيع، فلوْ
ســـالتـــهـــا عنكَ: فـــاحَ عـــاطرُها

ذابتْ امـــاســـيُّهـــا شجىً. ومـــضتْ
تدعـــو الســـمـــا رَحـــمـــةً بواكـــرها

وجلجلتْ فـــوقـــهـــا الرياحُ كـــمـــا
لوْ قـــيلَ: إن الـــزمـــان زائرهـــا!

مـــاذا على البـــيـــدِ يا تُرى؟ ملكٌ
ام كـــوكبٌ بالضـــيـــاءِ باهرهـــا؟

تزاحلتْ بـــالمُنى قوافـــلـــهـــا
وضـــوأتْ للمـــنـــا مـــنـــاورُهـــا

هـــنا هـــوَ الـــليلُ.. تـــلكَ قـــصتُـــه
اولـــهـــا فى هواكَ آخـــرهـــا

قـديـمـةُ الوحى، انتَ ملهـمُـهـا

وانتَ فـوقَ القلوبِ سـامرُهـا

حلّتْ إليكَ الوفـودُ تحسـبُـهـا

أمـواجَ بحـرٍ طغت زواجرُهـا

لا قلبـهُا صـامتٌ ولا فـمُـهَا

كل أغـانى الهوى حناجـرُهـا

مسحـورةٌ فى يديكَ رُقـيـتُـهـا

أشرقْ! فـأنتَ الغـداةَ سـاحـرُها..

تلفّتتْ حينَ قلتَ: أما كـمـا

لوْ حملتْ طعـنـةٌ مـرائـرُهـا

رمت يد الله عثـرةً، ذهـبتْ

خطاكَ مـيـمـونةٌ تحـادرُهـا

مرت كطيفِ الكرى على قدرٍ

دامٍ به ضـحـواتٌ يشـانرُهـا

عنايةُ الله أسـرعتْ فـغـدتْ

درعًا به حطمتْ مـقـابرُهـا!

يا قـادمًا والسمـاءُ لوْ قدرتْ

حفّتْ بـأنـوارِهِ زواهـرُهـا

أقـبلْ فـإنّ القلوبَ ظامـئـةٌ

نادتكَ منْ لهـفـةٍ مـشـاعـرُهـا

منْ كعبة الله أوشكتْ أممٌ

تطل لولا التقى نواظِرها

كادت بشيخ الجبال وقفتها(*)

يطير شوقًا إليك خاطِرُها

هنا هو الشرقُ! أنتَ! صونُهُ

إذا الليالي نمت دوائرها

أشرقتَ عيدًا، ورحمةً، ورؤى

للحبُ ثارت به ثوائرُها

وهللتْ مصرُ للركاب كما

لو أترعتْ نشوةً سرائرها

هزتْ له الطيرُ عودها، وأنى

يهزُّ قلبَ الزمان شاعرُها

(*) صادفت عودة الفاروق يوم وقفة الحجيج على جبل عرفات.

○ حماك لشعبك الله ○

الأغنية

تغنى الطيرُ فى الفجرِ ... فقلتُ: الطيرُ نشوانْ

وطافَ العطرُ بالزهرِ ... فقلتُ: العطرُ ولهانْ

ورنّ الموجُ فى النهرِ ... فقلتُ: الموجُ فرحانْ

فضلُك ساحرُ الطيرِ

وحبكَ فاتنُ الزهرِ

وعبدلكَ فى فم النهرِ ... أناشيدٌ وألحان

• • •

لكَ التاجُ الذى أهدى ... جبينَ الشمس مرآه

لكَ النهلُ الذى أسرى ... وأنتَ غرامُ دنياهُ

فأشرقْ فى حمى مصرا ... حماكَ لمجدها الله

وزادك فى العُلا نصــــرًا

هــــانتَ العــــزةُ الكبْرى

وانتَ العـــهدُ والبُشـــرى حمـــاكَ لشـــعبك الله

* * *

عـــشـــقْنا فــيك الوانًا من الرحـــمـــاتِ والعـــزْ

عشــقْنا فــيك إحســانًا يفـــيضُ كلُجّة البـــحـــر

عـــشـــقْنا فــيك إيمــانًا يضــيءُ ســـريرة الدهــر

هــــانتَ مــــلاذُ دنيـــانا

بنورِ التــــاج ترعــــانا

إذا مـــا الهـــولُ نادانا ستبْقى لهُ خُطا «مـصـر»

○ من ذلك الفارس..؟ ○

[ألقيت في مهرجان الأمة المصرية احتفالاً بذكرى نجاة الفاروق من حادث القصاصين بدار الأوبرا الملكية مساء ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٤]

حلاَ الغناءُ، فهاتُوا خمرةً هاتوا

إنا نشاوى وهذا الشعرُ كاساتُ

لا تعذِلونا إذا لاحت جوانحنا

كأنها لأغاني الحُب حاناتُ

كنا نَحوم بليلٍ ليسَ في يده

لحائرِ الطيرِ أعشاشٌ وأيكاتُ

فلا الغناءُ غناءٌ في حناجرِنا

ولا بأوتارنا تهتزُّ آهاتُ

كُنا تماثيلَ تغريدٍ أحاطَ بنا

نحاتُ صمتٍ له بالشدوِ ثاراتُ

نامٍ، وتاسى الأغانى فى مزاهرنا
وللغناء كما للناس ويلاتُ!

* * *

مَنْ ذلك الفارسُ البيضاءُ جبهتهُ
كأنَّ أنوارها للنصرِ آياتُ؟

أو مَا إلى أدمعِ الأيام، فامتلكتْ
وقُتِّلتْ فى مآقيها الشكاياتُ

ومَرَّ بالليلِ والظلماءُ عاكرةٌ
فَفُجِّرتْ منه أنوارٌ وهالاتُ

وجاسَ فى الكوخ أرضًا غرسُ تُربتها
جُوعٌ وشكوى وأسقامٌ وعِلاتُ(*)

يمشى المُراةُ بها فانيِنَ تُبصرهم
وفيهم من بنى الدنيا علاماتُ

مهلهلون على أبدانهم مِزَقٌ
كأنها لصراخِ البؤسِ راياتُ

خَفُّوا إليه جراحًا غابَ عائدُها
ومليُّها، وتجافتْها الرعاياتُ

ورفرفُوا كطيورٍ جاءها خبرٌ
أنَّ الربيعَ له فى الروضِ خُطواتُ

(*) إشارة إلى زيارة الفاروق لمرضى الملاريا بأسوان فى شتاء ١٩٤٤.

طاروا له رَغمَ بلواهمْ. وحرقتِهمْ

كما تَطيرُ إلى الحَقِّ الظُّلاماتُ

كانوا «باسوان» نسياناً تُقلبُه

فتّاكةٌ بين جنبيه المجاعاتُ

خاضَ المنايا ليُحيى شعبُهُ بطلٌ

لولاه راحَ الردَى بالناسِ يفتاتُ

مَنْ ذلكَ القدرُ الساري تُظلِلهُ

أنّى مشَى مِنْ يدِ اللهِ العناياتُ؟

مُفاجئٌ تكتُم البُشرى سريرتَهُ

كآيةِ السحْرِ تعليها الفُجاءاتُ

فاروقُ فجرُ الحيارى، أينما نزلَتْ

خُطاهُ، فالأرضُ أعراسٌ وجناتُ!

فاروقُ والنيلُ يَهواهُ، فلو نَطقتْ

أمواجُهُ، هتفتْ منها الصّباباتُ!

فاروق والطيْرُ تهواهُ، فلو سُئلتْ

ترنّمتْ بأغانيها الخميلاتُ

فاروقُ والشرقُ يهواهُ، فكلُّ فمٍ

يدْعو، وكل يدٍ منها ضراعاتُ

إذا دَجَتْ فى طريق الدهرِ نظرتُها

راحتْ تُضىءُ بكفيهِ المناراتُ

وإنْ تشعّبَ فيها الرأىُ واختلفتْ
ذابتْ على يدِهِ منها الخلافاتُ
وإنْ بغى ظالمٌ فيها، فصولجُه
فى البأسِ تعرفُ ماضيهِ البريّاتُ!

• • •

فاروقُ! واليومَ ذكرى لحظةٍ شهدتْ
بما نُحبّكَ تطويهِ الحشاشاتُ
هفتْ إليكَ قلوبُ الشعبِ، وانْدفعتْ
إلى ركابكَ أرواحٌ ومُهجاتُ
وجاءكَ النيلُ يسعى بينهمُ دنِفًا
يغلى بأشواقِهِ موجٌ وضِفّاتُ
والدوحُ كادتْ لفرطِ الوجدِ أغصُنُهُ
تُمدُّ منها إلى الرحمنِ راحاتُ
والناسُ أمواجُ بحرٍ تحتَ عاصفةٍ
رياحُها منْ جُنونِ الأفقِ مُزجاةُ
طاروا لنوركَ دعّامين تسمعُهم
وتستجيبُ لُهمْ فيكَ السمواتُ
وأنتَ فى حيرةِ الصحراءِ تنفحُها
نورًا، تُضىءُ بمسراهُ المفازاتُ
خيّمتَ فى شطِّها فجرًا تُضاءُ به
للسالكين على البيدِ المتاهاتُ

غنّى بطلعتك الحادى، تجاوبُهُ
صبائحٌ جاوبتهنّ المشنّهاتُ
ورددتك مز مصرًا قوافلُها
كأنما أنت «موسى» وهى توراةُ
وموكبُ الريح: ماذا فى أناملِه؟
مُعطراتٌ، شجيّاتٌ، مُضيئاتُ
راحتْ تنفضُ على الصحراءِ ما حملتْ
فكاد ينضحُها رىٌ وإنباتُ
زارتك طوافةً، فانظرْ ضراعتها
واسمعْ، فمن بيدها تجرى التمتماتُ!
هذا جلالُك يا فاروقُ: كلُّ ثرى
تمشى عليه، مشتْ فيه القداساتُ
نبوةٌ بمعانى الخير، راحَ بها
واديكَ تُغنيهِ شطيهِ المروءاتُ
فى كل باب مِنَ الإصلاحِ تطرقُهُ
بأما شجتنا وهزتنا الروايات!
رأىٌ جديدٌ، وتجديدٌ، وموهبةٌ
بنورها سطعتْ منك الهداياتُ
ماذا فعلتَ بوادى النيل؟ كان كرى
وكنتَ بعثًا.. وللأيامِ حالاتُ!

نفحته عزمة بأس الحديد لها
مسكين قلب له برح وآنات

وبحت توقظ روح الشرق في زمن
صحو الشعوب لأهليه بيانات

على يديك التقت آماله. ولها
من أنجم الليل أحباب وجارات

فاروق! ما مر ليل أو دجا أفق
إلا وتاجك للأوطان مشكاة

ذكرى نجاتك عيد خالد سطعت
فيه لحبك في الدنيا شهادات

قباب «عابدين» صارت كعبة، وغدت
مزار حب له تحلو المناجاة

الناس في ساحها كالطير طامنة
وأنت نبع، وشطآن ظليلات

وقفت أهتف.. لا شعراً، ولا نغماً
لكن هوى غردت فيه الخيالات

ومهجة من سنا الفاروق قد شربت
فرنحتها من التغريد هزات

• • •

ومنْ ذلكَ الفارسُ البيضاءُ جبهتهُ

كــــانْ أنوارها للنصـــر آياتهُ،

فـــــــ روى، والله للأوطان أرسلهُ

فجــراً تفيضُ بكفيـــه السعادات!

○ القاهرة تتغنى! ○

(القاهرة تحيي الفاروق يوم عودته من مصيف الإسكندرية إلى عاصمة ملكه، وكان قد أمضها الحنين شوقاً إليه فاستقبله الشعب والجيش أروع استقبال)

أزكى فم الدنيا حديثُ بشائري
حينَ استهلَّ بكَ الركابُ لناظري

يا غائبًا عنّي .. وكان لنورِه
محرابُ تقديسٍ أقيمَ بخاطري

ما كان عرشُكَ في البُروجِ مقامُهُ
هو طيَّ أحلامي، وفوقَ سرائري

أعلى على مُهجِ العبادِ أمامَهُ
وشأى على فَلَكِ الزّمانِ الدائرِ

إنْ مدَّ نورُكَ في الشواطئِ ظِلَّهُ
فلقد أفاءَ على دمي ومشاعري

كرُمتْ شطُّ البحرِ حينَ نزلْتَه
وَحْيًا أهلَّ على نبيٍّ طاهرِ

وتركتُ سيرته يسابقُ عِرفَها

عَبَقَ الخمائلِ في الربيعِ الماطرِ

إسكندر الإغريق ودّ لو أنّه

منْ طيبها حُلْمُ النسيمِ العاطرِ

أنا كعبةُ الدنيا، وزينةُ شرقها

بجلالِ فوقَ الشمسِ زَدْ مآثِري

يا ليتَ لي الأسحارَ أنهلُ عِطرها

والنجمُ أكحلُ منْ سناهُ محاجري

وأمرُّ صوبَ خُطاكَ جالبةَ العُلا

نشوى، أكبّرُ للجلالِ الغامرِ!

الصمتُ يا فاروقُ! ما انتلقَ الضحى

إلا وأنتَ شُعاعةٌ في ناظري

الصمتُ يا فاروقُ ما ذُكرَ الهدى

إلا وطيفُكَ حائمٌ بمنابري

الصمتُ يافاروقُ واسمعْ هزةً

تسري فيخشعُ كلُّ حيٍّ عابرِ:

قبسُ النبوةِ في سماتِكَ والعُلا

رفعتْهُ للدنيا جبينَ قياصرِ

فجرُ الشبابِ أطلَّ منكَ، وحوله

للحكمةِ الكبرى معينُ أداهرِ

فالرأيُ كوكبُ هالةٍ قمريةٍ

يمضي فيمحقُ بالضياءِ دياجري

والعـــزمُ نارٌ لم تُخلّفْ ســيــرةً

يُروى بهـــا وهجُ اللهـــيبِ الصـــاعــرِ

والعطفُ للبـــؤسى عَوالمُ رحـــمـــةٍ

ضُربتْ على ثبجِ البُحـــورِ الزّاخـــرِ

أعـــيادُ عـــصـــركَ حـــاشـــداتٌ؛ أينمـــا

يممتَ ملعـــبُهـــا حَفيُّ الســامـــرِ

مُذ قيلَ: أقـــبلْ! أرقـــصتْ كفُّ المنى

طربى، وهزتْ فى الصـــبـــاحِ مـــخـــاضــرى

والشـــعـــرُ، والوترُ المُغنى، والهـــوى

جـــيَّشْنَ أعـــراسًا بكلِّ مـــقـــامـــرى

والطيـــرُ أقـــسمَ «للجـــزيرة» لحنَهُ:

لنْ تـــســـتـــريحَ من الغناءِ حناجرى

شـــد الربابَ من الأشـــعـــة وانبـــرى

يُشْـــجى خَيـــالَ الشـــمسِ فـــوقَ أزاهرى

نَسِّى فَـــمَ المـــلاَّحِ أغـــنيـــةَ الضُّحى

فـــأذاعَ فـــرحـــتَـــهُ نشـــيـــدُ الـطائرِ

والنـــخلُ أسكرَهُ الجـــــلالُ، فَخلتُه

فى الشطِّ يُصـــغى للـيـــمـــامِ الذّاكـــرِ

وتنمنمَ الهـــرمـــانِ منكَ شـــهـــادةً

للمُلكِ أحـــيـــتْ كلَّ مـــجـــدٍ غـــابرِ

وشـــدتْ بيـــوتُ الله: يا فلقَ الهُدى

كـــرُمْ بخطوكَ مُـــدُنى ومـمـابـرى

لولا التُّقى لجلعلتُ نورك قـــبلتى

ونسـمْتُ من طُهْـرِ الركـابِ مجـامـرى

اعليتَ دين الله حـين عـصـمـتـه

بالرُّشـدِ فى العـصـر الغـوىّ الفـاجـر!

وهـززتَ صـولجكَ القـوىَّ، إهـابةً

للنيل من عـصفَ الزمـانِ الجـائـر

فـحـشـدتَ فـرسـان الوغى ونِصالهـا

وطلعـتَ للأجنادِ طلعـةَ ظافـر

ونفـحتَ أنسُركَ الشـدادَ عـزيمـةً

فـعـصفَتْ بهـا جِنُّ السحـاب العـامر

اسـمـعتَ زمـجـرةَ الردى بجناحـهـا؟

والهـولَ منْ فـمـهـا الغضوبِ الثـائرة

هـى مِنْ جـنـاحـك وثـبـةٌ نـاريـةٌ

نَسَختْ ضـغـافَ النيل غـابَ قسـاور

للبـاس سـيـفكَ تسـتـعـيدُ شـبـاتهُ:

إن ارهـبَ الدنيـا فليس بضـائرى!

القـائدُ الأعلى أهـاب بجـيـشـه

فـارتجَّ بـين مـدارعٍ ومـغـافـر

ومضى.. سيمضى للفتوح لواؤه

نشوان يرقص للخميس الهادر

فاروق خطوك فى المواطن رحمةً

للمستجير، ونغمةً للحائر

انا لستُ وحدى فى لقاك قريرةً

كلُّ المدائن والقُرى فى سامرى

اخجلت اعراسَ الربيع بفجاءةٍ

لِسناكَ ترفلُ فى ربيعٍ باكر

وتبسّم الوادى كأنَّ صباحَهُ

حُلم الهوى يرتادُ أُفقَ الخاطر

والتفَ شعبُكَ بالركاب تسوقهُ

مُهجٌ ترفرفُ بالحنين الطاهرا

فاروقُ عودكَ هزَّ اعطافَ الحمى

فترنحتْ بهوى المليكِ مزاهرى

يمضى فمُ الشادين يهتفُ بالصدى

ودمَى يرقرقُ فى الخيالِ مشاعرى

انا ما شدوتُ ولا صدحتُ وإنما

احييتُ نُورَ التاج مُهجةَ شاعرا

(-)

«.. وهذه يدي في أيديكم تساهم في العمل معكم. يد قوية لا لأنها يد ملك ولا لأنها يد شاب، ولكن لأنها يد مصري يؤمن بمصريته»

«الفاروق»

(من رسالة ملكية)

○ عابدين ○

[قصر عابدين كعبة الوطنية فى مصر، وقبلة الشعب فى وادى النيل.
فى ظلاله درجت أيام الفاروق، وتحت قبابه رست دعائم عرشه. وقامت
على أسواره عزة الوطن مقام الأمل والموئل والمنارا]

طفْ «بعـــبــــديـن» وهبْ لى مِنْ سناها
ومـضـــةً لا تـعــرفُ الشـــمسُ ضُحـاها
لا .. ولا زَفـتْ عـلـى الـدنـيـــا خُطاها
لا .. ولا شَعَّتْ بـأرضٍ صــفـحـتـاها
مــثـلمــا شَعـتْ بـوادى الخــالـدين
هــالـةٌ تُســـعِدُ أحــزانَ السـنـينْ

* * *

طُفْ بـهـــا واجــعـلْ ذَراها فى يـديْكا
عـطـر أحـــلام تـفـــتّحن لـديْكا
طُفْ .. وانعشْ مِنْ شــذاها جــانـبــيكا
كـم أظـلَّتـك‍ا وكـم رفّــتْ عـلــيـكـا!

فهي فجرٌ في ليالي الحائرينْ

وهي في الشرق منار التائهينْ

• • •

مُهجُ الشعب لحاميها قبابْ

ولها الآمالُ تُفدَى والشبابْ

فهيَ للأرواحِ مغدىً ومآبْ

وهيَ لليل دعاءٌ مستجابْ

كلما أكرب شطيْه الأنينْ

زار الليثُ.. ولبْأةُ العرينْ!

• • •

زار الليثُ.. فهز الأنجما

ملكٌ ترعاهُ للوادي السما

كلَّما لمَّ الوادي خيَّما

اطلعَ الرأي شهابًا ملهما

وسرى بالفُلك للبرِّ الأمينْ

مَنْ سِوى الفاروق يجري بالسفينْ!

• • •

صولجان الملك فى كفِّ الشُّهرْ

كعصا «موسى» بما يهوى تسيرْ

ينسخُ البأساء نعمى للفقيرْ

ويذيبُ الحزنَ فى القلب الكسيرْ

ولهُ فوق شفاهِ البائسين
ما بزهر البيدِ للغيث الهتون

• • •

كم شقيٌ لم تدع فيه الحياة
غيرَ شكوى رفرفتها دمعتاه
وأنينٍ دسّهُ نوحُ الشفاه
لم تكد تضرعُ بالشكوى يداه..
.. قال يا فاروقُ! فارتدّ الأنين
فرحةً تجتاحُ برْحَ الشاكين

• • •

كم مضى يحيى تعاليم السماء
ويقيلُ الدين من عسفِ الفناء
مرَّ كالكوكبِ مشبوبَ الضياء
فمضى الناسُ حواليه سواء
صولجٌ عاتٍ وسارٍ مستكين..
يا رعى الله صلاحَ المالكين!

• • •

ضجّت الدنيا وأذراها الجنون
في جحيمٍ فزّعتْ ريحَ المنون
وغدا الناسُ حيارى يخبطون
كوحوشٍ بالمنايا يلعبون

يشربون الخمرَ من قلب الطامعينْ

ويسوقون الردى للوادعينْ

* * *

وحِمى الفاروق فى هذا اللهيبْ

هادئ البأسِ كإعصارِ المغيبْ

باطشُ الأسرار كالهولِ الرهيبْ

فإذا النيلُ دعا.. كان المُجيبْ

كُلُّ شعب، كل قلب، كلُّ دينْ

نحنُ أبناءُ الغُزاةِ الفاتحينْ

* * *

أيُّها التاجُ الذى راعَ الزَّمانا

وشأى بالمُلك عدلاً وأمانا

ومَضَى يُعلى على النجمِ عُلانا

اسأل التاريخ عنّا.. كم روانا

قصةً للمجد بينَ العالمينْ

ذكرُها فى الأرض جبارُ الرنين!

* * *

فاسلمى يا مصرُ إنا للفداءْ

قد وهبنا العُمرَ جرسًا فى النداءْ

نيلُك الساحرُ قهارُ الفناءْ

وهَوَى تاجُك يجرى فى الدماءْ

فاجعلي الأنجمَ مما تلبسين

وانهضي.. فالمجدُ يأبى الراقدين!

○ هو حامى خمائلى! ○

زارَ النيلُ.. قلتُ.. مـــاذا؟ فــقـــالت

عـــاهراتُ الريـاحِ: لـهبٌ جــــديدُ!

قلتُ: من اين؟ قـــالت الشـــمسُ: لا .

. اين! فـــمنْ راحـــتى تنمى الأُســـودُ

غـــابهُ فى الوجُود غـــابى، ومـــهـــدى

مـــهـــدهُ: الشـــرقُ، والعُلا، والخلودُ

اينمـــا سِرتُ، فى شُعـــاعى مُحـــيَّاهُ .

. وفى بَهـــجَتى صـــبـــاهُ النضـــيـــدُ

وكـــمـــا جَنونى تذيبُ حـــشـــا الدهرِ

. لهُ بـأسُهـــا القـــوىُّ الشـــديدُ

قـــالَ طيـــرُ الضـــفـــاف: عندى لحنٌ

لـــمْ يـــزوِّدْ بـمـــثـــلــــه «داودُ»

مرَّ بى ركـــبـــهُ قـــديمًا، فكبـــرتُ

. ومـــازال فـــى يـــدىْ النشـــيـــدُ

كلُّ ظمـــآنَ للأناشـــيد اسـقـيـه .
. فـيـهـتـزُّ قلبـهُ المعمـودُ
هو حـامي خـمـائلي؛ فلو الريحُ .
. ذمتـهـا .. لأقـسـمتْ لا تعودُ
قـالَ لي الموجُ: وهو ابيـاتُ شـعـر
لم يذعـهـا للملهـمـين قصيدُ
ولهُ مـوكبُ الحـيـاةِ على الأرض .
. فـجـناتٍ وجـارهُ عـربيـدُ
وصـمـوتٌ، وصـاخبٌ، وشـجيٌّ
يتـغنى، ووالهٌ يسـتـعيـدُ
انا ركبٌ من عـهـد «فـرعـون» ظلتْ
تتـرامى بجـانبيَّ العُهـودُ..
جـئتُ اطـخبي لهُ بسـرٍّ رهيبٍ
في ابي الهـول منهُ ومضٌ بعيـدُ
جـئتُ أُلقي لـه رسـالة حُبٍّ .
. ربِّ، في مـجـدهم يُحارُ الوجـودُ
أرعـشـوا صـولج الليـالي وسـادوا
وزمـانُ العـبـاد طفلٌ شـريدُ
وبنوا مـا تنوبُ كـاهنةُ الجنِّ .
. دعـاءً، وسـرُّه لا يجـودُ

قُببٌ فى سريرة الأرضِ شُمٌّ

سِحْرُ ابوابِها عَتِىٌّ مريدُ

وبروجٌ نكادُ فى زحمة المجْ .

ـدِ ترسو. وكلُّ شىءٍ يميدُ

جئتُ اتلو لهُ احاديثَ قومٍ

حكَموا الأرضَ والبرايا عبيدُ

قُلْ له، انتَ منهمُ فلقُ البعث .

. واشراقةُ الفتى الجديدُ

فتنطَّرْ ما شئتَ فى الغابِ، يا ليثُ .

. فإنَّا إذا دعوتَ جُلودُ

خلفك اليوم امةٌ لك يا فاروقُ .

. منها زهنَ الغدا ما تُريدُ

حَبُّها فى يديكَ صارمُ هَولٍ

عن هوى التاج سيفُهُ لا يحيدُ

انت فجرٌ يشعُّ من نورهِ الوادى .

. وتسفرُ الليالى السودُ

انت شطٌّ يلوذُ فى امهِ الحائرُ .

. والمسافر الشقى الطريدُ

انت للبؤس رحمةٌ عادَ منها

نائحُ الرزقِ وهو راضٍ سعيدُ

انتَ للدين قوةٌ تُنعش الروح .
. كما ينعشُ المصلى السجودُ
ذُكرتْ هجرةُ النبى فأحببتَ .
. جلالاً لعهدها لا يبيدُ
وشققتَ الصفوفَ تهرعُ لله .
. وتبدى فى حُبه وتعبدُ
ودعاك الوادى، فأسرعت: لبيك .
انا ليثك الأبىُّ العنيدُ
انا حامى شراك إنْ وسوس القيد .
. انا النارُ.. فلتذبْ يا حديدُ!

○ اسقنا .. هذه كأسنا ○

اسقنا يا ربيعُ اسقنا فالهوىَ والأغانى لنا
الضُحىَ راقصٌ حولنا والرُبى صفقتْ مثلنا

فاسقه واسقِها واسقِنا
من رحيق الصبا والمُنى

• • •

حالك الروضُ يشكو الظما فجرةٌ، زهرةٌ، طيرةٌ
فغدا هائمًا فى الحمى نورةٌ، عطرةٌ، سحرةٌ

انت فى الأرضِ خمرُ السما
فاسقنا .. هذه كاسُنا!

• • •

نحنُ والنيلُ والشاطئانْ موكبٌ سارَ فيه الفلكْ
خافقٌ بالهوى والحنانْ قلبهُ يومَ عيد الملكْ

صاحب التاج والصولجانْ
بأسُهُ فى الحمى بأسُنا

• • •

كلّما لاح ضافي سناه ... ذاق خمرَ الفلا شعبُهْ
وانتشى نيلُهُ من هواهْ ... فجرى عانيًا حبُّهْ

فهو فينا ربيعُ الحياةْ
من يديه سرى مجدُنا

• • •

غنِّ يا شعرُ في عصره ... عازفًا عبقريَّ النغَمْ
وارْوِ للناسِ عن بشره ... ما روى كلُّ قلبٍ وفمْ

وسل الشرقَ عن برِّهِ
تلقَ أيامهُ الحسْنا..

o

○ خمرُ «أذار» ○

ما لقيثارك يا شاعرُ نعسانَ الأغاني!
خمرُ «آذار» حوالَيك تغنّي في الدنان
والضحى قلبٌ على الشطآن خفّاقُ الحنان
والربى أنغامُ عشّاقٍ، وأحلامُ غوانِ
والهوى والشعرُ من سحرِ الهوى ممتزجان
لا ترى زهرةَ أيكٍ لم يزرها عاشقان
ويبثّان لها النجوى وتسبيحَ الأماني..
لا ترى شطَّ غديرٍ لم يقدهُ طائران
وكما مرجتُه تحكي رؤاها بسمرانِ..
لا ترى سنبلةً في الحقلِ خرساءَ اللسان
فحفيفُ الريح موسيقا تُغنّي للزمان
ولمن يسمع بالروح ويصغي للمعاني..
كلُّ شيءٍ حولَ أيامك هتّافُ المغاني

فلم القيثار نعسان؟ وما ذنب الأغانى؟

هى هى الأوتار تدعوك.. فقم هُزّ المثانى!

إنْ يكنْ حانك قد جفّ، فلِمْ تهجرُ حانى؟

وأنا النّيلُ أبُ الدنيا ومحيى المهرجانِ

• • •

هكذا قال لى النيلُ وناغانى النشيدُ

إيه يا فاروقُ أيامكَ للأيام عيدُ

وغناءٌ فى فم الشّرقِ سماوىٌ جديدٌ

وعلى تاجكَ للأوطانِ نصرٌ وسعودُ

عصركَ الميمون فجرٌ فى روابيها سعيدٌ

رفرقَ النورُ فذابتْ حولَ ساقيها القيودُ

وغزاها البعثُ والإصلاحُ فانهارَ الجمودُ

كل يومٍ لكَ فيها مذهبٌ عالٍ جديدُ

منْ رأى وجهكَ فى المحرابِ أغراهُ السجودُ

قسماتٌ للهدىَ فيها وللمجد شهودُ

وجبينٌ فيه للوادى أمانٌ وعهودُ

وبه للغيب آياتٌ سيتلوها الوجودُ

• • •

قائدَ الجيش سلامًا.. جيشُكَ الحتفُ المبيدُ

خلقتهُ جمرةُ الأهوال والبأسُ الشديدُ

ورعـــاهُ ســـيفُ «إبراهيم» والعـــزمُ الحـــديدُ

فليعـدْ فى جبهـة الدنيـا يُحامى ويسـودُ

طِرْ إلى الجـــوزاءِ إنّا خلفكَ اليـــومَ جنودُ

كُلنا فى الهــــول هولٌ وبروقٌ ورعـــودُ

نَرْدَعُ الأقــدارَ عن «مــصـــر» ونَفْــدى ونذودُ

نحنُ شعبٌ من قديم الدهرِ جبارٌ عنيدُ

عـاش راعيه وحيتهُ من النيل الورودُ

ومن الشـعب قلوبٌ والهـاتٌ وكبـودُ

ه

وكيف..؟

إلى ذكرى المهرجان الوطني الذي شاركت به الأمة
المصرية أفراح مليكها المحبوب يوم الزفاف السعيد!

خمائلنا أبتْ إلاّ سكونا
فكيفَ يبعثُ هذا الشعرُ فينا؟!
نراود طائر الإلهام شوقًا
فيقبلُ مرةً، ويفرُّ حينًا
فإن أوفى على الميدانِ أغفى
ولم يسكبْ على وترٍ رنينا
فإن ضرعتْ لراحته الأغاني
تمرّدَ أن يساجلها الحنينا
فإن غمزتهُ أحداثُ الليالي
تجبّر أنْ يُفيقَ لها حزينا
ظللنا هكذا.. إنْ نالَ منا
غبارُ الدهرِ، نعزفُ صامتينا

فكيف امتزجت فيها الشوق حتى

غدونا خمرةَ المترنمينا؟!

• • •

وكيفَ! وانتَ يا فاروقُ فجرٌ

يشعشعُ غمةَ المتحيِّرينا

وكيفَ وانت يا فاروقُ حبٌ

نذوقُ به رحيقَ العاشقينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروق فيضٌ

من الرَّحمات، يحيِي البائسينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروقُ بعثٌ

لماضى الشرق يقتحم السِّنينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروق مجدٌ

يردُّ بنا تراثَ القاهرينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروق عصرٌ

فم التاريخ كان به ضنينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروق سيفٌ

يد الإسلام تشهره سَنِينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروق وحىٌ

يضىء لشعبه دنيا ودينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروقُ راعٍ

لوادى النيل، تحرسهُ أمينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروقُ هادٍ
إذا لجَّ السياسة يرتمينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروقُ حادٍ
عيرنًا الدهرَ خلفَكَ مُصعِدينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروقُ تاجٌ
يعزُّ به جبينُ المالكينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروقُ باسٌ
يسودُ به زمانُ الطامحينا

وكيفَ! وانتَ يا فاروقُ قلبٌ
نظلُّ كما خفقتَ مسيَّرينا

* * *

هواكَ هوى الضفافِ.. إليكَ نهفو
ونخنقُ بالصبابةِ ما حيينا

تلفَّتَ! ترقبُ الدنيا جحيمًا
يساقُ له العبادُ مُخيَّرينا

تبرَّجتِ الحضارةُ في يديهمْ
فلاحت مذبحًا للجازرينا

إذا أكلتْ.. فأجسادُ البرايا
وتشربُ منْ دماءِ الهالكينا

دَجَتْ؛ واغبرَّ جاحمها عليهم
فلبت الله بهدى الفاشمينا!

وأنتَ بذلك الوادي أمانٌ
بهدهدُ رعشةَ المتلفتينا
يُضاءُ بكَ الدجى، إنْ قيل: ليلٌ!
وتهدى الشمس للمستنورينا
وللأيام فى يدكَ ابتسامٌ
يفيءُ ضحىً لقلب العابسينا
فأعراسٌ وأعيادٌ وصفوٌ
أأقسمُ أنتَ بِخيْرُ العالمينا؟!
• • •
تذكَّرتُ الزفافَ: كانَ ركبًا
وجندَ الدهرِ فيهِ مهلِّلينا
ترنَّم فى الحواضر والبوادى
لروعته العبادُ مطرِّبينا
فهل «رمسيسُ» بشرهمْ بفتح
فطفُّوا للملاعب راقصينا؟
هفتْ أرواحُهمْ وصفا غناهُمْ
فهاموا فى الضفاف مرنِّحينا
كأنَّ الله أسكرهُمْ بخمرٍ
ضللْتُ.. فسكرهُمْ كان الحنينا!
وشوقًا كان فى فمهم غناءٌ
وحبًا كان فى دمهم دفينا

وأحلامًا بفاروقٍ استطارتْ

وخيّمَ سرُّها فى «عابدينا»

وكنتُ هناك شاعرها بليلٍ

غدا لمفاتن الدنيا جبينا

وقفتُ به.. كأنَّ خميلَ خلدٍ

وحورًا فى الضفاف مُصفّفينا

وأنهارًا من الأشواق تجرى

وأقداحًا تُنادى الظامئينا

وأطيارًا يفضُّ لها شذاها

فتغضى بالهوىَ للوالهينا

وتاجًا منْ سماءِ النيل لاحتْ

كواكبُهُ الوِضاء مُلألئينا

أنا الطّيرُ الذى سحرَ الليالى

هُنالك وأسكرَ الدنيا رنينا

○

○ جدِّد عزة الوادي ○

ملءُ أقداحك يا طيرُ نشيدٌ وحياةْ
وقلوبٌ بالهوى تجرى عليها النغماتْ
فمنْ الأيامِ روضٌ أو حشيةُ النسماتْ
والليالى للأغانى والأمانى ظامئاتْ
وتنقَّلْ فى ضفاف النيل باللحن الجديدِ
واسكب النشوة من قلبى وروحى ونشيدى

• • •

مُلْكُ فاروق حواليكَ جنانٌ ساحراتْ
وروابٍ مع الشمسِ خُطاها سابحاتْ
صفحاتُ الدهرِ تَبْلَى وهى فينا خالداتْ
بهواها ينفحُ الدَّوحُ وغنَّاها الرُّعاةْ
فاروِ للدنيا معانيها. وقصتْ للوجودِ
ما الذى فى جبهة الأهرام من سر الخلودِ؟

• • •

مَلِكٌ فَـيْضُ يديهِ للبَــرايا رحَـمَـاتُ

تذبلُ الدنيا فتخضرُّ بكفيهِ الهِبَاتُ

تاجُهُ في الشَّرقِ طارتْ بعُلاهِ النَّيِّراتُ

فهوَ فجرٌ وربيعٌ وشبابٌ وحياةْ

أيُّها الفاروقُ جدِّدْ عِزَّةَ الوادي السعيدِ

أنتَ عيدٌ خالدُ الفرحةِ خفّاقُ النَّشيدِ

٥

○زادٌ .. وسلام○

لمْ تكنْ ناركَ بردًا أوْ سلاما

فعلامَ الشدوُ يا طيرُ علاما؟

بينَ جنبيكَ حنينٌ، أوشكتْ

ريحهُ الهوجاءُ تذروكَ حطاما

وعلى عشكَ ليلٌ جاثمٌ

كلما راودهُ الفجرُ تعامى

صدحةُ الدوحِ، وآهاتُ الربى

لم تفضْ كالأمسِ عطرًا ونغاما

والهوى لم تفدْ في محرابه

صلواتُ الشوقِ يسحرْنَ الظلاما

كلُّ شيءٍ هاجَ حتى حرَمتْ

ضجةُ الدنيا على الصمتِ المناما

كيف واديك؟ وهل طافت به

نشوة الوحي فأرعشت الغراما؟

وتنقلت بميدان الضحى

عازفا يستنطق النور كلاما

ونسخت الظل لحنا، والثرى

أذنا، والنبع قلبا مستهاما

كيف واديك؟ وهل حال الهوى

مثلما كان به غرسا مقاما؟

وندامى الكرم؟ وقلبي بينهم

رق حتى لم يكن بين الندامى

جدول غاف، وصبح ثمل

ونسيم مر مسكينا مضاما

وصدى صنج بكفيك له

في فجاج الروح وجد يترامى

وشعاع، وندى خبأته

من بقايا حانة الفجر مداما

كل هذا كان حلما هاربا

ليته طلّ في قلبي الخياما!

• • •

فاعدهُ معبداً مصطخباً
وترنمْ واملأ الدنيا ابتساما

واسكبِ الأنغامَ لا تنشدْ لها
اينما تهزجّ على الأرضِ مُقاما

وتألّقْ باغانيك على
زمنٍ عجَّ لهيباً وقتاما

اخضرُ الشطينِ ناداكَ فطرْ
فى روابيهِ غناءً او حماما

منْ يكنْ للحربِ غنَّى حولها
فترتلْ فى مغانيهِ السلاما

واشدُ للتاجِ الذى فى ظله
تخشعُ الأفلاكُ قدمًا واحتشاما

صرعَ الدهرَ صبيًا، وشأى
دارةَ الشمسِ ولم يعدُ الفطاما

اعجزتْ مصرُ به سحرَ النهى
يومَ كانَ الناسُ فى الأرضِ سواما

لم يزلْ فى النيل من آياته
هزجٌ اشجى به الموجُ الغماما

زدْ يا فاروقُ من امجادهِ
فبنا يوقظُ فى الشعبْ النياما

وأعده للبرايا كوكباً

طار للنجم لياذاً واعتصاما

وانثر الدمع على أقوامه

من سوى نورك يجتاح الخصاما؟

كم على طيفك الحفي جائع

كان لولاك سيقتات الرغاما

كل يوم لك نعمى أهلكت

آهة الشاكي وتنهيد اليتامى

أقبلت تلمع أرهام الندى

كل صبح للمقلين طعاما

سابقت نورك في واد الضحى

ومشت زاداً إليهم وسلاما

كبر الشرق فقالوا: من بدا؟

قلت: من غنى به الشرق هياما

من رعى الإسلام حتى خلته

عمري الدين رأياً وحساما

في سبيل الله ركب سائر

لبيوت الله كم راع الأناما

كم جنت لله منه هالة

في سناها يطرق الدهر احتراما

يا مقبلَ الدهرِ منْ عثرته
انتَ اعليتَ لركنِهِ الدعاما
كلُّ يومٍ لك مبدٌ مشرقٌ
يتراءى فى ربى الوادى ابتساما
طار تغريدى على آفاقه
نغمةً للعرشِ عزّتْ أنْ تُسامى
سُقتُها مشبوبةً منْ كبدي
اوشكت تسكبُ نجواها ضِراما
لم يزلْ منها «ببعبدينَ» صدىً
ظلَّ فى أسوارها يُشجى الحماما

○

○ حين أشدُو ○

مـا لتـغـريدىَ إنْ غنّيتكَ الشِّعر بدانِ

لا .. ولا أدركُ من اين سَرَتْ منّى المعانى

فتسمَّعْ وحنْ قلبى اليوم لا تسمعْ بيانى

ما أُرانى حين أشدُو غيرَ لحنٍ متفانِ

هزّهُ الإلهامُ والحبُّ وغنّتهُ الأغانى

فسرىَ من كبدى الدّامى إلى خفق اللسانِ

مثلما تسرى على الروح عُلالات الأمانى

وكما تسرى مع الريح عطورُ الأقحوانِ

وكما وسوسَ طيرٌ إلفهُ بين الجنانِ

وكما ينسابُ فى الآهةِ شجوى وحنانى

وكما حلمٌ خفى الهمس يجرى فى كيانى

غلغلتْ فىّ رؤاه واستقرتْ فى جنانى

ثمّ هامتْ. ثم ذابتْ. وتلاشتْ فى ثوانِ

هكذا حالى إذا ما حرك الشدو بنانى

انا عودٌ فى يد الأقدار غيبىّ المثانى

قد سقاه من صفى الطهر الأغانى وسقانى

من رحيق جُنت الخمر عليه فى الدنان

طاف بالشعر على عشاقه فى غير حان

فاصغ لى، لا تسال الدهر به كيف اتانى؟

• • •

فهو سرٌ غلف الله به سر زمانى

لك يا فاروق منهُ ما سيروى الهرمان..

عن حديث التاج والصولج .. ياما حدثانى!

حدثانى عن علا عرش لمجد النهل بان

عبقرى النور من جنبيه شع الفرقدان

وبه فى النيل راحت تتناغى الضفتان

والضحى، والموج، والعشب المصلى للزمان

والربى، والزهر فيها فض أنفاس الغوانى

وشراع الفلك قصت لى هواه الصفحتان

ظله فى الماء نصلٌ سابحٌ خلف السهان

وصلاة حرة المحراب، خرساء الأذان

نقلت للتاج سحر الحب من كل مكان

وغناءُ الطّيرِ صنجٌ ذاب فيه الشاطئانِ

في حمى ملكك أضحى ازليَّ الخفقانِ

ناغمُ الضجة كمْ أشجن الليالي وشجاني ..

انتَ ساقيه وساقي عمرهُ ظلُّ الأمانِ

انت منْ وفّى مغانيه غبارَ الحدثانِ

انتَ فجرٌ في روابيه سجاليلُ المغاني

انت صفوٌ يهتكُ السّارى به قلبَ الدخانِ

انت امنٌ في لياليه لمذعورِ الجنانِ

انتَ نجوى كلِّ شاكٍ فيه، سلوى كلِّ عانِ

انت عزٌّ للذي يشكو تباريحَ الهوانِ

انت بأسٌ منهُ تُمحى البأسَ أوهامُ الجبانِ

انت دنيا كلِّ محرومٍ، ورؤيا كلِّ هاني

انت للداعي نعيم الله في البؤس بدانِ

انت للوادي غدٌ منْ فاله بشرُ الأوانِ

هللَ طارَ النيلُ حتّى غارَ منهُ المشرقانِ

فاطرعِ الأنجمُ بالوادي وطرْ في كلِّ آنِ

فللهَ انتَ عليه عبقريُّ الدّورانِ

في شبابِ الملكِ أرهبتَ سكونَ الصولجانِ

وضممتَ الشعبَ قلبًا واحدًا في المهرجانِ

○ بَيْنَ يَدَىْ المليك ○

«لقد نال الشعر شرف الإنشاد بين يدى صاحب الجلالة الملك المع
فى احتفال الجمعية الخيرية الإسلامية بدار الأوبرا الملكية مساء
ديسمبر سنة ١٩٣٧م فألقى الشاعر هذه القصيدة التى نالت الر
العالى. فأمر أعزه الله بدعوته إلى المقصورة الملكية وللفصل حظه
لمصافحته بيده الطاهرة مبديا إعجابه السامى وتقديره الكريم».

نُوران . . نـــورُ هُدًى، ونـــور تـــبَسُّـــم
سطعــا، فـــراح الشـــعــرُ يسْطعُ من فمى

هــتـــفتْ: يا دُنْيـــا الملائكِ طهِّرى
وتَرى، ومِنْ آيـاتِ وحـــــــيك الْهمِى

هــاتى لِىَ النَّغمَ الجـــديد، بغـــيْره
مـــا اهْتــزَّ للشـــعــراء ســمْعُ الأنجُمِ

هــاتى فــإنْ بعــرش مــــصـرَ مُملَّكًا
تـاجُ الـــعـــصـــورِ بمثْلـه لَمْ ينعـمِ

اوفــى . فــرحْتُ إلــى الخــمــائل هاتفًا :
هــاتى الشَّذا من زهْرك المتــبــسِّمْ

فَضَى لحُونَ الطيرِ من لَهَواتِهـا

ومُرى أغـانيـهـا تـرنُّ بمرْقمى

وذعى الصـبّاحَ ونـورهُ، ودعى الضُحَى

وعبيـرهُ ينمـابُ طُهْـرًا فى دمى

إنّى سـامـتـفُ للمليـك بـتـيـةٍ

بيضاءَ مـثـلِ جـبـيـنـه المتوسّمِ

مَولايَ! فـاهـتـزّ الوُجـودُ مـهللاً

طـربًا، وإنْ لـم يُنشدْ او يـتـكلّمِ

مَن رامَ تـغـريـدًا بـظـلالـك فـليكُنْ

لبلابلِ الخُلدِ الصـوادحِ ينتمى

اللـهُ أكـبـرُ! مـا لـسـمعك هزّةٌ

بصوى حـمـامِ الجنّةِ المترنّمِ

• • •

«فـاروقُ» حبُّك فى القلوبِ عقـيـدةٌ

أخـذتْ مسراها فى القلوب مع الدّمِ

فسمتْ مع الإيمـانِ فتمّ مكـانـه

فى الروح، وهـو لـغـيرها لم يُقسمِ

الشرقُ يـقـرأُ فى جـبـيـنـك آيـةً

فجـرُ الربيـع بـنـورها لـم يُوسَمِ

النيـلُ فـسرهـا لـه مُتخـايلاً:

هـذى منـارةُ كـلِّ قلـبٍ مُظلمِ

فيها عزاء الشرق عن آلامه

ومناه بعد أسى وطول تجهم

الله سطرها لتاريخ الحمى

بشرى وقوس للعلا وتقدم!

• • •

يا عاهل الإسلام كرم عصره

وأنر به حلك الوجود المعتم

ألقت إليك يد الحنيف زمامها

فأقلت عثرتها، وقلت لها اسلمي!

وبعثت عهد الراشدين بصولة

شرع السماء بها حديد المعصم

فرعيت عز الصولجان ومجده

وخطرت في ورع النبي الملهم

وحملت مسبحة كأن مدارها

فلق الهدى للحائر المتبرم

حباتها قبل القلوب خواشعا

عطلن بالنغمات آمال الفم

نسق من اللآلئ انفردت بعزه

لسواك في التاريخ لم يتقدم!

• • •

فى دولة الإحسان قامت عُصبةٌ
للخير فى جنَبات عرشك تحتمى

تأسو إذا جرح الزمانُ، وتنبرى
قدرًا يُكفكف دمعة المتيتّم

كم ثاكل ردّت فواجع قلبها
نِعمًا وأسبغت النعيمَ لأيّمِ

ستّارة الأعراض يغمر جودها
لَيل الحرائر فى بياض الأنجم

وترابُها للمعوزين غراسٌ
للقوت، يثمر فى خريف المُعدِم

تُعطى ولا منٌّ يشوبُ عطاءها
وتجود جودَ العدل للمتظلّم

مِننٌ تدبُّ إلى النفوس خفيّة
يجرى بها قدرُ الإله المُنعِم

فكأنها الأحلام تهبط فى الدُّجى
للبائسين بخشيةٍ وتحرُّم

شرفُ العطايا أن تُزفّ وحيدةً
كالسّر بين تخفُّرٍ وتحشُّم

هى كعبةٌ - للبؤس من إحسانها
يُسْرُ النبات يفيضه المترحّم

للعلم في أكنافها رِيُّ النهى

ولشكوة العِلّاتِ بُرْءُ المسقمِ

مولايَ .. أسعدها بنورك إنها

بهداك تفرعُ سابحاتِ الأنجمِ

هِمَمٌ سبقن خُطى الزمان بعزْمَةٍ

أوفتنها سَبْقَ القضاءِ المبرمِ

هتفَتْ بك الدنيا فردَّدَ هتافها

شعبٌ يُفدّي بالقلوب وبالدمِ!

o

○ تغريدة في سماء عابدين ○

وهذه تغريدة الشاعر في سماء عابدين بين يدي حضرة صاحب الجلالة مليك مصر المعظم (فاروق الأول) في الحفلة الساهرة التي أقيمت بقصر عابدين الميمون ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨ ابتهاجا بالزفاف الملكي السعيد، إجابة لرغبة سامية من جلالته أعز الله به دولة الأدب.

لحن الزفاف

شَدْوُ المزاهرِ في القلوبِ .. ورتِّلي

نغَمَ السماءِ لعرشِكِ المتهدِّلِ

واستلهمي طيرَ الجِنانِ غِناءَهُ

وصفاءَ ملعبِهِ بشطِّ الجَدْوَلِ

وإذا الخميلُ سَجَا ورفرفَ طيرُهُ

هاتي من الفردوسِ أرْخَمَ بُلبُلِ

ودَعِيهِ يصدحْ للمليكِ بآيةٍ

عُلْيا .. لغيرِ جَنانِهِ لم تُرسَلِ

يا مصرُ عرشُكِ في المباهج رافِلٌ
فردي النعيمَ بشاطئيه وارْفُلي

حُورُ الفرادس ينتظِرْن.. فأسْرعي
لصَباحِهِنّ وبِشْرِهِ وَهَلِّلي

واستَوْقفي رَكْبَ المَلائكِ، واهتفي
للشمْسِ: هلّتْ شمسُ «مِصرَ» فاقبلي

وتزوّدي من طُهْرِها وسَنائها
زادَ الأشِعّةِ قَبْلَ أن تتنقّلي

• • •

«فاروقُ» نَجْمُكَ في البَشائِر سابحٌ
فَقُدْ العصورَ بنُورِ مُلْكِكَ واعْتَلِ

واسكبْ على الأيام مما نِلْتَهُ
بِشْرًا يصفّقُ كالرّحيق السَّلْسَلِ

ذَهبتْ تسيرُ وراءَ عصرِكَ خُشَّعًا
تَقْتاتُ مِنْهُ أمانيَ المستقبلِ

مَوْلايَ دَعْها ترتَوي من شاطئٍ
في ظلِّ تاجِكَ عَبْقَرِيِّ المَنْهَلِ

أنتَ الأمانُ بها لكلِّ مُحَيِّرٍ
وبشارةُ الدُّنيا لكلِّ مؤمِّلِ

• • •

«فاروقُ» حُبُّكَ آيةٌ عُلويَّةٌ

نزلتْ منَ الأرواحِ أقدسَ منزلِ

اللهُ ألهمَها لشعبِكَ شِرْعَةً

كالوحْيِ يُلْهَمُ للنبيِّ المرسَلِ

خُشيتَ بساحتِكَ الجيوشُ بمثلها

«زمبيين» لم يَخْطِرْ بأعظمِ جحفلِ

فاهتزَّ أجنادُ الملائكِ فرحةً

وسرَوْا إليكَ بخبرةٍ وتأمُّلِ:

لِمَ هذه الأسيافُ حولكَ والظُّبا

واللهُ فوقكَ حارسٌ لم يَغْفُلِ؟

هِيَ للحمَى والعرشِ نصرٌ خالدٌ

لمحتْ بشائرَهُ يمينُ الصيقلِ!

• • •

هتفَ الجمهورُ بيومِ عُرسِكَ.. فانبرتْ

زُهرُ الكواكبِ في بُروجِكَ تجتلي

وأطلَّتِ الأهرامُ تشهدُ موكبًا

«خوفو» بمثلِ عُلاهُ لم يتنقَّلِ

أرواحُ شعبِكَ حائماتٌ فوقَهُ

ينهلْنَ من كأسِ طهرِهِ المتسلسلِ

خشعتْ كما خشعَ الحمامُ، ورتَّلتْ

دعواتِها كبُغامِهِ المترسِّلِ

والتلك ضلالعبة الحمار كأنها

أسراب طير ينتسبقن لجدول

فرويت غلتها، وكنت لقلبها

بشرى المنى للبائس المتململ

• • •

يا فرحة الأوطان ملت بزماتها

برنا بطوف بالمقام المعضل

رد الأسى عنها كما رد السنا

في الفجر غاشية الظلام المسبل

وانشر هداك على مفارقها كما

نشر السنا فلق الصباح المنجلي

واعد لها التاريخ أصيد شامخا

يزهى بناجله في الزمان المقبل

أنت المنارة في دجى أيامها

والغوث عند الحادث المتبدل!

زفت إليك الحور أطهر ما برت

في خلدها كف الإله المفضل

طهر الملائك نشرته هالة

شمس الربيع بنورها لم تنجلي

الخلد عطرها بأطيب زهرة

نبتت لتيه بشط أعذب منهل

والفجرُ زَفَّ لها عرائسَ حُلْمه
بخطرْنَ بَيْنَ تبسُّمٍ وتهلُّلِ
والتاجُ ظلَّلها بأروع موكبٍ
بهجٍ، بعزِّ الصولجانِ مسربلِ
فأتتكَ مُشرقةَ الجلالِ كأنها
تهليلةُ الفردوسِ للمُتبتِّلِ
نصرٌ يُزفُّ وفرحةٌ أبديَّةٌ
تهتزُّ حولَ ركابكَ المتنقِّلِ

* * *

«فاروقُ» ليلتُكَ الخلودُ فقلْ لها:
زُفّي الخلودَ إلى الحمى وتمهَّلي
كادتْ لها الأفلاكُ تحشدُ موكبًا
وتسيرُ خلفَ ركابكِ المتهلِّلِ
بيضاءُ أترعتِ النعيمَ بظلِّها
ونسختُها للدهرِ أقدسَ مشعلِ
سجدَ الزمانُ لها، وأقسمَ خاشعًا
باللهِ يا بيضاءُ لا تتعجَّلي
طالَ انتظاريَ مِنْ عوالمِ «آدم»
لأراكِ: فانتظمي النجومَ، وأقبلي
وتخطَّري .. فبمثلِ نوركِ ما زهتْ
أعراسُ «قيصرَ» في الزمانِ الأوَّلِ

يا عاهلَ الشرقِ اصطفاك زمانُهُ

لتكونَ للإسلامِ أكرمَ موئلِ

لكَ في بُيوتِ الله أرْوَعُ سَجْدةٍ

عطّرتْ قداستها بريحِ المندَلِ

مَشتْ الخلافةُ نحو عرشِكَ تبتغي

للشرقِ والإسلامِ كلّ مُؤمَّلِ

مولايَ! قُدْها في حماكَ إلى ذُرا

عصرٍ بسيفِ الراشدين مُظَلَّلِ

واسمعْ نشيدَ الرُوحِ منْ مترنّمٍ

طيْرُ الخلودِ بسحْرِه لم يهدلِ

أشجاكَ تغريدي .. فهاكَ ملاحني

هتفتْ بوحْيٍ من سناكَ منزَّلِ

للشاعرينَ بلاغةٌ فضفاضةٌ

حُشِدتْ بلفظٍ في الحلوقِ مجلجلِ

وأنا الذي شِعْري نُفَاثةُ مُهجتي

سُكبتْ جداولها بهمسِ السُنبلِ

يومَ الفخارِ ستلتقي .. أنتَ العُلا!

وأنا المغنّي في ظِلِّ عرشكِ! فاصغَ لي!

٥

○ يَومُ التَّاج! ○

شاديكَ من قصبِ العرائسِ نايُهُ

ومن السَّنا والطيبِ غُلَّ غناؤهُ

ومن الصِّبا نهلتْ بلابلُ أراكِهِ

نجواهُ، نافجُها غفتْ أنداؤهُ

ومن الصَّفاوةِ في أصيلٍ خاشعٍ

سجدتْ على زهرِ الربا أضواؤهُ

ومن الأغاني البيضِ رُنِّمَ لحنُها

مَلَكٌ ترقرقَ في النُّجومِ دعاؤهُ

ومن المساجدِ هينمتْ تحتَ الدُّجى

سُرُفيُّها نهلَ الغيوبِ صفلاؤهُ

ومن الشُّعاعِ المستهلِّ بقُبلةٍ

في النيلِ طُهرُها هواهُ وملاؤهُ

ومن السَّنا الرقراقِ في قدحِ الضُّحى

أغرى النديمَ فلألأتْ صهباؤهُ

ومن الطلاسم قد زوى أرصادها

هرم أشاب الخالدين فناؤه

ومن الهدى فى ظل عرشك خلته

أقباس وحى هل منك سناؤه

متجددات وجه مشرق نضح التقى

فى كل ما لمحت به سيماؤه

لو رآه عانى المجوس تخشعت

للنار من غى النهى أعضاؤه

لانحاز فى ركب النبى، ونارُه

نور تدفق فى الصلاة ضياؤه

ومن الهوى أوراه حبك جامحا

أشهى من النسم الرطيب صلاؤه

يسرى لظاه بكل منبع ذرة

فيكاد يشعل من هواك فضاؤه

أنى حللت نفحت تربك مسجدا

تخضل من عبق المنى أرجاؤه

وقف المغنى فى حماك مجلجلا

باللحن تخفق فى الورى أصداؤه

فيه من الأقدار وملة غيبها

خبأته عن لمح الحجا أطواؤه

ومن الكتائب أرزمت أصلاتها

صخبٌ يزمجر بالفتوح نداؤه

ومن المواكب حولها في فيلق

نشوانُ في يوم الفخار لواؤه

ومن الجنان الفيح هَمْسُ ظلالها

ريّا النثار على الربى بيضاؤه

زجَرٌ بأرغول الزمان شدا به

لما خطرت صباحُه ومساؤه

حتى إذا دوّى بيومك هاتفٌ

أمنى الليالي بالمنى بشراؤه

وانهلّ من جنبات عرشك سيّكبٌ

طُهرٌ يموج على الحمى لألاؤه

وأذعت من حُجُرات مُلكك في الضحى

فسما أعزُّ النيل منك ولاؤه

قصفَ المغنّي عوده ومضى الصدى

خجلان ينتهب الأثير حياؤه

يصغي ويُرغِن خاشعًا ويكاد من

نغمٍ تردُّ له اللحون جواؤه

أنشودة «الفاروق» هلّل شدوها

ماذا سيُنشد بعدها شعراؤه!

هن فى فم الدنيا حديث خالدٌ
خذرته من شفة الغيوب سماؤه
الله طهرّه وسلسل نبرهُ
جاماً يُعلُّ بقُدسه ندماؤه
أوراد نُسّاك، وجرس مآذنٍ
تكبيرها عمرَ القلوب دعاؤه
وحفيف أدعيةٍ، وهمس ملائكٍ
بالوحي يلهمُ غيبه رسلاؤه
دعنى من الأشعار مهما سقتها
إعجاز جنٍّ زمزمتْ أفناؤه[1]
منْ كان هذا الطهرُ فيضَ لسانه
فالشعرُ فيه أعاجمٌ أمراؤه!

* * *

أوفى على الشط الظليل بزنبقٍ
خضل النسائم برّةٍ أفياؤه
ينساب كالإيمان رشْع ستيرهُ
نورٌ يشفُّ منّا العيون بهاؤه
متخشّعٌ لله فى نظراته
تسبيح صمت رأته إغضاؤه

(١) جمع فن، وهو جماعة الجن.

ولصولة الشجعان فى قسماته

معنى يفسر كنهه إيملاؤه

ملك أطل على الجيش فارتج من

طرب، وكبر روعة احياؤه

شق الضحى بركابه فكأنه

(رمسيس) تزار فى الضحى هيجاؤه

بعزام قسطلة وضجة فاتح

اذكى حماس الهالكين لقاؤه

وكأنما فرسان (طيبة) جلجلت

فى ساحهم. من فرحة. أنباؤه

فتقلدوا ارماحهم وقسيهم

ومضوا ليوم أرجفت غبراؤه

شقوا غبار النهر من ارماسهم

ونبتهم . فتخطروا . خيلاؤه

شدهتهم تلك الجلائل والظبا

حمر الملاح على الأكف وضاؤه

نشوى على الأجياد طرب سمعها

فصف المدافع زلزلت أرجاؤه

وشدا لها فى الجو لحنا صاخبا

فللك من الغولاذ ضج فضاؤه

سِرْبُ النسورِ السابحاتِ خِضَمَّهَا
ذرُّ الأثيرِ تلاطمتْ أرجاؤهُ
نظرُوا إلى تلكَ المواكب جُيِّشَتْ
حشْدًا من الأرواحِ ضاقَ خلاؤهُ
أُمَمًا وأجيالاً وَدُنيا كلّها
رَصَدٌ لِمنارٍ لا يُملُّ رُواؤهُ
شُدِكَتْ[1] به الأبصارُ حتى لو ثَنَتْ
إنسانَها لارْتدَّ فيهِ عماؤهُ
ولو أنَّ أواهُ الخلائقِ هادَنَتْ
خفقَ اللسانِ لَمارَ فيهِ هُذاؤهُ
وَرَأوْا بَيارقَ رفرفت مخضُوبَةً
بدمِ الفخارِ زها بهِ شُهداؤهُ
خِيطتْ كتابَ المجدِ نُشِّرَ للورى
رُقِمتْ هِلالاً مُشْرِقًا طُغَراؤهُ
فتساءلوا: ما النِّيلُ؟ ما أفراحُهُ؟
ما يومُهُ؟ هل كُشِفَتْ بُرَحاؤهُ؟
ستِّين عامًا فى القيودِ مصفّدًا
يجْرى وَيصرُخ فى الشطوطِ ظِماؤهُ

(1) علقت به بشدة ولازمته.

هـيًا إلـى كهّان (منْفَ) لـعـلـهـم

كشفوا الذى أعيًا العقولَ خفاؤهُ:

وإذا (بخوفو) فضّ أخْتامَ البلىَ

والسرُّ لم يُعثرْ به حكماؤهُ

هذا هو الملكُ الذى بيمينه

وجبينهِ أملُ الحمَى ورجاؤهُ

عرْشٌ يُحاك الفجْرُ من هالاتهِ

فيَروحُ ينتضحُ السَّنا إمساؤهُ

لا المُلْكُ فى أبراج (تَدْمُر) حازه

يومًا ولا حَظِيتْ به (زَهْراؤهُ)

الشرقُ، والوادى الأبىُّ، وشعبُهُ

والنيلُ، والهرمُ العتيدُ.. فِداؤهُ

حَضَنَ (الحنيفةَ) فى حِماهُ وَصانها..

اقسمتُ يا (قُرآنُ) منكَ ضِياؤهُ

خَشعَ الحَمامُ[1] على وشائعِ خَزْه

يا قُمْصَ من خَشَعَتْ له وَرْقاؤهُ!

أوْدَى (سُلَيْمانٌ) فصار بُغامُهُ

نَوحًا! وجنْتَ فَلَذّ فيكَ غناؤهُ

---

(١) إشارة إلى حمامة الموكب التى لاذت بالعربة الملكية فى مهرجان التتويج آمنة مطمئنة كأنها من حمام سليمان عليه السلام..

مِن عهدهِ هَجَرَ المشاش مشرَّدًا

حتى رآك فأُصبِحتْ نعماؤه

حَوَّمَ على «عَبْدين» فَدْمن جوَّه

وعلى خُطاك تخشَّعت آباؤه

للطير آناهٌ يُحَرِّمُ صيدَه

فيها. وطيرك خُلّدت أنساؤه

لمّا رأى قُدْسَ النبيّ وَطُهرَه

في وَجْهِكَ الميمونِ طاب ثواؤه

فَجثا وكبَّر في ذراك مُرنِّمًا

ملكُ الورى والطيرُ عزَّ علاؤه

* * *

مولاي! إن ترفَّى سِحْرُ النُّهى

فاطرب! فمنكَ خياله ورُواؤه

يا ليتني مثلُ الحمامِ بظلِّكم

شادٍ يرفُّ مِن الخلود هواؤه

حتَّى أُرقرِقَ في النَّعيم مَلاحني

وأُذيعَ إعجازًا خَبَتْ أصداؤه!

○ عَرشُ يتهادى على النيلِ ○

«هل نور «الفاروق» على مروج الصعيد يوم حف ركابه العالى على النيل فى رحلته الميمونة عام ١٩٣٦م. فكان وحيا لهذا النشيد».

مَنْ أنطقَ النيلَ بسحر البيانْ ... فظلَّ يشدو بين تلك الجنانْ!

يُزجى الترانيم.. فتُشْجِى الصبا ... وينتشى من كأسها الشاطئانْ

وترقُص الأدواحُ فى مَرجِه ... شكْرَى تحيِّى بالغصون اللِّدانْ

يَنهلنَ فى الأسحار جام الندَى ... وفى الضحى يخطرنَ بالأرْجُوان

عرائسُ الفردَوس مَخْدورةً ... وهُنْ سِحْرٌ سافرٌ للْعَيَانْ

إذا سَواجى الريح مرَّت بها ... تهزج بين الطَّلح والسِّنْدِيانْ

وساجعات الريف زفَّت لها ... نواعِمَ اللحن من السِّيْسَبان

فقُل «لداود» ومزماره: ... هذا هوَ التسبيحُ يا عابِدَان

وموجُه فوق الثرَى شاعر ... ألحانُه عن خافِقى تَرْجمان

وقفتُ فى الشاطىء أهفو له ... مُطيِّر الحِسْ. طروبَ الجَنان

أشدُو ويشدو . والضُّحَى سامع ... كأننا فى أيكِهِ بُلْبُلان

تطارَحا نجوَى الهوى فرحةً ... فرتَّلتْ فى صمته آيتانْ

وإذ بملاح هتوف الصدى | يومى بخفق الرُّوح لا بالبنان

العرشُ جلاهُ ركابُ الضحى | فكبّرا للنُّور يا شاعرانْ

فخرّتْ الأمواج قبيسةً | جاثيةً فى الرمل فرْط الحنانْ

ورحتُ من روْع الصِّبا خاشعا | كأنّنا فى مسجدٍ بلمكانْ

ندعو وتدعو مصرُ من خلفنا | والنيلُ، والأهرامُ، والشرقان!

رَعتك يا «فاروق» عينُ السّما | وعصمةُ الله.. فسرْ فى أمانْ!!

• • •

فسار والشمسُ جلالاً له | تَخضبُ راحَ النيل بالزعفرانْ

وتُلبس النُّورَ برودَ السنا | رَوْعاءَ لم تنسجْ حُلاها يدانْ

والنخلُ لما شعّ فى ظلّه | لمحٌ سرى من نوره إضحيانْ

ريعَ .. ولو يستطيعُ مدَّ الخطا | لزاحمَ النيلَ له موكبانْ

وسارَ خلف الركب من فرحةٍ | أغرتْ به فُرْقةُ هذى الجنَانْ

يشرعُ من أغصنه رايةً | ومن أواسى الجذْع حدَّ السنانْ

ويقتدى حيثما يهزُّ الورى | يخرسُ عزُّ الملْك والصوْلجانْ!

• • •

جبابرُ الأهرام خفُّوا له | جندًا مشاةَ النزْع والطيْلسانْ

لم تُثنهم روْعةُ تيجانهم | فوُشّحوا بالطلّ والأقحوانْ

وأقبلوا فى موكبٍ خالدٍ | «خوفو» و«رمسيس» له قائدانْ

كأنهمْ من فرحةِ الملتقى | قد عجلوا للبعث قبل الأوان!

و(طيبةٌ) سارتْ بتاريخها | تختالُ فوق النيل فى مهرجانْ

يمدحُ «بنتاءور» في ركبها ... مُجلجلاً يرْهبه الخافقانْ

نوّى بفرعوْنَ قديمًا فما ... أبقى لشادٍ في الأوالي بيانْ

وعاد للنيل بقيثارةٍ ... محطومةٍ جفتْ عليها اليدانْ

وحين شامَ العرش في لجِّه ... والطيرُ والناسُ له هاتفانْ

وطلعة «الفاروق» تندى سنًا ... يغارُ من بهجته الفرْقدانْ

هلّتْ على آثارهم في البلى ... فأشرفتْ للعينِ زيّا الدهانْ

ولو هفت مرّاً لتابوتهم ... وخاطبتْهُ: كن حياةً! لكانْ ..

فعاوَدَ القيثارَ.. تُوحي الصدى ... مغرّدًا يُسكِرُ بنتَ الدنانْ

وراحَ يلْقى سحرَهُ للورى ... يمضي إليْه كل إنْس وجانْ..

عرْشٌ لفاروق أنى يومه ... وكان صمتًا منْ قديم الزمانْ

* * *

«فاروق» ! حيَّاكَ شبابُ الحمى ... وعشتَ فخرَ الشرق في كلْ آنْ!

وافاكَ عفْنًا من حمى عبقر ... . يكاد يسْري بصداه الأذانْ .

شعري من الأحشاءِ يجري دمًا ... وشعرُ غيري من حواشي اللسانْ

ما كلُّ من غنّى! فشتان ما ... لحنٌ من الله. ونقْرُ البنانْ!

○ ميلادُ الفـارُوق ○

بُلْبُـــلٌ مــنْ عــــرائشِ الخلْدِ طـائرْ

غمَرَ الكوْنَ سَجْعُـــهُ بالبـــشـــائرْ

طـهْـــرَتْ لحنَـــهُ السمـــاءُ، وقالتْ

لطيـــورِ الجنان : هـاتِى القـبـــائرْ

والهــمسى من ضُحَاكِ أجنْحـــة النُّو

رِ، وفُضِّــى عـبـيـرهُ فـى الحنـاجرْ

قـــد جعَلْتُ الأمــانَ مــعتْرَاكِهِ فامْضى

فى سلامٍ رَعـــتــكِ عَينُ المقـــادرْ

وانشُدى فى مـــنابع الكوْن عَرْشًا

لمْ تحزْ مــثلهُ بروجُ القــيـــاصرْ

وإذا ما لمحْتِ ســـــدّتَـهُ العُلــ

ــيا، ونَادتك من حــمــاهُ المفـاخرْ

فاهــبطى فـى ظِـــلالِهِ، وتـــغنِّى

وانهلى الـعـطـرَ مــنْ جُيُوبِ الأزاهرْ

واسكبى الشعرَ من لهاتك سحرًا

لم تلقّنهُ قدرتى أىّ ساحرْ!

* * *

فانبرى الطائرُ البشيرُ إلى الأرْ

ضِ يُباهِى بسرِّهِ كلَّ عابرْ

سالتهُ النجومُ: أيانَ تمضى؟

وإلى أىِّ جنةٍ أنتَ طائرْ؟

عُشّكَ الخلدُ والملائكُ فيهِ

منْ أغانيكَ راقصاتٌ سواكرْ

فعلامَ انتهجْتَ سيْرَك للأرْ

ضِ، وخلّفْتَ عشّك اليومَ حائرْ؟

قال : كُفّى الملامَ! إنى بشيرٌ

بصباحٍ للشرقِ أبيضَ زاهرْ

فدعينى أزُفُّ بُشرى هِىَ النُو

رُ تهادَى شُعاعُهُ للنواظرْ

جنّةُ النيلِ أسْعدَتها يدُ اللهِ

بيوم كضحوة الخلدِ سافرْ

عبقرىّ الضياءِ تعْشَى بِهِ الشمْ

سُ وَيرتدُّ طرْفُها عنهُ حاسرْ

شدّةَ الغيبَ فاستسرَّ لنجوا

هُ، وراع النهى، وَهَاجَ السرائرْ

سَجَدَتْ خلفهُ العصور جلالاً

كلُّ ماضٍ، وكلُّ آتٍ وحاضرْ

والمحاريبُ كبَّرَت، وتنادت

بجلالِ الأذان بيضُ المنائرْ

وَالهدَى فى مَساجِدِ الله أضحَى

يسكبُ البشرَ فى حواشى المنابرْ

والفراعين أوشكوا حين شقَّتْ

مَوْجة النُّور خطْوَها فى المقابرْ:

فى هُدُوءِ البلَى يقيمونَ عُرسًا

لم يُقِمهُ فى الأرض أبهجُ سامرْ

عاجَلوا البعثَ واستَطارُوا من الفَر

حَةِ سارين فى الرُّبَى والمخاصِرْ

وشَحُوا النخْلَ بالضياء، وشدّوا

من خيوط الأنسام قلبَ المزاهرْ

وَمَضَوْا يهزِجُونَ، وَالفَجرُ صاحٍ

وحمامُ الرَّبيعِ نشوانُ ذاكرْ

وَعلَى سُنْبلِ الحقولِ صَلاةٌ

ذَابَ فى صمتِها صفيرُ القنابرْ

والسواقى مُزغرِداتٌ ولكن

بعد، طال نوحُها فى المقابرْ

شـــابَ فـي مـــزجــهـــا الأنينِ، فــــردّتْـ

ـهُ خُلودًا منَ الأغاني الســـوُاحـــرْ

فـــــرحــــةً هـــزّتْ الليــــالى، وَســـاقت

بعــــد يأسِ الــزّمــــان دُنيـــا بَشائرْ

ســـالتْ (طيــبـــةُ) النجــومَ عليــهـــا:

أىُّ ركبٍ إلى حــــمى النيل ســـائرْ؟

فـــأجـــابَتْ: ميــــلادُ «فـــاروق» اوْفَـــى

فـــــانقضى خَيْلَةُ المُلوكِ الغـــوابرْ

واستَعـــــــيدى عُلاك، وازهى عـلى الدّنْـ

ـيا وتيـــهى على جـــمـــيع الحَواضِرْ

بـــشْرى الجيــــلَ بـــالمُنـــى، فَهْى لَمْحٌ

مِن جَبـــين المَوْلـود يمـــحـــو الدّياجـــرْ

مِلِكٌ زفَّ لـلـعــــــوالمِ عصــــــرًا

مـــــا لأعيــــادِهِ مَدَى الدهــرِ آخِـرْ

خَطْوهُ رحـــمـــةٌ، ولُقيـــاهُ سَعـــدٌ

يَعقـــــــد الـيُمْنَ لــلجُنُودِ الـعَوَاثِرْ

حـــمَل السّيفَ قـــائدًا، وَحـــمَى الدّيـ

ـنَ إمــــامًا يَصُونُ قُدْسَ الشـــعـــائرْ

قَبَسَ النــاسكون من وجـــهـــهِ النُّو

رَ، ومــن طُهْرِهِ عَبـــيــرَ المجـــامِرْ

حبّه أشعل الشباب فأضحى

طيفه بالجلال يذكى المشاعر

أوقدوا الروح فى المشاعل[1] نورًا

حوّمت فوقه النفوس الطواهر

زيتها كان من دماهم، وكانت

حركات الفتيل خفق السرائر

وأقاموا بحفل تاجك عرسًا

نقلت عطره طيوب المباخر

وأذاعوا النشيد تحسب فيه

شعلًا من شعورهم يتطاير

قسمًا بالذى رعاك لتحمى

(مصر) من سطوة الليالى الجوائر:

ما زها فاتحًا ولا اهتز عرش

لملوك الورى بتلك المفاخر!

إيه مولاىَ واستمع لنشيد

سحرُه أوقف الطيور العوابر

قدمت لحنه بنعمك (عبديـ

ـن) فأسرى إلى الخلود وهاجر

---

(١) إشارة إلى مهرجان المشاعل الذى أقامه شباب العاصمة المصرية فى ساحة عابدين ليلة ميلاد فاروق

نُورٌ يمناك جدولٌ عبقرىٌ

فى جنانى مِنْ زَخْمَةِ الوَحْىِ ثائر

تأكل الحاسدين نارُ التجنِّى

وأنا من رحيقه العذبِ ساكرْ

فسمًا ما شدوتُ شعرًا .. ولكن

سقتُ للعرش . هاديًا . قلبَ شاعرْ!

○ نحن السيوف ○

نشيد وطنى

نحنُ السيوفُ المشرعاتُ للعدا   أرواحنا للنيل والعرش فدا
إذا دعتْ مصرُ رفعنا العلما   وفى دمِ الأعداءِ خضنا أُسُدا
تَخالُنا الأبصارْ   زوابعًا منْ نارْ
فى ثورةِ الإعصارْ   وقوةِ الأقدارْ
نحنُ السُّيوفُ المشرعاتْ
نحن الرُّعودُ القاصفاتْ
فى الهول لا تخشى الدَّمارْ

* * *

أرواحُنا للنِّيل والعرش فدا   وتاجُ فاروق لنا نعمَ الهُدى
أهلْ بالوادى فهزَّ الهرما   واطربَ التاريخَ حتى سجدا
وصاحَ «خوفو» و «مِنا»   فاروقُ أحيا مُلْكَنا
نحنُ قهرنا الزُّمنا   ودانتْ الدنيا لنا
فى عزنا، فى مجدنا   لا ترهبوا ريحَ الفنا
فى الجوْ قودوا الطائراتْ

وزمجروا كالعاصفاتْ

وفى الوغى هزوا القنا

• • •

إذا دعتْ «مصرُ» رفعنا العلما ... وللمدا طرنا لهيبًا ودمَا

للقائدِ الأعلى صدقنا القسما ... فى حبّ وادينا سنمضى شهدَا

نعلو به فوقَ الوجودْ ... وننبرى نحوَ الخلودْ

ونتركُ الدنيا تشهدْ ... بالنصر والذّكرِ المجيدْ

يا مليكَ المكرماتْ

هاتِ مجدَ [illegible]

وابعث العصر جديدْ

○ تكلّمْ أيها البحرَ ○

غناءٌ رائحٌ غـــادٍ وقلبٌ ظامئٌ صــادِ

وشعـرٌ منْ فجاجِ النفسِ لا ياتى بميعادِ

اهيبُ به فـيـرمـينى باغـضـاءٍ وإبعـادِ

واعشقُ ان اغنيـهِ فـيَحْطِمِ كـاس إنشـادى

ويصمتُ صمتةَ المسحورِ فى خفقٍ وإرعادِ

فـإنْ راودتُه اغـفـى واطرقَ فـوقَ أعـواد

فـرشـن لهُ خـمـيلَ المهـد منْ مـهج واكـبادِ

ومنْ سـحـرٍ وأسـرارٍ وتسـبـيحٍ واورادِ

ومنْ وهمٍ عـمـيقِ الخطوِ فى أحـشـاءِ آبادِ

ومنْ حلمٍ كطيـر الحبِّ رفـرافٍ باعـوادى

ومنْ خـمـرٍ بدنْ الرُّوحِ لم تخلقْ لِرُوّادِ

مـخـتـمـةٍ لأوتارى، مطلسـمـةٍ لأغـرادى ...

• • •

وإنْ خاصمته نادى بلا لحن ولا شادِ
ومزّقَ صمتَ أضلاعى بإعوالٍ وإرعادِ
وبثّ ناؤه المنهوكِ تحتَ سياطِ جلادِ
حلفتُ لهُ بحقِّ الحبِّ إلا فلكُ أصفادى
بحقِّ الفنِّ ساقيهِ وساقيني الأسى العادى
بحقِّ الليل نقضيهِ بتعذيبٍ وتسهادِ
ونخبطُ فى جوانحهِ بلا رىٍّ ولا زادِ
سوى ما تنفخُ الظلماءُ منْ فحٍّ وإيقادِ!
بحقِّ النيل والمرعى الجميل بصفحةِ الوادى
وحقِّ النغمةِ الخضراءِ لم يظفرْ بها حادِ
تذوبُ لشجوها القطعانُ أكبادًا لأكبادِ
وتُذهل يقظة الراعى بترجيعٍ وترْدادِ..
وحقِّ الزورقِ الحيرانِ منْ وجدٍ لإسعادِ
بقلبِه انتظارُ الحبِّ فوقَ لهيبِ مهمادِ
فيخفقُ خفقةَ المأسورِ بينَ حبالِ صيّادِ
بحقِّ الريحِ والملاّحُ يرقبُ خطوها الهادى
على أرضٍ منَ الأحلام .. مصرُ لشمسها نادِ
وفوقَ جبينها تاجٌ تعلّقَ نورهُ الوادى
وهامَ بحبهِ الروّاحُ فى الشطين والغادى
وغنّى الشّرقُ حتى ذاب لحنًا فى فم الشادى

بربك أيها البحر: وحولك سحره باد
تكلمْ وارو عن فاروق لا تبخلْ بأمجاد ..
شعاعٌ هلّ بالوادى، وبشره بميلاد
وطافَ به مطافَ البعثِ فى جنبات رُقّاد
فيومًا منهُ للشاكى العليل حنانُ عُوّاد
ويومًا منهُ للعانى الفقير معينُ أزواد
ويومًا منهُ للسارى الشقىّ نعيمُ أبراد
ويومًا منهُ للسارى الغوىّ منارُ إرشاد
ويومًا منهُ للوطن الجريح زئير آساد
ويومًا للشباب يقودُ منه خميسَ أجناد
تكلمْ أيها البحرُ ... وفوقك نوره باد
عليه تهافتوا ومضوا إليه مضاء عُبّاد
ألا يا بحرُ حدثهمْ حديثَ معلمٍ هاد
أوانُ الحب طاب لكمْ فلا تمضوا بأحقاد
وكونوا فى سبيل النيل صفًا يصرع العادى
ويزحفُ كالسيوفِ الصيدِ لا ترضى بأغماد ..

• • •

سلامُ الحُبِّ يا «فاروقُ» بينَ شبابك الغادى
حببتك والهوى كالسحرِ: شىءٌ مضمرٌ بادِ
فسقتُ لك الغناءَ الحرَّ من إعجازِ إنشادى

شُهوبٌ من صحارَى الفنِّ تَهوي كلُّ نقَّادِ

وتصرعُ كلَّ هاروتٍ لسرِّ الغيبِ نقَّادِ!

○عاش الملك○

(ألقي بين يدي صاحب الجلالة الملك في احتفال نادي فاروق الأول الرياضي بدار الأوبرا الملكية)

نشيد الملك

على راحتيكَ الأماني تُجابْ
ومنها أغاني العُلا للشبابْ
رأينا سناها كلمحِ الشهابْ
فجئنا كبحرٍ غزيرِ العبابْ

* * *

كأنّا طيورٌ كواها الحنينْ
نطوفُ حواليكَ كالعاشقين
نزفُّ الأغاني لسمعِ الفلكْ
ونهتفُ بالروح:

«عاش المليك»

* * *

أفـاروقُ أنت ربيعُ الحـيـاة
وأنتَ الضحى كم هدتنا خطاه
وأنت الحمى، كلُّ شيءٍ فداه
رعتكَ وصانتكَ عينُ الإلهْ

• • •

تقودُ الشراعَ، وتجري السفين
ونعلو بمصر على العالمين
وتشدو الليالي، ويُصغي الفلكْ
ونهتف بالروح:

«عاش الملك»

• • •

نفختَ بنارك عزمَ الوطنْ
وأبرأتهُ من جراحِ المحنْ
وعلّمتهُ كيف يلقى الزمنْ
قويَّ الجنانِ، قويَّ البدنْ

• • •

فجئنا إليكَ نهزُّ اليمينْ
ونقسمُ أنا سنطوي السنينْ
ونعلو بتاجكَ فوقَ الفلكْ
ونهتفُ بالروح:

«عاش الملك»

○

من الكلمات الملكية السامية

اقتطف الشاعر من الرسائل الملكية الكريمة التى تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بتوجيهها فى بعض المناسبات، فقرات خالدة توّج بها بعض القصائد:

		صفحة
من الرسالة السامية التى وجهها صاحب الجلالة الملك إلى الشباب فى أول احتفال تاريخى أقيم بقصر عابدين العامر تكريمًا من لدن جلالته للمتفوقين من طلاب العلم يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣.	قائد الجيل العلم والشباب المصرى الأول	
من الرسالة السامية التى تفضل جلالته بإذاعتها على العالم الإسلامى فى مستهلّ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ فى قصر رأس التين العامر يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٥.	العدالة الاجتماعية	
من الرسالة السامية التى تفضل جلالته بتوجيهها إلى فخامة رئيس جمهورية لبنان فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٣.	الشرق	

الديـوان الرابـع

« أيـن المفـر »

الطبعة الأولى، القاهرة ديسمبر ١٩٤٧

وكلما ناءَ فَيْدٌ

جاءَ فَيْدُ...

رَبُّ أين المفرْ!!

محمود حسن إسماعيل

١٩٤٧

علـى الأسوار ...

ظل الشـعرُ العربى - إلا مقاطع قليلة فيه مرزوءةً بالغفلة والجمود من هذا العصـر - مشدودَ الوثاق على خشب المنابر، يتربص لزادها من خصـاص الزمن، وحوله رهط من السدنة المتحفـزين للذبّ عن شعائره الموروثة كلمـا نبـضت بأصلاده رنّة حياة أو تحرر... أرهفوا آذانهم لفاجيء الحدثان يتعقبون غباره، ويلقمون الشعر من صياحه الذى تلغط به جمهرة السواد، ويمسخون سمته الرائع الحى بصبغ معارٍ من حواشيه، يخدش جلال سيرته ويصمّ مداره فى تطور الحياة.

وتصدر هذه اللمة الضخمة ممن أقاموا أنفسهم على الشعر سدنةً أبرارًا وأوصياء، رتلٌ من الركبان المحافظين يتوسطهم شاعر عبل البيان، قناص لما يرضى مزاج الحياةِ حوله، متماوج الصيح مع خواطرِ جيله وهمومِ قومه، فجرف صيته البقاع، وطنّ بوقه فى شعاب الشرق، وتزلفتْ على رقاب العصر.. فأمروه صاغرين على الشعر وحفوا خاشعين حول قبابه الناغمة بالجرس وفخامة الإيقاع، والترنيم اللفظى الساحر، وتأنق الزىّ البيانى، وتجنهد التجارب وأزواد التاريخ لمظاهرة الإحساس الشعرى وإمداد طاقته بما يخرجها من النفس فى موكب حماسى حاشد، وتطويع الفطرة لشهوة الأفاق التى تحدجها الجماهير بالترقب والإصغاء..

فانتهى بعده رجاء الناس فى أن تجود الحياة بمثله، وقذفوا الطيهمة بالعقم وقالوا: للشعر لن تقوم لك قائمة بعد أن دفنتْ صولجانك معه، ونفضوا أسماعهم

من كل شاعر مرّ على مزاره الرحيب دون أن يحفن من ترابه حفنة يبارك بها نشيده قبل الفناء!

وضاقت عصائب منهم بهذا الرق الأدبى القادح، فلم يملكوا وهم بناةُ صرحه إلا أن يشركوا به بعد موته، فانتحلوا من سمائه هالة التوحيد، بورثوا معه فى هذا العرش الموطد بأيديهم شاعرًا ممن ذرتهم ريح شهرته، وطفا به مشيب الحوادث بعد حين، فحملقت فيه الأيام لتلقى عليه وعلى أعقاب جيله نظرة المشيع لركب قديم.. أعادوا له السرادق، والبسوه مسوحَ شيخه، وبين عجيج المحافل وصخب المباركين وضعوا فى يمينه عصا المعلم... وقالوا له: سلام الفاتحين! لقد كنت حامل اللواء، وأستاذ الشعر والشعراء، ورائد المجددين العاقل الحذر فى تطعيم الشعر العربى الجامد بلقاح الفن الأوروبى، وترميم هياكله ومومياواته بطرائق الأدب الحديث... وهكذا نسخوا على رأسه لواء الإمارة الموروثة إمامة أبطالها الأولين، وكان غارها آخر ما تناقلوه على المفارق من هشيم الخلود! وصوتها آخر دقة من أجراس الرحيل لجيل من الشعراء جثم كابوس فداسته على صدر الحياة، واخفتَ صليلُ أقدامه نبضَ المواهب الجديدة، وطمستها سهرتهُ العريضة، فاخنت على مهادها قيودُ التقليد، وهلك وميضُ إشراقها، وهمدت فى أوتارها نار التحرر والانطلاق، ووكزتها إغمامة الخلاص من جيل إلى جيل، وعاقها عن المسير الواثق الجرىء بأنغامها الجديدة تشبثُ الزمن بأصفادِ تاريخهِ وبيئته، وتعصبهُ لكهولةِ الذكريات المتسافلةِ معه فى مثل هذا المفترقِ المحيرُ من زمان الشعوب المترددة بين النكوص والطيران، فاضطجعت مع قوافل الراحلين على هذه المنامةِ الوثيرةِ ضجعةُ الموت!

وفى طريق هذا الضريح الشاهق تلاغطت أرسالٌ من نابتة هذا الجيل ومن أخلاف أبيه، تسلل بعضهم من المزاحف العربية القديمة، والبعض الباقون من الذين أنهكتهم مداخل الفن الأجنبى، ومرقت بهم عطورهُ وألوانه، فحرمتهم أرضهُ الغريبة ومناخُ انفعالاته طواعيةَ التقليد، فلم يسلس لهم قيادة حتى فى التوليد والمسايرة، وتركتهم مزالقهُ فى منعرجِ حالكٍ بعد أن أوغل بهم الطريق فلا وصلوا ولا عادوا..

نظم الأولون منهم الشعر. فكانوا حفدة حافظين لإرث أسلافهم، أذهلهم دوار التعصب وجرفتهم حماقة الألفة الذهنية، والعصبية الثقافية. فغضّوا من كل شاعر لم يفهق غناؤه برغاء الجرس العربي الموروث، وعثروا دروبه الحرة بالتشنع فى الجدال مع كل قصيدة لم يلفْع وجهها نقابه المقدس.. وحاد نفر منهم عن الطريق. ولكن إليه! فلم يستجيبوا نقائض التركة العربية ولم يلصوا على الحرف العربى فيخالسون الناس فى شعرهم بعرض حركاته وسكناته كما فعل أشياخهم من قبل! بل سلكوا السبيل نفسه فى تعقب الشعر الجديد الذى بهرهم ترامى الفضاء بينه وبين خوالجهم، فغروا إليه يتلهفون على وميضٍ من خياله وتعبيرهِ ومعناه، وعادوا بنظم مرقع يشوبه هوس الخيال المطروقْ واللحن المسروق، وتعذيب الألفاظ بحشرها فى غير أجسادها النفسية بلا بث من الشعور ولا إفضاء من الروح... فشطت بهم خيبة المصير وعاقبتهم الطبيعة بالإهمال والضياع، وحاقت بهم لعلنها على التكرر والمتابعة والتقليد، ولو فى طريق جديد!!

والتوى بالآخرين المعاد إلى أرضهم الأولى فى جوانح الشرق وبالها من أزلية بكرا تخذل أسرارها كل قادم على وجهه غبرة الشك، لاذوا بها من هجير المعميات النافرة بطبائعها وجوهر انفعالاتها عن وجودهم النفسى، فردتهم حيارى يتكفأون فى مسخ غريبة. وفنّ مضطرب الغرائص، هجين النسب، مقطوع الوشائج بالدوافع النفسية الأولى خالقة الفنون الحية الخالدة.. وبالغوا فى التخفى وراء تلك الصلائب المخطوفة، والفن نمام على وطنه، فلم يمهلهم قليلا فى الترويج لهذه البضاعة الذهنية الشائهة، حتى هتك عنها الحجاب، وعصف بالطلاسم اللفظية التى أعانتهم غموضها على التدليس فى إيهام الشرق بأنهم أضافوا جديدًا إلى أدبه الراكد المقيم!.. نزعات.. ومذاهب.. ومدارس شعرية.. وتجديد.. وثورة على القديم... وكلها مباخر مدخولة الفوح على الشعر العربى، أفقدهم الإدمان على شميمها قوة احتماله كموجودٍ حرّ الطبيعة والكيان لا يعوزه التلقيح الخارجى، ولا يجدى شيئًا تسول الحياة له طعمًا فى تغيير طاقته، وتبديل ذاته، فخرجوا به عن نطاق الفن المنصهر من الحياة الجارف بقوة النبض

الإنسانى، وإشراق الطبيعة النفسية، وأصالة التعبير عن الشعور فى لحظات احتراقه وانطلاقه من أعماق الوهج الغامر الملح بشجو غلى الإيقاع بالصدق فى كلّ ما تنبض به، وتتفذ منه، وتحلقّ إليه أجنحةُ الشاعرِ وانفعالاته الكبيرة الخالدة.. وأحالوه غناء لفظيًا مشلول الإثارة، يتيم الحركة، مهزول الأداء، كاذب الشجو، تشوبهُ جهامةُ الشعور العقلى المثقف، والوعى الذهنى المهشّر فى أخلاط دخيلة على حياة الإحساس.

وبين هؤلاء وهؤلاء ضربت على الشعر أسداد خانقة من التشبث بالقديم، واحتراف التجديد فوقف عاثرًا، مظلوم الجراح يلفقون له البواعث، ويصنعون له المثيرات، ويلتقفون زاده من لفظ الحوادث اليومية، والتجاوب الرخيص مع انفعالاتها العادية السريعة، ويتصيدون له المنابر، ويروضونه وهو عصارة الأرواح الطليقة العاتية على مداجاة الجماهير، ومصانعة العامة فى ترديد ما يرضى أهواءها القاصرة المغلوبة، ومسارقة إعجابها بمس الرغائب الماشية، والترجيع المنتهز للخواطر السطحية فى كل ما من شأنه إهاجةُ الشواغل الحسية تمليقًا وتطويقًا لثناء الناس، وكسبًا عاجلا لزيد الشهرة واغتنامًا لمجدها الزائف فاخذه الناس لغوًا رخيصًا لفراغهم، وجرفت كبره وقوته رخاوة المزاج المنهوك من ضحر الرق الاجتماعى، وكآبة الحياة العقلية المغلوبة، وران عليهم كساد الشعور، ونفر فيهم أدب الأشباح والمعانى البصرية والصور الحسية ولغة الأطوال والعروض فى جس الخيال، وقياسه على الواقع المجرد.. وشنوا القيامة على كل ما ليس فى أوعيتهم من معانٍ وصورٍ مألوفةٍ، وكواهم العواءُ على غير طائلٍ فى مهبّ الرياح الجديدة، فانساقوا مع الواقفين على أسوار مجده الغابر فى ترديد النواح على أقطابه الذاهبين.. وفى هلع النماة يخفتُ صوتُ الوليد!

ونفد صبر الطبيعة فى احتمال هذه الأغلال قرابة جيل من حياتها المتحفزة دائمًا للسير الكاشف المتحرر.. فاطلعت نذرها بأضواء جديدة أفلت زمامها من عقال العبودية الضارية، وتوهجت طلائع نشيدها من معاقل الشعر العربى فى مصر وأخواتها على أيدٍ أرعش بعضها الحذر والأجفال فخفرت فى أول الطريق!

واندفع بعضها مع حماسة البحث الجارف فطاشت خطوته! وبعضها أمضه الكفاح. وخانته طاقته عن المسير. فنكص على عقبيه! وانسل بعضها فى عدو الظلال فامحى فى غبارها ومات!

وراغ بعضها بين خاطره وناظره، وبين فنه وزمنه، وبين خطوته وشهرته. فزاغ بصره، وترنح على سراب بلا رحيل ولا إياب!... وبعضها وهم ندرة هائمة على سفوح النغم العربى فى مختلف أصقاعه، انطلق جناحها فى وهج النور المارج بقوة الإيمان. وراحت تتموج أوتارها بحنين الأسرار الواغلة فى ظلام النفس الإنسانية. وأنين قيدها وعذابها الممفد العميق. ومالت إلى السحر المحجب الماصى وراء أحزان الطبيعة وأفراحها وأسوارها الأزلية المائهة. وشب غناؤها من نار الشقاء الإنسانى الذى ترزح تحت نيره جوانح الشرق المعذب المقهور.. بعد أن غوى الشعر عن طريقه روحًا من الزمن وهو فى شغل شاغل بالنفاق الاجتماعى ومداجاة الأوضاع، والغناء الواقعى الضحل، وختال الجماهير بترويضها على الفنون الرخيصة المنحلة. انسياقا مع الذوق السهار الذى يروح على يديه فنُّ الآدمية المسترقة إمتاعًا للأسوار المطمئنة. وتخديرًا للقطعان الساجدة بثقلها وبكلها على أعتاب الهشيم، ونزفًا للأوشال الباقية فى أعماقها من زاد التحرر والتطور والانطلاق...

فهاتيها الأجنحة الضاربة فى ضباب الشرق!

شُقّى حجاب السر المختّم على جراح الوجود..

والطُمى ظلام الحياة الشقية بعويلك الجبار علها تهتك قناع الرق عن وجهها الجالى على رياء الزمن!

ومرى بترنيمك السماوى على أسوار هذه الأرض المحرومة من النور.. لعل سحرها يصحو من غطيطه الطويل على دفّ هذه المزامير. ويقتات إشراقة من هذا الغناء الجديد.

واجّرفي بنارك الحرةِ الواثبة هشيم الواقفين بتوابيت الماضي في طريقك الطويل! وايقظي الغاب والرعيان...

م ح ۰ ۱

٥

○ أغاني الرق ○

القيتني بين شباكِ العذابْ وقالت لي: غنِّ!

وكلُّ ما يشجي حنينَ الربابْ ضيعته مني!

○ أغانى الرق ○

ألقيتنى بين شباكِ العذابْ — وقلت لى: غنْ!

وكلُّ ما يشجى حنينَ الربابْ — ضهمتةٌ منّى!

هذا جناحى صارخٌ لا يجابْ — فى ظلمةِ السجنِ

ونشوتى صارتْ بقايا سرابْ — فى حانةِ الجنّْ

آواهُ يا فنّى

لو لمْ أعشْ كالناسِ فوق الترابْ!

• • •

رمانى الرقُّ بدنيا زوالْ — مغلولةِ الجلبِ

وقال: حومْ فى سفوح الجبالْ — واهبطْ على العُشبِ

واضربْ جناحيكْ بأفقِ المحالْ — واسألْ عن الغهبِ..

وهانا.. لا شىءَ إلاّ ضلالْ — سارِ مع الركبِ!

آواهُ يا ربّى

لو لمْ أكنْ عبداً لهذا الخيالْ!!

• • •

جعلتَ زادى منَ عويلِ الرياحْ وغربةِ الطيرِ

ومن أسى الليلِ، ووجدِ الصباحْ وشهقةِ النهرِ

وسقتنى ظمآن بين البطاحْ إلا من السحرِ

وقلتَ لى: رفرفْ بهذا الجناحْ واشربْ من السرْ.

والسرُّ فى صدرى

فبدتُ ساقيهِ بتلك الجراحْ؟!

• • •

خدعتَنى يا نايُ.. حتى الفناءْ لم تعطنى سرهْ!

والعالم الرحبُ، وملْك الفضاءْ زينتَ لى أسرهْ!

ورحتَ تغرينى بفنِّ السماءْ والوحْى، والفطرهْ

وأنت عبدٌ.. منْ جحيمِ الشقاءْ جرعتنى جمرهْ

وقلتَ لى خمرهْ!

وسقتنى عبدًا لهذا الرياءْ!

• • •

الموجُ فى البحر كركبٍ طليقْ يمشى بلا حادِ

غناؤهُ أشواقُ ماضٍ عميقْ فى صدرِ آبادِ

ولجهُ الطامى هتافٌ سحيقْ فى قلبِ جلادِ

لكنهُ عبدُ النسيمِ الرقيقْ إن هبَّ فى الوادى

من غيرِ ميعادِ

تخالُ شطيه ذراعىْ غريقْ!

• • •

والريحُ كالبنتِ فوق القفارْ   تأتى بلا وعدِ
كأنها ثكلى تريدُ الفرارْ   من ضجةِ اللحدِ
جبارةٌ بعد خلودِ الإسارْ   فرتْ من القيدِ
أخنتْ عليها قبضةٌ من نهارْ   فى قارظٍ صهدِ

فخيمتْ عندى

كأنها ضيفٌ قديمُ المزارْ!

• • •

والليلُ كم هزَّ سياطَ الظلامْ   وعذب الناسا
وراح كالراهب فوق الأنامْ   يدقُّ أجراسا
يدير كأسًا لم تطقْها مدامْ   ويحتسى كاسا
وفجأةً أومأ إليه غلامْ   ومدَّ نبراسا

الفجر قد داسا

بنوره أشلاءَ هذا القتامْ!

• • •

والمطرُ فى الزهرةِ طيرٌ سجينْ   ما بين أشراكِ
أصفادُه أبطالُ رقٍّ فنينْ   فى زىِّ أشواكِ
يا واهب النشوةِ للعاشقينْ   يا سلوةَ الشاكى
على خريفٍ مستبدُّ اليمينْ   بالروض فتاكِ..

.. عبيرُكَ الباكى

معذبٌ يشكو الإسارَ الدفينْ!!

• • •

والنفسُ فى الجسمِ كنسرٍ غضوبْ	هاجتْ مراميها
راحت به فى كلِّ أرضٍ تجُوبْ	فزادها تيها
حيرى يمليها غناءٌ كذوبْ	والوهمُ يسقيها
مخدوعةُ الأوتارِ: كفُّ الغيوبْ	هزتْ مثانيها

لكنْ أغانيها
أنينُ ذلٍّ فى حنايا غريبْ!

• • •

غريبةٌ شدتْ عليها القيودْ	من كلِّ ما تهوى
قالوا لها: طيرى بهذا الوجودْ	ورددى النجوى
ولم تكدْ.. حتى دهتها سدودْ	كالموتِ أو أقوى:
الحبُّ والغيبُ وسرُّ الخلودْ	واليأسُ والشكوى

وما لها سلوى
عن هذه الأغلال إلا الوعودْ!

• • •

وطائرٍ تحت قباب الظلامْ	من غير أوكارِ
مصلبٍ شدتهُ رؤيا غرامْ	فى قيدِ إعصارِ
واطلقتهُ مارداً من ضرامْ	فى الجسمِ سوارِ
يفحُ لذاتٍ ويسقى مدامْ	مسعورةَ النارِ

منْ كفِّ خمارِ
حانوتهُ أحلامُ كلِّ الأنامْ..

• • •

مــد جناحــيــه، وغنى، وداز	في كلّ أوصـــالي
أوتـارهُ لـيلٌ وخـمـرٌ ونـارْ	من غـيرِ إشـمـالِ..
.. توهجتْ. وارفضَّ منها شرارْ	للعـقـل فـخـالِ
يا طائرَ الشـهـوةِ! أين الفرارْ	من سـجنك العـالي..

ونارُ أغـلالي

تكويك مثلي بعذابِ الإسارْ؟!

• • •

والحبُّ؟ مـا أشقاهُ! حادي سرابْ	في واحـةٍ حـمـرى
طيرانِ حطّا في هشيمِ خرابْ	فـراغ، واخـضـرا
وقال: هيا... فـأزاحـا النقابْ	ومـزّقـا السـترا
يا ساقي السرِّ! أذقنا العذابْ	واسكب لنا السـرّا..

وبعدها فـرّا ..

ولم يزلْ يعدو ابنُ الترابْ!

• • •

كم ساقني في جنح ليلٍ أسـيـرْ	عــبــدًا إلى قُبْلة!
وساقها مثلي لهذا المصيرْ	لهـفـانةً مـثـلة
ونهدها طيرٌ ينادي الغديرْ	والريحُ في غـفـلة
ذابتْ على السرْ.. وذاب الضميرْ..	وذابـت اللهـفـة

وازمـعـت رحلة ..

والحبُّ عبدٌ في خُطاها أجيرا

• • •

كنا جناحين لطير المساءْ يهفو كما نخفق

إذا أسرنا الأفق رقَّ الهواءْ وعرج الزورق

وإن نزلنا العشب رقَّ الغناءْ من قلبه المغلق

وإنْ تعانقنا رجونا الفناءْ.. لو أنهُ يطبقْ!!

لكنَّهُ فرَّقْ

وأصبحتْ أنثى ككلِّ النساءْ!

• • •

جبارةٌ كانتْ تسوقُ النشيدْ سحرًا لأوتاري

وتصطلي أحلامها ما تريدْ من شهوةِ النارِ..

أخفتْ عن الدنيا هواها العتيدْ من خشية العارِ!

وباعت الحبَّ لشارٍ جديدْ.. لو أنه دارِ

ما أحرقتْ ناري..

لباعها - وارتدْ - بيعَ العبيدْ!!

• • •

والإثمُ خفاشٌ تحبُّ الظلامْ طيورُ أسرارهْ

يقالُ عارٌ! إنْ أدار الأنامْ كأسًا بأخبارهْ

وإنْ غفا السمعُ! تمطَّى ونامْ في ظهر أوزارهْ

قلْ لرداءِ العرسِ: أرخِ اللثامْ وانظر إلى عارهْ

وزهرُ أبكارهْ..

يبكي على العطر بتلك الرمامْ!!

• • •

كم ذات وجه شبّ فيه الحياءْ ... كأنه نارٌ!
تفضي من النور.. كان الضياءْ ... في لمحه عارًا!
سجا دجاها، واطمأنّ الخفاءْ ... ونامت الدارُ..
فغردتْ للحبِّ أنى يشاءْ ... والحبُّ قهارُ

والليلُ ستارُ..
أعلامها للصبح تُفضي حياءْ؟!

• • •

والظلمُ.. لا ظلمَ! ولا ظالمينْ! ... لكنّ هو الضعفُ..
أخنى على الناس، فصلى جبينْ ... فداسهُ ظلفُ!
معذب الأعناق..! في الراكعين ... تمرد الخوفُ
فارحمْ كثيرًا... فشراعُ السفينْ ... أمالهُ العصفُ..

والموجُ لم يقفْ ..
قبل ارتداد الريح للواقفينْ!

• • •

يا سارقَ القوت! نزعت الحجابْ ... عن هذه اللقمهْ!
ما كنتُ أدري فتكها بالرقابْ! ... أو أنها نقمهْ!
والجوعُ إنْ صاح يصيحُ الخرابْ ... وتصعقُ الأمهْ!
انعمْ كما شئتَ! ودعْ للترابْ ... ما قالت الرحمهْ..

يأيها الأكمهْ
إنّا وراء الركب حتى نجابْ!!

• • •

والعهدُ رقٌ ليتهُ في الحياةْ يبقى، ولا ينفدْ!
أهواك.. واللهُ على ما يراهْ من لوعتي يشهدْ..
مادام هذا النجمُ يلقي سناهْ فحبنا أخلدْ!
والله باقٍ! نجمهُ في سماهْ مشعشعٌ فرقدْ!

وأقبلَ الموعدْ..

وأنتِ في أحضانِ صبٍّ سواهْ!!

* * *

من هؤلاء الأشقياءُ الظهورْ من غير علاتٍ؟!
المنبتون الزهر فوق الثغورْ من رأس حياتِ
كم حملوا الوجهَ رفات الشعورْ عند التحياتِ!
أحرارُ ألفاظٍ، أسارى صدورْ تخفي الدنياتِ

من غير مرآة

رأيتهم صرعى نفاقٍ وزورْ!!

* * *

والموتُ وعدٌ لا تشلُّ الحياةْ إلا بإصفادهْ
أريد لو أعرفُ عهدًا سواهْ أوفى بميعادهْ!
يا ليته خانَ! وضلّتْ عصاه طريقَ أوعادهْ!
مفاجئهْ، لم تكبُ يومًا خُطاهْ طلاحتْ بإجنادهْ.

وكلُّ أزوادهْ

فجاءةُ البعث.. فشُلَّتْ يداهْ!!

* * *

والرقُّ نارٌ من قـــديم الزمـــانْ ... من نفســـهـــا تأكلْ..

تحـــررتْ نفـــسي، وهي اللســـانْ ... فـــجـــاءها بمـــعولْ

عـــبـــدٌ وحـــرٌّ في دمي ســـاكنانْ.. ... رباه مـــا أفـــعلْ؟!

أهمُّ بالقـــيـــد... فـــتـــهـــوي اليـــدانْ ... ويضـــرب المعـــولْ

في كل مـــا أحـــمل

فـــأسحقُ العـــودَ.. وتبـــقى البنانْ!!

ر مصير ر

ودارت بهـــا الدنيـــا ... وعـــادتْ لوكـــرها

وفى يدهـا الماضى على صـــــدره طفلُ..

* * *

تـنوحُ ولا تـدرى بـأىْ خـــمـــيلةٍ

حـبـا ســرهـا.. او جـاد لوعـتـهـا طلُّ..

* * *

ســـالتْ سطورُ الحبْ عنهـــا، وصـــورةٌ

ووجـــهًا افـــاعـــيـــه من الغـــدر تنصلٌ..

ظلمتِ عـهـوذ العـاشـقـينَ.. فـــارضـعى

هـوانـا، ونوحى، فـــالخطايا لهـــا ظلٌّ!!

ز

○ عبيد الرّياح ○

الى غروب يوم قائظ.. ماتت رياحه وسكن فيه كل شيء، إلا غناء شجى يتعالى اليه من هؤلاء المعذبين الأبطال. ساروا مصففين بحبال السفن يصارعون نهر النيل فى عراك جبار مع الطبيعة علهم يشقون صدرها فى طريقهم الى الجنوب!

رأيتهم فى غروب كئيبْ ... يعزُّ على شمسهم أن تغيبْ
حدتهم بأشلاء ضوء ذبيح ... بمصفر أشباحهم باللهيب
جبابرةٌ عوّذوا للهواء ... وبثّوا رُقاهم لريح المغيبْ
يلوحون صفًا ونهدَ الحراك ... كأنهمُ صلّبوا فى الكثيبْ
يسيرون سيرَ الهوان المريب ... ويمشون مشىَ الزمان الكئيبْ
فتحسبهم أوغلوا فى الخيال ... وعيناك تأخذهم من قريبْ
على صدرهم من غضون الكفاح ... أفاعى حبالٍ تلفُّ الجنوبْ
تجاذبهم خطوهم للوراء ... فهم من عنادٍ بقاياها حروبْ
سواعدهم مولقات الزنود ... ولكنها عُدّةٌ للهبوبْ
تشقُّ الفضاء بأصفادها ... فتنشقُّ أجوازُه أو تنوبْ

واجسادهم حانيات لها ركوعَ المحمّل ثقلَ الذنوبْ

كأنهم فى سفوح الزمان شياطينُ تحدو المساءَ الرهيبْ

حواميمهمْ خلف نعش الرياح هُواهُو.. هُواهُو.. غناءً رتيبْ

سقاهم «سليمانُ» من سره فكادوا يمسُّون سمعَ الغيوبْ

اقاموا جنازًا يشُنُّ الفضاءُ باصدائهِ وينوحُ الغروبْ

بكلد يعزى، ويمشى النخيلُ وراءهم، وتلوذ السهوبْ

شدوا واستجاروا وخابَ النداءُ فتاهتْ خطاهم وشقوا الجيوبْ

ومروا حفاةً عراةً لهم شهيقُ الثكالى وزفرُ الغريبْ

على الأرض خرسٌ وإن هممموا فهذى صلاةٌ تذيب القلوبْ

يجرون ايامهم خلفهم وذكرى شقاواتهم والكروبْ

عبيدُ الرياحِ، كلانا رقيقٌ... فغنوا وصلُّوا عبيدَ الخطوبْ!!

جَلاد الظلال

«مظلولةٌ بينَ يديها الطبيعة!
«وأنت مروّعة للهجير،
«فلسمعي ظلّك صليلُ ناره،
«في أنغامك العانية!
(جزيرة الزمالك في هاجرة الصيف)

دعوها على راحاته الخُضْرِ ترتمي
فقدْ شفَّها بَرْحُ الهجيرِ المصمِّمِ!

رمتْ فوقهُ أشجانها، وتنفستْ
إليه بشكوى عابرٍ لمخيمِ

ولاذتْ به مغطورةً.. فظلالُها
أساريرُ وجهِ اليائسِ المتجهِّمِ

وأدواحها ركبانُ دوٍّ أحالهمُ
ضلالُ الفلاَ أصنامَ ديْرٍ مهدَّمِ

تناجتْ بصمتٍ أيقظتْ هجماتهِ
يمامات ظُهْرٍ صاحياتٌ كنوَّمِ

هففنَ، ونزّفن التغنّي صبابةً

فخطّفن إحساس الغصون المكتّمِ

واغفت على حضنٍ من الموجِ نائمٍ

بخيلِ الرؤى إلاّ على كلّ ملهمِ

هو النيلُ رباها على الحبِّ والهوى

وعانق شطيها عناقَ المتيمِ

وطوّقَ جنبيها، فلاحتْ غريبةً

على ساعديهِ من أسى البين تحتمي

وتحكي له أشجانها، وحديثها

يغني بلا عودٍ، ويشكو بلا فمِ

تضوّعُ غرامًا، وانتظارًا، وحيرةً

وشعرًا إلى غيرِ الهوى لم ينغّمِ

يمرُّ على محرابها الناسُ غُفَّلاً

كما مرَّ بوذيٌّ على دار مسلمِ

وتسري حواليها السفائنُ خشّعًا

سرىً تائبٍ في كعبة الله محرمِ

تشقُّ عبابًا ماتَ همهاسُ موجه

فلاحَ كمشتاقٍ إلى نفسه ظمي

ولولا خطا تيارهِ لحسبتها

تماثيل طيرٍ في سرابٍ مدوّمِ

لها شرعٌ بيضُ الحواشي، متونها
كأعلامِ جيشٍ مستجمرٍ مسلمِ

سكونٌ، ولكنْ في حنيات صدره
بقايا لُهاثِ الشرِّ في قلب مجرمِ

واقصى على الأسوارِ قيظٌ رايتهُ
يطلُّ بوجهِ الحانقِ المتندمِ

يلوحُ كجلادِ الظلالِ، وهذه
سياطُ اللظى منهُ طوالُ التضرمِ

يكدنَ يحلْنَ الظلُّ وهمًا، وغصنه
تهافتَ مفزوعٍ عميقِ التوهمِ

تشاكى منَ التعذيب فرعٌ وطائرٌ
وعشبٌ، فكانَ الروضُ إيماءَ مأتمِ

واوقفَ نفحُ الريحِ.. لا كفَّ لاجدِ
ولا خطْوُ بكّاءٍ كثيرِ الترحمِ

تعرى عن الأستارِ، فهوَ مكفنٌ
بضوءٍ على الأغصانِ حيرانَ مججمِ

شواظٌ ولا نارٌ، ونارٌ ولا لظىً
ورؤيا لهيبٍ في خيالي وفي دمي

وموقدُ هيّادينَ، ماتَ لهيبهُ
وشبتْ اغانيهِ سعيرًا باعظمي

وكدتُ أرى والنارُ لم تبدُ سجدةً

مجوسيةً قامتْ على كلِّ مَجْثمِ

وركبًا من التنهيدِ تخفى وجوهُه

وتنظرُ من وجهِ الأثيرِ الملثم

وحائرةٍ من عالمَ الزهرِ أطرقتْ

حدادًا على عطر الصباحِ المُلملمِ

مُفهدةٍ، ملهوفةٍ، ذاتِ آهةٍ

مُقيدةٍ، تبدو كطيفٍ مجسمِ

تمدُّ يديها للغديرِ، وقلبه

إلى عودها يجري بكوبٍ مُحطم

أظمأى تنادى ظامئًا؟ من رأى الأسى

يغيثُ الأسى في الخاطرِ المتألم؟!

لقد بَحَّ صوتُ الجوْ برحًا ولهفةً

كما بَحَّ سرُّ الغيبِ صوتُ المنجّم!

• • •

وهاجرةٍ يُشوى بها الظلُّ مثلما

يُقلَّبُ في الأشواقِ قلبُ المتيم

لها وَهَجاتٌ في الربى خلتُ أنها

فحيحُ أفاعٍ من زوايا جهنم

رمتْ بها حيرانَ أحكى حكايةً

عن الصيفِ لم أنبس، ولم أتكلم

ولكنني أروى عن الوحى كيفما

روى لى بأطياف الخيالِ المهمهمِ

لنفسى احكيها، ومن هولِ سحرها

طلاسمُ سمعِ الغافلين المختمِ

رأيتُ جحيمًا لم تباركه «فارسٌ»

بمبادِ نارٍ منْ بنيها مزمزم

ولم يرنُ طوّافٌ إلى قبابه

بقلبٍ من التسبيحِ شادٍ مرنّمِ

ولا حدثتْ عنهُ الخرافاتُ أهلها

ولا خطَّ عنهُ الوهم حرفًا بمرقم

له وهجٌ يصلى الوجوهَ بحره

ويفهقُ كاليحمومِ فى مسربِ الدمِ

والسنةً بيضٌ لهنَّ رطانةً

بمثلِ لُغاها كاهنٌ لم يتمتمِ

كأنَّ عفاريتَ الظهيرةِ طنبوا

خيامًا على هذا البساطِ المضرمِ

تنادوا بالفاظٍ صداها وساوسٌ

سمعتُ معانيها بآذانِ أعجمِ..

وجوٌ غضوبُ النزْ يكظمُ نقمةً

ويكتمُ غيظَ الساخطِ المتبرمِ

شممتُ به ريحَ المعاصي سخينة

محملة الأنفاسِ من كلِّ مأثم

يفحُّ كجراءِ الشكوكِ هواجسًا

لهنَّ دبيبُ السمِّ في رأسِ أرقمِ

وألحدَ صوفيُّ النخيلِ، فما أرى

به هزةً كانتْ إلى النسكِ تنتمي

لقد كانَ رعاشَ الأيادي تبتلاً

إلى الله، لم يدنسْ، ولم يتأثمِ

ولم يجنِ ذنبًا يبتغي عنه توبةً

مع الناسِ يدعوها بكفٍّ ومعصمِ

أما قامَ في الفجرِ الرطيبِ مؤذنًا

يصيحُ بتكبيرٍ على العقلِ مبهمِ

فما بالهُ أصغى، وأصغتْ ظلالهُ

كمنتظرٍ حكمَ القضاءِ المحتمِ!

وألقى على الأفقِ المصعَّدِ نظرةً

كأصعادِ عيسى والتفاتاتِ مريمِ!

وأُزهقَ إحساسُ الطبيعةِ، فاغتدتْ

كحزنٍ على كتمِ الشكاياتِ مُرْغَمِ

كأنَّ ثكالى مخرساتٍ على الربى

شليلاتُ همسِ الروحِ والجسمِ والفمِ

وقـفن عليـهـا بنتخلرن مـعـزيًا
ومطرفُ المعـزى عن طريقِ الأسى غمى

طرحنَ مناديلَ الظلالِ على الثـرى
وكـاد بهنَّ العـودُ كـالظلّ يرتمى

واطرقَ فـيـهـا كـلُّ شىءٍ فـمـا بهـا
سـوى طيفِ مـصلوبٍ وايمـاءِ مُنقمِ

كـانَّ القـصـورَ الشـامـخـاتِ بارضـهـا
مـحـاريبُ جنٍّ فى مـزارٍ مـحـرمِ

يَطِـنُّ حـواليـهـا الهـجـيـرُ كـانهُ
تخـافتُ عـارٍ حـولَ عـرضٍ مُـثَلَّم

وينفخُ كـالحـدَّادِ نـارًا، شـرارهـا
تناهشُ خـزىٍ فى ضـمـيـرٍ مـذمم

مـضـيتُ بهـا حـيـرانَ اشـبـه خـاطرًا
بقلبِ ملولٍ جـازعِ اليـاسِ مظلمِ

افـتشُ عنْ سـحـرِ الربيعِ وعطرهِ
كـانى نقّـابٌ باحـشـاء منجمِ

لقـد مـاتَ! واغـتـالت مـغـانيـه بغتةً
كـمـا اغتـالَ عـصفُ الشكّ احـلامَ مـغـرمِ

الا اينَ هفـهـافُ النسيم بايكهـا؟
وأينَ مـزامـيـرُ الضـحى المتـبـسمِ؟

وأينَ أغاني الموجِ، والموجُ شاعرٌ
وإنْ لمْ يُذِعْ شعرًا ولمْ يترنمِ

وأينَ الهوى؟ إني حملتُ ربيعهُ
بقلبٍ من التسبيحِ عاتٍ مدمدمِ

وهمتُ على صيفِ الجزيرةِ شاردًا
بحبي كسرٍّ في حشاها مطلسمِ

أحبُّ لياليها، وأهوى ترابها
وأهوى غروبَ الشمسِ في أفقها العلي

فقدتُ أليفَ الروحِ بين شعابها
وعدتُ بحزنِ المستطارِ المُيتَّمِ

كأني هجيرٌ تائهٌ فوق أرضها
بنفسٍ بناءٍ من أسى النفسِ مُلْجَمِ!!

○ بُهتانٌ ○

عجبتُ لها.. كانتْ سوادًا وسمرةً
كسحرِ غروبٍ ضمهُ ساعدُ الليلِ
وتجهشُ بالحبِّ العنيفِ جفونها
كأنَّ هواها شبَّ منْ عالمِ الشُّكلِ
حضنتُ أساها في دمي، وسقيتها
غرامًا محا من وجهها آيةَ الذلْ
ولما نضتْ عنها الحدادَ رأيتُها
تقلبُ أفعى عضها واقدُ الرَّملِ
مكانكِ! واسقى غيرنا السمَّ.. إننا
شربناكِ أنثى في رحيقٍ من الويلِ..

○

○ العزلة ○

«وأخنتْ على روحه الوحدة، فصورتْ له
منامها روضةً من مقاصر الأحلام...»

في روضةٍ مِعطارْ
تخضلُّ بالتذكارْ
هاجتْ بها الأفكارْ   ناراً على قلبي

* * *

فيها جناحٌ طارْ
وعطرُ أيكٍ ثارْ
وجدولٌ هدارْ   يجري بلا سكبِ

* * *

صلتْ بها عيدانْ
لاتعرفُ الأديانْ

واستغفرتْ اغصانْ		لكنْ بلا ذنبِ...

* * *

خميلها حرانْ
ونبعها ظمانْ
وصمتها ولهانْ		شوقا إلى الغيبِ

* * *

تفجرتْ انهارْ
فيها منَ الأسرارْ
يجرى بها إعصارْ		فى عالمى الرحب

* * *

دارتْ سواقيها
تبكى وتسقيها
منْ دمعِ ماضيها		ما فاضَ منْ هدبى

* * *

مشى بها الماضى
يدوس انقاضى
كمرهفٍ ماضِ		يُغمدُ فى جنبى

* * *

ولاحت الأيامْ

مشلولةَ الأقدامْ

كأنها أوهامْ   مصلوبةُ الركب

* * *

من أينَ - لا أغصانْ

فيها، ولا كثبانْ

حطتْ بها الأحزانْ   سربًا إلى سرب؟!

* * *

وكيفَ - لا حاناتْ

فيها، ولا كاساتْ

طارتْ بها الآهاتْ   سكرى بلا شُرب!

* * *

وهذه أفواجْ

من خاطرى الوهاجْ

تجيش كالأمواجْ   جنبًا إلى جنب

* * *

وهذه أنفاسْ

فى صمتها الوسواسْ

تدقُّ كالأجراسْ　　في معبدِ القلبِ

* * *

وهذه أنغامْ
مغلولةُ الألهامْ
كأنها أنسامْ　　قُيِّدن بالعشبِ

* * *

وهذه أصفادْ
للحزن والأعوادْ
تضج كالأجنادْ　　في غمرةِ الحربِ

* * *

وهذه أشواقْ
مجهولةُ الآفاقْ
مقتولةُ الأشراقْ　　مسدولةُ الحجبِ

* * *

وهذه ركبانْ
للغدر والبهتان
تنسلُّ كالثعبانْ　　في المزحفِ الرطبِ

* * *

وهـذه أكـــــــــوابْ

مما ســقى الأحـــبـــابْ

بـالـصمّ والأوصـــــــابْ		تــدورُ فـــى قـــا ـــبى

• • •

وهـــــــذه رنـــــــاتْ

ممـدودةُ الـراحـــــــاتْ

كـــــانهـــا قـــبــلاتْ		ظـمــــــــاى إلى الحـــبْ

• • •

تنهـــيـــــدةً منْ عــــودْ

فى مــهـــجـتى مـشــدودْ

مـــــعـــــــذبِ مكـبودْ		منْ قـــســـوةِ الضـــربِ

• • •

أم نغــمـــةً خـــرســـــاءْ

مـــســـحـــورةُ الأصـــداءْ

أشـــهى منَ الأغــضـــاءْ		فى ســـاعـــةِ العــتبِ

• • •

وهـذه صـــــحـــــــراءْ

فى وحــدتى الســـوداءْ

مـــرتْ بهـــا الأنواءْ   تـبـكـى مــنَ الـرعــبْ

• • •

وهـنه حـــبـهـــاتْ
تـمـضـى منَ الـســاعــاتْ
كـــلـنما الأوقـــاتْ   غـــابَ نما قـــربى

• • •

وهـــذه جــنـــاتْ
رفـتْ بـحـــــورياتْ
ينـشـــرنَ بالـهـــالاتْ   زهـرًا عـلى جـــدبى

• • •

ســربٌ منَ الآمـــالْ
يـدب كــالمحـــتـــالْ
مـــرقـشَ الأعـمـــالْ   بـــالـــزيــفِ والـــكــذبْ

• • •

اكـــعـــبـــةٌ امْ حـــانْ؟
ام مـــخـــدعُ النعـسانْ؟
ام مــــــــوئلُ الايمانْ؟   امْ مـــعـــــقـلُ الريبْ؟

• • •

وهذه أطيـــــــــازْ
يا نفسُ أمْ أوكـــــازْ
لاذتْ بهـــا الأمـــرازْ من روعـــــةِ الخطبِ؟

* * *

وهذه أكــــــــوانْ
للروحِ أم أكـــفـــانْ
يا حــادِيَ الأزمـــانْ نُهْنا عــن الــدربِ..

* * *

يا عــــــزلةَ الأرواحْ
لاتظمـــئى... فـــالراحْ
وهاجـــةُ الأقـــداحْ منْ دمـــعى المــذبِ

* * *

ابكى.. كــمـــا ابكى
من ظلمـــةِ الشكْ
فــدمعُ عـــينيكِ أهمى منَ الســحبِ

* * *

ربيــــعكِ الرفـــرافْ
خــريف حبُ طافْ

مُـــلألأ الأفـــوافْ كـــادمعِ الـصبّْ

* * *

أطلقتُ فـــيكِ الروحْ
كطائرٍ مـــجـــروحْ
فـــعـــادَ كـــالمذبوحْ ملقىً على التـــرب...

* * *

عـــمـــرى غـــريبٌ تاهْ
ضلتْ بـه دنيـــاهْ
منْ ســـجنهِ الأواهْ أطلقـــهُ يا ربى..!!

٥

○ الشك ○

وربَّ لونى الفوز مرةً واحدةً من دموع أنثى!!

ذرينى وصمتى، وانفرادى، وغربتى

فإنى لقيتُ السرَّ فى ظلِّ وحدتى

ولا تسألينى عنه، فهوَ أمانةٌ

ينوء بها فى الأرض قلبُ البريةِ

وخليكِ ظمأى.. فالهوى كلُّ حرقةٍ

وكلُّ عذابٍ وانتظارٍ وحيرةِ

جهلتِ سبيلَ الحبِّ، حين طلبته

إسارًا لأنفاسى، وقيدًا لخطوتى

وما الحبُّ إلا حالةٌ، ولها صبا

وعمرٌ كعمرِ الناسِ رهنُ المنيةِ

وما الخلدُ فيه غيرُ أنَّ سحابةً

تمرُّ على السالى بذكرى جميلةِ

حملناهُ حملَ البيدِ رؤيا غمامةٍ
ويلهثُ فيها كلُّ صخرٍ وصخرةِ
وسرنا كما سارتْ هواجسُ نشوةٍ
باعصابِ سكّيرٍ رأى طيفَ حانةِ
فلا نحنُ ذقنا أيَّ خمرٍ، ولا مشى
لأيامنا ساقي النشاوى بجرعةِ
وكانت لنا كأسٌ، ولكنْ رحيقُها
أنينٌ ودمعٌ واشتعالاتُ زفرةِ
وكانت لنا الأيامُ حانًا مقدسًا
وأنتِ نديمُ الفجرِ ساقي العشيةِ
ظللتِ تديرينَ الأسى في ظلاله
وتسقينني منها بكأسٍ مريرةِ
وما حولنا الاغناءٌ مذوبٌ
ذرفتُ به أحزانَ عمري وشقوتي
ولقنتُه خطوَ الرؤى فأحالني
معارجَ طيرٍ لم يجدْ أيَّ ذروةِ
أهيمُ به أنى يشاءُ، وإنني
أنا عبدُهُ المأسورُ في كلِّ خفقةِ
تحملتُهُ نورًا لفجري، وجمرةً
موهجةَ الأحراقِ تشوي سريرتي

أعـــافُ قـــيـــودَ الرقِّ إلا لنارهِ
ولــو قـيّدتني فـي جـحـيـمِ المذلهْ

فـفـيـهـا مـلاذُ الروحِ، فـيـهـا كـهـانةٌ
وفـيـهـا مـعـادٌ عـاجلٌ لحـقـيـقـتي

وفـيـهـا جنانٌ نضّـرَ الغـيبُ أيكهـا
وأجـرى بهـا الأنهـارَ في كلِّ بقـعـة

تدورُ سـواقـيـهـا، ويغـردُ طيـرهـا
وتنـغـمُ فـي آفــاقـــهـــا كلُّ ذرةٍ

ومـــا مـــرةً زارتْ رُباهـا رياحـــهـــا
ولم ألقَ فـيـهـا سـجدًا لتجـبـة

على كلِّ فـرعٍ من دوالي كـرومـهـا
قـــمـــاريُّ أحــلامٍ طوالُ التلفت

ومنهنَّ إصــغــاءٌ، ومنهنَّ هجــســةٌ
وهنا مـهـبُّ الوحي من كــلِّ وجــهــةٍ!

ومـــا زرتهـــا يـــومـــًا وعـــدتُ بلا جنىً
هو الشـعـرُ مـسكوبًا على نغـمـةٍ

تريني في جلاتِ وهـمـي مـحـررًا
لظاهنَّ أشـهـى منْ رسائلِ الجـمـيلة

فـقـد كنتِ روضًا يانعًا، كلُّ زهرةٍ
لديه أرى في عطرها راسَ حـبـة

واسمع فعُ الشكَّ تحت ظلالهِ

كما يسمعُ اللحنُ الرخيمُ بضجةِ

ففيه افاعٍ للظنونِ غريبةٌ

تطلُّ مع الأضواءِ من كلِّ زهرةِ

وتزحفُ من ايكٍ بجفنيك ساحرِ

رهيبِ الذرى تخشى حماه تمهمتى

رياحينهُ صفرُ العبيرِ سواهم

ترعرَ عن من سُقيا ضلالٍ وريبةِ

تراوغُ أنفاسى بما يفعلُ السرى

بصمادِ غابٍ مستراب القنهمةِ

وفيه اغانٍ لوْ عزفتُ ربابها

لكانتْ رثاءً خالداً للمقهدةِ

وفيه طيورٌ هالعاتٌ، ترقبتْ

منَ الوهم هبّاتِ النبالِ البعهدةِ

فارختْ جناحًا، واستجارتْ بغيره

وحطتْ، فكانتْ منكِ فى كلِّ نظرةٍ..

وفيه غيومٌ واقفاتٌ، كأنها

قوافلُ أحزانٍ بجنبىْ حلتِ

وادغالُ ريبٍ مات همسُ ظلامها

وطنّتْ بها اجراسُ نفسٍ شقيةِ

مشيتُ على أشواكها وصخورها
كأني أمشي فوق أشلاءِ مهجتي

وجئتكِ لا أبغي سوى الفنِّ والهوى
وكانا.. ولكنْ من خريفٍ وظلمةِ

فما روضكِ المذعورُ إلا هياكلٌ
أقيمتْ بها للشكِّ أكبرُ خيمةِ

وخيمٌ فيها وحدهُ، وببابهِ
منَ الزنجِ عملاقٌ شديدُ التهافت

على وجهه من سهرة الموتِ دهشةٌ
وإنْ كانَ حيًا. فهوَ حيٌّ كميْت

وعينٌ ترى ما يبصرُ الوهمُ خلفها
ولو كان شيئًا لم يكنْ في الحقيقةِ

فتلمحُ أشباحًا. وتلقى عوالمًا
كما خيلتْ جاءت بأصدقِ صورةِ

فقدْ تبصرُ النهرَ الجميلَ مزاحفًا
لحياتِ قيظٍ في الصحارى شريدةِ

وقدْ تبصرُ البستانُ أوكارَ غيبةٍ
وأطيارهُ مشاءةٌ بالنميمةِ

وقد تبصر الليلَ البهيمَ ملفعًا
ويخبأُ في برديهِ دنيا فضيحةِ

وقـد تبـصـر الأيامَ وهي سـواكنٌ
مناجلُ حـصّـادٍ قـوىً الشكيـمـةِ
وقـد تبـصـر النعش المولّى ترددًا
ورجـعى إلى دنيـا الحيـاةِ الخفيـةِ
وقـد تبـصـر الحقَّ المنوّرَ باطلاً
تعثّرَ في ابرادِ رايٍ وحكمـةِ
وقـد تبـصـر الموجودَ وهوَ مجسّـدٌ
رؤى عـدمٍ فـانٍ برؤيا ضـريرةِ
وتسـمعُ عن لحنٍ يسيلُ لشجـوهـا
سُمـاعَ ترابِ القبـرِ سيـرَ جنازةِ
وإنِ قبلَ حبٌّ حولهـا جـحـظتْ له
كمـا تجحظُ النفسُ البَراءُ لتهمـةِ
وإن سئلتْ كـانتْ سـؤالاً لغيـرهـا
وإن لم تكنْ في صوتهـا ايُّ نبـأةِ
مـمـنهةٌ حـولاهُ، تنبعُ سـرهـا
وتبكيـه. وهو السـرُّ في كلّ دمـعـةِ
هي الشـرفـةُ الكبـرى يطلُّ ويختـفي
بهـا الشكُّ مذعـورًا لدى كلّ لفتـةِ
فـيـا روح ليلى انتَ هذا الذي ارى
واسـمعُ، هذا مـا جئتَ مثلك لذلي
سـغـبـتك ايامي، وها انتَ دائرٌ
عليهـا باخفـاقٍ ويأسٍ وخيـبـةِ

علام ومنى كلُّ عطرٍ تنيعة

وكل تصابيح وطهر وعصمة:

فجاءت رحيقي بالظنون تشبُّها

صميراً على ذكرى ليالى عبادتى!

جملتك ثوراتى ونيّرَ سريرتى

وانتَ هتكتَ السرَّ عن كلِّ سجدة

بكاهُ على ليلى مصى، وعلى الهوى

وقد فرَّ منها بين يوم وليلة

مضى جازرٌ للشك ينبحُ قلبها

وضلتْ فلمْ تعرفْ فداهُ النبيهة

حلفتُ لها بالحبّ، بالفنِّ، بالهوى

بماضى خطانا فى ضفاف الجزيرة

بما حملتنا الريحُ تحتَ ظلالها

منَ السحرِ لم يهدأ بنا أى لحظة!

بما كنتُ أسقيها واشربُ قبلها

من الدمع والشعرِ الجريح المفتَّتِ!

بما أنا فيه منْ شقاءٍ وغربةٍ

وما هى فيه من عذابٍ وحيرة!

بما تنقل الأيامُ عنا منَ الأسى

وشجوِ الليالى والعهودِ العزيزة!

بفجرٍ له منى ابتهالاتُ عابدٍ

وليلٍ له منها اضطرامُ السكينة!

بعينين منها كانتا فى جوانحى

ندامان هبا من سماء بعيدة

تضمان احلامى بما انا خاطفٌ

من النشوة العذراء من كل نظرة

حلفتُ بها إلاَّ لتحقى يقينها

بما انا فيه من صلاة وفتنة

فاصغتْ لسفاح الهوى فى ضميرها

وما كان غيرَ الشكُ فى كلّ لفتة

وراحتْ بكفيها تُحيل غرامها

رمادًا لهُ فى الروح الخلدُ جذوة

ولكنها انثى واعيها كيانها

وصولٌ إلى تلك السفوح المعتمة

فضلتْ سبيلى، حين لانتْ بارضها

وطارتْ.. إلى عود قريب وتوبة

فإنى رغم النار واللهب الذى

سقتنى به.. لم القَ منها نهايتى!!

٢٣ ديسمبر ١٩١٥

○

○ الجزيرة ○

وأومأ النوتي بقلبه إلى إشراقة
الشمس، فهمنا مع الجزيرة نشرب
من هذه الصلاة...

سبقتِ إلى النيل خطوَ الصباحْ
فتيمته بالصبا والفتونْ
وخمرٌ إلهيةٌ في يديكِ
وكأسٌ من الحبِّ ملأى جنونْ
ولثغرك تغريدةٌ ما وعى
ترانيمها غيرُ قلبي الحزينْ
عشقتُ صداها فغنيتها
ولقنتها لصفاءِ السنينْ
وكما كنت أدرى الهوى والحياةْ
ولا السحرَ في أغنياتِ الشفاةْ
ولا كنتُ أعلمُ سرَّ الإلهْ
سوى بعد ما لحت لي فتنةً

وأقبلتِ لى مرةً تبسمينْ!

وعيناكِ علمتانى السجودْ

وكيف أخرُّ مع العابدينْ

لهمْ دينهم فى زحامِ الصلاةْ

ودينى الضياءُ الذى تنشرينْ

عبدتُ بكِ الله... ما فى دمى

ولا فى فمى غيرُ هذا الرنينْ

فيا ولهًا ناعمًا فى الجفونْ

ويا سجدتانِ بدير الجبينْ

ويا قبلتانِ بخدِّ الصباحْ

ويا بسمتانِ بثغرِ الأقاحْ

طفتْ بين جنبىَّ نار الجراحْ

فردى لبلوايَ سحرَ المنى

وبثى حديثَ الهوى يا عيونْ!

وإيقاعُ خطوكِ فوق الضفافِ

صباباتُ نايٍ شجاهُ الحنينْ

سمعتُ لغاهنَّ تحت الظلالِ

أناجيلَ تتلى على الراهبينْ

وأنغامُ رقصٍ بمهدِ المدى

حلمتُ به فى سماءِ الظنونْ

مـحـا شجنَ الطيرِ إنشادهُ

وتيمَ فى عشهنَّ السكونْ

فهللنَ بين خميلٍ وأيكٍ

ورفرفنَ مثلى حنانًا إليك

وكدنَ يقبلنَ طهرًا يديكِ

ويسجدنَ حولكِ فوق الربى

وتخشعُ للحبُّ هامُ الغصونْ!

• • •

وقلتِ: هنا النهرُ! قلتُ: اصمتى

هنا اللهُ يرعى هوانا الأمينْ

هنا قدرٌ فى الضحى نائمٌ

أساريرهُ طلسمتها القرونْ

يسمونهُ «النيلَ»! وهو الذى

ينيلُ ويشفى صدى الظامئينْ

سقى الدهرَ من جامهِ فارتوى

وروّى بخمرته الملهمينْ

فغنى بأسراره الشاعر

وكبر فى شطه الكافر

وخرّ له السحرُ. والساحرُ

ولما تهادتْ عليه الصبا

تصابى فحيا خطا العاشقينْ!

• • •

أتيناهُ والصبحُ طفلٌ غريرٌ
تهدهدهُ سكرةُ الحالمينْ

طهورُ المساربِ ما لوثتْ
خطا شمسه قدمُ الغابرينْ

سوى بائسينَ إلى قوتهمْ
تنادوا.. سلامٌ على البائسينْ!

أفاقوا مع الفجرِ فوق الثرى
حيارى على أرضهمْ متعبينْ

وصيادِ رزقٍ على الشاطئينْ
من اليأسِ قلّبَ نارَ اليدينْ

وفى وجهه من كلالٍ وأينٍ
بقايا من الليلِ يمشى بها

إلى كوخه فى شعابِ الأنينْ!
ونجوىً يماسبةٌ فى العشاشِ

تحجَّبُ إلاَّ عن المغرمينْ
فهمنا لغاها وأسرارها

فهمنا بها فى الضحىَ حائرينْ
وفى ظلنا للهوى رعشةٌ

وقفت على طيفها تسألينْ
وصدركِ يهتزُّ تحت المنا

كـــــانشــــــودةٍ في أكفّ الحنينْ

شــجـــاها التـــغنّي فـــهــــزت لنا

تحــــــــايا من الـلـه طـافتْ بـنـا

ونجـــــــــوىً مـن الـلـه رفّتْ هـنـا

وقـــالتْ: ســــلامُ الهـــوى والعــــفـــافِ

على قُبْــلةٍ في فم الخــــائفـــــينْ...

٥

○ الانتِظار ○

«انتظرت المغيبا وهو غريب
«أهله أورثوه ثقلاً.. ومرّا..»
«.. ومازال يترقبها حتى قال له عائد من
طريقها: .. لقد ضلتْ سبيلها إليك!»

انتظرني هنا مع الليلِ.. إني أنا في صدرك المحطم سرٌّ
هكذا قالت الشقيةُ والليلُ على صدرها أنينٌ وشمرُ
واهتزازٌ كأنه قبلُ العشاقِ لم يحمها حجابٌ وسترُ
ولها نظرةٌ كأنْ بقايا من وداعٍ على الجفونِ تمرُّ
نعسةٌ، وانتماشةٌ.. وهنا الشيء الذي قيلَ عنهُ للناس: سحرًا
وابتهالٌ كأنهُ غربةُ الطير لها في سمائمِ البيدِ مسهرُ
ولها رعشةٌ كما انتفضتْ كأسٌ بكفي فكلها لي سكرُ
ولها حيرةٌ تعلمتُ منها كيف تهويمةُ النبيين تمرو؟
ولها حين أقبلتْ ثمَّ غابتْ ندمُ الوحي! حين يدنو يفرُّ!
انتظرني هنا.. وذابتْ كحلمٍ صدهُ عن خطاهُ للروح فجرُ
وأنا جاثمٌ أقلبُ كفيَّ... كما قلّبَ المقاديرَ دهرًا

انتظرني هنا.. ومر زمانٌ   وأنا في ترقبٍ مستمرُّ..

انتظرتُ الصباحَ. حتى أتاني   وبه كالظلامِ سهدٌ وفكرُ

وانتظرتُ الضحى. فأقبل يرتا   عُ على ساعديه عشبٌ ونهرُ

وانتظرتُ الأصيلَ. حتى دنا   منى وجنباهُ للصباباتِ وكرُ

وانتظرتُ المغيبَ. وهو غريبٌ   أهله أورثوهُ ثكلاً ومروا

خلفوهُ.. فلا النهارُ بماواهُ ولا   الليلُ.. آه ضاع منه المقرُّ

كل يوم جنائز النورِ تمضي   وهو من خلفها وجومٌ وصبرُ

لا حد يدفنُ الحياةَ بكفين   هما ظلمةٌ ترامت، وفجر

تشهقُ الريحُ حوله فهي في   الأفقِ بكاءٌ من عالمَ الغيب مرُّ

وهو نوحُ الرمادِ، فبضُ حواشيهِ   سكونٌ، ومسُّ جنبيه جمرُ

طال مثلى انتظارهُ فكلانا   في جحيمِ الهدوءِ الفاهُ أمرُ

ولولي يا رياحُ! أنتِ خضمٌّ   ما لهُ أينما توجهتِ برُّ!

أنتِ مثلي تلفتٌ وانتظارٌ   فوقَ أوتاره الخفيةِ نبرُ

جمعتني بكِ الليالي كمل يجمعُ   سحرُ الهوى وبلواهُ صدرُ

أنتِ قيثارةٌ وقلبي عزيفٌ   وكلانا رماهُ في التيهِ أسرُ

كبلتكِ الآفاقُ، تجرين فيها   لا مزارٌ ياويلكِ! لا مستقرُّ

لتشكين الإسارَ والجوُّ ساهٍ   ساهمٌ عن أساكِ، والكونُ وقرُ

اعولي يا رياحُ.. فبدلكِ خلدٌ   وبلاياكِ ليس منها مفرُّ!

وأنا في القيودِ مثلكِ حيرانُ   أخيرٌ سلاسلي أم شرُّ؟!

صلبتني على مطافكِ أرزاءٌ   رماني بها غرامٌ وشعرُ

ومتاهاتُ شاعرٍ ضل.. ما　　　يدرى ازهدٌ حيانهُ أمْ كفرٌ؟!

حيروهُ فعلهُ جنبيه لوْ　　　يدرون شىءٌ عذابهُ مستمرٌ..

جاء يفضى به، ولوْ كنتِ تصغين　　　لأدماكِ منه شوكٌ وصخرُ

طوقتْ عمرهُ غيومٌ هىَ الفنُّ　　　الذى قيلَ عنه: خلدٌ، وسحرُ

لمْ يجد صاحبًا على الدربِ　　　فانسابَ وأيامه ضلالٌ وخمرُ

وحدهُ فى الطريقِ.. لا نورَ إلاَّ　　　منْ بقايا ما كانَ أهرقَ فجرُ

وحدهُ! والرفيقُ ناءٍ، ولوْ　　　ساقَ خطا راهب فانتِ الديرُ

ها هنا خيمتْ جراحى ووسوستْ　　　رياحى.. كأنْ حداءٌ وقفرُ

ومددتُ الجناحَ ارتقبُ النورَ　　　واشتاقهُ لعلى أفرُّ

ولعلى.. ومرُّ حولى زمانٌ　　　والدجىَ والرياحُ نوحٌ وقبرُ!

وأنا والظلامُ منتظرٌ مثلى　　　عبدٌ يسليهِ فى الغياهبِ حرُّ

قممةٌ منْ وساوسٍ وارتعاشٍ　　　أنا فيها رغمَ المقاديرِ نسرُ

انتظرنى هنا.. وطال انتظارى　　　وهىَ فى أعينى التفاتٌ وذعرُ

وسؤالٌ لكلْ شىءٍ حوالىْ　　　وإيماءةٌ لكلْ طيفٍ يمرُّ

وانتباهٌ، وغفلةٌ، وربيعٌ　　　وخريفٌ، وشيبُ زهرٍ، وعطرُ

وجناحٌ يهفو، وآخرُ يهتاجُ　　　ومنْ بينَ ما يرفانِ طيرُ

وأنا مسببٌ توهجَ منهُ　　　لخُطاها أيكٌ رطيبٌ، وزهرُ

وهىَ لا اقبلتْ.. ولا عادَ منها　　　لشقائى بعودة الكاسِ خمرُ!!

○ الخريف ○

«حين تسقط ورقةٌ ميتةٌ من غصنٍ
يتلفتُ أملٌ إلى مصيره فى التراب!»

أوشكتُ أقطعُ أوتارى　　　وأطيحُ بنشوةِ مزمارى
وأعيشُ كنسرٍ جبارٍ　　　يشجى بعويلِ الأعصارِ
　　　ويصمتِ القممِ الهدارِ

فإذا ما الليلُ رأى وجدى
أفضيتُ إليه بما عندى　　　والليلُ حبيبُ الأسرارِ
بالأمس نزلتُ ببستانِ　　　غرستهُ أكفُّ الأزمانِ
الزهرُ به يبدو حولى　　　كأنينٍ فوق الأغصانِ
　　　ويتمتمُ، لكنْ بأغانٍ..

.. خلقتْ للطيرِ، وللظلِّ
ولحاملِ قيثارٍ مثلى　　　يستوعبُ سرَّ الأكوانِ

● ● ●

والعطرُ هنا لكَ مسلوبُ　　　تبكيه صدورٌ وقلوب

وعلى كفيه لمن يدري ... شعرٌ بالأدمع مكتوبُ
غناهُ صباحٌ وغروبُ

وشذاهُ . بلا نغم . شعري
فغدا كمتاب في صدري ... ملمحتهُ خطايا وذنوبُ
والطيرُ تماثيلُ طهورِ ... والدوحُ كركبِ مذعورِ
والجدولُ رؤيا تغريدِ ... في حُلْم الناي المهجورِ
والظلُّ صلاةٌ لشعوري

والصمتُ ربابٌ لنشيدي
وأنا كالتائه في بيدِ ... حيرى تتلفتُ للنورِ

• • •

والريحُ كصفاح عاتِ ... لا يسمعُ شكوى الربواتِ
كمْ غصنِ مدلهُ يدهُ ... فغدا مذبوحَ الورقاتِ
شاركتُ الروضَ براحاتي

وضرعتُ لسيفِ جردهُ
فإذا بي وهمٌ بددهُ ... شبحٌ جنيُّ الحركاتِ!
بالأمسِ تخايلَ فتانا ... مخضرُّ النشوةِ هيمانا
نلقى الأحزانَ بأيكتهِ ... ونبثُّ إليهِ بلايانا
ونلوذُ بهِ من دنيانا

فيذيبُ الحزنَ بفرحتهِ
ونهيمُ هنالكَ بربوتهِ ... طيرًا، ونغردُ عبدانا

واليومَ.. عليه اسمالٌ   صفرٌ، تغشاها الآجالُ

ووجومٌ ردد أمتهُ   فحٌّ للجزْ واعوالٌ

قد طارتْ عنهُ الآمالُ

وتخطفَ منهُ بشاشتهُ

ورماهُ وقتُ حشاشتهُ   صيادُ الزمنِ الختّالُ

لا لحنَ لديه، ولا نجوى   لا سحرَ لديهِ ولا سلوى

قد همدتْ فيه مزامرهُ   لا تعزفُ حبا او شكوى

لا تعرفُ شجوًا او شدوًا!

وجفاهُ وأمعنَ طائرهُ

واتاهُ يعزى زائرهُ   فطواهُ عذابٌ لا يطوى

• • •

ما بالكَ يا روضُ حزينا   عريانَ الربوةِ مسكينا؟!

هجرتكَ اغانٍ وظلالُ   يهواكَ ظللنَ يغنينا

ويطفنَ لديكَ مصلينا

حيرني للغيبِ سؤالُ

ومللتُ، ولم يبدُ خيالُ   عنْ سرِّ عذابكَ يُلهينا

وهناكَ رايتُ الأوراقا   فرايتُ لقاءً وفراقا

وسمعتُ انينَ مكفنةٍ   للقبرِ تلمُّ آفاقا

تركتْ في الأغصنِ اشواقا

وهوتْ في التربِ كمعصيةٍ

هربتَ من نفسٍ مثخنةٍ بجراحٍ، تطلبُ ترياقا

• • •

ورأيتُ خميلاً كذّابا يهتزُّ، فيرقصُ أحطابا

كم حامتْ فيه فراشاتُ صبغنَ ذراهُ أكوابا

وعصرنَ شذاهُ أعنابا

واليومَ تحومُ آهاتُ

وتنوحُ فيه حماماتُ يندبن صباهُ أسرابا

أربيعٌ أنتَ سماويٌّ؟ بغصونكَ زهرٌ مخفيٌّ

وبأرضكَ نهرٌ دفّاقُ وبأيككَ عطرٌ منسيٌّ

وبصمتكَ نايٌ قدسيٌّ..

.. لوْ ذاق صداهُ العشاقُ

لسقوكَ بدمعي، وأفاقوا فظلالكَ شجوٌ أزليٌّ

• • •

أمْ أنتَ خريفٌ، للدهرِ من ليلك أحلامٌ تسري

فغصونكَ أشباحُ إناسٍ والجوُّ كتابوتٍ مصري

والأرضُ كقناصِ الطيرِ

تغتالُ بصمتٍ وسواسٍ

والريحُ تدقُّ كأجراسٍ يصفقنَ ضلالاتِ العمرِ

وبأرضكَ حطابٌ فانٍ يهوى تشذيبَ الأغصانِ

جوعانٌ وتعشقُ راحته أن تشبعَ جوعَ النيرانِ

غشَّاهُ ضبابُ النسيانِ

فمضى وكأنَّ حشاشتَه
وصراخَ الفأسِ، وآهتَهُ

تبرٌ لعذابِ الأنسانِ

• • •

أطلقتُ هنالك تسابيحي
وسجدتُ بروحي، كمسيح

أخذتهُ غيوبُ نبوتهِ
فأهاجَ بها كلُّ ضريح

سطعتْ بالنورِ مصابيحي

فإذا بالسرِّ ويقظتهِ
والقلبِ وطولِ تلفتهِ

خلجاتٌ في قصبِ الريح!

○ مقابر السحر ○

«ولما طال به الصبر.. امنتْ دموعه
وكلّ جفنهُ»

مالى أُحسُّ كانُّ عمرىَ فى يدِ الأحزان يُطوى؟!
نفسى تناهبها الشقاءُ ولم تجدْ فى الجسمِ مأوى
قلبى اذلتهُ الجراحُ فما يطيقُ بهنَّ شكوىَ
حبى استحالَ روايةُ للدمعِ يعصرها فتُروى
وصبا غرامى صار ابعدَ من مشيبِ الغيبِ شأوا
اغدو وامسى... والأسى نار أُذابُ بها وأكوى!
رباه! ما أنا؟... هل وجدتُ على زمانِ الناسِ سهوا!
سويتنى روحًا تمردَ . لايطيقُ الأرضَ مثوى
وأنا التراب! فكيف صرتُ هوىً، وتعذيبًا وشجوا!
شرفاتُ غيبكَ لاتتحنَ لغيرِ من يبكى دنوا
وانا إليكَ ذرفت أيامى فزاد دمى عتوا
ورايت سحركَ فى الوجود اضلَّ احساسى واغوى!

النهرُ جـبـارٌ عـصـاك فـلاحُ مـحـمـومًا تلوى

والمطر زنديق ينيعُ عـذابهُ... ويقـولُ: سلوى!

والطيـرُ مـجـروحُ الغناءِ ويَلبسُ الآهاتِ صـفـوا

والريحُ جنٌّ المَّ وخـزنهُ زلتـهُ فـدوًى..

.. وطوى الفضاءُ مزمجرًا متهالكًا يستلُّ عفوا!

والشمسُ مسلولٌ تلفّعَ بالغيومِ ودسّ بلوى..

.. فَلقِبتْ على شفقِ المغيبِ كأنها في النارِ تُشوى!

والليلُ أقبل يملأ الغيمانَ أسرارًا ونجوى

والصمتُ يهرفُ كالعجوز تلقنُّ الأطفال لغوا!

وأنا الغريبُ شربتُ أحزاني فقيل: شربتَ لهوا!

وبكيتُ حتى خلتُ أجفاني معذبتي ونشوى

ملأا رجائي في الحياة إذا انتهى ماكنت أهوى

ووقفتُ أحفرُ للجراح طريقها. فنعود شدوا!

○ ليلٌ وَريحٌ وحُب ○

أنينُ الليل يشجيني!
ونوحُ الريح يبكيني!
هنالك صدى يناديني...
وروحٌ رفّ يدعوني.. أأنتِ هنا؟ أجيبيني!

• • •

جمالكِ ذلك الفاتك
ربيعٌ هلْ من ذاتك
خذيني بين راحاتك
وطيري في سماواتك واقتنيني. واحبيني

• • •

وسحرك يسرقُ الآجالْ
ولوْ يسكنْ طيفَ خيالْ
شربتُ بكأسه القتالْ
شقاءَ العمرِ والأهوالْ وأوهامَ المجانينْ

• • •

عبدتك فتنة كبرى

عشقتك كرمة سكرى

رأيتك هالة حيرى

سمعتك نغمة حرى	تهيج دمى وتكوينى

• • •

سمعت دمى بكفيك

تضرع والهاً يبكى

وجاء لنور عينيك

يذيب مرارة الشك	أذيبيها ... أذيبينى

• • •

أنا الأشواق فى جسدك

أنا النيران فى كبدك

أنا الماضى حريق يدك

أنا الآتى رحيق غدك	وجودك سر تكوينى

• • •

دعى أيامنا تجرى

بما تهوى من الأمر

فإن الطير لا يدرى

خطا الصياد للوكر..	فهاتى الحب واسقينى

• • •

ظللتُ أطوفُ بالألحانْ
على أرضٍ من النسيانْ
أغنيها .. ولا آذانْ
ولا عشٌ، ولا أغصانْ ولا طيرٌ يسليني!

• • •

ولا بخميلةٍ خضراءْ
تراعشُ فوقها الأضواءْ
كأنَّ سُقيتُ من الصهباء
ومنْ غزلٍ وسحرِ غناءْ والهامٍ، وتلقينِ

• • •

وفيها أنت يا ليلايْ
سلوٌ بائعٌ لبُكايْ
وفجرٌ رائعٌ لدجايْ
وخلدٌ سامعٌ لغنايْ يعللني، ويوحيني

عشقتكِ والهوى غلابْ
نشيداً في دمي ينسابْ
فصوتك كانَ همس ربابْ
وكانَ حفيفُ خمرٍ ذابْ على كبدي ليشجيني

• • •

دعـــيني طيـــرَ جناتكْ
أســـبِّحُ في خمـــيلاتكْ
وأســـبحُ في صـــباباتكْ
هوىً يجـــري بآهاتكْ		ويغني في الرياحـــين..

• • •

على شـفـتيكِ أنهـارُ
مـحـرمـةٌ، وأثمـارُ
وفي عـينيكِ أسـرارُ
وإبريـــقٌ، وخمّـــارُ		فـمـــالكَ لا ترويني؟!

• • •

لمنْ إلاّ لقلـــبـــي نـــارُكْ
يوســوسُ مـوجُ أنهـاركْ
أنـا الظـامـي لأنـواركْ
أنـا البـــاكي لأزهـاركْ		فليتَ شـــذاكِ يطويني!

• • •

خطرت على ضـفـاف النيلْ
كـــرؤيا تطلبُ التـــأويلْ
خطاك بمســـمـــعي ترتيلْ
وصـــوتكِ في دمي تنزيلْ		بلا شـــرعٍ، ولا دينِ

• • •

وكان الأفقُ كالمحرابْ
وركبُ الريحِ كالأوابْ
يطوفُ مدندنَ الأسرابْ
كصوفيٍّ يدقُّ البابْ — علىَ سرِّ النبيينِ

• • •

وكانتْ غنوةُ الملاحْ
صلاةَ جمةَ الأتراحْ
كأنَّ لها صدىً وجناحْ
ترفُّ به على الأرواحْ — وتهتفُ للمساكينِ

• • •

وكانَ الموقدُ الحيرانْ
يؤجُّ لبؤسهُ النيرانْ
ولاذَ شراعهُ النعسانْ
بساريةٍ من الأكفانْ — تلفَّعَ كالشياطينِ

• • •

وكنتِ كزنبقِ الأسحارْ
شذاهُ يحيرُ الأسرارْ
إذا ناشدتكِ الأشعارْ
ضللْتُ، وضلتِ الأوتارْ — بأيْ صدىً تناجيني؟!

• • •

وكنتِ كـآيةٍ عُلبـا

شُغلتُ بهـا عنِ الدنيـا

تطلُّ بنورها وحـبـا

وتنشـرُ سـحـرها رؤيا عن الأهوالِ تلهـ ـبنى

• • •

وكنتِ صـلاةَ أحـزانى

وكنتِ مـتابَ عـصـيانى

وكنتِ ربيعَ أكـوانى

إذا مـا الـدهرُ عـادانى يعـاندهُ ويصـقـبنى

• • •

وكنتِ الشجوَ والأحـلامْ

وكنتِ الدمعَ والأسـقـامْ

وكنتِ مـتـاهةَ الأوهامْ

وكنـتِ مَضلّـةَ الأيـامْ تحـيـرنى ولهـبنى

• • •

وكنتِ الخـمـرَ والأقـداحْ

وكنتِ الليلَ والإصـبـاحْ

وكنت الصمتَ والإفـصـاحْ

وكنـتِ على يدىْ جـراحْ اقلّبـهـا فـتُعـبنى

• • •

وكنتِ الموجَ والشطآنْ
وكنتِ الجرحَ والسلوانْ
وكنتِ الناىَ والألحانْ
إذا همدتْ منى العيدانْ ولحتِ لها فغنينى

• • •

وكنت شجونَ أيامى
وكنتِ جنونَ أحلامى
وكنتِ غديرَ إلهامى
وكنت هديرَ أنغامى الودُّ به فهلهلنى

• • •

وكنتِ غياهبَ الآفاقْ
وكنتِ توهجَ الأعماقْ
وكنتِ تمردَ الأشواقْ
وكنت تحير الأحداقْ أدورُ بها فتنفونى

• • •

وكنتِ ضحى وإشراقا
وكنت هوىً وأشواقا
وكنتِ سنًا وإبراقا
وكنت منىً وآفاقا لوادى الغيبِ ترمينى

• • •

وكنتِ.. وكنتُ.. طفلينِ

نرفرفُ في خميلينِ

نعيشُ بقلبِ طفلينِ

على الدنيا غريبين كأطيارِ البساتينِ

ودارتْ بالهوى الأيامْ...

فأين الحبُّ والأحلامْ؟

وأينَ الكوبُ والأنغامْ؟

ألا يا ربةَ الإلهامْ إلى الماضي أعيديني

○ النيـــل ○

مســـافــرٌ زادُهُ الخيـــالُ ... والســـحــرُ، والعطرُ، والظلالُ
ظمـــآنُ والكأسُ في يديه ... والحبُّ، والفنُّ، والجـــمـــالُ
شـــابتْ على أرضـــهِ الليـــالي ... وضـــيَّـعتْ عـمـرَها الجبـــالُ

ولـمْ يـزلْ يـطـلـبُ الـديـارا
ويسـألُ الليلَ والنهـــارا

والنـاسُ منْ حـــوله سكارى ... هامُوا على أفـقـهِ الرحيبِ
آهٍ عـلى ســـــركَ الـرهيبِ ... ومـــوجكَ التـــائه الغـــريبِ

يا نيلُ... يا ســاحـرَ الغيوبِ!

• • •

مـــتـــوَّجٌ أنتَ في الروابي ... بلا عـــروشٍ، ولا قـــبـــابِ
كم راحتِ الشمسُ في ضحـاها ... تـــعـــبُّ مـــن نـــورِكَ المـــذابِ
وأنجـمُ الـلـيـلِ كـم طـواهـا ... هـواكَ في خـيـمـةِ السحـابِ

وكم قـــوىً إليكَ ســـارا
بموكبٍ أيقظَ الصـــحـــارى

رددتْ ركبانه حيارى   وأنتَ فى مهدكَ الرطيب
آه على حلمكَ العجيبِ   والموجُ نعسانُ فى المغيب

يا نيلُ.. يا ساحرَ الغيوبِ!

***

سمعتُ فى شطكَ الجميلِ   ما قالت الريحُ للنخيلِ
يسبحُ الطيرُ أمْ يغنى   ويشرحُ الحبَّ للخميلِ
وأغصنٌ تلكَ أمْ صبايا   شربْنَ من خمرةِ الأصيلِ؟

وزورقٌ بالحنينِ سارا
أمْ هذه فرحةُ العذارى؟

تجرى، وتجرى هواكَ نارا   حملتُ من سحرها نصيبى!
وطُفْتُ حيرانَ باللهيبِ   فلم تدعنى بلا حبيب..

يا نيلُ يا ساحرَ الغيوبِ!

***

يا واهبَ الخلدِ للزمانِ   يا ساقىَ الشعرِ والأغانى
هاتِ اسقنى، واسقنى، ودعنى   أهيمُ كالطيرِ فى الجنانِ
يا ليتنى موجةٌ.. فأحكى   إلى لياليكَ ما شجانى

واغتدى للرياحِ جارا
وأحملُ النورَ للحيارى

فإنْ كوانى الهوى، وطارا   كانتْ رياحُ الدُجى طبيبى..

***

آهٍ على سـرِّكَ الرهيب ومـوجِكَ التـائهِ الغـريبِ

يا نيلُ.. يا سـاحرَ الغـيُوبِ!!



○ حصاد القمر ○

«ـ وفتحت حلاةُ القمر ابوابها للسنابل والامواج والنخيل..
فراح يتسرب سرها من انين المناجل فى يد الفلاح الحزين»

صبانِ فى جفنه الاغفاءُ والسهرُ
نامت سنابلُه واستيقظ القمرُا
نعسانُ بحلمٍ والاضواءُ ساهدةٌ
قلبُ النسيم لها ولهان ينفطرُ
مال السنا جانئيًا يلقى بمعصمه
همسًا من الوحىَ لا يدرى له خبرُ
واطرقتْ نخلةٌ قامتْ بتلّعته
كأنها زاهدٌ فى الله يفتكرُ
إنْ هفتْ نسمٌ بها، خيلتْ ذوائبها
اناملاً مرعشاتٍ هزها الكبرُ

كأنما ظلها في الحقل مضطهدُ

صمتُ السكون إليه جاء يعتذرُ

الروحُ نشوانُا فاخشع إنْ مررتَ به

فضيفةُ الباطشانِ: الليلُ، والقدرُا

كأنْ أغصانهُ أشباحُ قاتلةٍ

غابَ الرفيقان عنها: الركبُ، والسفرُ

مبهورةٌ شخصتْ في الجوِّ ذاهلةُ

كأنها لحبيبٍ غابَ تنتظرُا

أوْ أنها نسيتْ عهدًا، وأنعشها

شجوُ الرياح فهاجتْ قلبها الذكرُ

او انها والأسى المكبوتُ في فمها

بناتُ وعدٍ بها عشاقها غدروا

عجماءُ تنبضُ كالتمثال عاتبةً

وملءُ أوفاضها التهويمُ والخدرُ

يا ساكب النورِ لا يدري منابعهُ

لأنتَ قلبٌ يشعُّ الحبُّ، لا قمرُا

هيمانُ تحملُ وجدَ الليلِ أضلعهُ

والليلُ تقتله الأشجانُ والفكرُ

كأنه زورقٌ في الخلدِ رحلتهُ

نهارهُ منْ ضفافِ الحورِ منحدرُ

يا طائرًا في ربى الأفلاكِ مختفيًا
يمشي على خطوِهِ الإجفالُ والحذرُ

ارخِ اللثامَ، فمهما سرتَ محتجبًا
نمّتْ على نورك الأسدالُ والسُّتُرُ

علامَ ضنك بالأنوار في زمنٍ
إليك يظمأُ فيه الروحُ والبصرُ

الأرضُ مقتولةُ الأسرارِ ساخرةٌ
كأنها شيخةٌ بالناس تتّجرُ

تقبلتْ كلَّ مولودٍ بقهقهةٍ
وقهقهةَ اللحدُ لما جاءَ ينتثر

يا طائفًا لم ينمْ سرٌّ على كبدٍ
إلا وحفكَ من أحلامهِ الزُّرُ

تمشي الهوينا، كما لو كنتَ مقتفيًا
آثارَ من دنسّوا مغناكَ واستتروا

ليلاتكَ البيضُ والأيامُ تحمدها
عرائسٌ عن صباها انحلتِ الأُزُرُ

سمعتُ سحركَ في الأضواءِ أغنيةً
حيرى تلوهُ عنها الريحُ والشجرُ

وعيتها ونقلتُ السرَّ عن فمها
لمنْ أبوحُ به والناسُ قد كفروا؟!

آمنت بالله! كلُّ الكونِ في خلدي

هادٍ إليه الحصى، والذرُّ، والحجرُ

نزتْ عيونك دمعًا ليس يعرفه

إلا غريبٌ بصدري حائرٌ ضجرُ

قلبه كقلبك مجروحٌ... وفي دمه

هالاتُ نورٍ إليها ينصتُ البشرُ

إنَّ العذابَ الذي أضناكَ في كبدي

من ناره جذوةٌ تغلي وتستعرُ

سرى كلانا ونبعُ النورِ في يده

أنتَ الصدى، وأنا الإنشادُ والوترُ

وأشربتنا الليالي السودُ أدمعنا

وأنتَ صالٍ، ونفسي غالها الشررُ!

كأنَّ وجهك في الشطآن حين غدا

إليك يومىءُ من أمواجها نظرُ،

مبشرٌ بنبي... ذاعَ مؤتلقًا

على العوالم من أضوائه الخبرُ!

الله أكبرُ يا ابن الليلِ، يا كبدًا

لم يُضنِ أسرارها التطوافُ والسهرُ!

بكى الحيارى على الدنيا مواجعهم

وصرّعتهم بلايا الدهرِ والغيرُ

وأنتَ حـيـرانُ منذُ المهـد.. لا وطنٌ
ولا رفـيـقٌ، ولا دربٌ، ولا سـفـرُ
لكنَّ طرفكَ نشـوانُ السنا، نهبتْ
منابع السـحـر من بلواهُ تنهـمـرُ!

* * *

قفْ مـرةً فى سـمـاءِ النيلِ، واصغِ إلى
مـحـبرينَ سـروْا فى الحـقل وانتـشـروا
قـومٌ همُ الدمعُ والآهاتُ تحـمـلهـا
اقـفـاصُ عظمٍ لهم من خطوها نثرُا
كـادتْ مناجلهمْ والله مُشـريهـا
بأسَ الحـديد منَ البـأسـاءِ تنصـهـرُ!
مـشـوا بهـا فى مـغـانى النورِ تحسبهمُ
جنائزًا، زمـرٌ أنـتْ لهـا زمـرُ!
جـاسـوا الحـقـولَ مـسـاكـينًا، جلابيهمْ
تـوراةُ بؤسٍ عليـهـا تُقـرأُ العـبـرُ
يجنونَ ايامـهـم ضنكًا ومـسـغـبـةً
ممـا أفـاءَ لهم وأبيهم النضـرُ
سـاءلتُ سنبلهم: مـا سـرُّ شـقـوتهمْ
ومن غـبـارِ يديهم مـزّجكَ العطرُ؟
فـمـالَ واسـتـرجـعتْ عـيـدانهُ نغـمًا
يلغـو منَ الموتِ فى أصـدائه سـمـرُا

وإذْ بهـــا فى تراب الحـــقلِ نائمـــةٌ

تحكى تراتيلَ لم توجـــدْ لهـــا حـــفـــرُ

بكى الحـــصـــيـــدُ على أحـــزان غـــارسـه

متى ســـيُحْصـــدُ هذا الدمعُ يا قـــمـــرُ؟!

○ عرافة الزهر ○

سمعتُ من سنبلةِ القمح انشودةً تبكى على المسفح
لا دمعها دمعى! ولا نوحى مما اذابتْ فيه حزنَ الحقولْ
واترعتهُ منْ شجونِ الأصيلْ

فغاب فى أوتارها وانطوى
خفيفَ أحلامٍ بوادى الهوى

استلّ نارَ الشوقِ منْ جرحى وبعثرَ الآهاتِ فوقَ السهولْ!

• • •

فقلتُ: يا مخضوبةَ الراسِ بذائبٍ من وجنةِ الشمسِ
يا خمرةً مغبولةَ الكاسِ دارتْ على الدنيا بعذب الرحيقْ
وخلفتْ عاصرها فى الطريقْ

علام تبكينَ؟ البائسِ
غارسك المستضعفِ التاعسِ؟

امْ قد نقلتِ الشجوَ عن نفسى وشجوها كالبحرِ طامٍ عميقْ!

• • •

قالتْ ولم تسمعْ صدى شعرى: إنى هنا عرافةُ الزهر

ابحثْ فى الكثبانِ عن سرْ أشفقتْ به الفلاحَ كفُّ الغيوبْ

وها أنا يطوى حياتى المشيبْ

ولم أزلْ أبحثُ عن حكمةٍ!

علام بارى الخلْدِ فى جنةْ

يأتى لها عريانَ فى الفجرِ ويرتدى الأكفانَ عند المغيبْ!

○ العِطرُ الأسِيرُ ○

يا ربيعَ الكونِ ما تنبى إذا قلبى جفاكا؟

الهوى لم يسقنى إلا خريفًا من رُباكا

هانا أوراقُ دوحٍ ذا بلاتٌ فى ثراكا

وأنا آهاتُ طيرٍ مستضامٍ فى ذراكا

وأنا عطرٌ أسيرٌ يسأل الله الفكاكا

أطلقينى أنتِ إنى كدتُ أستافُ الهلاكا!

• • •

أطلقينى واسبحى ما شئتِ فى الدنيا بفلّكى

لا تخافى الغيبَ، إن الغيبَ سرٌّ شئٌ منكِ

فإذا جاءتكِ أيامى هوجاءَ التشكى

أحرقى فى لهب النشوة أيمانى وشكى

وانسخينى قُبلةً تبحثُ فى جبينكِ عنكِ

جذوةٌ أنتِ وقلبى حطبٌ للنارِ يبكى...

• • •

ما لعهلهك وضوء الفجرِ ناحا فى خيالى!

أأنا بحرٌ من الأحزانِ نشوانُ الضلالِ

كلُّ من شارفَ موجى ذابَ كالوهمِ حيالى!

أمْ أنا كالحببِ المشدوهِ فى كاسِ الليالى

زالَ كونى وتلاشى كلُّ شىءٍ فى ظلالى

غيرَ طيفٍ منكَ محزونِ الهوى باكى الجمال!!

○ صَلاة العُشْبُ ○

رمى بنا المقدور — في عالم مهجور
إلا من العشب — وأنتِ... والحب!
والليلُ في الشطآنْ — كراهب نعسانْ
غنتْ عليه الجانْ — تميمةَ النسيانْ
فذابت الأكوانْ — والناسُ، والأزمانْ
في خاطرٍ نشوانْ — لمْ يسرِ في وجدانْ
ولا سقى إنسان — مما سقى قلبي
من خمرةِ العشبِ — وأنتِ... والحبْ!

• • •

جاءتْ بك الأقدارْ — مذعورةَ الأسرارْ!
ليليةَ الأستارْ — خمريةَ الأنوارْ...
شُقّي حجابَ النارْ — لخافقٍ جبارْ
منْ سحركِ القهارْ — أبكى رؤى الأسحارْ
بالسهدِ والأفكارْ — وذاب كالنهبِ
في خاطرِ العشبِ — وأنتِ... والحبْ!

○ البعــث ○

ولو جئتك بكل ما حملته حياتى كلها من الأخطاء والدموع والأحزان..
فكنت ذلك الإيمـان الذى آمنتُ بمرفئـه بعـد أن طالت ضلتى فى بحر من الكفران..!

علـى يـديـك زمـــانــى ... طيــرٌ شــقـىُّ الأغــانــى
بـكــى إلــيـك حـنــانــى ... مــــروعًا مــســتـطارا

الليلُ منه استجــارا
والفـجــرُ ضجَّ وثارًا
والعــمــرُ كــالطيفِ صــارا

بقـيــةً من أمـــانِ ... على قلوبِ الحيــارى!

* * *

اشـتعلتِ نارُ الحنين ... على رمــادِ السنينِ!
على لظاها دعــينى ... أصــارعُ الأقــداراَ

يا منْ لجرحٍ نواري

وعاذ للروح نارا

هاجتْ زماني فصارا

بقيةً من جنونٍ على شفاهِ السُكارى

• • •

ماذا وراءَ الستارِ؟ يا غيهبُ أوقفْ مداري!

ليلي اضلَّ نهاري فلم يعدْ لي نهارا

بل عاذ جُرحًا مثارا

أدمى الليالي ودارا

على كياني.. فصارا

بقيةً من دخانٍ على غروبِ الصحارى

• • •

هاتي لي البعثَ هاتي الموتُ ملَّ رفاني!

فإن أردتِ حياتي فقومي اسكبي الأنوارْ

وارعشي الأوتارا

أحسُّ عطركِ طارا

إلى خريفي... فصارا

بقيةً من شكاةٍ على ربيعِ العذارى

• • •

يا كوكباً هزَّ دهري   يا فجرَ خلدٍ لشعري
خمري لليلِ وسحري   فأيقظي الأسحارا

وناغمي الأطيارا

وألهمي الأشعارا

باركتِ عمري، فصارا

بعهةٌ.. لستُ أدري!   هيا نزيحُ الستارا..

٢٥ إبريل ١٩٦١

○ عندما حيّرها الصمتُ ○

(وهكذا وقفت وحيدةً مستوحشة في الحياة حائرة بين الكفر والإيمان . وجئت إليك . وكأني ما خلقت إلا لألقاك..)

قالتْ: أراكَ كأنما إذ   هجرتْ حياتُكَ من شهابْ
وتدفقتْ بكَ موجة   سوداءُ منْ حلم الضباب
فكأنّ عمركَ في يدِ الأ   قدارِ إعصارٌ مذابْ
وكأنّ روحكَ كوكبٌ   متمرد فوق السحابْ
لا النجمُ يعرفُهُ، ولا   يدري منابعهُ الترابْ...
أفصحْ عن السرّ الدفينْ   يا أيها القلقُ الحزينْ!

• • •

إني أراكَ كعابدٍ   نشوانَ يحضنهُ الإلهْ
سكبتْ لكَ راحاتُ الغيُو   ب رحيقَ خمرٍ في صلاةْ
وكشاعرٍ ذُبحتْ على   قيثارِه الدامي رؤاهْ
نفضتْ لكَ أجنحةُ السكو   ن ظلالَ موتٍ في حياةْ

اشعلتَ في قلبي الهوى	وتركتني في النار! آهٍ..
لو كنتَ تفصحُ أو تبينْ	أهوىً أذابكَ أمْ جنونْ؟!

• • •

قلتُ: اصخبي بهواكِ حوّ	ليّ يا شقيةُ واعصفي بي!
أنا عاشقٌ قذفتْ به	بلواهُ في عدمٍ رهيب
أنا قصةٌ بكماءُ تز	وي سحرها شفةُ الغيوب
أنا جدولٌ تجري به	الأحزانُ في وادٍ غريب
ملّتْ جراحُ الحبِّ	صمتيَ فارتميتُ على اللهيب
رحماكِ بي.. ودعي الحنينْ	يلقى سؤالكِ للسنينْ

وغداً.. ترَيْنَ وتعرفينْ!

○ الليل نشوان ○

تعالىْ نسمعِ الليلْ ... على الشطْ ينادينا

وفى كفيهِ خمرُ الحُـ ... ـبْ نسقيه وتسقينا

فكم دارت بنا الأيا ... مُ لم تسكرْ لياليها

ومن طافت بنا الأحـ ... ـلام لم ترقصْ أغانينا

تعالى.. فالهوى حير ... انُ يبكى فى مغانينا

أضعنا العمر عشاقًا ... وضعنا فى أمانينا

فهيا يا غرامَ الرُ ... وحِ ننسى كلَّ ماضينا

وهيا نسكبُ الأشواقَ ... نارًا فوق وادينا

هنا الدنيا تنادينا ... هنا الحبُ يغنينا

تعالىْ.. فدموعُ اللـ ... ـيلِ ذابتْ فى مآقينا

وخلى الغيبَ يجرى كيـ ... ـفما يهوىَ ويأتينا

إذا أسعدنا الحبُ ... فما فى الكون يشقينا؟

تعالىْ.. قبلما نغدوُ ... وريحُ الموت تطوينا

ولا ســــــحــــرّ

ولا خـــــــمــــرّ

ولا كـــاسّ بايدينا

○ الطريق إلى الله ○

ظمئتُ إلى الله يومًا.. فلمْ — أجد خمرتي غير هذا الجسدْ
على ثغرهِ آيةٌ أطلقتْ — بأسرارها منْ نبيّ الأبدْ
على شعرهِ عالمٌ فوقهُ — وعودُ الهوى مبهماتُ الأمدْ
على نحرهِ هالةٌ حدثتْ — برؤيا ملائكٍ عليها سجدْ
وفي جفنه نبأٌ تائهٌ — لغيرِ الهوى في دمي لم يردْ
وفي هدبه بسمةٌ عذبةٌ — كأني بها ساحرٌ مستبدْ
وفي قده.. جلَّ باري الصبا — صلاةٌ معبدةٌ في جسدْ
سجا نهرهُ.. ليتني زورقٌ — مدى العمرِ في لجةٍ يرتعدْا
وقال: الهوى! قلتُ: هات — فذلني بذاتك حلمٌ شردْ
الهـــــــــــوى — ولم يلهني عنْ لظاها أحدْ
أذبتني بنارٍ تعبدتها — يفرقُ ما بين كأس ويدْ
ظمئتُ لها والدجى ماردٌ — وهذا العذابُ، وهذا الكمدْا
فلمْ تسقني غيرَ هذا السرابْ — صدى آهةٍ في حنايا كبدْ
فمتُّ بأياسي اللاهثاتِ — طريقَ إلهكَ انتهى واتحدْ...

○ اللّحن المقهُور ○

ليتني كنتُ صلاةً ... في كهوفِ الناسكينا
أتلاشى في طريق الله ... شوقًا وحنينا

* * *

ليتني كنت غناءً ... تائهًا بين الصحارى
هزني طيرٌ غريبٌ ... فوق ركبانٍ حيارى

* * *

ليتني كنت شعاعًا ... في ليالي الحائرينا
أسكبُ السلوانَ ... للدمعِ واغتالُ الأنينا

* * *

ليتني كنت سكونًا ... خاشعًا بين الجبالِ
تتلاقى فيَّ آيا ... تُ وجودي بالزوالِ

* * *

ليتني كنت غدًا لا ... تعلمُ الأقدارُ سرهْ
أوْ نشيدًا ضمنْ شادي ... الغيبَ أن يعزفَ نبرهْ

* * *

ليتنى كنتُ على لجِّ البحارِ الخضرِ زورق

كيفما شاءت بيَ الريحُ على الأمواجِ تخفقْ

• • •

ليتنى كنت حفيف الغابِ فى آذانِ بيدِ

يسمعُ البلبلُ صبابا تىِ ويصغى لنشيدى

• • •

ليتنى كنت صفيرَ الـ حبِّ من ناي الرعاةْ

تشربُ الكثبانُ والقطعـ ـانُ خمرًا من لهاتى

• • •

ليتنى كنت عصًا فى كفِّ أعمى لا يراها

هى تهديهِ ولكنْ من إلى النورِ هداها!

• • •

ليتنى كنت غرامًا بين جنبى عاشقينْ

صمما إنشادَ نيرا نى، فظلّا خاشعين

• • •

ليتنى كنتُ رياحًا تهتفُ الآبادُ منها

أنا أهواها ... ولكنْ رغمَ أننى لم أكنها!

○ الزَهْـرَةُ اليتيمَـةُ ○

لئنْ مـات حـولكِ نورُ الضحىٰ ... ورانتْ عليكِ سـتـورُ الظلامْ

فلا تحزني.. فالهوى في دمي ... صـبـاحٌ يزلزلُ هذا القتامْ

وفجرٌ مـدى الدهرِ يبقى لكِ

تشـعـشـعُ أنوارُهُ حـولكِ

وتسـقـي أباريقـهُ ليلكِ

سناً خـمـرةٍ لم يذقـهـا الأنامْ

• • •

وإنْ مـاتَ حـولكِ سـاقي الندىٰ ... وشحتْ لديكِ أفـاعي الهجيرْ

فلا تجزعي.. إنَّ روحي بهـا ... لآهاتِ زَهْرِكِ: نبعٌ غـزيرْ

يفـجـرهُ عـاتيًا سـحـرُكِ

ويسكرُ أمـواجـهُ عطرُكِ

فتجري ويجري بهـا نورُكِ

إلى أن نلاقي الركابَ الأخيرْا

• • •

وإنْ ماتَ حولكِ ساجي الظلال ... وناحتْ بأرضكِ ثكلى الرياحْ
فلا تجزعي... فأنا نسمةٌ ... وظلٌّ عليكِ رطيبُ الجناحْ
وطيرٌ نما عودهُ في يديكِ
فإنْ أومأ الحزنُ يومًا إليكِ
عصفتُ بلحني وغنّي وأبكي
لأفني وأشربَ عنكِ الجراحْ

• • •

وإنْ ماتَ حولكِ زهرُ الربى ... وكنتُ اليتيمةَ فوق الهضابْ
فلا تذرفي دمعةً... إنني ... خُلقتُ لأحملَ عنكِ العذابْ
كلانا غريبٌ بتيهِ الزمانْ
فهيا نجدّدْ زهرَ الجنانْ
ونقطفْ من قبلِ يمضي الأوانْ
ونقطفنا قبضةً من ترابْ

• • •

وإنْ ماتَ حولكِ منْ في الثرى ... وأصبحتِ مفردةً في الجبالْ
فلا تندبي فانيًا... إنني ... أرى فيكِ كونًا يذيبُ الزوالْ
ففيكِ الإلهُ الذي أعبدُ
وفيكِ الخيالُ الذي أنشدُ
وفيكِ الهوى والصبا والغدُ
دعيني أسبّح بهذا الجمالْ!

○

○ نشيد الأغلال ○

«وانشبتْ أظفارها فى زمانه بالحيرة والعذاب
تسقى.. وتقول الرحيل!
«وتنزف الكأسَ.. وتجثو على حطامها، كثاكلة خانها
المزار فعزف لها هذا النشيد.
فعادت خاشعة مسحورة بجراحها وأصدائها، تقول
لنفسها:
«ألا عودى أيتها العاصية!
فما أنت بمستطيعة الفكاك، وما لك من مهرب.»
١٢ إبريل ١٩٤٣

سئمتُ عذابَ الحبِّ! فليمضِ عطرهُ
وسحرُ أغانيه إلى غيرِ رجعةِ!
سقانى بما لم يسقَ منه محيرٌ
على الأرض، يسقى الموتَ فى كلِّ خطوةِ
وقيَّدَ أيامى بنارٍ حملتُها
مقيدةَ الأنفاسِ حولَ سريرتى

والقى شبابى فى هشيم مفزع

بباغتة الإعصار من كلّ وجهة

فيا من أناديها. فيأتى جوابها

أناشيدَ أحزانٍ تفتتُ مهجتى

ويا من أوافيها وقلبى مرفرفٌ

فيرتد مخنوقَ الأسى كالذبيحة

ويا من أغنيها فينسابُ دمعها

كأنّ أغاريدى معينُ البلية

ويا من يحبُّ القلبُ دنياك طلقةً

فغلى بقايا الحب تُبلى بقيتى!

هبينى انطلاقَ الروح... إنَّ صبابةً

منَ الأفقِ الأعلى تنادى حشاشتى

عبدتكِ حتى لم أدعْ لمتيمٍ

على هذه الدنيا خبالاً لنشوة

سلى العشبَ: هل خمرُ الأصيلِ تدفقتْ

لغيرِ خطانا فوقه كلَّ زورة؟

سلى الريحَ: كم مرتْ بنا وهى زامرٌ

يرنحُ بالأنفاس نائى الجزيرة؟

لها زجلٌ دامى الرنينِ كأنما

تذيعُ شكاياتِ الزمانِ الخفية

أدارتْ كؤوسًا أترعتها بحبنا

غرامًا، وطارت للضفاف البعيدة

هبطنا رياحًا يا رياحُ، وسافري

سراعًا بنا نحو المغاني السعيدة

شفقنا على الدنيا فلمْ نرَ فوقها

سوى خطواتٍ حائراتٍ التلفت

ألا ليت هذا العمر كأسًا، وحبنا

رحيقًا، ونحسو الحبَّ حتى الثمالةِ!

هبيني انطلاقَ الروح... إني مصفدٌ

بجرعٍ من وهمِ الهوى وهمَ خمرةٍ

أدورُ بعينيَ تائهٍ فارىَ الصبا

ظلامًا شقيًا في ليالٍ شقيةٍ

وأسكرُ... لا من أيْ خمرًا وإنما

غرامكِ والأشعارُ أذهلن يقظتي!

أراكِ فيهتاجُ الأسى في سريرتي

كما هاجت الذكرى بنفسٍ حزينة

بعينيكِ معنىً لستُ بالغَ سرهِ

ولوْ قادَ نورُ الغيبِ أسرارَ نظرتي

رحيقٌ بكأسٍ؟ أم سكونٌ بواحةٍ؟

ورؤيا بفجرٍ؟ أم صلاةٌ بكعبةٍ؟

وفي وجهك النشوان عطرُ صبابةٍ

يذكّر أحلامي بطهرِ النبوةِ

وصوتك أم ذكرى حنينٍ مرجعٍ

يدندنُ في قلبٍ غريبٍ مشتتِ

أحسُّ به في كل فجٍّ بخاطري

صدى قبلةٍ حيرى إليَّ تهادتِ

رفيقٌ بأيكٍ؟ أم نشيدٌ على فمٍ

إلى اليوم لم يخفقْ صداهُ بنبرةِ؟

صرفتِ حياةَ الموجِ طورًا وديمةً

كحلمٍ حزينٍ، أو تبسمِ طفلةِ

وطورًا هديرُ البحرِ منك ارتعاشةٌ

كأنك بحرٌ من شبابٍ وفتنةِ!

وصدرك لو يدري الهوى وهوَ قاتلي

أمانٌ لروحي من رياحِ المنيةِ

نشيدٌ به لحنانِ من قلبِ مزهرٍ

يدُ الله كانتْ فيه أقدسَ ريشةِ

وطيرانِ في أيكٍ زوى الخلدُ عطرهُ

فحرّمَ لا يسري به طيفُ نسمةِ

وحلمانِ، لكنّ من لهيبٍ ونشوةٍ

غريقانِ في الرؤيا بأعمقِ غفوةِ!

وذاك فجرٌ في ليالِيْ هائمٌ
يُباركُ بالأنوار محرابَ عزلتي

تنزهُ عن قيدِ الزمانِ، فعمرهُ
خلودٌ مضيءٌ في الضحى والعشيةِ

ولفرك يا وحي الأناشيد رحمتي
إذا ظمأُ الإلهامِ أشعلَ غُلتي

غنائي، وخمري، وانتعاشي، وسكرتي
وسحري، وشعري، وابتهالي، وسجدتي

تمنَّعُ حتى كادَ لوْ خطرتْ به
بنانك يرميها بإثمِ الخيانةِ

كأني به نبعٌ منَ النورِ والهوى
تخيَّر للحرمانِ أمنعَ ذروةِ

هبيني شعاعًا في الضحى رفَّ حوله
وصلى ولاقى الله في خيرِ بقعةِ...

سلامًا نجيَّ الروحِ يا طيفَ روحِها
إذا هي أشقاها هوانا فملتِ

تظلُّ تصافيني إذا صدَّ نورُها
وتحنو إذا ازورتْ دلالاً ولاهتِ

أريدُ لأنساها: فألقاكَ في دمي
نبيًّا من الذكرى عتيقَ الرسالةِ

تشعشعُ بالأحلام روحى وفى الكرى

تفجر موسيقا الحنانِ الشجيةِ

سلامًا حبيب الروحِ يا طيفَ روحها

أغث شجنى، وارحمْ شبابى وعلّتى

أعنى على نسيانها، وامضِ طائرًا

يعيشُ على ذكرى الهوى فى الخميلة

تركتُ لتلك الماضى ربيعًا مقدسًا

فأيانَ تطرقْ فيه تسمعْ تميمتى

ففيه جلالٌ مثلما فيكَ خالدٌ

وفيه كما فيها عوالمُ هيبةِ

وفيه رُبىً خضرُ الظلالِ عوارفٌ

بسرّ هوانا فى شذى كلّ زهرةِ

فطفْ مثلما طفنا زمانًا بساحهِ

وذقْ فيه طعمَ السحرِ من كلّ ذرةِ

وناجِ طيورًا لم يزلن بأفقهِ

يرتلن توراةَ الهوى كلُّ ليلةِ

وحوّمْ على غدرانه تلقَ عندها

أماسيًّنا سكرى على كلّ ضفةِ

وعلمنى السلوان إن كنتَ ساليًا

فإنى عنه فى عماءٍ وضلةِ

ظللتُ على نارى أراودُ طيفَهُ

فيطفئُنى ويرمينى بنارٍ جديدةِ

فيا ربةَ الأحلامِ فكّى وثاقَها

ولا تحسبيها غيرَ رؤيا جميلةِ!

تريدين أسرى فى الهوى، وأنا الذى

تحطّمُ أغلالَ الزمانِ سكينتى

ألا أطلقينى للسماءِ، وحلقى

إذا شئتِ فى دنيا خيالى الرهيبةِ

غدوتُ رمادًا أنتِ سرُّ انطفائهِ

وأنتِ به سرٌّ يخلدُ جذوتى...

ألا مَنْ لطيرٍ فى روابيكِ هائمٍ

ويشتاقُ للحرمانِ فى كلِّ لحظةِ!

هبيهِ لصحراءِ الأسى. فلربما

يضىءُ من الأحزانِ نورُ الحقيقةِ!

٥

○ بُكاء الرَّماد ○

وما أنا إلا شعاعٌ غريب | تألقَ بين جفون الضباب
له نفثةٌ من وراء السديم | تثيرُ على الأرضِ حزنَ التراب
له نشوةٌ فى الأمنِ والعذاب | أما أىُّ جمرٍ بهذا العذاب!
توهج حتى بكاهُ الرمادْ | وأغفى فجُنَّ عليه السحاب
يلومون فيه اشتعال الضياءِ | وهل يملكُ النار قلب الشهاب
تطلعَ إشراقُه للسماءِ | فأوشك أن يستشفُّ الحجاب
وخانتهُ إيماءةٌ للثرى | فلم يلقَ إلاَّ الدُّجى والخراب
فظلَّ على ناره والهًا | يدمدمُ كالموج بين العباب
حزين وتضحكُ آهاته | شقىٌّ ويلهيه سحرُ الشباب
يعيش على الوهمِ فى عالمٍ | يجمد للطين وهمَ السراب!
الهى مات بقلبى الرجاءُ | وأبلت حياتى الأمانى الكذاب
وتهتُ فلم أدرِ أنى التفتُّ | إلى أى أفقٍ أسوقُ العتاب!

○

○ التــرابُ الحَائــر ○

(نــار ونفس)

«عندما تصل النفس للأعماق.. يكون
قد لمس جناحها حديد الأقفاص»

ظمـــئت ناري! وللنار كـــمـــا للناس خــمـــرٌ ورحـــيقٌ

ولهـــا حـــانٌ، وخـــمـــارٌ، واقــداحٌ، وإبريقٌ عـــتـــيقٌ

ونداماها أسى العـشـاقِ، والأحـزانُ، والسـرُّ العـمـيقْ..

وبكتْ نفــسى! وللنفسِ دمــوعٌ حــين تبكى وشــهـيقٌ

ولهـا كـالحطبِ المشـبـوبِ أزٌّ فى حـشـاها وحـريقٌ

ولهـا كـالأفقِ الغـضـبـانِ إعـصـارٌ ورعـدٌ وبروقٌ..

• • •

فـــســـالتْ النارُ: من اظمـــا يا نارُ على قلبى لظاكِ؟

كيف أسقيكِ؟ وأى الخمـرِ ترجـو من زمـانى شـفتاكِ!

مـا بكاسى غـيـر نارٍ كـالتى يحـملُ بلواها حشـاكِ

وسـألتُ النفس: من علمَ دمع العين يجرى فى حمـالك؟
كيف أسقيك من السلوان والسلوانُ معنىً من أسالك؟
مـا بكأسى غـيـر دمعٍ انزعـتـهُ من دمى يومًا يداك!

• • •

قالت النارُ: فضحتَ السرَّ فاصمت لا تحدثْ عن لهيبى
إن تكنْ نارك من نارى فـلا تسألْ عن السـر الرهيب
واركبِ الريحَ، وخلِ الجنَّ يُسرِ جّـن لها طيرَ الغـيوبِ
فـإذا شـارفتَ عـذراءَ تناديك على شطِّ الغـروب
فاسقنى من جـدولٍ فى ثغـرها يضـرمُ بالشوقِ المذيب
وانسنى فى جنوةِ الأنفـاسِ لا تزعج لظى خمرى وكوبى..

• • •

وهفـا بالنفس مـا يهفـو بغصنٍ فى يدِ الإعصـارِ يعولْ
ثم قـالت: كيف عن دمعى وملكَ الدمعُ يا حيران تسألْ؟
إن أكنْ فـيك سكنتُ الجـسمَ والجـسمُ ترابٌ يتنقلْ:
فـأنا طيـرٌ بعـرش الله لى عشٌّ، وبسـتـانٌ، وجـدولْ
إنما أبكى لهـذا القـفصِ الداجى الكئـيب المتـململْ
لم يجـد أى عـزاءٍ فى وجودى.. كيف يغدوُ حين أرحلْ؟!

○

○ خمر الزوال ○

«ناداها وهى جامحة.. فسقط منها عمر الطريق..!»

لا تتركينى فى ضلال   بين الحقيقة والخيال

إنى شربت على يديك مع الهوى خمر الزوالْ

• • •

أصبحت.. لا نغم يفجر لى الصلوَ ولا رباب!

قلبى حشاشةُ طائرٍ   فى الصيف أحرقه اليبابْ

عمرى بقية موجةٍ   حيرى تخطفها العبابْ

فى زاخرٍ لم يدرِ صاحبهُ أبحرٌ أم سرابْ!

رحمالكِ.. لم أصبحْ سوى شبحٍ يسيرُ على ترابْ..

لا تتركينى زلةً   فى الأرض تائهة المتابْ

إنى شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ العذاب

• • •

اصبحتْ أشواقا معذبة تضيء من الحنان
وأسىً يدور فلا تقرُّ له على كبد يدانْ
وصدىً تجسّدَ في الأثير فكادَ يُلمسُ بالبنانْ
ورفاتُ أمنية لحبك لم تزلْ تشجي الزمانْ
رُحماك ما يبدي إلا من غرامك دمعتانْ..
لا تتركيني فيهما لهبًا يذوبهُ الجنانْ
إني شربتُ على يديك مع الهوى خمرَ الهوانْ

• • •

اصبحت.. لم اصبحْ! ولم يشرقْ على خلدي صباحْ
انا ظلمةٌ سكرى بأقداحٍ تطوف بها الرياحْ
في قفرةٍ نسيت فلم يخفق لطائرها جناحْ
وبكى بها الصمت الغريب وناح من فمه النواحْ
رحماك! نورك فوقها قدرٌ لغيري لا يتاحْ
لا تتركيني ذاهبًا كغريبِ لحنٍ في صداحْ
إني شربت على يديك مع الهوى خمرَ الجراحْ

• • •

الليل يا ليلاي لم يتركْ على كبدي انينْ
إلاّ وسارَ به غناء في صحاريْ العاشقينْ
وسرى بلوعته شراعًا لا يسيرُ به سفينْ
يجري على موج الحياة علالةً للبائسينْ
ارأيتِ حيرانًا يلوذ به عذابُ الحائرينَ؟!

لا تتركينى يا شقية غنوة الزمن الحزين

إنى شربتُ على يديك مع الهوى خمرَ السنين

* * *

بكت «الجزيرة» حين قلت لها: وداعًا لن أعودْ!

وتأوه العشبُ الحبيبُ وولولتْ فيه العهودْ

والريح روّعها الرحيلُ.. كأنها فزعٌ شرودْ

والموج إعصارٌ تمزّق، أو تباريح النهودْ

أرأيتِ كيف غدا الهوى عدمًا توهمه وجودْ؟

لا تتركينى بعده حسراتِ لحنٍ فوق عودْ

إنى شربتُ على يديكِ مع الهوى خمر الخلودْ

* * *

مرّت ليالينا كما الأوهامُ... عودى يا ليالى!

إنى كتبتكِ فى الزمان سطورَ غيبٍ فى خيالِ

إنى سمعتك فى الحياة أنين ليلٍ فى رمالِ

إنى رأيتكِ أدمعًا سوداءَ جائمةً حيالى

أرأيت كيف طوت صباى فماتَ أحزانُ الجمالِ؟!

لا تتركينى كالرَّدى أردُ الفناءَ ولا أُبالى

إنى شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ الضلالِ

* * *

أذكرت حين جئتُ لديكِ صبابةُ الليل الجميلْ؟

ووضعت رأسك فوق صدرٍ لا يفارقهُ الغليلْ

فشجتك في القفص المحطم نبحة الطير القتيل

وسمعت منه مع الظلام تفجعَ الماضي الطويلْ

ورأيت فيه خُطا غرامك في ضباب المستحيلْ

لا تتركيني عاصفًا في الليل يزهقه العويلْ

إني شربتُ على يديكِ مع الهوى لهب الرحيلْ

• • •

أواهُ إنْ ولّى هواكِ وجاء يصرخ لي هوايْ!

ودعوتُ نوركِ للغرام فردّ جرحٌ من صدايْ!

ومددتُ كفّيْ للسلام فصافحتكِ على حشايْ!

وذهبتُ ملهوفًا إليك فلم أجدْ إلاّ خطايْ

وبقيةْ مما وعى طيرُ الجزيرة من بكايْ!

لا تتركيني عازفًا أردُ الضفافَ بغير نايْ..

إني شربت على يديك مع الهوى بلوى صبايْ!

• • •

ماذا أقولُ إذا الهوى أومَا إليّ ولم يُنادِ؟!

وإذا الرحيقُ دعا فكيف يجيب خمرتهُ فؤادي؟!

وإذا تألقتِ الرؤى ومضت توهّج في وسادي

ورنا لي الماضي بطيف منك مرتمشِ الحدادِ..

فبأي كأس من دمي أسقيه أحزانَ المعادْ؟!

لا تتركيني ضلةً في الأرض ثاكلة الرشاد

إني شربتُ على يديك مع الهوى ندم الرماد

• • •

لا تسأليني بعد يومك كيف أيامي تمر؟!

إني حُداءٌ ساخر بقوافلِ الزمنِ الكبيرْ

لكن ما أصبحُ آهةً ولهى مضيعة المصيرْ

في صدر مصلوبٍ شقي الموتِ مظلومِ الضميرْ

فإذا سمعت صبابةً غنيٌ بها وترِي الأخيرْ

لا تتركيني بعدها أهوي السماء ولا أطيرْ

إني شربتُ على يديكِ مع الهوى جزعَ الهجيرْ

• • •

وإذا تسائلكِ المفاتن... أين شاعرها الحبيبْ؟

قولي لها: بل أين فيكِ خياله الفرد الرطيبْ؟

إنا وهبنا روحه | قبسًا لعالمهِ الرهيبْ
فغدا شعاعًا هائمًا | يهتز في فلكٍ غريبْ
يا فتنة الماضي حنا | نك وارحمي نفسي الكئيبْ
لا تتركيني موجة | تفنى وشاطئها قريبْ

إني شربت على يديكِ مع الهوى وله المغيبْ!!

• • •

من أي نور بعد نورك يستقي زمني سناه؟!
وبأيّ عطر بعد عطرك يحتسي قلبي شذاه؟!
وبأي خمر بعد خمرك خافقي ينسى أساه؟
وبأي سحر بعد سحرك أشتهي مالاً أراه
وبأي وحي بعد وحي هواك يُلهمني الإله؟!
لا تتركيني دمعة تجري بأجفان الحياة
إني شربت على يديك مع الهوى... واحسرتاه!

• • •

لا تتركيني في ضلالْ بين الحقيقة والخيالْ
فلربما أفنى، ولا يفنى معي طيفُ الجمالْ.
ولربما أنسى، ونارُكِ في رمادي لا تزالْ!
إني هلالٌ لا يريدُ البعثَ من فرط الملالْ..
شرب الهوى من راحتيك.. فراح يشربه الزوالْ!!

ن

○ العطرُ الكاذبُ ○

رآها ترش العطر على ضريح ماضيها
فقال لها: صوني زجاجك فالعبير
لا يمحو الخطايا!!

عادتْ.. ولكنْ لأيكٍ — بين الخمائل غِرّ..

قصّتْ عليه صباها — وأشعلتْ نار سرّي!

ولم تقل: كنتُ يومًا — صبابةً فوق ثغرِ

ولم تقل: كنتُ يومًا — تنهدًا فوق صدرِ

ولا روتْ لـزُباه — ما كان بالأمسِ يجري

وكيف كانتْ رحيقًا — تحت الجوانحِ يسري

وجدولاً من غرامٍ — يسقي لياليه نهري

وكيف دسّتْ هواها — وغلّفته بطهرِ

وذاقت الوصلَ منه — سنين دمعٍ وجمرِ

نوحٌ وسُكرٌ وكانا — على مزاميرِ شعري

تبكي وتمضي أساها — بنشوتي، وبسحري

وتعصرُ الشُّهدَ خمرًا تعبها كلُّ فجرِ

وكيف كانت حنينًا وهبته نار عمري

وكيف لاذت بجنبي كأنها بعضُ صدري

وكيف جُنَّتْ غرامًا وولولتْ حول وكري

تخطفتني وطارتْ إلى غيابة ديرِ

شربت فيها صباها حتى تلاشت بثغري

ولم أدعْ فيه شيئًا من الرحيق لغيري..

عادت هشيما رمتهُ هناك قمةُ نسرِ

تزينتْ واستحالتْ كزهرةٍ فوق قبرْ

العطر فيها خطايا ذواتُ أفنانِ غدرِ..

عادت وحطتْ ببابك.. ويلاهُ! لو كان يدري

باعت إليه بقايا يخافها كلُّ حُرِّ!

○ الوهجُ الأخيرُ ○

ونالها الشك...
فصنعت سراً وناراً
وراحت تجوب الآفاق..
علّها تدفن قناعها بغربة الأشباح!...

ولمّا رفعتُ السّترَ عنها وجدتُها
ولا حزنَ.. إلا أنها أدمعُ السرِّ!

* * *

بكاءٌ عميقُ الشجو يدريه من رأى
تناوح من تدعو أليفًا إلى وكرِ!

* * *

فقلتُ لها: من أنتِ؟ قالت: سجينةٌ
بحبكَ تشتاقُ الخلاصَ من الأسرِ!

* * *

فقلتُ: وفيما الدمعُ؟ قالت: شقيةٌ
يعذبها الحرمانُ في نشوة العمرِ!

فقلت: ومن أين الخلاصُ؟ فأومأتْ

بعينٍ تدسُّ الذلَّ في نظرة الكبرِ!

* * *

وقالتْ: صبرنا والهوى غير راحمٍ

وأقسى عذابِ العاشقينَ من الصبرِ!

* * *

فقلت: وماذا يشربُ الليلُ؟ إننا

حملنا له زادَ الأناشيدِ والشعرِ؟

* * *

فقالتْ: رحيقًا من هوانا وسُكرنا

فقلت: لقد طال الحنين إلى السُّكرِ؟

* * *

قالت ذبحنا الليل نجوى وحرقةً

فقلتُ: وكدنا نصطلى موقد الفجرِ!

* * *

فقامت ونعش الليل سجَّاه ثوبها

بليلٍ عليها جازع اللونِ والعطرِ!

* * *

وشقَّتْ حجابًا كان أعتى من الردىَ

وأمنعَ من غيبِ المقاديرِ لو تدرى

* * *

وحطت على صدري فقلت حمامة
خدا الروعُ مسراها إلى قبضة النسر

• • •

معذبة ظمأى. وهذا شرابها
رحيقٌ هوى أشهى لديها من الخمرِ!

• • •

تئنُّ بجفنيها، وتبكى بصدرها
ويا مرُّ دمع الباكيات من الصدرِ!

• • •

وتنبضُ فى أوصالها كلُّ ذرةٍ
بما يكتمُ الموجُا لمفصدُ فى النهرِ!

• • •

وتغمضُ أجفانًا ليالى سهادها
هوالكُ جنٌّ فى طريقٍ إلى قبرِ!

• • •

وتحلمُ بالخلد الذى هى صحوةٌ
وفى دمها دنياهُ ريانة الزهرِ!

• • •

ويزارُ منْ أعصابها كلُّ ساكنٍ
يقيده جوعُ العفافِ إلى السترِ!

• • •

توهجتْ أشــواقًا لديهـــا ، فـــأوغلتْ
وذابت فكانت جــذوةُ الدهرِ فى جـــمـــرى

• • •

وكـــلفتْ غناةُ أســـمـــر اللحنِ ناپلاً
حملتْ به دينَ العـــذابِ من الصـــمـــر!

• • •

ولما رمى فى الســــقـــــامُ تمردتْ
وظلت ضــبــابُ الموتِ خــيمَ فى صـــدرى

• • •

فــراحت على الماضى تحطُّ غــمـــامـــةً
ســيقشعها . مهما تكنْ . عاصفُ الدهرِ!

• • •

وطافت بحب كـــتـــمتْ ســـرَّ نـاره
وحطتْ خــيــاناتِ الزمــان على غــيـرى!

١٧ ديسمبر ١٩١٥

○ نارُ الغروب ○

عندما يسبلُ المغيبْ   جفنه الدامعَ الكئيبْ
المح النورَ فى الكثيب   شاعرًا فى يد الضنى
خانه لحنهُ الأخيرْا

* * *

عندما ينفضُ المساءْ   وحشة الليلِ فى الفضاءْ
ارفعُ الوجه للسماءْ   رب لو كان لى جناحْ
كنتُ عن عالمى اطيرْا

* * *

عندما ينطوى الشراعْ   مخفيًا حرقةَ الوداعْ
ينصب الليلُ فى البقاعْ   خيمة الحبُ داعيًا
كل ذى لوعةٍ يسيرْا

* * *

اسرع الطير فى الإيابْ   وسجتْ صيحةُ العبابْ
ومضى النهرُ فى عتابْ   يسال العشبَ والحصى:
اين يمضى بىَ المسيرْا

* * *

وانا واقفٌ تريقْ … نظرتى حمرةَ الرقيقْ

اينما شئتُ لى طريقْ … واذا رمتُ خطوة

راعنى أننى أسيرْ!

* * *

ها هنا كان لى مزارْ … فيه ليلى والانتظارْ

وجحيمٌ بلا أوارْ … كلما شبَّ فى دمى

قلتُ: يا لذةَ السعيرْ!

* * *

تؤذنُ الشمس بالرحيلْ … وانا عنده أميلْ

فإذا عشُّها الجميلْ … يتلقى صبابتى

كحمامٍ رأى غديرْ!

* * *

ها هنا خفقةٌ وبابْ … ويد ترفعُ الحجابْ

وجبينٌ له عذابْ … لوّحَ العشقُ نارهُ

فهو شكوى بلا مجيرْ!

* * *

اسمرٌ شفةُ العتابْ … وكوى سحره الغيابْ

فهو اشقى من السحابْ … فى غروبٍ على الرياحْ

جائمِ الصدر كالهجيرْ!

* * *

ها هنا.. وارتمى علىّ … صدرها الجازعُ الشقى

جسدٌ كان فى يدىّ … زورقًا جامح الخطا

للأعاصيرِ والهديرْ!

* * *

دان عـــرشُ الهـــوى لنا | وجـــنـــا الأفقُ حـــولنا
ورعـــى الـــلهُ مـــلكـــنـــا | فـــغـــدا النيل صـــولجًا
والدجى تحـــتنا ســـريرْ

• • •

لـــم تـــزلْ نـــارُنـــا هـــنـــاكْ | تســـأل الليل: مـــا دهاكْ؟
أين صـــندران فى حـــمـــاكْ | كلمـــا خـــانتنى اللظى
أوقَدانى بلا ســـمـــيـــرْ؟!

• • •

لم يزل عـــشـــهـــا الحـــزينْ | يمـــــزجُ الذلُ بالحـــنـــينْ
فى يدِ الشكِ واليـــقـــينْ | حـــائرًا، يشـــبـــه الأسى
فـــيـــه إطراقـــة الضـــريرْ!

• • •

يســـألُ الصـــبحَ والمغـــيبْ | وينادى، ولا مـــجـــيـــبْ
كـــيف عن مـــوعـــدى تغـــيبْ | وتولّـــى حـــمـــامـــتى
وزمـــانُ الهـــوى نضـــيـــرْ؟!

• • •

آه لـــو كــــــان لى جنـــاحْ! | ويلامـــــرى خطا الريـــاحْ!
آهٍ.. لـــكـــنـــنـــى جـــــــراحْ | ضـــيّـــع الحـــزنُ ســـرُّهـــا
فـــغـــدت تجـــهـــلُ المصـــيـــرْ!

• • •

عندمـــا يشـــبـــهُ الغـــروبْ | مـــذنبًا كـــاد أنْ يتـــوبْ
اجـــــمـــلـــيـــنى به ذنوبْ | واذكـــــرينى كـــتـــوبةٍ..
عليهـــا توقـــظُ الضـــمـــيـــرْ!!

٥

○ المعبَد المرجُومُ ○

«... وكيف أكفر بك إلا إذا كفرت بكل ما هو جميل
تقى فى ماضى وحاضرى ومستقبلى!!»

بنى لى الحبُ ديرًا.. كنتُ إن هتـــفتْ
حـــولى المآذنُ للرحـــمن أقـــصـــدهُ

* * *

فـــضتْ مـــجـــامـــرها فـــيـــه مـــزنرةً
بالليل، طوقـــهـــا بالحـــزن ســـاعـــدهُ

* * *

ألقى الحِدادُ عليـــهـــا من شـــمـــائرهِ
غـــلالةً، وســـقـــاها الســـحـــز أسـودهُ

* * *

ســـمـــراء يعـــرفـــهـــا ضـــوء المغـــيب، فكم
تـــأوهتْ، فـــتـــعتْها لـلـهـــوى يدهُ!

* * *

فرفرفت، وتلاشت فى تنهدها
قلقها فى سعير الحب موقده

• • •

كانت وكنت جناحي طائر، ذهبت
ريح الليالي عن الأوكار تبعده

• • •

أضله من يضل الحظ، فارتبكت
غصونه، وعوى فى الدوح مرقده!

• • •

تشكو إلىّ، وأشكو نارها لدجى
أصم، يشكو عذاب الأسر معبده

• • •

وافا عليها، نعب السحر من قدح
ساقيه ما برحت نواحة يده!

• • •

تنهدت، ولظى خطو، وعاصبة
كآبة الجسم تغريه وتبعده!

• • •

تصد مناعة.. ترتد راغبة،
تناقضت.. وهى تدرى ما ستقصده!

• • •

شقية تمشق النيران أغصانها
وتشتهي.. وبها شيء تعانده

• • •

ظلت تجاذبني، أهفو فيبعدها
سحر، إذا عدت تدنيها سواعده!

• • •

قديسة! وبها أنثى معذبة
ما ذنبها والهوى قد حان موعده!

• • •

طير الغريزة نواح على دمها
وكل جارحة لحن يردده

• • •

وحين سمعت لظى الأعماق نشوتها
وكاد يفلت منها ما تراوده،

• • •

تأهبت وغدت في الذعر لفتتها
طيرا أذل جناح الأفق صائده!

• • •

أخنى هواها على المصباح فانتحرت
نمامة لا تداري ما تشاهده!

• • •

وغالها الشك في أستارها، فمضت
بكل ما اوصدتْ من قبل توصدهُ!

• • •

مسكينة ظنت الأسرار في جدث
من الجماد، سكونُ الليلِ لا حدهُ!

• • •

فأحرقت كلُّ ما في نار كرمتها
ومات ما يرتجى من كأسها غدُ

• • •

ستٌ من العمر لا تبلى دقائقها
فجمرها في خيالي طابَ مرقدهُ!

• • •

مهما توارتْ بها الآفاقُ. فمي على
صدرى جبينٌ غفا مازلت اسندهُ!

• • •

وسكرةٌ من لياليها مصفدةً
على دمى، هولها مازلت اعبدهُ!

• • •

دار الزمانُ، ولاحَ الدُّيرُ مرتميًا
على أساهُ كأعمى غاب قائدهُ!

• • •

مـنـضـن الصـمت مـقـهـورًا علي كـمـدٍ
يكاد يكفـر بالنسيـان عـائده

* * *

اغـضت هوانًا لطولِ الهـجـرِ شُرفتـه
واجـهـضت حين ظنتني اعـاوده!

* * *

واوشكتْ تتلقـانى بفـرحـتـهـا
لـولا الـذى من أسـى المـاضـى تكـابـدهُ!

* * *

ويلى عليـه تـقـبُ الحـزنُ عـزلتـهُ
وكـان للسـحـرِ والتـغـريد معـبدهُ

* * *

بالله يُغـمـغـمُ حـتى كـدتُ أحـسـبـهُ
يوحى كـمـا كـان... لكن جف مـورده!

* * *

فـرت ولم تصُن الذكـرى لـسـاحـتـه
مـصلوبةُ الصـرْ عـافـتـهـا مـراقـده!

* * *

مـهـجـورةً هجـرته فـانطوى دنفًا
وللجـمـادِ بكاءٌ حـين تجـحـده!

* * *

ما زال في أرضه من نار مجدتها

شواظ عطر تكاد العين تشهده!

• • •

وكل زاوية طعم لها ألمٌ

وقصة ذات تاريخ تردده!

○

○ الـرُّداءُ الأبيـض ○

«إلى ساعة الفراق الأخير»

رأيتـهـا فى دهشـةِ الأصـيلِ — تلوبُ تحت كـفنٍ جـمـيلِ
مـأخـوذةَ الخطوِ بلا سبيلِ — كـأنما تهـيـأتْ للحـدِ

* * *

مبهـورةً تشـخص كـالرياءِ — لغـيـر آفـاقٍ ولا سـمـاءِ
إلا الذى فى حيـرة الأحشـاءِ — من لهبٍ مكبلٍ فى القـيـدِ

* * *

تريد لو تخفى بقـايا الكأسِ — فـتـجـتلى راهبـةً فى عُـرسِ
لكن ومن يطيقُ كـبحَ النفسِ — حيالَ ماضٍ صوته كالرعدِ!

* * *

توشَّحتْ فى غـفلةِ الحـيـاءِ — بأبيض يغنى على الضـيـاءِ
يا فـتـنة تمشى بلا رداءِ — لوحـهـا طولُ اشـتـعالِ الكيدِ!

* * *

ظننتُ وقد شممتُ هوى معارا   أن الباطنَ يدفنُ الأسرار!
فرصَّعتُ من قبره إزارا   وأقبلتُ مهتوكةَ التحدى

• • •

كم من قبور فى الرمال بيضِ   تململتْ من صخبِ الوميضِ
تمد كفَّ اللاهثِ المريضِ   لمضجعةٍ مرجومةٍ تستجدى!

• • •

ملطومة الشفاه والأظافرِ   باحمرٍ عن زيفه مُهاتر
يسقى بماءٍ شبَّ فى السرائرِ   وأثمرتْ نيرانه فى الخدّ

• • •

ضللتِ فى إحياءِ هذا الثمرِ   فقد قطفناه لضوء القمرِ
وللدُّجى الغافى ونبضِ الوتر   وللصباح المبتلى بالوقدِ

• • •

فمزقى الأصباغَ والألوانا   فإنها لا تُخفتُ النيرانا
الصمت إلا جعلتها أذانا   لعابدٍ فى هيكل منهدّ!

• • •

مهما ضربتِ حولكِ القبابا   وبدلتْ أهوالك الأثوابا
فالحب نارٌ تهتك الحجابا   ولا تبالى باغترابِ المهدِ

• • •

عشقت فيكِ الحزنَ والسوادا   وسمرةَ الخدين والحدادا
وجدولاً تحت الدجى تنادى: يا ساقى الحب أغثْ لى وجدى!

• • •

عشقت من اجلك ذلّ القمرِ ... على سحاب اسهوىٰ ضجرِ
مسمّرِ الخطوِ. يتيم السفرِ ... فانته ريحُ الليل دون وعدِ!

• • •

عشقتُ حتى ظلمةَ الليالى ... فانتِ فيها جِنّتُ الخيالِ
كم لحتِ فيها زفرةً حيالى ... تشكو أساها بارتماشِ النهدِ!

• • •

عشقت شيئًا انتِ لم تدريهِ ... ولا انا.. لكن هلكنا فيهِ
لحنٌ، وإنصاتٌ، ودنيا تيهِ ... على صحارىٰ طرفكِ المرتدْ

• • •

عشقتُ دولاباً حزينَ الصوتِ ... يدور بالغناء حيث كنتِ
يحيى ربيعًا فى زمانِ صمتى ... كنا اقتلناه بطول الصدْ

• • •

عشقتُ حتى شفّنى وطارا ... سوادكِ المقدسَ القدارا
نبحته فى ساعةٍ توارىٰ ... ومات فيها كلُّ ماضى العهدِ

• • •

وجدتنى فى ابيضٍ مموجِ ... كُرمشةٍ بين عراكِ اللُّججِ
طفاهلكِ الموتُ لشطٍ بهجِ ... بيضتِ اكفانكِ فيه بعدى!

○

○ من خريفِ الربيع ○

مساكين!..
حملوا همومهم وراحوا يلمسون
سحر الطبيعة بأيديهم وأبصارهم

ذهبتُ للروضِ فى صباحٍ   مقيدِ اللحنِ والجناحِ
وفيه ما فىَّ من أغانٍ   مَطلولة الشدو بالجراح
أوتارُ أطياره سكارى   يعزفنَ وجدَ الخميلِ نارا
سمرها خمرةُ الحيارى!
حنَّتْ إليه الرؤى خُطاها   وخلفها انسابتِ الدموعُ!

• • •

صيانِ فى قبضة الرياحِ   شوك الجلاميدِ والأقاحى
فكم رحيقٍ بلا دنانٍ!   وكم دنانٍ بغير راحٍ!
وكم ربيع لنا توارى   تود لو كانت العذارى

لسحرهِ الغائبِ انتظارا

ماتت لياليه فى صباها فهل لأحلامها رجوعُ؟!

* * *

وكم خريفٍ بلا زهورِ ولا أغانٍ، ولا طيورِ
يلوح مستيقظ الشعورِ

كأن فجرًا عليه سارًا مُتيَّم النور مستطارًا
فى نشوةٍ حلّت العذارا

ونغمةٍ رقرقتْ شجاها وما لها فى الرُّبى سميعُ!

* * *

رأيت عشًا على خميلِ كمهجةٍ جمّةِ الغليلِ
ريان بالنوح والعويل

هديلهُ فى الصباحِ طارا فضجّ للدوح واستجارا
ناحت بأشواقه جهارًا

حمامةٌ مزّقتْ حشاها وخان أحلامها الربيعُ!

* * *

وإنَّ تحت الظلالِ جدولْ يجرى، ولكنه مكبلْ
كخاطرٍ فى دمى تنقلْ

إن قلتُ: أقبلْ! أرى نفارًا أو قلت: ابعدْ! دنا مزاراً
كطائرٍ فى الشباك ثارا

وأنةً فى الحشا طواها سجنٌ أحابيلهُ الضلوعُ!

* * *

حـــــزينـة انتِ يا ظـلالُ؟ ام فـيـكِ نفسٌ بهـا مـلالُ؟

أذابني الحـبّ والجــمــالُ

وانت مــثلي كـتــمتِ نارًا وتنفــضــينَ الأسىَ عِطارًا

لبستِ مــن حــيــرتي دثـاراً

ولحتِ ثكلى تريدُ فــاهـا يبكي به قلبـهــا الصـديعُ!

* * *

وانت يـأيهــا الحـــزينُ! يا شـاعــرًا شـفـهُ الحنينُ

القي مــزامــيــركَ الأنينُ

في ظلمــةٍ لم تجدْ نهــاراً فــدف إنشـــادهـا ودارا

كَغُربــةٍ ضــلّتِ الــدّيــارا

فطنّبتَ في الرُّبى أســاهـا والرّوضُ من حـولهـا خليعُ!

○

○ نبىٌ جائع ○

الفلاح

• نبىٌّ فى الضحى سارِ يولول فى الربى وحدهْ
ويحكى للترابِ حكايةً أسرارُها عندهْ..

• سألت عليه من ناحوا على خطواته الحيرى
فقالوا: من قديم الدهر لا ندرى له أمرا..

• شقىٌّ، جائعٌ عارٍ، ذليلُ الوجهِ، مصفرُّ
ويضربُ كفَّهُ فى الأرض من ألمٍ، فتخضرُّ

• وبين يديه بلهاء الحديدِ، جثا لها له القدرُ
إذا لمستْ حجابَ التربِ اينعَ تحتها الحجرُ

• أفق يا خالقَ الفردوس.. تلك جنايةُ الفاسِ
أعبدٌ أم نبى أنت منبوذٌ من الناسِ؟

• ألا دعْ محركَ الجوعانَ.. واضرب أينما ساروا

ولا يخـــدعك دمعُ القـــومِ، إن الدمع خـــدّاعْ!

• زمـان الرق مـاتَ، وأنت حشـرجـةٌ على أجلهْ

ودينُ الذلّ إلحـــادٌ ســـئـــمنا الوحى من رسلهْ

○

○ نهر النّسيان ○

اسقيانى من خمرة النسيان وانسيانى فقد نسيت زمانى!

ونسيت الشّباب والسحرَ والأحلام والفنّ والرؤى والأغانى

ونسيت المنى وكانت شعاعًا باهتَ الظلِّ حائرًا فى جنانى

ونسيتُ الأسى وكانَ رياحًا أزجتِ الجنُّ خطوها فى كيانى

ونسيتُ الأيامَ حتى تلاشتْ كهشيمٍ على تراب الزمانِ

ونسيتُ الأنغام رعاشةَ الشدوِ حيارى حزينةَ العيدانِ

ونسيتُ الدموعَ وهىَ أغانٍ أخرستها زوابعُ الأحزان

غرداتُ السكونِ مخنوقةُ اللحنِ تشاجتْ بسحرها أجفانى

ونسيتُ الجمالَ حتى كأنى لم أضمخْ بنورهِ الحانى

ونسيتُ العبيرَ والزهرُ يذكيه بفجرِ الطبيعةِ النعسانِ

ونسيتُ الندى وقد كان خمرًا لبنى الطيرِ لم ترقْ فى دنانِ

ونسيتُ الأنسام تنقلُ فى المرجِ صلاةَ الطيورِ للغدرانِ

ونسيتُ النجومَ وهىَ على الأفق نشيدٌ مبعثرُ الأوزانِ

ونسيتُ الربيعَ وهوَ نديمُ الشعرِ والطيرِ والهوى والأماني

ونسيت الخريفَ وهوَ صباً ماتَ . فجتْهُ شيبةُ الأغصانِ

ونسيتُ الظلام وهو أسى الأرض . وتابوت شجوها الحيران

ونسيتُ الأكواخ وهى قلوبٌ داميات تلفعتْ بالدخانِ

ونسيت القصور وهى قبورٌ ضاحكاتٌ البلى من البهتانِ

ونسيتُ النعيم والبؤسَ ماذا تركا لى من شقوةٍ أو أمانِ؟

ونسيتُ السلامَ والحربَ سيانِ شذا النورِ أو لظى البركانِ

ونسيت الهدوء والضجةَ الهوجاءَ سيانِ سكتتى أو بيانى

ونسيتُ الكلامَ ماذا جنى المصغى إليه سوى بغاءِ اللسانِ؟

ونسيت السكون وهوَ عزيفٌ أبديٌّ الصدى أشلُّ المثانى

ونسيت الحياةَ وهى رمادٌ نفختْ ذرَّه يدُ الشيطان

ونسيتُ الفناءَ وهوَ بجسمى هادم يرصدُ الفناء لبانى

ونسيتُ النسيانَ والذكرَ حتى صرتُ وهمًا فى خاطرِ النسيانِ!

وتجردت من زمانى وكونى لزمانٍ محجبٍ عن عيانى

وإذا بى فى فترةِ القتِ الصمتَ عليها صوامعُ الرهبانِ

خاصم الدهرُ ليلها فهى دهرٌ ما رأتهُ سريرةُ الأكوانِ

ولوى الجنُّ خطوهُ عن ثراها فهى حتفٌ لكلِّ إنسٍ وجانِ

لا ظلامٌ، ولا ضياءٌ، ولكنْ غيهبٌ حائر على الكثبانِ

لا سكونٌ، ولا ضجيجٌ، ولكن همهماتٌ يلغطنْ فى وجدانى

جبتُ فيها حيران أقذفُ نفسى فى خضمٍّ مغيبِ الشطآنِ

وإذا أشيبٌ يغمغم كالمجنونِ	بين السهولِ والقيعانِ
شموذته السماء فهو خيال	يتزيّا بصورةِ الإنسان
أدميُّ الرواء أذهلهُ الوهمُ	وغشتهُ جبلةُ الحيوان
نقش العنكبوتُ فوق محياهُ	ظلالاً من صُفرةِ الأكفانِ
مقلتاهُ بئران ذلوهما الظنُّ	وغيبانِ في الدُّجى تائهانِ
ويداهُ لقامةِ الزمنِ	الأعرج عكازتان مشدوختانِ
ضم إحداهما ولوحَ بالأخرى	لوادٍ مخدرٍ نعسانِ
فيه نهرٌ من الدموعِ، وجبٌّ	مترعٌ بالأنينِ والأشجانِ
وقلوبٌ أقلها بين جنبيهِ	سفينٌ يجري بلا رُبانِ
والهاتٌ، مجرحاتٌ، حزانى	مزقتها فواجعُ الأزمانِ
بينها ثاكلٌ، وآخرُ شجتهُ	يدٌ للأسى بغيرِ سنانِ
وشقي يسوقهُ نحسُ دنياهُ	إلى مَرْفأٍ شقيّ المكانِ
ويتيمٌ، وبائس، وغريبٌ	وشريدٌ مقطعُ الأرسانِ
ومناد دعا الأماني فصدتهُ	وعادتْ إليه بعد الأوانِ
وحبيبٌ رمتهُ في لهبِ الأسقام	والسهد صرعةُ الحرمانِ
وطعين بخنجرِ الظلمِ باكٍ	دفنتْ نوحهُ يدُ الطغيانِ
ارعشتني السنين واستلب الأشيبُ	وعيي، رباهُ ماذا دهاني؟
فتهاويت كالهشيمِ على أشلاءِ	روحي المفزعِ الأسيانِ!
ثمَّ ناديتهُ فأمعنَ في الصمتِ	قليلاً وصاح بي: من دعاني؟
قلتُ: روح معذبٌ قال: من أين؟	فقلتُ: الأسى إليك رماني

علني أستقى الهدوء، والقى — بين كفيك راحة السلوان!
قال: اقبل فكم بدنياك صرعى — شربوا من يدى رحيق الحنان
فتلاشت دموعهم، ارايت — الشك تبليه ثورة الايمان!
واستطارت شجونهم ارايت العليف — تطويه هبة الوسنان
قلت: من انت؟ قال: رؤيا خيال — كل حى على الوجود رآنى!
انا معنى فى خاطر الغيب ذابت — حول أسواره جميع المعانى
انا كهف مغلق فى حشا الدهر — يشع الفناء من جدرانى
غلغلت فى ثراى دنيا الشقيين — ولاذ الوجوم فى أركانى
وارتمت حولى الحظوظ التعيسات — ونام العذاب فى أحضانى
مدفن للخطوب قلبى.. ومنفى — ابدى لنكبة الحدثان!
انا طب الأيام اشفى جراحات — الزمان المرزأ اللهفان
انا بحر الهدوء من مل دنياه — رمى عبأها على شطآنى
منذ ما دبت الخلائق حولى — لقبتنى السماء «بالنسيان»
فتمنيت الحياة والموت ما اد . — رى أحى انا هنا أم فان
مر بى «آدم» فحيا فلومات — إليه بطرف هذا البنان
فسقى قلبه من النهر كأسا — وتلاشى عن اعينى فى ثوان
وإذا بى اراه يهتك سر الخلد — فى غير هداة أو توان
مال بالدوحة التى قدّس الله — جناها فلم تنلها يدان
وجنى من ثمارها هذه الدنيا — وأحداث هذه الأكوان
عب خمرى فاذهلته عن الغيب — واقصته عن ظلال الجنان

ليته لم يذق رحيقى ولم يُهرغ لنهرى ولم يطاوعْ بنانى!

انا سرُّ الوجودِ من رامَ سرى نمس الحشرُ قلبهُ فى جنانى..

قلت: يا حادىَ الخطايا لقبرٍ مردتْ ركنهُ يد الغفرانِ!

يا هواى الذى تهافتُّ بالروح عليه وبالحجا واللسانِ

اينما سرتُ جرُّ طيفك احلامى ومنْ نهركِ المصفّىَ سقانى

منذُ ما جئتُ للثرى وانا صبكَ فارحمْ عبادتى وافتتانى

مزقتنى أشواكُ دنياى واغتالتْ شبابى وازعجتْ الحانى

الهوى والنشيدُ . يرعاهما الله . بتيهِ الخلودِ قد ضيّعانى

تركانى أهيمُ كالعاصفِ المشدوهِ فى كل بقعةٍ ومكانِ

لاذ عمرى بشاطئيكَ فدعنى فى ثراكَ الغريب أدفنْ زمانى

فتمطى.. فزلزلَ الأرض تحتى وطوى الصمتَ فى الفلا إذ طوانى

ن

○ عرفتُ السرّ! ○

ولما دهانى السرُّ.. دارت، ونوّحتْ
سواقٍ على قلبى، ينابيعها الغضبْ

* * *

وهبَّ الضريرُ المشتكى، وتلفتت
له نظرةٌ، يكبو الضياءُ، ولا تكبو

* * *

ورفّ جناحٌ كان فى القيد صارخًا
وحلّق.. لا سترٌ هناك ولا حُجُبْ

* * *

ونورَ ليلٌ كان أعمى بلا عصًا
بهاوية نهشُ الأفاعى لها دربُ

* * *

وأومأتُ.. حتى كدتُ أعرفُ.. فارتمتْ
بعينى.. وإذ بى لا أزال هنا أحبو..!

○

الفهــرس

القصيدة	الصفحة

الديوان الثانى ١٤٣

القصيدة	الصفحة

الديوان الثالث ٢٣٩

القصيدة	الصفحة

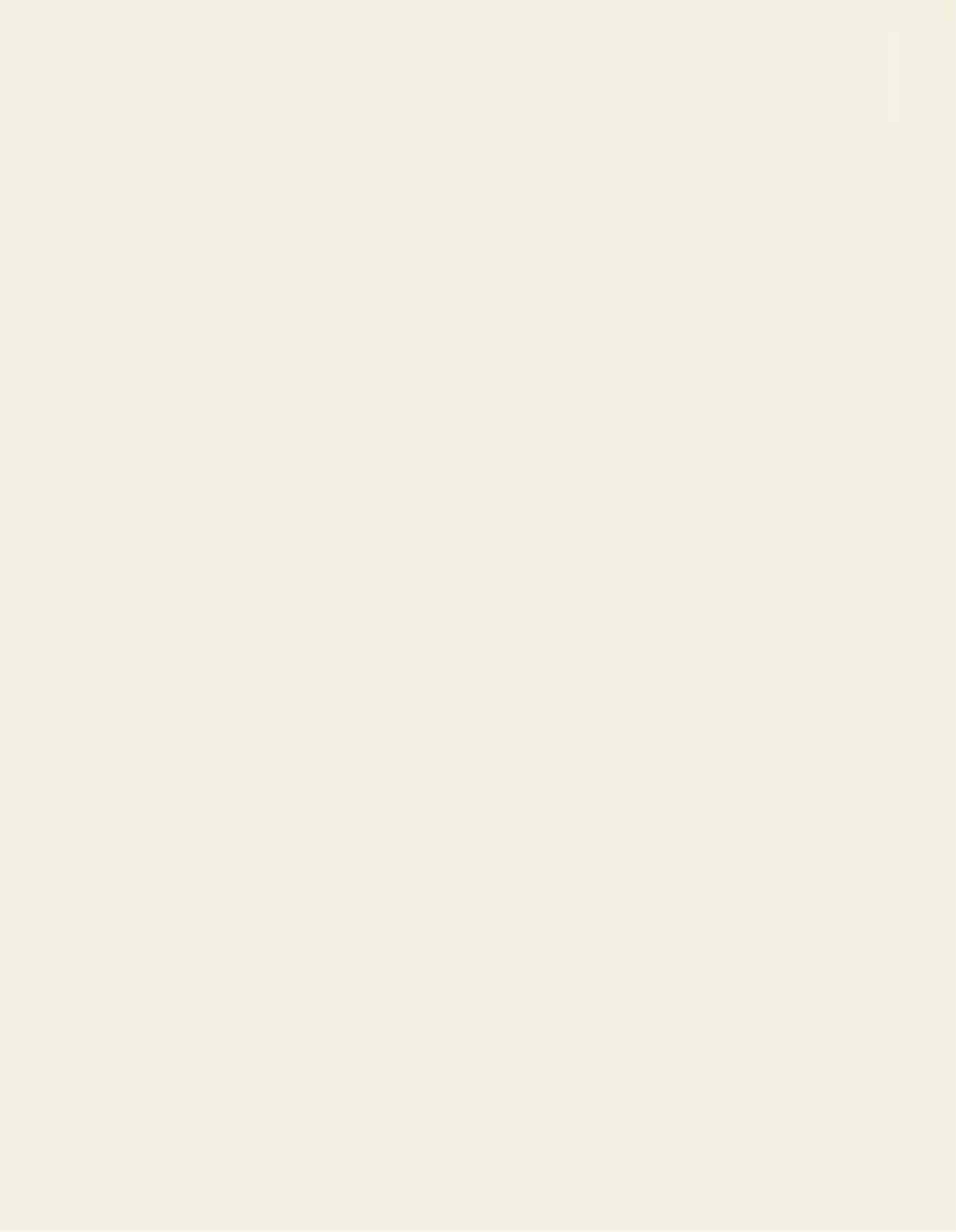
الديوان الرابع ٥٢٣



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٣١٠ / ٢٠٠٤

I.S.B.N. 977 - 01 - 9021 - 7



الأعمال الكاملة

محمود حسن إسماعيل

المجلد الثانى

الديوان الخامس: نار وأصفاد

الديوان السادس: قاب قوسين

الديوان السابع: لابد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٥


الناشيء

إسماعيل ، محمود حسن ، ١٩١٠ ـ ١٩٧٧
الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل . ـ
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨ .
٥١٥ ص ، ٢٤ سم (سلسلة أعمال كاملة)
المحتويات : الديوان الخامس : نار وأصفاد .
ـ الديوان السادس : قاب قوسين . ـ الديوان
السابع : لابد .
تدمك ١ ١٣٧ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الشعر العربي ـ تاريخ ـ العصر الحديث
٢ ـ محمود حسن إسماعيل ـ المؤلفات الكاملة
(أ) العنوان :
رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٣٦٦ / ٢٠٠٨

I.S.B.N. 978 - 977 - 420 - 137 - 1

ديوي ٨١١,٠٩

■ الكتاب : الأعمال الكاملة للشاعر

محمود حسن إسماعيل (الجزء الثانى)

■ المؤلف : محمود حسن إسماعيل

■ الطبعة الثانية : ٢٠٠٨م

■ طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

■ الإخراج الفنى : مادلين أيوب

■ الغلاف : صبرى عبدالواحد

الديوان الخامس

نــار واصفــاد


الناشر

الإهـــــــداء

إلى . . . . أرض الضياء والحق . . . أرض العروبة التى نَفَذَ منها صوت الله لضمير البشرية ، وتوهَّج ترابُها بالنور لكفاح الأنبياء ، وعطَّر فضاءَها عبيرُ الرسالات ، وامتدت منها يد السماء لترفع الغشاوة عن العيون ، وتنزع الأغلال من الرقاب ، وترد الكرامة لجبهة الإنسان .

إلى الجذوة التى شبَّتْ من أعماقها فبدَّدت الظلام ، ووَحَّدت الطريق .

إلى الغضبة التى زأرَتْ فى سمائها ، فأرهبت الطغاة والمستبدين ، وانتزعت الحق السليب من براثن المستعمرِين ، ونفضت غبار الذلة عن وجوه الراضخين . . .

إلى الإيمان العنيد الذى أذاب صلابة القيد ، وثأر لدماء الضحايا فى معارك الحرية عبر النضال الطويل . . .

إلى الصيحة التى شقَّت الليل ، وشدَّت زمام النار إلى فلُول الظلام ، لتأكل بقية الأصفاد . . .

إلى أرواح الشهداء وهى تتألق مع ضياء البعث العربى الجديد . . .

إلى كل من استجاب للنداء ، وحمل راية الفداء ، وسار مع

القافلة الزاحفة وراء النور . . . لتركزَ الرايةُ العربية منارَها
من جديد على صدر التاريخ

محمود حسن إسماعيل

• ولما تشاكى القيد حولى، واغولت
من الرق أيامى . . وضجت سلاسلى ؛
• واخرس جلاد الطغاة قياثرى
وشل حديد المستبد أناملى ؛
• ودوّخ أرضى ظالم . . فحصانها
بكفيه ، لحزان الربى والجداول ؛
• ولجت حوالى الحياة . . فدمعة
تقول لأخرى : تنب فى التيه ساحلى :
• وحر على القضبان غنى عذابه
ولحر . . حر فى قيود المجاهل ؛
• ومزق الهوامى غريب . . فأصبحوا
وهم غربة تشقى بحزن المنازل :
• والطرق غابى من نحول ، وأوغلت
أفاعى الأسى ، ترمى بسم المقاتل : . .
• تلفت . . فانساب الدجى من مزاهرى
مزامير ليل . . عن خطا الفجر غافل

- تلفّتُّ .. وانشقّتْ من الليلِ ثورةٌ
وفجرٌ بكفّيها جديدُ المشاعلِ ..

- وبُشرى أتانٍ مرّ بالليلِ صحوةٌ
كما مرّ بالأعوادِ حدُّ المناجلِ ..

- بوحدةِ أيامِ العروبةِ زحفهُ
ويسحقُ من أوطانِها كلَّ واغلِ ..

- فقلتُ لناري .. لأنَّ الفجرَ .. فارتمى
وشدَّ على الأصفادِ شدَّ المقاتلِ ..

- وما مرّ عُمْرُ الطَّيْفِ .. حتى ترنَّحتْ
وتابتْ قيودي من عميقِ المفاصلِ

- فكبّرتُ .. جلَّ اللهُ ، عادتْ حقيقتي
ورنّتْ أناشيدي ، وغنّتْ بلابلي !!

من الديوان

نبى الحرية

فى معارك الحرية

فجر الحرية

اغانى الحرية

نبـىُ الحَـريَـة

قصـــة ظـــلام

ع الأرض في ظلمها وظلامها قبل انبثاق النور الأعظم .
ع أول شعاع تبلجت به سماء العرب وأشرقت به حقيقة الإنسان . .

مس جبينه الخاشع للحجر . . فارتفع لله ! !

وظهره المقوس للطغيان . . فسواه للكرامة ! !

وصدره الضارع للظلم . . فأعلاه للحق ! !

وقيده الصاغر للبطش . فأحاله أجراس حرية ! !

وكان للعرب رسول وحدة وتوحيد . .

ألف القلوب على السلام والحب :

وشد الزمام إلى الإباء والعزة :

وشق في غياهب الوجود طريق الفجر . . تتألق به راية

النصر ، وتتوهج به جذوة الكفاح ، وتزحف به مواكبُ
النضال إلى شاطىء النور

كانت الأرضُ قصةً من ظلامِ

رددتها قوافلُ الأيامِ

وتناجت بها قلوبُ الخيامِ

واستطارت لها نفوسُ الأنامِ

فهيَ إعصارُ جِنَّةٍ في تنامٍ   والبَرايا في قبضتيهِ أسارى ..

• • •

ويكَ يا نارُ .. أيُّ سرٍّ حبيسِ

في لظاك . رآه أهلُ المجوسِ

زَمْزَموا بالصلاةِ والتقديسِ

واقتفوكِ في شعابِ النفوسِ

حمرةَ الحبِّ من يدَيْ إبليسِ   ثم طافوا حولَ اللهيبِ سُكارى ،

• • •

ويكَ يا صخرُ ... أنت رملٌ وماءُ

جبلتهُ الرياحُ والأنواءُ

كيف هلّتْ من طينكَ الأضواءُ ؟

كيف صبّتْ بكَ الغيوبَ السماءُ ؟

فكأن العباد والخشعاء وترامو على يديك صغارا . .

● ● ●

صنمٌ أنت . . أم صفاةٌ ؟ أجبني :

ما لجفنيك ساهمين لجفني !

ما لكفيك في هوانٍ وجبنٍ . .

شلتا ؟ . يا أصمُّ ! بالله دعني

من ربوبيةٍ زعمتَ، وفنْ . . كيف يا شيءُ . . فتسك الصحارى !

● ● ●

معبدٌ . . . للعباد يعنو ويخشع

ولهمس الشفاه يعنو ويخضع

وإذا الريحُ في الدياجي تزعزع

كبكبت وجهه المعفرَ المرقَّع

فتلاشى حصاهُ من كلِّ موضع ربِّ ! هذا الظلامَ يبقى نهارا . .

● ● ●

ما لتلك الوليدة المستضيئة

دفنت في التراب . . وهي بريئة !

أيما سوءةٍ ؟ وأيُّ خطيئة ؟

يا لِتلكَ الآثامِ فَبئْتَ جَــــريئَــــةً ،

صَرْعَ القومِ ! أمْ نفثَتهمْ خبيثه ؟ صَيَّرُوا حِكْمَةَ السَّمواتِ عارًا . .

● ● ●

عَــابِدَ النَّجمِ . . لا تَرُعْ مِنْ عِــقَــابي

لَسْتُ مُعْفيكَ من عذابِ الجَــوابِ . .

مــا الذى فيكَ مِنْ عطايا الشُّــهــابِ ؟

كــوكبٌ يســتــعــيرُ ضــوءَ الثَّــيــابِ

كيفَ يُعْطيكَ . . وهو عبدٌ يُحابِى نورةَ الشَّمْسِ ، والبُروجَ الكِبارا ؟

● ● ●

أيُّهــا الصَّــابئُ الشَّــريدُ الصَّــلاةِ

ضِــعْتَ مــا بَيْنَ غَــفْلَةِ اللَّفَــتَــاتِ

تَعْبُدُ النُّورَ . . . وهْوَ عَــبْدُ الحَيَاةِ ،

عَــبْــدُ مَنْ بَلَّــهُ بِتِلْكَ الفَــلاةِ

ثمَّ ألقاهُ فــى يــدِ الظُّلُمــاتِ فَــغَــدا لِلغُــيوبِ فُلْكًا مُــدارا

● ● ●

مــا لَدَيْكُــم يا ضــاربِى الأزْلامِ . . ؟

أنــا أشــكُو الطريقَ . . مــاذا أمــامِى ؟

ما ورائى ؟ . . ما بدائى ؟ . . ما ختامى ؟ . .

استلوا السهم . . ليس فيه لرام . .

. . تبا يشتفى لديه أوامى ! إنها ضلة سفكتم تبارا ! !

* * *

رب ! هذى مضارب الجاهلية

خيمت فوقها العصور الشقية

جاءها والزمان يجتر غيه . .

. . قائم . . فى خطاه فجر البرية

ويكفيه نجوة البشرية من قرون صبت عليها الغسارا

* * *

قيل : بشرى السماء . . قالت «محمد»

فتكبت أوثانهم وهى تعبد !

واستجارت نيرانهم وهى تخمد !

وتهاوى إيوان كسرى الممرد . .

وتهادى من سدرة الله فرقد نك بالنور كل ليل وسارا . .

* * *

طهر الكون من ضلال ورجس

أنقذ الناس من ظلام وبؤس

وسَرَى نورُهُ إلى كل نفسٍ

سيرةُ الشمسِ بين ماءٍ وغرسِ

ينبتُ الخيرُ للحياةِ ، ويُرسي مَجْدَهَا أينما على الأرض دارا . .

● ● ●

ويُمْنَاه للدُّهورِ كِتَابُ

نوّرتْ من ضيائهِ الأحقابُ

وسقى العالمين منه عُبابُ

فيه للروح نجدةٌ وإهابُ

فيه عن ظلمةِ الليالي حِجَابُ سرمديٌّ يُفَجِّرُ الأنوارا . .

● ● ●

أعجزَ المشركين منه بَيانُ

كبُرَتْ من جلالهِ الأزمانُ

وتهاوى لسرِّهِ الكُهّانُ

وجَثَا الجنُّ رَوْعَةً واستكانُوا . .

فهو بَحْرٌ من الهُدَى . . وأمانٌ كلُّ حيٍّ إليه يبْغي القرارا . . .

جنــــازة الوثـنيــــة

«مع أول شعاع أو مَضَ في محاريب الوثنية من نور المبعوث العربي الذي اصطفته السماء ليرد ثلاثية الإنسان ويسحق الطاغوت والطفيلين ، ويحرر الجباه من الخضوع والمذلة لغير الله ، ويطهّر القلوب من أرجاس الشرك والضلال وهوان الرق والعبودية . . .

«مع أول هزّة للأصنام وهي تتهاوى أمام النور الجارف يوم مولده الخالد .

• • •

(أسطورة من وحي الفزع الذي حل بأصنام المشركين . على ألسنة الجبابرة الخرس من كهنتهم الحجرية «اللات ، والعزّى ، ومناة !» في اجتماع لهم غداة أشرق في ظلمة محاريبهم شعاع من نور محمد)

مثال : (فى حال من الكبرياء والجبروت يحيّى رفيقيه عقيب ليلة طال فيها سجود المشركين فى ساحة الأصنام)

.. لام الألوهة يا صاحبى … وحيتكما عزتى العاليه !

.. منكما من شعاب الجبال … قلوب لأطيافنا جاثيه

.. على الأرض عاتى الجبلة … تخر لنا روحه العاتيه

.. سوى شعاع النجوم … لخيماته طنبا زاهيه

.. الزمان على خطوه … حديثا لأمجاده الساريه

.. صاراه أنشودة الأنبياء … ومسرى شعاعتها الهاديه

.. ظل السماء الذى فجرت … عليه ينابيعها الصافيه

.. الصيف والبيد أهل الوغى … وأبطال دورتها الحاميه

.. الدهر يبلى ولشعارهم … تظل الغيوب لها راويه

.. من طوفوا حولنا … خشوعا لصولتنا الطاغيه

.. من تنسونا فكنا لهم … حياة لأعمارهم ثانيه . . .

.. (فى تعجب وسخرية) :

.. تغلبت فى ذكرهم … وكنت لهم فى الورى داعيه

.. مجد عبادة … ويكسوهم المدح الغاليه ؟

.. ويخلع من قدس أوصافه … على رجسهم حللا ضافيه

.. الهدى عنده والرشاد … وتبا لشرعته الغاويه !

مناة : (صارخاً فى وجه «العزى» وقد كان فى إطراق عميق) :

سمعت من اللات هُجْر الحديثِ وسُخْفَ الكلامِ وزيفَ الكَلِمْ
وأطرقت لم تَلْقِ بالاً لـه ولم يستثيرك انتهاكُ الحُرَمْ
إله وترضى بهذا الهوانِ وتغرق فى الصمت مثلَ الصنمْ

العزى (فى دهشة واستغراب) :

وما أنا إلا كما قد نَعتّ جمادٌ على الأرض خلوٌ أصمْ
وما أنت يا صاحِ ...

مناة

.... ربٌّ عظيمٌ تُرجى لدى المُحْنِ والنقمْ
وتَمْضى بِصَوْلجى الصافناتُ وتنهلُ من راحتى الديمْ
وباسمى تَغنّى حُداةُ الجمال وملّوا تَشاوى بسحرِ النغمْ
ولى الرَّوعُ تجثو لدى السيوفُ وبى تستجيرُ ، ولى تحتكمْ
وبى تُقسِمُ البيدُ فى عهدها جلالاً

العزى (يقاطعه) :

... وأهونْ بهذا القَسَمْ ،
كَذَبْتَ : السنا هنا قُلّةٌ من الصخر خرساءُ منذُ القدم ؟

تـلـهّى بأحجارنا الناحتونَ | ولَقــوا بنا فى مـهاوى الظُّـلَـمْ
سكنّا الحضيضَ اسارى البلَى | وكانتْ مرابـعـنـا فى القمَم
دمـوعُ الجـمـال علَى ذلّنـا | هى السّيْلُ يرْزِمُ فوْقَ الأكَمْ
لَـعَـدَ النّدَى من كؤوس الغمام | يحـلبُـنـا بالرحيق الشَّــمْ .
وبَعْـدَ الرياحِ وتَـطـوافـهـا | صلاةً ونُسْكاً بِعالى الأُطُمْ .
وبَعْدَ الشذَى مِنْ روابي السفُوح | تـفـتّـق نوّارُها وابتَــســمْ .
وبَـعْـدَ المـهَــارِج نوّى بها | فـمُ الجن فى ليلنا واحتَدَمْ .
وبَـعْـدَ المزامير لنَكَّى بها | حنينَ البوادِى رُعَـاةُ الغنمْ .
وبَعْدَ السهُوبِ التى موّجَتْ | اساريرَها البيضَ كَـفُّ النّسَـمْ
وكانت مُصلّى شُعاعِ الغُيوب | وتِبْرِ السماء . وكَهفَ العزمْ .
وبَـعْـدَ الضُحى العبقرىُّ الغَبِى | عرايا الصُّخُــور به تستحِمْ . . ؟
. . أقَـمْـنا بزاويةٍ أهـلُـهـا | ذُبابُ الفناء ، ودُودُ الرمَــمْ !
وخفّـاشُـها وشَـنِـىُّ الصدى | يوَصْوِصُ فى جانبيه الجُكَمْ !
مع الصمْتِ صمْـاءُ . . لا هَمْسةٌ | ولا هَمْسَـــةٌ غيرُ صوتِ العَدَمْ !
نُصبْنـا مناحـاتِ للسائمات | ومجْـزَرَةً لِضحاها النَّـعَـمْ
تَـبُـولُ الثعالبُ فى ساحنـا | وتسلَحُ فـوقَ الجباهِ الرخَـمْ

كَفانا خداعاً ! . . . . .

اللات :

كَفانا هواناً !

منَاة (في ندم وحزن) :

أُحِسُّ بجنبيَّ عَصْفَ الألَمْ

يَدُورُ عَلَى عِزّتي بالفَناءِ ويَهْوِي بها في سَعِيرِ الضَرَمْ

أعِينا صنَمَاني على هَوْلِها !

العزى :

تَجرَّعْ لَهيبَ الأسى والنَّدَمْ !

(فترة سكون وذهول تخيم على الكعبة ، ويشرق خلالها أول شعاع من نور النبى) .

اللات :

أرَى قَبَساً في حِمانا غريباً وألمَحُ في الأفْقِ ضَوْءاً عجيباً !

عَلَى الأرض يَفْتُقُ أنْوارَهُ فسالَتْ على الرُّمْلِ طُهْراً وطِيبا

وأقبَلَ بالّلمعِ قَلْبَ الشُمُوسِ ودارَاتِ أفلاكِها والغُيُوبا

وَنَبعتْ صُخُورُ الفَلا فارْتَمتْ على خَطْوِه ، واستَحالتْ قلوبا

أطَلَّ عَلَى جلْمَدِي ، فاستَطارَ وأوْشَكَ منْ رَهْبَةٍ أنْ يَذُوبا

أعزّاى مالنا ؟ . . . . . .

العزّى :

. . . . . شـعـاعُ الضُّحى تـوهّـجَ فى البيد غضّا قشيبا

مناة :

هوَ النجمُ خفَّ لنا ساجداً

اللات :

خسئتَ ! وخيّلتَ ظنّنا كذوبا !

فما النجمُ ؟ ما ضوؤه الكوكبى ؟ وكم لاحَ بضْفى الأسى والشُّحوبا

وما الشمسُ ؟ كم عصفتها السنينُ وكانت نضارتُها لن تشيبا !

ضللتَ ، وضلَّ الذى خالَهُ على الفجرِ يوماً سيلقى غروبا

هوَ النورُ قدْ رقرقتْهُ السماءُ بهدْى الحيارى ويمحو الذنوبا

رأى الشركُ أقباسَهُ فارتمى وخرَّ على صفحتيها منيبا

وهذى جنازتُهُ فى الفلا تجوسُ القفارَ وتطوى السهوبا

. . . .

فهيّا نؤدّى صلاةَ الجمادِ ونسجدُ فى الأرض حتى نذوبا !

« ويسجدون ! !! » . . .

معجـــزة العنكبـــوت

مشهد غنائي تنسج موسيقاه من الغار الذي أوى إليه
الرسول خوفاً من أذى المشركين الذين تعقبوا أثره
في طريقه إلى المدينة يوم الهجرة الخالدة

(أبطال المشهد : العنكبوت ، الحمامتان ، الثعبان) .

العنكبوت يغني (وهو ينسج خيوطه بعد أن دخل النبي وصاحبه الغار) :

في سـبيـل الله دُوري ... يا خُيُوطي في الأثيرِ

أنا نسّاجُ الحصونِ الشُّـ ... ـمِّ مِنْ أوهَى السُّتورِ

وقفَ الدهرُ على بَا ... بِيَ مذعورَ الضميرِ

وحجابُ الشمسِ لا ثا ... نِيَ ينجلي للضريرِ

والضُّحى خدرٌ كليلٌ ... فوقَ أعتابي أسيرِ

أنا شكٌ جاءَ بحسّي كُلُّ إيمانِ النفسِ

أرسلتْني قدرةُ اللهِ أمانَ المستجيرِ

قدْ وهى بيتي . . . ولكنْ صارَ محرابَ العصورِ

بالذي أخفى من الأنوارِ في وجهِ البشيرِ

فارفعي يا حكمتي سناً على بطشِ المغيرِ

وتغنّي يا خيوطي ثمّ دوري ثمّ دوري

الحمامة لأختها : (وقد وجدتا نفسهما فجأة على باب الغار تقفان وتسمعان نشيد العنكبوت) :

أُختاهُ ! ما لنا بها فلمْ نعدْ في حِمانا ؟

ماذا ؟ ! رمالٌ ، ونورٌ وعنكبوتٌ شجانا . . .

والبيدُ قلبٌ ترامى على الثرى حيرانا

ونسائمٌ ، ومنادٍ واغيْنٌ لأقرانا

وضجةٌ في الفيافي حسبتُها لهمْ كانا

لعلّ ريحاً أعتبها على الصخورِ رمانا

فضلّلتنا خطانا وأوحشتنا رمانا

أُختاهُ ! ما لنا ؟ . . .

الحمامة الثانية :

... ... رُوَيْدَنَا فَقَدْ ضَلَلْتِ الْهَوَانَا

فَمَا تَرَكْنَا رُبَانَا لَكِنْ هَجَرْنَا الزَّمَانَا

بِذَلِكَ الْغَارِ جِئْنَا نُلْقِي عَلَيْهِ الْأَمَانَا

نَبِيُّهُ مَطْلَعُ نُورٍ تَفَجَّرَ الْإِيمَانَا

طَلَعْتَ بِمَكَّةَ حِينًا فَدُكَّتِ الطُّغْيَانَا

وَلَاحَ مِنْهَا شُعَاعٌ يُكَبْكِبُ الْأَوْثَانَا

فَالْمُشْرِكُونَ لَدَيْهَا مُسْتَهْمَعُونَ حَزَانَى

خَرُّوا سُجُودًا ، وَأَرْخَوْا لِصَفْحَتَيْهَا الْعِنَانَا ،

إِلَّا أَنَامًا ضِلَالًا تُسَاوِرُ الْعِصْيَانَا

سَارَتْ إِلَى النُّورِ جَهْشًا مُفْزَعًا ، غَضْبَانَا

يُهَاجِرُ النُّورُ حَتَّى أَلْقَى الْعَصَا فِي حِمَانَا

ضَيْفٌ ؛ وَكُلُّ الْبَرَايَا فِي حُبِّهِ تَتَفَانَى ...

فَالْعَنْكَبُوتُ يُغَنِّي وَيَنْسِجُ النِّسْيَانَا

وَنَحْنُ نُلْقِي نَشِيدًا نُشْجِي بِهِ الْأَكْوَانَا

وَنَسْحَرُ الْجَيْشَ حَتَّى يَفِرَّ حِينَ يَرَانَا

هنا نغني ...

الحمامة الأولى :

.... وهيا نرقص للعيد لنا ...

تغنيان معاً :

نحن بأرض العرب حارستان للنبي
من وحيه ، وطهره ونوره المحجب
نذيع للدنيا صدى بمثله لم تطرب
نحن لمبعوث السما أقدس طير رنما
غريبتان حلتا أطهر وادٍ في الحمى
نفنى لدينه لحنا يذيب الصنما

النعمان (خاشعاً مطرقاً بين يدى المصطفى بعد ان لدغ الصديق)

نمى لله يا هادى ويا ترنيمة الحادى
ويا تسبيحة الكثبان والركبان في الوادى
ويا نوحة ثائر الدنيا لي ... ثأر إنشادى
وجئتك خاشعاً . ماتت نوافث سمى العادى

وَصَاحَ بِقَلْبِيَ الفُقَرْ   انْ صَيْحَةُ مُفْرِقٍ صَادِ :

أغِثْ لَهْفِي ، وَطَهِّرْنَا   لِرَ تَسْبِيحِي وَأوْرَادِي

لَدَغْتُ صَفِيْكَ المصَدّ   يقٍ ، حِينَ هَفَا لإبْعَادِي

وَجِئْتُ الحَيْثُ حرّمتني   بِطَيْفِ شُعَاعِكَ الهَادِي

الفارس المنتحر «خيبة سراقة»

وقف «سراقة» مبهوتاً أمام غار ثور بعد أن سار

متتبعاً أثر المصطفى وصاحبه .. ساخت قوائم

فرسه في الرمال وردته معجزة العنكبوت

حيران الضلال .

وبينما الغارُ في سكونِ — والبيدُ مبهورةُ الجفونِ

وإذْ على بابِهِ جوادٌ — وفارسٌ زائغُ العيونِ

تعقّبَ النورَ في خطاهُ — بكفرِهِ الآثمِ اللعينِ

يريدُ أنْ يحرمَ البرايا — منْ فجرِهِ الساطعِ المبينِ

فسمّرَ اللهُ مقلتيهِ — وأوثقَ السيفَ باليمينِ

وراح يهذي وقدْ تهاوى — جوادهُ في الثرى المهين :

سراقة (يحدث نفسه) :

وتلالٌ مما سطرته الرمالْ   لآثارُ وهمٍ في مقلتي خيالْ ؟..

لركبِ جِنٍّ حين ملّ السُّرى   في عالم الناس، توارى ومالْ !

أم موكبٌ للنورِ أقدامُه   خلّفن فوق الأرض منها نِعالْ !

أمْ قافلاتُ الريحِ كانت هنا   تمشي، وألقتْ رحلها في الجبالْ !

أمْ حُلُمٌ مرّ، وهنا الثرى   وادي كرًى نامتْ عليه الليالْ !

أمْ نغمٌ سارٍ وأشباحُه   مسسْنَ صدرَ البيدِ مسَّ الظلالْ ،

أمْ فارسٌ للغيبِ عاثي الخُطا   جوادُه للسحرِ، تلكَ التلالْ ،

جرى عليها وهْي تجري به   كما جرى بالروحِ عصفُ اللالْ

سبحانَ منْ علّم أرسانَه   تخطّفَ الوحي، وبُعْدَ المحالْ

هذي هواديه، وذا خطوُه   زفزافُ ريحٍ طاردتْه الشمالْ

عنّا جوادي خلفَه، فلتنظري   يا خيبتي: كيفَ حططنا الرحالْ ،

قوائمٌ ينهشُ منها الثرى   ما ذنبُه لله غدرُ الرجالْ

مغروزةٌ في الرملِ تلهو بها   طرائدُ الوحشِ، وريحُ الشمالْ

ناحتْ عليها مهرةٌ طُهّمتْ   وطُعِّمتْ باليأسِ قبلَ النضالْ

تُذهبُ ساقيّ بأقوافِها   كأنّها محشوّةٌ بالنصالْ

أدَرُ تحتي من جحيم اللظى ووَخْزَةِ الذُّلِّ ، وفَحّ الصِّلالْ

كأنّما قُمْنَا بشطّ الفَلا تَمثال خِزْيٍ عَبْقَريُّ المِثالْ

ربّاهُ ما هذا ؟ جَوادٌ سرَى أمْ لعْنَةٌ ، أمْ خَيْبةٌ ، أمْ ضلالْ !

نشيد الغار

يسمع الغار حديث أسراره لنفسه ليتلاقى هناك

العنكبوت والحمامتين والثعبان في هذا المشهد

سماءَ المجدِ بُشْرانا ... وسُراقةُ عادَ حيرانا

أتى والكفرُ يرعاهُ ... ونورُ اللهِ يرعانا

• • •

أتى ليحطّمَ النورا ... فجَرْنَ المجدَ أنهارا

نمدُّ اللهُ مسعاهُ ... ونلقى الذلَّ والعارا

• • •

بسيفِ كافرٍ ظلّامْ ... جرى ليطاردَ الإلهامْ

هتفنا إذ رأيناهُ ... رماكَ اللهُ بالإظلامْ

• • •

فَعَلا يُقَلِّبُ الكَفَّيْنْ كَفيفَ القَلْبِ والعَيْنَيْنْ

تَرى الأشْبَاحَ عَيْنَاهُ ويَسْأَلُ أيْنَ نفسي أينْ ؟

• • •

ولاذَ نَبِيُّنَا بالغَارْ فَحَلَّتْ حَوْلَهُ الأقطارْ

وصَانَ ضِيَاءَهُ اللهُ ليَسْطَعَ مَشْرِقُ الأنْهَارْ

النــــــور للهــاجــر

مع خطوات النبي العربي الأمين في ليلة الهجرة الخالدة .

وهي تسطر في قلب الزمن لسطع برهان على انتصار

العقيدة . وقوة الإيمان

ار على المجد ، هزَّ الكون مسراهُ صلى عليه ، وحيّا نورهُ اللهُ

ا الصحارى . . فحيّتهُ سباسبها ولو شكتْ برياض الخلد تلقاهُ

، من قفرة ، واخضوضرت جبلاً ، وبثَّ فيها ضحى الدنيا محيّاهُ

، ، ت . فهي ترتيلٌ ومسبحةٌ ودعوةٌ بأمان الله ترعاهُ

، ، ، ن في صدرها حلمٌ ، ولا نغمٌ إلا بما يسحرُ الأيامَ غنّاهُ . .

الأوهام استطارت في مرابعها مخرورةً من عتابِ الشوقِ تهواهُ ،

، ها رفرفت ، والريحُ تجذبها طيراً إلى الفجر يهديه جناحاهُ ،

، الظلّ ترى ، نسّتهُ عزلتُه ملاعبَ الجنِّ ، لم تهدأ ثناياهُ

همس على الذرة الصغرى ، وهيمنة على سفوح الذرا . . والكل تشمله
تنبهت غفلة ، واستيقظت سِنَة وهبّ نعسان ليل الدهر غشاه
وفي ضمير الفلا ما شئت من لهفٍ تكاد تمتد للأنوار كفّاه
تبارك الله ، كل الأرض ناظرة وكلها مهجة تهفو لمرآه
تلفت الغيب ، والتفت عنايته بمن تحمّل سر الغيب جنباه
محمد ، وصلاة الله .. يا النم صلّى ! وقلبٍ على التوحيد ناجاه !
حقيقتان ، هما حقٌّ ! ولو قدرت نفسي ، لما شربت في الحب إلاه !

• • •

هاجت على رحبه العلوى شرذمة محبّرون ، على أصنامهم تاهوا
من كل عاتٍ مهين البأس ، صولته يذرى تعفرها في الترب (عزّاه) !
رامو خطله . . فكان الغار ، وانتجزت حمامتاه ، وراغ المجد ملواه
وشد أنواله شيخ له نسب بالوهم ، لخير ما ينسبه بنساه . .
منى من الضعف حصنا ، لو تسلق له شم المقادير ، لاندكّت لرؤياه
العنكبوت ، وما أدراك ما صنعت يداه . . بلسا طفلة الأرض تخشاه
الفى بفارسهم والخيل تعشقه في موقف صهوات الخيل تأباه
غاصت قوائمها في الرمل من خجلٍ ولعنةٍ أوشكت للرمل تنعاه

يا فارسَ الشرقِ - لا فلّتكَ خيبتُهُ - بشّرْ سلاحكَ : لن الملكَ لزلهُ

وقُلْ لقومكَ - لا سرّاً ولا علناً - : تألّقَ النورُ حتى عزَّ مرتقاهُ

• • •

سرى محمدٌ ، تطوى الشمسُ رايتَهُ في موكبٍ قبل هنا ما سمعناهُ

يمشي وصاحبهُ الصدّيقُ وحدهما في مهمةٍ تفزعُ الأيامَ لقياهُ

عقيدةٌ جنّبَها الإيمانُ . يملؤها صفواً . وتملأُ بالبشرى حناياهُ

ويحطفانِ الثرى نضراً . إلى بلدٍ لا خيّبَ اللهُ من يسعى لمغناهُ

يمشي . . فتحسبهُ الأقدارُ جاريةً لها من الغيبِ ما للغيبِ ترضاهُ

منشرٌ بضحىً للكونِ . ينقذهُ من ظلمةٍ . ليلها الجثُّ خطاياهُ

شِرْكٌ . وشِرْكٌ . وقومٌ عاكفونَ على ربٍّ من الصخرِ مسكينٍ عرفناهُ

صخرٌ ذليلٌ يعافُ الوحشُ حيرتهُ وبرْءُ الوهمِ لا ترضى بمثواهُ

أتى إليهم ببحرٍ لا ضفافَ لهُ من الضياءِ . تروّعُ الشمسَ ضحواهُ

سرٌّ من اللهِ ذابَ العقلُ . وانحدرتْ لطوائه الشمُّ في أغوارِ معناهُ . .

• • •

محقٌّ مَن جاءَ يا رباهُ يبلغهُ للخافقينِ ! ومَنْ للخلقِ إلّاهُ !

سرى حطاماً وتحدو القومَ في سحرٍ للشمسِ ينشدُ فيه المجدَ شطاهُ

وتمضي لشرقٍ هديًا في مسالكهِ فصيحةُ البعثِ دوّتْ في حناياهُ

فى معـــارك الحـــريـــة

نار وأصفاد ..

دخان ولهب . ظلمات وأضواء . . .

من جحيم المعارك التى خاضها المناضلون الأحرار من أبناء الشعب العربى العريق

الحرية مع الرق

الكرامة مع التسلط والاستبداد . .

الكفاح الصامد مع الطغيان المتجبّر . .

النار المؤججة بالإيمان والحق ، مع الأصفاد الناشبة فى صدر كل عربى حر ، وفوق كل تراب عربى دنسته قدم مستعمر . . فى ضفاف النيل فى بردى فى الفرات ، فى شطآن الخليج فى سفوح الأطلس وجبال الجزائر ، فى صخرة المعراج ، وخيام اللاجئين . فى كل أرض أظلتها راية العرب ، وتضرج ثراها للنضال بدم المستشهدين فى سبيل الحرية ، والقـومـيـة الـعـربـيـة ، وعـزة الوطـــن العربى الأبى .

للــــــــوعودة

عام ١٩٥٠

والحرية موءودة بيد الطغاة والمستبدين

والغاصبين والليل ضارب على كل جبين . . .

والشعوب الغاشمة تزهق أنفاسها في كل مكان . . .

والشاعر يتلمس لها شعاعاً فى فجاج الوجود .

ويبحث عنها من لهب الأصفاد ! !

هلكَتْ كُلُّ طريـقٍ نحوَها — وانتهى بحثى عنها للعـدمْ . . .

قيل لى : فـوق الثرى مسكنُـها — فضربْـتُ التيهَ . واجتحْتُ الظُلَمْ

قيل : بل فوق السَّما . . فانطلقَتْ — ثورتـى تَقْـرَعُ أبوابَ الصَّمَمْ

ثم عـادتْ . . وإذا بـى رازحٌ — فى سعيرِ القَيْـدِ يكوينى الندمْ !

• • •

طفقتْ بالدنيا وساءلتْ بها ... كلَّ شيء فوقها، حتى الزَّمَنْ

لم تجدْ عيناي فيها كائناً ... لم يَضُخْ مثلى عليها ويئنّْ

كُلنا نبكى .. وما نلقى سوى ... هَجْسةِ الذلّْ وترجيعِ الحزَنْ

ربّما كانتْ لدُنيَا سَلوةٌ ... عن أساها، فى النايا والوَسَنْ!

• • •

كم سألتُ الريح عنها، فشكَتْ ... بَرحَها، وانسربتْ فوق الجبالْ

ثم قالتْ: إنَّنى طوَّافةٌ ... هكذا منذ تعلَّمْتُ الرّحَالْ

وخُطامى فى يدٍ مجنونةٍ ... تنهبُ الأفْقَ، ولا تدرى المآلْ

وعماً عمياءُ تغتلبُ الصّدى ... لم تزَلْ تنشدُ فى أرضِ الزوالْ!

• • •

وسألتُ النجم عنها، فمضى ... راعشاً يخبط فى عُزلتِهِ

قلت: حُرٌّ؟ قال: هذا فلكى ... راسفٌ حيرانُ فى دورتِهِ

زورق عانٍ، ولا ريحٌ، ولا ... شاطىءٌ يرسو على ضفّتِهِ

من قديم لم يعُد ربّانُهُ ... وَهْوَ مصلوبٌ على لُجّتِهِ

• • •

أين أمضى؟ فاهلتنى حرّةٌ ... من بنات الطير تجتابُ الفضاءْ

قلتُ من أنتِ؟ فقالت: عَنْبَةٌ   لم تدعْ في الكون أرضاً أو سماءْ

لو جناحايَ على بأسهما   يصرعان القيدَ، ما جُبْتُ الهواءَ

تأسرُ الليلُ جناحي، والرّدَى   إذ يجيءُ أشربهُ حبّاً وماءَ

• • •

كُنْتُ بالحبِّ. لعلّي كاسرٌ   قيدَ أحلامي على أزمانه

شربتْني فوق صدرٍ وله   لمةٌ تَشْرَبُ من بركانه

وعرجْنا بالهوى في موقدٍ   آه لو متنا على نيرانه!

أسرتْ ناري .. وهذا حطَبي   والقيودُ السُّودُ في أغصانه،

• • •

وجعَلْتُ الروحَ بحراً طامياً   وأنا الملاّحُ والريحُ العَتِيّ

أتلاشَى كيفما أهوَى، فإنْ   غَلَسَ الصبحُ تلقّاني العشيّ

وانتهى قَيْدي، وغَنّى ساخراً   حولَ أيامي نشيدٌ أزليّ

جفّتِ الكأسُ، وعادت في يَدي   ضَجّةُ الأغلالِ والوَهْمُ الشقيّ

• • •

آه! يلوونني على أوطانها   وأنا أهوى إليها بحناني

ذقتُها يوماً .. غناءً سابحاً   في شفاهٍ منّ لله صلاني

فرعَـبـتُ العمر فى أعماقها حُـلُمًـا فوق جفـون غافيات

وتلـفـتُّ . . . فعالـى لم أزلْ يلحبـأ عنها وعنّى فى الرُّفات ؟

• • •

وترامَـيْتُ بروحى فى صلاةٍ كَـبَّـلَـتْ بالصمتِ قوماً خاشعينْ

سـجـدوا والصهرتْ أبدانُـهم فى ضياء الروح والنور للـبـيـنْ . .

هربـتْ أغلالُـهـم ، وانطلقـتْ نارُها حـول قلوبِ التائـبيـنْ

غادروا محرابَـهُـم . . والـصرفـوا مثلما كانـوا أسارى خاطـئـيـنْ . .

• • •

دميتْ نفسى من طول السُّرى وأنا أبحـثُ والقـهـدُ مَـعـى

كلما زحـزحـتُـه من قدمـى نَشبتْ أظفاره فى أضـلُـعـى

أينما لُـذْتُ عـوتْ أجراسُـه بصدًى كالسهم يـفـرى مضجعى

فى دمى قيدٌ ، وقيدٌ فى فمى وعلى الأجفان قيدُ الأدمعِ ! !

• • •

نحن أوكـارٌ لطـيـرٍ تـائـهٍ شرّدَتْ أسرابَـهُ ريحُ القـدرْ

كلما حَـنَّ إلينـا أعـولَـتْ لغصونٍ مفزوعـةٍ لا تَسْـتَـقـرْ

لا الضُّحى الريانُ يَسْلى وَجْدَها لا . . ولا الليلُ البهيمُ المعتكِرْ

شعوذَ الدهرُ ثراها . كلما قـرٌ ، صاحتْ منه أبواقُ السَّفرْ . .

• • •

أيُّ شعبٍ عاش ؟ والقيد به كانَ حُـراً لم يعذِّبْهُ الوطنْ !

أيُّ قيدٍ عاش ؟ والحرُّ على وجهِهِ يقذِفُ إعصارَ الزمنْ !

أيُّ حُرٍّ عاشَ ؟ لم يَرْسُفْ على عُـمْـرِهِ بالهولِ أيّانَ سكَنْ !

ضربَ القيدُ على كلِّ الخُطا فهو حادٍ . وطريقٍ ورَسَنْ !

هادم الظلام

عام ١٩٤٠ م .

وفي غمرة من ظلام لفنى بها الاستعمار على سماء الوطن العربي ، مرّت ذكرى المولد الخالد . فانتبه الشاعر إلى نورها بهذه الترنيمة . .

يا هادمَ ظُلْمِ الأيامِ   ومُذِلَّ جباهِ الأصنامِ

ومُبدِّدَ أكوانٍ ركعتْ   لبساطِ قوىً علامِ

يُغريهِ سرابٌ للبأسِ

فيقولُ لنا ربُّ الناسِ

ويخلُّ يتيهُ بما عرفتْ   لخطاهُ أكفُّ الأوهامِ

حتى أقبلتَ بإلهامِ

لا سيفَ ولا حدَّ حسامِ

ولطفتْ غلواءهُ بما حملتْ   يُمناكَ من الألقِ السلمي

فلذلكَ آيةُ الإرهاصِ

وشعاعٍ من نورِ محمدْ . .

• • •

يا مطلعَ نارٍ عجميّةْ   في المولدِ لاحتْ أبديّةْ

عجماءُ لها نغمٌ سكبتْ   بيديهِ صلاةَ الوثنيّةْ

فجثا لقداستِها كِسرى

والناسُ لها ظلّوا أسرى

حتّى انطفأتْ . . فما سمعتْ   إلا برياحٍ أزليّةْ

تحدوها شهبٌ قدسيّةْ

زارتْ بسماءٍ عربيّةْ

فانسحقتْ لظاها واحتضرتْ   لمُّ الأزلِ البهجيّةْ

ورمادُ الشركِ غدا عطرًا

يتسابقُ شوقًا لمحمدْ .

• • •

يا حاملَ فجرٍ للأممِ   سوّى الأبطالَ مع القممِ

الأرضُ بمن فيها ملكتْ   لولاهُ تزلزلُ بالظُّلَمِ

فالعقلُ بها غفواتُ سِنَه

والحقُّ بها شقيتْ حيله

والمجدُ لِركّاعٍ صُلبتْ كتفاهُ بذلٌ في القدمِ

والظُلْم قريرٌ بالصمم

والعهدُ نقوشٌ للنّغم

ونفاقُ الوجهِ كما اختلجتْ حولاهُ بضوءٍ مُنقسمِ

والكونُ يُنابيه خجلهْ

يارب اجرتنا «بمحمدْ» .

* * *

يا راقيَ دمعَ الباكينا ومُشفّعَ ذنبَ العاصينا

حمّالَ خيارى قدْ نفرتْ أعماقُ الجُرحِ بوادينا

حِدنا عنْ نُورِ الإيمانْ

فدفنا عبرَ الأزمانْ

والمنْ الإسلامِ به فتكتْ أطماعُ القومِ الطاغينا

فتمزقناهُ بأيدينا

وجبهنا الغربَ مساكينا

هدرْنا الأنفس ، واختلفتْ حتّى في الروحِ أمانينا

يارب أعدْنا لكيانِ

أبديّ في ظلِّ «محمّدْ» . .

الغصن اليتيم

عام ١٩٤٠

• والحرب العالمية الثانية تنفخ أبواق الدمار

. والعالم كله يتحفز لصراعها المحموم . .

. . والاستعمار يولول ظلامه وتجلجل أصفاده

في مصر والوطن العربي كله . . وغصن السلام يتيم العود

أغفى ربابُكَ . . لا شدْوٌ ، ولا طَرَبُ

وجفَّ حانُكَ . . لا كأسٌ ، ولا عنبُ

وزفَّت الريحُ ، هل زفَّ النشيد لها

أم ظلَّ سلمانَ هذا اليائسُ التَّعبُ

هذا الذي اهتـزَّت الدُّنيا ، وعازفُـه

ساهٍ على ضِفَّةِ الأحلامِ مُكتئبُ

نشوانُ يمرحُ في دنيا محلّقةٍ

من الخيالِ ، ترامتْ دونَها الشُّهُبُ

هزّ الطموحُ جناحَيه ، وأتعبه

انّ الطريقَ إلى الآفاقِ مضطربُ

ولنّ لبامةَ من طول ماارتفعتْ

بها النوائبُ ، أدمى قَجْرها العطبُ

تَغدو الجراح مدلاّت بشفوتها

ما دام فيها لأمجاد العُلا نسبُ

وجُرْحه راعشُ الآهات ، تحسبهُ

هشيمةَ جُنْ في تحريقها اللهبُ

ناشدتُ لوْعتَه السُّلوانَ ، فامتعضتْ

كيف التهدوءُ ولنفس الورى تجب[1] ؟

والأرض موقدُ أعمارٍ ، قد اشتعلتْ

في جمْرِه الناسُ ، لاَ الأعوادُ والحطَبُ

كأنها رأسُ مجنونٍ قد احتدمتْ

به الهواجِسُ ، واستشرَى به الغضب

---

(١) تخفق من الوجيب .

ترتجُّ فى راحة الطاغى ، كجمجمةٍ
تحت القَتَام طَوَت أحلامَها الكُرَبُ
عَلا دُخانٌ للدنيا فى سمٰوَاتِها
فزُلزلت رَهبةً من هولِهِ السُّحُبُ
وكبكبَ الناسُ للمبدانِ ، لا فَرَقٌ .
من الحِمام ، ولا خوفٌ ، ولا رَهَبُ
كأنما سَئِموا الدُّنيا وبهجتَها
فراح يُغريهمُ للفتكةِ الهربُ
• • •
الأرضُ أمٌّ رءومٌ . ما جفَت ولداً
ولا تقطَّع من أرحامها سَبَبُ
تُغيثُ جائعها حباً ، وتشربُهُ
وما تضنُّ بستر الهالكِ التُّربُ
فما لهُمْ مَزَّقوا أوصالَها طمعاً
وناهشوا الوحشَ فى الآجام واحتربوا ؟
ودوَّخوا كلَّ سَجواءَ الظِّلالِ بها
وكلَّ عَزلاءَ فيها السيفُ مُغتربُ ،

وكلّ ناسكةِ الكفّينِ ، في يدها

غصنُ السلامِ يتيمُ العودِ مرتهبُ !

وكلّ شلاّء في الطّغيان ، باطشةٍ

في الخيَر ، في يدَها الرّيحانُ والقضبُ !

زيتونةُ السّلم خلوُها معفّرَةٌ

دم للضحايا عليها هاطّل سَكِبُ

نوْحُ الليالى ، وإعوالُ السنينِ على

ترابها جوْقةٌ خرساءُ تَنْتَحِبُ

وللثكالى نَشيجٌ رَنّحُرْقَتُه

في كلّ بيتٍ تداعى ، مَضْجِعٌ خَرِبُ

ولِلأجِنّة همسٌ حول مَصْرَعِها

كأفْرُخٍ فَتّ في أكبادِها اللّغبُ

قد أعجلتْها يدُ الفتّاك مولِدَها

فعمرُها قصةٌ فوْق الثرى عَجَبُ !

هزّ الصّباحُ لها مَهْداً ، وأرضعها

قطرَ النّدى ، وكسَاها ضوْؤه القشبُ

وفى الضحى نشلت أجالها وغذت
عمراً . حديثُ الأسى عن امسه كذبُ
ميدانُ حربٍ هنا ؟ أم تلك مجزرة
دمُ الحضارة فيها راحَ ينسكبُ ؟
فى البرّ . فى البحر . فى صَدْر السماء وغى
لمخلبِ الوحشِ فيها النصرُ والغلبُ
اتتْ إلى غابه الأشلاءُ صاغرةً
لعاقَها . وتجافى نتنها السغبُ[1]
يا حان «عزرائيل» : إنّ الكرْم قد نضجت
به القطوفُ . وحيا كأسه العنبُ
قم اترع الدنّ . أولى فهى مترعةً
فاحبسْ خطاك . عداها الأينُ والتعبُ
وادعُ الندامى . وقل للظامئين هنا
نبعٌ من الموت . بالأرواح يصطخبُ
هيّا اشربوها على نخب الطفلة فهمْ
من خمرها فى ليالى الحرب كم شربوا . . .

---

(١) الجوع .

وكم تنادى ضحىً بالسلم عاهلهم

فما نجا الليل ، حتى راح ينقلبُ

وارسل البغتة النكراء صاعقة

تسف من نارها الأرزاء والنوبُ

للناس منها أعاصير مزمجرة

يرتج فى يدها الفولاذ واللهب

والموت شاعر آجال ، على فمه

ينعى النشيد ، ويرثى نفسه القصبُ

قد جنّ ، فارتجل الأعمار قافية

مزمورها من قلوب الناس منتهبُ

ترى الحضارة ثكلى فى مأتمه

معها من جراح العصر منسربُ

• • •

يا قومنا ، وتراب «النيل» ضج بنا . . .

لما كفانا عليه اللهو واللعبُ

لما كفانا كرى ، فى جنة سجدت

لها العصور ، واحنت رأسها الحقبُ !

وجلسَ (هاروتُ) يوماً في ظلالِها

فرنَّه سحرُها حيرانَ يرتقبُ

تبكي الرُقى بين كفّيهِ تمائمُها

بكاهُ راجي الأماني خانَهُ الطلبُ

وكيف؟ والسحرُ في أعتابها رصدٌ

وحُسنُها بشعاعِ السحرِ منتقبُ

هذي المحاريبُ كم رِيمَتْ بفاتنِها

فاقسمت أرضُها لن تُرفَعَ الحُجُبُ

قد ختَّمَتْ سرَّها الأقدارُ ، فامنعْ لها

مَن راح من فمِها للسرِّ يرتقبُ

وكم تحطّمَ جبّارٌ على يدِها

وكَمْ باغٍ قوىُ البطشِ مُغتصبُ

شطآنُها الخُضْرُ ألواحٌ مُقدَّسَةٌ

تنزيلُها عجزَتْ عن حمله الكُتُبُ

سمراءُ . مسكيّةُ الأغراسِ . طاهرةٌ

وفيّةٌ . ماخنتْ من عهدِها الرُتَبُ

كانت مُصلّى جبينِ الدهر ، فى زمنٍ

ملّتْ قرابينَه الأصنامُ والنُّصُبُ

والناس من نَزَقِ الفوْضَى وظُلْمَتِها

ما جوا من الجَهل كالقُطْعانِ ، واضطربوا

كنا لهم قبَساً فى الأرض نُشعِلُهُ

كَيما تضيءُ به للعالَمِ الشُّهُبُ

لولا شعاعٌ سرى من مَهدنا ، لغَدَتْ

اجيالُهُم فى ظلام الفكْرِ تَحتَجِبُ ،

والنخلُ فيها كفرسانٍ على كثَبٍ

ترنّحَ النصرُ فيهم بعد ما غلبوا

ترجّلوا ، وشلّتْ اعلامُهُمْ ، ومضتْ

رؤوسُهُم بفروعِ الغارِ تختضِبُ

إنْ هزّها الرّيحُ ، خِلتَ الجيشَ صاح به

منْ بوق «رمسيس» صوتٌ صاخبٌ لَجِبُ

وإن سَجتْ ، قلتَ عبّادٌ قد ابتهلُوا

فى مَعْبَدٍ ، حفّهُ الإجلالُ والرّهَبْ

والنيلُ جبَّارٌ أبادَ ، كم احتضَرَتْ

بشاطئيه سنونٌ واختفَتْ حِقَبُ

أمواجُهُ هتفَتْ بالناس : مِن زبدَى

ومن رَشاش هديرى ، ينْبت الذهَبُ

دَعوا الغمام وشوْقَ الموعَدين به

فلُجَّتى من سفوحِ الخُلْدِ تَنْسكِبُ

كلَّت بأرضى خُطا الأيامِ ، من سفَرٍ

ما مسَّ خطْوى به يأسٌ ولا تَعَبُ

علا وَقارُ الندى كفّى ، فما افتخرتْ

على النَّزيلِ بما تُعْطِى وما تَهَبُ

نَسَبْتُ كُلَّ غريبٍ لأهْلِه ، فغدا

مَن ذاقنى مرَّةً للنيلِ ينْتسِبُ !

• • •

يا قَوْمِ إنى وعظْتُ اليومَ ، فاستمعوا

فإننى لكُم يوْمَ الفَخَارِ أَبٌ !

خلقتْ من أرضكم للشمس راهبةً

عطرُ الخلودِ بها ريّانُ منسكِبُ

النورُ فوقَ مَجانيها وأغصُنها

متيّمٌ . شفّهُ الإغرادُ والطربُ

وحاملُ الفأس يسقيها حُشاشته

وحظّه من جناها البؤسُ والوصَبُ

من عهدِ آدم يرعاها . . . وشقوتُه

دمعُ السّواقي لها غضبانُ ينتحِبُ

الأسمرُ . القانعُ . المسكينُ . تحسَبُهُ

في الكوخ . بينَ حماهُ والبلى نَسبُ

مرّوا بهِ مثلما مرّ النعيمُ بكم

فآهِ من كفاحِ الظُلمِ كم شربوا !

والتقتوا مصرَ من خلْفٍ يكاد به

جَنانُها من صراعِ القوم ينشعِبُ

كونوا لها صفَّ أبطالٍ ، على فمهِمْ

نشيدُ مجدٍ ، بلحنِ النّارِ يلتهبُ

فإن دعا هاتفٌ للحرب ، لو رجفتْ

من بوقها نُذُرٌ بالشرِّ تقتربُ

هبّوا حتوفاً ، وطيروا أنسراً وثِبوا

صواعقاً ، بالمنايا الحُمْرِ تصطخبُ

وفي دمى النّغمُ الجبّارُ ، يلهمُكم

شجواً تعانقَ فيه السّحرُ واللهبُ

والشّعرُ لنا مِنَ الإلهامِ ساكنةٌ

لولا الأسى ، رقرقتْ أنغامَها الشهبُ !

الأحدبُ النشوان

. مع هلال شوال عام ١٩٤١ م .

. . ونار الحرب يتأجج أوارها . . وهلال العيد يرنو إلى الشرق ، مطلاً على سماء العرب . وقد مزّق الاستعمار يومئذ وحدة شعوبها ، وأخنى على ربوعها بالفرقة والشتات . .

مَن الأحدبُ النشوانُ ، طافَ العوالما ‏ ‏ وأومأ إلى الشرقِ المصفّدِ ، باسماً ! ؟

يدبُّ على ساقٍ منَ النورِ ، لم تَدَعْ ‏ ‏ على الأرضِ ركْناً مُظلمَ الأفقِ واجماً

ويمشي ، كما يمشي نبيٌّ مبشّرٌ ‏ ‏ بوحيٍ ، يزفُّ الخطوَ كالطيفِ حالماً

ويرْنُو كما يرْنُو إلى الله عابدٌ ‏ ‏ بكلٍّ منَ الإصغاءِ يحسبُ ملثما

لهُ قامةٌ أحْنتْ يدُ الدهرِ عودَها ‏ ‏ فهلْ كانَ شيخاً منْ حمى الخلْدِ قادماً ؟

تحيّرَ ، واستعلى ، وأقبلَ ، وانثنى ‏ ‏ فلوْ كانَ إنساناً قلْتُ : حيرانَ ، نادماً !

يشقُّ عُبابَ الجوّ .. لا بحرَ عنده ... ولا شطَّ ، لكنْ ينزعُ النُّورَ ملثمـا

هفا طرفُهُ في الغربِ وجداً ، لكنّه ... يريدُ انبثاقَ النُّورِ للشَّرقِ ملثما ..

أطلَّ رخيمُ النُّورِ ، تحسبُ ضوءَهُ ... تحمَّلَ إيقاعاً من الطُّهرِ ناغمـا

هلالٌ .. يكادُ المسلمون صبابةً ... يطيرونَ من شوقٍ إليه حمائمـا

أشار لأصحابهم يكشفُ مــلالي ... ترامتْ حوالَيه النُّجومُ حوائمـا

يعاتبُ من أغفتْ عن النُّورِ عينُه ... وكان لصرحِ الحقِّ في الأرضِ هادمـا

ومن راح يستجدي المساكينُ قلبَهُ ... فما كانَ وهّاباً ، ولا كانَ راحمـاً ..

ومن يسمعُ الشكوى ويمضي ، كأنَّها ... على سمعه عذلٌ يطاردُ ظالماً ..

ومن خفَّ ليلُ العاثرين لصحبه ... فلم يكُ إلا مظلمَ النُّورِ قاتمـا

ومن جاءهُ المبكي ، فمرَّ بدمعه ... وخلّاهُ منتهلَ الجراحاتِ ساجما

ومن هزَّ وسواسُ النعيمِ فضاءَهُ ... وخيَّم في أكنافِهِ الدهرُ ناعماً :

ومدّت له الأيامُ كفّاً ينيمهُ ... فكانَ لها مرحاً يعبّدُ المآتمـا

ومن تزدهي الدُّنيا جمالاً وعفَّةً ... ويعمى فيستقي من بنيها اللثما

ومن كان مثلَ الشرقِ ، تغلي جراحُهُ ... فيتركها للداءِ تغدو مغانمـا

مضى كلُّ شعبٍ للسماءِ موحَّداً ... ونحنُ على البلوى ، عشقنا التقسُّما

حملنا حمى الإيمانَ والنُّورَ ، والهدى ... فكيفَ غدونا للعبادِ غنائماً !

وما نحن إلا مهجة، من لظاها | لظى ربحتنا بنيها اللظى والسمائما
ملأنا ترابَ الخالدين، وصغنا | ثرى مشرق ضم العلا والمكارما
بنا قلب لبنان تنهد بالأسى | سمعت حفيف الأرز في النيل جاحما
وإن أرعشت موج الفرات كآبة | رأيت أساها في ربى مصر غائما
وإن أسعدت مصر الليالي، سمعتها | حنيناً بقلب الشرق رنان ناغما
أيا نيل خذ عنا الزمام وطر بنا | ولا تخش ليلات الخطوب القواتما
عهدناك في الأهوال تحمل راية | عليها أغاني للمجد تستبق الحمائما
ويا ما أعيبلي موجة فيك حرة | تنزف تستهدي للعباد عظائما
ويا ما أعيبلي جنة فيك نضرة | تمنت لها الخلد منها النسائما
تغنيت رقراقاً، واشتجيت هادراً | كأنك تشدو للزمان ملاحما
خفقت بصدر الشرق سراً مقدساً | من السحر أغنى رهبة وطلاسما
على شطك الميمون مجد، وسيرة | يهز جناب الشمس بلسا علائما
تألقت، تزّ الدنيا عرتها بقاتة | من الجن، هدت قلبها والمعالما
غدت ملعباً للموت، هنا مجندل | وهنا صريع، والجناة كلاهما
إذا كان هذا الهول يدعى حضارة | فنحن على التجديد نرسي دعائما

• • •

فيا شرقُ حطِّمْ النومَ ، فلتنهضْ ، فإنّما يدُ الذلِّ تجتاحُ الشعوبَ النوائما

تزوّدْ من الأخلاقِ ، إنّ سلاحها يفُلُّ حديدَ الظلم إنْ هبّ غاشما

ثراك مِهادُ الأنبياء ، بشطّه تدفّق نورُ الكونِ كالسيلِ عارما

فلتشعلّ رمادَ الهامدين ، وقلْ لهم هنا جذوةُ الماضي تثيرُ العزائما

واصغِ إلى بوقِ النشورِ ، يهزُّهُ على الشرقِ صدّاحٌ على الأيكِ حالما

فتاكَ يُناجي العهدَ للفتّاحِ قلبُه فلم يترك الشعرَ راشدًا ، ألمْ تعلما . . .

صرخ القيد

زأر النيلُ مؤذناً بصباح

هو للغاصبين ليل القبور

١٥-٥-١٩٤٦

صرخ القيدُ صرخةَ المستجير بين عطرِ الربى ونارِ الصخورِ

وعوى الموجُ فى الضفاف . فأصغيتُ لصوتٍ يسوق هولَ النشورِ

وسكتُ الأنواء . والسهر . والقيعان . . حتى على صباح النذيرِ

وانزعى السحر والجمالَ . فإنّ القيدَ خلّاهما لخطوِ المغير

واسمعى قصةَ السياسة فى الوادى ففيها عجائبٌ للدهور

• • •

قلتُ للنيل ، وهوَ يجرى بجنبيّه كغيبٍ مستعجلٍ فى المَسيرِ

او كسرٍّ مغتضبٍ ، أطلقتْهُ ثورةٌ شبّها عذابُ الضميرِ

او كركبٍ مُـتَـمْـتِـمٍ باغانٍ   لم يُبقِ سِحرَها لغيرِ الشعُورِ

او كخلدٍ يسوقُ شيئاً ، ولا يَعْـلَـمُ عنه حتى خَيالَ المصيرِ

قوةٌ باسها يشلُّ يدَ الدهـرِ ، ويجـرى على رفـاتِ الدهـورِ

لم يقفْ مرةً ، ولم يرْنُ عنه الخلقُ يوماً سوى اكتساحِ العصورِ

يتأنّى . فتحسبُ الموجَ فى شطيهِ ، حوراً غوافياً فى الخدورِ

ويحسُّ القيودَ تـغـلـى . فـيـروى لروابيه نهشها فى الهديرِ

هادئاً ، صاخباً . . واحتارَ إنْ زرتُ حماه للكشفِ والتفسيرِ

دسُّ أسـرارِ قلبـهِ ، وحكاها   للشـوابيفِ والربى والطيـورِ

ورَوَى الرعاةِ من عهد موسى   قصةَ الظلِّ ، واختلاجَ الهجيرِ

خيمةٌ ، تحت نخلةٍ ، حولَ كوخٍ   بين اغنام قـابعٍ مُـسْـتَـجيـرِ

ما هنا تَـنْـقُـرُ العصا ، وهنا الدلوُ . . وكاسى على خضمٍ غزيـرِ :

لم لمْ تسقنى فتخضرُّ اوتارى ، ويُشجيكَ طائرُ فى ضميرى

انا ظمآنُ ! والقيودُ ثقيلاتٌ ، فمن اينَ مسلكى للغديـرِ ؟

ايُّها الكاهنُ المحمّلُ بالأسرارِ . . اطلقْ جناحَـهـا ليخـورى

انا احرقتُ كلَّ مسكى واعوادى ، وما زلتُ ، دائراً حولَ سُورى

املأُ العشبَ ، والرمالَ ، واتيكَ . اما فرجةٌ لهذا الأسيرِ ؟ !

أيها الحرُّ ! علِّم الناسَ شيئاً من عواديك في كفاحِ المُغيرِ

وارْوِ عن غابكَ المصفّدِ في الشّطّيْن بالظُّلْم ، والعذابِ الكبيرِ

واضطهادِ العباد ، والبغْي ، والتّفريقِ ، والنّفْيِ ، واضطرابِ الأمورِ

ضرَبَ الغاشمونَ ليلاً على الوادي ، وهمُّوا حيّاتِهم في الصُّدورِ

بذروا شمْلَهُمْ ، شمالاً جنوبًا وتعالَوْا في النّصّ والتّقريرِ

ومَشوْا كالضّلالِ تَفْتكُ ما شاءوا بروحِ الجهادِ والتّحريرِ

نحَر اللهُ كيْدَهُمْ ، ورماهُمْ بجحيمٍ منَ الكفاحِ مَريرِ

زارَ النيلُ مؤْذناً بصباحٍ هو للغاصبين ليلُ القُبورِ

أنتَ يا نيلُ . . أين من أفُقِ التّمْرِ ومن ليْلِه سَماءُ الكفورِ ؟

أينَ من شَطّك المنَوّرِ جوٌّ نفنفَتْ فوقه رياحُ البحُورِ ؟

أين شمسٌ عليكَ لا تعرف البُرْقُع بالمكرِ والرِّياءِ الجهيرِ

أين منها جزيرةٌ تَقْبعُ الشمْسُ على بابها بجفنٍ ضريرِ ؟

أيـن قرصان لُجةٍ وظلامٍ ، من ضفافٍ تبرّجَتْ للعُصورِ ؟

حملَتْ كفُّها المشاعل للدُّنيا ، وطافَتْ على الوجودِ الغريرِ

كنت تجري ، والسيف في كفّك الخضْراء ، والنصرُ قبل صوتِ النّفيرِ . .

قل لهُم : نحنُ أمة تعشق الهَوْلَ ، ونجري لحتْفِها في الصخورِ

اضيوفٌ عليكَ سبعين عاماً نزحوا الطلَّ من حماك النضير

ثم عادوا سلاسلاً وقيوداً تتلهّى بباسك المستطير ؟

قل لهم : هاجتَ القيودُ بساقيَّ ، وشبّت اغلالُها في سعيري

لا تظنّوا السُّجُونَ تفعل شيئًا غيرَ بعثِ الرُّفاتِ تحت القبورِ

ظلمةٌ تخلقُ الضياءَ ، وليل دقَّ أجراسَهُ ليوم النشورِ

كلّما صبّ نارهُ انتفض الأحرارُ للبعث قادماً في الصدورِ !!

من عميق الرقاد

٢٥ أغسطس عام ١٩٤١ م .

من وحي الغارة التي وقعت على الاسكندرية إبان الحرب العالمية الثانية ، وسراة القوم غافلون عن أنين الضحايا وكرب المشردين .

عبيد الخزائن . . . طوفوا بها … كما طاف نعش الهدى بالصنم ؟

وأدوا الصلاة بأعتابها … عساها لكم كعبة أو حرم

وبثوا الكنوز حديث الهوى … لعل شذا المال يروي النهم

وقفتم هواكم وأحلامكم … على الخرس سرمدي الحكم

له رنة في حشاكم لها … صدى عازف عبقري النغم

غزا رقة دهركم مثلما … غزا النور ليل دجي الظلم

عبدتم جماداً على وجهه … لجرح الندى لهفة تبتسم

ظلمتم صباه، فشيبتمو | هُ كما شاب في الأمر معنى القيَمْ
سجنتم خطاه بأيامكمْ | ولذتم به في زوايا العدمْ
إذا امتد ضوءٌ لمحرابه | تبحثتم خطا الشمس فوق القممْ
وإن رف حلمٌ على مهده | نسجتم فناءً لهذا الحلمْ
سهرتم عليه كأم الوحيدِ | سرى للنهال فيها هوى محتدِمْ
قلوبٌ سواهدُ مثل الأعيُنِ | شرايينها ساهدات الضرَمْ
وقفتم بها وقفة الذيبانِ | وطفتم بها طوفة المستلِمْ
على رصدٍ كفنت سره | يدٌ سرها في الجماد الأصمّ
يسمونه المال وهو الذي | يميل الحظوظ ويملي النعَمْ!

• • •

أما جاءكم نبأٌ عن فتى | جراحات مصر به تضطرمْ؟
بكى الثغر حتى سرى دمعه | مع الريح رقيا لهيب ودَمْ
يعانيكم موجه في الصفاف | وللموج شعرٌ شجيُّ النغَمْ
إذا أذن الفجر في أفقه | يؤذن عزريل فوق الأكَمْ
فتهوي قصورٌ لها في السما | جبينٌ على النجم عالٍ أشمّ
وتهوي قبورٌ على أرضها | تكاد من الهول تبكي الرممْ

٧

الأمن لسارين تحت الدجى | يسفرن من كل بؤس وهم
تهاجر ليلا بهم والطوى | بأحشائها وقدة من ضرم
لهم سيرة راح يروي الأسى | أساها بدمع كصب الديم
ديارهم أقسمت لا ترى | غير الخراب لها بالقسم
فلما تهاوت على أسها | ودك الثرى صرحها المنهدم
مشى الموت فيها ضرير العصا | ينقل في كل عمر قدم
تنوح بكفيه زمارة | إذا نام زمارها لم تنم(١)
نما غابها في خراب البلى | وطاف به الشؤم يسقي الأجم
سقى فرعه من صروف الزمان | رزايا مشعشعة بالنقم
بأدغاله لاذ جن الفلا | وبوم الدجى بذراه اعتصم
نما غابها . . . ليته ما نما ! | ولا من حشاه عوى أي فم
إذا ولولت في ظلام الخفاف | أصاب البلى من صداها صمم
فلا صرخة الطفل تلوي خطاه | ولو ذاب فيها حشا كل أم !
مفاجئة ، لا تعي ما الوعود | ولا ما العهود ، ولا ما الحرم ؟
إذا صفرت ، ذاب قلب الضباء | ومس الدجى وجهه المدلهم

---

(١) صفارة الإنذار .

تخيّرت الليلَ مسرى لها ... كماريةٍ تشتكي للسّدَمْ

عواءُ الثعالبِ لدى نوحها ... ألذُّ استماعاً وأشجى نغَمْ

تنادي، فينبشُ جرحَ الأثيرِ ... على قانياتِ اللظى والحمَمْ

طلولٌ، لم يدرِ ساقي الحنيد ... أهولاً سقى قلبَها أم ضرَمْ ؟

وهل ساقها للوغى سائقٌ ... من الجنّ لم يعصفْ من عدَمْ

يغيبر بها والكرى نائمٌ ... وليلُ الحمى راهبُ المعتكمْ

ولليلِ إغفاءةٌ أقبلتْ ... عذارى الخيالِ بها تستحمْ

سجَا واطمأنَّ كأني به ... نبيٌّ يباركُ خطوَ النسَمْ

وفي وجهه قصةٌ لم يزلْ ... معَ اللهِ قرطاسُها والقلَمْ !

أغارتْ عليه رياحُ المنونِ ... فضجَّ لها موجُهُ المرتطِمْ

وحلَّتْ من الروعِ شطآنُهُ ... نداءً يصيحُ بموتى الهمَمْ :

متى تنفخُ الصورَ في أرضكمْ ... فكونوا البشيرَ لبعثِ الأممْ

دعوا الهولَ يلقى كما يشتهي ... فإنّا ألفناهُ منذُ القدَمْ

يديرُ علينا خطا الساقياتِ ... على جبلٍ سرمديِّ الشمَمْ !

على خمرةِ الصبرِ ملنا به ... نشاوى بسحرِ الأسى والألَمْ

فمَنْ رامَ كبدَ الحمى ويلَهُ ... سيشقيهِ جهلُهُ للنقَمْ !

وتستفيه من سُخْريات الفَناءِ — عَتِيٌّ على الدهرِ يَنْعى الهَرَمْ

أبو الهَوْلِ فينا يَسُوقُ الزَّمانَ — ويَرْعَى اللَّيالِيَ رَعْيَ الغَنَمْ

فما الهَوْلُ ؟ ما خَطْبُهُ إنْ نَجَا — سِوى هاجِسٍ بخُطانا أَلَمّْ ؟

• • •

دَعُونا نُحِسُّ الوَغى واللَّظى — وإنْ كَرْبُهَا فى ثَرانا احْتَدَمْ

فما يَصْرَعُ المِحَنَ المُبْكِياتِ — إلاَّ الذى ذاقَها وابْتَسَمْ !

دَعُونا نُحِسُّ لَهِيبَ الخُطُوبِ — وإنْ جَمْرُهَا فى حَشانا اضْطَرَمْ

سَئِمنا حَياةَ الزَّمانِ المريضِ — وعَيْشَ الزَّمانِ السَّقيمِ الهَرِمْ

دعونا نُقِمْ مَجْدَنا فى النُّجُومِ — فمن ضَوْئها قد نَسَجْنَا العَلَمْ

سَتَقْصِفُ ليلتُنا بالوُجُودِ — وتَهْزَأُ أرواحُنا بالعَدَمْ

ونَبْنِي جَديداً لِتاريخِنا — كَفَلْنا فَخاراً بِسِحْرِ الكَلِمْ

تَمَرَّدتِ الأرضُ تَبْغي الوُثُوبَ — فما بالُنا بالكَرى نَعْتَصِمْ

ألا فلْنَقُمْ من عَميقِ الرُّقادِ — فلا بَعْثَ للجيلِ إن لم نَقُمْ !

الجـــلاء الكـــاذب

مع النيل عام ١٩٤٨ م .

وعلم الاحتلال يخدع الشعب بنزوله من معقل الاستعمار

في «قصر النيل» بينما هو رابض على ضفاف القناة . !

عـــابرٌ يحـــمل في جنبيــــه أسْــرارَ الزّمـــانِ

وعلى كـــفّيْـــه للعـــشّـــاقِ خـــمـــرٌ وأغـــانِ

مـــرّ بالدنيـــا قـــديمًا فـــشـــجـــاها ، وشـــجـــانى

قلتُ من أنتَ ؟ فــــقـــالتْ مَـــوْجـــةٌ فـــوق عُـــبـــابِهْ

ســـاحـــرٌ يجـــرى ، وحلْمُ الدّ هْـــر يجـــرى فـــى ركـــابِـــهْ

أغـــريبٌ أنت يا نيلُ مـــشـــوقٌ للمـــغـــانى ؟

أم حـــبـــيبٌ يسكب الأشـــواق في كل مكانِ !

* * *

قلْـــتُ للـــروح هنـــا الخُـــلْـــدُ ! فـــمن أيـــن أتـــاكـــا ؟

وسألتُ الطيرَ : مَن أعطاكَ نايا ، ورعاكَا ؟

وسألت العُشب : مَن سوّاكَ عطراً ، وسَقاكا ؟

ثم أصغيتُ . . فلم أسمع سوى آهاتِ صدْرى

وأنا المُوج يُغنّى ضاع فى الشطآنِ سِرّى

كلُّنا يا نيلُ ، أصبحنا حَيارى فى هَواكا

كانت النشوةُ تُجرينا رحيقاً فى حَشاكا . .

• • •

هاتِ ما عندكَ من سرٍّ يهيب الروحَ هاتِ

لا عَصا موسَى أتاعتْه ، ولا نأى الرُّعاةِ

من قديم مسّه موجُكَ بين الربَوَاتِ

غنّتِ الريحُ له كلَّ صباحٍ ومساءِ

ومضى كُهانُ منْفِ حولَه كالغُرباءِ

وهُو فى نَوح السّواقى والحقولِ الظامئاتِ

آيةٌ للسّحْرِ طارتْ من جبين المعْجِزاتِ

• • •

مِن رَوابى الشمس يَمشى وتُغنّيه الشّعابُ

والجبال الشمُّ أهلوه المقيمون الغضابْ

وقفوا صفّين.. والأفق خشوع وارتقابْ

وهو في ابراديه الخضر نبي في السهولِ

نورت ايامه بالسحر في كل الحقولِ

اينما حلَّ.. فعطرٌ، وربيعٌ، وشبابْ

والرؤى.. أعراسُ حب، وندامى، وشرابْ

• • •

خطوةٌ هان صبّا الدنيا وأحياها صباهْ

كم على أعتابه، خرّتْ رقاب وجباهْ

وعلى أعتابه، باتتْ قلوب وشفاهْ

رقصتْ من سحرهِ زنجيةٌ خلف الجبالِ

وشكتْ نارَ الهوى حوريةٌ عند الشمالِ

ولكم يزوي عن الحبّ، ويخفي شاطئاهْ،

ويصونُ السرَّ لا ينكر ما تُندي يداهْ،

• • •

لم يزلْ في جوّه من خَبَلِ رمسيسَ الصهيلْ

وخُطا عَمْرو على الشطآنِ يرويها النخيلْ

وأغاني المجدِ كانتْ من رُبى الشمسِ تسيلْ

رفَع الراية للأرض قديماً وتهادَى ..

ومضَى والنورُ من ضيفانه يهدي العبابا

إنْ يكُنْ في لهَبِ الأغلالِ ألقاهُ الدّخيلْ

فهي نارٌ سوفَ يسقيه بكفّيْها الرّحيلُ ..

• • •

هاجَ قلبي حين رنّتْ حولَ ساقيه السّلاسلْ

فسمعتُ القيدَ يَغْوي في قلوبٍ وخمائلْ

يا رخيمَ العهد مَنْ قطّعَ أوتارَ البلابلْ ؟

منذ سبعينْ . ولأنغامك تنويحٌ وثُكْلُ

ووعودُ القوم في واديكَ إخلافٌ ومَطْلُ

وعلى شطّيكَ أكبادٌ جرارٌ كالمراجلْ

مزّق الخُلْفُ مآقيها فناحَتْ بالمقابلْ ..

• • •

قيلَ : إنّ الذّئبَ عن غابكَ يا نيلُ ترحّلْ !

آه لــــــو كـــــانَ علـــــى الأسوارِ لا بأوبه مُـعـتـقـلْ !

فــى غـــدٍ نـمشــى إلـيــه صـفُّ أحـرارٍ بـجـلْـجـلْ

لا تـرى فينا أخـاً يَخْـذِل فى الرَّكْبِ أخـاه

فى سـبيلِ الـعـزَّة الكبرى سيحدونـا الإلـه

نحـن للأغــلال حـتـْـفٌ من يـد الشعب مُـعـجَّلْ

وكتـابٌ أنت فيه السحـرُ والحـــبُّ المنـــزَّلْ ..

• • •

خَـرجـوا مــن قـصــرك العاضب خرْساً مُطْرقيـــا

لطـمـــت رايـتُـهُـــمْ فـى الأرض خَــدّاً وجـبـيـنـــا

عفـرتْـهـا ذلَّــةُ البَـغْــيِ ، وقَـهْـــرُ الظالميـنـــا

نزحوا للرَّمْلِ يأويهم من الخِزْيِ سرابْ

وغداً .. للبحر يطويهم سـفـيـنٌ وعُبابْ

كـم مـشـــوْا فــوق دم الأحـرار شُـمَّـا شـامخينـا

ورلوك : اليـوم غـضْـبـانَ . فـمـــاتـوا صــاغـريـنــا .

• • •

وإنا غـــاضـــبٌ فـــى الشلال عضتْـهُ القـيـودْ

فهو سائبكَ ومُجْرِيك، وحاديكَ المُعْتَمِدُ
لَسْت حراً .. وهُمْ مِنْ نبعه العالى وُرُودُ

فاجمع الوادى إليهم لمّةً فى شاطئَيْنِ
وانفُخ الصُّور عليهم صيّحةً من أخوَيْن

رمس الرزقُ نولى وانتهى منه الغميدُ
وأتاك البعثُ يغلى غارةً، جيلٌ جديدُ !!

التيه والشرق

في ظلّ النكبة الاستعمارية التي حبكها الاحتلال الغاشم عام
١٩٤٨ يوم أن نقلوا علم الغاصبين من قصر النيل إلى
شواطئ القناة وراحوا يفتكون في الظلام بوحدة
الشعب العربي من منابع النيل إلى جبال طوروس
والشعب حين همس لدعاته . وكرب الجلاء . تزلزل
ناره من وراء الأسداد

يوماً ضاع السرّ من يديّا وأطبق اللّيلُ على عينيّا
ولم أجد فوق الحياة شيّا يُطفئ للعذاب الهادر الخفيّا
إلاّ غنائي في الدُجى . . يا ربّ !

• • •

طرقتُ بالأنغام كلّ باب وطفتُ بالرّحيق والأكوابِ

ولم أدعْ أفقاً بلا شرابِ — وعُدْتُ لا أحملُ في عِيابي

غيرَ الأسى يَسْقي الأسى في قلبي !

• • •

عبرتُ بالسُّهولِ والأجبالِ — وبالضُّحى المُحيّرِ الخَبالِ

وبالغروبِ الساخرِ الزَّوالِ — وبالدُّجى المُغمغمِ السَّعالِ

وبالليالي سِرْتُ كلَّ دربِ

• • •

وغصتُ في الصدورِ للأعماقِ — وطِرْتُ حتى أعولتْ آفاقي

وضجَّ تحتي واشتكى بُراقي — واندهشَ الطيرُ لما أُلاقي

من عَزْمتي الكُبرى بغَيرِ حُبْ ،

• • •

همستُ من جنبيّ هنا الشَّجنا — وصاحباً في الشجوِ يدعى أرغُنا

ولم نزلْ نشدو ويصغي الزَّمنا — فهلْ رأينا للأغاني أُذُنا

تُصغي لهذا الوَهَجِ المُنْصَبْ ،

• • •

خمدتْ هنا القيودُ والسلاسلْ — وهاجت الأوكارُ والبلابلْ

وراعَ فينا القاصفُ المقاتلْ — واختلطتْ في ليلنا النوازلْ

يا ربّ فجراً عاجلاً للكَرْبِ !

• • •

نحن هنو الشرق الأبلهُ الصيدُ نحيا به كلنا عبيدُ

يا طيرُ هنا خلدكَ الرغيدُ فكيفَ أنت الحائرُ الشّريدُ

ووارد النبع طريدُ الغربِ ! !

• • •

لا همُّ صبّ النارَ في السواعدِ واضربْ بها في هذه الشدائدِ

أغلالُنا شاهتْ . وكم من حاصدٍ ومنجلٍ يغرى المنايا هامدِ

يا نارُ فينا إنْ صبرْنا شبّي . .

• • •

ملّ شرانا مدُّ القيودِ وفرية الميثاقِ والوعودِ

وباطلُ الأزْيَنِ للعهودِ شريعة اللاهين بالوجودِ

لهو الراعي بعواءِ الذئبِ . .

• • •

ويلاهُ منهمْ في زمانِ النّيلِ سبعون عاماً خيّموا في الغيلِ

عاثوا وخانوا حرمةَ النّزيلِ حتى دهتهمْ صيحةٌ للجيلِ

فجرجروا اعلامهم فى الترب !

• • •

ولم تزل منهم لدى القتال | حثالة حطت على الرمال
من يدر فليرحم جوى سؤالى .. | إنى بهم من أتعس الجهال !

علام لم تلحق بباقى الركب ؟ !

• • •

ماذا دهاهم فى جنوب الوادى ! | جنوا فشبوا الخلف فى البلاد
واضرموها فتنة تنادى | بالظلم والتعذيب والفساد

ومالها إلا الصدى ملب

• • •

وصفقوا فى غابة الاحرارا | فعلا والقلوب بهم أوارا
من أين جاءوا شرذما حيارى ؟ | وكيف جاسوا هذه الديارا ؟

يا لعنة الله عليهم هبى ! !

• • •

من أين جاءوا يا «ساره» ألفت الموكبا | فرحت فى الخرطوم تمشى عجبا !
وحولك الأفواه تحدو للقربا | والراية الخضراء تهتز غضبا ..

لقصة زيفتها الشعب

• • •

نسيت عهد الثلج والقواقع وسيرة الفرصان والزوابع

وأمة قامت على المنابع تريد شرك الشمس بالمطامع

ولو تطبق لا نعت فى الغضب !

• • •

فى المسجد الأقصى نرات ثعلباً تخفى وتعطى لليهود الحطبا

تلت لهم لما أروها الذهبا وحذروا إيامها التقلبا

فانقلبت تسعى لهم فى الترب ! !

• • •

رباه ما فى الشرق جرح لا يئن ولا على الإسم قبر وطن

فى كل وادٍ منه من بقى الزمن نار وإحراق وبلوى وفتن

رباه زلزل قيده يا رب ! !

• • •

أرجوحة الظلم

عام ١٩٤٨ م

وقد تجمّد الإقطاع وصمّ سمعه . في ظل الاحتلال .

فلا دمعة ملتاع تُرقأ . ولا لهفة مظلوم تُجاب !

(الطفلة والأرجوحة . . في ملتقى الريف !)

حول الحمى يا غانية   طفلٌ حشاه دامية

تبكي عليه الساقية   وأنتِ فوق الرابية

مشغولةً بالقدح

«هنا أوانُ المرحِ»!

• • •

إياك أن تخطري   في جوّه المعفّر

أخشى دخان المجمرِ   على صباك النضر

رقّ النسيم فاسمحي ..

«هذا أوانُ المَرَحِ!»

• • •

تلفّتي للأُفُقِ عند احتراق الغَسَقِ

عادتْ إلى هذا الشفق أمْ تَرِيقْ ما بقي

من دمعه المُنْسَفِحِ ..

«هذا أوانُ المَرَحِ»

• • •

فَرَوِّيها .. زَوِّدِي بالنَّفْحِ والتَّنَهُّدِ

ولا تخافي من يَدِ مَجْرُوحَةٍ .. أوْ كَبِدِ

ملّتْ نداها .. فافرحي

«هذا أوانُ المَرَحِ!»

• • •

هذا الحرير الناعِمُ عليكِ ... نَوْحٌ باسِمُ

لفتِ العَزَاءِ الآثِمُ تلقّي به المآتِمُ

أحزانَها في الفَرَحِ ..

«هنا أوانُ المَرَحِ»

• • •

إنْ مَـرَّ راعٍ حولَكِ   فهو طروبٌ مثلُكِ

لكنْ غناهُ يشتكي   وأنتِ مِنْ تهتُّكِ

غنّيتِ بين نَوْحِ..

«هنا أوانُ المرحِ!!»

• • •

خيـــر وخمـــر

عام ١٩٥٠ م

مع الحفلات الراقصة بليلة العيد

رأيتُ مطوَّقةً بالزُّهـور ... وبالخمر، والليلِ، راحتْ تدورْ

تنادي على الكأس: يا جرعةً ... من السِّحْر تنفي ظلامَ الصُّدورْ،

هَبُوني بها الخير.. إنّي إليه ... وجدتُ طريقَ البرايا عَسيرْ

سألتُ عليه دُخانَ القُرى ... وأكواخَها اللاهثاتِ الجُحُورْ

وعطرَ البروج، وأحلامَها ... إذا اتَّشحتْ بالضِّياء القُصورْ

وساءلتُ كلَّ غنيّ الجبينِ ... عييِّ اليمينِ، غبيِّ الضميرْ

وكلَّ أخي نعمةٍ في الحياةِ ... على البؤس أغفى بجفنٍ قريرْ

وكلَّ نقيٍّ صبا للصلاةِ ... وكلَّ غويٍّ صبا للشُّرورْ

وكلَّ الذين عَلَوا بالوجوهِ ... على قمّةٍ من هوانِ الظُّهورْ

وكلُّ الذين هَوَوْا للحضيضِ — وهُمْ منْ إباءٍ بقلبها نُسورْ
وطوّفتُ في كلِّ فجٍّ وعُدْتُ .. — كما عادَ قبلهُمْ سوءُ المصيرْ !..

* * *

مُنَجِّمةَ الخير ! . لا تَعتبي — ولا تكذبي .. فالرّزايا كثيرْ
ففي قاعِ كأسكِ نامَ النّدى ؟ — وحامَ الهُدى فوقَ هنا المصيرْ ؟!
وتلك السواعدُ . ماذا بهنّ ؟ — صولجي سناً ، أمْ مداري عطورْ ؟؟
يُرِدْنَ السبيلَ إلى المكْرُماتِ — ومنهُنّ يَعْرى شذاهُ الخدورْ ؟
ضممْنَ الأناملَ حولَ الرّحيقِ — كما ضمّتِ الفجْرَ رؤيا فجورْ ..
هتكْتِ بهنّ حياءَ الظلامِ — ومزّقْتِ عنه الحجابَ الطّهورْ !!

* * *

فيا حيّةَ الليلِ رُدّي السُّمُومَ — كفانا ضنًى من أساها المريرْ
كذبْتِ على الله !! ما للهوَى — وما للطِّلاَ ودموعِ الفقيرْ ؟!
صُبابةٌ أسْكَرَتْ وَجْدَها — وطافتْ بأشواقه تَسْتَجيرْ
مُرنّحةَ الصوتِ . سكرى الخُطا — يُوسوسُ فستانُها للعبيرْ
على نصفِ ثوبٍ .. تجُرُّ الحياةَ — عزيزَ الرّدى كفّنته العطورْ
وتمشي بنصفٍ يعافُ الستورَ — ويجْزَعُ إنْ مرّ طيفُ الحريرْ

تـدورُ على أعيُـنٍ جـرمـتْ وحطتْ هَواها بلجْكِ الصدورْ
أعاجيب لَهْوٍ تُذيبُ القلوب وتَغْتَـالُ منها بقايا الشُعُورْ
لمنْ لهنّ يوحـى إليها الندَى !! ومن أيّ تربٍ إليها يسيرْ !
بنى وطنى .. صيّحةً حُرّةً ولحنٌ من الظلمِ عانٍ أسيرْ
إلى الله ردُّوا طريـقَ الحياةِ فما غيّرهُ من لساها مُجيرْ
وفيه السكينـةُ للحائريـنَ وفيه الرِّضَـا ، والأملُ الأخيرْ !!

اللاجئون

عام ١٩٥١ م .

بين الخيام ، والظلام ، وهدير السيول في أرض

المعراج . . وفي شتاءٍ مغرور الرياح .

مسعور العواصف ، جرفت أمطاره خيام اللاجئين

والزمن لاهٍ لا يسمع ، والجلاد هالع لا يهمع .

وصرخة الأحرار مكظومة وراء القضبان . .

تتحفز لصيحة البعث .

بكى عليّ الصدى واللحنُ والوترُ ... ولم أزلْ لعذابِ الشِّعْرِ أنتظرُ

نومتْ إليّ سوالفيه . . فقلتُ لها ... ماتَ الربيعُ . وماتَ العطرُ والزَّهَرُ

دُوري على نوْحكِ المهْجورِ في أُفُقٍ ... ناحَ الترابُ عليه . واشتكى الحجَرُ

لا ترقبي عائداً بالنّاي . أو نغماً ... تُعْطيك بعضَ الهوَى من شجْوِه الذِّكَرُ

ولا تظنني صلاةَ الوحي آتيةً   إنّ المصلّين بالإلهام قد عبروا . .

إنا غريبان ساق الظلمُ أدمعنا   إلى فجاجٍ بها يستوحش القمرُ

في رحلةٍ لا تعي الأيامُ وجهتها   ولا يتاحُ لها حِلٌّ ولا سفرُ

ولا ديار ، ولا أهل ، ولا سكنٌ   ولا حياة ، ولا عيش ، ولا عُمُرُ

كأننا في خضمّ الريح عاصيةٌ   من الغصون رمى أجيالها الشجرُ

تلفّتي . . هاهمُ في الأرض إخوتنا   تعاورتهمْ خطوب الدهر والغيرُ

كانوا بأوطانهمْ كالناس . . ولتنتبهوا   فهاهمُ من وجود الناس إن نكروا

مشرّدون بلا تيهٍ . . فلو طلبوا   تَجدّد التيه في الآفاق ما قدروا

يلقى الشريدُ فجاجَ الأرض واسعةً   لكنهم بمدى أنفاسهم حُشروا

في خيمةٍ من نسيج الوهمِ . لفّقها   ضميرُ باغٍ بمجد العُرْب يأتمرُ . .

لو هي ولو هنَّ حبلاً من سياسته   لو مسّها الضوءُ لانقدّت بها السُّتُر . .

تغدو الرياحُ بها نشوى مقهقهةً   كأنها بشقوق النمل تنحدرُ

لو أنها حين تذروها سنابكها   لضعفُ شيءٍ تلاشى . . تالله أثرُ !

تهتزُّ إن نامت الأحلامُ مفزعها   بنسمةٍ بظلال الخلد تأتزرُ

وتنشب الذعرَ في الأوتاد هاربةً   في صدر ساكنها إن زارها المطرُ . .

فكيف لا تتّزنبر السيلِ ؟ كيف غدت ؟   وويله كنبال الموت ينهمرُ !

وحرّةٍ لم يدعْ في الدهرِ ثاكلةً   في جفنها دمعةً للثكلِ تنحدرُ

جفّت دموعهمُ من طولِ ما نزفوا   فجاءَ ينزفُ عنهم كلَّ ما ستروا

وينفخُ الصورُ من بيروتَ يصخبُ به   هولَ العذابِ فلا يبقي ولا يذرُ

لعلّهُ يقظةُ الأحرارِ ، أرسلها -   لثائرٍ يحتفي به قدْ وعدَ القدرُ

لعلّهُ الصيحةُ الكبرى تدقُّ على   بابِ الجهادِ ليومٍ لغزةَ عسرُ .

تلقى به عصبةُ الشذّاذِ آخرةً   على صداها ذئابُ الغربِ تنتحرُ

وتمّحي قصةُ (صهيون) لنَنفِها   وكمْ لبهتانها من زيفهِ صورُ

لعلّهُ الهولُ ، والرحمنُ أرسلهُ   لتستردَّ به أمجادَها مُضرُ

لعلّهُ عزّةٌ جاءت مجلّلةً   لكي يصيخُ إليها النائمُ الخدِرُ

يا منْ لقومٍ على الأوحالِ ينهشهم   غولُ الشتاءِ بريحٍ فجرُها عكِرُ

ملفوفةٌ للشمسِ من محنةٍ راحتُها   عضتهُ أفعى سرى من نابها الخطرُ

إن لم تنلهُ الردى يوماً . فرحمتُها   لن تنبتَ السُّلَّ فيه ثم تنحسرُ

كانوا عراةً ، فغطى البردُ أعظمَهم   والجو خفَّ لهم بالموتِ يعتذرُ . .

وكبكبوا في مخاضاتٍ يهلُّ بها   خطوُ الرياحِ ، وتنعى نارَها سقرُ ،

ما بينَ طفلٍ تمدُّ الراحَ نظرتَه   وأمُّه في مطاوي النزعِ تنفطرُ

وغادةٍ تمهلُ الأقدارَ فتنتَها   في بهتةِ الأفقِ لم يُتركْ لها خبرُ

طارتْ ، وعادتْ . . وصارتْ في مفازعها   حمامةً في منار المسجد تنتحرُ

وطيفِ عزّجون شيخٍ . في نهايته   مع العصا كان شبحاً ، ثم ينتثرُ

• • •

أسطورةٌ تُخجلُ الدنيا حكايتُها   بل نقمةٌ في حشا الأحرار تستعرُ

عمّا قريب يدُ القهار تطلقها   نارًا بها عصبةُ الأشرار تنبترُ

وتستردُّ فلسطينُ بيارقَها   مرفرفاتٍ بمجدِ النصر تزدهرُ

ويملكُ العربُ الأحرارُ أرضهمُ   والله أعظمُ . . إنّ الحقّ منتصرُ !

خيمة البهتان

٧ يناير ١٩٥٢ م .

لاجيء من عرب فلسطين الأحرار يستصرخ لظاه العربي من وراء خيمته ، وقد هبّت عليها أعاصير الشتاء .. فراح بين السيْل والويْل يستثير جذوة النضال العربي في صدور الأحرار ، ضد غدر السياسة ولؤم الاستعمار !!

أخي .. قد مَزّقتْ ريح الدجى بيتي وأيامي

وساقتني على الأرْض بهذا الهيكل الدّامي

وهذا الشبحُ المطْرودُ في هذا الأسى الطّامي

ينادي : أين مُلْكُ الله تخبط فيه أقدامي ؟

وأين الأرْضُ تحملني ، وتدفِنُ بعضَ آلامي ؟

وبعض خُطاي في هذا الدجى المنفجّر الهامي ..

• • •

هنا فى كَهْوَةِ الأقدارِ بين السَّهلِ والوَيْلِ
وبين عُواءِ شيطانٍ طريدِ الجنِّ مُختَلٍّ
يُقَعْقِعُ للرعودِ السُّودِ ماخوناً من الهَوْلِ
سمعتُ فحيحَ ثعبانٍ على رئتىَّ مُنْسَلّ
تدفَّقَ جسْمُه المقرورُ بين حفائرِ السُّلِّ
وبين شتاءِ بُسْتانٍ بدفءِ الموت مخضلّ ..

• • •

هُنا فى خيمةِ البهتانِ والطغيانِ والزُّورِ ..
لدى ملوىً كلحد الميْتِ فى النسيان محفورِ
رُميتُ كدَعْوَةٍ وقفتْ علَى دربِ المقاديرِ
يَصُبُّ التيهُ فى خلدى خُطاً الظلْماتِ فى النورِ
فأشْرَبُ حيرتى وبُكاىَ من كُلِّ الأعاصيرِ
ولنزفُ أنفى الخرساءَ فى صمت الدياجيرِ !!

• • •

لخى .. قد غالَ نشبُ الجوع أطفالى مع الفجْرِ
وبعثرهم جنونُ السيلُ بين مداخلِ الصخرِ

فـلا ادرى لهـم شَجَـنـاً على نَـعْـش ٍولا قَـبْـرِ

كما كانوا هُـنَـا . . عادُوا ، بلا سَكَـنٍ ولا عُـمْـرِ

ظللتُ أنـوحُ . . يا ربْـاهُ ! بعَـض ندائك للجَمْـرِ . .

مجاءَ الموتُ بَـفْـغـر فـاهُ للظلمـاتِ والقَـفْـرِ !

• • •

سلوهُم . . واسألوا ما شئـتُـم الإسلامَ والعَرَبَا . .

وكيفَ على تُـرابِ الذل لم يتمـزَّقُـوا غَـضَـبَـا !

وكيف غَـدتْ فلسطيّـن؛ بهم تتجَـرَّعُ النُّـوبَـا

تنوحُ على سلاسلهـا وتشكـو القيدَ واللهـبَـا

وهُـمْ لمنابـح الطغيـان ساقـوا اللّـهْـو واللعبَـا

وقالوا : الشرق ، قلتُ : صحاً على اقوالكُم كَذِبَا

على الشرق نار

مارس ١٩٥٢

والاستعمار الفرنسي في الجزائر الحرة المناضلة

ينشب أظفاره في أرضها العربية الطاهرة ،

عائثاً في كل مقدساتها بالفتك والدمار .

عَلَى الشَّرقِ نارٌ .. وللشرقِ ثارٌ ! !

• • •

وأينَ النَّهارُ ؟ فتصحُو الدِّيَارُ

وتحيا مِنَ الموتِ تلكَ الذِّمَارُ

وتنزعُ عن ساعديْها الإسارُ

وعنْ مُقلتيْها الأسى والصَّغارُ

وذُلاً تهيمُ بهِ في القِفارُ

تُغَنِّي لِمَنْ أوْرَثوها الدَّمَارْ
وَسَاقُوا مَوَاطِنَها للخسارْ . .
بقَايا عبيدٍ بأشلاء نارْ
أهذا هو الشَّرْقُ ؟ يا لَلْفَخَارْ ! !

• • •

علَى الشرق نارْ ! !   وللشرق ثارٌ ! !

• • •

وأيْنَ اللِّجَامُ لِخَيْلِ الظَّلامْ
ومِهْمَازُهَا ساهِرٌ لا ينامْ ! !
لقد زَحَفَتْ في صُدُورِ النِّيامْ . .
وَخَلَّتْهُمُ مرتعًا للجمَامْ
وكَهْفًا يغطُّ لحدِّ الحُسَامْ
وذَلَّ الأباة ! وهانَ الكِرامْ !
وَصَمَّتْ سَنَا اللّه كَفُّ اللِّئامْ
وما زَالَ في الشرق صَرْعَى مُدامْ
يَصِيحُونَ : إنّا حُمَاةُ الأنامْ ! !

على الشرق نارٌ ‏‏..   وللشرق ثارٌ ‏‏..

• • •

وأين الرّجالْ ،   وكيف النّزالْ ،
وما نامكفنْبه غيرُ الخيالْ .
وحالٌ من الغيْد نبكي لحالْ ..
ومصلوبةٌ في مغيبِ التّلالْ
مع الرّيح صرْخاتُها لا تزالْ
نبثُّ تباريحها للجبالْ
وتهتفُ بالشرق حان النّضالْ
فَحطّمْ إلى النُّور سدَّ المُحالْ
وقمْ سيّداً . أوْ فمُدْ للزوالْ

• • •

على الشرق نارٌ ‏‏..   وللشرق ثارٌ ‏‏..

• • •

على الشرق نارٌ   ستُفني الطُغاةْ
وتأكلُ مَنْ سدَّ يوماً خُطاهْ

ومن قيدوه وصدوا ضحاه . .

وفى الشرق عارٌ شربنا الطلاه

وسرنا وللشرق فوق الجباه

مزامير ذلٍّ تسلى العتاه

وللشرق ثأرٌ عرفنا مداه

إنا أنفت للجهاد الصلاة

دفنّا مع الغاصبين الحياه

• • •

على الشرق نارٌ ! !   وللشرق ثأرٌ ! !

المغـــرب الثـائـــر

من كفاح الشعب في المغرب العربي المناضل ضد

الاستعمار الفرنسي الغاشم عام ١٩٥١

لا تسلْ عنّا ولا لين حملنـا ؟ وَحْدَ القيدُ على الدرْب خُطانا !!

كلّما حلّتْ بنا اصفادهُ نـجّرت للبعث صبْحاً واتانا ..

هـذه الأيّام تـثْرى حولنـا كلّما زمّت بنا زادتْ قُوانا

شابتِ الأغلالُ في ارْواحنا وغلتْ في الشرْق ريحاً ونُخانا

فامضِ لا تسأل على الهوْل سِوانا واسْألِ التاريخ عنّا والزْمانا ...

• • •

عربيٌ ساجلَ الشمسَ الخُطى وتوارتْ وهوَ يجتابُ الرْعانـا

يلطمُ الأرضَ فما تدري لـهُ منْ بعيدِ الثار ، لُقْفـاً او مكانا

تركتْ خيمتـهُ فـوق الثـرى سيرةً يـروي بهاَ النجمُ علانـا

همّةَ الأبطال والجلس الذى	كان للأبطال خمراً وبنانا
خلق أفقَ الشرق عن أعلامه	فطوى الغرب ولم يُغمد سنانا
لم يزلْ «طارقُ» فى أجنابه	يخطبُ الدهر ويستهدى البيانا
سلْ أرض الصين فالسل نهرها	كيف ألهاه سهولاً وجنانا
ولسل الحمراء عن تاريخها	لو نفعنا تتحدى الحدثانا...
لانت الدنيا إلى أعتابها	ثم قالت: رب ما العلاك شانا

• • •

قلتُ للماضى: أفق.. فانتفضت	نارهُ فى الشرق روحاً وكيانا
شبتها حرباً على أعدائه	ليتما تبلُّهم فى الأرض كانا
من شعلة النبل ضمت بقلة	نورها لم يمحق لليل مكانا
بارك الله خطاها فغدت	كالهوى للشعوب تجرى فى دمانا
أى جرح طاف بالشرق ولم	تسكب النورَ عليه والأمانا
أى فجر لم يلح فى أفقها	ليغنى الشرق ضياءً وافتتانا
أى هول مرّ بالشرق، ولم	تنفض النهر عنه والهوانا
فى فلسطين مضى أحرارها	بدمائهم يتحدّون الزمانا
عرب نحن!! وهنا شرعنا..	نحن لا نترك فى الروع لغانا!!

عيـــد الذئـــاب

١٢ سبتمبر ١٩٥١ م (١٠ ذى الحجة ١٣٧٠)

والغاصب يختال فى عهده ، ويمعن فى كيده . .

والحزبية تفتُّ فى وحدة النضال . . والشعب

ينزوى على الأصفاد ، ويصلى سعير الاستبداد .

وجاء عيد التضحية والفداء !

قالوا : أتى العيدُ ! قلتُ العيدُ لن تثبوا

علَى القيودِ يداً فى الهوْلِ جنْبَ يدِ

وتدفنوا حيَّةَ الأحقادِ فى جَـدثٍ

يهـوِى الخلافُ بِـه فى لُجَّـة الأبـدِ

إنّى أرَى سمَّها يشْـوِى ربُـوعَـكـم

شىَّ الهشِيمِ فلا يُـبْـقِـى على أحدِ

ضمّوا الصفوفَ ليرْعَى الله وقفتَكم

فما لكم دونَ هذا الطوْدِ من سندِ

سبعونَ عاماً يدوخُ النّغْرُ فى يدها

والنيلُ يزْأرُ فى القُضْبانِ كالأسدِ

وأنتُمْ فى خِصَامٍ لا ضفافَ له

منَ التّنابذِ والتّفريقِ واللّددِ

وبينكم غاصبٌ ، يُرْجى المحالَ ، ولاَ

يرجى له بوفاءِ العَهْدِ أىُّ غدِ . .

عاهدتُموه ، ومَنْ يا قومُ ضلّلَكُم ؟

عَهْدُ الذّئابِ زمانٌ كاذبُ الأمَدِ !

حريّةُ الشعبِ لا تُعْطَى بموْعِدةٍ

ولاَ تُنَالُ بميثاقٍ ومستنَدِ

العيدُ ؛ خلُّوه للأحرارِ يُطْرِبُهمْ

وليقظوا النارَ للأغلالِ بالكمَدِ

نحرتمُ الشاةَ قُرْبانًا ، وأمتّكم

ذبيحةٌ مثلُها . . لكنْ بغيرِ يدِ !

نبحة بخلافات يكاد لها

حقيد الود يلقى العهن فى الزند !

فانقذوها بنور من تضافركم

يدب فيها دبيب الروح فى الجسد

فإن فعلتم .. فعيد النصر يرقبكم

وإن تخاذلتم .. يا ضيعة البلد !

أذّن الفجــــر

١٢ نوفمبر عام ١٩٥١

وأذن الفجر الكفاح وانطلقت شرارة البعث . وانطلقت كتائب الفدائيين

الأحرار من أبناء الشعب إلى معاقل الاستعمار فى أرض القناة

وكانت تكبيرة الحرية لأولى طلائع الكفاح على تراب القناة

سمعتُ بشطِّ النيلِ صوتَ قنابلٍ فقلتُ : تعالى اللهُ ، قد أذّنَ الفجرُ

وآنَ لشعبٍ ماتَ سبعين مرةً بسبعينَ عاماً ، أنْ يُشقَّ له القبرُ

ويهتكَ أسدافَ الظلام بصيحةٍ تحطّمَ منها القيدُ ، واجتاحهُ الذعرُ

مفاجئةٍ للغاصبيــن ، كأنّها نــداءٌ من الرحمنِ جاء به الأمــرُ

مشى خلفها الوادى نشيداً موحّداً يرتّدُ فى السودانِ ما ردّدتْ مصرُ

لنا النيلُ من أرض البُحيرات جارياً لأرضٍ على راحاتها سجدَ البحرُ

لَنَا غابه فَوْقَ الْجَنوب ، كأنّهُ بيارقُ للتّاريخ انبتَتْها الدّهْرُ

لنا حوْضهُ حتى الشمال ، مهالكٌ لكل طغاةٍ حول أسواره مرّوا

لنا كل شيءٍ فيه .. ماءٌ وتربةٌ وأفقٌ كأحلام الفراديسِ مُخْضرُّ

فما بالُ قومٍ - زلْزلَ الله خطْوَهمْ ! وحلّ بهمْ من كلّ ناحية خُسْرُ ! -

يُريدُونَ من خلف النِّقاب نميمةً يطول لهم فوق القطائفِ بها عُمْرُ !

معاذَ الحمى ! ما فيه قلبٌ ، ولا يدٌ يُراودها عن نعشِ أيامهم غدْرُ !

لقد هلكتْ أوْعادهمْ وعهودهمْ وحاق بهم لؤمُ السياسةِ والمكْرُ

شربنا الساهمْ حقبَةً ، لم يمرْ بها زمانٌ ، ولم يسْمعْ بأهوالها عصْرُ

أشاعوا بنا التّفْريق ، حتى تمزّقتْ بنا حُجُبُ الأخلاقِ ، وانهتكَ السّترُ

وشبُّوا لنا البغضاءَ في كل مهجةٍ فلم ينْجُ قلبٌ من لظاها ، ولا صدْرُ

قراصنةٌ .. ليسُوا على البحرِ وحده فأيان حلّوا ، يستوي البَحْر والبرُّ

يشدُونَ أصفادَ الشعوبِ ، فإن شكتْ يقولون : حباً جاوزَ الصادَ الطيْرُ !

ووالله ما تمضي الشُّعُوبُ لغايةٍ وتدركُها ، والقيْدُ في خطوها جمْرُ

وما فتّ في قلْبِ البلاد ورُوحها سواهم ، ولا كان التأخُّرُ والفقْرُ

ولولا خُطاهم بيننا ، ما رأيتنا وعن مصْرعِ الطُّغيان يحجبنا سِتْرُ

وكيف يحُثُّ الخطْو شعبٌ مُقيّدٌ إذا لم يحطّمْ قيْدَ النائرُ الحرُّ !

حـرام علينا النيل ، إنْ مَـرّ صـلاةٌ   ولى صَـدْرِه فوقَ القنـال لهُم وكْـرُ

ختوهم ولا تخشوْا غرابيب كيدهم   فما تفعل الْغربان لو يقـذفَ النسرُ

وكونـوا لهم صفـاً من الله بأسـهُ   ومن وحدة الشـعب العريق له النصرُ

وهنا الحمى ، هبّتْ عليهم رياحُهُ   وهيهات لن يهدا لإعصارها سَبْرُ

وهـبّ جميع الشعب ، سهلان ناعمٌ   على تبره ، لو كالح الرزق مُـغبـرُ

لقد صعقتْهمْ نفخةُ الصور . فانتهوا   وما لَـهُـمْ إلا السفـينـةُ والبحرُ

فهيا بنا خَـلْـفَ المنـادى ، فإنه   أذانٌ لوادى النـيـلِ ، أنْ طلعَ الفَجْرُ

وجاءَ لنا يومٌ عصيبٌ صباحُـهُ   وحُلْـوُ الْجَنى فى العيشِ أولُـهُ مُـرُّ

وما تَسْكُبُ الأوطانُ صفْـواً لأهلها   إذا لم تكنْ نار الجهادِ هى الخَـمْـرُ

ومن رام لكتاف الجبالِ ، غـدا لـه   رحيقاً من الصهباء مسلكُها الوعْرُ

تبارك من سوّى خطاكم . وضمكم   بعزْمٍ على أوتاده يهلك الصخْرُ . .

النداء المقدس

٤ نوفمبر ١٩٥١ م

مثلت ضمن قافلة الكفاح وتستنفر قُوى المقاومة الشعبية الكامنة في صدر الشعب ، لتهب وراء الفدائيين الأحرار في معاركهم مع الاحتلال الجاثم على شط القناة .

صحَا النيلُ بعد عميق الوسَنْ / ومزّقَ عن شاطِئيْه الكفَنْ

ودوّتْ له صيحةٌ في السماء / سَمِعتُ صداها يَدُكُّ الزمَنْ

ويقذفُ في هَدْأةِ الغافلينَ / زئيرَ الليالي ، وأزَّ المحَنْ

لقد طال نومكُمْ في القيودِ / فهُبّوا .. لقد بحَّ صوتُ الوطنْ ..

• • •

يُناديكُمُ من عذابِ السنينْ / عويلٌ بقلب الحيارَى يئِنّْ

وسبعُون عاماً شربتم بها / لمى الذلّ من سطوةِ الغاصبينْ

مَشَيْتم بها في ظلامِ الحياةِ   لساريَ على نَلِّهم مُطْرِقينْ
يُفَرِّقُكم كيدهم بالشِّمالِ   ويجمعكم فيهم باليمينْ !

• • •

تناديكم صرخَةٌ في الشِّعابْ   عليها تَنَوُّح ناعي الخرابْ
نواعيرُها ولولَتْ في الحقولِ   فشقّتْ من الويلِ قلبَ الهضابْ
زرعتُم .. وغنّتُمْ بدمع الهشيمِ   وأثماركم قسَّمَتْها الذئابْ
وعاثت مناجلكُم للجياعِ   وأيديكُم بحصادِ الترابْ

• • •

تُناديكم مصرُ بين الكفُورْ   ولكواخها اللاهثات الجُحُورْ
سواءٌ بها الخابطونَ العفاةُ   ومن فتنَتْهُمْ ظلالُ القصورْ
ومَنْ قوّسَتْهُمْ صلاةُ الفؤوسِ   ومَنْ وسَّدَتْهُمْ حيةُ العطور
إليكم جميعاً يصيحُ النداءُ   ألَمْ حانَ يا قومُ وقت النشورْ . .

• • •

يناديكم الروضُ بين البطاحْ   ولزهاره فتّحتْ للصباحْ
رياحينُه في أكفِّ الغريبِ   ولشواكه في يديكُمْ جِراحْ
سقيتم رُباه بسَيْلِ الدموعِ   ونضَّرْتُموهُ بويلِ الكفاحْ

ولم يترك الغاصب المستبدُّ لأبنائكم غير قبضِ الرياحْ ..

• • •

تناديكم من جراحِ الشهيدْ أناشيدُ بعثٍ تهزُّ الخلودْ

أزيزُ الرصاصِ على صدره أذانٌ من اللهِ فوقَ الوجودْ

يهيبُ بأعماركم للفداءِ وآجالكم لن تكونَ الوقودْ

سمعتم صداه ! فلا تتركوه لغيرِ القتلى والمنايا يعودْ ..

• • •

يُناديكم من ضفافِ القنالْ دمٌ لم تزلْ نارُهُ في الرمالْ

وفي كل يوم لها جذوةٌ على جمرِها صرخةٌ للنضالْ

خذوها شواظاً لأعدائكمْ ودكّوا بها راسياتِ الجبالْ

وخلّوا العدوَّ بنيرانها يذقْ من يديكم جحيمَ الزوالْ !

• • •

يُناديكمُ هاتفٌ للقدرْ كفاكم من الذلِّ هذا العمرْ

إذا اشتدَّ بالليلِ بطشُ الظلام فما هو إلا انتفاضُ السحرْ ..

فشدّوا على الغاصبينَ الوثاقَ فقد ثابَ قيدُهمُ والنحرْ

وما النصرُ إلا لصوتِ الشعوبِ إذا ما غلا بأسُها وانفجرْ ..

• • •

قراصنةَ البحرِ .. موجُ البحارْ يضيقُ بسوْطتكم فى الديارْ
نَفَثْتم بها من سموم الفسادِ وأهوالهِ ، ما يجلُّ الدمارَ
وحالفتموها ودار الزمانُ فعدتمْ عليها ذئاب القفارْ
فذوقوا من النيلِ هولَ البلاء وما هو إلاَّ دماءٌ ونارْ

* * *

سنمْضى جميعاً فداءَ الحمى ونرْفعُ راياتنا للسَّما
ونجرى مع النيل نحو القيودِ لظنِّى فى معاقلكُمْ لوْ دمَا
صحَوْنا .. وهذا نفيرُ الجهادِ تفرَّعُ صيْحاتُهُ الأنجُما
وتمضى كتائبُهُ للردى وأشواقُها قاتلاتُ الظَّمأ . . .

نفخة الصور

نوفمبر عام ١٩٥١

مع الفدائيين في أهوال النضال وقد هبوا من كل صعيد إلى المحتل الجاثم على ضفتي القناة . .

نفخَ الصورُ . فلتنتبهْ من سباتكْ   أيها الشعبُ . . تلكَ أولى حياتكْ ،

وثبَ ميتُ المرقدْ . واختل الموتْ   جنوناً ودهشةً من مواتكْ

كلّما هبت للقنابرِ تحنيك ،   تجبرت . . يا لنبلِ رفاتكْ ،

وتجرتْ حولكَ الأعاصيرُ . والشوقْ   نجلها . وما زلت غارقاً في صمتكْ

وتقولُ الدماءُ ما قالت الريحْ   لقبرٍ مبعثرٍ في فلاتكْ

شهقةُ النار . . وانتفاضُ الردى الهالكي   على كلِّ ذرةٍ في حصاتكْ

ولظى السوطِ . وهو نسيجُ عهدٍ   شربَ الرقُّ كلُّه من صلاتكْ

والمسامير، والسلاسل، والأغلال، والقيد . . كلها من سلطاتك
والأسى، والضباب، والعتمة السوداء، والهول . . تلك رؤيا رهاناتك
لملمت حولك الزعازع والأهوال . . . عطشى، تريد بعض التفاتك
تمر العمر . لزجر الموت . . لتخرج عن سكون ينوح في ظلماتك
وتحرك!! فإن ركبا من الغيلان جوعان في حشا طرقاتك
سن في محجريه ينعبن علنا أنها من لسك . . من نكباتك
من دموع الجياع لفلك . . ممن أنا منهم صريع تلك الفلاتك
من عبيد الفلوس تضرب في محفل لتجري له ثمار نهاتك
من جبين لديك خدشه الظلم فأخفى الهوان في نظراتك
من خلاف يكاد يفلك في لغلن السود أن يبروا من عداتك
من ضياع للحق حتى كأن الحق وهم يمر في خلجاتك
من شعور مخدر منك حتى حين تلقاه في غيابات ذلتك
من خنوع تنام في ذله الأخلاق تشوى تشبع في رغباتك
من خضوع مملق حفرته طعنات السنين فوق سماتك
كل هنا حصاد طاغين راحوا يزرعون الخراب في غفلاتك
ويشدون للفناء قيودا مثقلات على خطا نهضاتك

شربَ الشرقُ من لَماهم عذاباً أنتَ تَدري لَظاه في خطواتِكْ

عَبروا لُجّةَ البحارِ لصوصاً وغَدوا كالذئابِ في فَلواتِكْ

وتعالوا مجاوزاً تحملُ الدنيا لأهوالها بشطِّ قناتِكْ ..

استباحوا الديارَ يا لَنداءِ العارِ مُستصرخاً إلى مُحصناتِكْ !

وأراقوا الدمَ الزكيَّ وما سالَ بغيرِ الحياةِ من مُهجاتِكْ

نكّلوا بالنساءِ .. بالشيبِ .. بالأطفالِ .. واسترخصوا حمى عتباتِكْ !

وأباحوا الكلابَ تنهشُ أحشاءَ الشهيدِ المُراقِ من فلذاتِكْ

وتمادَوا فهاجموا يانعَ الزرعِ وحُبلى بالقوتِ من سنبلاتِكْ ..

أبعدوا الآمنين عن هجعةِ النورِ وشقّوا الحياءَ عن حرماتِكْ

وأعادوا بيوتَ رمسكَ بالأدناسِ والرجسِ عن هدى صلواتِكْ ..

كانَ هذا .. وأنتِ في ثورةِ الأوهامِ تغفو مُستغشياً في سباتِكْ

تحلمُ الليلَ للنهارِ ونُنسى بشجونِ النهارِ في أمسياتِكْ

يا أمنا .. مأمنا .. من الموتِ .. والفوتِ .. وما لنا جمعتْ غيرَ فتاتِكْ !

وسبيٍ تمرُّ .. ما أنتَ فيها غيرَ قوتٍ مُسخّرٍ لغزاتِكْ ..

ثم .. تجرّدْ من كلِّ شيءٍ سوى الإيمانِ بالموتِ في سبيلِ حياتِكْ

واسلكِ الدربَ للمنايا العظيماتِ ! فمنها يَخصبُ كلُّ حماتِكْ

الفداءَ! الفداءَ!.. نادَاهمُ النبلُ   فخفّوا كالطيرِ في شَجراتِكْ

خوّضوا في الدجى للُغمِ بالنيرانِ   تُخفي الهلاكَ في طُرُقاتِكْ

ويدُ اللهِ في يديهمْ سلاحٌ   طيفُهُ للعدا حتوفٌ فواتِكْ

صدرُهمْ زاحفٌ على رعشةِ الليلِ   بطرفٍ لبغتةِ الموتِ هاتِكْ

وخطاهم كأنها عسسُ الجنِّ   تروغُ الردى إلى أمنياتِكْ

تتنسفُ الموتَ والحياةَ! وتهديك   الضحايا. تضيءُ من ظلماتِكْ..

أيها الشعبُ.. إنها صرخةُ البعثِ   فحرّكْ بها رميمَ سُباتِكْ

وانفخِ الصورَ للكفاحِ. وهزّ النشيد   هزًّا يموجُ من عزماتِكْ

لنْ تذوقَ الحياةَ حرًّا.. إذا لم   تسقها ما تريدُ من تضحياتِكْ

فامضِ للغاصبين بالنارِ والأجلِ...   واضغمْ لهمْ زئيرَ حماتِكْ

وإذا رفرفتْ نعوشُ الضحايا   كلَّ يومٍ، فأطربتْ ثاكلاتِكْ،

ورأيتَ الشهيدَ يهتفُ للموتِ،   ومنعى صباهُ من بشرياتِكْ،

فهي للبعثِ صيحةٌ وإذنٌ   أيها الشعبُ.. تلكَ أولى حياتِكْ،

القروية الشهيدة

«أم صابر» القروية الشهيدة التي قتلها غدراً

رصاص الإنجليز القراصنة في ثورة أكتوبر

سنة ١٩٥١ ، فكانت منارة لكفاح المرأة

العربية تكشف عن مخازي الاحتلال.

سلام العلى . أبطال القتال ،   أهذا بأسكم عند النزال ؟

تهابون الرجال إذا عثرتم ..   وتغتالون ربات الحجال ،

كذلك بلغتم سلماً وحرباً .   خلائق في التعصب والضلال

وفرصتنا . إليه البحر غالي   فلقناها لكم بين الرمال

رويدكم ، ستجعل مصر منكم   جسور مهالك فوق القنال

وتفجاكم قيامتها بيوم   يذيق وجودكم خمر الزوال

دمُ الشهداء فيه رحيق بعث   يجلجل في الجنوب ، وفي الشمال

يعلِّمُكم مواجهةَ المنايا		وكيف يسوقُها غضبُ الرجالِ !
لقد شابت سياستكم .. فعُودوا		بخيبتها إلى جُزُرِ الضَّلالِ ..
عَزَمْنَا أنْ نموتَ فداءَ مصرٍ		ولو كنتم بها رؤيا خَيالِ !

آخرة القيد

٢ يوليو عام ١٩٥٢

والشعب يتطلع من وراء الظلمات الضاربة على وطنه

وكل متنفساته ، إلى ومضة للحرية . .

والناس من وطأة الظلم والقهر وتحت الأغلال المتكاتف

من الإقطاع والطغيان والاستعمار ، تهرع ثارهم

خلف الصدور ، وتتطلع قلوبهم إلى الزوال ،

وتتوهج بهم للثوار البعث إلى فجر الحرية.

هناك .. هناك وراء السنين .   وفي زحمة من خُطا العابرين

وقفتُ على قُرْبِ هُدْبٍ بهم   تَوارى من الخزيِ تحتَ الجَبين

إذا هفَّ أبصرتَ طيراً ينوحُ   وجُرْحاً يَبـوحُ بشيءٍ دفينْ

وإنْ مالَ، مالتْ جميع الرزايا		وحطّت عليه برزءٍ مهينْ
حسبتُ الخطيئةَ في طرفِهِ		ملثمةَ العارِ تُخفي الأنينْ
ملعثمةً لا تطيقُ الكلامَ		وإن كلمتْ غمغمتْ بالرنينْ . . .
وخلتُ على لحظِه راحةً		ممسّدةَ الكفِّ للسائرينْ
عليها سؤالٌ . . قديمُ السؤالِ		تسوّلَ إغفاءةَ السامعينْ
ومرّتْ عليهِ جياعُ العصورِ		وما زالَ يبسطُ تلكَ اليمينْ
وأبصرتُ في عينهِ ضارعاً		على خدّه لطمةُ الظالمينْ
وتاويهةً منْ بقايا ضلوعِ		تحدثني عنْ بقاها سفينْ
هوى وتحطمَ ملاّحُهُ		وضاعت به سيرةُ الغارقينْ
وضاع به الموجُ تحتَ الرياحِ		وتحتَ الدجى للمتبدِّ اللعينْ . .
وفي وجهه من لطام الأكفِّ		لتعبدُ من صفعةِ الضاربينْ
تزمجرُ فيها سيولُ الهوانِ		وتهديرُ بالهلعِ المستكينْ
وأوكارُ يومٍ طويلِ النعيبِ		بهلتي ويصرخُ للتاعسينْ
وشوكٌ . وهلكٌ . ومثوى قبورِ		ومأوى نفورٍ من الهالكينْ
وظهرٌ تحنّى . وسوطٌ تثنّى		ليكرعَ منْ لُجّةِ الراكعينْ
ونفسٌ يعفُّ نُباب الفناءِ		على لمسِ لبتها صجينْ . .

أخي ما نهلك .. فلم يحن لك لباغٍ على الأرض إلا المنون
تلاشيتَ في كلِّ شيءٍ تراه كأنك من دونه لن تكون
ولعنت حتى سئمت الطبيعَ إلى حيث ينتظر الجائزون

• • •

حلفتُ .. بملكك بين العباد وإغماض طرفك للناظرين
أجبني : أأنت الذي في طعامي تسلَّلتَ حتى خلَستَ البطونْ ؟
أأنت الذي قد نهبت الثمارَ ولم تذرِ ، حتّى بكتها الغصونْ ؟
أفي قاع بطنك زادٌ حرامٌ ؟ أحقٌّ بمائك للظامئين ؟
أأغضبت ربك خلف الظلامِ وأرضيته في خضمِّ العيونْ ؟
أكنت مع الظلمِ ، أم ذقته وورَّثته لشقاءِ البنينْ ؟
وصاحبته وهو أحنُّ رغيم وأنت الصدى وللذى والشجونْ !
فملكت بقلبه معظم المال وملؤك يجريه مجرى العيونْ .
معيم ارتضاخك تحت الهوانِ ؟ وتفوك للذلّ طول القرونْ ؟

• • •

فملت أسئلة .. والقضاة على رأسه شاهدٌ لا يمين
منكّس أهدابه للتراب كما كان مستغرقاً في السكون
فحلوه بفتات من ذلّه حصيد الرزايا .. وقوت الجنون !

فجر الحرية

البعث

٢٢ يوليه ١٩٥٢

إلى جيش النيل

ماحق الظلام . ومحطم الاستعمار . .

في زحفه المقدس لتحرير الوطن . .

ومع أول شعاع للحرية . وهو يهاجم ليل الطغاة . .

في فجر الثورة الخالد ..

ما بين طيف الكرى . أو لمحة البصرِ

كانت خطاكَ لهم تمضى من القدرِ

بغتّهم وأذان الفجر مرتقبٌ

بركاب ناعٍ لنور الحق منتصرِ

تلفتوا فإذا الأيامُ شاخصةٌ

لما ستأتى به من فاجىء النذرِ

والدهرُ يُمعنُ في الإصغاءِ .. متَّجِهاً

إليك بالـقـلـب والأسمَاعِ والنَّظـرِ

والنيلُ في القَيْد مكْظُومٌ يُؤجِّجُـهُ

شَـوقٌ لبُشْـرَى طوَاها كاتِمُ الخَبَرِ

والشعْبُ يَهْزجُ في الأغلالِ تحسَبُهُ

مِن صُحْبَةِ الذُّلِّ نَشْواناً مِن الخَسْجَرِ

والليلُ يَرْبِضُ بالآفـاقِ مُنْتَظِـراً

إيماضَ طرفِـك في نَاوُوسِـهِ العَكِرِ

كَـأنَّـهُ بُرْنَةٌ تَحْمِي السماءُ بِهَا

أنـوارَ خَطْـوِك بالأسـلاكِ والسُّتُـرِ

ما بَيْنَ إيمانِهِ أو بَعضِها .. ! لتنبهُوا

لموكبٍ من سَـمَـاءِ الحقِّ مُـنْـحَـدِرِ

تَلَـفَّتُوا فإذا الأصنَـامُ تَقْرِيبُهم

منَ الحياةِ ، وإن كانَـت من الحَجَـرِ

صَعَّـقْـتَهم بعقابِ اللهِ ، تَـقْذِفُـهُ

كتائـبُ الحَـقِّ بالإيمـانِ والصُّـوَرِ !

خرّتْ طواغيتُهم في الأرضِ ساجدةً

يمشي عليها مصيرُ الظُّلم والبَطَرِ . .

يا منْقِذَ النهلِ من ويلٍ ألمَّ به

كما تُلِمُّ جياعُ الطيرِ بالشجَرِ

مزّقتَ أغلالَ شعبٍ ، مزّقوا فمَه

وظَهْرَهُ بسياطِ الذُّلِّ والحَذَرِ

تفتّتْ منه الرّزايا وهو مُتَّئدٌ

يشكو المواجعَ بالآهاتِ والفِكَرِ

إذا تنفّسَ حُرٌّ عن بليّته

فظُلْمةُ السجن مأوَى الهامسِ الضَّجِرِ

وإن رمَى جُثّتَهُ في وجهِ طاغيةٍ

رأيتَهُ يدفِنُ الإذلالَ في الحُفَرِ

يُبكَى عليه ، ولا تجْرِي مدامعُه

إلاّ بهذا الرِّضا للشعبِ في الشَّرَرِ

يعيشُ في جنةٍ فيحاءَ ناضرةٍ

على هجيرٍ بنارِ الظُّلمِ مُسْتَعِرِ

يَسْبِي ويَفْرِسُ ، والأثمارُ ناهبةً
لم يُبْقِ ظَلاَمُهَا شيئاً ولم يذَرِ

حتى العظائمُ والأمْجَادُ ، ما سَلِمَتْ
مِنَ التناهُبِ ، والأطمَاعِ ، والأشَرِ

مُذْ الجُفَاةُ بها لشرِكهم ومضَوْا
يُتَاجِرون بمجدِ النيلِ في الخطَرِ

ساقُوا المَدافعَ للأعداءِ ناكِصةً
تُلقي بضاربِها الصِّنْديد في الحُفَرِ

محشوَّةً بهوانِ الحرْبِ ، تَسْمَعُهَا
وَقْتَ النَّفيرِ ، سماعَ الأُفْقِ للسَّحَرِ

فضائحٌ تَخْجَلُ الدنيا لسيرتها
وتَسْتَحي ذِكْرَها الأجيالُ في السِّيَرِ

باللهِ لَوْغِلْ . واوغِلْ في تعقُّبِها
فكَمْ لها من أسًى في الصدرِ مستترِ

واضْرِبْ على الحيَّةِ البيضاءِ ، إنَّ لها
سُمّاً خَفِيَّ الرَّدى في سائرِ الصُّوَرِ

الرّشْوةُ الجائرُ الأخلاق ملْمسُها

وإن تجرّدَ عن نابٍ وعن ظُفُرِ

والرّفعُ ظهوراً . أحال الرّقُّ أعنُقها

أقواس نلْ على الأعتاب منتظرِ

تأوّدتْ كغصونِ البان من ملقٍ

يلقّنّ الجيل بلْواه من الصّغرِ !

بحْثت الدجى لهذا اليوم . فارتفعتْ

بك الوجوهُ من الإيمانِ بالظّفرِ

أحيا بك اللهُ آمال البلاد كما

تحيا القفارُ بسكّابٍ من المطرِ

وساق خطوك فجراً فى مطالعها

يضوعُ بالعدلِ ضوْعَ العطر فى الزّهرِ

كانتْ سواقى عبْدانٍ . تدور ولاَ

تدرى . إلى الزّرع ما تجْرى أم الهدرِ !

أخْنى عليْها الأسى والضعفُ ، وارْتكستْ

بها المفاسدُ فى شتّى من الصُّوَرِ

وجاءَ بعثُكَ علويًا ، له رَنَمٌ

لِحيا رميمَ البِلى فى أنفسِ البَشَرِ

وردَّ للشعبِ صوتًا راحَ يرفعه

من الكرامةِ فوقَ الأنجمِ الزُّهُرِ

من غيرِ النفرِ ، لم نسمعْ بما كسبَتْ

خطاكَ للوطنَ للمسورِ من ظفرِ

فارفعْ قناتكَ إن اللهَ جرّبَها

لتُخرجَ الجيلَ من تابوتهِ النَّخِرِ

وتبعثَ النيلَ حرًا فى شواطئه

وشعبهِ ، وثراهُ الطاهرِ النضرِ !

طريق الضياء

لفلسطين ١٩٥٢

مع الثورة وقد بدأت تزحف على رفات الفساد

وتسحق ظلام الاستبداد !

بدأنا نمزّق ثوبَ العدمْ | ونلطمُ بالبعث وجهَ السُدُمْ
بدأنا كما بدأ الكون | إنا الصقورُ في جانبيهم قِمَمْ
بدأنا كما بدأ التائهون | رمى الفجرُ في ناظريهم علَمْ
بدأنا كما انتبه الضائعونَ | على صيحةٍ من هدير القمم
بدأنا كما انتفضَ اليائسون | على ثورة النورِ في ليلهمْ
بدأنا ، وفينا الأسى والهوانُ | وفينا العذابُ ، وفينا السقمْ
وفينا قبورٌ طوالُ الأنينِ | عليها الردى ليلةٌ مظلمهْ

وفينا الظلامُ لسيفِ الفسادِ | يُعشّشُ فيه خرابُ الذممْ

وفينا المظالمُ والظالمون | وحوشٌ، وبيدٌ، ومرعى غنمْ

وفينا الكرامةُ مرجومةٌ | كمحصنةٍ لوّثتها التُّهَمْ

وفينا الإباءُ الجريحُ الوقار | كشيخٍ بعارِ الصِّبا ملتثمْ

وفينا المذلةُ للغاشمين | كأنّا ولو لم يشاءوا خدمْ!

وفينا الدسيسةُ، قديسةٌ | تدسُّ الردى في عبيرٍ وسمْ

وفينا الخيانةُ، أفعى وجوهٍ | تُريق المهالِكَ إذْ تبتسمْ

وفينا النفاقُ، عطورٌ تساقُ | وفي زهرها فاتكاتُ النقَمْ

وفينا الرياءُ، وفينا الحياءُ | رياءٌ حييُّ الخُطا كالنسمْ

وفينا الجياعُ، وفينا النهمْ | قلوبٌ متيّمةٌ بالصنمْ

وفينا التعبُّدُ بالجائرين | نُصَلّي لمنْ جارَ لو منْ ظلَمْ

ركعنا طويلاً على بابهم | من الذُّل حتّى طوتنا الظُّلَمْ

وخضنا، وبرنا بلسعِ السياطِ | نغنّي بهنّا الأسى والحكمْ

ودارتْ علينا سواقي الهوانِ | وكنّا نُهَدهِدُ فيها النغمْ

ونسقي جراحاتنا بالشقاءِ | وبالدمعِ والندمِ المضطرِمْ

ودقّتْ علينا طبولُ السماءِ | فقمنا لها منْ رفاتِ الحُلُمْ

صحونا . . . وكنّا الرمادُ لهشيمٍ ـ لعنّا اللظى الصارخَ المُحتدمْ

تضجُّ بنا نوبةٌ للقبورِ ـ وأنّاتُ عصرٍ طويلِ الندمْ

سبحْنا به في خضمِّ الضلالِ ـ على زورقٍ ريحُه تختصمْ

وتهنا عن اللهِ في قفرةٍ ـ ثعابينها رائشاتُ القدمْ

تلحُّ الخطايا بكثبانها ـ وتفهقُ إن دبَّ فيها قدمْ

على كلِّ حصباءَ في أرضها ـ طبلٌ يباركُ فيها صنمْ

وفي كلِّ ناحيةٍ جازرٌ ـ وعبْدٌ يُغمغمُ فوقَ الوضمْ

تباركْتَ يا ربِّ هذا الجحيمُ ـ من الرقِّ ما كابدتْه أُممْ

بماذا اندمرَ طاغوتُه ـ وطغيانُه الزاخرُ المرتجمْ

مدانا نشقُّ طريقَ الحياةِ ـ لفانين شاموا بوادي العدمْ

مظالمُ ما عرفوا في الوجودِ ـ سوى البؤسِ والعوزِ المظلمْ

إذا لوّحوا بجباهِ الوجوهِ ـ أشاحتْ لهم عابراتُ النِّعمْ

فهم أدمعون فوقَ الترابِ ـ وفي الكوخِ رؤيا شقاءٍ وهمّْ

• • •

سرى الشرقُ . . هذا طريقُ الضياءِ ـ فإنْ لم تسيروا ، فيا ويلكمْ

سلختم على القيدِ أيامَكمْ ـ وثارَ الزمانُ به فانحطمْ

فهبّوا فقد حانَ وقتُ الحصادِ ـ ولا تخشَ المناجلَ تهوى بكمْ . .

الأرض

١٩ نوفمبر ١٩٥٢

وانتفضت الأرض لدوى الثورة وهو يهدر على

نجوعها وأكواخها! مؤذنا بالبعث والحياة

بين ذلّ الثرى ، وصمت الحفاة   هبّت الأرضُ من عميق السُّبات

نفخ الصورُ في رباها ، فقامتْ   تحصدُ الظلمَ في صدور الطغاة

ضربَ اللهُ نيلها بضحى البعثِ .   فضجّتْ قبورُها بالحياة

ولهاثٌ من غضبة الأفقِ المظلومِ   بالسوْط من جميعِ الجهاتِ

صرخاتُ الرياحِ في الفلوات   وعواءُ الجراحِ في المُهجاتِ

وبكاءُ القُطعان وهى تُناجى   ربّها بالسرائر المُوجعَاتِ

تتشكى . فيشمخُ السوط في   الجوّ . فتعلو شقشقةُ النكراتِ

نهرتها السنون من عهد فرعون .. وطافت بها على الطرقات

باحثات عن لقمة العيش فيها   عملت العيش من طريد الفتات

شاربات بموضوعها آكلات   بنسبها من حدائق الظلمات

وكبا إثر موكب من رماد البؤس يمشي حزينة الخطوات

وفتى ما بين جاسد ونبيح   حسرة في محاجر ذاهلات

تنظر الظالم وهو ينصر فيها   نظرة العاجز للحتوف الفواتي

لا تطيق الكلام . لا تستطيع البث حتى بهمسة الزفرات

قيدت .. ثم أخرست .. ثم سيقت   للأسى الكامن . للحسرات

يشهق الريف في ثراها بشكواه   . وترنيه لفتة الطعنات

من قديم العصور وهي تهاتي   بعويل الرياح والساقيات

والشواديف تشتكي من رباها   بدموع المضيعين العراة

خدعوها بخضرة الزرع .. والقنوة تجري   والسحر يسحر النبات

وطيور الصباح يا أرض تشدو   فاسمعيها ورددي النغمات

ورعاة الأغنام يا أرض أتبين .. لخدمي . وهذي للرعاة ..

ولتقري للقانع المتوج بالشمس .. أمير تحت الحقول والربوات ..

أزرق الثوب . أبيض القلب . حمل بجور الخطوب والمتاهات ..

خدعوها . وخادعوه | فأسياها ، ولم يدن غير هذا اللواتِ
انظروه يمس جاهلة الحلّين | فيأتى بأفصح المعجزاتِ
راكعاً فى الحقول ، والنخل | حوليه كقوم تهيأوا للصلاةِ
يضرب المعلول باكيا . فتزين | الحقل فيها مهدل الثمراتِ
وتزين الأعواد ، والسنبل الميلاء | والبحر موكباً من حياةِ
ساقه جائعاً . لطاغين دونه | إلى الكوخ جائع اللفتاتِ
ينتهى الوعود ، والثمر الموعود | من كل نقرة فى حصاةِ
وعلى وجهه أساطير ظلم | حيرت نارها عقول الرواةِ . .
فسريها يا أرض ، إنى من العجز | تعذبتها على نغماتى
سقت فيها النشيد من ظلمة الكو | خ بكاء مضرج العبراتِ
فاكشفى لمت سرها وأشركيها | هى تروى عذابها للحياةِ

• • •

نفخ الصدر . فانهمى . . | فلقد طال مجتنيك بين نار الشكاةِ
طال فيك الهوان والذل والتسبيح | للغارقين فى الشهواتِ
كل ذى شارب عتل تمطت | ذروتاه على زنيم الصفاتِ
منذ الخيل زينة الظلم . . حتى | زايلتها الأنساب فى المكرماتِ

شدّ أرسانها ، وزمجر .. لا لحـ — ـرب ! بل للفخار والترفاد

عرق فكادين خمر بكفيه .. — وأنفاسهم زمير لسقاة !!

خب في لثغي وللظلام حتى — ليقظته فولجي الحادثات ..

قرع الحق بابه ... فإذا الظلم من — الـروع نزوة في فلاة

وإذا الظالمون صرعى .. عليهم — كفن الظلم شقه للخزيات ..

قرع الحق بابه ... فإذا الطاغوت — وقع على بقايا رفات

وإذا قصة المواكب والأسياد — تهوي ثليلة الكلمات ..

قرع الحق بابه فإذا الأرض — حواليه بغتة للطغاة

وظلام لكل باغ ، ونور — للمساكين مطلع الرحمات ..

بعدما شاءت الرزايا على مصر — لتنتهي السماء بالنجدات

تمم الفجر ليلها بضياء — من أكف المترعين الكماة

بضياء من ثورة الشعب قامت — ترفع مركب حرة الوثبات

نفر فيه .. بالسعد شقيها . — ولحيا بنورها الصالحات

تمم الفجر ليلها بصباح — مشرق البعث . زاخر النهضات

يحمل الحق والحياة لشعب — أوردوه مهاوي التهلكات

ثار عنه الأسى .. وكان على — الأكواخ صبرا متمم المعنات

نأى عنه الرُّشْدُ . . . وكانت   نعلهن جحورٍ تجمّرتْ للحياةِ

عشقتْ مزاهدَ الصدورِ لراحةْ   تتشهّى الضمائرُ الغافياتِ . .

ومضى يهدمُ الصروحَ الغوالي   من بروجِ المقاصدِ الشامخاتِ

لم يكدْ يزأرُ الشعورُ على الشطآنِ   حتى تساقطتْ للشتاتِ

وتهاوتْ أسوارُها ، وتلاشتْ   من ثراها كبائرُ العظماتِ . .

• • •

جلَّ ربّي يا أيها الشعبُ . . هنا   يومُكَ الحيُّ بعدَ طولِ المماتِ

فانفضْ اليأسَ عنْ نواصيكَ وارفعْ   وجهَكَ الحرَّ في سماءِ الحياةِ

شجـــرة الحريـــة

مارس ١٩٥٣

لم تجدْ من أهلها بين الشجرْ   دوحةً تُسقى بمشبوب الشررْ !

يلتقى الثورةِ أو بركانها   تطرحُ الظلَّ، وتلقى بالثمرْ..

• • •

نبتتْ فى كلِّ صدرٍ ناهضٍ   فيه للأوطانِ جرحٌ وأثرْ

وأطلتْ فرعها فى قمةٍ   تهلكُ الظنَ وتجتاحُ النظرْ

خالدتْ فى تربها أغصـ   ـنُ للأغلالِ نعشٌ وحفرْ . !!

• • •

أيها السائلُ عن أوطانها   فى دمى عنها حديثٌ وخبرْ ..

لا تسلْ عنها ، وسلْ أطيارها   وهى تروى من أعاجيب الصورْ .

كنتُ عهداً تائهاً فى ظلمةٍ   خيّمَ اليأسُ عليها والضجرْ

أحمل الظلم وأمشي .. مثلما   يحمل الخيبة حطاب القمر

وأركع دون صلاة .. مثلما   يركع الغصن لإعصار عبر !

قوس الظالم ظهري بالأسى   وسياط البغي والعيش الأمر ..

أغرس الأرض بدمعي ودمي   وهو يجني الزهو منها والثمر

وأنا أقتات من أعوادها   ومجانيها الشقاء المستمر !

أتلاشى في عذابي .. مثلما   تتلاشى شهقات المحتضر !

• • •

صمّ عن نوحي وبرمي .. ومضى   شامخ النظرة ، مجنون الصّعَر

كلما جادلته عن رحمة   للمساكين تعالى ونفر

وتعالى قلبه عن صرخة   تخلق السمع لألباب الحجر !!..

• • •

وأنا صوت على الوادي له   نجاة السور ، وإصرار القدر

من دموع الكوخ .. من أشجانه   ولياليه الضريرات البصر

من حديد الفأس .. من نقرتها   وهي تروي عن ملعبها العبر

من سواقيها ، ومن ترجيعها   وهي تحكي من قديم وقصر

من فم الرعيان .. من قطعانهم   وهي للعشب يتيمات النظر

من لمس المفلاح .. من إطرافه | في الثرى . وهو شقي مضطهر
من فم المظلوم .. من دعوته | وهي كالغيب إلى الله تفر
من جراحات الصحايا . سالفهم | نافخ للحرب كلب اشر
بسلاح غلفت اسواره | بالذي تاجر فيه . ذو غدر
لم تكن للموت فيه عصمة | فهو موت كان في ايدي بشر
حير الأبطال لم يدروا به .. | أمن الأعداء أم منه الخطر ؟!

• • •

من شهيد .. راح من أجل الحمى | واهبا للنيل أعراس العمر
من كفاح الشعب . من وقفته | بين إقطاع تمطى وفجر
زلزل الصوت الذي هز الورى | ومضى للقيد حرا .. فانكسر
ومضى للبغي في معقله | فتهاوى مثل لمح بالبصر
من كفاح النبل .. من لطفه | ومن الروح القوي للدخر
أنبت الله لمصر نفحة | تمسك العزة من قلب النمر
نورت حرية .. وارتفعت | في سماء النيل شعلة الزهر
ليقظ الشرق ضحاها .. فغدا | ركبه للشمس وثاب السفر

جلاء أو فناء

منى مصر في ٢٤ مارس ١٩٥٣

مع شعبها (منى مصر) وهي تستقبل ابنها البطل .

صلاة لمن زأر في وجه المحتلين وكما نزل كلماتهم

تخص شراب القناة . بعبارته الخالدة :

«إما جلاء وإما فناء» .

السيفُ قالَ . فما يقولُ الشاعرُ ؟

عهدُ الكلامِ اليومَ عهدٌ غابرُ !

واليوم كلُّ دقيقةٍ تمضي بنا

للنيلِ يطلبُها الزمانُ الدائرُ

ماذا ألحَّ بي النشيدُ ، فعذرُهُ

انَّ الضياءَ على الجمى متواترُ

والطيرُ تجذبهُ تغيّابُر كلّما

ذهبَ الدُّجى ، وأتى الصباحُ المسفرُ . .

عهدُ الكلامِ مضى بمنْ نُصبتْ لهم

منْ زوردٍ فــوق الضّـفــافِ مـنـابِــرُ

الشعبُ فى فمهم ضريرٌ عابرٌ

والحُـكْــمُ فى يـدهــم ضريــرٌ جائـــرُ

والنّهـو مجنـونُ الزّمامِ . . فما لـه

أنـــى تــنــقّـــلَ ، أولٌ أو آخـــــرُ

والظلمُ ليـلٌ لا أوانَ لفجرِه

فـظـلامُـهُ داجى السّريـــرةِ كافِـــرُ

والحقُّ صوتٌ فى فلاةٍ . زمجرتْ

فيها من الأفـــقِ الشـقّـى أعاصِـــرُ

والغدرُ - إلا الغدرَ - إنَّ حديثَه

ســمُ الأفاعـى من يـدبـــه قـاطِـــرُ

اسمعتَ لفتك أو لمرّ خيانة

ممّـنْ بأمجادِ البطـولَـــةِ تــاجَــروا !

إسألْ دم الشُهداء . . كيف لذى الوغى

أرواحُهمْ ، بيدٍ بهم تتناثَرُ ؟

لستْ حديد سلاحها فإذا به

موتٌ بأحشاءِ المدافِع غادِر

واللهِ ما خانَ الحديدُ ، وإنَّما

خانَ الذينَ على البلادِ تآمَروا . .

أمهلتَهمْ يا ربُّ حيناً وانتهى

بعقابِهمْ قَدَرٌ لعينِكَ ساهِرُ

من مثلِ عمْرِ الطيفِ ، كانت أمَّةٌ

تَحْبُو . وشعبٌ بالحياةِ يفاخِرُ

وكرامةٌ حَفِظَ المهيمنُ روحَها

فأغاثَها سيفٌ بكفِّكَ ظافِرُ . .

ما مُنْقِذَ الوادي وباعثَ جيلِهِ

من رقدةٍ أسقامُها تتناحَرُ

سبعون عاماً ، والبلادُ نهيجةٌ

بخلالِها ، وهو العدوُّ الجائِرُ

وحققتها ، لتَرَى الجلاءَ حقيقةً

برْهانُها كالشمس ضاحٍ ظاهِرْ

إمّا حياةٌ فى الحياةِ عزيزةٌ

أو فالردى حوضٌ إليه نُبَاكِرْ !

إنى لأبصرُ فى خُطَاكَ بشيرةً

والله فوْقَكَ بالعنايةِ ناظرْ . .

هذا الصعيدُ ! هفَتْ إليكَ وفودُهُ

من كلّ فجٍّ فى القُرَى تتقاطرْ

هتفتْ لركْبِكَ بالحياةِ وإنّه

لهُتافُ مصرَ جميعها يتشاورْ

أهلُ الرضا والحمد ، أحبابُ الثرى

والكوخُ مَهْدُهم النقىُّ الطاهِرْ

هرعوا إليك كأنْ بوقَ قيامةٍ

للبعثِ عاجَلهمْ صداهُ السّافرْ

يتجمّعُون ، ويَتفرّقون ، كأنهم

أجناسُ طيْرٍ للربيع تُسافرُ . .

حيَّتْكَ في الجبلين شطآنُ الحصى

والنهلُ بينهما دعاءُ هادرُ

والنخلُ جلَّله الوقارُ . كأنه

شيخٌ إلى حَرَمِ المصلَّى سائرُ

تركَت ضفائرَهُ الجذوعَ . وأقبلت

تلتفُّ منها في الطريق مشاعرُ

والسُّنبلُ النشوانُ من فَرَحِ الرُّبى

لم تجرِ فيه للغناء مَعَاذِرُ

غنّى ورتَّل للأصيلِ قصيدةً

خضراء . رددها الحَمَامُ الذاكرُ

دُنيا من الأشواقِ . همسُ ربيعها

فوقَ المروجِ ، فتاةٌ غيها سامرُ

مزجُ الجداولِ الصافيات ، ورقصُها

وحديثُها فيه ، وغناهُ الزامرُ

هذا الذي يهبُ الطبيعةَ والقُرى

سحرٌ . . ولم يضربْ عصاهُ ساحرُ

وطني . وعقدُ تمائمي . في أرضه

مُنْذُ الرَّضاعةِ حبُّهُ متناثرْ

سكبتْ ابني مرٌّ حلاوةَ حبِّها

وغمتْ بعتبِ لقائها تتسامرُ

وهي التي مرُّ الكفاح يلسه

لهبٌ بجنبيها خفيٌّ ساعرُ

فبقلبها ألقُ الركابِ الناضرُ

ويركبها سيفُ الشباب الناصرُ

ويلفقها أنشودةٌ لفتنتها

للنبلِ . . ربّتها الشعورُ الثائرْ

إما جلاءٌ . أو فناءٌ إنما

فجرُ الجلاءِ بعزمنا سيبادرُ

يوم الخلاص

١٨ يونية ١٩٥٦

وقد انقشع إلى الأبد آخر ليل من ظلام الاستعمار ، ورحل آخر جندي من جنود الاحتلال عن أرض القناة .

ارفع الرأس يا أخي .. فلقد مات ... وولّى زمانُ الاستبدادِ

ارفع الرأسَ .. إن فلقَ الصبحِ ... حيا اللهُ نورَهُ للعبادِ

ارفع الرأس ... جبهةُ الشمس مالت ... فتزلزلْ لها عتيقَ الرقادِ

بعثتْ مصر من جديد .. وألقى ... شعبُها الحرُّ آخرَ الأصفادِ

إنه يومها المخلّدُ في التاريخ ، ... يومُ الخلاصِ ، يومُ المعادِ

بعد سبعين .. جاءها ينفضُ الذلَّ . ... ويمحوهُ من جبينِ البلادِ

ويسوقُ الضياءَ يهدر بالعزةِ .. ... في كلِّ مهجةٍ وفؤادِ

بعد سبعين لم تنشّها من الهول . . عــذاب الدهــور والآبــاد

بعد سبعيــنَ . . كلُّ ليلٍ عليهــا لم يكُــنْ غير قُبّــةٍ للحِــدادِ

تشتكي وطأة الطواغيتِ والطُّغيانِ والظُّلــمِ والرُّشى والفسـادِ

وظلام الإقطاعِ . وهْــو عُتُــلٌّ واقــفٌ للضّيــاءِ بالمرْصــاد

كُلّــما لاح طيْــفُ نورٍ . تمطّى ورمــاه بِغُمــةٍ مــن ســوادِ

وسقى الأرض ظُلمةً . . فاستجارتْ وهو عنها في غفْـلـةٍ وتمادِ

صرختْ حولَــهُ المناجلُ غرْثَى عانــياتٍ للكوخِ منْ غيرِ زادِ

تسكبُ الصبْرَ في الحقولِ فتُحْييها وتجنــى الشــوكَ يوم الحصــادِ

ويرى البغْيُ نوْحهــا . . لا يرى إلاّ صــلاةَ العبــيدِ للأسْــيادِ

كبُرتْ كلمةً رماهــا على الأحرارِ عــهْــد الشُّــرورِ عهْدُ الفسادِ

ولربْهــمْ ربُّ السمــوات يــوْمــاً هو يوم النُّشــورِ . يوم التّنــادي

* * *

بعد سبعين أمهلتْهمْ . . اطلُّوا فإذا البرقُ حفنــةٌ من رمــادِ

وإذا نــاره هشيــمٌ . . ترتْــهُ غضْبةٌ ، أُخْتُها اطلّتْ بعــادِ

وإذا الأرضُ فــرْحــةٌ ونشيــدٌ لقّنَ الفجْرُ سحْرهُ كلَّ وادِ

وإذا الظُّلم والظَّلامُ صباحٌ   سوّت الشمسُ نوره فى الرمادِ !

• • •

بعد سبعين كُنَّ سبعين وعداً   مالأسباب خُلفها من نفادِ

كلُّ وعدٍ له زعيمٌ وحزبٌ   ومُلَبُّونَ خُشَّعٌ بالأيادى

وأحاجى حُرِّيَّةٍ يُنعِشُ القيدُ   صداها بروحِ الاستبدادِ

وَوُعودٍ تسيلُ إثرَ وُفودٍ   رائحاتٍ معَ الهُتافِ غوادِ

أجلُ القيد عندهم خالدُ العُمْرِ . .   وآفاقُه بلا أبعادِ

غلّبوا فى المِطالِ أجنحة الظنّ   لتبقى لهم دروبُ الفسادِ

كلّما أومأ المفاوضُ : صبرًا   أو غداً . . أسلسوا رخىّ القيادِ!

فإذا غاضبوا ، فما كانَ إلاّ   غضباً يشتهى رضىَّ الودادِ

وإذا حاربوا . فسوقٌ وتجرٌ   بعزيز الأرواح ، أو بالعتادِ

• • •

هذه قصةُ السياسةِ بالأمس . .   رؤاها تَفُتُّ فى الأكبادِ

بعد سبعينَ محنةٍ من خُطاها   زأر الجيشُ واستجابَ الوادى

ولنا مصرُ وموكبٌ في يَدَيّهِ رايةُ الحقِّ بالسماءِ تُنادي

وحَنَتْ رأسها على صرخةِ القيدِ .. فكلّتْ ، وكانَ فجرُ البلاد

لمحةُ الطيفِ .. وامّحى رنقُها الناعمُ ، واندكَّ صرحُ الاستعباد

وصحا النُبلُ من جديدٍ .. والتقى بِنَبْضِهِ العزُّ لغر الأصفادِ !

الزحف المقدس

في عهد الثورة الرابع ٢٣ يوليو ١٩٥٦

بعد أن حمل الاستعمار عصاه على كاهله ورحل ..

وخلص تراب الوطن في القناة من آخر جندي

من قوة الاحتلال الانجليزي اللعين . ومضت

قافلة الحرية في طريق الزحف المقدس

للجبين الصمّا رفعنا الجباها — فهي منه كرامةٌ واتجاها

ومهرنا معارك النصر . حتى — لم ندع حومةً تركنا لظاها

وقهرنا خطا الليالي .. فسدّت — نحرها عثرةً ، وصدّت دجاها

وحملت قمةً من الغيب . كانت — في مدى العمر ألف غيبٍ مناها

ولقيا الأقدار في موعدٍ جاء — مع البعث من أعالي سماها

تتهاوى العصور مرّاً . ويجلى — سفر الشمس دونها أو براها

زحفت مصر من قديم إليها ... والرّبى والسماء تشكي ظماها
وحديد الطغاة، والنار، والآجال، ... ترمي من كل صوب قناها
وهي تلقى لكل صوب شهيداً ... أينما مدّ طرفه في حماها..
واستمرت ومرّ جيل، وجيل ... وهي مغلولة تنادي فتاها:
وإذا بها تشق عن صدرها المكظوم ... حرّاً من الهوان افتداها
فكّ أغلالها، وأفنى دجاها ... وهفى لنيلها، وأجرى سناها..
وقفت وقفة المقادير، تغزو ... بيد الموت كل باغ رماها
نفخت صورها، ولوّت بعلاها ... وبعزم السماء هبّت يداها
وارتمت في غياهب الهول، حتى ... دفنت كلّ غاصب في ثراها
ومضت في الكفاح، لم تبق طيفاً ... لخطا الذلّ، باقياً في رؤاها!

* * *

هذه ثورتي، وهذا ضحاها.. ... في دمي بالحياة يجري هواها
سكنت في دمي، ومن قبل كانت ... في عروق الأجداد يأوي لظاها
أضرمت نارها المظالم، حتى ... مزّقتها سرائراً وشفاها
تتوالى الدهور ... وهي عليها ... صوراً، لا تبين مما دهاها
كلّما آذنت بفجر دهاها ... غسق الظلم، فاستمرت مثلها!

في جبين الفلاح منها خطوطٌ .. أسطرٌ للعذابِ ملّتْ لقاها

فاسأل الناس أمرها .. ربَّ قلبٍ في ضلوعِ الحديدِ يذري شجاها !

واسأل الأرضَ .. ربّما ينطقُ الصخرُ لتبكيها بالدمعِ لا ثراها

واسألِ الريحَ .. وهي جارٌ غريبٌ من قديمِ الزمانِ يبكي جواها

فتزعتهُ خطوَها ، فهو لا ينفكّ يحكي لكلِّ شيءٍ أساها

واسألِ الكوخَ .. وهو في مهجةِ الغربِ فرخٌ محرقٌ في حشاها

بل .. وسلني .. فإنه فوق جبيني أثرًا من غضونها وشقاها

لستُ وحدي شربتُ منها .. ولكن حولي الأرضُ ، من سقاني سقاها

جرعتها العذابَ ستين عامًا فتوخّتْ أهلَها ، وأبلتْ ثراها

منّ عارُ التاريخِ .. ما مرّ إلا مطرقًا من صباحها ومساها

شمخَ الظالمونَ فيها .. وكانوا عِبرًا للغرورِ تخزي حصاها

نزفوا في كؤوسهم عرقَ القوتِ ، ومن نبعهِ استقوا طلاها

واستبدّوا ، وخلفهم ماردُ الإقطاعِ ، في ظلّه تلاشتْ رباها

شكّ منهملةٌ فلم يبقَ لي حتّى جنى نخلتي ، ولا لن أراها

لن أستقي ولن ينزرُ الروحُ إن شاءتْ ليخضرَّ من صباي صباها

وهو يلقي كهفنةَ الهمِّ ، لا يتركُ حلمًا لنظرتي في جناها ! !

أرضُنا .. أرضُنا .. فكيف جنَيْنا ... شوكَها والغريبُ يَجْني ثمرها

أترعوها مفاسداً .. وأطالوا ... أجلَ القيدِ كي يطولَ نباها

وتنمّروا .. وليلُهم ثقيلُ الظلمةِ ... يمتدُّ غاضباً في كراها

وتهبّ الطفلةُ مسلوبةُ الوعيِ ، ... غطيطُ الفسادِ أعمى نُزلها

وعلى النيلِ حسرةٌ تكتمُ الغيظَ ، ... والمواجعُ تُوالى سُراها

وعلى الجبهةِ آيةٌ ، في يدِ الرحمن ... سرٌّ تضمُّه راحتاها

ودنا الفجرُ .. واشرأبّتْ ضفافٌ ... علمَ اللهُ ما أجنّتْ حشاها

وأنا الفجرُ ، فجرُ مصرٍ .. وفجرُ ... البعثِ ينشقُّ نورُه في سماها

وإذا مصرُ .. في صباحٍ جديدٍ ... ما رآه من قبلِه شاطئاها ..

ثورةٌ ترفعُ الجبينَ إلى الشمسِ .. ... فيغشى من الضياءِ ضياها

فجّرتْ نورَها على كلِّ شيءٍ ... في حماها . في أرضِها . في سماها

أيقظتْ مصرَ . ثمّ شدّتْ على القيدِ ... فشتّتْ رحلةً من ثراها

بعد أنْ شابَ ذُلُّها في جوارٍ ... كان للغاصبين فخراً وجاها

زلزلتْ تطلبُ الخلاصَ بأيدٍ ... آمنتْ بالخلاصِ حتّى أتاها

واستقلّتْ أعلامُها . فأنا الشرقُ ... نشيدٌ للبعثِ غنّى علاها

• • •

هذه أرضها ، وهذا ثراها ، كل شبر شهادة عن علاها ! . .

الصحارى التى يئنّ منها القيظ . وتطوى الرياح مما دهاها

لا مسّها عُمْرَ الفِطامِ . . فكانت جنة تسكب الجنى والمياها

واعادت كرامة الأرض فاعتزت بمن شقها وأحيا جناها

• • •

ارفع الرأس يا أخى ، أرض أجدادك عادت إليك ، فاشرب هواها

وأذقها من حبك الحر ما لم تك ذاقت من قبله شفتاها

نبذ عنها الجلاد ، والغاصب المغرور . . وانفض سوقهم عن دجاها

ثورة النيل حررتها ، وراحت بكفاح الأحرار تبنى قواها

وستبنى ، وكل يوم ستمضى لحمى النيل عزة ما رآها

عزة مدت الجناح على الشرق ، ودوى فى كل قلب صداها

هذه ثورتى ! . . وهذا ضحاها من يد الشمس أرضعته بهاها !

قصـــة القنـــاة

٢٦ يوليو ١٩٥٦

مع بطل الثورة ، وهو يجلجل بصوته فى سمع

العالم كله ، معلناً تأميم القناة ! !

شقّتْ بثورتها دُجى الزمنِ وطوتْ عهودَ الرقّ فى الكفنِ
وانتْ على الأغلالِ ، قاصمةً قيْدَ الحمَى ومظالمَ الوطنِ
للهِ جذْوتُها ، وقد سطعتْ بضيائها فى الريفِ والمُدُنِ
نفضتْ عن الأيام غفلتَها ورقَادَها فى حالكِ الوَسَنِ
وتلفّتتْ مصرٌ لصيْحتها فإذا بها فى شامخِ القُنَنِ
هلكتْ مع الطاغين نشْوتُها وهوانُها فى النّيْرِ والرّسَنِ
ومسيرُها فى القيْدِ لاهثةً معصوبةَ العينينِ والأُذُنِ

لم تُبْقِ نارُ الظلم في يدها غيرَ الأسى والضعفِ والوهَنِ

وبقيةٌ للنَّوح في فمها خرساءَ . لم تفصحْ ولم تُبِنِ

تشكو . . ومن في الهول يسمعها والشعبُ فيها نائمُ الحَزَنِ

وتمرُّ بالتاريخ ، صاغرةً شكلَى تنوحُ بهيكلِ الزمنِ

سبعون عاماً في غياهبها ظلّتْ مُوَلولةً من الشجَنِ :

أنا مصرُ أُمُّكُمُ . . وما رضيت لكم بغير الخُلْدِ من سَكَنِ

القَيْدُ ! شابت بي سلاسلُهُ يا مَن . . ولو بلظاهُ يَصْهرني !

والغاصبُ الخَدّاعُ يَخْتِلُني ويسودُ بالتفريقِ والفِتَنِ

ويصيدُ أغراباً يُملِّكها من غير أبنائي ليَحْكُمَني !

وسنابكُ الإقطاعِ ضاريةٌ كالوحشِ في كبدي تُمزِّقني

أخنتْ على زمني بكلكلها وسقتْ سياطَ الظلمِ من بدني

شربتْ من الفلاحِ أدمعَهُ ومضتْ فلم تحفظْ . . ولم تصُنِ !

والحكمُ متّجرةٌ لمن ظلمت يدهُ الثراءَ بغيرِ ما ثمنِ

سرت الرُّشى فيه بحُمَّيتها تقضي ، وما شاءته فليكُنِ

دنيا فسادٍ ، ليلُ غُمَّتِها فوق الكنانةِ كاد يُزْهِقُني

وأنا بنورِ البعثِ ، تُرْسِلُهُ عينٌ من الرحمنِ تحرسُني

رفعت يدُ الأحرارِ رايتَه فوق الضفافِ . . فلتَهْنَتْ وطني

يا مصرُ ! وللفجرُ الجديدُ سرَى . . سيرى بعزم الله . . لا تَهِنى ! !

سيرى . . فمنْ كانت قوافله للحقّ . . ذكّ معاقلَ الزمنِ . .

سارت . . وللأقدارِ فى يدِها ما للعهود بقلبِ مؤتمنِ

والزحفُ موصولٌ لكفاحٍ إلى شطٍّ بوجهِ الشمسِ مقترنِ

فى زاخرٍ بالنورِ ، مدّ به شوقُ الرياحِ جوانحَ السُّفُنِ

تجرى . . ويحدو الله موكبَها من كلِّ غدّارٍ ومضطغنِ

ملاّحها منها . . ومن يدِه يمضى الزمامُ بها إلى القُننِ

والله ناصرُه . فكم زأرتْ هوجُ الخطوبِ . فطاحَ بالمحَنِ

لم يُبقِ للأغلالِ فى دمِها طيفاً على روحٍ ولا بدنِ

والأرض . عاد جبينُها ألِقاً حرَّ الترابِ محرَّرَ الفنَنِ

لم تغْدُ فيه الفأسُ صاغرةً تعطى الثمارَ لكلِّ مختزِنِ

ولكلِّ نهّابٍ ، ومتّجرٍ بالزُّورِ ، يقطفها بلا ثمنٍ ! !

وسلِ القناةَ . . فإن قصّتَها أشجى من الأوتارِ فى أذنى ؛

لعظامِ أجدادى سمعتُ بها أسطورةً مصريةَ الشجَنِ

غنّى العذابُ بها ، فلو نطقتْ كانت فحيحَ الموتِ في الكَفَنِ

وتناجتِ الأنواحُ ، واختلطتْ بالتّظلّمِ والإذلالِ ، والحَزَنِ

شلّوا الصخورَ ، بمِزعٍ صَمدتْ للهَوْلِ ، لم تَيْأَسْ ، ولم تَهِنِ

حتى التقى البحرانِ . . وانفرجتْ مُهَجُ الفَلا لقوافلِ الزَّمَنِ

وتأرّجتْ للشرقِ ساريةٌ لولا سواعدُ مصرَ لم تكُنِ !

زحفَ الطُّغاةُ على شواطئها يتقاسمون مراتعَ السَّكَنِ

هصروا خمائلَها ، وما تركوا للشعبِ غيرَ البؤسِ والإحَنِ

وتجبّروا . . فأتاهمُ قَدَرٌ كالماردِ الجبّارِ من وَطَني

أجلى كتائبَهُمْ ، وصيّرَهُمْ بَدَدَ الفَناءِ ، وعِبرةَ الزّمَنِ . .

لنا الشـــرق

٦ نوفمبر ١٩٥٦

ومعركة الحرية تتأجج نارها في سماءِ بورسعيد الخالدة . وقد هبَّ الشرقُ العربيُّ كله مع مصر في نضالها الخالد لسحق الغزاة وصدِّ العدوان الثلاثي الخاسر .

تلفتُّ فالتفتتْ مجنّتي بقبلةً
تسوقُ ضياءَ الفجرِ منْ كلِّ وجهةٍ ..
لنا الماردُ الجبارُ هبّتْ قيامتي
لتعصفَ بالأغلالِ في كُلِّ بُقْعَةٍ
رفعتُ جبيني للسّماءِ .. فأوْشكَتْ
تمسُّ منارَ الشّمْسِ أنوارُ جَبْهتي

أنا النُّورُ في لَيْلِ الدُّهورِ .. رأيتُها

نُجَيَّ حائرِ الإظلامِ فوقَ البريةِ

فأشعلْتُ مصباحي ، وسقْتُ قوافلي

مشاعلَ يَحْدوها ضياءُ النُّبُوَّةْ

ونوَّرْتُ آفاقاً وأحْيَيْتُ عالَماً

لهُ في فِجاجِ الغرْبِ ضَجْعةُ ميِّتِ !!

وكم رُحْتُ أسقيهِ بوَحْيي .. وراحتي

من الروحِ ، تُعطي إثْرَ رَشْفةِ !

تمدُّ يميناً للسماءِ ، تُمِدُّها

يدُ اللهِ معاً تَبْتغي منْ هِبَاتِهِ ..

رسولاً ، رسولاً .. موكباً منْ عدالةٍ

وحقٍّ ، وإسعادٍ ، ونورٍ ، ورحمةٍ

وفتَّحْتُ صدري ، فالتقَتْ في جنانِهِ

منَ اللهِ ، آياتُ الهُدَى والحكمةِ

وجرَّدْتُ سيفاً ، يَنْشُدُ الحقَّ حدُّهُ

ويحطمُ قيدَ البَغْيِ في كلِّ أُمَّةِ

ويرفع هاماتِ العبادِ . وينثنى

فيرفع سوطَ الذلِّ عن كلِّ نظرةِ

ويهوى على الطامعين رجماً تنيقهم

على صلف الطغيانِ ثارَ للذلّةِ

أنا البعثُ .. مهما قاومَ الغربُ ثورتى !!

أنا النورُ .. مهما قاومَ الليلُ يقظتى !!

أنا الحرُّ يذرى كلُّ حرٍّ مواقفى

ويشهدُ لى التاريخُ فى كلِّ صفحةٍ ..

أنا العزةُ الكبرى . أنا الشرقُ !! فليعدْ

إلى كيانى بعد طول التفتتِ ،

وترجعُ راياتى . كما قد رفعتها

وسنتْ بها الأيام من كلِّ قبةٍ !!

و «حطين» تروى كيف بأسى وقوتى !

وكيف «صلاح الدين» هزَّ شكيمتى !!

وقادشُ للأجيال تروى حديثها

وتسكبُ فى سمع الزمانِ بطولتى !!

فَقُلْ للطغاةِ المعتدين على الحِمَى

لِمصرَ فداءُ العُمْرِ من كل مُهْجَةْ

ستَنْسحقُ مَنْ مَسَّ الثَّرَى بِخَيْلِهِ

ونَسْقيه وَيْلَ الموْتِ مِنْ كُلِّ ذرَّةْ

ونرفعُ للشّاريخ ، فَوقَ تُرابِها

لواءَ العُلاَ والنَّصرِ في كُلِّ بُقْعَةْ

انطلق المارد

نوفمبر ١٩٥٦

إلى روح جواد حسنى الفدائى الشاب الذى سطر بدمه

قصة كفاحه وتعذيبه على جدار السجن الذى استشهد

به فى معركة بورسعيد على يد المعتدين الغادرين .

فى حَبْرةِ الليل ، ونارِ الطغاةْ / لم تُبْقِ طيفاً فى طريقِ الحياةْ

وكلُّ ما فوق الثَّرَى مُقْحَمٌ / للموت ، مَا منها السارِ نَجاةْ

والأرض حقٌ شاعر . انصرمتْ / كرامةُ الأحرار عاتِى لَظاهْ

والأفقُ طيرٌ خانق فى الدجى / لحسّ الرّدَى ، تخشى المنايا لَظاهْ

ينقضُّ من كل سماءٍ على / مواقعِ الوهمِ ، وهمسِ الشفاهْ . .

• • •

انطلقَ الماردُ من غابه / والنيلُ بُركانٌ بأعصابهِ

وثورةُ الأجيالِ في صدرِه تحطّمُ الليلَ وتغنّي به

ومصرُ في أحلامِهِ طائرٌ لأنّتْ خطا الدهرِ بأسرابِه

غنّى على نايٍ سحيقِ المدى قبل امتدادِ الدهرِ فِمنا به

وقبل أن نهبطَ هذا الثرى كُنّا رحيقاً طيَّ أعنابِه

• • •

مضى بروحٍ زلزلتْ روحُها جوانحَ الليلِ، وصمتَ الجبالْ

لقوى من الموتِ حجابُ الردى ينشقُّ عنها مستنضامُ الزوالْ

مضى جوادُ الروحِ . . يسقي الثرى من دمِه النشوانِ خمرَ النضالْ

يرمي الصبا في كلِّ فجٍّ، على مذابحِ العمرِ، ونارِ القتالْ

حرٌّ نفى القيدَ بأسطورةٍ لعنتي فداءٌ من سماءِ المحالْ . .

• • •

في حومةٍ للهولِ فيها سيرٌ انقضَّ كالماردِ يحدو القدرْ

مُتمّماً . . للرعدِ في صوتِه وللمنايا في صداه أثرْ

بجناحِ عصفِ الريحِ في خطوِه وظلمةِ الليلِ البهيمِ العكرْ

ويخمدُ النيرانَ في صدرِه ولو هوى منجلُها بالعُمرْ

نادته مصرُ . . فرمى عُمرَه وراح يجني لعلاها الظفرْ . .

• • •

تَوَهَّجَتْ للموتِ أحلامُهُ ... فَعَبَّ منها وارتمى في الشَّرَرْ

وراحَ يَسْقِي بَهْجَةَ المعتدِي ... غياهبَ النقمةِ شَتَّى الصُّوَرْ

لم يُتْرُكِ الغاصبُ في صدرِهِ ... طيفاً لِسِرٍّ في حَشَاهُ عَبَرْ

بكُلِّ ما يُحْمِلُ هَوْلَ الوغى ... ردَّ عَنِ الأسوارِ كُلَّ الخَطَرْ

وسارَ للخُلْدِ بأنشودةٍ ... لكُلِّ قلبٍ في صداها وَتَرْ . .

«موكب الوحدة»

٣١ يناير ١٩٥٨ يوم إعلان الوحدة العربية .

مع موكب الوحدة العائد من شمس التاريخ العربي بعد أن وضع الاستعمار في طريقه أسداد الظلام والشتات .

أسلمتها يقظة الشعب العربي وردته إلى مكانه في جبهة الشمس منارا خالدا للقومية العرب .

مِن جبهة الشَّمْسِ حيَّتْكَ المَنَاراتُ

ورفرفتْ لكَ فوق النِّيل راياتُ

وأقبلَ الدَّهْرُ . . نشوانا ، براحته

فجر من الخلْدِ ، صاغتْهُ السماواتُ

وفي الجَبِينِ سُطُورٌ ، راح يحملها

لَوْحٌ منَ النُّورِ ، خَطَّتْهُ النُّبُوَّاتُ

محمود حسن إسماعيل ١٩٣٠

دمشقُ فيه نشيدٌ ، طالما شَجِيَتْ
بهِ العصورُ ، وغَنَّتْهُ الحَضَاراتُ

شجى أُمَيَّةَ فاهْتَزَّتْ بيَارِقُها
وَنَوَّرَتْ في ظلامِ الأرضِ هَالاتُ

يا طالما سطعتْ في الكَوْنِ . تَحْمِلُها
للْعابرينَ مَصَابِيحٌ مُضيئاتُ . .

وطالما سكبتْ نوراً تشعُّ على
قلبِ البريَّةِ مِنْ كَفَّيْهِ آياتُ

وطالما زحفتْ ناراً فما تركتْ
للرِّقِّ عوداً بهِ الطُّغيانُ بفتّاتُ

شمَّاءُ . . ما اطرقتْ يوماً ، ولا وهنَتْ
لبأسِها في ظلامِ الهولِ ساحَاتُ

شقَّتْ حضارتُها الدُّنْيا . وشُعْلَتُها
يَفْنَى للدنَى . . وتُناديها المَسافاتُ .

والغربُ يخبطُ في أَسْمالِ ظُلْمَتِهِ
والشرقُ في كفِّهِ للغربِ مشكاةُ . .

دار الزمانُ ، وعادَ النورُ تَحمِلُهُ

مِنَ العُروبةِ أرواحٌ ورايَاتُ

نصرٌ أعادَ إباءَ الشرقِ ، كم نَهَبَتْ

لَهُ ضحايا ، وكَم غَنَّتْ جِراحاتُ !

ووحدةٌ باركَ الأحرارُ سُنَّتَها

وَظَلَّلَتْها من اللهِ العِنايَاتُ

تعانقتْ في هَواهَا عِزَّةٌ ، وجرَتْ

على القُلوبِ ، تُغنِّيها الحُشاشاتُ

يجري بها بَرَدَى والنيلُ ضَمَّهُمَا

رَكْبٌ لهُ من أمانِ اللهِ خَفْقاتُ

وَفَتَّحتْ للضُحى أبوابَها ، وغداً

للشمسِ في ساحِها تَغْدو المداراتُ . .

في مصرَ ، في دارةِ «الفَيحاءِ» ، كلُّ ثرَى

عانَقْتَهُ ، عادتْ لشطْئيْهِ المَنَاراتُ ! !

شعلة على دجلة

١٤ يوليو ١٩٥٨

في موكب الزحف العربي الظافر .. مع

انتفاضة العراق المجيد ! !

كل ليل .. لم يشهد الشرق مثله | لطلع الله من دياجيه شعلة
شعلة . كل ذرة من سناها | لجميع الأحرار في الأرض قبلة
شعلة .. رجّع السلام عليها | هزج الحب ، وابتسام الأهلة
وجرى من ضيائها النور ، يروى | ظمأ البعث قبل أول وهلة
وسوق الحياة ، تزحف كالإعصار | ، كل الآفاق تزأر حوله
هكذا ما لمقيود ، لا قيد بعد اليوم ! | عودي ! .. فالنور نقى سبله
اسهري وجهك للعين ! وثوبي | في حنين لطفلة ! واسليه وهلة !
وامرحي في فنائه وهو يهوى .. | هذه في يديك كل الأبلة !

كم سقتْهنّ الشعوبُ ثأراً ! فتُقْها ولتشربِ الكأسَ ! ولتشرب الموتَ عَلَّه . .

* * *

كنتَ ليلاً .. وجاءك الفجرُ ركْباً من حصونِ السماءِ ليُسرجَ خيله

نغَمُ السافرين . . هبُّوا . . فلم يَبْقَ جبينٌ عليه رؤيا مذلّة

رُفِعت هامةٌ ، وعزّت جباهٌ من ظلامِ الأصفادِ كانت مُطِلّة . .

كنتَ ليلاً . . فشقّ صبرَكَ . ولتشهدْ مولدَ البعثِ ، يسبقُ البعثُ ظِلّه

أينما سارَ ، حوّمتْ رايةُ الأحرار ، تُلقي على جناحيه قُبْلَة

مرّ بالنيلِ . . فانتهتْ قصةُ القيدِ ! وبادَ الطغاةُ من كلِّ مِلّة

وبأرضِ الشهباءِ شعّ ضياءٌ أمويُّ العُلا ، يُعانقُ أهلَه

وتنامى صداهُ في الشرقِ فاسمعْ ضجّةَ البعثِ في شواطئِ دجلة

وزمانُ المأمونِ تصحو لياليه على فجرِ ألفِ ليلٍ وليلة

والأناشيدُ ، والمواكبُ والراياتُ في كلِّ ساحةٍ ومحلّة

زأرَ الشعبُ حولها . . ونعى الليلَ ، وكانت قبابه تتدلّى

نفحةٌ انتفاضةٌ من نسيمِ السحرِ . كانتْ لكلِّ حرٍّ جِبِلّة

سبقتْ نظرةَ الصباحِ إلى النصرِ . . ولمثلهِ ظلالٌ وغفلة

والطواغيتُ في ذهولٍ مع الزمرِ ، مسحورةُ التهاويلِ مختلّة

وصريرُ القيودِ خلفَ ستورِ الصمتِ ، تُخفي يدُ القاهرِ هولَهْ

وفحيحُ السجونِ يخلقُ للأحرارِ نَزْياً يشقُّ للبعدِ رحلَهْ

والضحايا تُطِلُّ من شُرُفاتٍ لهجيرِ الطفولةِ كانتْ مُظِلَّهْ

نفختْ في غرورِها غضبةُ الشعبِ فلم تُبقِ للجبابرِ صولَهْ

أقفلتْهم رياحُها وهي تهوي بعقابِ السماءِ ، لم تُعطِ مُهلَهْ ..

فجاتْ طاغياً فردّتْه خزيانَ ، وساقتْه في هوانٍ وذِلَّهْ

وسقتْه مصيرَه من يديهِ بيمينٍ كمْ نفثتِ الذلَّ قبلَهْ ..

راية الوحدة

٢٠ ديسمبر ١٩٥٨

في حومة البطولة العربية على شاطىء الخليج العربي تغنى الشاعر براية الوحدة .

في المؤتمر الرابع للأدباء العرب بالكويت

فوقَ صدرِ الأثير ، والأفق حولي كنبيٍّ ، ومنحنٍ ، وصلاةِ ! !

والسمواتُ فتّحتْ لخطا الذرّة بابًا وكبّرتْ للنواةِ

وفضاءُ الفضاء غيبٌ .. ولكنْ لخُطانا المعلَمُ ضجَّ بالبيّناتِ

والضحى عابدٌ توشّح بالنور . وصلّى على جبينِ الحياةِ

وزفيفُ الرياحِ ضجّاتُ عرسٍ موّجتْ سحرَها على الفلواتِ

أو ذنوبٌ مغلولةٌ أطلقتْها حسرةُ التائبينَ بالدعواتِ

وأنا والشبابُ أصعدُ في المجهولِ مُستسلمٌ إلى نظراتي . .

فوق طير . لا تعلم الجن شيئاً   عن خطاه في مسيرة المعجزات
يتحدى الصعاب والأبد الفاني   ويمضي مسخر الخطوات
ويشق الغيوب شق القابر الخفي   للدى . عتى الأناة . .
وأنا راية تمص يد الشمس   وتمضي لشدة النيرات
نفضت عن جبينها حسرة الذل . .   وبلت على جبين الطغاة
قلت من أنت ؟ فانبرت تحصد الصمت . .   وتروى العظائم الخالدات
أنا بنت الوليد ! بنت صلاح الدين !   بنت الملاحم الخالدات
البطولات نورت بين كفي   وشع الضياء من عتباتي
والنبوات أشرقت فوق أرضي   وأضاءت بنورها قسماتي
وقف الغرب خاشعاً عند بابي   واستمد الوجود من راحاتي
ودمت خيمتي على الكون فجراً   صد عنه الغواشي الحالكات
أنا بنت النجوم . . والغرب يترى   يصطلي من عصوره المظلمات
كنت إشراقة الضحى وهو جاث   راكع العقل . ضارع لفتاتي
خلس النور من يميني . وحط الليل .   وانقض واغلاً في سباتي
فتنهدت واستجرت بماض   كانت الشمس فيه . . من جاراتي
وحشدت الرعود . والقلق للرعود   والنصر سابق راياتي

وعدت السعود ، والفلك المرصود حولي بأمنع الغاشيات

وتربصت للعدا .. وتأهبت ليوم بوحدة الركبات !!

بعد ما أغرق التتار ضيائي وحفاة المغول سدوا جهاتي

بعد ما أوغل الغزاة بأرضي وتسلوا بفرقتي وشتاتي ...

ومشوا كالذئاب تنهش أيامي ، ويخضر سمها . في لهاتي

زار البعث . والتفتت ضجة الأشجار وانشق هولها من رفاتي

وأتى مارد القيامة يجتاح قلاع الدجى ، ويعلي قناتي

ردني فارس العروبة للشمس ودك الحدود من طرقاتي

ومضى ينسج الضياء لوجهي ويخوض المعارك الداميات

وذراعاه ألف ألف شهيد يشرب الموت خمرة للحياة

بعد ما شابت الدموع بأحلامي وأوفت جراحها سارياتي

ورأيت الشهيد ، واللاجئ الموعود يحيا بأكذب الرحمات

بعثت أمتي كيانها ، وعادت تشعل الفجر فوق كل رباة

بعد ما مزق الطغاة ثراها وابتلوها بأفدح النائبات

أذن الله وانتهت غشية الليل وثارت على عميق السبات

وانطلاق العملاق يحمل للأغلال بعثاً مدوي الرجفات

وتقبر الأحرار في كل فج — حرمت ناره لسحق الغزاة .

لقنتهم بخزيهم يوم كروا — بخطا الغدر في رمال القناة

زحفت فوقهم ، وسقتهم الويل — على كل موجة وحصاة

وسجا الليل .. فاشرأبت إليهم — وحدة العرب من جميع الجهات

ودوى زحفها المقدس كالإعصار — تمضي نفاثة الكلمات

يتلاشى طريقها ، وهي تمضي — فتشق الطريق للحالمات

لحواريها .. فلبوا .. كما — يمح ليل العصاة فجر الهداة

وعلت وحدة العروبة كالطود — فبانت عصائب المتقيات

راية العرب . رفرفي في سماء البعث ، وامضي خفاقة في الحياة

في غد حومة الجزائر تستقبك — من النصر أخلد الرشفات

وتعودين في جبين فلسطين — كما كنت حرة القسمات

ولنا ما النقب فوق .. وصبت — ناره بالزئير ، صيحة الطغاة

فازحفي . والصقور حولك — [illegible] عربي يقول للنصر هات

وارفعي وجهك الأبي مع الشمس . — فلنا فداؤه للعاتيات ..

عصا المعرّي

قبل ١٠٠٠ عام

مع عصا الشاعر العربي الخالد أبي العلاء المعري
رهين المحبسين . وهي تشب ثورة النور في عقل
الإنسان . وتدق باب المجهول . شوقاً إلى الحرية
وبحثاً عن حقيقة الوجود .

مَنْ سائحٌ في صحارى الغيب جوّابُ ؟ أعمى وأحلامُهُ للنور طلّابُ

يخبُّ فوق عصا ، لم تخبُ جذوتُها مِنْ أيّ وادٍ لها في الخلد أنسابُ

تلألأتْ من ظلام الدهر فتنتُها كما تلألأ تحت النقع قرضابُ

تسري . وصاحبُها سُدّتْ مسالكُه في عزلةٍ ما بها للطيف أبوابُ

موجوعةٌ بالأسى إنسانُ ما اتجهتْ لنقرِها في الحصى همٌّ وأوصابُ

لا تستقرُّ على حالٍ وساوسُها لعودها من سعير الشكِّ شرّابُ

عرافةٌ توقف الأوهامَ نظرتُها مفزوعةً... وتنتابها المُنسابُ

وتنطق الصخرَ إن راحت تخاطبه وللجمادِ كما للناس آهابُ !

كم أوسانٌ لسكون البيدِ فارتعشت في معقل الجنِّ خيماتٌ وأطنابُ

وحلقت في طريق النجمِ. وأعجبا لخت الضرير لها في النورِ لهّابُ

وغلغلت في ديارِ الموتِ غازيةً تريدُ سراً.. وضيفُ الموتِ هيّابُ !

هبت على سكتةِ الموتى كعاصفةٍ لم يسقِ إعوالها ليلٌ ولا غابُ

تكلمت. فأصاخت كل جمجمةٍ حديثها لجياع الدودِ كذّابُ ..

وساءلت جيرةَ الأكفان : هل معهم شيءٌ عن العالم الثاني إذا ذهبوا ؟

هل ينفضون تراباً حطه لهمُ مؤنبٌ صارمُ التأنيبِ غلّابُ

سوى متوّجهم فيه بعاطلهم فكلهم في جحورِ الموتِ أترابُ

وهل هناك لهم صحوٌ كما زعموا ؟ أم إنهم لوقودِ الدهرِ أحطابُ ؟

تلهوا من الخزي.. لم يشفع لصمتهم شيخٌ من الريحِ تحت الليلِ لوّابُ

مغرقٌ بمنة الأجداث . ومن حصاً واعظم . وأساطير . وأعشابُ

ظلت تسائلهم . والرأي في يدها يصده عن لقاء الغيبِ إرهابُ

ويشتفي ظلمةَ الأفهامِ . ترقبه وطرفها لجديد النارِ سهّابُ

فصعدت خطوها في مثل عارجةٍ من الطيورِ لها سبحٌ وإطرابُ

تعلو، ويعلو بها الإنشاد في أفقٍ — لصلاته بمعين الوحي سكّابُ

شعرٌ كأنّ جناحَ النسرِ في يدِه — مثابةٌ للعقولِ الشمِّ جذّابُ

لعلّني من الريح خطواً لي مصاحبه — للحسنِ لخيالِ الشمسِ خلّابُ

يكادُ من عمقهِ يهوي بلُجّته — ملّاحُ بحرٍ عن الأغوارِ هرّابُ

ظلّت تجوسُ به أرضَ النجوم، كما — تجوسُ في اللجّ للمسحورِ نهّابُ

وحين عنّتها الأهوالُ في سفرٍ — لوطلّه رغمَ طولِ السيرِ غيّابُ

دنا بها سرُّه الإلهامِ من حُجُبٍ — تحوطها من طيورِ الغيبِ أسرابُ

تجرّأت ودنَتْ واستشرفَتْ ومضت — ودونَ ما تبتغي سدٌّ وأعتابُ

هنا هي الغيبُ، ما نالته قافلةٌ — إلا وركبانُها في يأسهم تاهوا . .

عادتْ لصاحبها حيرى يقلّبها — كما يقلّبُ نارَ الشكِّ مرتابُ

لأنّ الغصون غدتْ والفنُّ حاملها — كأخت موسى، لها سحرٌ وإغرابُ

تمضي إليها ببلواه، وأرسلها — فضيّعتْ عمرها الكونَ نجّابُ

أناقةٌ رجعتْ حسرى تهلّله — لأنّ العبادَ كما ردّدتَ أرشابُ

يا ضيعتي، لم أجدْ شطّاً ألوذُ به — كلُّ العوالم في عينيّ سرابُ

والناسُ خفّاشُ كهفٍ ملّ ظلمتَه — وما به غير خطوِ الشرِّ نهّابُ

بهشُ الذنوب، وفتحُ العقلِ منطقهم — وفوقهم من رياءِ العقلِ أثوابُ

• • •

يا قابعاً في ظلامٍ فوق لُجّته | إعصار فكرٍ عتى البلس صخّابُ
سوانه لأغاني النفس مسبّحةٌ | وصحنه لجنون الشكّ محرابُ
خل الحقيقة لا تحفل بموطنها | ولا عليك إنا طلّابُها خابوا . .
إن الحياة حياةٌ كيفما وُجِدَتْ | وسحرها لجميع الخلق جلّابُ
علامَ تشبعتها نماً ، ومن يُنِها | نورٌ بعقلك للأزمان خلّابُ ؟
أعطتك مالو بجفن الليل لارتفعت | للشمس منه أباريقٌ وأكوابُ
شعرٌ هوَ الخُلْدُ حتى لو كفرْتَ به | شعّت بمسراه أجيالٌ وأحقابُ
زمنتها ، وتركت الشكّ يرجمُها | وراح سُخْطك للأديانِ يغتابُ
ثمّ انظر اليوم للدنيا وأهلِها | مما عصرْتَ من الآلام شُرّابُ
هاموا بأرضك حجّاجاً ، ولو علموا | هاموا بشعرك . إنّ المجد كذّابُ ! !

طيرٌ من الشرق

٧ مايو ١٩٥٩

مع مزامير الجمال ، وهو يوقظ الشرق بمناشد الحرية والبعث والإيمان .

وطيرٌ من دروبِ الخالداتِ بأجنحةٍ سوابغَ مؤمناتِ
مزوّدةٍ بنورِ الحقّ... تمزّقْ به حُلَكَ الستورِ المظلماتِ
تصيحُ بهنّ سابلةٌ ، ودربٌ ومئذنةٌ تكبّرُ للصلاةِ
وقلبٌ غاشمُ الأصفادِ سدّتْ طريقَ اللهِ عنه يدُ العصاةِ
وراهبةٌ على حرمٍ أمينٍ تهجّدُ في غلائلِ ناسكاتِ
وراعيةُ الصدى والصوتِ حلّتْ على وهجِ الصدورِ المتعباتِ
وملحدةٌ يحيّرُها تجلّها فتشرقُ بالدموعِ الهامساتِ
وسابيةٌ لنبعِ النورِ طارتْ إلى لُججِ الضياءِ الزاخراتِ

تسبّح للسَّنا ، وتَظلُّ ظمأى فتنهل بالعشيّ وبالغداةِ

ومُتْعبةً على أعتاب طاغٍ يُجرّعها المذلّة في الفُتاتِ

وساجدةً لغير الله . كانتْ ملائكةٌ لديها ساجداتِ

وكاظمةً من الأغلالِ غيْظا يُسائلُ وجهها كلَّ الجهاتِ :

ألا نبأً بفجرٍ ينبلُ بزلزلِ صيحةٍ سمع الرُّفاتِ ؟ !

قوافلُ أنفسٍ . وظلامُ ليلٍ يدمدم بالرياح العاصفاتِ . .

ولا حادٍ هناك . ولا طريقٌ لِمنْ كانوا هداةً للحياةِ !

ومنْ كانتْ قوافلُهُمْ ضياءً يُشَعْشعُ في العُصورِ الدّامساتِ !

ومَنْ سُمَّارُهُمْ روَّى ضُحاها جبينَ الشمْسِ من نور الهداةِ !

وللشرقِ منْ سَبَاسبها شُعاعٌ لَهُ رقصتْ جميعُ الكائناتِ

وريعَ الظُّلْمُ . وانحدرتْ خُدودٌ من الظُّلامِ كُنَّ مُصعّراتِ

وناءَ الرِّقُّ . وانتفضتْ جِباهٌ على قدميهِ كُنَّ مُعفّراتِ

وكمْ كِسرى ماردٍ عجميّ نارٍ تَرَكْنَ رمادَها في السافياتِ

وجمجمِ قيْصرٍ كانتْ تَراهُ على فلكِ النُّجوم مُخَيّماتِ

تجبّرَ واعتلى . . فعلّتْهُ ريحٌ أشدُّ منَ الغُيوبِ العاتياتِ

منَ الشّرْقِ العريقِ سرتْ خُطاها منَ البيتِ العتيقِ مُطهّراتِ

سرت عربية الأنفاس تجرى ... بها مهج الخيام موحدات

تجوب الأرض لا تبغى جنيها ... لغير الله ، يطرق فى صلاة ! !

ولا تبغى يداً تمتد خجلى ... لتلقط رحمة من أى عات

ولا تبغى ضميراً فى ضلوع ... يتابع ذاته خلف الطغاة

ولا تبغى كرامة أى وجه ... ولو ظمآن ، تنفض للسقاة !

على دين الإباء جرت إباء ... يجلجل فى القلوب المؤمنات . .

علت راياتها شرقاً وغرباً ... و« بالحمراء » كل المهينات

فلا ريح المغول لوت خطاها ... ولا حطين قاهرة الغزاة

ولا العادون فى حلك الدياجى ... بأطماع كوهم الترهات . .

تلاشوا فى هزيمتهم وعادوا . ... وكبر كل حر للقناة !

وعادت راية الأحرار تعلو ... وتزأر : يا سماء النصر . . هاتى

المجد وحدت ركبانى ، وسارت ... قوافلهم لمجدى مسرعات

يطرزها بإنشيد من وليد ... ويسحرها حداء الأمهات

وتحضنها البطولة أين سارت ... بأنغام الفدا والتضحيات !

نبا ابن الشرق . . هل كل لحن ... سبقت به ربيع الرابيات . .

عشقت البعث . . فانظره شراعاً ... يشب على العدا بالمهلكات

عشقتَ اليقظةَ الكبرى لشعبٍ ... ضحاها الحرُّ يورقُ بالحياةِ

عشقتَ خطى العروبةِ في علاها ... موحّدةَ السبيلِ بلا شتاتِ

فتقتحمُ العصرَ مواكبُها تدوّي ... وتزلزلُ في الشعوبِ الراسياتِ

وترفعُ رايةَ التحريرِ حتّى ... تردُّ لها العصورَ الخالياتِ

وترجعَ أمّةٌ للعربِ كانتْ ... بيارقُها نجوماً هادياتِ

زهــــرة من عـــــذاب

إلى صخرة النضال العربي المنيع .. العزلاء التي

قهرت حديد الطغاة وحيرت بطش الاستعمار

وكانت الآية الكبرى لنضال الشعب العربي في أرض

الجزائر العربية الباسلة التي سيكتب لها

النصر المبين .. على أنياب «السجين»

كلما هبَّت الرياحُ عليها لهبُ الموتِ في الليالي الثقيله

نشعلت في الفضاء ثورةَ نورٍ شبَّ إيماضُها بقلبِ الخميلهْ

كلما شدّتِ السلاسلُ في إصرارِها الحرّ عُقْدةً مُسْتحيلهْ

أرّقتْ للحديد ناراً .. وخلّتْ جمرَها بالغناء يسقي غليلهْ ..

كلما أوغلتْ وعودُ المنايا في ضحاها ، لكي تذيب سهولهْ

نسختْ عطرَها فناءً وبعثاً وحياةً جديدةً للبطولهْ ..

كُلما النفذ المجنب سوطا في شلها ، وللقلق الرعب غولة

وتفتْ كالزمان ، كالغيب ، كالإيمان . تغزي عنائه وغليله

كلما اطبق الخريف عليها بعزيف السمائم المجهولة

انزعت كأسها غناء وعطرا نجرة بالنشيد يسقي لصيلة . .

كلما فحت الأفاعي حواليها ، وراح الظلام يرخي سدوله

وسقى السجن قلبها برحيق ضل عن حانة الزوال سبيله

شربته . . وهدلت منه كرما سكرات الخلود تهفى وصوله . .

واستحالت على العذاب محالاً هلكت دون سره كل حيلة !

كلما زمجرت وحوش المنايا واستفلتت على رباها الظليلة

زلزلت روحها . . فلم يبق غيب لم يعمر لها الهموم التخيلة !

اذهلت قوة الأعاصير بالصمت ، ورنت إلى الظلام عويلة

ومضت في سواده المر تعطي ألقا لم ير الضياء مثيله

. . . .

زهرة ؟ ام تميمة لكفاح الرق ؟ . . ام قصة القباء الطويلة ؟

ام نشيد الأيام ؟ ام ثورة الإلهام ؟ ام غضبة الحياة الذليلة ؟

ام دعاء الأحرار ؟ ام قسم الثوار ؟ ام نوبة الليالي . . اجمهلة ؟ !!

عـــدوُّ الاســتـعــبـــاد

«الحرية هي شجرة الخلد ، وسقياها قطرات

من الدم المسفوح»

الكواكبي

مهداة إلى «حلب الشهباء» مدينة الثائر العربي

الحر ، عبد الرحمن الكواكبي ، في مهرجان

العروبة بذكراه .

متى إلى خريف الوحي يقتربُ

مـدّى يمينـك بالإلهام يا «حـلـبُ»

نادى المنادى فرمتْ لضلع ، وخبتْ

حشاشة ، وانزوى في كهفهِ الغضبُ

والكأس تعجب ، والأقداحُ فاغرة

فاهـا ، وتوشك للحرمان تنتحـبُ

والعود في سهْفَتةِ المنهولِ تحسبُهُ

شيْخاً لقابرهِ المجهولِ ينسحِبُ

والصمتُ مُهجةُ آفاقٍ ، يرنُّ بها

طيرٌ إلى لغطِ المجهولِ ينتسِبُ

والشِّعرُ يومىء ، والأوتارُ ضارعةٌ

ادفقةٍ من غناءِ الخلدِ تنسكبُ

ماذا ؟ وجلجلت العيدانُ ! وانتفضتْ

على النداءِ ، وشُقَّتْ حَولها الحُجُبُ

ماذا ؟ وأورقت الأحلامُ في قدحي

وبالرحيقِ اتى يستغفرُ العنبُ

ماذا ، وكبّر في جنبيَّ مُحترقٌ

تململَ الجمرُ فيه واشتكى اللّهبُ

ونوّرتْ لطريقِ الوحيِ قافلةٌ

من كل ما يسحرُ العيدانَ تصطحبُ

لمعُ الظُّبا وصهيلُ الخيلِ ، ردّده

على البيارقِ نصرُ اللهِ والغلبُ

والسيفُ يَعزفُ للأبطالِ ملحمةً

تُصغي وتخشعُ من إنشادِها الشُهُبُ

والدهرُ مُصغٍ ، وما في سَمعِهِ نغمٌ

إلا سيوفُ «بني حمدان» والعَرَبُ ! !

شهباءُ قصّتي . . . يقصُّ القيدُ مصرعَهُ

وكيفَ منك سرَى في جنبِه العطبُ ؛

أرضُ النبوّاتِ ، أرضُ اللهِ كرّمَها

ومن يديهِ تلاقتْ فوقَها الكتُبُ

هنا يضيءُ وهنا في رسالتِهِ

لكلِّ قيدٍ شهابٌ ظلَّ يرتقبُ . .

أوْمتْ إلى جبهةِ الإنسانِ فارتفعَتْ

وكبكبتْ حولَه الأصنامُ والنُّصُبُ

وكم أضاءتْ دُجى الأيامِ راحتُها

والكونُ في لُجّةِ الإظلامِ يَضطربُ

بنتُ الصحارَى . وهذا الرَّملُ يعشقُها

مُذْ أقبلَتْ فوقَهُ بالنورِ تنسكبُ

ظلّت تضيء . وتُغطى من مشاعلها

للظامئين . . وكَمْ عبُّوا ! وكَمْ شربوا !

ومرّ دهرٌ عليها . وهي ساقيةٌ

بالراحتَيْن ، ولا أيْنَ . . ولا تَعَبُ !

منَ الخليجِ إلى الحمراءِ ، رايتُها

عنْ دارةِ الشمسِ لَمْ يُقْطَعْ لَها سَبَبُ

وخالَسَتْها يدٌ نكْراءُ ، فاختلفَتْ

بها الدُّرُوبُ ، وراحَ النورُ يغْتَرِبُ ! !

يلوذُ مِنْ حالكٍ داجٍ إلى حَلَكٍ

تربَّصتْ حولَهُ الأغلالُ والرِّيَبُ

والليلُ يرمي ظنوناً في مسالكهِ

حيّاتُها من جُحُورِ الظُّلْمِ تنْسَرِبُ

وللسّياطِ بظهْرِ الرقّ قهْوهَةٌ

تخالُها الجنَّ يَفْرِي صمْتَها الغَضَبُ

وللسّلاسلِ ترْزيمٌ يغطُّ لَهُ

قلبُ الطفولةِ . كما لو وسوسَ الذّهَبُ

والمستبدُ عَمْتَلْ فوقَ خلشيعة

زيفُ التألـهِ فيها مَلْـهُ الخَشَـبُ

مَمْدُد طاغوتـه فى كُلْ صامدةٍ

عَلَـى الإبـاءِ نداهـا . . إنّنَـا عَـرَبُ

وَالقَوْم تَرْزح تَحْتَ النّبه حَيْرَتَهمْ

ولا شِعاعٌ مِـنَ الأصفـادِ يَـقْـتَـرِبُ

وإذْ بصوتٍ منَ الشهباءِ صَيْحَتُهُ

حَتّى الكواكِبَ لم يَهْنَأ لـهـا صَخَبُ

مُزَوّدٍ بغيوبِ القَيّدِ   كيف أتتْ ؟

وكيفَ تَغْرس لِلطّاغـى وتحتَطِـبُ

وكيف تَغْشى نُفوسَ النّاس إنْ صَبَرُوا

علَى الهوانِ ؟ وتَخْشاهُم إنا غَضِبوا !

وكيف تَسْرُبُ كالمحتـال . . بحَسْبُها

مُغَفّلُ الروحِ . للأحـرارِ تَنْتَسِـبُ

وكيفَ يبُثُ لهذا النـورِ . وهو ضُحَى

ضياؤه من ضياءِ اللّـهِ مُكْتَسَـبُ ؟

وكيف سدّت طريقَ الشرقِ راحتُها

فخيّمت فوقه الأسدالُ والحُجُب ؟

يدرى سرائرَها ليّانُ ما فهمت

فى قلب طاغٍ ، وأنّى شاقها الهربُ

وكيف يصرعُها الأحرار ، إنْ وقفوا

صفّا يدرّعه الإيمانُ والغضب

وكيف تفتك بالطّغيانِ وحدتهم

ويستردّون من كفّيه ما سُلِبوا ؟

ويُرجعون صلاةَ الشمس ثانيةً

فى أرض قرطبةٍ تسبيحُها عَجَبُ :

إذا تؤذّنْ فالدنيا لها أُذُنٌ

وإذْ تكبّرْ ، تجثو الهامُ والرُّكَبُ !

واللهُ أكبر قد فسرت قوتها

وإنها جحفلٌ فوق الثرى لَجِبُ

منْ مسّها بُعثرت فى الأرض رايتُه

وراح من صهواتِ المُلْك ينقلِبُ

لا لَوْحَدٌ ! لا وحيدٌ ! كُلُنا بشر

وَغَيْرُ نلك للبهتان يَنْجَنِبُ !

ردّدتها فـإذا التيجانُ مُنْزَعَةٌ

كتائبِ الطير سَدّت افقه السُحُبُ

وملاءَ عرشٌ حميدىْ لناخَ على

قلبِ العروبةِ منه الظُلْمُ والكُربُ

لم تُلْهِك النذرُ الكبرى لنقمته

ولاَ المشانقُ فى الأعوادِ تُنْتَصَبُ

فلذْتَ بالنبل . . فاسمع صوتَ عاصفةٍ

على القيودِ حوتْها النارُ والحَطَبُ

ضممتَ ناراً إلى نارٍ فضمّكما

ليلُ الكفاحِ ، وعاد الفجْرُ يقتربُ

هلّتْ على حلبٍ اولَى بشائره

ومن ابهى مرّةً عادتْ شمسهُ تثِبُ ،

يا قومْ هذا طريقُ الحقِّ ، وحدَنا

فى ليلهِ نسبٌ ، فى فجْرهِ نَسَبٌ . .

لنا اخوك ! وانت لبنى ! وانتَ ابى ،

يَجرى دماَءك - لنا تجرى - بىَ العصبْ

مِنْ غابرِ الدهرِ نبع الضاد يجمعنا

وكُلنا من سوَاقى سحرها شربوا

هنَا الرحيق مكفى كيف اعصُره ،

إنْ لم تكنْ غرستْ عنقوده حلبُ ، ،

هنا المبان ، هنَا النأى الذى انسَحَرتْ

به العصور ، وغَنَتْ لحنهُ الحقبْ

هنا القواضبْ والأقلامْ ، اىُ مدَى

لعزة الشرق إن سلُوا وانْ كتبواْ

يا عيْنَ جالوت قولى عنك : ما فعلتْ

ذرَات رملك بالعادين والخصَبْ ،

شقتْ حطامهمْ سيف الله بلهبة

من البطولة تَسقيهم بما رغبوا

ونزرعْ البيد منْ لجالهم نَغَماً

تاريخهُم منهُ حتى اليوم ينتحبْ ،

شهباءُ فصّي بفصْ الدهر، واستمعي

فكَمْ هارَضك عزّ الشرْقِ والغرَبُ!

اصغي لقبْر صلاح الدين إنّ به

لحنًا يكادُ من الإيمان يلتهِبُ

قصّي واصغي.. ولا تبغي حديثَ علاً

لا تذكريه.. فإني سامعٌ طرِبُ

وعفو سمعكِ إنْ لم تشْجِ قافيةٌ

فإنّ سحرك يبْلى دونهُ القصَبُ

أغانـــى الخـــزيّـة

نشيد الجلاء

١٠ مارس ١٩٤٦

وقد هب الشعب احتجاجاً على الحكم المستبد .

والاستعمار الغاشم . مطالباً بالجلاء والحرية

للجلاءْ . . الجلاءْ	الجلاءْ . . بالدّماءْ

• • •

رددى يا قيودْ	فى سماءِ الوجودِ
كلُّ حىٍّ بجودْ	قلبُهُ بالدماء

فى سبيلِ الجَلاء

• • •

مرّ ستّون عام	والحِمى فى ظَلام
سارِخٌ مسْتَضام	فاسْقِهِ بالدّماء

إنْ أردتَ الجلاء

• • •

نحنُ جُنْدُ الفداءْ لا نهابُ الفَنَاءْ

كَمْ أرقْنَا الدِّمَاءْ وملأنَا الفَضَاءْ

ضَحِيَّةً بِالجَلاء

• • •

مات عهدُ الحديدْ وزَمَانُ العبيدْ

نحنُ جيلٌ جديدْ لا يُريدُ البقاء

قَبْلَ يَوْمِ الجَلاء

• • •

يا أُباةَ الهرمْ أينَ مَجْدُ العَلَمْ

كُلُّ شيءٍ عَدَمْ إنْ رَضِينَا البقاء

دُونَ هذا الجلاء

دعــاء الشــرق

٢٣ يونيو ١٩٥٤

والشرق ينبض بثورة النيل . ويتطلع إلى انتصاراتها .

ولشواق للفجر الجديد تجيش فى قلب شعوبه الحرة

متعطشة إلى وحدة الشعب العربى العريق .

يا سماء الشَّرْقِ طوفى بالضياء وانشرى شمسك فى كلِّ سماء

ذكّريه . واذكُرى ليّامهُ بهدى الحقِّ ونور الأنبياءِ

* * *

كانت الدُّنيا ظلاماً حولهُ وهو يهدى بخطاه الحائرينا

أرضهُ لم تَعْرف القَيْدَ ولا خَفَضَتْ إلاّ لباريها الجبينَا

كيف يمشى فى ثراها غاصبٌ يَمْلأ الأفق جراحاً وأنينا

كيف منْ جنّاتها يجنّى المُنى ونرى فى ظلّها كالغرباءِ

* * *

(يا سماء الشرق طوفي بالضياء)

• • •

أيها السائل عن راياتنا ؟ — لم تزل خفاقة في الشهب

تشعل الضحى ، وتسقى نارهُ — عزة الشرق ، وبأس العرب

صبرنا الأقدار تمضي خلفها — وحدة مشبوبة باللهب

لمما شتى .. ولكن العلا — جمعتنا أمة يوم النداء

• • •

(يا سماء الشرق طوفي بالضياء)

• • •

نحن شعب عربي واحد — في حومة البعث عريق

الهدى والحق من أعلامه — وإباء الروح والعهد الوثيق

لئن الفجر على أيامنا — وسرى فوق روابيها الشروق

كل شبر حوله من أرضنا — جذوة تدعو قلوب الشهداء

• • •

يا سماء الشرق طوفي بالضياء — وانشري شمسك في كل سماء

ذكريه واذكري أيامه — بهدى الحق ونور الأنبياء

علـــم الحريـــة

١٨ يونيو ١٩٥٦

وهو يرتفع إلى جبين السماء ، بعد أن تطهرت أرض الوطن

من جنود الاحتلال ، وقُدّر لهذا الجيل بقيادة بطل الثورة

العظيم . . أن يشهد اللحظة التى كانت تحلم بها الأجيال

من خلال المعارك التى خاضها الآباء والأجداد فى

سبيل حرية الوطن .



عَلَى جَبين السماءِ　　　　اشْرق بنور الإباءِ

ومنْ حَنينِ الدماءِ　　　　ردّدْ نشيدَ الجلاءِ

وسرْ ونحنُ وراءَكْ　　　　نلْقَى المنايا فداءَكْ

إذا بعثْت نداءَكْ　　　　للشمسِ كنّا لواءَكْ

فأنتَ عهْدُ القَسَمْ . . وأنتَ . . أنْتَ العلَمْ ! !

* * *

من عهد خوفو ومينا ولنت تحنو السنينا

تسرق للعالمينا مواكبا من ضياء

تهدى ظلام الحيارى تفك قيد الأسارى

وتشعل الأفق نارا والله يعلى ضياءك

وامت فوق الظلم .. فجر يسمى علم ...!!

• • •

طويت سبعين عاما فى القيد كانت ظلاما

سحرت فيها الأناما بفرحة الشهداء ...

وكم رددت الغزاة وكم قهرت الطغاة

حتى رأيت الحياة والبعث فوق سمائك

فى أرض مصر ابتسم .. هنا الضحى .. يا علم!

• • •

من أرض أم الوجود ومن كفاح الجدود

ومن صفاف الخلود لقاك يوم الفداء

على يد الثائرينا يسوق نصرا مبينا

فشيع الغاصبينا بنظرة من إبائك

واسمع نشيد الهرم . للنصر .. يحيا العلم!!

• • •

الصبـــاح الجـديـــد

١٦ يناير ١٩٥٦ . غنتها أم كلثوم

ومصر الثائرة المتحررة . . تعلن دستور ثورتها ،

وهى مندفعة إلى الأمام ، بعد أن تخلصت من نير

الاستبداد والإقطاع والاحتلال . وراحت ترسى

قواعد البناء لمجتمعها الجديد .

(ترجمت إلى اللغة الصينية)



رأيتُ خُطاها على الشاطئين   صباحاً يُنوِّر فى المشرقَين

يمدّ الخُلود . ويُحيى الوجود   ويمنى الحياة على الضفتين

• • •

بلادى هنيتك . هذا الصباح   مشيرٌ من الخيرِ والسعدُ لاح

على وجهه قصة للكفاح ... تمدّ الجنى .. فتعطى بيمين ..

• • •

محا من صفاتك ليل الطغاة ... وأعلى الكرامة فوق الجباه

وأحياك .. حتى تهون الحياة ... ومدّت الزمام إلى الفرقدين ..

• • •

وأرضك ما عاد ظُلّامها ... بكفيه وتنبل أيامها

سليب الفلاح عنها .. فأحلامها ... تفتّح بالرزق فى جنتين

• • •

حقولاً . وحرّر منها الجبين ... وردّ جناها إلى الغارسين

وكانت من الظلم تشكو الأنين ... فترتد دمعتها . دمعتين

• • •

صحت واستقرت إليه العلم ... وأضحت نشيداً أبىّ النغم

وفجراً من البعد يمحو الظلم ... وتهفو إلى نوره كل عين ..

• • •

وسارت موحدة فى الجهود ... بعزم قوى . وبأس شديد

وَمَجْدٍ على النَّصْرِ ماضٍ تَلِيدْ ... سَنَحْمِيهِ بالرُّوحِ والساعِدَيْنْ . .

• • •

لَهُ اللهُ . . صبحٌ قَوِيُّ الضِّيَاءْ ... جَرَتْ نارُ ثورته فى الدِّماءْ

وطارَتْ به مِصْرُ نَحْوَ السَّماءْ ... وَمَدَّتْ ضُحَاها على الخافِقَيْنْ !

• • •

وأعْطَتْ جَنَاها عَمِيمَ الثِّمارْ ... بِشُورى من الرأى فيها مَنَارْ

بِلادِى ! تَأَلَّقَ ضَوءُ النَّهارْ ... وَعَمَّتْ بَشَائِرُهُ الشَّاطِئَيْنْ !

يدُ اللّـــه

٢ نوفمبر ١٩٥٦

ومعركة القناة فى ذروة الاضطرام والتفجر لسحق الغزاة ، ومقاومة العدوان الثلاثى الغاشم .

أنا النيلُ مقبرةٌ للغُزاهْ

أنا الشعبُ نارى تُبيد الطُغاهْ

أنا الموتُ فى كلْ شبْرٍ إذا عدوُّكِ يا مصرُ لاحتْ خُطاهْ

يدُ الله فى يدنا أجْمعينْ

فصبُّوا الهلاك على المعْتَدِينْ

وشقُّوا إليهمْ جحيمَ الفناءِ لُسوداً كواسرَ تحْمى العرينْ

أنا النّيلُ مقبرةٌ للغُزاهْ

أنا الشعبُ نارى تبيدُ الطغاة

• • •

يد الله فى يد مصر قسم
على كل عادٍ تشبُّ العدمْ
تدكُّ الطغاةَ . وتحمى الحياةَ وترفعُ للشمسِ نورَ العلَمْ
لنا النيلُ مقبرةٌ للغزاةْ
أنا الشعبُ نارى تبيدُ الطغاهْ

• • •

سنمضى لهم فى لهيب الشررْ
ونزحفُ للموتِ زحفَ القدرْ
ونمشى للمعارك من كلِّ فجٍّ ونثبتُ حتى نلاقى الظفرْ
ومنْ كلِّ بيتٍ . ومن كلِّ شبرٍ لظى للموت يخرجُ من كل صدرٍ
على كل باغٍ يسوقُ الحمام ليحمى ترابك يا أرض مصرِ
لنا النصرُ . . والموتُ للمعتدينْ
لنا النصرُ . . والموتُ للغاصبينْ
سنمضى رعوداً . . ونمضى أسوداً . . نرددُ أنشودة الظافرينْ

ربى الفيحاء

١١ فبراير ١٩٥٨

وفجر الوحدة العربية يشرق من جديد يدوّى نفيره

في سماء العالم كله ، معلناً وحدة مصر وسوريا ،

ومولد الجمهورية العربية المتحدة .

وفّق اللهُ على النورِ خطانا ... والتقتْ في موكبِ النصرِ يدانا

وحنتْ شمسُ الضحى أعلامنا ... وانبرتْ في الشرقِ تُحيي المهرجانا

لا تسلْ عنا ، ولا كيفَ لقانا ... واسألِ التاريخَ عنَّا والزمانا

نحنُ كُنَّا مُهجةً واحدةً ... ودماً حراً ، ورُوحاً ، وجَنانا

باركَ اللهُ خُطانا وسرتْ ... صيحةُ الفجرِ ، فلبَّينا الأذانا

ومضيْنا في طريقٍ واحدٍ ... يتغنَّى الدهرُ فيه بِعُلانا

عُرسٌ اشتعلتْ أمجادُه ... وحدةٌ تجري حياةً في دمانا

يا رُبى الفيحاء .. حيّتكِ العُلا   والبطولاتُ رحابًا وجِنانا

هذه أيّامُنا قد رجعتْ   سيرةً للمجدِ يرويها هوانا

في صباحِ الشرقِ عُدنا أمّةً   مثلما كنّا على الدُّنيا وكانا

بردى والنيلُ في يومِ العُلا   وحّدا الشعبَينِ قلبًا ولسانا

الديوان السادس

قــــاب قوســــين

زادكِ النُّورُ . .

وفى دربكِ ينبوعُ الشعاعِ

فانفذى . . فالسرُّ إنْ سِرْتِ على قيد نراعِ

واصْرَعى اللُّجَّ ، ولو اقبلْتِ مِن غير شراعِ

وارْكَبى الإعصارَ والإصرارَ فى وَجْهِ القلاعِ

إنَّما الْخائفُ عند الزَّحْفِ . . مَحتُومُ الضَّياعِ

محمود حسن إسماعيل

مع هدير الشُروق

وهو يفجّر صحْو الأعماق

مع الإنسان وهو يستردُ ذاته

.. المَوْجُ يجرف الهشيم

والريح تعزف الرِّبابَ للسائرين مع النور ..

والشاطيءُ قريب

والضُحى ..

.. قاب قوسيْن !!

قـــاب قـوسَـيْـــن

قاب قوْسيّن من النُور . . فسيرى

واهْتِكى كلّ لثامٍ فى الضّمير

وانهبى غيْب المدى ، واخترقى

فى اللّظى المانى . على نارٍ ونُورِ

مَزّقى كلّ قناعٍ ، وانفذى

من حواشيه إلى الضوْء الأسير

وتحرّى كلّ ظلامٍ راسبٍ

انشبتْه فيك أغلالُ الدُهور

لا تبالى أىّ هولٍ ، بعدما

ذهب العُمْر بأهوالِ العُبور

لزحفي .. وانطلقي ساحقة

وقفة الشوك ، واعياء الصخور

لا تهابي اي ليل ، بعدما

شيبت نارك اوهام العصور

وسقتك الرق مغصوب الرضا

اعزل الحسرة ، مسلوب النصير

اورق النور ، وشبت ناره

تضرم التغيير في أعتى الجذور

فانفضي ذاتك ، لا تبقي بها

غير زاد الزاد ، للزحف الكبير

واستردي بالخطا ما فاتها

من ضياء الدرب للجفن الكسير

واحرقي كل هشيم اسن

من بقايا الليل في جفن العبير

اجرفي كل وقوف .. واسمعي

فـى انطـلاقـاتـك انغـامَ الهديـــرِ . .

قد وصـلْـنـا . . لم نكَـذْ ! ! فـاقـتـربـى

من ضفـافِ النـورِ ، فـى قـاعِ الصُـدورِ

قـابَ قـوسـيْـن . . بَـلَـى ! !

إنّا على قلبِ قوْسٍ ، من ضُحى المرْسى الأخيرِ

أنا ، والنفس ، والطريق

«وفى زحفى مع النور

همست لها بهذه الترانيم»

اتبعينى فى دروبى واحذرى أىَّ هروبِ

فأنا أظمأ . واسقيك من السر الرهيبِ

وأنا أشقى . وأشجيك بمزمارى الغريبِ

وأنا أسرى . فأهديك إلى الشط الرحيبِ

وأنا أفنى . فأحييك بأنغامى وكوبى

فإذا ناداك للمجهول مناد . . لا تجيبى ،

واسمعى شدوى ، وكونى من صلاتى عن قريبِ

لترىْ ذاتك فى ذاتى شعاعاً فى الغروب

يسكبُ النورَ لحيرانَ على كفّ الغيبِ

• • •

مزّقي عن وجهك اليانع . أسمال القناعْ
وارفعي السّتر . فلا خوفَ على أيّ متاعِ
زادكِ النورُ . وفي دربك ينبوعُ الشُّعاعِ
فانفذي . . فالسّرُّ إنْ سرتِ على قيد ذراعِ
واصرعي الموْج . ولو أقبلتِ من غير شراعِ
واركبي الإعصار والإصرارَ في وجْه القلاعِ :
إنّما الخائفُ عند الزحفِ ، محتومُ الضياعِ
فاكشفي ذاتك وامضي ، واتْبَعيني في صراعي

• • •

إنْ دعاك العطرُ ، فامضي . . واتركيه لشذاهُ
كم سكرْنا منْ أماسيه ، واشجانا ضحاهُ !
وزرَعْنا فيه أحلامًا ، طَواها من طواهُ !
وشدوْناه . وكنّا نغمًا يُشْجي رباهُ
ساحراً . يُخْجِلُ لحنَ الطير في الرّوْض صداهُ

وسهونا مرةً فى الفجر . . لم نشرب طِلاه .
فتوارى عن ليالينا وخلّفنا رؤاه . .
فاشربى من عطرنا الآتى ، ولو طال لقاهُ
واتبعينى . . . نرّبنا بالطّيب لا يَفنى مداهُ

• • •

وإذا أشعل ساقى الحبِّ دنياه بصدرك
وأناب العاتى المجهول ، من أعماق سرّك
وأحال الروضُ كاساً ، والضحى حاناً لخمرك
فاحذرى لن تعبر الريحُ على بستان زهرك
فيغيب العطرُ . والحبُّ . . ولا يبقى لعمرك .
غيرُ ذكرى ، تنقلُ الليلَ إلى أعتاب فجرك :
فاتبعينى . فأنا الحبُّ الذى يجرى بأمرك
وأنا العطرُ الذى لا ينتهى يوماً بنزرك !

• • •

وإذا صادفت فى الدرب خيالاً للخطيئة .
فاعبريه . واخلسى من صمتها النامى هدوءه

لم تكنْ تطويك في صحنها اي مشيئة :
انتِ شاهدتِ . فأقدمتِ على النورِ جريئة
وهي جاءتْ من فجاجِ النورِ كالنورِ مضيئة
جرفتْ فيك الملمس والملذات الخبيثة
فضربت الكلَّ من كفٍّ إلى النورِ مسيئة :
فاستمري ، واتبعيني . . انتِ من ذنبي بريئة !

• • •

واذا حياك وجهٌ غلف الزور عيونه
فمتى ليلاً على الأدغالِ زارته السكينة
مطمئنُ الذعرِ . مصلوبُ الهوى فوق الضغينة
تزحف البسمةُ من اوكارهِ ثكلى حزينة :
فابسمي انتِ . ولا تبقي صفاءً تحمليه
واسكبي النور يساقيه . ويحتضن دفينه
ويريك النفس في سجنته تهوى سجينة .
ولتبعيني . . ولتركيه للدجى يشوي جفونه !

• • •

وإنا غافلَك الأمسُ ، والفتى فى الطريقِ
حانقاً ينفثُ من عينيه أنفاسَ الحريقِ
وبعدُ الكأس مشدوهاً إلى الحانِ العتيقِ
مُلِيءَ الحسرة ، ندماً على الماضى السحيقِ :
فاعبريه ، واسكبى منه بقياتِ الرحيقِ
واشربيها . . واتبعينى فى سُرَى دربى العميقِ
فسينشقُّ لك المجهولُ عن فجرٍ وريقِ
فيه كرمُ الليلِ ، عنقوداً على كرم الشروقِ

• • •

وإذا ما الندمُ المسعورُ أهوى كالمصيرِ
ضارباً حولك أسداداً من الوهم الضريرِ
هامشاً خطوك من كلِّ اتجاهٍ فى المسيرِ
عازفاً : لو كان يا ليت ، على ناي كسيرِ :
فهو صيّاحٌ ، يُهاتى نفسه بين القبورِ
فى ظلام يندبُ الشكوى بصدرٍ المستجيرِ . .
علقى سمعك عنه ، واسمعى أصداءَ نورى :

واستمدّى كلّ ما فاتكِ فى الدّربِ وسيرى !

وإذا الرّاحةُ أغرتْكِ ، بظلٍّ ، وخميلَهْ

وأمانٍ ، من حصَا الدّربِ ، وصحْراهُ الطويلَهْ

ورحيقٍ فائعِ الرّشفَةِ ، بالكأسِ الجميلَهْ

وزمانٍ فى الصّباحِ البكرِ ، يجْترُّ أصيلَهْ :

فاتركيها فى سُباتِ الصّفْوِ ، أحلاماً لليلَهْ . .

منْ يقفْ بالنّورِ ، يجْرعْ منْ لياليهِ أفُولَهْ !

والّذى يمضى ، يجدهُ فى الدُّجَى العاتى دليلَهْ !

ازحفى ، يقطفْ لكِ الدربُ الأمانى المستحيلَهْ

واتبعينى عاصفاً لا توقفُ الدنيا سبيلَهْ !

• • •

لى مع الأمسِ حكاياتٌ شقيّاتٌ البلابلْ

كنتُ أشدوها دموعاً ، غفلتْ عنها الثّواكلْ

لم تزلْ أسمارُها فى الحقلِ ، ترويها السّنابلْ

وشيوخُ الطّيرِ تحكيها لمولودِ الخمائلْ :

أنا ، والكونُ ، وليلٌ فى فجاجِ الرّقِّ واغلْ ،

وزمانٌ لحِبَتْ الخطوةِ من عضِّ السلاسلْ ،

وجبينٌ عن بنى الانسانِ مقطوعُ الدلائلْ . .

بزغَ الفجرُ ، وشقَّ الدربَ فيه بالمعاولْ

فازحفى . . فالنورُ ظمآنُ إلى موجِ القوافلْ !

وابتهجينى ، فالغدُ الأخضرُ فوق الدربِ ماثلْ !

• • •

كمْ رأيتُ الرقَّ يسقيكِ من الذلِّ قتامهْ !

ورأيتُ النلَّ ، يُخفيكِ عن النورِ لِئامهْ

ورأيتُ الظلمَ ، يشويكِ على الصبرِ ضِرامهْ

ورأيتُ القيدَ فى كفيكِ ، شلَّتكِ كلامهْ

ورأيتُ الفارسَ المسجورَ فى المغنى حسامهْ :

كنتِ لا شىءَ على الأرضِ إذا اهتزَّ لجامهْ

وإذا سارَ فربُّ زانهُ الكبرِ مقامهْ . .

فجأ اللهُ خطاهُ بضحىً عاتٍ صبامهْ

وانتهى . لاشىء . . إلاّ ما روى عنه ظلامهْ

فازحفى . . دربكِ حرٌّ ، أنهلَ الدنيا ابتسامهْ !

• • •

اتبعيني . . فمعنى الفجر الذى احببنا رفاتك

ومعنى النور ، انطلاق ومضى لحياتك

ومعنى الريح ، زوال هب ينفى ظلماتك

ومعنى الإيمان ، مصباح الهوى لنائك

يجرف الظلمة إن مست عصاها طرقاتك

فازحفى . . قد بانت العتمة من كل جهاتك

وركبت الضوء ، معراجاً لاعتى أمنياتك

• • •

اتبعينى ، وانظرى حولى لهاث الضياء

والرمالات بكفى نشاوى بالغناء . .

فانهلى ما شئت ، وامضى حرة فوق الفضاء :

فإذا احسست وهما للدجى دب ورائى :

فانسخى روحك إعصاراً يدوى بالغناء

وانفذى بالنور فى اخفى سراديب الخفاء

واسحقيه . . قبل أن يسترق الليل حنانى

فتسيرين على الدرب بلا أى عناء

فاصحبينى . . انت سر النور يجرى فى دمائى !

عاشقة العنكبوت

[وولعت فى عهد الزحف ، تنقلت إلى الماضى تلمسها
غبار التخلف . . وشيعتها بهذه التراتيم]

عانقى الماضى ، كما شئتِ ، وذوبى فى يديْهِ
واجْرَعى الظلمةَ من كفّيه ، وانسابى إليْهِ . .

• • •

واقعُدى فى حجْرِهِ أسطورةً ، تحكى زوالَهْ
وتغنّى للتّوابيت مذلاّتٍ ، ورِقّاً ، وضلالَهْ

• • •

واعصرِى ذاتَكِ فيه ، واستعيدى سجداتكْ
واخشعى ما شئتِ ، فاللهُ بعيدٌ عن صلاتِكْ

• • •

لنتِ للموت نشيدٌ . لم توقّفه جنازهْ
لنتِ للدّرب سرابٌ . لم تُرقرقه مفازهْ

• • •

جلّ من ابقاك . . أمسًا ، وترابًا ، وصدًا
وصدًى مختنق الخيبةِ ، يحكيه نبًا

• • •

لستِ منّي . . فانا خطوٌ على كلّ دقيقهْ ،
دفعتْه ثورةُ الأقدار في درب الحقيقهْ

• • •

يتلاشى إن تلفّتُّ ، وينفضُّ رباحا ،
تجرُف النظرةَ من ليلي ، وتسقيني الصباحا

• • •

وتُزيح الأبد المكنوف من غيْب الطريقِ
وتصبُّ النور . والنارَ . انفجاراً في رحيقي

• • •

لستِ منّي . . فانا لحنٌ على كلّ ربابِ

كالسرّ الأمسِ ، تقيُّ الغدِ ، مقطوعُ الإيابِ

• • •

فجرته راحةٌ تمتدُّ من أفقٍ جديدِ
وسقته خمرةُ النسيان للماضي البعيدِ ،

• • •

فتلاشى في انعتاقِ الريح إعصاراً جنيناً
في يديه الفجرُ كالبقعةِ ، يجتاحُ السنينا

• • •

لستِ منّي ! . . فلنا خطوٌ تلاشى منتهاهُ
ماردُ الوثبةِ ، يزورُّ عن الغيبِ مداهُ

• • •

عانقته ثورةُ الدهرِ ، امتداداً وانتهاءَ .
ورمتهُ في مصبِّ العمْر ، موجاً ، وضياء .

• • •

وأحالته مضيئاً ضائعَ الأبعادِ ، حرّاً

لا يُبالى حين يجتاحُ خطاهُ كيف مرّا ؟

* * *

يا ابْنة الأغلالِ ، هزِّيها على الصدرِ عقودا

واشربى موسيقة الرِّقِّ . ولا تسقى العبيدا

* * *

نعلوا قبلك بالإطراقِ والخوف العميقِ

فاتبعيهمْ ، وانحنى ما شئت للذُّلِّ السحيقِ

* * *

انت منهم ركعةٌ صاغرةُ الوجهِ مهينهْ

وخشوعٌ مستحامُ القلبِ ، مذعورُ السكينهْ

* * *

انت منهم نظرةٌ مشهورةٌ ، تحبت جناحِ

وانثنهٌ غسل ان يزعش احقادُ الرياحِ

* * *

يا ابنة العودة للقاعِ الذى يحفرُ قاعا

ويصبُّ الأمس فى امسٍ من الأعماقِ ضاعا

* * *

ويبادى كلُّ لا شيءٍ ، على سُور الزّوالِ
فيردُّ الصوت ، وفمٌ فخٌ من وهمِ الخيالِ

• • •

وتظلّين على خطوك ، شلاّءَ المسير
فى طريقٍ كاذبِ الوقفة ، مرتدُّ المصيرِ

• • •

ارجعى انت فإنّى للسّفوح الخُضْر سائر
لصباح ليس فيه نظرةٌ من جَفْنٍ صاغرْ

• • •

ليس فيه خاطفٌ ترْحمةٍ من كفٍّ يتيمَهْ
ليس فيه سارقٌ الظلّ من النفسِ الرّحيمهْ

• • •

ليس فيه آكلٌ من لقمةٍ بنتِ سفاحِ
ولِدتْ مرجومةَ الانساب من غيْرِ كِفَاحِ

• • •

ليس فيه بسْمةٌ تجْترُّ اوجاعَ الضّمير

أو ضميرٌ هالكُ الإحساسِ ، مَوْءُودُ الشعورِ

• • •

ليس فيه كِلْمةٌ ساجدةُ الحَرْفِ مَهينَهْ

خبأتْ في صدرها وَكْراً لحيَّاتِ الضغينهْ

• • •

ليس فيه أُذنٌ كَتَّابةُ السمعِ شقيَّهْ

يجلدُ الصوتُ صَدَاها ، وهْي بالصوت حَفِيَّهْ

• • •

ليس فيه قامةٌ تعوجُّ من زُورِ الرياءِ ،

لتُخيِّل السهْم قوْساً خاشعاً قبلَ اللقاءِ

• • •

ليس فيه أحدبٌ من غير داء في عظامِهْ

يرْضعُ الذلَّ مع الأنفاسِ من وقت فطامِهْ

• • •

مُسْتَمِرٌّ في صلاةِ الزُّورِ من غير أذانْ

وبلا ربٍّ إليه تستجيرُ الْمُقْلتانْ

• • •

ليس فيه راحـةٌ تمتـدُّ من غـابٍ سحيـق

تنسخُ الأفعَى على الأسوارِ عصفورَ الشُّروقِ

• • •

ليس فيه خالِـصُ الفـتْـنَـةِ من وَجْـهٍ حـيِـىْ

حَصَّنَتْ عـذْراءَهُ العفّـةُ بالْـلّحـظ الأبِـىْ

• • •

ليس فيه ذلـك المشتـاقُ يغتـالُ طريقـى

ويُريـق اللغـو كالسُّـمِّ عذابـاً فى عُروقى

• • •

ليس فيه أخـذ الـلّبْـلاب شرْعاً للتّسـلُّـقْ

كلّمـا انحسـر شِبْـراً راح فيـه يتعـلّـقْ

• • •

ليس فيه . . ما ضغَ نَـفْـس أخيـه فى غيابـهْ

ولذا يلْـقـاه . يغـدو سجْـدةً فـوق تُـرابِـهْ

• • •

ليس فيه . . منْ على جبْهتـه وشْـمُ الصّلاة

وهو خَلْف الغيبِ سفّاحٌ بلا حدْ شباة

• • •

ليس فيه . . لا حدُ الحقْ يقبر فى ضعيرهْ
مُسكرُ الباطل من خمرِ تلاشتْ فى شعُورِهْ

• • •

ليس فيه . . جائرٌ ينتَصُ أيام الضعيفِ
رشْفةً راقصةَ الْجوْرِ على نعْشِ الرغيف

• • •

ليس فيه . . واقفٌ يقْتات من ماضيه خطوهْ
او صُداحٍ ، وجههُ سَفْحٌ ، وتحت الوجه هُوّهْ ،

• • •

يشْطرُ النفسَ ، ويمضى هائما فى شبحيْنْ
واحدٍ يغتالُ . . والثانى يُحبّى باليديْنْ

• • •

ليس فيه مَن يرى اللّهُ حروفاً فوق راسهْ
هالةً تحجبُ ليل الرُّوح فى اطواء نفسهْ

• • •

ليس فيه .. قابعٌ في ذاته ، يعْبُدُ ذاتَهْ
لا يحبُّ النُّورَ إلاّ إنْ سقى النورُ حياتَهْ

• • •

لا يحبُّ العطر إلاّ إنْ رمى البستانُ زهرهْ .
وتلاشى فوق كفّيْهِ ، فلا ينفحُ غيرهْ

• • •

الوُجُودُ الضخمُ لا يبصرهُ إلاّ طريقا
فاغر الخطوةِ ، يستدْني لدُنياه الرّحيقا

• • •

ليس فيه منْ على الربوة حيّاهُ الخَريفْ
فمضى يأساً على مُنسابهِ المخضرِ يطوفْ

• • •

ليس فيه مُنْزوٍ يجترُّ أشلاءَ حياتهْ
يحصدُ الماضي ، ويبكيه ، ويحيا في رُفاتهْ

• • •

ليس فيه واصلٌ يلْهثُ من اكتاف غيرهْ

فلنا يشمعْ ، يرميه هشيماً حول نهره .

• • •

ليس فيه من ضباب الكره والأحقاد نزه

كلُّ دنياه صباحاتٌ ، وحبٌّ ، ومسرّه

• • •

كلُّ ما فيه يدٌ تسكبُ للنفس الضياءْ

وتحيلُ الدمع انغاماً وعطراً ورجاءْ

• • •

وسلاماً كصلاة الطّير في جفن الضياءِ

توقظُ النفس من الأعماق نشوى للنقاءِ

• • •

كلُّ ما فيه . انا ، انت ، لكلِّ الناسِ نمضي

قبساً ، منْ بعضه النورُ إلى راحاتِ بعضِ

• • •

قبل انْ اشرب ، اسقي كلَّ ظمآنَ اراهُ

وعلى جنْبيْ ألْفى كلُّ ما يَطْوِى لَسناهُ

• • •

فلْتَرْجِعى لنت . سيطويك مع الماضى خُفُوتْ

فإنما ناداكِ وَهْمٌ ، ردّ عنك العنكبوتْ !

الضبابُ الأخضر

[إلى سقلة الضباب ..]

دعوني أغنّي ..

فإنّ الغناءَ طريقي إلى كلِّ سرٍّ بعيدْ

خُلقتُ لأرتادَ روحَ الحياة ،

ولستُ أسألُ عمّا لهذا الوجودْ

ومهما سرى تَمْلَى السافرونَ ،

فإنّي على كلِّ خطوٍ جديد ..

• • •

ربابي على النّفس ، نفسٌ تطلُّ

وتُصغي ، وتعزِفُ همسَ النفوسْ

ففي كلِّ صدرٍ لما بي دروب ،

والفانُ تيهٍ لديها تجوسْ

تُفَجِّر لمراجها المُوثِقات

وتَعْصِر لسرارها في الكؤوسْ

• • •

مُجَنَّحةً من صحارى الغيوب

بما تجْهلُ الرِّيحُ أقصى مداهْ

فلا في الفضاءِ ، ولا في الخَفاء ،

لها شاطىءٌ تحتويها رُؤاه

سديمٌ من الوهجِ المستطير

على كُلِّ شيءٍ يؤُجُّ الحياهْ

• • •

وريحٌ تَدُقُّ على كُلِّ باب

ولو كان منْ حارسيه القدرْ

ومن غيرِ إذْنٍ تفضُّ الحجاب

وتنْفُذُ في سِرِّه المُسْتَتِرْ

وتغرفُ من غيْبه المستكنْ

وتمضي إلىٰ ما اختفى الثَّمرْ

• • •

عبـرتْ بها فى وُجـوهِ العبـادِ

ولوْغـلـتْ حتّى ضميرِ الضمير

لمابصرتْ كَهفـاً ، على راحتيْه

خريفٌ تُـهـلْـل فيـه طيـوز

وقوماً يُصلّـون ، من حوْلهم ،

جنائبُ مشبوحةٌ فى الصّرِيـر

• • •

يُغشّى صداهـا عبيرُ الذُّنوبِ

وتُقْعى الخطايـا على أرضهـا

تجوعُ ، فتْـلْبسُ وجه الرِّياء

مراقـع يسْـلـلْنَ مِنْ عِرْضهـا

وتـعْـرى ، فتلتـفُّ فى هـالـةٍ

من الزُّورِ ، تضرعُ مِنْ ومضهـا

• • •

واعشاشُ بُـومٍ تـنـشُ الصّبـاحْ ،

وتسكـبُ منه ابتسـامَ الشعـاعْ

لها علامتان : عُواءٌ دفينٌ ،
ولآخرَ : اعراسُ خِصبٍ مُشاعْ
ومِن طبعِها انْ تشقَّ الشعورَ
طريقَيْن . . صمتٌ ، ورُؤيا خِداعْ

• • •

ولادواحُ موتٍ كستْها الحياةْ
سرابيلَ يرفُلُ فيها العدَمْ
خريفُ الزوال عليها ربيعٌ
يُهلِّلُ كالحانقِ المُبتَسِمْ
وتُورِقُ اغصانُها بالفناء
على كلِّ غُيرٍ لديها جثمْ

• • •

وجاثينَ في حُفَرٍ من ظلامْ
عليها من الزُّورِ تُشفى خيامْ
تُهتِّكُ فيها ستارٌ تبقّين
ولم يبقَ للظنِّ إلاّ لثامْ

والأمراليا ، يلاقى الشعاعْ

بها ، تؤلمًا هاربًا فى القتامْ

• • •

سلامٌ عليكم ، حداةَ النفاقِ

وركبانَه من سحيقِ الأزلْ

على بابكمْ بحّ صوتُ الضياء

وناموتُه فى حماكُمْ نزلْ

وواحاتُكمْ من قديمِ الدهورِ

يُغردُ فيها انتحارُ الأملْ

• • •

سحقتم ضمائركمْ فى الخفاء

وطفقتمْ حيارى بأشلائها

تذوبون قبل انتهاء الجفونِ

خشوعًا يصلى لأضوائها

بقلبكمْ طرفها كيف شاء

ومِنْ غيرِ سِحْرٍ بِأطْوائِها

* * *

على كلِّ أرضٍ ، لكمْ سَجْدةٌ
يكُبّ الذلُّ خِزْياً على ذُلّها
تُهَلّل مقهورةً للضلالِ
وتنشقُّ إنْ مالَ عن ظِلّها :
فَعَيْنٌ تُزَوْزِغُ لقاعٍ بهيمٍ
وأخرَى ، تَروغُ إلى مِثْلِها

* * *

أديروا الوَجْهَ بساتينَكُمْ
ونحُّوا بأنسامها في فَضائي
فلا زَهْرُكُمْ فيه عطرُ اللقاءِ
ولا عطرُكُمْ فيه روحُ الصفاءِ
ولا نايُكُم شاربٌ من رحيقٍ
بأغوارِكم ، فيه كَرْمُ الغَناء

* * *

سلامٌ عليكم . سقْلةَ الضّباب

ونُدمانه العاجزين العُتاةْ

غزوْتمْ ، وعُدْتمْ ، ومانا يعودْ

مع الإثمِ إن راغَ حولَ الصّلاةْ ؟

يمُرُّ الظلامُ بزجِ الضّياء

ويَبقى الضياءُ عتيّا صَحَاهْ !

• • •

قطوفوا حيارى ، بأغصانكمْ

بقايا ، عليهنَّ عطرٌ مُغارْ

سرقتمْ أزاهيره في هدوء

تلفّع بالصّمت فيه شرارْ

تنوحُ الجداول في صمته

وتبكي الخمائلُ طولَ الإسارْ

• • •

سلامٌ عليكمْ لصوصَ الحياء

ورهبان بيعته الغافلة

ونسّاك معبده المطمئنْ

وفرسان لُجّته الواغلهْ

وحيّات شاطئه المُستريح

على نغمة، عذبة، قاتلهْ!

• • •

تلفّتُّ.. وآهاً على مُقلتيْ!

مشى الكهفُ نحوي، واصغى إليّ

جبين، وعينانِ.. شكلُ الوجوه!

وسمّتُ ابن آدم جاثٍ لدىْ

تكهّنتْ، سبحانَ حادي الوجُوه

بدربينِ.. ميتٍ باضلاعِ حيّ!!

جنازة البرق

أنا ، والكوخ ، والظلامُ ، وليلٌ
بجميعِ الأسرارِ ضنّتْ يداه
ورهابين مُتعَبينَ ، يشرب الليلَ
ويسقي من كلِّ لحنٍ نجاه
وعزيفُ الرياحِ ، رَكْبٌ غريبٌ
في دروبِ الأيامِ تَغْفو خُطاه
وطيورُ الرُّبى ، بقيّاتُ صَنْجٍ
عصر الليلُ شدوَه ، ورماه
وعُباب السكونِ ، بحرٌ من الضجّة
يطفو بِحَيْرَتي شاطئاه
والدُّجى ، ظالمٌ تجبّر ، حتى

لم يدعْ فُرْجةً لضوءٍ يراهْ

بسٌ في صدرِهِ زمانٌ للحيارى

والمساكينُ بين كفّيه تاهوا !

لا شعاعٌ ، ولا ضميرٌ ضياءْ

من وراءِ السّوادِ يرنو سناهْ

هلكتْ في ترابِهِ دعوةُ المظلومِ

. واخضلَّ من بُكاها ثراهْ

لم تجدْ قوةً لتصعدَ للغيْبِ

. وشلّتْ . فلم تقلْها شفاهْ

وخطا الناسِ لا تسيرُ . ولكنْ

نوحُها في الطريقِ يهذي صداهْ

تتلاقى جنائزاً . لم يعدْ فيها

. لوجهِ الفناءِ إلا رؤاهْ

عشّشَ البرقُ في دجاها . وزنّتْ

عتمةُ الليلِ من نواحي لَناهْ

وشكتْ شيبةُ السلاسلِ ، حتى

عشق القيدُ سُخْطَها واشتهاهْ

لم تُفِدْها ضراعةُ النخلِ شيئاً

وهو لله قانتٌ أوّاهْ

عمر الدهرَ في التبتُّل والتسبيحِ

يدعو ، والريحُ تذرو دُعاهْ .

والمظاليمُ حوله من بني الفلس

طواهُمْ في أسْره من طواهْ

عبدوا الأرض من قديم ، وغنّتْ

بهمُ الطيرُ ، والربى ، والمياهُ

وهُمُ ضائعون ، في كل حقلٍ

موكبٌ للهوان يخزى رُماهْ

ويَدٌ تحضنُ التراب لأخرى

رزقُها من ترابها مُنتهاهْ

تنثرُ الحبَّ ، ثم تسقيه بالدمع

وتُبلي عروقها في صِباهْ

وهو في صبره يُواعدُ بالقوت ،

ويفتش الأماني سناه

ويحين الحصاد يوماً بكفيها ،

ولم تنر كفها من جناه ،

رجعت بالفراغ ، والجوع ، والحرمان

من كل ذرة في حصاه ،

تجد الرق في الطريق . .

فإن همت إلى الخطو ، عاجلتها عصاه

تجد الرق في الهواء . .

فما تنشم إلا هجيره ولظاه

ضرب الرق في الفضاء

فلم يبق فضاء لكائن في حماه

غير طاغ ، وظالم مستبد

ورث الظلم جده وأباه

حسب الأرض ملكه ،

وعباد الله رقا لكأسه وهواه

يغرس الناس ، وهو يجني

ويجنّون ، فيمتص كلّ خير حشاه

ويناموّن في الحظائر عارين

وتشقى من الفراغ ذُراهُ !

وينادى عليهم ، فيرى الرحمة

ألا يجيب إلا صداه . .

ولنا كلبة تأذّى من التخمة

ضجّت حياته لأناه !

والملايين حوله تنفث الموت

وتشقى براحتيها رداه

بالرّقى ، والتمائم الزّرق ، والأوهام

. . تلهي مريضها عن لظاه

قصةٌ من عجائب الرق ، مرّت

حول كوخي . . ولم يزل في كراه !

ولنا فارسٌ من الغيبات

يذهل الشمس في ضحاها لقاه

من عناد الأقدار . .

من غضبة الإعصار إصراره وسر قواه

ومن النار، والبروق..

ووهج البعث.. إيماض عزمه وسراه

ومن النور، والكرامة، والإيمان

..والحب، سلمه وصفاه

ومن الريف، والثرى الطاهر الحر

ثرى مصر، أرضعت راحتاه

لمح الشعب في خضم من الحيرة

لم يبق في يديه اتجاه،

ورأى الليل.. وهو قبر الطواغيت

ولحد لكل طاغ غزاه،

قدراً هادراً، يدمدم بالسخط

وترتج حيرة شفتاه..

فرعى، والسماء، ترعاه..

فانشق نجي الليل فجأة عن ضحاه

ورمى، والشعوب تحميه..

فانجلب عن النيلِ كربُه وشجاهُ

ورمى ، والقلوبُ تفديه . .

فانهارَ على كل ظالمٍ ما بناهُ !

ورأى الرقَّ فى الوجوه . .

فلم يترك جبينًا يحيدُ عنه إباهُ

ورأى حبةً تطلُّ على جحرٍ

اطلتْ على الدُجى مقلتاهُ

زائغ فى الظلام ، يغمق بالظلم

وبالنفى يكتوى جانباهُ

فيه عبد وسيد : ويد تعلو

وأخرى فى القاعِ ترجو نداهُ

فيه للراجعين للنيل ، كهف

يجرعُ الذلَّ صبحه ومساهُ

فرماه بومضةٍ من ضياء الفجرِ

. . فانهار فى يديه نجاهُ

وغدتْ قصةَ الأفاعى حديثا

فى ظلام الزوالِ يغوى صداهُ !

ساعة مع الكوخ

«عدت إلى الكوخ . . فرأى علامة والأغلال مثلها

رمال . تنتصروا على زوالها كرامة الإنسان»

سلاماً تراب الكوخ . . جئتك زائراً

فأشعلت للبعث الجديد مشاعري

وأنبت في أوتارها الزهر والربى

وعطر الأغاني ، من خريف المزاهر

وفجرت أنهار الحياة بصمتها

فغنت بها الأشواق من كل خاطر

نفضت غبار الرق من فوق جبهتي

ومددت بالأضواء ظل مشاعري

وطيرت أغلالي من الروح ، فانتهت

وعـــادت إبـــاءً عاتيــاً فى ســرائــرى

سلاماً ترابَ الكوخ . . ما عدْت صاغراً

لصوْلــةِ جبّــارٍ ، ولا خطــوِ جائــرِ

تفجّــرَ فيكَ البعــثُ من كُلّ جانــبٍ

ودارت رحــاهُ فى الرُبــى والمخاضــرِ

وما عاد ركبُ البغْــى يمشــى ، كأنــه

على وجهك المسكيــنِ رزْءُ مجــازِرِ

ولقّعــى جــوادُ الظلْــم ، لا رمــحُ فــارسٍ

ولا صــكُّ مِهْمــازٍ رنيــمُ الحــوافِــرِ

ولا شاربٌ كالصّقْــرِ ، يرمى بنظــرةٍ

تــدسُّ فنــونَ الخَتْــلِ طىَّ المحاجــرِ

ولا رُمْــحُ عبْــدٍ خلْــفه ، تائهَ الخُطــا

يــؤدّى صــلاةَ الرقِّ جنْــب الحوافِرِ !

وكــان كَتَــابُــوت الخطايــا ، مُــزمْجِرٍ

بــألْفِ وشــاحٍ أُسْبِلَــت كالضفَــائــرِ

على ظَهْــرِه بــاغٍ ، تــورّمَ خــدُّه

من الشَّبه ، موصوفٌ بِنسْلِ الأكابرِ

عتقلٌ ، إذا شقَّ الطريقَ ، ترى له

تمثالاً على الصمتِ سادرِ

عصارةُ أجيالٍ من السَّطوِ ، لم تجد

لها رَمْزاً إلا ضجيجَ المظاهرِ

وعيناهُ ترنو للعبادِ بنظرةٍ

مُزوّرةِ الألحاظِ في كلِّ سامرِ

يمصُّ حُشاشاتِ الأجيرِ ، ويرتوي

بدمعِ الحيارى ، من شقيٍّ ، وعاثرِ

ويسرقُ كُحْلَ العينِ إن شاءَ ظُلمُه

ولو كان خلْقاً ، من جفونِ الحرائرِ .

ونَهّابُ أقواتٍ ، يلمُّ حصادَها

ليُتخم بالأسلابِ جَيْبَ المقامرِ

بِسامِ قريرِ الطَّلْمِ في بهوِ قصرِهِ

وغارسُها المحرومُ بين الحظائرِ . .

أتلْ بَدى يومَ الحصادِ ، فلم يَدَعْ

لها ثمراً. إلا هشيم للعابر
وإلا بقايا . خلف الجوز عوزها
من السنبل المنبوذ بين الحفائر
سنابل ألقتها المناجل غفلة
وكيزان حب خاويات الضفائر
يفتش عنها الكادحون بوهمهم
ويبحث عنها جوعهم بالأظافر !
تمطى على أيامهم بزمانه
وأغفى على جفن من البؤس ساهر
وجمجم كالمخموم فوق حصانه
وقال : هنا أرضي ، وتلك مخافري ،
وهاهم عبيدي ، بل عبادي ، ولتها
لنسياي . بل إرثي بها . وتواتري ،
ملكت ثراها بالوراثة عن أبي
وكان سليل الظلم المتواتر ،
ومر على سرب الجياع بحقله

كما مرّ إعصارُ الخريف بطائرِ

فلم يبقِ ظهراً لم يزدْ في انحنائه

ولا عاثراً إلا نعاهُ بعاثرِ

وآب إلى قصرٍ على البغي ركّبتْ

أواسيه من قهرٍ عريق الأواصرِ

يسمّونه «بيت الوصيّة» فريةً

وما كان إلا ردهةً للمساخرِ

وما كان إلا قُبّةً صمّ قلبُها

كما صمّ عن داعي الهدى قلبُ كافرِ

فلا هو واسى دمع شاكٍ ! ولا أسا

جراحات مظلومٍ شقيّ المناظرِ

أتاه ينادي الحقّ ، فانشقّ قلبُه

على خيبةٍ تُدمي إباءَ السرائرِ

رأى كلبَه خلف السياج مُكرّماً

قرير الحشا ، في كلّ نادٍ وسامرِ

إذا أنّ ناخ الطبُّ حول مزارِه

وأرْخَى له التّدليلُ خَزَّ السّتائرِ

ومِنْ حوْله الإنسانُ فى البؤسِ والضّنَى

وطِبُّ الرُّقَى . . يُزْجِى دُخَانَ المباخرِ

تناهَشَه الطّاغونَ . . مِن كل مُغْرقٍ

دموعَ الحَيارَى فى رحيقِ الكبائرِ

وكلُّ لئيمِ الكفِّ ، يسرِقُ قُوتَه

لكَنْزِ مُرابٍ ، أو لكفِّ مُقامرِ

وكلُّ لئيمٍ عاندَ اللهَ ظُلْمُه

فقال : أنا المُعْطِيكَ قبلَ القادرِ !

رُوَيدَكَ جَلادَ الإباءِ بوجهِهِ

وإيمانِه المكْبُوتِ خلْفَ النّواظِرِ . .

هى الأرضُ : أرضُ الفأسِ والعَرَقِ الذى

سَقاها ، وليستْ للفراغِ المُكابِرِ

ملايينُ غشّاها الضّيَاعُ ، فأطرَقَتْ

على ثورةٍ مَكْبُوتَةٍ فى الضمائرِ

أطلّتْ قروناً : كلّما حَانَ موْعدٌ

دعتى فجرهُ ليهلَّ عبْرَ الدياجرِ

وفى ومْضةٍ للغضبِ ألقتْ زمامَها

لقلبٍ على كلِّ الطواغيتِ ثائرِ

رمَى الليلَ فى أمواجه بيدِ الضُّحى

ومنها ترامى النورُ فى كلِّ خاطرِ

وكلُّ طريق كان وقفاً على خُطًا

لها فى جبينِ الأرضِ نَهْشُ جبابرِ

وكلُّ يدٍ لولا يدُ اللهِ جنَّبَتها

لظلَّتْ لدينِ الرقِّ إحدَى الشعائرِ . .

أتاها بنارِ الغيبِ إعصارُ حاصدٍ

مخاسيرةَ الأغلالِ عن كُلِّ سائرِ !

معجـزة علـى النهـر

[مع إرادة النفس وإصرارها على قهر المستحيل

في إطلالة لصوت المعاول وهي تخلق السد .

وتحول مجرى النهر الخالد ..]

أوقفْ خطا النّهر ، واسمع عند وَقْفته

صوتاً .. تكهّرْ تقديساً لرهبتِه

سالتْ عن سيرِه الأجيال . فالتفتتْ

مثلي . تُسائل عن أسرارِ قصّته

وغمغمتْ بحديثٍ . كدتُ أسمعهُ

وأقرأ الغيب مسْطوراً بهمسته

كهّانُ منْفٍ على أجراسه انتبهوا

من الزوالِ ، وذابوا قبل سكْتَته

ومدّ خوفو من الناووس نظرته

وعاد للأبد الغافي بدهشته

والراقدون على إعجازهم ، هرعوا

من المعابد .. إيماناً بضجّته

لمّوا هياكلهم والخلدُ في يدها

وبدّلوا النار ، إذعاناً لصيحته

والكون أجمع ، يحدوهم جبابرة

كانوا حُداة الضحى يوماً لظلمته !

وخيلُ « رمسيس » من خلف البلى صهلتْ

وحنّ برجاسها شوقاً لساحته

والريح ألقت عصاها عندما لمحتْ

وجه الجبال ، مكباً فوق سجدته

وابصرتْ شامخاتِ الصخر جاثيةً

تفتّتُ الكبر إجلالاً لهيبته

فساقت الجنّ ، والأقدار ، واحتشدت

من الذرا ، والثرى ، طوعاً لإمرته

عادتْ مفبر «سليمان»   ولو نطقتْ

لقالت النيلُ في إعجازِ ثورته ،

متمتم النيلُ ، واهتاجتْ شواطئه

كمعبدٍ هبّ من أعماقِ نشوته

وراح يحكي عن السرِّ الذي بخلت

به الليالي ، ولم تفصحْ بآيته

وقال كنتُ أسير البحرِ .. يجرفني

رقُّ الصفافِ إلى أغلالِ لُجّته

من غابرِ الدّهرِ ، أمواجي تطهر إلى

تيه المصيرِ ، فيطويني بغفلته

مستفحل الخطو .. لا وعدٌ ، ولا أملُ

إلاَّ انتهائي أحاجيا في حشاشته

مسافرٌ زادي الأحلامُ .. وهي رؤًى

يشقى الطريقُ إذا دامتْ لصفحته

إنْ كنتُ نضّرتُ غرساً ، أو سقيتُ ربىً

أو خلّد الطيرُ الآتي بسجعته :

يا ما صحارىَ عطاشا .. ودَّ سالكُها

لو يشربُ الموتَ إنقاذاً لِلَهْفَتِهِ !

مرّتْ عليها دهورٌ وهْيَ لاهثةٌ

يَشْوِي الهجيرُ عليها نارَ جَمْرَتِه

تُمُدُّ لي يدَها ظَمْأى ، وتسألني

طيفاً من الماء ، لو لوْهامَ قطرَتِهِ

وتستجيرُ بشطآني كثاكلةٍ

لم يُعطِها الليلُ إلا صَمْتَ ظُلمتِه

واللهُ لرسلَني أُحْيِي للوجودَ لها

ولخلْقُ الخُلْدِ من حصباءِ رمْلَتِه

لكنْ .. عجزْتُ ، فانبتُّ الذي سبقَتْ

عنايةُ اللهِ أحْلامي بفكْرتِه

ومن رأى حلْمَ الأجيالِ في خَلَدي

فسلْهُ ، وجلّاه في حقيقتِه

سناً يُعدِّدُ شطآني ، ويجعلني

طوْعَ تظمأ . مرْجني أمرٌ لدعوته

يدفقُ الخبزَ لنهاراً ، تزاحمني
في كل فجٍّ ، بوائقه بنعمته
نلب الطغاةُ على أصداء كلمته
وزلزلَ القيدُ من إصرار وقفته
حتى الطبيعةُ في أعتى مرابضها
دانت شوامخُها الكبرى لعزمته
صوتُ المعاولِ ، لم يترك لها جلداً
تهللتْ ، وجنتْ ذلاً لقوته
ورفرفتْ في الثرى حلماً ، يطيرُ له
قلبُ الصحارى ، ينادى عِطر جنته
وترتمى أنةُ الشادوف ضارعةً :
سبحان من رشّ أضلاعى برحمته !
من عهد فرعون ، أجثو نائحاً جزعاً
والنيلُ يخدع أهاتى بفطرته
وصاحبى في الأسى عريانُ ، تحسبهُ
في حافة النهر مصلوباً بحسرته

يجرُّ بالغَلْو مقهوراً ، على ظمأٍ

ألقى عصاهُ دهوراً فوق رِبْوته

وينحني ، وعصورُ الظلم مُلْقية

عِبْءَ الحقول على أرزاقِ حفْنته

يعيدُ شيئاً وجيئاً . . فوق جابيةٍ

مخيلة السمْع لا تُصْغي لشَكوته

الماءُ يجري بها ، والميلُ يغمرها

بالجودِ . لكنْها تشجي لأنّته

تظلُّ تُشْقيه . مشدوداً ، ومنكسراً

من التذلُّلِ . إنفاذاً لتُرْيتَه ،

حتى يُسربِل نعشْ الشمْس هيْكلَهُ

مبثّرةً صبغْها من لوْنِ حفْرته

سبحان من سيْجيلُ النيل في يده

حباً ولا . تتْباري تحت خطوتهِ

تجري كما شاء . أو إنْ شاء يحبِسها

حتى تصير زكاة لنبض حاجته !

* * *

ارقب خطا الدهر .. . واسمع ما يرن به
صوت المعاول في أصداء وقفته
واشهد لقاء مع الأقدار ، في جبل
نادى الحياة ، فرفت فوق صخرته
ونادت النيل . . فانسابت شواطئه
يسوقها العلم برهانا لسطوته
وفي غد . . وغد بالنصر رايته
في كل يوم شعاع من تلفته
ويزحف العرب الأحرار موكبهم
سد تخر الليالي فوق سدته
وتسترد فلسطين على يده
حق الحياة .. من الجاني وعصبته
ويرفع السد للدنيا منارته
وراية النصر تعلو فوق جبهته

تكبيرةُ العوْدَة

[مع ذكرى المعراج في أول ليلة بعد تركها الحكام الثلاثين . ومع ثاني الفجر العربي الزاحف .
لتحرير الوطن السليب]

وفي ليلةٍ . . فجرها في السُّفوحْ ،
ظلامٌ يُغنّي ، وضوءٌ ينوحْ
وفحُّ المنايا على دربها ،
سكونٌ شقيٌّ ، وللأشلاء ريحْ
وأشباحُ رقصٍ ، أشباهِ الظِّلالِ ،
توهّجَ في كلِّ أفقٍ جريحْ
تململَ فيها زوالُ الغرورِ ،
وكاد البِلى عن شجاهُ يبوحْ

• • •

سمعتْ بها غضب الأنبياء

مزامير ويلٍ ، عتيَّ صداهْ

وأبصرتُ ألواحهُم في الفضاءِ

محاريب ، تصرخُ فيها الصلاةْ

وتسبحهُم من ضفافِ السماء ،

يصبُّ على الأرض سخْطَ الإلهْ

ويرمي عليها دُخَان الشقاءِ ،

أعاصير حقدٍ تَــوَزُّ الحياةْ

• • •

تلاطَمَ فيها عويلُ الغيوبِ ،

وضجَّتْ بها شهقاتُ القدرْ

ولاحتْ مآذنُها في الظلامِ ،

وقد أنهلتْها عوادي الغير ،

سواعد مشلولةٌ في الفضاء ،

تجمّد فيها دعاءُ البشرْ

تمدُّ إلى الله راحاتها

وتَـزْأرُ فى صَمْتِـها المُسْتَـمِـرْ

• • •

هنالك ، والنبعُ ساهٍ حـزيـن ،
كحلمٍ تخطّاهُ صحْـوُ الجفون
رأيتُ الخطايا عَرايـا تسيـرُ ،
وتنسَـلُّ من أعيـنِ التائهيـن
وتزحـفُ حيّاتُـها فى الدروبِ ،
لتنهش بالتّيـه ظـلَّ السكـونْ
وتبـذُرُ فيه عـواءَ الريـاحِ ،
وتسقى أعاصيرَهـا بالجنـونْ

• • •

بقايا من الذُّل ، فى كُلِّ أرضٍ ،
يُحـرِّكُـهـا التّيـهُ أنّى يَشـاءْ
ويَدْفعها المـنْفىُ فى راحتَيْـه ،
ظلاماً مهينَ الخُطا فى الفضاءْ
تنَصَّـلَ منها تـرابُ الوجـودِ ،
ولـمْ يبْـقَ فيها لخطْـوٍ رجاءْ

فكيف استبدّتْ بقايا الحُظوظِ ؟

فألقت بها فوق ارضِ الضياءْ !

• • •

تلاقت شرائمُها عند سفحٍ ،

تزمجر نغمَتُها في حصاهْ

وتجأرُ فيه دوالى الكرومِ ،

وتعصرُ نيرانها للسُّقاهْ

ويمضي لها جبلٌ ، كم صفَتْ

لمسرى النُّبُوّات يوماً ذُراهْ

تنفّس من دنس الواغلينَ

لهيباً إلى النار يهوى لظاهْ !

• • •

تلفتُّ من غمَرات الظَّلامِ ،

ومن عارِهِ في جبين الوجودْ

فأبصرتُ فجراً ، عنيدَ الضياءِ ،

تُزَمْجِرُ أضواؤه بالرُّعودْ

وتزحف رايات بالدماء ،

لتجرف بالهول كل الحدود

وتغسل بالنور ، بالوثبة

خطا التائهين بأرض الجدود . .

• • •

غداً يزأر الليل من حولهم ،

ويرتد فيهم ضلال السنين

ويكتسح الفجر أيامهم

بيوم يكبر للعائدين

وتخفق بالنصر هالاته

على كل درب سقاه الأنين

فلسطين!!

حان شروق الصباح . .

ودوى لنا النسك للزاحفين ! !

من معبد الشمسْ

[الرحالة مع صحوة الضياء . في أطلال معبد

بلقيس بأرض اليمن الخالدة ..]

ازدحمَ النورُ على بابكْ . .

والفجرُ أطلَّ بأعتابكْ . .

والليلُ الرابضُ بمحرابكْ .

ماجاءه القدرُ المحتومْ

ودهتْهُ رياحٌ ورجومْ

• • •

همتُ . كالنفثة من قلبكْ

تتوهجُ ناراً من تربكْ

وتبددُ الليل . وتحجبه

نوراً ، يتدفّقُ لعينيكْ !

• • •

أصغَيْتُ طويلاً لقصائِدِكْ

والصَحْوةُ تجرى بدمائِكْ

والأمسُ يُطِلُّ لأضوائِكْ

مفزوعَ النظرةِ ، لا يدرى

من أين مزاميرُ الفَجْرِ . .

. . عادت لتجدّدَ أيّامَهْ ،

وتردُّ إليه أعلامَهْ !

وصلاةَ الشمس ، وسَجْدَتَها

فى كلِّ صباحٍ لسمائكْ

• • •

وسمعتُ طيورَ الأزليّهْ

للرزقِ ، صباحاً وعشيّهْ

تَلْغُو بضياعِ البشريّهْ !

سجّاها الظلمُ وهدهدَها

والنشوةُ غنتْ معبدَها ..

وأتاها من يأتي الأجلا

حصّادٌ ، لا يعرفُ مَهَلاَ

سوّاها نَغَماً ، وربّما

ومَلاحن عِزّ أهِلتّه !!

• • •

ورأيتُ كُهوفاً مَنْبوذهْ

تتثاءبُ حولي مقهورهْ

شابتْ كخريفِ الأسطورهْ

وأتاها النورُ ، كما يأتي

حشرٌ ، ينقضُّ على صوتْ ،

صيّرها كوناً جبّارا

يتوثّبُ ليلاً ونهارا

ليردَّ ضحاهُ من الماضي

ويعيدَ إلى الدّهر سطورهْ !!

• • •

ورأيتُ رُفاتَ الرَّجْعيّهْ

تشويه رياحٌ عربيّهْ ..
تتفجّرُ منها الحريهْ
فتردُّ وجُودَ الإنسانِ
وتُذيب هشيمَ الطغيانِ
وبقايا نَمِعِ الأغلالِ
وتُبدِّدُ ظُلمَ الأجيالِ
لا تترك فى الأرض بقيّهْ !

• • •

«بلقيس» أتتكِ بسجدتِها
لضياءِ الشمسِ ، وفرحَتِها
ورمتكِ بخاشعِ نظرتِها
قدُساً وصلاةً لضيائِكْ
ونشيداً يركَعَ لسمائِكْ
وأذاناً بصباحِ اليَمَنِ
يترنَّم فى سَمْعِ الزَمَن ..
سيرى بالنورِ وثورتِه
واعيدى الخلد لجَنَّتِها !

رايــة العــرب

(فى طريق الشمس)

فى طريقِ الشمسِ عُودى ، واعيدى

عزّةَ الشرقِ ، على وجهِ الوجودِ . .

وازحفى بالنُّـور .. والنّـار على

حشرجاتِ الذلِّ فى باقى القيودِ !

• • •

من قديمِ الدهــر . حيّاك الإلــهُ

وبصوتِ الوَحْـىِ نادتـِك سَمَــاهُ

واصطفَى أرضَك من بين الثرى

لتجيئها الرِّسـالاتِ يــداهُ

بسنَاها شعّـت الدنيـا هُـدىً

وبها ثارت على الذلّ الجبالْ

ومضت تسقي الليالي من ضحاها

وتذيب الرقّ من وجه العبيد

• • •

في ظلام الدرب في الماضي الطويلْ

كم حضنت العهد جيلاً بعد جيلْ

ومحا خطوك في إصراره

من طريق الفجر، ليل المستحيلْ

وضربت السير، حتى سطعت

شمسك الكبرى على كل سبيلْ

وتلاقى الأهل بالأهل على

صيحة الحق لأحلام الجدود

• • •

بصباح الوحدة الكبرى الأبية

عدت من حلم الليالي العربية

فازدري بالنور في كل ثرى

لم تَـزَلْ فيه من الليـل بقيـةْ
وعلى كـل تـرابٍ ، لـم تـزلْ
فيه للغـرب بقايـا الهمَجيّـةْ
واستمـرّت حُـرّةَ الخَطْـو ، إلى
أن ترى شمسك عادت من جديدٍ
• • •
كمْ سقينـا بالدّم الفـادي ثـراك
ومع الأجيـال سقنـا شُـهَـداك
وبـدُ اللـه علـى كـلّ يـدٍ
تـزرعُ الفُـرْقَـةَ ما بيـن خطـاك
طـال فيك البيْـنُ . حتى أنْـت
ساعةُ الجمْـع . . فدقّتهـا يـداك
والتـقـيـنـا أمـةً واحـدةْ
نعبـرُ الأيـامَ من غيـرِ حـدود
• • •
فإلنا شارفـت لرضـاً . . زمجـرتْ

ظمأً للفجرِ من قلبِ الخيامْ

فارشفيها بشعاعٍ مؤمنٍ

يستردُّ النورَ من أعتى ظلامْ

ويُذيبُ العارَ . لئن خطرتْ

لرؤاهُ حسرةٌ فوق الرغامْ

وضحى للمعراجِ يمحو دمعةً

لم تزلْ . ما زالَ في القدس يهودْ !

صحــــراء العَجائـــب

(وراء الوجوه المستعارة وهى تزيف

حقيقة الإنسان)

تجَوّلْتُ فى صحْراءِ تلك الْعجائبِ

وفى سِرّها الْمطْمُورِ حول الحواجِبِ

وعوّنتُ نفسى قبل أن أبدأ السُّرَى

لعلّىَ أنجو من سُمُـــومِ العقـاربِ

وقلتُ لعلَّ اللهَ ينْصُرُ رحلْتَى

فأغْنَم صَيْداً نافِــرا لحقائبى

وألقيْتُ أشراكى بها وحبائلـى

وسِــرْتُ كحَـارٍ هـامَ بين الخرائِبِ

وتغويتى الكبرى سُكُونٌ يحوطه

تربُّصُ شيخٍ ملَّ طولَ التّجاربِ

أمانكَ ربّى : ذلكَ الوجهُ ربوةٌ

تُغَنّى بها الأطيارُ من كُلِّ جانبِ

تكاد تُنادى العاشقين إلى الهوى

وتُجْرى لهم أسحارَها فى المَغاربِ

مُزَنّرةُ الأغصانِ بالعطرِ ، والنّدى

وهمسِ الصّبا فى مُرْعَشاتِ التّرائبِ

وتخْفِى دروباً فى ظلالٍ خَبيئةٍ

بها الرّيحُ ما أبْقَتْ حذاراً لهائبِ

عبادُ الحصى فيها أقاحٍ حَيِيّةٌ

كريماتُ صبِّ الموتِ فوق المَعاطبِ

تجود به سُمّاً نضيراً معطّراً

تُديره النجوى خُدودُ الكواعبِ

وتُجْريهِ ضحّاكَ الردَى ، كلُّ بسمةٍ

تُهِبُّ مع السّاقى بسَهْمٍ وضاربِ

وقفتُ طويلاً فوق أعتاب روضها

وناديتُ ربَّ الكون : ما نال صاحبي

أجرْني ! فهنا الوجهُ كم صدتُ سرَّهُ

ولو كان معصوماً بغَدْرِ الغياهبِ

فلم ألقَ إلاَّ أصبعاً بسوقه

مجنّبه ، ذنبٌ مستعارُ المخالبِ

ووجهٌ به وجهان وجه مقنّعٌ

بآخر مدسوسٍ بزيِّ العناكبِ

يُجاري وجوهَ الناسِ في كل نظرةٍ

ويسْربُ في قيعانها كالثعالبِ

ذليلٌ لما يُضفي إليه ، فسمعُهُ

حطامُ ذليلٍ في حبالِ كواذبِ

ترى طرفه عبداً لعينيْك ضارعاً

على أيِّ حالٍ من فنونِ التخاطبِ

تنوحُ فيعْوي .. لو تُصيحُ فيضحي

ويصبح شيئاً من سكون المحاربِ

بَرَتْ آيةُ البهْتان جلْدةَ وجهه

مَطايا رياءٍ لا تضيقُ براكبِ

إذا قيل : هذا الصخرُ ماءٌ . . رايته

يُردِّد للينبوعِ شوقَ السّباسبِ

وإن قيل : هذا الماءُ نارٌ . . رايتهُ

عليها مجوسيّا عريقَ المذاهبِ

وإن قيل : تلك النارُ فجرٌ . . رايتهَ

أذانَ مُصلٍّ هزَّ سمعَ الكواكبِ

وإن قيل : هذا الفجرُ قبرٌ . رايته

من الثُكْل يستجدى دموعَ النوادبِ

تلاشَى بلا موتٍ ، واوْدَى بلا ردًى

لعلَّ بهذا النّعْش بعضَ المكاسبِ .

أمانك ربّى منه ! . . هذا منافقٌ

أخفُّ لقاءً منه وجهُ المصائبِ !

إذا انفَرَدَتْ باللّه أبعادُ نفسهِ

- وهيهاتَ - يلْقاهُ بزَهْوِ المُحاربِ

وإنْ مرّ جلاّبُ الفتنات رايتَه

بلا أيّ ذنب ، في سرابيلِ تائبِ

نفوس . ولستخذي على الزور ظهره

وكبْر - لا لله - بل للرّغائبِ . .

فخلْتُ صلاةً لم يحنْ - بعد وقتُها

غزا الرّقَ من بهتانها كلّ جانبِ

• • •

وجهٌ سرابُ البيد يخشى ظنونَه

فيزْورُّ عن رؤياه خوفَ العواقبِ

يمرُّ به مرّ الظنون كأنّه ،

من الذعر ، صنوٌ مرّ في وَجهِ كاذبِ

وتمعن في نجواه عرافة الضحى

فتمكث في خطٍ على الرّمل خائبِ

يعلّمُ أجواز الفلا كيف تصطفى

لظلماتها ودّ الرياحِ الحواصبِ

تعمّى على مرئته ، فهو صوّبها

رؤى صدإ طيٌّ للزجاجة هاربِ

يُخادعُ .. حتى نفسه ! فطريقها

بجنبيه جبٌّ قاعةٌ فى الجوانبِ

تهدّجَ ، واستخفى ، وهوّم ، واختفى

بجفنين سعّاءين تحت المساربِ

لحتْ فلاةٌ من بعيدٍ ، فصرْصرتْ

بسمعى رياحُ الخاتلِ المتثائبِ

فقلت : معاذ الله ! ضعفٌ وقدرةٌ ..

وليلُ ضياءٍ ، فيه فجرُ غياهبِ !

• • •

ووجهٌ دعىُّ الأفقِ ، لا علْمَ عنده

بما حطَّ فى قيعانهِ من مثالبِ

محى سمْتَه ضبُّ الغرور ، فأنفه

كرمّة طيرٍ كُفّنت بالطحالبِ

تورّم ولنقـدّت سـباتِـب نفسه

فلم يـبـقَ منه غير تـلّ المناكب .

يُشبّحُ قضاءُ الله خزياً لُحمته

وتعـوى له حزنـاً شقوقُ الجنادب

ووجهٌ هو التسـبيحُ ، والذكرُ والهدى

وزهـدُ الليالى فى جميعِ الرّغائـبِ

بليدُ التُّقى ابصرتُـهُ فى إسارها

يـدورُ على إبهامـه كـالـلـوالـب

تهاويتُ فى لـنـولره فإنا بها

كهـوفُ مغـاصٍ يانعـات الذوائـب

نفجُ خشـوعاً للقضاه ، وطيّها

صحارى ضلالٍ مُهلكاتُ المساربِ

• • •

ووجهٌ سلكتُ اللهَ لا مـرّ ثانياً

ولا اتجـهـتْ يومـاً إليـه مذاهبى

مه سحنة الواشي . لها سمع أعين

لها سبع آذان ، وسبع حقائب

يطل كرهط من بني الجن ظامىء

يحدج في نبع من الماء ناضب

ويمشي كحراس مشى في ترابهم

دبيب من الأوهام خافي الكتائب

وتزحف كالثعبان لشواق سمعه

لتستل ما تهواه من كل صاحب

حزين على الاسرار . . يلعق طيفها

كذئب غريب الغاب حيران ، ساغب

وينبش في غيب العباد ، فلا ترى

له نظرة ، إلا برفش وحاطب

سألت له الرحمن قبراً كوجهه

تسب له الآثام من كل جانب . .

الوجه المسدود

[واستغلق عليه السر في وجه فانفجر
مليء من ظلامه]

أريد لقاء الله ، لا لمتاهةٍ
ففي كلِّ سرٍّ منه تسكن توبتي

أريد لقاء الله ، دعوةُ حائر
تلاشت خطاه عند باب الحقيقةِ

أريد لقاء الله تضرعُ راحتي
وتضرعُ طيرٌ مؤمنٌ في سريرتي

وتضرع أيامي ، كأن ثروبها
مساكين ، لم تضرعْ بغير الخطيئةِ

غدوتُ عناءً ضارعاً ، كلُّ نغمةٍ
تمدُّ يداً تدعوه من كلِّ نغمة

إلهى . . وأنت النور لم يَخْبُ مرَّةً

سناهُ ، إذا أعشى الضّياءُ بصيرتى

أعنّى على هتْكِ الستارِ . . فإننى

عجزتُ ، ولم تهدأ براكين حيرتى

ثغورٌ توالتْ ، والرغابُ على يدى

وأعترفُ للإنسانِ سِرُّ تمَيعتى

ولستُ من تيهِ الوجوهِ ضلالَها

وما دفَنْتُه فى سرابِ الخديعةِ

أغوصُ بها حتى يذوب شغافُها

وأنفذُ حسى فى جذور الغريزةِ

ومهما تلوّتْ نظرةٌ ، أو تخلّعَتْ

رميْتُ لها صيّادَ كلِّ خبيئةٍ

ودُرْتُ حواليْها ، وطرْفى ساكنٌ

يجوبُ زوايا النفْسِ فى كلّ نظرةِ

فما فاتتنى وجهٌ ، ولو كان زادَهُ

من التّيهِ ، ليلٌ غارقٌ فى سكينةِ ،

ولا فـرّ عنّى مَـنْ سَمِعـت بوَجْهـه
عزيفَ الرّياحِ الهُوجِ فوق الظّهيرة
ولا من اتانـى والها متذلّـلاً
ويخْـنُـق فى عينـيـه ظلّ للكيـدة
ولامَن غـزا وَجْهى بشوقٍ وبَسْمَـةٍ
تراهـا من البُـهْـتـان اسمالَ حيّـة
معتّمـة ، صفراء ، تنقع سُمّها
عَـلَى شفـةٍ تُـومـى بكـاسٍ وزهـرة
عبرتُ فضاءَ اللهِ صيّادَ اوجـهٍ
ولو سَـكنت غابَ الغيوبِ المنيعة . .
وحيّرنى وجـهُ اطلّ فنظرةً
حيـاةٌ ، وأخـرى اوْغـلت بالمنيّـة
تناقض حتّى خلـت عـدّة اوجهٍ
توالـت لعيـنـى زمرةٌ إثر زُمْـرة
تُريكَ الربيع الغضّ ، حان خريفه
وشاسـتْ لياليـه عَـلـى كـلّ ربـوة
لتبصر اطهاراً ، وتسمعُ حولها
جنائزَ موسيقى الغُصونِ الحزينةِ

وتُشقيكَ أرسالٌ من العطرِ ، خانَها

شَذاها ، فتاهَتْ في رفاتِ الخميلةِ

وكهفٌ عميقُ الظنِ في كُلِّ محجَرٍ

ولجفانِ أفعى ثاكلاتِ التلفتِ

وبحرٌ بلا ماءٍ ، وموجٌ بلا صدًى

يُغمغمُ شيءٌ فيه من كلِّ وجهةِ

مَخَرْتُ مجاهُ بالخيالِ ، وبالرُؤى

وبالوحيِ والإلهامِ قُدتُ سفينتي

وأطلقتُ أسرابَ الظنونِ كأنَّها

جوارحُ طيرٍ حلَّقتْ للغنيمةِ

وعوذتُ ، واستلهمتُ نفسي غيوبَها

وأسرارَها في هَتْكِ أيِّ خبيئةِ

فعادتْ بلا شيءٍ ، كأنَّ مطارَها

دروبٌ من الأوهامِ في كُلِّ سحنةِ

تُولْولُ من فرطِ الضلالِ ، وتشتكي

ضباباً على تلكَ العيونِ المليدةِ

وتضرعُ مثلي لن يُفاجىءَ جهلَها

من اللهِ ضوءٌ ظافرٌ بالحقيقةِ .

العودة إلى الله

ربِ إني لك عُدْتُ

من سرابٍ . فيه تُهْتُ

في طريقي إلى النور نزفت هذه الدموع . .

ربِّ إنّي لكَ عُدْتُ مِنْ سرابٍ فيه تُهْتُ

وعلى وجهي شظايا ندمٍ فيه انتهيتُ

وكهوفٌ منْ خطايا . تحتها نارٌ وصمتُ

وطيورٌ نزفتْ سرّي وطارتْ حيثُ طرْتُ

وتلاشتْ في زوايا خلدي أنّي سريتُ

فإذا أبكي . أراها أنهُمّا ممّا بكيتُ

وإذا أشكو . أراها كلّ ما منه اشتكيتُ

وإذا أهربُ . كانت كلّ دربٍ قد سلكتُ

وإنا أغفو . أراها كلَّ حُلْم قد رأيت

وإنا أفزَعُ للأوهام . كانت ما وهمت

وإنا غبتُها النسيانَ . غنّتْ ما نكرت

ومحَتْ ذلتى . وعادت لى بما كنتُ نفثتُ

ربّ جنّبنى صَداها . فهى أعدى مَن عرفت

هى نفسى . وهى شيطانى الذى منه فزعت

سكنتْ فىّ . وفى صحرائها الكبرى سكنت

وعلى مصباحها المخنوقِ فى السفح اقمت

وكما ينطلقُ الإعصارُ فى الليل انطلقت

وتسللت الفجاجَ السودَ فيه ومضيت

راهباً ضلتْ مسوحى فى هنلها وضللت

ويحَ عمرى ، ما الذى كنتُ على الرمل كتمت ،

قصةً . . ما زال حولى كلُّ ما فيها رويت

الأسى . والإثم . والعصيان . هذا ما حملت

فإنا التوبة ألقتْ رحلها عندى . رحلت

وإنا الأوزارُ حطتْ . حط قلبى واستشبت

وإنا ركْبُ الخطايا لاحَ للعينين . هفَوْتُ
وكما ينتفضُ الطائرُ للفجرِ انتفضْتُ
وتلفتُّ بسرّى فى المناجى وانسلَلْتُ
متلفعاً بنسلٍ منى خاطرٌ مِمّ برِمْتُ !

• • •

هذه قصةُ بستانٍ به كُنْتُ عَبرْتُ
حاطباً أجمعُ ناراً .. وأسَى فيما جمعْتُ
ليس لى فأسٌ ، ولا غرْسٌ ، ولكنى احتطبْتُ
منْ ربيعٍ . ليس لى فيه سوى أنى وُجِدْتُ
ورحيقٍ ، كلُّ ما أعلمُ ... أنى قد شربْتُ
وعبير . كلُّ ما أدريه أنى قد شممْتُ
وثمارٍ كلُّ وعيى أننى منها قطفْتُ
وغصونٍ ظلُّها بجهلٍ عنّى ما جهلْتُ
عثرَتْ سِرّى وعادتْ ، وهْى للإيمان بيْتُ ..
جلَّ ربّى ، كل هذا ما الذى كنتُ ارتكبْتُ
لذنوبٍ ؟ أم دروبٌ فى مهاويها جُرِفْتُ ؟

أنا كـذّابٌ ، ولكنْ كُـلُّ ما قـلْـتُ صدَقْـتُ !

نقـلتُ نفسيَ عن نفسِي الذى كنتُ ادّعَـيْتُ

فهْو زُورٌ ، وهْوَ حَـقٌّ ، وهْو سِـرٌّ فيه حِـرْتُ

أنا نَـفْـسـى تلكَ الإثـمُ الذى منْـه هـَربْــتُ

أنا نفسى تلـك الزُّورُ الذى منْــه جَـزِعْــتُ

كلُّ ما أشكوهُ ، منْها ذنـبُـه ، مهْما بَرِئْتُ !

عذَّبَـتْـنـى بِخطاهـا ، وهَواهـا فاستَجَـرْتُ

وإلى قُــدْسٍ عليٍّ ، من ضلال النورِ طِـرتُ

بعدما جزّتْ ذاتى ، وعن النّفسِ انفصَـلْتُ

وإلى الله بنَـوْحى ، وعـذاباتـى ، اتَّـجـهْتُ

وشبَبْتُ الجسمَ ناراً ، وهشيماً ، واشتعلتُ

ربِّ ، من بُقيا رمادِى ، وحصادِى لكَ جئْتُ

ربِّ غفرانـكَ ، إنى فى ظلامـى قد وُئِـدتُ !

النفس والخطيئة

[وظلت تلح للنبأ حتى لفتها للوعد . .]

حملت أمسي ، وغدي ، وسرت نحو الموعد

حتى وصلت شاطئا أيهمس بالتشهد

وترتوي آفاقه بالنور والتعبد

فقلت طيري ، واصعدي ، يا نفس . حان موردي

فأجهشت ، وانتفضت . . بلحنها المردد :

كل الخطايا في يدي يا رب أجل موعدي

مشوبتي موؤدة في مهدها ، لم تولد

ما زلت أدعو الله عمراً ثانياً لجسدي

أعيد فيه سيرة للروح منذ مولدي

نقية من كل ما يفضني في مرقدي

بريئةٌ من كل ما يَشْوِى الرُّؤَى فى خَلَدِى

ويجعلُ الإيمانَ فى نفْسى غريبَ البلَدِ

يعيشُ كالضوءِ السَّجينِ فى سكونِ المعبدِ

تُديرُه اغلالُه ، لغايةٍ لم توجَدِ

معنًى ، كأنه سريرةُ المضطهَدِ

أو ظامىءٌ إلى سرابٍ ظامىءٍ مُصَعَّدِ

أو طائرٌ ، على خريفٍ هالعٍ مُبَدَّدِ

صبَّ الأسى فى نابِه ، أنينَ حُلْمٍ أسودَ

يَطْفِرُ من قُضبانِهِ كمستَغيثٍ مَقْعَدِ . .

أو طارقٌ أسرارَ بابٍ فى الظلامِ مُوصَدِ

يصبرُ ، ثم يمّحى فى اليأسِ والتردُّدِ . .

أو سابحٌ فى لُجَّةٍ مطمورةٍ بالزَّبَدِ

فى جيبِ إعصارٍ على الأفقِ يتيمِ الرُّشَدِ

يئنُّ كالغيظِ بصدرِ الظالمِ المقيَّدِ ،

أضاعه الأمسُ ، وضاعَ الأمسُ فى تيهِ الغدِ

أو حائرٌ على ظلامِ قلِقٍ مسهَّدِ

بغير نار الشكِّ لم يَهْجَعْ ، ولم يوَسَّدِ . .

او تائبٌ لله . . لم يُمْهِلْ ، ولم يتَّئِدِ

تنقّلتْ اشواقُهُ ، من موقدٍ لموقدِ

وللمعاصي حولها ، اجنّةٌ لم تولدِ

تنزُّ في احشائها بجذوةٍ لم تخمدِ . .

او راحلٌ بغير تيهِ الدّربِ لم يزوّدِ

وغير ليلٍ كافرِ الراحاتِ ، مغلولِ اليد

نجومهُ مبهوتةٌ ، في أُفقها المفنَّدِ

يطلُّ من شعاعِها المسحور ألفُ رَصدِ

وألفُ شيطانٍ بغيِّ الوجه ، باغي الجَسَدِ

محزّمٍ من الخطايا بشهابٍ اسودِ

يخطفُ كلَّ تائبٍ بسهمهِ المسدَّدِ

ويجعل العصيانَ للندمانِ اشهى موردِ

ويغرق الناسك في بحرٍ اثيمِ المددِ

تللُّ والإيمانُ في جنبيهِ نوّاحُ اليدِ ،

ملوّحاً بالنسك ، والصلاةِ ، والتهجُّدِ

وكلُّ زهدٍ وتقًى .. للروحِ أو تعبُّد ..

فتعصفُ الريحُ على دعائمِ المُبتدِ ..

رباهُ .. بعضُ النور .. قد طمَّ الدُّجى في خَلدي

سبحتُ بالإيمان في تيهٍ عميقٍ أهتدي

قلبي إلى نورك نشوانٌ بحبٍّ سرمدي

منطلقٌ إلى سماءٍ بابُها لم يوصد

وجدي محمَّلٌ بكلِّ نَغَمٍ مُنْهَمِد

واصلتُ دقَّ البابِ .. حتى كاد يمضي موعدي

وكاد يبليني سعيرُ الإثمِ حول موقدي

رباه .. بعضَ التوبِ والغفرانِ للمُستنجِدِ

نزعتُ ذاتي .. واستقَيتُ حقيقتي للأبد

وَجِئتُ أدعو اللهَ عمْراً ثانياً لجسدي ..

شاطىء التوبة

[وشفت بزورقها لجة الظلام حتى دهمها
الشاطىء بلا ماء ولا ضياء ..]

وشاطىءٍ في يديه | كفّارةُ للخَطَايا
ذهبْتُ يوماً إليه | بأدمعي وشَقَايا
وبالمعاصي اللواتي | صحبتُها في سُرايا
ورحْتُ ألقى عليه | تحلّلي . وهدايا ..
فصرتْ قبراً غريباً | تناهشته المنَايا
زفّوا عليه غصوناً | منضراتٍ صبايا
وحمّلوه طيوراً | لغنتها من غنايا
وصرتُ بعض صلاةٍ | . تضمُّ بعضَ الخطايا
وتوبةً . في خطاها | تمشي الذنوبُ عرايا

كأنها من عذابٍ ، للإثم صارت مَطَايا

أو أنها من ربابٍ ، أضحتْ لديه مرايا . .

نعمتُ يوماً . . ونفسي جريحةٌ تتَعايا

وللمعاصي عُواءٌ ، مدمّدمٌ في الحنايا

كأنه صوتُ ذئبٍ ، تغافلته العشايا

أوْ فحُّ أفعى ، شوتها من الهجيرِ شَظايا

أو نَوْحُ ثكلى ، أهاجتْ لها القبورُ خَفَايا

أو وخزةٌ من ضميرٍ ، للعارِ فيه بقايا

أو صرخةٌ من يتيمٍ ، تلقفته الرزايا

حملتُها . . وكأسي ، حَمَلتُ فُول للمنايا

وجئتُ ندمانَ . أرجى إلى المتابِ خُطايا

حيران ضلّ أمامي ، وضلّ خلفي ورائيا

وضلّ أفقي . وضجّتْ لرضى له . وسمايا

أبكي . وتبكي . ويبكي دمعي . ويبكي بُكايا

وفي يديّ غناءٌ ، مولولٌ من أسايا

وحفنةٌ من دعـاءٍ ، غرفـتـهُ من دمـايـا

مـدمْـدمٌ فى صَباحـى ، مُزمْـزمٌ فى مَسايا

كأنه صوتُ رؤيا ، سجـيـنـةٍ فى الخَـفـايـا

او حزنُ طيرٍ غريبٍ ، فى الليلِ ينـفـخُ نايـا

او مستجيـرٌ ، تـلبـىْ صداه نفسُ الرزايا

او مستغيثٌ ، عـليـه يـردُ صوتُ البـلايـا

او ضـارع فى زوالٍ ، دعـاؤه من دُعـايـا

يقول : يا رب ! هذا إثـمـى ، وهذى تُـقـايـا

وذاك دَربـى ، وهـذى على الطريـق عصايا

ما كنتُ أعمى ! ولكنْ أعمى المُغـنّـى شَجايا

دقُ الدُفـوفَ ، فطارتْ إليـه دنـيـا هوايـا

وطرْتُ عبداً ، أنادى فى سحْرِه مُشتهايا .

• • •

ربَّـاهُ ! عفـوك . . إنـى	للنُّـور مُـدَّتْ يـدايـا
نزعـتُ أسرارَ قـلـبـى	وجـئـتُ ألقـى أسَـايـا
واشتـكـى طـىُ صـدرى	دَرْبـاً سحيـقَ الطَّـوَايـا

به بُليتُ ولكنْ   لمْ أدرِ ما مُنتهاها !

لم ألقِ بأسي فيه ،   ولا عَرفتُ هُداها !

ولا عَرفتُ ظلامي ،   ولا عرفتُ ضُحاها !

ولا الـهـرك ، ترى   يا رب يوماً أنلْها ..

إليك أنتَ صباحي   مصفقاً في مَسابا

عَقلي في الشوق تاهَا ، وتَهْتَها بالخطايا

فلسكُبْ ضياءك ، إنّي ظمآن ، ضلّ صدَايا

لَمْ أدرِ من أيّ نبعٍ أسقي حنينَ الرُّكَايا ..

والشطُّ لا ماءَ فيه يُطفي اللظى في حشايا ..

رُحماك يا رب .. إنّي ، وزورقي ، والخطَايا

في لُجّةٍ .. ليس فيها من الضياءِ بقايا

جفّتْ ، وغاضتْ ، ولكنْ ، ما زلتُ أُزجي رجايا

غفرت ، لِمْ لمْ . فإني ما زلتُ أدعوكَ .. يا ، يا

... يا ربُّ !!

الهاربةُ مَنِ المَعبد

[وردها تتسلل إلى بحيرة المعصية . بعد أن
أمضها طول الغياب لقيناها بهذا العتاب]

لاَ

لنْ أقولَ الوداعا

ولن أُعيدَ القناعا ..

علَى رحيقٍ رشفتُهْ

وأيَّ سِرٍّ كتمتُهْ

فليس للذنبِ عُمْرُ

وليس للقلبِ سِرٌّ ..

ولا لموجِ المتابِ

فـى الـنهــــرِ إلى حجَـــلِ..

شُـــدّى الـرّبَـــابَ وقـــومـــى

عـلَــى سُــفـــوحِ الـنجـــومِ..

وسبّحى كيف شئتِ على غناء وصمتِ..

هيّـــا.. أعـــيـــدى الشّـــراعـــا

ولا تـــقـــولـــى وداعـــا!!

* * *

سـمعتُ منـــك دُعـــاءَ

كالعِطْـــرِ فى الفَجْـــرِ جَـــاءَ

يَـــنوُرحـــولَ الخطـيئَـــة

بكـــل بُــشْـــرى مُضـيئَـــة

منهـــا الطـــلُّ الصّبـــاحْ

ولـــم تُـهمهـــمْ جِـــراحْ..

ولتقبـــل النـــورَ يسْـــرى

عــلَـــى هيــاكـــل صـــدرى

لا تـغْـلِـقـــى البـــابَ.. وامضـــى

مِن بعضٍ نلتقي لبعضي

تَولَّفــلاً من ضَراعَــةْ

تطيــرُ نحو الشَّفَاعةْ . .

تــهلُّـلاً ، وارتفــاعــا

ولاَ تقــولـي الوداعَــا ! !

• • •

سيرى مع النور ، سيرى

وغَلْغِلِي في الأثير . .

وأَوْغِلي في الدُّهور

وفي الزمانِ الكبيرِ . .

وكلَّما انسدَّ دَرْبٌ

سيرى سيمتدُّ دَرْبٌ . .

ولا تَهابي ظَلاَمَا

ولو تلظَّى ضِراما . .

فالليل صَمْتٌ وآهَةْ

وغفلَــةٌ . . وانتباهَــةْ

وليسَ للعفوِ حدٌّ

ولا زمانٌ ، وبعدُ . .

والنورُ عمَّ البقاعا

فلا تقولي وداعاً . .

• • •

إنْ خفتِ إثمَ ابنِك

ظمآنَ بالدمعِ يبكي ،

فذكّريهِ بليلةِ

من المتاعبِ ، والعنفِ ،

وذلّه ، وانكسارِه . .

وما اقترفْ بنارِه

ووجهُها في ابتهالِ

مُفتخرٌ بالزوالِ

تُغري بريحِ الندامة

وبانتقاضِ الملامة . .

ووخزُها كالذبيحة

وكأنتِهَاكِ الفضيحةَ ! !

لا ترحَمِيهِ بِكأسِكْ

ولا بأحلام نفسِكْ . .

مُدّى إليه شُعَاعا

ولا تقولى الوَدَاعا . .

• • •

مِنْ عُمْقِ ذلتى ، وسِرّى

ومن سَرَاديبِ صَدْرِى

ومن صلاتى الحزينَهْ

على ضِفَافِ السكَينَهْ

ومِن تَلفُّتِ نفسى

لعَالَمٍ غير حِسّى

ومن هَديرِ المَعَاصى

ويأسِهَا فى الخَلَاصِ

ومن تمزق قلبي

على خطا كلّ ذنب!

غرقت كلّ وجودي

سحراً لهذا النشيد ..

فإن أردت سماعا

فلا تقولي وداعا ..

المستجيرة

[وتنكرت لي ناقتي ، فقذفت لي الرحيل لتروى

ظمأها من عنائي . . . ثم جاءت تستجير]

وقالتْ : أجِرني !

فقلتُ : اخسئي . .

فمَنْ غيرُ ربِّ السماء المُجِيرْ ؟

تعاميْتِ . حتى ركبْتِ الظلام

على هَوْدَجٍ من ضَبابِ الغرورْ . .

جناحاهُ من شهوات الحياة

ومن بأسِها في لقاءِ المصيرْ

هوى بك في قاعِ ليلٍ بهيم

تدورين فيه بخطوِ الضريرْ . .

دعيني .. فمالي يدٌ في أسَاكِ !
ولا عبرتْ في طريقي خُطاكِ
تنكّرتِ .. حتّى وهي ساعِداكِ
فافلتِ ، نادمةً تستجيرْ ..

• • •

تنكّرتِ فيّ .. وصوّرتِني
لوجه الحياةِ كما تشتهينْ ..
ففي الرّوْضِ ، كنتُ نديمَ الرُّبَى
وانت التي بالشّذى تسكرينْ !
تقولين : هنا ربيعُ الجَمالِ
فنشا .. وانت التي تشربينْ !
ولسرى سربِ الحياةِ العميقِ
فارنو .. وانت التي تعبرينْ !
أنادي .. وللسر بمضي صداكِ
واشدو .. وبالسحْرِ يحظى غناكِ
واشقى .. وما كان إلاّ شقاكِ

وأدعو . . وما كان إلا دُعاكِ . .

بداىَ إلى الله مَبْسوطةٌ

وأنتِ الَّتى طِبُّها تضْرعين ! !

* * *

لبِسْتِ بى الشَّبَحَ المُسْتَعارْ

وزوَّرْتِنى بين زُورِ الحياهْ . .

وابكى بدمعكِ . . لكنَّنى

أرَى لكِ سُخْرِيَةً من أساهْ . .

تلثَّمتِ بى فى هدوءِ الظلام

وفى الهوْل ألقَيْتِنى فى نُجَاهْ . .

وجئتِ تنادين غَوْثَ الهلاكِ

وممَّنْ ؟ مِنَ المشتكى من لظاكِ !

وممَّنْ غدا رِزْؤُهُ من نِداكِ !

وممَّنْ غدا دعوةً فى سَمَاكِ

مضيَّعةً أرجَعَتْها الغيوبْ

إلى صَدْرِها من طريقِ الإلهْ ! !

* * *

دخلتُ بي الحانَ في مرةٍ
وكان اتّجاهي إلى المَعبدِ . .
وكانتْ صلاتي قبلَ الصّلاةِ
مزاميرَ علويَّةَ المَوْرِدِ
فخطفتَها من فمي للرّحيقِ
وقلتِ ليَ : اليومَ قبلَ الغَدِ !
إذا كُنتَ للنُّورِ صبَّ الحنينِ
فقرِّبْ شفاهكَ من موردي
. . وقرّبْتُ : حتى طواني هَوَاكِ
ونوَّبْتِني قطرةً في صَفَاكِ
ولمّا انتهى السرُّ . . طارت خُطاكِ
وأوْمَتْ لسرٍّ بعيدٍ عصَاكِ . .
فولّيتُ وَجْهي إلى سِحْرهِ
كأنّي مُصَلٍّ بلا مسجدِ !

• • •

فلاحَتْ لقلبي سفوحٌ وِضاءٌ

وروضٌ عرفناهُ منذ الأزَلْ

لزاهيرةٌ مُزْمِناتُ العبيرِ

والطيارةٌ قانِتاتُ الزَّجَلْ

وانهارةٌ من ضِفَافِ المَقَلِ

نحدّرْنَ بالنَّدمِ المشْتَعِلْ

فالقيتُ عمري باعتابِهِ

وناديتُ حتى تلاشى الأمَلْ

وَأَوْمَأْتُ شوقاً الى لِراكِ

لعلّي لرى شائقاً من لِقاكِ

لعلّي .. بقبضةِ نورِ يدِكِ

تضيءُ السبيلَ !! فصدّتْ سَمَاكِ

وخلّفتني في الفَلَا لستجيرْ

والزمتِ بين رسمٍ وظلٍّ !!

تاهت في العبير

كلّما غرّدَ طير في خميلةْ

وهفَتْ للحُب دنياه الجميلةْ

وتهادَى العطرُ في الرّبوةِ من ترْبٍ لِترْبِ

عاشقاً ، يبحث في البستانِ عن قلبٍ وحُبْ

نسي العطرُ خطاهُ ، وسَرَى نحو شفاهي

وجرى منها دعاءً ، وصلاةً . . يا إلهي !

* * *

كلّما قبَّلَ ضوءُ الشمسِ زهرةْ

وانحنى العطر لها ينقل سرّهْ

لاح لِي وجهك في كل شعاعٍ يتجلَّى . .

ساقِي الإيمان ! مِنْ نوركَ طُفْ بالكاسِ ، واملأْ

واسقنى ، واشربْ ، ولا تحرم على البُعْدِ شِفاهى

فأُغنّى . . رب سبحانكَ ، نَوْمًا ، يا إلهى !

• • •

إنْ يكنْ نَنْسى توارَى فى ضميرى

وخُطا نفسى تاهت فى العبيرِ

فلنا فى كل خَطوى لكَ . . حَمْدٌ ، ومَتابْ

وحنينٌ رنّتْه حولَ أيامى الشِّعَابْ

فاسكبْ النورَ لقلبى ، وارْوِ بالحُبِّ شِفَاهى

فأُغَنّى . . رب سبحانك ، نَوْمًا ، يا إلهى !

• • •

كلما رفرفَ بالإيمان صدرى

وسرتْ أشواقه الكبرى بثغرى

ثَملتْ روحى من الحُبِّ ، ولانَتْ عند بابِكْ

ورنا قلبى ، فشاهدتُ السَّنا خلف حجابِكْ

قُوّتى منك ، ومنها تتنهلُ الحمد شفاهى

وتغنّى . . رب سبحانك ! نَوْمًا ، يا إلهى

صلاة الجمال

رب شخص المسنون ، وليكن ما يكون

كل شيء يهون ، حين ترنو إليّ

فى شِعابِ الغُيوبْ ... وفِجاجِ الزّمَنْ

ظلّ عمرى يلُوبْ ... فى سعيرِ الفِتَن

تائِهُ فى الدروبْ ... سابِحُ فى المِحَن

لا يُبالى يؤوبْ ... لم يضلّ الوَطَن

والضحى ، والغروبْ ... والرُّبَى ، والقُنَنْ

واختلاجُ الظلالْ

واعتلاجُ الرمالْ

كُلُّها لِمن مالْ

مخدَعٌ للجمالْ ... عبقَرِىُّ السّكَن !

• • •

كم شربتُ الحياهْ — من هجيرِ الزوالْ

ونهلتُ الصلاهْ — من سهوبِ الضلالْ

وراني الرُّعاهْ — خابطاً في الجبالْ

في يميني قناهْ — قَوَّسَتْها الليالْ

ورماها الرُّماهْ — بالخطوبِ الثِّقالْ

غير أني أصبرْ

خَلْتها كالصخرْ

ليتما لى تُشهرْ

لا أهابُ المصيرْ — إن لَمَحْتُ الجمالْ ! !

* * *

كم نصبتُ الخيامْ — في مساءِ القُبورْ

وجعلتُ الظلامْ — معبداً للشعورْ

وعبرتُ الأنامْ — واكتسحتُ الدهورْ

وهتكتُ اللثامْ — عن خفايا الصدورْ

لمحةً في الزحامْ — من رياءٍ وزورْ

ذقتُ سرَّ الرحيقْ

مِن كَرَاها العميقْ

وَعَرَفْتُ الطريقْ

للجمال المُفيقْ		من سُبَاتِ الغرورْ . .

• • •

لا تَقُلْ كيف كانْ		وتلاشى الضِّياءُ

كُلُّها للزَّمانْ		أوجُهٌ كالرِّياءْ

كم ظلامٍ مُهانْ		وهو عاتي الخَفَاءْ

وضياءٍ مُصانْ		بالظَّلامِ والنَّماءْ

لو تَشَيَّدانْ		تَجْهَلانِ الحياةْ

وجمالُ الحياةْ

شاطىءٌ لا نَراهْ

بثَّ فيه الإلهْ

كلُّ سحرٍ طَوَاهْ		غير هذا الطلاءْ ! !

• • •

كم خريفٍ حزينْ		ساهمٌ في الفضاءْ

عزلةُ العاشقينْ .		وربُاه سَواءْ

والجوى والأنينْ		في ثَراه غِناءْ

شبّ فيه الحنينْ — من غصونِ الفَناءْ

وأفاقت سنينْ — غابراتُ المساءْ

فتنشّقتُ العطورْ

ورأيتُ الطيورْ

والسواقى تدورْ

والهوى ، والشعورْ — يَرْقُبان اللقاءْ ! !

* * *

كان لى . . ثُمَّ بادْ — وتلاشتْ رؤاهْ

غير هذا الرمادْ — مِن بقايا لظاهْ ،

معبدٌ لن يُعادْ — فى حِمَاه صلاهْ ،

كان عطر الفؤادْ — ورحيقَ الحياهْ

طار عنّى . وعادْ — لعذابى شذاهْ

فنشدتُ العهودْ

ونهشتُ الوجودْ

وجمعتُ الوقودْ

عَلَّ نـاراً تَعـودْ　　مِن ليـالـى هَـواهْ ! !

● ● ●

يا بقايا القُبُـورْ　　فـوق أرضِ القلـوبْ

يا بقايـا النُّجـومْ　　فـوق لَيْـلِ الغُـروبْ

أنكَرتْنـى الثُّخـومْ　　ونَزَتْنـى الهضـابْ

ورمـتْنـى الهمـوم　　فى صخـور الشِّعـاب

والأسـى والوجـوم　　حـوْلَ نـفسى حجـابْ

فالتحى لى الطريقْ

نحـو فجْـرٍ وريـقْ

لَمْ يَزَلْ بى حَريـقْ

مـن لظـاه العميـقْ　　تـاهَ عنـه الشَّبابْ ! !

● ● ●

ربَّ صخـرْ الجمـالْ　　شـبْ فـى جانِبـى

بينمـا مِلْـتُ مـالْ　　بلَـظَـاه العتـى

فطَلَبْـتُ المُحـالْ　　مـن زمـانـى الشقـى

وصحِبْـتُ الخَيـالْ　　فى الضُّحـى والعَشِيـى

وإنا بـــالعـــــــــلْ حـفْـنَـــةٌ فــى يَـــدَىْ

مِن رُفـات الظُّنـونْ

وهشيم الغصونْ . .

ربْ تمضى السنـونْ

ولــيَـكُـــنْ مـا يكـــونْ حيـــن تَـرْنُـــو إلىْ ! !

تسبيحة

على الأرض نورٌ .. وفي الأفق نورْ
وفي كُلِّ قلبٍ شُعَاعٌ يدورْ
ولحنٌ يسبِّحُ ملءَ الصدورْ
ويستغفرُ اللهَ من كلِّ ذنبٍ
ويدعوكَ يا ربّ .. أنتَ المُلبِّي
ولبيكَ ! أنتَ الرحيمُ الغفورْ

• • •

إلهي .. تباركتَ ربَّ السماءِ
مع الليلِ تبعثُ فجرَ الضياءِ
وتفتحُ لليأسِ بابَ الرّجاءِ
وما خابَ من ظلَّلته يداكْ

ولا تخلْ في خطوه من دعاك

فأنت السميعُ لهمْسِ الدُّعاة . .

• • •

لك المُلْكُ والحمدُ . أنت النصيرْ

وأنت الأمانُ لمن يستجيرْ

وأنت لمن قال : يارَبِّ . . نورْ . .

تردُّ السكينةَ للحائرينْ

وتسكبُ للروحِ نورَ اليقينْ

وتمحُو الأسَى من ظلامِ الصُّدور . .

إلهي دعوتُك ، فاقبلْ دعائي

وناديتُ يا ربِّ . . فاسمعْ ندائي

ومنْ غيرُ بابك يُحيِي رجائي ؟

فأمضى إلى النورِ خلفَ الحجابِ

صلاةً تغنَّى بقُدْسِ الضياءِ

• • •

بجنْبَىَّ طيرٌ غريبُ الجَنَاحِ

يهدّئني ، ونُصغي إليه جِراحي
ويمسحُ كفّيْه عندَ الصّباحِ
إلهي اهدِني ، وباركْ صلاتي
وبالعفو طهِّرْ خُطا معصياتي
وبالنورِ يا ربُّ انعِشْ جناحي !

• • •

إلهي .. ومالي دُعاءٌ سواكا
ولا لي مع الليل إلا ضياكا
ولا عَونَ للروح إلا يَداكا
إذا رفرَفَتْ كنتَ سرَّ الدعاءْ
وإنْ هتفَتْ كنتَ نورَ الرجاءْ
فمالي ، ولاَ لي مُجيرٌ ، عداكا !!

يقظة

سيمرُّ عليكم في الفجرِ
شيءٌ يتكلّمُ كالجمرِ
بحديثٍ ، منتفضِ السّحرِ

• • •

ويدورُ على فلكٍ ساكنْ
يتأمّلُ بجفونٍ صافنْ
وينفضُ من النور خزائنْ
خبأتها في الفجر قرونْ
وحوالها الزمنُ المكنونُ
وعواءُ الخرسِ وسكونْ

. . .

وعبير قُجْم في صَدْري
كعبيرٍ كَفَّنَه خائِنْ!

• • •

شيء يتحرَّكُ بالأبَدِ
كربيعٍ يَخْلُقُ من جسدَى
عُمْراً يتجدَّدُ كلَّ غَدٍ ..

• • •

يتخلَّى عن هيكل أمْسِ
ويدبُّ بآخَرَ في نَفْسي
ويصبُّ كَراها في رمْسِ

حَفَرتْه الشَهْقَةُ للماضي
لحياةٍ يقْظاتٌ بلا نَقاضي
ويعيشُ بحدِّ المِقْراضِ ..

• • •

لا .. لن تَسْبِقَني يا شَيْءُ
فلأنتَ اليقظةُ والضَوْءُ


على باب الربيع

سـوالـــى أبـريـــل :

وبـارت سوالى الربيع . . .

فشمخت أنفاسها للطبيعة والحب !!

ضجَّ الهوَى فى بدنى . . فهلْ نزَعْتِ كفنى !

وسُقْتِ فجـراً من زمانِ الحبِّ فوق أعيُنى

وجئتِنـى بالسحْرِ ، والماضى الذى يَنْكُنـى

ونَشْـوَةٍ ، لـم أدرِ إلاَّ أنَّهـا توقِظُنـــى

وتُطْـلِـقُ الريـحَ لآمالى ، وتُزْجى سفُنى . .

ضجَّ الهوَى فى بدَنى ، فزلزليـنـى واسكُنى

أحرقــى كـلَّ هشيمٍ فى الحيــاةِ لَفَّنـى

وكُـلَّ صَمْـتٍ راح فى رمـادِهِ يـدفِـنُـنـى

ويَـغْـرِسُ النسْيانَ فى كُلِّ ترابٍ ضَمَّنـى .

سَوقَى إلى قلبى عَنائها خالداً يَرحَمُنى

ويتركُ الأيامَ حولِى لاهياتِ المِحَنِ

فلا بها صُبْحٌ كئيبٌ حائرٌ فى الفَنَنِ ،

ولا غروبٌ فى يديه مُهجةُ المُمتَحَنِ . .

• • •

ضجّ الهوى فى بدنى ... وشبّ حول زمنى

وشعشعتْ بالوجدِ نارى ، وتلظّتْ فتنى

بالله يا كامنةَ الحبِّ أعيدى أرغُنى

وباركينى ، واحتكى الشعرَ الذى حيّرنى

وايقظى الأوتارَ ، منْ رقادِها المكفّنِ

صُبّى على عيدانها البعثَ الذى يُذهلُنى

لعلّها تُسكِرُنى ، وبالّلظى تُشعِلُنى

وبالرُّؤى تَعصِرُنى ، لِكلّ من يَشرَبُنى

هذا رمادى ضارعٌ ، يسألُ : منْ أوقَدنى ؟

ومن أنا ؟ سكْنتى سوافيا للمحنِ !

ومَن إلى السحْر الدفين ، والحنين ، ردّني !

ومَن بكأس كنتُ قد حطمْتُها جرّعني !

وصبَّ فيها ما نسيتُ مِنْ ليالى الشجَنِ

وساقَ لى أطيارَها البيضاءَ حُلْمَ الأغصُنِ ،

نكّارةً تعزفُ أشواقَ الربَى فى أُذُنِى

وتَسْكبُ اللحنَ عَبيراً فى الصدَى يَسْكُبُنى

ويُنْبتُ الزهر عَلَى قَبْرى ، جديدَ الفَنَنِ

ويَجْعلُ الأحلامْ تُلْقى رحْلَهَا فى بَدَنى . .

واحةَ العُشّاق تَبْنى عُشْها فى سَكَنِى . . .

ما لله يا طائفةً بالبحثِ حوْل موْطنى !

قولى : مَن السّارِى الذى بالسّحْر قد أيقظنى ؟

وجمّع الأنقاض ، مِنْ قلبى الذى شتّتَنِى . .

وجاء لى بالنّاى والحبّ . . وقال : غنّنِى !

قولى . . فجنّبى ها هُنا غلبُ الهوَى والفِتَنِ

إبريلُ دَيْرُ العاشقينَ من سَحيقِ الزَّمَنِ

سمعتُه بَتْلُو المزاميرَ . . فهلْ يسمعُنى ؟

لواهُ مِنْ خَطْلاهُ ! مِنْ سِحْرٍ بها لَزْعَشْنى . .

الجَوُّ سكرانٌ . . الا مِن رشفةٍ تُسْكِرُنى !

والدَّوْحُ نشوانٌ . . ألاَّ مِن نشوةٍ تُنْعِشُنى ،

والطَّيرُ مبهورُ الجناحِ ، كجفُونِ المُدْمِنِ

والعُشبُ مَنضورُ الصَّبَاح ، كجبينِ المؤْمِن

والأُفقُ لبكارُ عذارَى ، فى رحيقٍ الوَسَن

والنَّخلُ مِزمارٌ شقىٌّ فى يَمِينِ أرْعن

تهاتَرتْ ازْجالُه ، فى فَرْحةٍ لم تَبِن

والنخلُ فى بَحْرِ الضّياءِ ، كصوارى سُفُنِ

طارَتْ باعرلسِ القرونِ فوق ظنِّ الأعْيُن

والنَّهْرُ خُلْدٌ تائهٌ لم يسْرِ ايَّ وَطَنِ . .

وللموْجُ ذكْرى شاعرٍ مَرَّ غريبَ السَّكَنِ

لم يَرْوِ عنه الكونُ إلاَّ نغمةً فى أُذُنِ

مُتَمْتِمٌ بنَوْحِهِ كمُسْتَجيرِ الكُن . .

سألتُه عن شجْوِهِ . فعاد لى يسألنى :

أيْنَ الغِناءُ العذبُ من نايٍ به سحَرْتَنى ! !

وأيـن أحـلامُ الربيـع الوالبـه للـمُدمنـين ؟

والحـبُّ . والماضـى الذى من شطـه ناديتنـى ؟

ضيّعتَ ما ضيّعتَ ! فلتنظرْ للرُّبَى . . وتبنّى . .

ساقى الربيـع بالنـر . . قـمْ غنّـه ، وغـنّـنـى !

واشربْ صلاةَ الحبِّ من كلِّ مكانٍ واسقِـنـى

مِنْ قبـل أنْ تـدور بالعمـرِ سـواقـى الزمـنِ

فتـغـتـدى . . والطيـرُ نَـوْحٌ فوق نَـعْشِ غُصنِ

واغتـدى . . والشعـرُ نَـبْـعٌ جـفَّ بيـن يمَنِ . .

فاتنتى مع النهر

مرّتْ على النّهرِ . . فقالت له
وموْجهُ فى خشْعة السّاجدِ :
يا نهرُ . فاسمْنى الهوى مرّةً
وهاتِ أخبارَكَ عن عابِدِى
نجىُّ أحلامى ، وشادى الهوى
بمعجزات النّغَمِ الخالِدِ
طال علىّ الشّجوُ مِنْ بُعْدِهِ
والصّمْتُ من قيثاره الزاهِدِ
أضاقت الدنيا بتغريدِهِ
فطار عن موْطنِهِ الجاحِدِ ؟

ام راح يلقيه ، فيمضى كما

مرَّ الصدَى بالكَفَنِ الهَامِدِ !

يا نَهْرُ أسْمِعنى حديثَ الهوَى

وهاتِ عن يلمْلى الشّاردِ . .

• • •

فغَمْغَم النهرُ . . وقامت لها

أمواجهُ تُلْقى صلاةَ الحنينْ

والشمسْ فوق الشطِّ غريبةٌ

صفراءُ كالشكْ مَوْجِب اليقَينْ

وقال : يا عذراءُ ، عندى له

أسمارُ دمعٍ ، ومعانى انينْ

كم مرَّ بى . تحملُ أنغامهُ

شجونُ لزمانٍ ، وملوَى سنينْ

أنغامهُ مرْتعشاتُ الصَّدَى

والنَّاىُ مفجوعُ التَّغنّى حزينْ

لم تترك الدنيا له فرحةً

ينقلها موجى َللعاشقينْ

كلنما نوِّب لَيالمَهْ

وعبٌ منها سكراتِ الجنونْ . .

• • •

سألتُهُ : يا ابن الأسى رحمةً

فالنَّوْحُ لا يُطربُ سَمْعَ الصبَّاحْ

فجرُكَ رفرافُ السنَا ، والمُنَى

فوقكَ طَيْرٌ عبقرىُّ الجنَاحْ

مالَكَ لا تُلْهَمُ غيرَ الأسَى ؟

ولا تغنِّى غيرَ نار الجِرَاحْ ؟

فقالَ يوماً ستلاقى هُنا

عذراءَ من حُورِ السَّماءِ المِلاَحْ

تبحثُ عنِّى : فاجبْها . . مضَى

صبُّكِ فى الليلِ غريبَ النُّواحْ

أنتِ التي أسلمته زورقًا

في لُجّةِ الدنيا لِهُوجِ الرياحْ

فمرّ كالنسيانِ بي ، وانطوى

صباحُهُ عني شقيًا ، وراحْ . .

فلتنثني ! ، سِرُّ الهوى سابحٌ

في نورِ عينيكِ . . فلا تسألي !

في زَهْرَةِ المرْجِ شذًى نائمٌ

لخشى عليه يقظةَ المنْجَلِ . .

أغنية من الكوخ

إنْ رأيتِ النُّور مذعورَ الخُطى نحوَ المَغيبِ

ورأيتِ الطّيْرَ ينعاه لأوراد الكَثيبِ

ورأيتَ العطرَ نعسانَ على الأيْكِ الرّطيبِ

ورأيتَ النّهرَ سراً ، ذابَ في الصّمتِ الرهيبِ

ورأيتَ الشّمسَ لا شمسَ سوى طيفِ الغروبِ

ورأيتَ الليلَ قديساً تَهادى للغيوبِ

غامضَ الأسرار ، يحكي ستْرُهُ نعشَ الذُّنوبِ

فانظُري تهويمة الوادي ، ونادي : يا حبيبي !

تشرقُ الدُّنيا ، ويندى جوُّها من كلّ طيبِ

وتُهلُّ الفرحةُ الكُبْرى على قلبي الكئيبِ

ويعودُ الأملُ الهاربُ لي عودَ الغريبِ !

• • •

وإذا ما الفجرُ أضفي نورهُ فوق التلالِ

وزكتْ مئذنةُ الناسكِ من عطرِ الهلال

وإلى الله دعا الداعى بطهرٍ وابتهالِ

وأفاق الديكُ ينعى خلفَ تابوتِ الليالى

وانتشى الوادى من النورِ وصهباء الظلالِ

ومضى الراعى إلى دنياهُ فى سفحِ الجبال

واحتسى العصفور فى الروضِ عبير البرتقالِ

وتناغى هزجُ النخلِ بأفياء الدوالى

وغدا النهرُ هوى يجرى على صدرِ الرمال

فانظرى تلك القرابين بمحرابِ الجمالِ

تسكر الدنيا بمرآكِ تسابيحُ الجلالِ

وترين السحر سحرَ الكونِ يغنى فى خيالى

أنتَ سحرى ، وفتونى ، وصلاتى ، وابتهالى

الملاك النائم

حينما تهجعين في مهدك الطاهر

والسحر متعب في جفونك

حينما تسلمين قلبك للأحلام

والفجر ناهل في سكونك

حينما تطرحين شعرك في الديباج

لحناً مبعثراً من شجونك

حينما تغمضين عينيك للنوم

على جذوة زكت من حنينك

حينما يصبح المهاد خميلاً

في ربى الخلد زهرة في يمينك

حينما يسْبلُ الإلهُ على وَجْهك

سِتْراً يصونُ طُهر جبينكْ

حينما تسجدُ الملائكُ حوليْك

حياءً وهيبةً من فتونكْ

حينما تُسهرُ الغيوب لترْعى

صلواتِ النُجوم حول عيونكْ

حينما تنفضين عنك اسى الدنيا

وتُسبين نارها فى انينكْ

حينما تُصبحين شبّابة الفَجْرِ

وعمْرى يطوفُ حول رنينكْ

حينما تسبحين فى كوْنك العالى .

وروحى معلّقٌ بسفينكْ

حينما يا نبيّةَ الحبِّ تُغْنين

واغْدو عبادةً فى يقينكْ

لو تسمّعت خافقى فى دُجى الليل .

وشكوى جراحِه فى سكونكْ

لرأيتِ الغداةَ طيراً غريباً

أقصتِ الريحُ عشَّهُ عن غصونِكْ

شاردٌ في رباكِ . لا أجَادَهُ الظلُّ .

ولا روحُهُ ارتوتْ من معينِكْ ! !

حوريتي تسأل

«في مسارتنا على النهر ، هاجها الشوق
للمجهول فراحت تسأل . .»

قالتْ : لقد غربَ الشعاعُ .
فقلتُ : ما غربتْ بشاشتُه ، وانتِ بجانبي !
قالت : وكيف ؟ . .
فقلت : انتِ قصيدةٌ
بيضاءُ في قدَحِ المساءِ الذائبِ !
تلغى الأشعةُ والعوالمُ كلُّها
وسناكِ يُشرِقُ في ضميرِ غياهبي
انوارَ حبِّكِ خالداتٌ في دمي
غمرتْ لديَّ مسالكي ومذاهبي

لا تنتبهي شمس النهارِ ، فطالما
دارتْ رحاها في الضحى بمصائبي

مالتْ وحاديها الظلامُ لشاطىءٍ
في الأفقِ من تيه للجاهلِ سارِبِ

نشأت الدنيا جبينكِ ، فلسكبي
لهباً أعزّ من الشعاعِ الغاربِ

• • •

قالت : وما للنيلِ يُشبه ساجداً
نسيَ الصلاةَ ولجّ في استغفارهِ ؟

قلتُ : لساليه ! لعلّ موجة شطّه
تُنْبيكِ دون الناس عن أسرارهِ

هو شاعرٌ مثلي ، ولكنْ فرقٌ لي
وأناب هنا السَّحْرَ من أوتارهِ

وأعان مزهريَ الجريحَ على الهوى
وشدا اللوعته عليك ونارهِ

ومضى يُغمغمُ في الضفافِ .

ولوعتي وصبابتي تنسابُ في تيّارهِ

* * *

قالت : كيف باتَ المساءُ أمجّنني

ثمّ هزّ من فجرِ الخيالِ صبابتي

هاتِ اسقني نغم الصباحِ ، لعلّني

أنسى على شفةِ المساءِ كآبتي

قلتُ : ارقبيني في غدٍ . . إنّ الأسى

في الروحِ أخرسَ هوله شبّابتي !

* * *

وذهبتُ أستبقُ الشفاءَ لربوةٍ

أبكى شتاءُ العُمرِ يانعَ زهرها

الظلُّ في أكمامِها نغمُ الهوى

شرِحتْ به للطيرِ كامنَ سرِّها

من كلِّ عصفورٍ وشهشهةٍ التي

في عشه دنيا نعلت بسحرِها

أتراه غنّى أم بكى ؟ أم هزّه

نغمُ الأليفةِ فاستطار لثغرِها . . .

* * *

ظلت تهامسني وَنَغْمةُ صوتِها
كلِّي جُنِنْتُ مع السكونِ بخَمْرِها
ولها جبينٌ كاد يَخْطَفُه الدُّجى
ويُعيد فَجْرَ ظلامِه من فَجْرِها
سَجَنَتْ عليه ، وكَبَّرَتْ من فتنةٍ
حولَ الضياءِ تمائمٌ من شَعْرِها . .

• • •

بالأمسِ ، رَفْرَفَتُ النشيد ، وَسُقْتُه
من نارِ أشجاني بها وتفَجُّعي
فترنَّحَتْ طرباً ، وقالت : هات لي
نَغَمَ الصباحِ العَذْبِ يَمْسَحُ أَدْمُعي
سَرَتِ الكآبةُ من غنائِك في المَسا
فاسبِقْ خيالَ الشمسِ وارقُبْ مطلعي
واعْدِلْ لأنشودةٍ قمريَّةٍ
من نورِ أحلامي التي لَمْ تَسْطِع . .
فقبَسْتُ من ألقِ النجومِ قصيدةً

وسبقتُ انتظر السَّنا في موضعي .

وإذا بوعدِ الأمس كان عُلالةً

للوهم ، تَصْخَبُ نارُها في أضلُعي

فرجعتُ ، والأحلامُ تسألُ في دمي

طالَ الحنينُ إلى سؤالِك فارجعي

• • •

قالت : أراك سكتَّ ، قلت : تعلَّمي

أنَّ السكوتَ عِبادةُ الشعَراءِ

قالتْ . وكيف ؟ فقلتُ : إنَّ رَبابَتي

شقَيتْ بكل منافقٍ ومُرائي

أُصغي بها للكون ، علَّ تميمةً

تنشقُّ من خَلَدِ الغُيوبِ النائي

ولعلَّ سِراً هارِباً تَرنو له

فيخرُّ منتفضاً على أصدائي

ولعلَّ طيراً للخَيالِ مُجَنَّحاً

تدعو ، فيسبقُها إلى الإفضاءِ

أصغى بها . . فإنا الصدى من حولها

ريح مولولة بكل فضاء

وإنا الشفاه جداول ، ومعاول

ومناجل حصدت شروق غنائي

فسكت . . لا تسلى لماذا ؟ إنني

صمت عميق الغور للإفضاء ! !

النيل نعسان

[في ليلة تخلفت رعدها مع الريح ، والنسيم رعشة
ضمير تهمس فيه الندامة . والنيل قلق خاشع ..]

ذهبتُ لهُ ، والأنجمُ البيضُ حوّمٌ
على خَمْرِهِ ، كالطيرِ تحسو وترشفُ
لها رعشةٌ مسحورةٌ في عُبابِهِ
وهمسُ حديثٍ في الحنايا مُرفرِفُ
صبَتْهُ الرؤى : فانسابَ نَعسانَ ، مثلما
على راحةِ المحبوبِ هوّمَ مُدْنَفُ
وتمتمَ كالجبّارِ ميّلهُ الكرى
وفي فمِهِ ذكرى البطولاتِ تهتفُ

عتّى يهاب النّفرُ حرمةَ ساحِهِ

ويفزع إعصارُ الزمانِ المطوّفُ

فكيف تغشاهُ الكرى ، وسجا به

وسجّاه فى الأحلام سِرٌ مغلّفُ ؟

خشوعٌ ، وتسبيحٌ ، وطُهرٌ ، كأنه

بكفّ الليالى لو بكفّى مِصْحَفُ

وَصَمْتٌ على الشُطآنِ ، لسمعُ خَلْفَهُ

صدَى الأبدِ المكتومِ للروحِ يَعْزِفُ

ودنيا أغانٍ فى الضفافِ نَشَتُّها

فعنتُ ، وأوتارى من الوجْدِ تَنزِفُ

فيانيلُ ! كاشِفْنى السريرةَ ، واسقنى

من الغَيْبِ سلْوانى إذا كنتَ تعرفُ

نداءُ العطر

[مع نأي الربيع ، وهي تصلح لغناء الذكرى]

حبيبي ، سرَى العطرُ في الشاطئين

وحدّثني عنك في همستين

وقال : لقد كان قبلَ الشروق

يفتّشُ في الرّوضِ عن وردتين

وحين يطلُّ الأصيلُ الجميلُ

يغنّي مع الطيرِ في الضفتين

ويمشي مع الحبِّ بين الزهورِ

يصافحُ أحلامَه باليدين

• • •

حبيبي ! وظلّ ينادي عليكَ ،

ويسأل : في أيِّ درب خُطاكا

وفي أيِّ روضٍ تُلاقي الرَّبيعَ ؟

ويسقيه من أيِّ نبعٍ هواكا ؟

لقد فتّح الوردُ للعاشقينَ

وفي صدرِهِمْ عينَهُ لا تراكا .

وغنَّى على النَّهرِ موجُ الحياةِ

وما زال يشدو ، ويدعو لقاكا

• • •

وقالَ ليَ النَّهرُ عند الأصيلِ :

لقد مرَّ بالأمسِ في ضفَّتي

يحدِّقُ ظمآنَ في كل أفقٍ

إلى الحبِّ والسِّحْرِ والبهجةِ . .

فساءلتُ عنكَ ظلالَ النخيلِ

وتاهتْ خطوك في الروضةِ

فباح بسِرِّك عِطْرُ الزهورِ

ونمَّتْ عليك خُطَا النَّسمةِ

• • •

حبيبى وما زالَ نـاىُ الرَّبيـع
يـرددُ للحُـبِّ انغـامَـنـا
ويَـروِى حكاياتِـنـا للطيـورِ
ويشْـرَحُ للزهْـرِ احلامَنـا
غـزا النُّورُ كلَّ دُرُوبِ الحَـيَـاةِ
فـهـيَّـا نُـودِّعُ أوْهـامَـنـا
ونَحْيَا ، ونَحْيَا . . إلى أنْ نُعيدَ
إلى مَـعْبـدِ الحُـبِّ أيَّـامَـنَـا

بستان الخريف

إنْ تكنْ غابت من الرّوْضِ طيورٌ وظلالٌ

وغدا ظمآنَ . . لا يسقيه عطرٌ أو جَمالٌ

أطرقتْ منه غصونٌ ، وبكى فيه خيالٌ

. . فتعالى نُغَنِّ في الروضِ الشبابَا

ونصُدُّ الهمَّ عنه والعذابَا

• • •

واعديني فيهِ . . إنَّ العطرَ يجرى من خُطاكِ

وشبابُ الزّهْرِ . إلهامٌ خفىٌّ من هواكِ

ونشيدُ الطيْرِ سحْرٌ هاتِفٌ يوم لقاكِ

إنْ تكُنْ جفَّتْ وُرُودٌ وأغانِ

لن يَجِفَّ الحبُّ من رَوْضِ الزمانِ !

• • •

صُفرةُ النَّوْح ، وأحْزانُ الغصونِ المُلْوِياتِ
لم تكن إلا حنيناً شَاعَ بين الرَّبَواتِ
وغراماً كغَرام الرُّوحِ ، صَبَّ الزفَراتِ
آه . . لو تُسْقى معى يومَ التلاقى
بقطَنة الحبِّ ، وإغْفَاءَ العِنَاقِ !

• • •

فتعالى نَلْبسِ الرَّوْضَ صِباهُ من جديدِ
واخطُرى كالحُلُمِ النشوانِ فى المَهْدِ السعيدِ
أنتِ روضى ، وظلالى ، أنت طيرى ونشيدى
أنت لحنٌ ، لم توَقِّعْهُ بنانْ
أنتِ فجرٌ ، لم يغَيِّبْهُ زمانْ ! !

صلاة الرماد

[وانطلق نورها في رمادي . فلو رأت

في عتمها لفصل الزوال]

وما كنتُ أُبصِرُها في الظلامِ

وأصغي لأنوارِها في نجاهْ . .

تلفّتُّ ، فاهتزَّ فيَّ الرمادُ

وشمّتْ من الموتِ ، رؤيا الفتاهْ

وأومأ إليها سكونُ الزوالِ

فضجّتْ بجنبيه نارُ الحياهْ . .

وهبّتْ تثور . . سلاها الفناءُ ،

ولم يبقَ فيها لباكٍ شكاهْ . .

• • •

سلَوْنا ، وضِعْنا ، وضاعَ الرّهابُ

وصِرْنا خريفاً ، جفَتْهُ الرُّعاةْ . .

وكلُّ الذى كان فى كأسِنـــا

بَقايا النّدامة عند العُصَــاةْ . .

وجُــرْحٌ خَــفِـىٌّ ، حملْنـا أسَــاهُ

ودُرْنا به صــرْخَـــةً فى فَــلاةْ . .

فمــنْ لِمــن يــا ربُّ هنا الضــيــاءُ ؟

ولا أرضَ فيها مُـقيـمُ الصَّــلاةْ !

• • •

تَــلَـفّـتُ . واهًـا على الحائرين

إذا بُوغِتُــوا باخضــرارِ الفَــلاةْ !

غناءٌ ، وعشبٌ ، ومجْـرى غديـرٍ

توهّــجَ من نشْــوةِ شاطـئـاهْ .

وصبحٌ مزاميرهُ فى الفَضــاءِ

وترجيعُــهـا كامِـنٌ فى حَشَــاهْ

ومــاضٍ رَخيـمُ الرّدى كُــلّمــا

تـرَّلت مـتمـلاهُ . الفي غـمـاهُ

فاطـرقـتُ ، حتى عبـرَتْ الزوالْ

وهـيْلتْ أحلامـهُ فـي ثـراهْ . .

• • •

تعالَيْ . . نسيرُ في خضمّ العذابِ

ونورقُنـا ساخـرٌ من لـسلهْ

تعالَيْ نواصِلْ سُرى العاشقين

ونُحْرِقْ رمادَ الأسى في خُطاهْ

ونَمْشى . . ونَمْشى . . إلى أن نزُول

ويلْقفنا سكرةٌ مُنْتهاهْ . .

فإن ساورَتْنا رياحُ الزمانِ

دفنـا أسـاهـا بنـارِ الشفاهْ

تعالَـيْ نُحلّـقْ بهـذا الجحيمَ

ونمضِ إلى كلّ أفقٍ نـراهْ

تعالَيْ . . فإني لمحتُ الوجودَ

بعينيك ، حيرانَ ، تغوي رباهْ

خمائلُهُ باكياتُ الظِّلالِ ،

وغُدرانُهُ ظامئاتُ المِياهْ . .

ونوحٌ بجَفْنَيْك ، شَاجي الأنينِ ،

عبَرتْ الدجَى مطرِقاً في رُباهْ . .

وليلٌ بصدرك خابي النُّجُومِ ،

مثيرُ الأعاصيرِ لِشَقْى نجاهْ

سمعتُ الخيانةَ في غابِهِ ،

وحيّاتُها تَسْتَفِزُّ الرُّقاهْ

تدبُّ إلى كلِّ أيكٍ رطيبٍ ،

وتُجْرِى مهالِكَها في ثَراهْ

وجنّاتُ شوقٍ رِطابُ اللهيبِ

قريباتُ عَهْدٍ بسحْرِ الإلهْ

بجنْبيك لفتْ الحانِيَنَها

شواظاً من العطرِ يبكي شَذاهْ

لهُنَّ ارتجاسٌ ، شبيبُ الذنوبِ

إذا وسْوستْ شهوةٌ في صَداهْ

وفيهنّ مهوىً ضلالِ السنينِ

إذا أزهقتْ شارباً في هواهْ

وبحرٌ من التيهِ نائي الضفافِ

تلاشى ، وأوغلَ بي شاطئاهْ

عبرنا بأمواجِهِ اللاهثاتِ

عنايَا ، تملُّ الليالي سُراهْ

على زورقٍ مُستجيرِ الشراعِ

تلجلجَ في لُجّةٍ ، ثم تاهْ

تعالَيْ . . فإنّي منادٍ غريبٌ

على قمّةٍ لم تقمْ في حياةْ

عبرتُ الليالي ، بناي شقيٍّ

وقلبٍ ظميٍّ ، يُساقي صداهْ

فهيّا نُغنّي لهذا الرمادِ

لعلَّ البِلى ينتهي من ثراهْ !

ونَغدو رَباباً لفَجرِ الربيعِ

وحلماً عميقاً ، يُناغي كَرَاهْ

تعالَيْ . . فما في عَذابِ الخريف

لأرواحِنا ، غيرُ تلكَ الصلاهْ !

وغابت عن الروض

وغابتْ عن الروضِ عند الأصيلِ ،

ولم يَبْقَ إلا هواها يَلوحُ

وترنيمةٌ من أغاني الصباحِ ،

صَدَاها على الغصنِ طيرٌ جريحُ

وتكبيرةٌ للفضاءِ الحزينِ ،

ترددُها للسماءِ السفوحُ

وعشبٌ يهفهفُ كالمستحيلِ ،

يُراودُه أملٌ لا يلوحُ

ومُطرقةٌ من بناتِ الغصونِ ،

على غيبةِ الطيرِ ظلّتْ تنوحُ

ولا صوتَ يُسْمَعُ من لهيكها ،

ولكنّه الصمت سرٌ يبوح

فاحترقت ناتى بقلب الأثير ،

ولم يبقَ إلا خيالٌ وروحْ . .

ومهد ينيم على الشاطئيْنِ

خُطا الموج فيه أنتْ تستريحْ

ويبرّ بُهَتْهم فوق المغيبِ .

وفى صدره مُستجيرٌ يصيحْ

ومن حوله مرٌ شيْخُ الزمان .

وعكّازه الضخمُ واهٍ كسيحْ

تسمّرَ فى راحتَيْه السكونْ .

واغفتْ على جانبيه المُسوحْ

وقلتُ أناديك من قاعِ نفسى ،

وأبكيك . والدمع يأسٌ ذبيحْ

بمشْلُولةٍ من بنات الرِّياح ،

تنادى على ساعديْها فحيحْ . .

فما اهتزّ فىْءٌ ، ولا ردّ شىْءٌ

فما الروضُ بعدك إلاّ ضريحْ ! !

ربيعنا لا يموت

لئن مات في روضتنا كل همسة

فإن ربيع الهوى . . . لا يموت

وقالتْ : لقد غاض سِحرُ الربيعِ

وأمرعَ في شاطئيه السُّكوتْ

وما عاد يخشعُ ساقي العبيرِ

إذا نسمةٌ من يديه تفوتْ

تولّتْ طيورٌ ، وماتتْ زهورٌ

وخيّم في الرّبوةِ العنكبوتْ

وأقداحنا غادرتها الرّياحْ

مزامير ماضٍ صداها شتيتْ

ولم يَبْقَ . . حتى خُطا الذكرياتِ

ولا طيفُها الهالِعُ المستميتُ

تهدَّمَ في روضنا كلُّ شيء

وحلَّ الفَرَاغُ البليدُ المقيتُ

على زادِه المُرِّ عاشتْ جِراحى

ومن وَيْلها كلَّ يومٍ سُقيتُ . .

فقلتُ : اتركيني لِسِرِّ الزوالِ

فإني به من زمانٍ بُليتُ

فلا خُضْرةُ الروض كانتْ رَحيقى

ولا مِنْ جداولِها قد رُويتُ

ولا العطرُ . وهو نديمُ الشبابِ

على كأسِه أيَّ صفوٍ لَقيتُ

ولا الطيرُ . وهو رخيمُ الرَّبابِ

بألحانِهِ البيضِ يوماً شُجيتُ . .

هواك . وأنتِ . وهذا الوجودُ

وسِحرٌ يجدّدني ما حَييتُ

فلا تَـفْـزعى إنْ أطلَّ الخريفُ
ولم يَبْقَ فى اللحن إلاَّ خُفُوتْ
فلو متُّ فى روضنا كلُّ شىءٍ
فإنَّ ربيعَ الهوى لا يموتْ

على شراع الريح

[وعليها لهب التحرك .. لسمعت

من الأغوار هذه الترنيمة]

على شراعِ الرّيحْ

لي مَخدعٌ مُريحْ

وزورقٌ جَريحْ ..

شراعُهُ خَرِقْ

ومَتنُهُ غَرِقْ

طول المدى يصيحْ

لشاطىء القلقْ !!

قلقْ .. قلقْ .. قلقْ

• • •

لكنني ملاحْ

تُتعبُه الرياحْ

وزفرةُ الجراحْ

وحيرةُ الأرقْ

وحسرةُ الشفقْ

وفزعةُ الجناحْ

ورعشةُ القلقْ !!

قلقْ .. قلقْ .. قلقْ

• • •

في قدحِ الغروبْ

تزلزلني نجوبْ

نارًا على الدروبْ

وضجّةُ الغسقْ

لصحوتي طُرقْ

وغفوتي هبوبْ

ونشوتي قلقْ !!

قلق . . قلق . قلق

• • •

لا أعرِفُ الهدوءْ
ولا وقوفَ الضوءْ
ونظرتي تنوءْ
إنْ مَسّها عَبَقْ
مُصَعَّدُ الأفُقْ
نُموعُهُ وضُوءْ
لسجْدَةِ القَلَقْ ! !
قلقْ . . قلقْ . . قلقْ

ثـــورة الطَّـبـيـعـــة

[الأرض في نشوة السكينة تترقب شروق

الفجر . . . وفجأة تثور الطبيعة .]

هاتِ الشدائدَ للجريحةِ ، هاتِـها
فالصبرُ في الأهـوال بينُ أُساتِها

واحشدْ صروفك يا زمانُ ، فربَّما
لهَبُ العظائمِ شَـبَّ من نكباتِـها

ولعلَّـهـا نـارٌ تـدورُ ، فتَصْـطَـفـى
خَمْرَ الكفاحِ الأرضُ من كاساتِها

هيَ جنَّـة زلزلَـتَ فلـبَ مهادهـا
ونفخـتَ ريـحَ الموت في جنَباتهـا

شوّقت صفحتها حنية جازر

الرّحمة لانفجرت بحدّ شباتها

مجنونة العنيين ، أو هي لوّحت

لانهدّ ركن الأرض من حركاتها

نشبيّة الشهوات ، جاع حنينها

وارتق جوع الوحش في لهواتها

ومضى وللأكوان هجعة شاعر

سكرت أغاني الليل من سكراتها

والفجر في الوادي رسول أشعة

يستنزل الإلهام من هالاتها

والصمت خاطر فيلسوف نائم

شردت به الأحلام في خطراتها

والغاب نعسان المروج ، فزهرة

نامت . وأخرى هدهدت أخواتها

والريح في الأدغال هائمة السرى

مصلوبة شنقت على خطواتها

والليلُ شابَ ، فمدَّ لجبْهَةِ ناسكٍ

نسجَ الشتاءُ الثلجَ من شَعَراتِها

والطيرُ مغلولُ الحناجرِ ، ثاكِلٌ

لو ثارهُ نَبحتْ علَى نغَماتِها

والناسُ غرْقَى في السكونِ سجتْ بهم

سِنَةٌ ينامُ الهَولُ في سَكَناتِها

بينا هُمُ فوقَ المهُودِ عوالِمُ

غشَّى ضبابُ الصمتِ كلَّ جهاتِها :

وإذا بقلبِ الأرضِ يَرجُفُ رجْفَةً

دكَّ الصباحُ ، وذابَ في خفقاتِها

وانشقَّتِ الدنيا لديهِ ، فلم يجِدْ

أرضاً بِغيثُ النورِ في ربواتِها

فطوى المدائنَ والقُرى . وهوى بها

في سُدْفةٍ تهوى على ظُلُماتِها

وطوى الأثيرَ ، فلم يُغادِرْ ذرَّةً

في الجوِّ سابحةً إلى غاياتِها

وطَـوى الحياة شبابَـها بـمشيبها

وصفاءَ فرحتـهـا بـدمـع شكاتِـهـا

وطَـوى المـروجَ فمات من أعلامِـها

خَطْـو الرَبـيـعِ الغضّ نحْـوَ نباتِها

وطَـوَى الزمانَ : فكان عقربَ ساعةٍ

سبقـتْ خيـالَ الجِـنّ فى نَزَواتِـهـا

لاقَى الأجنّـةَ بالكهولِ ، وشـاذَ مِـن

حبـر الحِسَانِ مقابِـراً لرُفاتِـهـا

وبَنـى اللُحـودَ على المهودِ وَهَـدّها

فنضـا سُتُـورَ المـوتِ عن عَـوْراتِها

فى لحظةٍ عُمْرُ الصدى من عمرِها

وحياةُ طيفِ الحُـلْـم كُـلُ حَيَاتِها :

زلزتْ جراح الأرض فاهتاج الصدى

وتـنَـهّـد الزلـزالُ فى ساحاتِـهـا !

فـهـوَتْ قِبـابٌ كـنّ أشـمـخَ عِـزةً

من أنجـمِ الجـوزاءِ فى هالاتِـهـا

وصوتٌ لعصور ترقصُ الدنيا بها

وتخرُّ جاثيـةً علـى عتباتِـها

وصـوتُ بروجٍ عرّشـتْ فيها المُنى

والظـلُّ وجـهُ الثغـرِ من شرفاتِـها

وصـوتُ مغـانٍ لم يفِقْ سَمَرُ الهوى

فيها . . وعـاثَ المـوتُ فى رحباتِها

وهَوى بها عزرائيلُ فى جوفِ الثرى

فَـزِعَ الجنـانِ مـردداً آهاتِـهـا

وآهاً على فِتَنِ العذارَى . . والصِّبا

والطهرُ يتنسكـان من نظراتِـهـا !

وآهـاً على الأسحـارِ ، والأمـلِ الذى

فاضتْ بشاشتُـه على أوقـاتِـها ،

وآهاً على الطفلِ المُهَدْهَدِ فى الكَرى

حـمَلَـتـه كفُّ الريحِ فى ظلماتِـها

وصَلَتْ كَـراهُ بغَفْـوةٍ أبديّـةٍ

لا يستريحُ المـوتُ فى حفْـراتِـها

بعد الأسرة ، والحنان يهزها

صعقته لم الصخر في هزّاتها . .

يا رب ثاكلة تدور بهولها

فترى حشاها تنسل في طرقاتها

صرعت ، فلا مدت يدا لوحيدها

عند الفراق ، ولا مرت عبراتها ،

وحبيبة نجعت ، ووعد حبيبها

يجري مع الأنفاس في زفراتها

قبل اللقاء هلكن فوق شفاهها

وسجا دخان الموت في حركتها

ويح المساجد ، ما دها أركانها

فهوت منابرها على سدناتها ،

أين المآذن ؟ أين صوت أذانها

في الفجر ؟ أين مضى رنين دعاتها ؟

أين انكب عابدوها وانتهت ؟

بهم جراح الأرض في رعشاتها !

وكنيسة كانت تميمة راهب

سهران يرقب في الدجى دقاتها

أجراسها قرعت ، فخف لصوتها

رهبان بيعتها وأهل صلاتها

وإذا نواقيس القضاء بساحها

تلقى نذير الموت من أصواتها

وإذا بهم صرعى على صلبانهم

أشلاؤهم نثرت على خشباتها !

أين المروج الفيح ؟ أين خميلها ؟

وفم الضحى البسام في ورقاتها ؟

أين الكروم النافضات عروشها ؟

الذابلات أسى على عنباتها

عرى الشتاء غصونها وطوى الردى

حلم الربيع النضر من عذباتها

يا أرض : واستغفي ، رويدك ! إنها

دنيا يحار العقل في حالاتها

نشرتْ عليكِ مع المساء هدوءَها
وأتى الصباحُ بِمَوْجٍ من ثورتها
بعثتْه أشعَبَ حاملاً همّ الورى
وملئتُ الدنيا ، وإثمَ جَناتِها
في محجرَيه من الجنونِ زوابِعٌ
ربعَتْ لها الآسادُ في أجَماتِها
أنفاسُه لَهَبُ الجَحيمِ ، وخطوهُ
خَطْوُ المنايا السُّودِ في فَجآتِها
ما كانَ زهرٌ في يَدَيْهِ ، ولا ندَى
لكنْ ربيعُ ردّى على راحاتِها
ونجيءُ دخانٍ من جهنَّمَ ثائرٍ
سبقَ الرياحَ الهوجَ في فلَواتِها
كلحتْ سريرتُه ، فهبّ كمارِدٍ
طَعَنَ الحياةَ ، وجاء من غفَلاتِها
ومشَى كزنديقٍ يَعيثُ بساحةٍ
يتفجّرُ الإيمانُ من ذرّاتِها

ركم الثلوج على المروجِ ، وخاف من

هَـوْلِ المصيرِ ، فنام فى طيّـاتِـهـا

اتُـراهُ مـاتَ ، وهذه أكفانُـه ؟

أمْ شيْبـةُ الدنيا طَوَتْ صبواتِـهـا ،

يا بنتَ أهـوالِ الطبيعةِ . . إنـهـا

امٌ يَلَـذُّ العـفـوُ عن هَـفَـواتِـهـا

حسناءُ ، ساخرةٌ ، يُعابث سِحْـرُها

بالموتِ ، فاغتفـرى لها زلاتِـهـا

واصفـىْ لِغرّيـدٍ كجرْحِـكِ جرحُـهُ

والنّـفسُ كم شقيتْ بسِرّحياتِـهـا

غَـنّـى اسـى الزالـزال فى انشـودةٍ

سـوداءَ فانيـة علـى أهـاتِـهـا

صُـور الفَـنـاءِ تطـوفُ حـول رنينها

وصدى الخلـودِ يـرنُّ من أبياتِها ! ،

لَــــوْحُ العَــــدَمِ

[أُمّيٌّ يهجي نفسه

في مهرجان العلم]

أنــا أُمّيٌّ . . وهذا قَـلَـمِـي

إصْبَـعٌ ، يكْـتُـبُ لَـوْحَ الْعَدَمِ

مِنْ مِدادِ الجَهْلِ ، من ظُلْمَتِهِ

يَرْسمُ الحَسْرَةَ فـوقَ الرَّقَـمِ

بصمةً ، الدمعُ فيها غَيْمَةٌ

وضباباً من فُـؤادي المُعْتِمِ

وأرَى عُمْرًا ضريـراً ، ساقَهُ

في مَفازاتِ الدجَى قلْبٌ عَمِ

وزَمـانـا ، عصَبـتْ أيامُـه

ظلمةٌ خرساءُ تجرى فى دمى

لم تدعْ فيه سنًا فى بصرى

لوْ صدى يفصحُ عمّا فى فمى

أنا أعمى ؟ أم الأعمى فمى ؟

أم يدى فى غيظها المضطرمِ ؟

أمْ يمينى ؟ وهْىَ تحبو .. مثلما

يزحفُ الأعشى ثقيلَ القدمِ ؟

تلمسُ الطرسَ جبينًا أبيضًا

فإذاهُ كضميرِ المُجْرِمِ

اسْودَّ من غيرِ ليْلٍ .. إنّما

بُعثرتْ فيه سُطورُ العدمِ

وأنا أقرأ فيها .. لا أرى

غيرَ نابى لججاه تنتمى ،

بصْتنى من غير طولٍ ، أنّنى

ظُلمةٌ حلّتْ بليْلٍ مُظلمِ !

اسألونى .. وأنا أروى لكُمْ

كيف زلّتْ عنْ ضحاكمْ قدمى ؟

فى زمانٍ مرٌّ . . والدهرُ بهِ

ضاربُ الشّبهِ كلُغزٍ مُبْهَمٍ

وحنينُ القلبِ ، لوْ وَسْوَاسُهُ

بِسَعيرِ الرّقِ يفرى أعظمى

وأنا سَبّابتى مُذْ نبَتَتْ بَدأ

لهجاءِ اللّوْمِ ، عادَتْ تَرْتمى ،

تَضربُ الكفُّ على الكفِّ ، على

خافقٍ للعلْمِ ، حيْرانَ ظَمِ

عن طريقِ النّورِ سَدّوا وَجْهَهُ

ينْجلى كالزّاخرِ المُرْتَطِمِ

فإذا حاولْتُ مِنْهُ نَزّةً

كان أدنى لى ، مجالُ السّأمِ ،

ولِذا حاولَ نُطْقًا مبْسمى

عاجلَتْنى وأْواتُ الأبْكَمِ :

وأنا أُسألُ : ما اسْمى . . كاتبًا ؟

ضَمَّ إبهامي صريرُ القلمِ

قلبي كالنبأِ ، وهمٌّ . . يا لَها

غلطةُ الجاهلِ . أمُّ الظُّلمِ ! !

وتمادى الليلُ في غشيتِه

وأنا نورٌ كنارِ العَلَمِ

سحقَ الأغلالَ عنْ كلِّ يدٍ

وجلا البهتانَ في كُلِّ فمِ

وحدا الفجرَ إلى كُلِّ الثرى

والضُّحى الحرَّ لكلِّ المبسَمِ

عربيٌّ رفرفتْ أعلامُهُ

بلسانٍ عربيٍّ مُحْكَمِ

سيبيدُ الليلُ فيه عنْ يدي

ولساني ، وطريقي الأعجمِ

التـــــراب

[وكلما التقى لمروورها ،

سمعت سر التراب . .]

سَجَدْنـا عليه ، وطـال السجودْ

لقمْنـا ندوسُ عَلى جَبْهتـِهْ . .

ومنْ صـدره انشقّ فينا الوجودْ

وفى صـدره ارتدّ عن خطوتهْ . .

وطـال المسيـرُ وَتُرْنـا ، وعدْنـا

سكونـاً ذليلاً على راحتِـــهْ . .

وعـاد كمـا كـان فى قـلـبـــهِ ،

شعـوراً ضريراً على نرّتــه . .

• • •

تـدورُ الريـاح بأنفـاسـه
وتجرى الأعاصيرُ فى كلبه
ويهتـز شـىء بإحسـاسـه
يـلفُ السيـاطَ على كل حىّ
ويَجْـدُ للفناءَ إلى كل شىّ . .

سارق الضياء

بالله، يا غرابْ
يا عازف الخرابْ

• • •

يا مشجي السكونْ
بضجّة المنونْ

• • •

يا ساقي الفضاءْ
نارَ الفناءْ

• • •

يا سارق الضياءْ
من مهجة الرجاءْ

• • •

يا خاطفَ الرّحيقْ

من ترْبهِ الوريقْ

• • •

يا منْتهى الطريقْ

بفَوْرِك السحيقْ

• • •

يا كاتِبَ الدروبْ

يا سَاكِبَ الغُروبْ

• • •

يا خامِىءَ الجراحْ

فى بسْمَةِ الصباحْ

• • •

يا الهَكَمَ النداءْ

مِن شفَةِ القضاءْ

• • •

يا حادِىَ الوجودْ

بمزهر العود

• • •

يا قاتِلَ الصفاءْ

بنشوَةِ اللقاءْ

• • •

يا بين جنّتينْ

وخلف طائرينْ

• • •

وهمس عاشقينْ

وكأس شاربينْ

• • •

تعزفُ كالظنونْ

ورجفةِ الجفونْ

• • •

ترشُّ في الأعراسْ

خمرا بغيرِ كاسْ

• • •

وتَغْرقُ الصبرْ

في لُجّها النضيرْ

• • •

وتَخبأُ السلاحْ

في عطرها الفوّاحْ

• • •

وتختفي في العودْ

كالنغمِ المردودْ

• • •

فتذهلُ الغَناءْ

بسكْرةِ الخفاءْ

• • •

وتخدعُ الرياحْ

بالصوتِ والجَناحْ

• • •

لتعصر النسيمْ
من صدرِها اللهيمْ

• • •

وتلسع القلوبْ
بسمِّها المسكوبْ

• • •

وتلطم الرجوهْ
بموْجها المشدوهْ

• • •

وفجاةً تلوحْ
كعاصفٍ ذبيحْ

• • •

زئيرهْ سكونْ
وصمته عيونْ

• • •

وخضرةٌ وقرفْ

وسرّةٌ كهرفْ .

• • •

تَفْهقُ بالزُّلالْ

فى مـنْفَنِ الخبلْ

• • •

وطيفُه نَمَارْ

مُلَثَّمُ الحِصارْ

• • •

يرْبضُ فى المقلهْ

وفى شذا الحياهْ

• • •

وفى جبين الساجد

وهمهمات العابد

• • •

وفى يقَين المؤْمن

وفى رحيق المُنْتِنِ

• • •

وفى عناب الخانع

وفى ضمير الخادعِ

• • •

وخلف كلِّ سارِ

فى غفلةِ المدارِ

• • •

وفى شهيقِ تائبِ

وفى نهيقِ كاذبِ

• • •

جلادُ كلِّ شىْ

حصادُ كلِّ حىْ ! !

• • •

يا خادعَ الأنامْ

بوجهك المُضامْ

• • •

وأنت في النهايهْ

مبتدأ الحكايه

• • •

تُقعي على الجبينِ

بنزقك المهينِ !!

• • •

بالله يا ترابْ

أما لديك بابْ ؟

• • •

يخفيكَ عن عيوني

وعن مدى ظنوني

• • •

فلم تزل حياتي

تريدُ كلّ آتِ

• • •

لأملأ الكؤوسا

واشعل النفوسا

• • •

واهتك الستارا
عن كل ما توارى

• • •

واغرف العبيرا
لأسقي الصدورا

• • •

بالله يا شرابْ
لا ترفع الحجابْ

• • •

وازورْ عن جفوني
بوجهك الحزين

• • •

ما زلتُ في صَدَايا
لنبشِ في حشايا

• • •

وارتمى فى ذاتى

ابحث عن حياتى

• • •

استلُّ من نجاها

ومن جوى ضُحاها

• • •

ما يرفعُ اللثاما

ويضرمُ الظلاما

• • •

ضوءاً لكلِّ سارِ

إلاَّ خُطا غُبَارى .

المعبد الحزين

[في رحيل العقاد]

من ذلك الطَّارقُ ؟ لا صوتُ ، ولا دقُّ يَدٍ . .

هزَّ السُّكونْ !

ولا عزيفٌ من خيالٍ . . مسَّ صمتَ الأبَدِ . .

ولا ظنُونْ !

ولا رؤى عقلٍ . . من الأوهامِ مهتزِّ اليدِ . .

ولا جنُونْ !

ولا أساطيرُ ، تهاوتْ من رُغَاءِ الأبَدِ

ولا شُجونْ !

ولا شراعٌ ، شهَّ الريحَ بِهَمْسِ الزَّبَدِ . .

ولا سفينْ

ولا صدًى من تمتماتِ النَّفسِ ، طيَّ الخلدِ

ولا رنينْ !

لبابُ صمتٌ . . والدُّجى صمتٌ . . غريقُ الكمَدِ

ولا عيُونْ ،

ترمُقُ شيئاً ، أيَّ شيءٍ . . . في سكونِ المَعْبَدِ . .

ماذا يكونْ ؟ !

. . أناملٌ خفيةٌ تنسلُّ ، دونَ موعِدٍ . .

إلى الجفُونْ

تستلُّ بالفجاءةِ شيئاً ، من كيانِ الجَسَدِ ،

لا يستبينْ ،

فيطفأُ النورُ . . بلى ! إلاَّ على موسّدْ

في الخالدينْ ،

• • •

تلفَّتَ المحرابُ ، كالمأخوذِ في دهشتِهِ

إلى الفضاءْ !

وحوّمتْ أسرابُ طيرٍ هجّنَ من حيرتِـه

بلا غناءْ !

نوادبًا ، تنـزفُ نارُ الشكلِ من مُهجتِهِ

بلا بُكاءْ !

تدورُ حولَ فجرِها المسهّلِ في رقعتِهِ

على الضياءْ !

مذبوحةَ الأوتارِ ، لم تعزفْ على بغنتِهِ

إلاّ دماءْ !

أذهلَها الإعصارُ ، لم تمهلْ خُطا دورتِهِ

بدءُ القضاءْ !

أذهلَها الجبّارُ ، لم تخذلْهُ عن قوّتِهِ

إلاّ السّماءْ !

أذهلَها التيّارُ ، لم يقصمْهُ عن لجّتِهِ

إلا الفَناءْ .

أذهلَها الإصرارُ ، سجّلَه على وقفتِهِ

في كبرياءْ !

أذهلَها الموتُ ، وما يخفيه من نجاته

حين يشاءْ

فأطرقتْ للمعبدِ المخنوقِ فى دَمْعَتِهِ

تَبْغى العزاءْ !

• • •

وانتفضَ المحرابُ مِنْ غشيْتِهِ يَرْوى أساهْ

رُؤْيا نشيد !

يا راهبَ الفكرِ ، ومارِدَه المعْلِى ذُراهْ

فوقَ الوجودْ

جَعَلْتَهُ قُدْساً عتىّ الافق لا يَرْوى ثراهْ

إلا السُّجُودْ !

جعَلْته حراً ، أبِىّ الحرْف ، تجتاحُ خُطاهْ

وَهْمَ القيودْ !

جعلتَه شمساً على الإنسانِ تَسقيه ضحاهُ

انّى يريدْ !

جعلتَه لا يجعل اللقمةَ همّا فى سُراهْ

شلَّ العبيدْ !

جعلتَــه لم يُبْـقِ للجهـلِ لمانـاً فى كــرَلهْ

حتى يبيدْ !

جعلتَــه بينَ الخطا . . إنْ تنسَ الزحفُ هُداهْ

يُغْنى الحدودْ !

جعلتَـنى نبـركَ لم تُشـْرِكْ بــه إلا هَــواهْ . .

يا للعُهودْ !

عِشْنا معاً . . حتّى إنا المقدورُ بى ألقى عَصاهْ

وانشقَّ عُودْ

يبقى لكَ الدهرُ على طول المَــدَى فوق الشّفـاهْ

نَيِّرَ الخلودْ !!

أنا والسر

أنا . والناىُ . والحياة

وسرٌ فى طوايا النفوسِ بخفيه برقعْ

كلما سألتهُ شفاعى من الليل

.. على موضعٍ . يناريه موضعْ

لستُ فى حيرةٍ . ولا فى وقوفٍ

نعمَ الله نظرتى تتطلعْ ...

كلما فرّ طائرٌ . حاصرتهُ ..

فأتاها من حالكِ التيه يخشعْ

هدنةٌ ... وانطلاقةٌ ...

وأنا النورُ على الدربِ ..

يستهلُّ . ويسطعْ !!

الديوان السابع

لابـــد

سَنَمضى . . .

وكلُّ يَدٍ جَذْوَةٌ

تعانِقُها أُخْتُها فى المَسِيرْ . .

سَوَاءٌ . . سَوَاءٌ . . كَمَوْجِ الضُحَى

تغنَّى به الشمسُ فوق الهديرْ . .

وكالطيرِ يَحشُدُ أسْرابَهُ

علَى حَوْمَةِ النُورِ ، شوْقُ العبيرْ . .

قَطعْنا لظَى الدَّرب ، حتَّى دَنَتْ

قوافِلُنا ، مِنْ سَنَاهُ النَّضيرْ .

ومَهْما يكُنْ فى بَقَايا الطَّريقِ ،

فلابُدَّ . . مهْما عنَا ! ! أنْ نَسِيرْ ! !

لا أبـــد . . ! !

لابدّ لن نسيرْ ! !

ونجْـرُفَ الأقـــدارَ منْ طريـقِـنـا الكبيـرْ

ونعْصيـرَ الرّيــاحَ فى تلـفُّــتِ المصيـــرْ

ونسْحَقَ الهشيمَ فى احتضارِهِ الأخيرْ . . .

فلَمْ يَعُدْ لركْبِنا وقوفْ

ولم يَعُدْ لدرْبِنا عكُوفْ

• • •

. انصهَرَ القيدُ ، وتَلهّتْ غشْيَـةُ الظلامْ

وانْداحَ كُلُّ واقـف فى غضْبَـةِ الزّحـامْ

وأقلعت كفاقنـا المرْفـا السّـلامْ

وانشقَّتِ السُّدوفْ

ولنهارت الرفوفْ

ولنطلقتْ مِنْ رِقّها عواصفُ الزئيرْ

بِفَجْرِها ، وجمْرِها ، ولمسِها لحريرْ

تَصرخْ . . لا سكوتْ !

لا همسَ ، لا خفوتْ !

يا سالبَ النظرةِ مِنْ توهُّج العروقْ

يا ساكبَ الحسرةِ في خيالِها الغريقْ

يا مُلقيَ الأحجارِ في انتفاضةِ الطريقْ

لابدّ أن نسيرْ

في دربِنا الكبيرْ ! !

• • •

لابدّ أنْ نسيرْ

ونقطفَ الظلالَ من محاجرِ الهجيرْ

ونلقطَ الحبّةَ مِنْ مناقِرِ النُسورْ

ونبذرَ الربيعَ في مخالبِ الصخورْ

وننشبَ المشيئةَ

واليقظةُ الجريئهْ

في قلبِ كلِّ ساكنٍ يغطُّ في المُحالْ

ويستردُّ موتَهُ تجدُّدَ الزوالْ

ويختفي هروبهُ في توْهةِ الخيالْ . . .

دروبنا مضيئهْ

بالشُّعلِ الخبيئهْ

تلتهبُ في أعماقنا تحرُّكَ العبورْ

وتحرقُ الرُّوحَ على أشواقِنا بخورْ

وتُزْهِقُ الملالَ . . والكلالَ . . في الشعورْ

وتضرمَ التّغييرْ . . .

في أعمقِ الجذورْ . .

في كلِّ ماضٍ تحتَها بموتِهِ قريرْ

وكلِّ آتٍ فوقَها الفجْرِهِ يشيرْ

لغدنا المورقِ للإنسانِ بالنشورْ

«لابدَّ أنْ نسيرْ»

«في دَرْبِنا الكبيرْ»

• • •

وإنْ أطلَّتْ حبّةٌ من مرْجفٍ ضريرْ

من كفّها ، في ظُلْمةِ حانِقةِ الضميرْ . .

لابدَّ أنْ نَسْحقَها في رقْصةِ المَسيرْ

بعاصفٍ ، مُتَمْتمٍ بالنورِ والسّعيرْ

يردُّها هشيمةً مرجُومةَ الحَفيرْ . .

في كيْدِها تمُورْ

بالويْلِ ، والثبُورْ ! !

• • •

«لابد أن نسيرْ ! !»

وإنْ أطلّتْ آهةٌ على الضحَى الجديدْ

لجفْنِ كوخٍ ناعمٍ بفجْرِهِ الوليدْ

وحقْلِهِ العائد من تابوتِهِ البعيدْ . .

لابُدَّ أنْ نردَّها نميمةً تعودْ

لحقْلِهِ ، بالعطرِ ، والنماءِ ، والحصيدْ

ونرجعَ الزهورْ

لمهْدِها النضيرْ

• • •

«لابد أن نسيرْ . . »

وإنْ توارتْ غرْسَــةٌ عَنْ قَطْرةِ الشُّعَاعْ

لصُّ الضّياء شدّها فى لحظةِ الرّضاعْ

وضمّها لِلنّبْلِهِ المهْتُوكِ فى الضّياعْ

لتشربَ الذُّبولَ ، والأُفولَ ، والضّياعْ

وحَسرةَ الهوانِ فى طاغوتِهِ المُضَاعْ

لابُدَّ أنْ نُرتَها تُوِيقُ فى البِقَاعْ . .

ونُلهِبَ المسيرْ

فى دربنا الكبيرْ

لتُشْرِقَ الزهورُ فى مخاضِرِ الحقُولْ

ويلْعَقَ الظلامُ من بَيايِرِ الأفولْ .

ويهْدر الضّياءُ فى مرافىءِ الوُصولْ

وتسْمع الضّفاف ظِلَّ كَرْمها يقولْ

مدَّ الربيعُ كأسه لزَحْفِنا الطويلْ

بالنُّورِ ، والعطورْ .

وفرحةِ العُبورْ .

لابد لنْ نَسير ! !

• • •

لابدَّ أنْ نسيرْ

ونهتكَ الستورْ

لابُدَّ . . هذى الأوجُهُ البَليدةُ الرُّواءْ

ذاتُ السكونِ الميّتِ ، فى انتفاضةِ السَّناءْ

ذاتُ الوقوفِ العَبْدِ ، فى تحرُّكِ الفَضاءْ

ذاتُ الصَّدَى المعقُوفِ بالهَمسَةِ للنِّداءْ

ذاتُ السُّهومِ الحاقدِ النظرةِ للضِّياءْ

ذاتُ الوجودِ القابعِ المُخْضَلِّ بالفَنَاءْ

ذاتُ العكوفِ النّاشِبِ السَّجْدةِ فى العَماءْ

ذاتُ اليدِ المَنْهُومَةِ الكذّابَةِ العَطَاءْ

تَشْرَبُ دمْعَ غيرِها لِيَمْرعَ الرِّياءْ

وتختلسُ اللمحَ من الضحَى بلا حَياءْ

لتفسحَ الطريقَ فى الأوهامِ للمَسَاءْ . . .

لابدَّ ، لا . . ! يا هذه ! لَنْ يرْجِعَ الوراءْ . .

هيهات ! ! أنْ يعودَ بانجِلاَةِ الخفَاءْ ! !

أمسُ الذى فتنَاهُ بالثورةِ والمضَاءْ

فقد أحالتْ ظُلْمه رياحَنا هباءْ . .

. . وردّه انطلاقُنا الكبيرْ

لجَوْرِهِ فى وَقْدَةِ المصيرْ ! !

• • •

لابدّ أن نسيرْ

لشَحْلنَا النّضيرْ

• • •

إنّا لَمَحْناهُ . . . غدٌ ربيعهُ قريبْ

يضوعُ بالعِزّةِ والصّفاء فى الدروبْ

لكلّ قلبٍ رشفةٌ من ظلّه الرّطيبْ

لكلّ عينٍ قطفةٌ منْ ضوئه الرّحيبْ

لكلّ كفٍّ فرحةٌ منْ غَرْسِها الحبيبْ

فلتمْضِ للضّفافِ نارُ زحفنا الرهيبْ

ولتَنْبتِ الظّلالَ حيث يَفْهقُ اللّهيبْ

فليس في طريقنا إيماءةٌ تئوبْ

وليس إلا السيرْ والمضاءْ والهبوبْ

ونشوةَ العبورْ

في دربِنا الكبيرْ

لابد أن نسيرْ . . . لابد أن نسيرْ ! !

البيعة

مع مسيرة الشعب وهو يتوهج بإيمان

البيعة لحادى الزحف المظفر

(مايو ١٩٦٥)

ما انبعثتُ فجراً .. شعَّ فى جبينى

ومزّقَ الإطراقَ من جفونى

وشلَّ خطوَ الذلّ فى يقينى ..

وكنتُ فى ذلتى كالسجينِ ،

أدورُ فى دوّامةِ الأنينِ ،

والقيدُ من صريرِه يسلبنى ..

• • •

شعَّ السنا .. : وأضرمَ النواظرْ .

فاحترقتْ خُطاهُ كلُّ جائرْ

ونوّرتْ طريقَ كلِّ حائرْ

وحرّرتْ جبينَ كلِّ صاغرْ . . .

منْ ساقَ هذا النورَ للمهاجرْ ؟ ؟

سلْ جبهتي ، واسمعْ : ضياءُ ناصرْ

• • •

بايعتُ خطواً . . . شقَّ ليلَ قريتي

وفأسُها حيرانُ حولَ زهرتي

يسألُها جوعانُ : أينَ لقمتي ؟

وكلُّ عطرٍ فيكِ . كانَ نعمتي .

وكانَ صبري ، وانتظارَ نقرتي . .

. . في الأرضِ ، تُعطيني حصادَ غلّتي ! ؟

... ...

. . وظلَّ يرنو ليدِ البيادرْ(1)

وهي تردُّ الناسَ للحفائرْ ،

لتُتخِمَ القصورَ والحظائرْ !

فصاحَ فيها صيحةَ المغامرْ

---

(1) البيادر : مكان درس الحبوب ، مفردها بيدر .

رُدّى لساقيكِ جَنى الأزاهرْ ! ! . .

. . فدونَكِ الحقولُ ، وللخناصرْ

وللتلّ ، وللفلاحْ ، وللعابِرْ . .

قالت مَن السّارى ؟ فقلتُ : ناصرْ

• • •

بايعتْ ناراً . . وفجّرها خلودْ

ردَّ القناةَ كبِرُها العنيدُ . .

على سناها كبّرَ الشهيدْ

وانتحرتْ من بأسِها القيودْ

ومِنْ صداها ارتعدَ الوجودْ

ولنحرَ المستعمرُ العنيدُ ! !

. . .

. . وسبّحتْ بنصرِها الخناجرْ

وصيّحتْ بصبحِها الحناجِرْ

وأصبحتْ أيامُها شعائرْ ،

يشدُو بها التاريخُ فى المفاخِرْ . .

وللّيالى يُشعلُ المجامِرْ

وكُلَّما اشتاقَتْ بِها المجامِرْ :
رشَّ لها الوميضَ ، قلْبُ ناصِرْ ! !

• • •

بايعْتَ طَوْداً . . في رُبى أسْوانِ
مُعْجِزةَ الإصْرارِ للإنسانِ
وشمْخَةَ الأقدارِ ، في بُنْيانِ ،
دكَّ صُروحَ البغْيِ والطغيانِ
وقامَ كانتفاضةِ الزَّمانِ
كفارسٍ في حوْمَةِ الطِّعانِ

. لم يُبْقِ للأمانِ وجْهَ غادِرْ !
ولم يُبالِ دوْرةَ المصائِرْ . .
داسَ اللظى ، وانقضَّ في الدياجِرْ
على قُوى الشرِّ العتيِّ الفاجِرْ
كَفَّنَها في غزْوِها المُقَامِرْ
وردَّها تَطْحَنُها الدوائِرْ . . .
وقبلةُ الشمس تحيِّي الظافِرْ

بجبهة السدّ . . . بوجه «ناصر»

* * *

بايعْتُ حقّاً . عاد للأنامل ،

وهى تُذيبُ الظلْم فى المراجِلِ . .

منْ شيّبة البؤْس بكفّ العامل ،

تشقُّ درْبَ النورِ بالمعاولِ

وتحصُدُ الظلامَ بالمناجِل ،

وتسكُبُ الروحَ على المشاعلِ . .

* * *

. . زيتاً يُضىءُ ليْلَ كلّ سائرْ

وأنجماً تَهْدِى ، لِكلّ حائرْ

مِن سيّد الآلَة وهْو ساهرْ

يجْنى قِطافَ النُّورِ للنواظرْ . .

ذابَ الأسَى واخْضَرّتِ المشاعِرْ

ورَفرفَ الحقُّ لكل عاثِرْ

لبّيْكَ ، عادت نَجْدتى بناصرْ

* * *

بايَعَتْ كُلُّ نبضةٍ في بدني

وكلُّ نُورٍ في شِغَافٍ وطَني

وكلُّ زَحْفٍ للضُّحَى قربني

وكلُّ صَحْوٍ ثائرٍ جنَّنَني

وكلُّ خَطْوٍ ردَّ كِبْرَ زَمَني

وكلُّ عَهْدٍ مِنْ يَقينٍ مؤمِنٍ . .

. . .   .

. . . فكلُّها . . مِن كلِّ حرٍّ ثائرْ

وكلُّها للغدِ . . رَوْضٌ عاطِرْ

وكلُّها للشعْبِ . . نَجْمٌ زاخِرْ

وكلُّها للنَّصْرِ . . فَجْرٌ هادِرْ

علَى فلسطينَ لَه بَشائِرْ

مهما تغِبْ . . لابدَّ أنْ تُهاجِرْ !

وكلُّها : ضوءُ الصَّباحِ السَّافرْ . .

بايَعَتْها للحقِّ . . باسم «ناصِرْ» ! !

حَــــادِى التَّـغْـيـيـــر

مع ثورة السماء . .

وهى تفجر طريق الحرية للانسان !

مع حادى التغيير . . فى طريقه للنضال

من أجل الحق والعدل وبك الطغيان !

دوّى على طريقه التغيير
وانتفضت من كهفها العصور

• • •

وهب كل ساكن يثور
وللضياء انطلق العبور . .

• • •

وكل ريح غيّرت مسارها

واضرمت فوق الهدوءِ نارَها . .

• • •

وكلُّ أُفْقٍ كان في وسادِه
يَلْعَقُ سِحْرَ الأمسِ من مِهادِه ؟

• • •

انتفضَ النورُ على جبينه
تحرّكَ الدَّهْرَ على يمينِه . .

• • •

توثّبَ وهمَ الظلِّ من ذرّاته
وأحرقَ الإطراقَ من هالاتِه

• • •

ولَمْلَمَ الرّقَّ من الأثيرِ
وأنبتَ الإنسانَ في الضميرِ . .

• • •

غَبْرَةً من ساغرٍ أو لِي
يَرْضَعُ من أساه في التراب .

• • •

يُريقُ للظالمِ من دموعِهِ
عِطرَ خريفٍ راعَ في ربيعِهِ . . .

• • •

ويلثمُ الأطواقَ في السجودِ
كأنها تمائمُ الوجودِ . . .

• • •

يُهيلُ للنارِ خلايا ناتِهِ
لتسكُبَ الطُّهْرَ على حياتِهِ . . .

• • •

ويرتمي كقُبلةِ الخطيئةْ
على صَفاةِ الصَّنَمِ البريئةْ . . .

• • •

ويذبحُ الروحَ لها قُرْبانا
يَسألُ من رمادِهِ الأَمَانا . . .

• • •

ويعزفُ النجمَ على عيونِهِ

لحناً يَصُبّ الليلَ في بقينه ..

• • •

إن مرَّ في خيالِه جمّارْ

على شَظَايا طيْفه يَنْهارْ ...

• • •

مدَّ النِّفاقُ تحته رُواقا

وأسْكَرَ الشعورَ والأحْداقا ...

• • •

أملى شقاقَ نفْسه ، وجَاءْ

ليلاً يُريقُ ليله ثُفاءْ[1] ...

• • •

يبني من الطين على هَبَائه

إلهاً خرساءَ في فضائه ..

• • •

يُزجي لها الصلاةَ والتعبُّدا

---

(١) ثفاء: للزاد مرارة وثقلا

ويُوزِعُ الروح لها أن تسجُدا . .

• • •

يغْـهَـقْ فى ضـلالـه للصنـم

ويستجيرُ منـجـاهُ الظلمِ . .

• • •

ويغرس التوبـة فى تُـرابـهِ

أختْ عناءٍ ساخَ فى شبابهِ . . .

• • •

والشمسُ فى إحساسيهِ والقمرْ

معابدٌ غنى هواها الوترْ . .

• • •

لا يعرف الله . ولو مر به

خلدٌ يضىءُ كلَّ ما فى قلبهِ

• • •

تفسَّختْ عروقه أكوانا

وانشطرتْ وجوهُه ألوانا . .

• • •

عـبـدٌ يـدورُ فى غـبـارِ سَـيِّـدِ
وسـاجِـدٌ يُحِـفـن ذلاً بـالمهـدِ . .

• • •

وأمـمٌ تُـرعـى بـديـن الغَـنَـمِ
لجْت بها الأغلالُ أعتى الظلمِ . .

• • •

أعْـيَـت خطاها كلماتُ الرسُـلِ
ومـعـجـزاتُ المرسَـلـين الأُول . .

• • •

وغـاب وجـهُ الـلـه عن أعماقهـا
وزمْـرَمَ الشـيطانُ فى أحداقها . .

• • •

تنعى بها مَـوْؤودةٌ . . ما سُـئِلت
بأىِّ ذنبٍ ، دون ذنبٍ ، قـتِـلـتْ !

• • •

ويشـتـكـيـهـا جـائِـعٌ فـقـيـرٌ

أنفاسه بالوهم تستجير ...

• • •

ورابف في ظلمه بوآول
واليأس من أنينه يرتجل ...

• • •

ظلت على طغيانها تدور
والكون مشلول الخطا ضرير !!

• • •

حتى أتاها مضرم التفجير
في ليلها الجاثي على الدهور .

• • •

شد خطاها في الدجى ، وسارا
في هجرة شقت لها النهارا .

• • •

وشعشعت في دربها الضياء

واخترعت في قلبها السماءَ

• • •

أعْتَى شعاعٍ في ضميرِ الزمَنِ

يهدى بنورِ اللهِ كلَّ مؤْمِنِ ! !

• • •

بغـــداد

(من ضفاف دجلة .. ألقيت هذه القصيدة التى كانت نشيد الشاعر فى مهرجان الشعر السادس ببغداد يوم ٢١ فبراير ١٩٦٥)

لوْ ألهمَتْنى مائِلُ صوتٍ ، من صدَى التاريخ حوْلَ بابِها .

أوْ . وشَحتْنى مسناً ، من سَجْدةِ النورِ على قِبابِها .

أوْ .. ساكَبَتْنى بِيَدِ الوحْيِ ، رحيقَ الخُلْدِ منْ عُبابِها .

أوْ .. فاغمَتْنى[1] بعبيرِ المجدِ فى تُرابِها .

ونَفْحَـــةٍ منْ وقْفةِ الإيمانِ فى أعتابِهـــا .

ومنْ جَلالِ الشَّرْقِ ، منْ ضحاهُ فى رحابِها : :

.. لجئتُها بسَيْكَبٍ[2] من مُهجتى ، منَ الغِناءِ ، لمْ تَرَهْ ! !

وسُقتُها ملاحمًا للشِّعْرِ ، منْ تاريخِها مُعطَّرَهْ ! !

تُكمِلُ ألفَ ليلةٍ جديدةٍ . لأهلِها ....

.. ومغفرَهْ ! ! ...

---

(1) فاغمتنى : عطّرتنى (2) سيكب : المتدفّق

لو تَنْدنَ الشعورْ	وقّلعَ الطريقْ
وفاتني العُبُورْ	لِسرِّها العَميقْ
.. فنغْمةُ العصورْ	في نَايِها تَغْريقْ .
تُدوِّخُ النُهُورْ	وتُسْكِرُ الرحيقْ

وتُنْهِلُ العِيدانَ . لوْ بابلُ تُزْجي السِّحْرَ . مِنْ ربابِها .

وتَعْصِرُ الإلْهامَ . مِن كلِّ شجٍ . لوْ عاشقٍ غنَّى بِها ..

• • •

لوْ أنّني . مَلّاحُ بَحْرٍ . انْحنَتْ تحتَ الدُّجى رِياحُهْ

وأصْبَحتْ ضُلوعُهُ جنائِزاً . شُلَّتْ بها جِراحُهْ

وسُمِّرتْ أعماقُهُ . وارْتدَّ مَوْجُهُ ورَدَّ الصدى نُواحَهْ :

ونُقْتُ رَشْفتيْنِ . من دِجْلتِها المُنْهمِرْ

وذُقْتُ قطرتَيْنِ . في مَسابِهِ العَطِرِ .

وحلْمَ مَوْجتيْنِ . في ربيعِهِ المسحِرْ

.. لانطلقتْ سفينتي . تمخرُ في الغياهبِ المدثرَهْ

والتهبتْ حولي الرياحُ . طوْعَ أحلامِ المَدى مستغفِرهْ

تطْوي معي تيهَ القرونِ : لو أرادتْ نظرتي انْ تَعْبُرَهْ ..

فنهرها ملاح — في لجة الحياة

في كفه مصباح — عبر الدجى سناه . .

ونفحة فرباح — تجرى على مداه ! ! . .

والعاصف المجتاح — يغدو له صلاة ! ! . .

كم مرة مس رباها ، فانبرى بفجرها جناحه ! !

وهب كالمقدار ، لم يترك رفات ظلمة صباحه ! !

* * *

نزلتها . . والليل لم يدر بها متجها القبلته

فراح يجثو خاشعا ، أنى سرى ، مكبرا بخطوته . .

والنور حبات ضحى مبثوثة الضياء ، حول سجدته

كأنها تمائم ، لوجهها المنتضر . .

كأنها حمائم ، أسرابها لم تطر ،

بيض الجناح ، مصغيات لبقايا وتر ،

ألقاه إسحاق ، ولم تسكن بقايا عوده المرنم ،

ولم تزل أنغامه ، رغم المدى ولهانة ، لم تنم ،

شجية . أبية . عتية السكون والترنم ،

أمانيها نشور | يهدر في القلوب

وصمتها شعور | يزأر في الدروب

يجدد المسير | يبدد الغروب

ويرفع الستور | للشمس . . كي تؤوب

وترجع النور ، لمن كانوا على الدنيا ، حياة يقظته

ومن سقوه للدجى ، والغرب أعمى شارب من ظلمته ! !

• • •

وقفت في فضائها أسمع طير الخلد في منابره

والبحتري حامل تلك الدنيا إلى قياثره

والسين(١) سهم الخلود يرشق الإيوان في سرائره

يروي تململ البلى في وجهه وخاطره ،

ونشوة النور على إطراقة بناظره ،

منذ دهشة مالها شققت ذرا أكاسره : ! . .

. . من قبلة السماء ، للبيداء : من بيت ، بأرض العرب ،

شعت ، تضيء حيرة الوجود ، من وجه نبي . .

---

(١) السين : إشارة إلى سينية البحتري في وصف إيوان كسرى التي يقول في مطلعها

صنت نفسي عما يدنس نفسي | وترفعت عن جدا كل جبس

هبَّ لها «سابورُ»[1] مـن فـزعـةِ الأكـفـانْ

منْ «دستِهِ»[2] المقهورْ فى قبضةِ النِّسيانْ : :

. وثارَ كالمسحورْ فى حـيْرةِ الإيـوانْ .

يصيحُ ! والمقدورْ يُجيبُ ! والنِّيرانْ !

تهبلُ من رمادِها الخمودَ ، والزّوالَ ، فى محاجرِهْ ! !

وترتمى ساجدةً ، لوهْلةِ الأضواءِ فى مقاصِرِهْ ! !

• • •

منْ ها هنا ، وغـيْـمـةُ الرّشـيـد تطوى الأفقَ فى أناملهْ

وصولجانُ الفِكْر ، والمأمونُ ينكبى الضَّوءَ فى مشاعلهْ

وسيفُ هُولاكـو ، منَ الغـيْـبـة ، مُرتَدٌّ إلى مقاتلهْ

منْ ها هُنا ، والنورُ لم يَغْفلْ سَنَاهُ أبدًا . .

ورايةُ الإسلامِ ، لم يترُكْ ضُحَاها أحدًا . .

وكيفَ ؟ والسَّماءُ خطَّتْ فوقَها . . «محمَّدا» . . ! !

محرِّرُ الإنسانِ ، دامِى الرقِ والهَوانِ فى جبينِه ،

---

(١) سابور : أو شهبور ملك فارس من الأسرة الساسانية .

(٢) دسته : مجلسه أو مسنده

بثورةٍ شبّتْ على تكالبِ الأغلالِ في يمينِهِ ،

مذ رُبِّيت تُبُوتُه بصيحةِ القرآنْ . .

وأضرمتْ وقودَهُ في جبهةِ الطغيانْ . . .

وحررتْ وجودَهُ من قبضةِ الأوثانْ . .

وحرّمتْ سجودَهُ إلاّ إلى الرحمنْ . .

. . من هاهنا . . حثاؤها ، مدَّ الخطا ، وسارَ في قوافلِهْ

وفجّرَ الضياء ، يسقي ظُلْمةَ الوجود ، مِنْ مناهلهْ ! !

• • •

ولم تزلْ تُصغي ، ويصغي في دمي ، تبتُّلُ النخيلْ

كأنه مسبِّحةٌ ، تعُدُّ في تاريخها الطويلْ :

خضراءُ ، ما زالتْ يدُ « المنصورِ » في أحلامها تجولْ

تُديرُها ، وتقطرُ السلامَ من حبّاتِها

وتسكبُ الضياءَ ، والإباءَ ، في راياتِها

وتقصرُ الشمسُ لمطلعِ الفجرِ في ساحاتِها . .

وَحَولها ، لعَودَةِ الأيامِ لاحتْ شمخَةٌ للـــاذنِ

تُصغى مَعى ، كأنَّها تَسبيحةُ الوَحدَةِ ، فى مَلاحِنى !

كأنها جِباهْ هبتْ من السُّجودْ

تُكبِّرُ الصَّلاهْ لِفجرِهـا الوليـدْ

وتَرنِمُ الشفاهْ بِوحدةِ النَّشيـدْ

وتَرجِعُ الحُداهْ للدَّربِ مِنْ جَديدْ ، . .

. . وتُسبِغُ الرَّايةُ فى المعراجِ نورَ ظِلِّها الظَّليلْ

ويدفنُ التاريخُ عارَ أمسه ، فى مُهجةِ الدَّخيلْ ! !

• • •

بغدادُ . . يا ترنيمةَ العُصورِ ، يا تَميمةَ الزَّمانْ

يا حُلُماً مشعْشعاً ، للدَّهرِ كم نادتْ به الدِّنانْ

يا نغماً للخُلْدِ ، لمْ تَعزِفْ على ربابه يَدانْ

يا قصَّةً ، تَحبو الأساطيرُ على أعتابِها

يا كَرْمَةً ، عبُّ سُقاةُ النُّورِ من أعنابِـهـا

يا قبلةً للشمس ، تستيقظُ من أهدابِها

يا زادَ كلِّ وقفةٍ ، يُكبِّرُ التاريخُ ، فى ترابِـهـا

يا كِبْرَ كلْ نظرةٍ ، شقّتْ بكِ الأجيالَ فى انسيابها

يا نَبْضَةَ الأوتارْ   فى ثَوْرةِ النَّغَمْ

يا صحْوَةَ الأحرارْ   يوْمَ الدُّجى ألمّ . .

. . روَّيْتِ شوْقَ النارْ   مِنْ غفلةِ الظُلَمْ .

فرَحْتُ بالقيثارْ . .   والنّيلِ ، والهرَمْ

أشدُوكِ يا «بغدادُ» . . ! لحناً شعَّ من توهُّجِ الأذانْ

لموكبِ الوحدة ، للرّايةِ تحدو زحفةَ المهرجانْ ! !

• • •

بغدادُ . . لوْ أملكُ ملْسَ الغَيبِ فى توغُّلِ الآمادْ

لوْ لى على الهمُومِ فى مَجاهلِ القلوبِ أىُّ زادْ

لوْ مِنْجلى فى كفِّ ريحٍ باللّهيبِ أفقُها حَصَادْ . .

. . لَطُفْتُ كالضّياء فى مساربِ الصدورْ

وكالدُّعاء المستجيرِ من ترَدُّدِ الشعورْ

من الخليجِ للمُحيط للدُّروبِ للثُّغورْ

أقْوَى على الفُرْقة أينَ هوَّمتْ فى وطنى الكبيرْ

تخصِبُ من كهْفها ، منْ مزْحفِ المستعمرِ الضريرْ

لنحتّها في وَقعِها في سمْعِها ، بوَحْدَةِ المصيرْ . .

. . لكنني معبّرْ مُحَلِّقُ الجناحْ

بَهْرةُ صريرْ من أرغنِ الصّباحْ . .

فإنْ دعا النّفيرْ وهبّتِ الرياحْ

سيزحفُ الغفيرْ والنّايُ ، والجراحْ . .

ونلتقي يا عرَبَ الوحْدَةِ ، فوْقَ ربْوَةِ المِيعادْ

ويبْرقُ النصرِ بعيدُ اللّحْنَ في السّماءِ . . يا «بغداد»

التائهة

(في زيارة الشاعر لأرض المعراج أحس بعذاب التراب ، وثورته التي يتضرم لهيبها على خطأ التائهة الملعونة . . إسرائيل)

عاريةٌ . . طافتْ بزنّارِ(1)
مُجدّلٍ بالخزيِ والعارِ

مرْجومةُ النّظرةِ . . في لحدها
تابوتُ أرْجاسٍ وأوزارِ

فلوْ سَرتْ كانتْ خنًا هاربًا

---

(1) الزنّارُ : حزام يشده النصرانيُّ على وسطه.

مِنْ نَدَمٍ فى النّفْسِ ثوّارِ

ولو هفتْ يوماً على تائبٍ

غنّى له الإثْمُ بقَيْثارِ

وانسل فى ثوْبَتِه عاصِياً

يَستَلُّ فردوساً من النّارِ . .

ولَوْ رَنتْ للخُلْدِ . . لَمْ تُبْقِ فى

سمائِهِ دَعْوَةَ أبْرارِ .

إيماؤها يُخزِى صَلاةَ الضُّحَى

لو شمّها معبدٌ لطارِ

ويُخجِل الليْلَ ، ولَوْ ناغَمَتْ

أناتُهُ الليلةَ بأسحارِ . .

تاهت فلو سارت لكانت سرى

مصعداً فى وهم أسفار

أنفاقها سم خياط على

جفن شليل الكف مختار[1]

ودربها غيب بلا شاطئ

يأويه فى لجة أقدار

ترجها اللعنة أنى شكت

حيرتها ، فى قلب إعصار ،

فى غيهب ، سمر قيد الدجى

فى ليله المنتقم الضارى

فلا سماء الله مدت لها

---

(١) مختار : متثر .

تهويمة من طيف أنوار ،

ولا الذكرى وهو احتضان المدى

والتيه ، ولماها بلشمار

هنت الخطايا السود نارت بها

رحيق أقالبهن أشرار

من غابر الدهر لها سيرة

ضالت بأوطان وأسفار

نهارها يجتز زيف الرؤى

فهو ظلام فاسق عاري

وليلها مقصية جنحت

كالبوم في أطلال أوكار

تَنْعَبُ في تجوالها مثلَـهُ
على خرابٍ شاردِ النّار

ملعونةٌ نغمات من عرضها
قوت الصدى من أيّ مزمار

وتشربُ السُّحْتَ على نشوةٍ
يرغو بها إبريق خمّارِ

وتَنْبَحُ الله على دربهم
مفتني اللغة ثرثار

قالت بداهْ جلْ - مغلولةٌ
غلّتْ بدنيها - كَفُ جبّار !

وطاردتها العثثات الورى

بعواصفٍ كالهولِ ثوّارِ

تُلقى به في الليلِ أنّى مشتْ
وتَلُّ مَنجمٍ لاذَ بالغار . .

تلقّفها الأرضُ ترامتْ لها
في زاخرٍ بالحقدِ موّارِ

ينتعشُ أمْنَ الرّوح في جنبِها
من غيرِ إنهابٍ وأظفارِ

يلعنُها الأفقُ بوادِ المدى
من كلِّ أنهارٍ وأقطارِ

تخطو . . وتزيدُ على موجِهِ
كثرةٍ في صدرِ تيّارِ . .

يلعنُها اللهُ .. فكم مُرسلٍ
كانتْ له تأويلَ كفّار !!

تهلّلتْ سهنًا على دربها
لعلّه يُومِضُ للسّاري

وعشّشتْ في ذاتِها غيهبُها
مُستخفيًا من غيرِ أوكارِ ..

غنّى لها «موسى» بألواحه ،
ونافخُ الصورِ بمزمارِ

وكلّم اللهَ .. فأصغتْ له
ثاكلةٌ تُصغي لِجزّارِ !

جبينُه للنُّور . . وهْيَ النجى

يُمْـعِـنُ فى تـابـوتِ أغـوارِ !

وجاءهـا عيسى برفْقِ الهُدَى

فـلـم يَزِنْهـا غيرَ إصْـــرارِ

وغيرَ تاريخِ صليبِ الأسَى

يَصِرُّ من لــوْحٍ ومِسْـمـارِ

وأنْـزِلَ الفُرقـانُ نُـــوراً على

هـادٍ مِنَ الرحْمـن مُخْـتَـارِ

فواصلَتْ كيْدَ السَّما ! لعْنَةً

متَبُونةً تبْحثُ عن جـارٍ . .

ودارتِ الدُّنيا . . وفى غفلةٍ

نامتْ علَى أجفانِ غدّارِ .

حطَّتْ علَى أرضٍ لها سَجْدةٌ

لله . صارتْ سَجْدةَ العارِ ! !

وفى غدٍ . . أرْقُبْ خيلَ الضُحى

تزأرُ فى غضْبةِ أحْرارِ

تدُقُّ بابَ العار . . تَهْوى به

وترفعُ الرايةَ لِلثارِ . .

سَيْفُ الله

«ألقى الشاعر قصيدته الخطية على قبر الامام

علي رضي الله عنه في زيارة للنجف الأشرف

بالعراق ظهيرة يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٥ فسمع

هذه الترنيمة . . وألقاها في مهرجان الشعر

بالكوفة مساء اليوم . .»

ونادى مُنادٍ للضياء فكبَّرتْ

جفوني ، وصلَّتْ للنداءِ خواطري

وذوَّبتُ قلبي ، في رحيقٍ من السَّنَا

وعطَّرتُ من فَجْرِ الخلودِ قياثري

واحترقتْ فى أوتارهـا ، كـلُّ مـا زكّيتْ
بـه لصـلاةِ الـروحِ ، نـارُ المـبـاخـرِ

تسابيحَ مَن صلّى ! واشواقَ من دَعـا
وذوبَ فى كـلِّ ثـنـيّـهِ دمـعِ السرائـرِ ! .

عَرفتُ عبيرَ الطُهْرِ . من كلِّ ساجـدٍ
ومـن كـلِّ لوذعـيٍّ ، ومن كـل ذاكـرِ

ومنْ كـلِّ طيـرٍ مـرَّ بالخُـلـدِ تـائـهٍ
واصغى لهمسِ الحورِ بين المخاضرِ . .

ومن كـل فجـرٍ كـلّـمَ اللّـه قلـبَـهُ
بـآيـات نـورٍ من يـدِ اللّـهِ غامـرٍ . .

ومن كـلِّ نـهـرٍ للصّـدى من مرتّـل

بمُصْحفه رنّتْ صلاةُ المَشاعرِ ..

ومن صلواتِ للنخيل ، رأيتُها
تُرَنّم للأضواء قُدْسَ الشعَائرِ ..

تهلّلُ بالإصغاء . تائبةَ الضُّحى
كمُسْتغفرٍ لله ساجِى النواظرِ ..

وفى وجهها صُوفيةٌ .. لوْ تكلَّمتْ
لكانت حديثَ الطُّهْرِ فى كُلّ خاطرِ ..

حشدتُ عبيرَ المتّقين ، وطُهْرَهُمْ
وأشعلتُه رأدَ الضحَى بمَجامرى ..

وبدّلتُ نا يى من غناءٍ مُرنَّمٍ
لأنغام نورٍ خاشعاتِ المزاهرِ ..
لأشدُوَ أرضاً كرّمَ اللهُ وجْهَهَا

موجه على تاريخها النضْر ، عاطرِ . .

بسيفٍ بَراهُ اللهُ عدلاً وحكمةً
وشقَّ به الاسلامُ قلبَ الدياجرِ . .

وانْزاعَ ليْلُ الجاحدين بوَمضه
فخرَّ لدين الله كلُّ مُكابرِ . .

وشعّتْ خُطا الدنيا بنورِ محمّدٍ
ومِنْ نوره هلّتْ جميعُ المنائرِ . .

فيا كوكبَ الأمجادِ حيّتك وحدَةٌ
على فجرها التفّتْ جميعُ الأواصرِ

وعادتْ اليهِ الشمسُ بسَطْعِ نورُها
كما كانَ في تلكَ العصُورِ الزواهرِ !

سَجْدَةٌ فِى طَرِيقِ النُّور

«مع الكون . . وهو يرتقب أول خطوة
خارج الغلاف لتهى الانسانية»

كلُّ حصاةٍ فى الطّريق أزمات تنتظرْ
وكلُّ ذرّاتِ الأثيرِ لقبلةٍ تكبُرْ

• • •

والرّيحُ من كلّ اتّجاهٍ ليقظتْ رباتها
وأسبلتْ على جبين أُفْقِها أهدابَها

• • •

واسترسلتْ تعزفُ للسكونِ من صلاتِها
وتستعيدُ شجوَها همساً على لهاتِها

• • •

وتُسْمع الجبالَ من تسبيحها أنغاما

لم تَـدْرِ كيف انحـدرَتْ من قَلْبها إلهامـا

• • •

والفَجْرُ من مزاره الفَصلِ في وَجْهِ الوثـن
رِدْ خُطاه لخطا جديـدةٍ على الزمَـنْ . .

• • •

جاءتْ تـهزُّ مُطرِفـا أمام ربٌ مُطـرِقِ
كلاهُما وَهْـمٌ لِوَهْمٍ جاهـلٍ ، مـلْـفَـقِ !

• • •

جاءتْ . . . تردُّ الظلم مدحوراً إلى طاغوته
ندامـةً مذعورةً تـصـرُخ في تابوتـه !

• • •

جاءتْ . . تـزُجّ نارَها تـلوّه للمضطهِـدِ
وتخـرمُ الإباء في جبينـه المستعبَـد !

• • •

جاءتْ . . ونورُ الله يحدو الخَطْوَ في طريقها

والكونُ يَستافُ عبيرَ الصحْوِ من شروقِها

* * *

والبيدُ ليلٌ ضارعٌ في القَيْدِ حولَ الصنمِ
والناسُ أوهامٌ تدورُ في ضلالِها المُلثَّمِ !

* * *

. في خيمةٍ خيَّم فيها الرقُّ منذُ الأزلِ
وغمغمَ الإنسانُ حولَ قيدِهِ المُكبَّلِ . .

* * *

جاءتْ إليه ، تنزعُ الهوانَ من جبينهِ
وتحصدُ الإطراقَ والذلَّةَ من جفونِهِ !

* * *

جاءت . منَ الغار . . من النُّور خطًا «مُحَمَّدِ»
طُوبى لِمنْ خفَّ إليها بالضياء يَهْتَدِي ! !

قصة الكوخ

مرّتِ الريحُ على كوخى فى وقت الأصيلْ
وأنا أصغى مع الأطيار فى ظِلِّ النخيلْ
وخُطا الأيام تروى قصةَ الماضى الطويلْ
وحديثَ الفأس للربوةِ من ظُلْمِ السنينِ . .

• • •

قصةَ الأرضِ التى ضيّعتُ فيها كُلَّ عمرى
وسقَيتُ الحبَّ أيامى وأحلامى وصبرى
فلما اهتزَّ جَناها ينهبُ الأثمارَ غيرى
وأنا أمضى إلى كوخى محرومَ اليمينِ . . . .

• • •

عرَقى سالَ رحيقاً فى كؤوسِ الجائرينا

وكفاحى كان للرُّوح جِراحاً وشجونا

وعوادى الظلم لم تترك على قلبى أنينا

لم تُسطِّرْ منه خطاً للأسى فوق جبينى . .

• • •

وتمادى الليلُ حتى دهم الفجرُ ظلامهْ

وإذا صوتٌ من الله يُدوِّى كالقيامهْ

ردَّ لى أرضى تهتزُّ إباءً وكرامهْ

وضُحىً يهدرُ بالثورةِ فى كلِّ العيونِ

غنّ للملاح

معنا يا فجرُ . . وازحفْ بصباح الثائرينا

وانشُر البعثَ وفجرْ نوره للزاحفينا

وتقدمْ . وترنّمْ واملأ الدنيا رنينا

نحن من حولك نمضي كُلَّ يومٍ ظافرينا . .

* * *

غنّ للأرضِ التي عادتْ لمنْ أحيا رُباها

حرةً تعطيهِ من أثمارِها اشهى جَنَاها

غَنّ للثورةِ . . لم تتركْ غريباً في حِمَاها

ينهبُ الزهر ويُبقي شَوْكَهُ للغارسينا . .

* * *

غنّ للملاحِ واسمعْ شدْوَهُ عَبْرَ القنالِ

تطرب التاريخ فى شَطُبْـهِ ألحانَ النضالِ

وصدى نكـرى غـزاةٍ عاودوهـا بالمْحـالِ

فانتهـوا فيها . . وعادوا خاسريـنـا . .

غنْ مَنْ ساقوا لها أرواحَهُمْ مستشهدينـا

وتقدَّمْ . . وترنَّـمْ . . واملأ الدنيا رنينا . .

• • •

غـنْ للأحـرار للشـعـب الّذى ردَّ الحيـاهْ

ومحـا من أرضـه الحـرّةِ أوْهـامَ الطغـاهْ

ومضى فى مَوْكِبِ الزحف إلى كلّ اتجاهْ

لبناه الحـقّ والفـضلِ كما سـنّ الالـهْ

ويدُ اللّـه له . تحدو شراعاً وسفينا ..

فقـراء !

مع نظرة القاهر وهي تعتز
بالسكينة وترفض الذل ..

فقراءْ ؟
لا والله ..
بل نحن الذين شئنا الإله يضوع فوق ترابهمْ

• • •

يسقيهمْ لهب الحياة جداولاً
خضْراً تغرّدُ كأسُها لربابهمْ

• • •

ويزورهمْ رزقُ السّما بيَمينـه

عرقُ الطريقِ يدقُّ حسرةَ بابِهِمْ

• • •

يشْوِى الهجيرُ دروبَـهُ . . لكنَّه

عندَ الوصولِ يسحُّ فوقَ سرابِهِمْ

• • •

تَخْضَلُّ نظرتُهُ ، وتُورِقُ نارُهُ

وتميلُ كرْمَتُهُ على أكوابِهِمْ

• • •

تُفْضِى بسرِّ رحيقِها ، وحديثُه

للريحِ ، حين تمرُّ فى أعتابِهِمْ

• • •

منْ هؤلاء ؟ ؟

هم الَّذين تمرَّجتْ أعراسُ كلِّ منغِّمٍ معتليهِمْ

• • •

منْ هؤلاء ؟ ؟

. . همُ الذين تكلَّمتْ

للظلم شامخة بذلّ رقابهم !

• • •

منْ هؤلاء ؟ ؟

. همْ الذين ترنّمت

أوتارُ سطوتِهِ بدمعِ ربابِهِمْ !

• • •

منْ هؤلاءِ ؟ ؟

همُ الّذين تسلّلتْ

نظراتُهُ الشّمّاءُ من أهدابِهِمْ

• • •

منْ هؤلاء ؟ ؟

همُ الذين تسلّقتْ

شطحاتُ عِزّته على أصلابِهِمْ

• • •

ومشتْ على أضلاعِهم تَيْدُ الصِّبا

وترشُّ تيه الفتُوح فوق شعابِهِمْ

وتَلْمَلَمَ القمرُ الحزينُ تَدُسُّهُ

في سُرَّةِ الجرمانِ تحتَ ثيابِهِمْ

• • •

وتسومُ سائبةَ الفراغِ وراءَهم

سَوْطَ العذابِ، وتَنْهَشُهُ لعابُهُمْ

• • •

وتصبُّ نجمَ الليلِ فوقَ عيونِهِمْ

أقداحَ نارٍ، ولَوَّثَتْ بسحابِهِمْ

• • •

ترمي السكونَ بمثلِهِ، وتعيدُهُ

رَقْشًا بِرَقٍّ صادحٍ يشجي بِهِمْ

• • •

أحبابُ جَوْعِ الطيرِ . . جاعَ زمانُهُمْ

وتساقطوا ثمرًا على أحبابِهِمْ . .

• • •

كَلْبٌ، وراهبةٌ تلوكُ زمانَها

تجترُّه صبراً على أسلابِهِمْ

• • •

جاعتْ ، فربّت ناتُها قوتاً لها
وهُمُ يَرُدُّ لهم هشيمُ سرابِهِمْ

• • •

هلكى إلى هلكى ، ينوح لهم صدًى
في الكوخ ينعق بومه لخرابِهِمْ

• • •

صهروا الحياة ، لغيرهم ، وتوكلوا
والله يَضْهر نعمهم بثوابِهِم

• • •

والحمدُ لله . . استمرَّتْ نغمةٌ
تشدو الرّضا لطَعامِهِمْ وشرابِهِمْ

• • •

لم يقطفوا إلا خريف عُروقِهِمْ
وتهدَّلَ الثمرات من أغصانِهِمْ . .

فتَراهُ ؟ !

لاَ واللهِ ! !

نحن رِحلةٌ للسافرينَ . .

. . نُواجهُها نَمضي بِهِمْ ! !

بين الله والإنسان

«إلى الذين نعمت جباههم من السجود
وعميت قلوبهم عن الإنسان !»

إنْ كنتَ لا تعرفُ سرَّ دمعةٍ يذرفُها القمرْ
يسقي بها خريفَه العطشانَ في لهاثِه المريرْ
فيزرعُ الوهمُ على جفونه بستانَهُ النضيرْ
.. ثمارُهُ دانيةُ القطافْ
.. ظلالُهُ وارفةُ الضفافْ
لكنَّها لا شيءَ .. حين ينحني ، ويبسطُ اليمينْ
حزينةً ، مسكينةً ، مقهورةَ الدعاءِ والأنينْ
تقولُ من حسرتها : ربَّاهُ !
يا مُسْرِعاً في خطوه لله :

خفقةَ قلبٍ تُنقذُ الحياةْ
وتخدعُ المحرومَ عنْ أسئلةْ ! !
إنْ كنتَ لا تُبْصِرُ هنا السرُّ فى خشوعِكَ القريرْ
فأىُّ شىءٍ نحوهُ سحابةً كئابةً تشيرْ ؟ !
إنْ كنتَ لا تسمعُ سرَّاهةٍ على فمِ اليتيمْ

• • •

تسمعُها ! ! لكنَّها تمرقُ من رياشِكَ الرَّخيمْ ،
لنشودةً من وترٍ عاشتْ عليهِ رعشةُ النَّسيمْ
يعزفُها تلفُّتٌ سجينْ
مِنْ نظرةٍ شلَّتْ على الجبينْ .
يفتلُها الملالُ ، والحيرةُ ، والتوجُّعُ الدفينْ
ويشتكى إيحاؤُها الشقىُّ مِنْ سُخريةِ العيونْ
يصيحُ مِن أغلالهِ : ربَّاهْ ! !
يا مُسرعاً فى خطوِهِ قفْ . .
خفقةَ قلبٍ تُنقذُ الحياةْ ،
قبلَ اتِّجاهِ الخطوِ للصلاةْ . .

إنْ كنْتَ لاتسْمَعُ هذا السِّرَّ فى هيكلِهِ الألهمْ :
فإلى ربٍّ نحوه اتَّجَهْتَ في سُجُودِك العظيم ؟ !

• • •

إنْ كنْتَ لا تدرى بأنَّ اللهَ لَمْ يظلِلْكَ فى نعمتِهِ
إلاَّ لتمتدَّ بها للبائسِ المحرُومِ مِنْ لقمتِه
لِكُلِّ كفٍّ شَلَّها البغْيُ لِتنْسابَ إلى نظرتِهِ . .
وتفْتدى بوَجْهِهِ الرَّحيقْ
يلْعقُ منه زيفُكَ العريقْ
ويترِكُ الإحساسَ بالإنسانِ فى إيمانِها الحزينْ
متاهةً صمَّاءْ . . مِنْ فوقِها تفجَّعُ السِّنينْ . .
يصيحُ مِنْ أساهُ يا ربَّاهْ !
يا ساجداً بوجهِه لله . .
يا مغرقَ الوُجوهِ فى تُقاهْ !
وسابحاً بالزُّورِ فى هُداهْ !
إنْ كنْتَ لم تدرِ ضياءَ اللهِ فيما شعَّ مِنْ رحمتِه :
فكيفَ يا زورَ التُّقى كلِّفْتَ هذا السِّرَّ فى سجدتِهِ ! !

قُبَّرةُ الإحسان

وإلى الرائين بالصدقات فى

خريف للمساكين !!

حطت كالنغمة فى أذنى

صفراء . . صداها يلسعنى

ويصب أساها فى صدرى

ناراً . بالرحمة تسقينى

بذبالة قدحٍ مطعونِ

يترنح فى كف الساقى

ويجود بفضلة أرزاقِ

. لم تغلق لجرعتها كلما

نادت تتلمس أنفاسا

من صدرٍ ، صادٍ للكفنِ ! !

لم ألقَ بها قطرةَ عَرَقٍ

ممَّا اغتبقتْ على طُرُقي

منْ دمعِ يُوقظُ لي رَمَقي

.. ويحطُّ بباهةِ مِسْكينِ

تتضَوَّرُ فيَّ .. وتَشويني !

تتبرَّجُ في ضوءِ جباتِ

كشعاعٍ مَرَّ بأجداثِ

.. عراها زاداً للأزلِ

ولِمانا أعتقَ للأجلِ

ولنقضْ .. ليشرب مِنْ حُرَقي

• • •

تتحدّرُ من كفٍّ عُلْيا

خاشعةَ الوخْزةِ .. كالدنيا

.. سكبتْ لي وهْماً يُغريني

ورحيقَ رياءٍ .. يَرْويني !

وإِلَنا بِعَذابِها تَعْرِفُها
من كلِّ يمينٍ تَنْزِفُها
.. لِتُبَلِّلَ بها صدأَ البُؤسِ
وتَرُشَّ على كَمَدِ النفسِ
ذلاًّ بغنياهِ بِ لِحَيا .. ! !

• • •

كالرُّوحِ أتَثْنَى .. كالهَفْتَهْ
تتساقط حولي من نَبْتَهْ
كائنةِ الرحمةِ .. مُنْبِتَهْ ..
.. نفثَتْ بالحَسْرَةِ في كبدي
أغلالاً تلبِسَةَ الأبدِ !
تعلو .. وتخفِضُ نظراتي
وتُضيءُ الذُّلَّ بِدَعَواتي ..
هالاتِ رياءٍ لأخيها
ولِمَنْ للأَغنى يُعطيها
لِتَجوبَ الأرضَ على لَفْتَهْ ! !

• • •

حطّتْ . . وسمعتُ لها زَجَلاً

صيّرني عَبْداً مُبتهلاً

ودعاءً مقهوراً وَجِلاً

. يدعو ليمينٍ تُمْطِيني . .

ولقطرةِ نارٍ تكويني

وأنا الظمآنُ إلى حتفي

في دربٍ ، لا يعرفُ رفقي . .

ولشيءٍ . . . سَمّوهُ رزقي !

. . سأواصلُ سيري لأراهُ

حذراً لا تطرقُ عيناهُ

. . وسواهُ . . لا أعرفُ بدلاً . .

قِــدِّيــــس الســـــلام

«في يوم ٣٠ يناير ١٩٤٨ اغتالت يد آثمة قديس الاسلام ،

وزعيم الهند العظيم غاندي . . وهو في غمرة صلاته ؛

فبكاه الشاعر بهذه الدمعة عند احتراق جثمانه» .

أيها القاتــلُ غُــفْــرانَ الحــيـــاهْ

وهــو لله قـــد امـتـــدتْ يـــداهْ

جاءَ يسعى خاشعا نحو الصَّلاهْ

تَــوْبــةً تسـعــى لصـــدْرِ الْمُـذْنِــبِ

* * *

وإذا صـــوْتٌ من الغَـــدْرِ أثـيـــمْ

لَطَـمـتْ أَضواءَها منـه النـجــومْ

وعوت شمسُ الدراری ، والنّجُومْ

لجهشتْ للعابرِ المقْتَرب

• • •

وغدَتْ كالريحِ فی ليلِ الصخُورْ

لعنةَ الرُّوحِ على الأُفقِ تَدُورْ

تنهشُ الكونَ ، وتروى للدُّهورْ

ما رأت من رِجْسِ هذا المُذْنبِ !

• • •

زاهدٌ عريانُ . مسنودُ اليدَيْنْ

منْ ضنَى جسمٍ على قدّيستَيْنْ

أنهكَتْ منه الليالی جانبَيْنْ

فَسرى كالطّيْفِ بيْنَ الموْكبِ

• • •

أثَرُ الزهْدِ عليه واليَقِينْ

تتلاشَى فيهِ أجفانُ السنينْ

راكعُ النّظْرةِ ، موصولُ الجبينْ

بغيوبٍ سرُّها لم يُكْتَبِ

• • •

ناطقُ الإيماء ، روحيُّ الكلامْ

رفرفَ الحبُّ خُطاهُ والسلامْ

ومضى والدهر منه في زِحامْ

حيَّرتْهُ حكمةُ الشيْخِ للصبِّي !

• • •

في يديه رُقْيةٌ تَشفي العصورْ

من جراحاتِ الدَّنايا والشرورْ

ستَفحَةٌ تنسخُ حبَّاتِ الصُّدورْ

زهَراً يُسْقَى بماء الغضبِ

• • •

أعزلٌ لخزيٍ مُجْمِّاهُ السلاحْ .

ورمى طرْفاً على القيدِ ، فطاحْ

وغزا بالصمْت أهوال الكفاحْ

وهْوَ للأغلالِ لم يَقْتربِ

• • •

شـزّ لهاهُ القصـور الضاريـةْ

عاريـاً ، تكسـوهْ روحٌ عاتـيـةْ

وتُحـاميـه القـبـابَ الطاغـيـةْ

عنْزةٌ ، هزّتْ جيوشَ المَغْربِ

• • •

علّم الدنيـا بها سِـرّ الجِـهـادْ

وغـدتْ سيرتُـهـا بين العبـادْ

ينضـبُ الماءُ ويفنى كـلُّ زادْ

وثَـرابُ الهنـدِ أغـلـى مـأرب

• • •

لمَنْ الشّـاةِ ، له أشهَى رحيـقْ

وصدَى الأنوالِ ، صيّاحٌ عميقْ

ولدى المِغْزلِ ، سحرٌ لا يُفيـقْ

منْ هـواه كُلُّ عريـانٍ أبـى !

• • •

شرْعـهُ كان على الهندِ صـفاهْ

لبَنيها الكادحين الأشقياءْ

أينما ولّوا وجوهاً : فالسّماءْ

صوّرته معبَداً في السُّحُبِ

• • •

ثائر الشرقِ من الأفقِ البعيدْ

قمْ تأمّلْهُ من الحزنِ يميدْ

أفزعتْ روحَكَ أغلالُ العَبيدْ

فمضى القيدُ دليلَ المَهْرَبِ

• • •

عبقريٌّ ، أسيَويٌّ ، لا يُرامْ

سِرُّهُ الجبّارُ يوماً لِلأنامْ

هاجَتِ الهندُ ، فخلّاها وصامْ

فانجلَتْ عنها غيومُ الكُرَبِ

• • •

يا مُذيقَ الرِّقَ منْ نارِ العذابْ

سيرةً لم يرْوِها أقسى عقابْ

كلّما صمْت . . على جنْبيّه ذابْ

وتوارَى فى رُفَات اللّهبِ

* * *

أيـن محـرابُـكَ ؟ يحـكـى للزُّوالْ

قمـةَ الإنسانِ فى أعـلـى مـثالْ

أيـن آيـاتُـكَ ؟ تُـتْـلَـى للْجِبالْ

فتراها مُطْرِقاتِ السّبْسبِ

* * *

أين مَنْ ألْـقَى إلى الغرْب عصاهْ

فإذا بالشّرْق نـبْـاضُ الحيـاه ؟

وإذا بالغاصـب ارتـاعَـتْ قُـواهْ

وجَـثـتْ أسيافُـهُ فى اللّعِبِ

* * *

ابكِ يا شرقُ على الزُّهْدِ الجسُورْ

وانقـل الحكـمـةَ عنـه للدهـورْ

وإذا الرّيـحُ على الأفـق تـدُورْ

قل لها : خُطّى صداهُ واكْتبى !

• • •

حاملُ المشعَل ، فى هَوْل الظَّلامْ

داعِياً فى كل أرْضٍ بالسَّلامْ

فاجأتْهُ غَدْرةٌ . . عارُ الأنامْ

خالدٌ فيها خلودَ الحِقَبِ

• • •

طافت الهندُ على جثْمانِهِ

تشْربُ الإصرارَ من أجفانِهِ

لم يكن للموْتِ فى أكفانِه

أىُّ شىءٍ غير هذا الخشَبِ !

• • •

فهْوَ للسّلْمِ على كلِّ لِسانْ

غنْوةٌ تُخْزِى صريرَ الصوْلَجانْ

وهْو للحربِ صدًى يفْنى الزّمانْ

وصداهُ عاتِبٌ . . لَمْ يَذْهبِ ! !

شعلة الذات

مع «اقبال فيلسوف الشرق وشاعر الاسلام»

(الكلهم لذا زال عن نفسه تاه . . .)

«اقبال»

قُلْ لمنْ مدَّ يديه في الهجيرْ

سائلاً . . قطرةَ ماءٍ من غديرْ

سائلاً . . رَشْفَةَ ظلٍّ من هجيرْ

مدَّهُ اللهُ على الروضِ النَّضيرْ :

لَسْتَ حيّاً . . إنْ تسوّلْتَ رِيّاه .

ومَدَدْتَ الكفَّ تستجدي الحياةْ . .

كنْ هجيراً ترهبُ النارُ لظاهْ

لا انسيماً يفزعُ الوهمَ شَتلهْ

واقتحمْ بالذاتِ . . لهولِ السعيرْ

تنسخ النارَ ربيعاً . . في ضحاهْ

جدولٌ ، يضحكُ بالماءِ النميرْ !

قلْ لمنْ كبّل أشواقَ الحياهْ

باحثاً عن سرِّها قبل خطاهْ

واقفاً شُلَّتْ على السرِّ يداهْ

سائلاً ، أين من الغيبِ مداهْ ؟

لستَ حيّاً ، إنْ تهيّبتَ القدرْ

وطلبتَ السرَّ من قبل السفرْ . .

كنْ طريقاً منْ رحيقٍ وشررْ

لا وقوفاً . . يتلهى بالصورْ

واغض بالذات . . إلى ما لا تراهْ

تُبصرِ السرَّ ، تجلّى وظهرْ

وعلى صدرِكَ قد ألقى عصاهْ !

قلْ لمنْ أصغى لنوحِ البلبلِ

عاشقاً يبكي ضياعَ الأملِ

نلثمـا في بأسه المشتعـلِ

فاطلقا زهـرَ خريـفٍ معُجـلِ :

لسـتَ حيًا . . إن تلمّستَ البكاءْ

قدحـا بسـقيـكَ أوهامَ الرجاءْ . .

تمْنَ غناءً مُخمرِماً وجدَ السمـاءْ

لا صـدى نـوحٍ لقيثـارِ الفنَـاءْ

واسكُبِ الذات . . بناي مُشْعلِ

تُبْصـرِ الكونَ طهوراً من ضياءْ

ساجعاتٍ فوق شَطِّ الجدولِ !

قلْ لمنْ أحنى لقهر اللـه رأسَـهْ

ولمَـنْ صَبَّ لغيـرِ اللهِ كأسَهْ

خائفاً يشربُ من كفّيْه نفسَـهْ

ومنَ الذلّة لا يتْركُ حِسّهْ :

لستَ حيّا . . إنْ توهّمتَ الوُجـودا

سادةً مشوا على الأرضِ عبيـدا . .

اسألِ الذاتَ . . تجدْ فيها السجُـودا

لسِوَى اللهِ ، رياحاً وحَصِيدا

واسأل الله . . لمن أطلَعَ شَمْسَهْ !

لسوى الأحرار لم تُشعلْ وَقودا

لِصبَاحِ الشرق أوْ تسقِى لَمسهْ !

هكذا جلْجَل مِزمارٌ رخيمْ

في زَبُورٍ خالدِ الشَّدْوِ يتيمْ

مدّ جبريلُ جناحاً في السديمْ

ودَعا الأفلاك تُصغى والنُّجومْ

لصَداهُ الحُرّ في قيد التُّرابْ

وهْو ينقضُّ عليه كالشهابْ

ويرى سجدته بين الخرابْ

في رُبى أندلسٍ تستقى القباب

من رحيقٍ لم تزَلْ منه الكرومْ

تعصرُ السحرَ ، وتشدو للإياب

ويُنادِي مَجْدَها ضَرْبُ الكَلِيمْ ! !

نخلةُ «الداخلِ» عادتْ بجناها

بعد أن أرعَشَ بالنَّاى ثَراهـا

وبدمع الروح غنَّـى وسقاها

فرَنَتْ ظـلاً وتمْـراً وشِفاهـا

تَسمعُ التاريخَ خلفَ الحُجُبِ

يتغنَّـى بحُداةِ الشُّهُـبِ

يوم كان الغرب دنيا غيْهبٍ . .

ولدى المصبـاحُ فى كـفّ نبـى

يوقِظُ الأيامَ من عاتى كَراها

بضياءٍ شعَّ بيـن العـربِ

وكتابٍ خطّ للأرض هُداها . .

وتـرى قرطبـةً حنّ إليـه

فإذاهُ سجـدةٌ بيـن يديْـه

وإذا المحرابُ إصغـاءٌ عليْـه

شعَّ ترنيمُ الهوى من شفَتَيْه

وهْو قيثارٌ من الشرق يغنِّـى

ويعيدُ للمَجْـدِ لَحْنـاً بعـد لَحْـنِ

طـارقٌ فى بأسـهِ خَلْـفَ المِجَـنِّ

و «ابنُ عبّاد»(١) . . وما لاقى بسجنٍ . .

وأسى الحمراءِ ينهالُ لديْه

بحسراتٍ لم تتلقّها أيُّ أذنٍ

سكبتْها لوعةٌ من جانبيْه ! !

طائرَ الإسلامِ ، رجِّعْ نغمًا

كنتَ فيه لليالي حُلُمًا

أشعلِ النايَ الذي هزّ السّما

وسقى الأعماقَ شدوًا ملهمًا

ومن الخُلْدِ تلفّتْ . . ها هُنا . .

تجدِ الأغلالَ تهوي حولنا

قد حطّمْنا الرقَّ من أيامنا

وصهرْنا القيْدَ من أعناقنا

ونقونا اللهَ في إشراقنا

أن يردَّ الشرقَ حرًا مسلمًا

كان من قبلُ . . إلى أعلى المُنى

يعصرُ النورَ ، ويسقي الظُّلَما ! !

---

(١) ابن عباد : هو المعتمد على الله محمد بن عباد اللخمي ولد بباجة بالأندلس ومات بأغمات بمراكش. شاعر رقيق، كانت حياته وشعره مثاراً لوحي الشعراء منذ عصره إلى اليوم. تولى إمارة إشبيلية سنة ١٠٦٨، انتصر عليه يوسف بن تاشفين سنة ١٠٩١ وأسره وسجنه بأغمات مراكش.

مِنْ نـارِ السّكِينَـة

إلهي ! . . وما زال في النّأي سرٌّ

وشطٌّ من الوَحْيِ ، ما زُرْتُهُ ،

ولا شرِبَتْ حيْرتي منه لحنًا

ولا أيَّ يومٍ بها . جئتُه

عميقٌ . كحُلْمِ الرُّؤى في خيالٍ

على غَفْوةِ الروحِ كفَّنْتُهُ .

توارى ، وأسبلَ أنغامَه

على وتَرٍ . كنتُ قطّعتُهُ

وأحرقْتُ فيه ربيعَ الحياةِ

ومنْ غَفْوةِ القلبِ ودّعْتُهُ . .

عميقٌ . . . ولكنّهُ سابحٌ

قريبٌ، إذا ما تنكّرتُهُ

ونكّراه في كلّ ما أشتهي

وفي كلّ شيءٍ تعشّقتُهُ

أراهُ على الزهر، لكنني

إنا صافحَ العِطر غازلتُهُ

أراهُ على النهرِ، لكنّني

إنا عانقَ الموجَ غادرتُهُ

أراهُ على الدوح، لكنّني

إنا مال الغصنَ نازلتُهُ

أراه على الأفق شيئاً أضاءَ

ومِن نعشِ ناري ترهّمتُهُ

أراهُ على الريحِ، صوتَ الحنينِ

تَجسّد حتّى تأمّلتُهُ،

وأبصرْتُ فيه مزارَ الخيالِ

علَى معْبَدٍ كنتُ حرّمتُهُ

وأودعتُهُ في جنازِ الغروب

لقاءٌ مع الغيبِ واعدْتُهُ ،

أراه بذاتي في كُلِّ همْسٍ

وفي كلِّ طيفٍ تخيّلْتُهُ

أراه يسيرُ معي في الحياةِ

كياناً خفيّاً . . وصاحبْتُهُ

وقاسمتُهُ كلَّ زادِ السكونِ

وكلَّ الهوى حين صافيْتُهُ

وكلَّ الصباحِ ، وكلَّ المساءِ

وكلَّ النجى حين خامرتُهُ

وكلَّ الجراحِ ، وكلَّ النواحِ

وكلَّ الأسى ، إنْ ترشّفتُهُ

وكلَّ الأثيرِ ، وكلَّ العبيرِ

وكلَّ المصيرِ . . إذا كُنْتُهُ !

وفي كلِّ ذرّاتِ هذا الوجودِ

أراه رنيناً تسمّعتُهُ . .

وأصغيتُ فيه ، وكرّرتُهُ

وَجُودِيَ الذاتيَّ أخفيتُهُ ،

إلهي . ومن أين أخفُو إليه ؟

وتَرْنِي لرؤياه ضيَّعْتُهُ ،

وفجّرتُه في زماني ، زماناً

وتيهاً على التيه واصلتُهُ . .

وما كان إلاّ غناء الظُّنُونِ

وشجواً من الحبّ أتلفتُهُ

ولمّا علمتُ فيه صلاة الرَّباب

تُغنّي زماني . وما فتّهُ ،

تلاشيتُ في كُلّ تربٍ . فما

أحسُّ بغير المدى ، فتّهُ !

وأوغلتُ . حتى سقاني الطريق

ثمالات سحرٍ ، تصوّرتُهُ . .

شوّلني . . ولهفي رماد الضياءِ

وما زال جمراً تشهّيتُهُ

تبسّم في نارهِ كلُّ شيءٍ

وتشهد نفسي كما جئته ،

على الريح يهدر . لا همّة

ولا ظلُّ نابلُ تمنّيته ،

ولا سجوة في مهبّ الخيال

يغنّي بها ما تلقّنته ؛

نشدت السكينة في كلّ جفرٍ

على وترِ القلب أوقدته .

وما لي يدٌ فيه ، إلا صدى

كما تسمع الروح رنّته

غنائي . ومثلي . وما لي سبيل

إليه . . فأنّى أنى سقفته ،

سمعت به الكوخ تحت الظلام

عويلاً من البؤس . غنّيته

واقداح بي . بكفّ الطغاة

أساها سنابي تجرّعته !

وشلّت يدُ الله طاغوتها

بفَجْـرٍ على النّيل فتَنْسَـتُـهُ

فناغمْتُ فيه انْتِفَاضَ الحياةِ

بسحْرٍ من اللهِ تُهمْتُـه ؟؟

وسَـمْـحْـتُ لما أطَـلَّ الضّـيـاءُ

وبَكَّ الظَّلامَ الذى عِشْتُهُ ؟؟



الفهرس



الناشيء


الناشيء

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب: ٢٣٥ الرقم البريدي: ١١٧٩٤ رمسيس

www.egyptianbook.org.eg

E-mail: info@egyptianbook.org.eg


الناشيء

الأعمال الكاملة

محمود حسن إسماعيل

المجلد الثالث

الديوان الثامن : التائهون

الديوان التاسع : صلاة ورفض

الديوان العاشر : هدير البرزخ

الديوان الحادى عشر : صوت من الله

الديوان الثانى عشر : نهر الحقيقة

الديوان الثالث عشر : موسيقى فى السر

الديوان الرابع عشر : رياح المغيب



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٥


الناشيء

إسماعيل، محمود حسن، ١٩١٠ - ١٩٧٧

الأعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل . - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

مج ٢ ؛ ٢٤ سم . (الأعمال الكاملة)

في رأس العنوان ديوان الشعر العربي المعاصر

تدمك ٤ ٣٣٦ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الشعر العربي - تاريخ - العصر الحديث

(أ) العنوان

(ب) السلسلة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٢٦٥ / ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 336 - 4

ديوى ٨١١.٩

- الكتاب : الأعمال الكامله للشاعر محمود حسن اسماعيل (الجزء الثالث)
- المؤلف : محمود حسن اسماعيل
- طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
- الطبعة الثانية : ٢٠٠٨
- الإخراج الفنى : مادلين ايوب
- الغلاف : صبرى عبد الواحد

الديـــوان

التائهون

الوحدةُ الكبرى ، طريقُ نضالنا
للنصر . . . مهما كانتْ أسفارُهَا . .
سنَسيرُ . . نقتحمُ العواصفَ والدجَى
مَهْما تكاثفَ حولنا أستارُهَا . .
سنَسيرُ . . نخْتَرقُ السدودَ ، ونَبْري
حتَّى كهوفَ الكيدِ . . نحنُ دمارُها ! !

محمود حسن إسماعيل

قُومِي إلى الصَّلاةِ

(مع القدس الحزينة ، وهي تذرف غضب

السماء على رجس المحتلين !!)

وعادت الطيورُ في المساءْ

فلم تجدْ في القُبّة الضياءْ

ولا صدَى الترتيل والدعاءْ

فهزّت الأوتارَ بالنداءْ :

يا «قدسُ» يا حبيبة السماءْ

قُومي إلى الصّلاه ..

وبارِكي الحياه ..

* * *

وردّدِي التّسبيحَ في المآذن

وأيقظى الأجراسَ فى المدائِنِ
وكبّرى لله لا تُهادِنى
قومى إلى الصلاه . . وباركى الحياةْ ! !

• • •

لا تُوقِفِى الدُّعاءَ للرَّحمان
مَهْمَا لقيتِ من أذى الشيطان
رُدّى عليه إثمَهُ ، وقومى
وواصلِى الحديثَ للنُّجوم
فلم تزَلْ فيكِ خُطا الإسراءِ
سابحةً فى الطهر والضياءِ . .
يا قدسُ . يا حبيبة السماءِ
قومى إلى الصَّلاه . .
وباركى الحياه ! !

• • •

ولم تزَلْ أسوارُكِ الحزينةْ
تصغى إلى أنفاسها الدفينـةْ

ولم تزلْ مناجيَات الرُسلِ

فى أُفْـقِـكِ الطاهر منذ الأزَلْ

ما زَالَ صوتُ الله فى فضائك

والأنبياءُ فى صدَى ندائك

قومى إلى الصلاةْ . .

وباركى الحياةْ ! !

• • •

قُومــى . . ومهما اشتــدَّت الجـراحُ

فكلُّ ليل بعده صبــاحُ

وكــلُّ هوْل بعــده سكينَــةْ

تمحو ظلام البغى والضغينَــةْ

وترجع الشفاهْ . . للشَّدْو والحياهْ

قومى إلى الصَّلاة ، والترتيل ، والدُّعاءِ

يا قُدْسُ . . يا حبيبةً للأرضِ والسماءِ ! !

بيعة الزحف

مارس ١٩٦٥

من الظلام البهيمة

بايعت كلَّ نهضةٍ في بدني

وكلَّ نورٍ في دروب وطني

وكلَّ زحفٍ للضحى قرّبني

وكلَّ صخرٍ ثائرٍ جنّبني

وكلَّ خطوٍ ردَّ كِبْر زمني

وكل عهد من يقينٍ مؤمن . . .

فكلُّها   من كل حرٍّ ثائرْ

وكلُّها للغـدِ . . روضٌ عاطـر
وكلها للشعب . . نبـع زاخرْ
وكلُّها للعرّبِ . . فجر هادرْ . . .
على «فلسطين» له بشائـرْ ! !
مهما تَغبْ . . لابُـدَّ أن تبادِرْ ! !
وكلُّها . . . ضوءُ الصباحِ السّائرْ
بايَعْتُها للحقّ باسم «ناصرْ»

قيامة الثأر

«أنشدت على أرض سيناء الثائرة في المهرجان

القومي الذي أقيم في «العريش» من أجل معركة

الحق والحرية مساء ٢٢ مايو ١٩٦٧»

مشرَّدُونَ أبداً ..

وتائهون أبداً ..

مهما طلبتُمْ لخطاكمْ سكنَا ،

مهما نهبتمْ في سُراكمْ وطنَا ،

فالأرض تحت رِجْسِكم نارُ

وصمت قبرٍ ، همسُه جبارُ

وحين ينقَضُّ لديه الثأرُ

ستصبحون بدَدَا ..

محبَّــرون أبـــدا

وضائعـون أبـــدا

* * *

مشـرودن أبـــدا

وتائـهــونأبــــدا

ولعنة الأكوان تَجرى فى خُطاكم سرْمدا

ملء الدروب ، والغيـوب ، باغتتـكـم رصدًا

ينسَـلُ من أوزاركم ، من كل أُفْـق أو صـدًى

شبّتْ سَمُومٌ من حشاكم نارهُ

وجرعتكُمْ قبل «موسَى» عـارَهُ

وفرّقتكُمْ كى تـذوقـوا ثـارَهُ .

. فى ظلُماتٍ أنـكـرتْ من غيظـها وجودكم

وأنْشبـت فى الريـح من أصفادهـا قيودكُـمْ

تقذفكـم بويْلهـا ، وليلها للضَّريـر

فى القلق المنبوذ تحت ضيعة المصير

فى أمة مصلوبة على صدًى . .

وصوت ذل مستطيـرٍ ردَّدا . .

مشـتـتـون أبـــدا

مُـفَـتّـتـون أبَـــدا

• • •

مشردون أبـدا . . وأبداً مشردين !

مضيّعون أبدا وسرمدًا مضيّعين !

بكـل نـور شـعّ للإنسان ، كنـتـم جاحديـنْ

لكـل إلهـامٍ من السمـاءِ ، رحتـم ملسديـن

لكل نبـي أرسل اللـه ، ذهبتم منكريـن

عن كل شرع من نبى جاءَ ، لمتم معْرِضين

وكلُّ هادٍ مرَّ بالدنيا ، وقفتم نالقمين . .

«موسى» يناجى الله فوق سينا ،

وأنتـم للعِجل ساجدينـا :

محيّرين التّيهَ أربعينا

حتى نُسِختُم فيه أجمعينا !

وحين جـاءَ خاتَمِ الهُـداةِ

من التيهِ إلى الحياة ،

بذرتُمْ السُّمَّ على الراحات

وكنتم مزلفِ الحياتِ

لمن سرى للنور فى الآياتِ

فعاودتكمْ لعنة اللَّعَنَاتِ

وعدتُم للتيه و الشتاتِ

لا تبصرون فى الضلال أحدا

ولو تَخِذتُمْ كل إفك سنَداً . .

الكون فى طريقكم تهدَّدا

والناس صاروا لعنَاتٍ وعِداً ! !

ممزَّقون أبــدا

مطاردون أبــدا

• • •

مشـردون أبـــدا

مشردون أبـــدا

وتائهون أبـــدا

وفى يديكم لم يزل دم السماء ينزف الخطيئة

على تراب لم تزل أقدامه رغم الدجى مضيئه

مـشى عليـه عـاركم بخطوة أفاقة دنيئه

متاهة ، تُدنس طهرُ الكون من ارجاسها الخبيثة

وتائهــون أبـــــدا

وفى يديكم لم يزل دم السماءِ ينزف الخطيئَــهْ

على ترابٍ لم تــزل أقداسه رغم الدجى مضيئه

مشى عليه عاركم بخطوةٍ قاتلــة دنيئــه

متاهةً ، دنّس طهرُ الكون من أرجلسها الخبيثهْ

حطتْ بكم خيانـةٌ ستحصـدون ويلها

ونـوْبــة للتـيــه ، يـومـا تشربــون ذلّهــا . .

وتعبرُون دربَكُمْ على نعوش «بابل»

منذُ مراثى الذل تُشجى وخَـزَةَ السّلاسلِ

وأنتمُ فى كل أرض سيـرة القلاقلِ

والغـدر ، والضيـاع ، والشّـرور ، والبـلابلِ . .

على سمـاءِ المسجـد الأقصـى وفى محرابــه

وفى سفوح جبل النار وفى هضابه

وفى ضفاف دجلة والبأس فى عبابِه

وفى ثرى دمشق ، فى زمجرة لغابــه

وفى حمى النيل ، وهول النار فى شهابه

فى ثورة نكّستْ عَلام الرق من قبابهِ . .

قيامةُ الأحرار هبّت للفدا

لتدفن اللصوص فى غياهب الردّى

فيرجعون للمدّى

مشتّتين أبدا

مضيّعين أبدا

• • •

مشرّدون أبدا

وتائهون أبدا

مهما استجاروا . . فللجبرُ لعنة الأقدارِ

ولعنة الشعوب من سرّاهم الغدارِ

ولعنة السماءِ فى العشىّ والإبكارِ

ولعنة الذل . . رمتها قبضة الأحرار

. . يومَ يدق الهول باب تائهٍ مشردٍ مخذولْ

وتصبح الزنود كالرياح فوق تيه «إسرائيل»

تزفّها للتيه من جديد

ملعونةً في خطوها الشريدِ

وراية النصر بكفِّ الثائِر

تحدو ضُحاها عزمات الناصر

تشدو .. وتشدو أبدا

مشردون أبدا

وتائهون أبدا

وقالت حبة الرملْ

«من وحي رمال سيناء وقد عبرها الشاعر

يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ ، وهي تتوهج بنار

البطولة والنضال ، تأهبا للثأر .»

وقالتْ حبّةٌ للرّمْل ، مرّ بها كليم اللّهْ :

على شفتي ، سرُّ اللّعنة الكبرى لشعبٍ تاهْ

وظلّ يدورُ ، لا تهديه خُطوتُهُ

ولا تسقيه غير الذلّ حيْرتُهُ

وما زالتْ رياحُ التّيه في الدنيا تُشتّتُهُ ،

وكلُّ مقابر الأشباح ، والأرواحِ تمقتُهُ ،

تطاردُهُ بكلّ مكانْ

وتلعنُهُ بكل لسانْ

ولا تبقى له نزّها إلى إنسانْ ؛

يصافحُ منه ، غيرَ فحيح خائنةٍ . .

. . . تحس السمّ . . ثم تفوحُ شاكيةً له بَلْوَلَهْ ! !

• • •

سأحكيه . . لمنْ ؟ وجميعُ ما في الكون يعرفهُ ويَنْزيهِ

وما زالتْ شعلةُ الشمس بالأغنيات فوقَ الطُّور ترويه

وما زالت رمالُ التيه حوْلي للدجَى والريح تحكيه

وتعرفه خُطا الأبطال شبَّت نارُها بالموتِ ، تُفْنيه

وتُرجِعهُ إلى التشريدِ في الآفاقِ ، والذلّ الذى يلْقاهْ ! !

• • •

سأحكيه . لظلّ التين في «سيناءَ» والزّيتونْ

لينسَخَهُ لظلّى للتائه التبجّح الملعونْ

فيَحْرِقَ كلّ ما تركَتْهُ من دَنَس خطا صهيُونْ . .

. . على أرض ، تألّق نورُها الوهّاجْ

وخصّتها السّماءُ بقِبْلةِ المعراجْ . .

وكان ترابُها إصغاءةَ الومَضِ

تنفضُ عبيرهَ لسريـرة الأرضِ

وكانت برْزَخَ الدعَوات والصلوات والرسُلِ

فصيرها الأنذلُ مرتعَ الشذّاذ والهَمَلِ

وظنّوها لهم ولإفكهِم وطَـنَـا !!

ستصبحُ فى غدٍ لوجودهم كفَـنَا !

واسمعُ فى صدَى الصحراءِ صيْحة فارسٍ ينقَضُّ كالقَدَرِ !

تُزمجرُ فى سماء «القَـنْسِ» هـادرةٌ ليـوم عاصِـفِ النُّـذُرِ

يودِّبُ عارَ خطْوتِهم ، ويقذفهم لذلٍّ لا تقَرُّ خُطاهُ !!

ويرفـعُ رايـةَ الأحـرار فـوق مَصابِـح الشُّهُـبِ

تردُّ كـرامـة التـاريـخ والأيـام والعَـربِ !!

محمد لافي علـيها السيح

سيمحى إليهم زئير الرياح

«مثلها مكلفتة بالصباح . »

فلسطينُ . . جرْحٌ بصدر الصّحابْ
وحقدٌ يؤزّ الربى ، والهضابْ
وثقٌ يضجُّ على كلّ بابْ
سمعتُ بـه صولَـةَ الزاحفينْ
تذيب الأسى من جباه السنينْ
وصوتَ الجبابرةِ القائمينْ
ترددُهُ شهقاتُ الترابْ
وتشدو به خيمة اللاجئينْ ! !
فلسطينُ في الأرض كِبْرٌ جريحْ

وترنيمةٌ رنَّتْهَا السُّفوحْ

«محمَّدُ» لاقَى عليها «المسيحْ» . .

ورنّا إلى خطْوَةِ التائهيـنْ

رياحٌ للذلَّـة في العالميـن

وتيـهٌ للمَضَلَّة في الضائعينْ . .

ومهمـا تـواروْا بـزيـفِ المُسُوحْ

ستَسْتَلُّهُمْ نقمةُ الثائريـنَ ! !

* * *

سيمشى إليهم زئيرُ الرِّيـاحْ

مثَلها مكفَّنـةً بالصَّبـاحْ

تصبُّ بها الشمسُ فوق البطـاح

سوادٌ للصبـر على الغاصبينْ

وريـحَ الزوال علىَ الظـالـميـنْ

وتصعقُهُمْ فجأة الغاضبينْ

على وطَـنٍ تُـرْبُـهُ مستبـاحْ

ألمَّتْ به جِلْفَـةُ الضائعين ! !

فلسطين

سَيَظَلُّ يَنْهَشُ فِي عُرُوقِي ثَأْرُهَا

حتى تُكَبِّرَ لِلصَّبَاحِ بِيَارُهَا

حتى يَعُودَ اللَّيْلُ فَوْقَ تُرَابِهَا

أَشْلاءَ لَيْلٍ ، شَبَّ فِيهِ نَهَارُهَا .

حتى تَذُوبَ مَعَ الظَّلامِ خِيَامُهَا

وَتَعُودَ تَكْتَسِحُ الدُّجَى أَسْوَارُهَا . .

حتى يُدَاعِبَهَا الضُّحَى بِيَمِينِهِ

وَبِهَا يُفَكُّ مِنَ القُيُودِ إِسَارُهَا . .

حتى يُرَاقَ دَمِي عَلَى جَنَبَاتِهَا

وَبِهِ مِنَ التَّارِيخِ يُغْسَلُ عَارُهَا . .

حَتّى يُهلّلَ فرحةً شهَلوْهُا

لِلْبَعْثِ يَحْمِلُ فَجْرَهُ أحرارُها . .

حتّى يَبِيدَ الغاصِبُونَ بأرْضِها

ويَبيدَ طيَّ رُفاتِهِمْ أوْزارُها . . .

حتّى تُزَمْجِرَ بالفيالقِ حَومَةٌ

عَرَبيّةٌ لا يستريحُ أُوارُهـا

حتّى تَعُودَ إلى النّهارِ ، غريبةٌ

لِكتائبِ الأبطالِ تَظمأُ نارُها ،

ويُكبّرَ الجبلُ الخليلُ لِموكبٍ

تهفو إليه سهولُها وقِفارُها

ويَدُ العروبةِ في السّماءِ كأنّها

بشرى من الرّحمنِ عادَ مزارُها

فيها مع الأقدارِ مَوْعِدُ أُمّةٍ

غضِبَتْ ولَضْرَمَ ثأرَها ثُوّارُها

فيها مَصيرُ عِصابةٍ ، يَفْنَى المَدَى

والثّبـهُ كانَ وما يـزالُ شِعارُها :

فيها فَنــاءُ الغاصبيــــنَ ، وإنّـهُ

لَنهايَـةٌ للظُلْم حـانَ قرارُها

فيها فلسْطينُ الجريحـةُ أجْهشَتْ

بغضبَةٍ في البَغْي طالَ حِوارُها

فيها ليَوْمِ الزّحْـفِ غضْبـةُ ماردٍ

يُبْلي الطـغاةَ المعتدين شرَارُها . .

قُـلْ يا «جمالُ» . ونحنُ شلّالُ اللّظى

نحْـن المَنايـا جـُدّدتْ أعمارُهـا ! !

الوحْدَةُ الكُبْرَى طريـقُ نِضالِنَـا

للنّصْرِ . . مهْما كابـدتْ أسفارُهـا

سَنَسيـرُ نقتَحِـمُ العواصِفَ والدُّجى

مهما تكاثفَ حوْلَنَـا أسـتارُهـا

سَنَسيرُ نخترِقُ السُّدودَ ، ونَبْري . .

حتّى كهُوفِ الكَـيْدِ نحْـنُ دمارُها !

نَـهْوِي عليْها باتّحادِ صفُوفِنـا

فيَعُودُها قبـل اللّقاءِ خسارُها

شَقَّتْ «كِلُوباترا» التآمُرَ مثْلَمَا

شَقَّ المُحيطَ المُتْلهِمُ قنارُها

صَمَدَتْ لِحيَّاتِ المكائدِ أمةٌ

لِلْبأسِ كَلَّلَ كُلُّ حرٍّ غارُها

وقفَتْ لها كُلُّ العروبة وَقْفةً

جبَّارةً غنَتِ النِّضالَ ثِمارُهَا

فَسَقى لهــــا النَّصرُ الأبى ، وثابَ فى

فَشَلَ الدَّسائِس ما أرادَ حِصارُها ! !

وغـدا لإسرائيل غَضْبةُ زاحفٍ

بالهوْل يفْهَقُ بالْجَحيم سعُارها

غَضَبَتْ تـرابَ الأنبيـاءِ بِرِجْسِها

وهِىَ الَّتى أغْـرى بهِـمْ أشرارُهـا

ما زال فى خَشَـبِ الصَّلـيـبِ وقُدْسِـهِ

عارُ الجريمةِ نقَـهُ مِسمارُها !

أرْضُ السُّرَى والقُـدْس كيـفَ يدُوسُها

رِجْسٌ ؟ ويَخْفُـقُ فى ثراه منَارُها ؟

أرضُ النُّبـوّاتِ التى لـولا الضُّحَى

مِنْ كفِّها ، طَمَسَ العقولَ غُبارُها

كانتْ مَصابيحَ الوجُودِ . . وظُلْمـَةٌ

فى الغربِ يَحجُبُ كالخِضَمِّ مَنارُها

كانتْ نهاراً عالِماً   من حَوْلِهِ

لَيْـلاتُ جَهْـلٍ ما يُزاحُ سِتارُها

غـذَّتِ الحياةَ ونـوَّرتْ أرجاءَهـا

وعلى الضِّياءِ تفتَّحتْ أبصارُها

دارَ الزَّمانُ بِغَـدْرِهِ وبِبَطْشِـهِ

وطغَـى الدجَى وتألَّبَ استعمـارُها . .

وأتى الصَّباحُ . . وتلْـكَ آيةُ فَجْرِهِ

لِلعُرْبِ يَسْطَعُ فى الظلامِ نَهارُهـا

فى كُلِّ يومٍ للقُيودِ مَقابِـرٌ

ومَغـاوِرٌ يَهْـوِى بها فُجَّارُها

وقِيامةٌ تَشُدّ الدُّجَى عَرَبِـيـةٌ

فى الوَحْدَةِ الشمّاءِ هَـبَّ مَسارُها

يَحْنو مَقابِلَها ، وتحنو خَطْرَةٌ

عيْنٌ للسَّمَا ، وتُعينهُ أقدارُها

١٥ مايو ١٩٦٠

الخاطئة

عاريةٌ طافتْ بزُنّارِ
مُجلّل بالخزي والعار[1]
مرجومة النظرة .. في لحدها
تابوتُ أرجاس وأوزار
يشدّها التيه إلى لا مَدَى
يُرْخي عليها وهْمَ أستار
فلوْ سرَتْ كانت خطاً هارباً
من ندم في النفْس دوّار
ولوْ هفَتْ يوما على تائب
غنى له الاثم بقيثار

---

(١) من ديوان (الأبد) .

ولنسلْ فى تَوَهُّجِه عاصياً

يستلُّ فردوساً من النار . .

ولو رنَتْ للخُلْد . لم تُبْقِ فى

سمائه دَعْوةَ أبرارِ ،

إيماؤها يُخْزى صلاةَ الضحَى

لو شبَّها معبدٌ لَطار

ويُخْجِلُ الليلَ ، ولوْ ناغمَتْ

أناؤه اللهَ بأسحار

• • •

تاهتْ . . فلوْ سارتْ ، لكانت سُرَى

مصفَّداً فى وهْمِ أسفار

أنفاسها سم خيبائط على

جفنٍ شليل الكف محتار

ودَرْبُها غيْبٌ بلا شاطئٍ

يأويه فى لُجَّة أقدارِ

ترُجُّها اللعنةُ أنّى شكت

حيرتَها ، فى قلْب إعصارِ ،

فى غيهب ، سمّرَ فهدُ الدجى

في ليله المنتقم الضارى

فلا سماءُ الله منت لها

تهويمةً من طيف أنوار ،

ولا الثرى ، وهو احتضانُ المدى

والتيه ، واساها بأشبار ! !

بنتُ الخطايا السُود ، دارتْ بها

رحيق الآثمين الشرار

منْ غابرِ الدهر لها سيرةٌ

ضاقتْ بأوطان وأسفار

نهارُها يجترُ زيفَ الرؤى

فهوَ ظلامٌ فاسقٌ - عار

وَليلُها معصيةٌ جنحتْ

كالبوم فى أطلال أوكار . .

تنعبُ فى تجوالها مثله

على خراب شاردِ الدار !

* * *

ملعونةٌ تقتات من عِرْضها

تُوتَ الصدّى من أيّ مزمار

ونشرب السُّخْتَ على نشوة

يرّغُو بها إبريقُ خمّار

وتلمح الله على درهمٍ مقدّسٍ

اللعنة ثرثار

قالتْ : يداهُ – جلّ – مغلولةٌ !

غلّتْ يديها كفُّ جبّار ! !

وطاردتها لعناتُ الورى

بعاصفٍ كالهول دوّار

تلقى به في الذُّلّ أنّى مشتْ

ويلَ هشيم لاذَ بالنار

تلعنُها الأرضُ ترامتْ لها

في زاخرٍ بالحقد موّار

ينهشُ أمْن الروح في جنبها

من غيْر أنياب وأظفار

يلعنُها الأفقُ سوادٌ للفتى
من كلِّ أبعادٍ وأقطار
تخطو .. وترتدُّ على موجه
كـذرَّةٍ فى صدر تيار .
يلعنُها اللهُ .. فكم مُرْسَلٍ
كانتْ له تأويلَ كفّار ! !

• • •

تهالكتْ سيناء على تربها
لعلَّه يومضُ للسَّارى
فاطفأتْ كل سناً بالسنا
لاح لجوّابين فجّار
وعشّشت فى نلتها غيهباً
مستخفيا من غير أوكار ..
غنى لها موسى بألواحه ،
ونافخ الطور بمزمار
وكلّمَ اللهَ فأصغتْ له
ثاكلةً تُصغى لحفّار !
جبينهُ للنور .. وهى الدُّجى
يمعن فى تابوت أغوار ! !

وجاءَها عيسى بِرفْقِ الهُدَى

فلَمْ يزِنْها غيْرَ إصرارِ

وغيرَ تاريخِ صليبِ الأسَى

بِصبرٍ مِنْ لوْحٍ ومِسْمارِ

وأُنْزِلَ الفرقانُ نوراً على نورٍ

من الرحمن مُخْتارِ

فواصلَتْ كَيْدَ السما لعنةً

مَنهوبةً تبحث عن جارِ

ودارتِ الدنيا وفي غفْلة

نامَتْ على أجفان غدارِ

حطَّتْ على أرضٍ لها سجدةٌ

قد صارَتْ سجْدَةَ العارِ . .

وفي غدٍ . . أرقبُ خيلَ الضُّحى

تزْأرُ في غَضْبةِ أحرارِ

تدق بابَ العارِ تهوِي به

وترفعُ الراية للثأرِ

١٩٦٥

اللاجئون

«بين الخيام، والظلام، وهدير السيول في أرض الصحراء... وفي شتاء مقرور الرياح، مسعور العواصف. جرفت أمطاره خيام اللاجئين.»

١٩٥١

اللاجئــــون

« بين الخيام ، والظلام ، وهدير السيول في أرض العراء ..

وفي شتاء مقرور الرياح ، مسعور العواصف ،

جرفت أمطاره خيام اللاجئين(*) .. »

١٩٥١

بكى عليَّ الصَّدى واللَّحْنُ والوَتَــرُ

ولَمْ أزلْ لِعذَابِ الشِّعْرِ أنْتَظر

أوْمت إليَّ سواقيــه .. فقلـت لهَا

ماتَ الرَّبيعُ ، ومَاتَ العِطْرُ والزَّهَرُ

نُوري علَى نَوْحِك المهجورِ فِي أُفُقٍ

ناحَ التُّرَابُ علَيْهِ ، واشْتكَى الحَجَرُ

(*) من «نار وأصفاد» .

لاَ تَرْقبِى علَيْنا بالنَّأى ، لَوْ نَبِقَـا

تُعْطيك بعَضِ الهَوَى من شجوه الذِّكَرْ

وَلاَ تَظنِّى صَـلاَةَ الوَحْىِ آتيةً

إنَّ المُصلِّينَ بالإلهام قَدْ عَبَرُوا

إنَّا غَرِيبـانِ سَـاقَ الظُّلْمُ أنْعُمَنَـا

إلَى فِجَاجٍ بِهاَ يَسْتَوْحِشُ القَـدَر

فِى رِحْلَة لاَ تَعِى الأيَّامُ وجْهَتَهَـا

وَلاَ يتاحُ لَهاَ حِلٌ ولاَ سَـفَرُ

ولا ديارٌ ، ولاَ أهلٌ ، وَلاَ سكَنٌ

وَلاَ حيَـاةٌ ، وَلاَ عَـيْشٌ ، وَلاَ عُمُـرُ

كلَّنَا فِى خضَمِّ الرِّيح عَاصِيةً

من الغصون رمـى أجالَهَـا الشَّجـرُ

تَلفَّتِى . . هلْهُمْ فِى الأرْضِ إخْوتُنَـا

تَعاوَرَتْهُم خُطُـوبُ الدَّهْـرِ والغِيَـرُ

كانوا بأوْطانِهِم كالنَّاس . . وانْتَبَهُوا

فمَالَهُمْ مِنْ وُجُودِ النَّـاسِ إنْ ذُكِرُوا

مُشَرَّدُونَ بِـلاَ تيـهٍ . . فَلَـوْ طَلَبُـوا

تَجَدُّدَ التِّيهِ فى الآفَـاقِ ما قَدَرُوا

يَلْقَى الشَّرِيدُ فِجَاجَ الأرْضِ واسِعَةً

لكِنَّهُم بِمَدَى أنفاسِهِـمْ حُشِـرُوا

فى خَيْمَةٍ مِنْ نسيجِ الوَهْمِ ، لَفَّقَهَا

ضَمِيـرُ بَـاغٍ بمجدِ العُـرْبِ يأتَمِـرُ

أوْهَى وأَوْهَنُ حبْلاً مِنْ سِيَاسَتِهِ

لَوْ مَسَّهَا الضَّوْءُ لانْقَـدَتْ بِهَـا السُّتُـرُ

تغْـدُو الرِّيَـاحُ بِهَا نَشْوَى مُقَهْقِهَـةً

كأنَّـهَـا بِشُـقُـوقِ النَّمْـلِ تنْحَـدِرُ

أو أنها حِينَ تَـذْرُوهَـا سَنَابِكُهَـا

أضْغَاثُ شَيْءٍ تَلاَشَى مَالَهُ أثَرُ !

تهْتَزُّ إنْ نَاقَـتِ الأحْـلامَ صَفْحَتُها

بِنَسْمَـةٍ لِظِلالِ الخُـلْـدِ تَـأتَـزِرُ

وتَنْشِبُ الذُّعْـرِ فى الأوْتَـادِ هَارِبَـةً

في صَدْرِ ساكِنِها إنْ زَارَهَا المَطَرُ . . .

فكيفَ لانَتْ زَئيـرَ الصَّبْـلِ ؟ كيْفَ

غدَتْ ؟ ووَيْلُهُ كَنِبالِ المَوْتِ ينْهَمرُ

وأمُّهُ لَمْ يـدَعْ فى الدَّهْرِ ثاكِلَةً

فى جفْنِها دَمْعةً لِلثُّكْلِ تَدَّخَرُ

جفَّتْ دمُوعُهُمْ مِنْ طُولِ ما نَزَفُوا

فَجاءَ يَنْزِفُ عنْهُم كُلَّ ما سَتَرُوا

ويَنفخ الصُّور مِنْ بُوقٍ يَصُبُّ به

هَوْل العذاب فلا يُبقى ولا يذر

لعلَّهُ يَقْظَـةُ الأحْرارِ ، أرْسَلَهَا

أذانُ بَعْثٍ به قدْ واعدَ القَدَرُ

لعلَّهُ الصَّيْحة الكُبْرَى تَـدقُّ علَى

باب الجهاد ليوم أمره عَسِرُ ،

تلقَى بِـهِ عُصْبَـةُ الشُّـذَّاذِ آخِـرةً

علَى مدَاها نِشَابُ الغرب تنْتَحِر

ونمْحِى قصَّةً صـهْيـُونُ لَـفَّقَها

وكَمْ لِبُهْتَانِها مِنْ زَيْفِهِ صورُ

لعلّهُ الهولُ والرحمنُ أرسلَهُ

لِتستَرِدَّ بِهِ لَمِيجانَها مُضَرُ

لعلَّهُ عِزّةٌ جاءَتْ مجلّجِلةٌ

لكَيْ يصيخ إليها النائمُ الخَدِرُ

يا مَنْ لقومٍ علَى الأوحالِ يَنهشُهُمْ

غولُ الشتاءِ بريحٍ فَجْرُهَا عِكِرُ

ملعونةُ اللمسِ مَنْ مَسَّتْهُ راحتُهَا

عَضَّتْهُ أفعَى سَرَى مِنْ نابِهَا الخَطَرُ

إن لَمْ تُذقهُ الردَى هَوْناً . . . فرَحمتُهَا

لَنْ تَهْدَرَ السلُّ فيهِ ثُمّ تَنحَسِرُ

كانُوا عُراةً فَغطَى البَرْدُ أعظُمَهُمْ

والجوُّ خَفَّ لَهُمْ بِالموتِ يعتَذِرُ . . .

وكَبْكَبُوا فِي مَخاضَاةٍ يُشَلُّ بها

خطو الرياح ، وتنعى نارها سقر ! !

ما بين طفل تمد الراح نظرته

وأمه فى مطاوى النزع تنفطر

وَغَـادَةٍ تُمْهِلُ الأَقْـدَارُ فِتْنَتَهَا

فِي بَهْتَةِ الأُفْقِ لَمْ يُـدْرِكْ لَهَا خَبَـرُ

طَارَتْ وَعَادَتْ . . وَصَارَتْ فِي مَفَازِعِهَا

حَمَامَةً فِي مَـدَارِ الصَّيْدِ تَنْصَحِـرُ

وَطَيْـفِ عُرْجُـونِ شَـيْـخٍ فِي تَهَارِيـبِ

مَعَ الْعَصَا كَانَ شَبَحاً ، ثُـمَّ يَنْتَشِـرُ

أُسْطُـورَةٌ تُخْجِلُ الدُّنْيَـا حِكَايَتُهَا

بَلْ نِقْمَةٌ فِي حَشَا الأَحْرَارِ تَسْتَعِرُ

عَمَّا قَرِيـبٍ يَـدُ الْقَـهَّـارِ تُطْلِقُهَا

نَاراً بِهَا عُصْبَةُ الأَشْرَارِ تَنْـدَثِـرُ

وَنَسْتَـرِدُّ فِلَسْطِيـنَ بِهَارِقِـهَـا

مُرَفْرِفَاتٍ بِمَجْـدِ النَّصْرِ تَزْدَهِرُ

وَيَمْلِكُ الْعَـرَبُ الأَحْـرَارُ أَرْضَـهُـمُ

وَاللهُ أَعْظَمُ . . إِنَّ الحَـقَّ مُنْـتَصِـرُ !

خيمة البهتان(١)

لاجئ من عرب فلسطين الأحرار يستصرخ
أخاه العربي من وراء خيمته
١٩٥٢

أخي قدْ مزّقتْ ريحُ الدُّجى بيْتى وأيّامى

وسافتنى على الأرض بهذا الهيكل الدامى

وهذا الشبح المطرود فى هذا الأسى الطامى

ينادى : أين ملك الله تخبط فيه أقدامى ؟

وأين الأرض تحملنى ، وتدفن بعض آلامى ؟

وبعض خطاى فى هذا الدجى للتفجر الهامى

هنا في كبوة الأقدار بين السيل والويل

وبين عواءِ شيطان طريد الجن مختل

---

(١) من «نار وصلصال»

يفزع للرعود السود مأخوذاً من الهول

سمعت فحيح ثعبان على رئتيّ منسل

تدفق جسمه المقرور بين حفائر السل

وبين شتاءِ بستان يدفّهِ الموت مخضل

• • •

هنا في خيمة البهتان والطغيان والزور

لدى مأوى كلحد الميت في النسيان محفور

رميت كدعوة وقفت على درب المقادير

يصب التيه في خلدى خطا الظلمات في النور

فأشرب حيرتي وبكاى من كف الأعاصير

وأترك أدمعى الخرساءَ في صمت الدياجير !!

• • •

أخى . . . قد غال ذئب الجوع أطفالى مع الفجر

وبعثرهم جنون السيل بين مداخل الصخر

فلا أدرى لهم شجناً على نعش ولا قبر

كما كانوا هنا . . عادوا ، بلا سكن ولا عُمْر

ظللت أنوح . . . يا ربّاه ! بعض نداك للجمر . . .

فجاءَ الموت يَفْغَرُ فاه للظلمات والقفر !

* * *

سلوهم . . واسألوا ما شئتم الإسلام والعربا . . .

وكيف على تراب الذل لم يتمزقوا غضبا !

وكيف غدت «فلسطين» بهم تتجرع النوبا

تنوح على سلاسلها وتشكو القيد واللهبا

وهم لمذابح الطغيان ساقوا اللهو واللعبا

وقالوا : الشرق ! قلْت «صحا على أفواهكم كذبا

من خطايا التائهين

مَن هؤلاءِ ؟ لوّثوا الترابا(*)

وأشبعوا وجهَ الثرى عذابا

في كلِّ يومٍ يطرقُون بابا

ويفجأون الزمن المنسابا

فيمسخون الخُلد والشَّبابا

وينْكُلون سحرهُ الوثّابا

سيّان إن هُمْ نادموا الأترابا

أو عاشرُوا الوُحوش والذّئابا

سيّان يلقَوْن المُنى قِبابا

(*) عام ١٩٤٨

لو يرضعون حظها بهابا . .

صار الوجودُ حولهم سرابا

وسحرُه أضحى لهم عذابا

ونارُهُ صُبَّت لهم شرابا

فأينما حلّوا رأوا خرابا

وصادفُوا الهُمُوم والأوصابا

والغُمَّةَ الهوجاءَ والضَّبابا

ونِقمةً لا تعرفُ المتابا

ولا تذوقُ النعم الصِّخَابا . . .

وأينما طافُوا رأوا حِجابا

وظُلمةً لا ترفعُ النِّقابا

سدّت عليهم سبلها الرِّتابا

وضيعت في قلبها الألبابا . . .

سُبحان من فرّقهم شعابا

وقدَّر التيهَ لهم عقابا

ويلٌ لهم قد عبدُوا الترابا

والْهَوْا من الحصى أربابا

وقدّسوا من زيفه كتابا

وبعثروا صلاتهم أسرابا

في كلّ أرضٍ تنشد المحرابا

وترصدُ الدينار أين غابا

ولو طوت لمعته الشهابا

ودفنت في برقها السّحابا

الإثمُ من أجسادهم تحابى

وقبّل الأبواب والأعتابا

وشقّ عن مزاره الأثوابا

ومسّهُ تيهُ الهوى فذابا

• • •

مدّت فلسطينُ لهم رحابا

وأفسحت لضيفهم جنابا

فأترعوا السمّ لها والصّابا

وحيّروا في أمرها الألبابا

أمضت إليهم سيفَها الفلاّها

فسلقتهم فى نارها أحطلها

سيصبحُ التيه لهم ركابها

ويتركون الله والأعرابا

فـي عـــام النـكـبـــة

مع صحوة الشرق وصيحة النفير لتحرير فلسطين

عام ١٩٤٨

تعالوْا بعدما شهر الكفاحا

لنسكبَ فوق هامته الصَّباحاَ

ونعصر من جوانحنا رحيقـاً

يرشُّ له للواكب لَين رلحا

ونحشدْ عزةَ التاريخ نـوراً

يقبِّلُ فى سواعده السلاحا

صحاَ . . والمجد صاح به ، قلبى

وهبَّ يزلزل الدنيا صياحا

صحاَ . ولكل ساكنة هبوبٌ

يروعُ الدهرَ لو تركَ الجماحا

صحاً . وعليه للتاريخ سرٌ

لغير ضحى المعارك لن يباحا

ودرْعٌ فى الصدور الشم عاتٍ

لغير ضحى المواكب لن يتاحا

صحا . . والشرق فى فلك جديد

يدورُ على مضاجعه رياحا

ويوقظُ كل نعسان . ويمضى

لغفلته فيكسحها اكتساحا

وما كانت به سِنةٌ ولكنْ

هى الدنيا تريدُ له الطماحا !

تلفَّت حولَهُ فرأى عويلا

وقدْساً للفجائع مستباحا

وارضاً شعَّ نور الله فيها

يسيلُ فضاؤها الدامى نواحا

ويُذْبحُ طفلها بيدَىْ طغاة

مشوْا فى الأرض بغياً وافتضاحا

لظل الشرقُ حيرتهمْ ، فمروا

على أفيائه نخوته وَقاحــا

أضلهم الإله . . فكيف جاءوا

بضلتهم يريدُونَ الصلاحـا

وكيف . . وضاقت الدنيا عليهم ،

بنوْا للتّيه أرْوقةً فساحــا ! ؟

تلفّتَ قلبُ مصر إلى الرزايـا

تصب على عروُقِه جراحـا

وما كـادَ النفيرُ يصيحُ حتى

رأينا الجيش يقتحم البطاحا

بزمجرُ فى السهول كأن جنًا

تجـانبهُ التوثّب والمراحـا

وبزأر فى المسير كأن بوقاً

من التاريخ جـاوبهُ فصاحـا

وهلل للقتال ، كأنّ عيـداً

وأعراساً ترف له صبَاحـاً

تذكرَ خيلَ رمسيس ، أضاءتْ

سنابكها دُجى الدنيا قِباحا

ورنَّ بسمعه للماضي ، فحيّا

وكبر للمنيَّةِ أين لاحا

وقدمَ للصراعِ ، فقلتُ بحرٌ

منَ الأهوالِ أقسم لن يزاحا !

تنيقُ الأرضَ خطوتهُ عناها

وتسقي الجو خطرتُه جراحا

وينفذُ في العباد كأن حتفاً

وأقداراً تسدّدُهُ رماحا

كأن جنوده أطيارُ غيبٍ

ونصرُ الله مدّ لها الجناحا

مضى للظلم يخترق البطاحا

ويسبق في توثبه الرياحا

ويجتاح البلادَ كأن وعداً

بمصرعها - على قدميه - طاحا !

تراوغهُ السهوبُ فيذْريها

ويرشقُ في مقاتلها السلاحا

ويرْمي الموت أين سرى ، سواء

لديْكَ الليل أم نهض الصباحا

بصاعقةٍ تَشُقُّ لها خطاها

يدٌ لليأس لم تخفضْ جناحا

نمتْ عربيةُ الماضي خطاها

وأرْضعتْ المخاطرَ والكفاحا

وأشربت القتالَ ، فلوْ أتيحتْ

لها الدنيا ، لما تركتْ براحا

لغير السيف لم تخفق غراماً

وغير الهوْل لم تعشقْ ملاحا

مضوَّأةً بسحر الشرق حتى

لتعشى دارةَ الشمس التماحا

سقاها منْ ضفاف عبٌ منها

حداةُ الدهر وانطلقوا رماحا

(٭) هكذا المتن .

وهبُّوا والبريةُ فى ظَـــلام

يغشّى الأرضَ أفئدةً وساحـا

نبا أجنــاد مصـر - وذاك بعثٌ

أعيدوا مجْدَ واديكمْ كفاحـــا

ودكـوا الناثهين وفى رباُهــمْ

أديروا للنصرَ أقداحاً وراحـــا

وما صـقلَ الشعوب ولا جلاها

ولا أسقى مواردها الفـلاحـــا

سوى نغم الجيوش وقد ترامتْ

لنار الحرب تمتشقُ السلاحا

إلى ضمير الإنسانية

زفـــرة على فلسطيـــن الداميـــة

«دمع صرخة فلسطين وجراحها الدامية بعد

الغدر الانجليزي عام ١٩٣٧»

صوتٌ بأرض القدس مشتعلُ الصدى[1]

كانت لـه الأكبـاد أنْ تتوقـدا

لمـا تأوّه صارخـاً بين الورى

أسيانَ يرزم تحت نيران العـدا .

جزع «المسيح» له ولولا طهره

ما مدّ للرحمات كفاً أو يدا .

---

(١) هكذا أغنى .

رهبانهُ في الغرب منبعُ حكمةٍ

ما غلّقتْ يوماً لملتمس الهدَى

رشفوا من الإنجيل فيضَ رشادِهِ

وتخشّعوا حوْل الهياكل سُجّداً

وشدوْا بملحمة السلام ، ورتّموا

مزمورَهُ للكون خلّاب الصدَى .

لكنْ شعبَهُمُ أثار عجاجةً

في الشرق طافحة بأهوال الردَى

فإذا التعاليمُ التي هتفوا بها

من سَوْرَة الأطماع قد ضاعت سُدَى !

وإذا بلحن السلْم بين شفاههمْ

عصفتْ به شهواتهم فتبدّدا

يا يومَ «بلفور» وشؤمكَ خالدٌ

ما ضر لو لخلّفت هذا الموعدا ؟ !

عاهدتَ أعزالَ الجسوم ، سلاحهُمْ

ما كان إلا الحقُّ صاح مقيّدا

وتركتَهُمْ رهــن المطامع تبتغى

منهم على حُــرٍّ المواطــن أعبُــدا

ثاروا بأرض الله ، ثــورة عاجز

سمع القـوىُّ شكاتــه فتوعّــدا

هاجوا على الأصفاد هبجـة ناسكٍ

زحمتــه آثام الصبــا فتمــرّدا

ضجُّوا على «نابلُس»(*) حتى كاد من

صخبِ الأسى والحزن أنْ يتنهَّدا

عجباً ! يكاد الصخْــر يدمع رحمةً

لهمُ ! وقلــبُ الآدمىِّ تصلُّدا

ومعالم الإســلام بيــن ربوعهمْ

كــانت تزمجــر لهْفَــةً وتوَجُّدا

بسطت إلى قــدم النُّزيلِ رحابها

فبغَــى على قسماتها وتــهــدّدا

وهــو الذى لولا نعيم ظلالها

(*) جبل نابلس .

لمضىّ على كتف الوجود مشرّدا !

تخنوا الرصاصَ شريعة قدسيةً

وتلاشف الأرواح نهجا مرشدا

لم يرهبوا التاريخ فى استعمارهم

أنّى سطَـوْا ، وكنْزوه . . أروعَ سيّدا

لطُموهُ فى القُـدْس المحـرّم ، لطمةً

كانت لها الأجبال أن تتهدّدا

مهْدُ الشرائع من قديم ماله

لضّحى لأحرار البرية موْقدا

فى كل مُرْتَبع ، وكل حنِيّة

تلقى صريعا فى التراب ممدّدا

هانتْ على البطل المجاهد نفسُـهُ

فسعَى لخوض الموت يطلب موْردا

ألقى إلى اللهب المسعّر رُوحَهَ

وكذا يكون الحرُّ فى يوم الفدا ! !

* * *

الله في وطن النبوّة ! ! نال من
شرّه الطغاة اليوم حظّاً أنكدا
الفتنة الشعواء هاجتْ قلبه
لم تُبْقِ فيه كنيسةً أو مسجدا
شرعتْ من الرّقّ البغيض سلاحها
تتفرّع الأقدار إمّا جُرّدا
والشرقُ ! ويح الشرق ! نام أُسودُهُ
عن ثأْرٍ في «القدس» ضجّ وأرعدا
شلّتْ عزائمهمْ ، ونامَ جهادُهُمْ
وتصرّعوا في كل مهدٍ هُجّدا ! !

لحن من النار

١٩٦١

مَهْدَ البُطولاتِ ، أرضَ العَرَبْ

أرضَ العلا من قديم الحِقَبْ

ضجَّتْ من الثأر نار الدماءِ . .

هيّا نشُقُّ إليه اللَهَبْ

زاحفين ، عاشقين للحمى

رافعين صوتنا إلى السَّما

هزَّتْ فلسطينُ حُرَّ النداءِ . .

هيّا ولبيكِ أختَ العَرَبْ ! !

• • •

نحن من النار في كل فم

دوت أناشيدُهُ بالقسَمْ

مهما تَراَمَى عليكِ الظلامُ

إنَّا سنغدو لهيبَ القِمَمْ

ناسفين من طريقكِ الردى

عاصفين كالرياح بالعدا

فجرٌ ستنشقُّ عنه الخيامُ . .

والليلُ يطويه نورُ العلَمْ ! !

* * *

فجرٌ على القدْسِ ضاحي السَّنَا

هزّتْ له النصرَ أعلامُنَا

نمحو به من تراب الوجودِ

ثأراً تُغنّيه آجالُنَا

راجعينَ كالرُّعودِ للوطنْ

قاهرينَ كلَّ أسوار الزمنْ

يومٌ يُناديكِ عبْرَ الحدودِ

عادت لأحرارها أرضُنَا ! !

تكبيرة الزحف

مع أرض العراق فى ذكرى أول ليلة

دنست ترابها أقدام صهيون(*) ..

وفى ليلةٍ فجرها فى السفوح ،

ظلامٌ يغنّى ، وضوءٌ ينوحْ

وفحٌّ المنايا على دربها

سكونٌ شقىٌ وأشلاءُ ريحْ

وأشباح رقص ، لئيم الظلال ،

توهج فى كل أُفقٍ جريحْ

تململَ فيها زوالُ القبور

وكاد البِلَى عن شجاه يَبُوحْ

* * *

(*) من كتاب قوسين .

سمعتُ بها غضبَ الأنبياءِ

مزامير ويْلٍ عتيّ صداهْ

وأبصرت ألواحهم في الفضاءِ

محاريب تصرخُ فيها الصلاهْ

وتسبيحةً من ضفاف السماءِ

يصبُّ على الأرض سخطَ الالهْ

ويرمي عليها دخانَ الشقاءِ

أعاصير حقدٍ تهزُّ الحياهْ

• • •

تلاطمَ فيها عويلُ الهبوب

وضجّتْ بها شهقاتُ القدرْ

ولاحت مآذنُها في الظلامِ

وقد أنهلتْها عوادي الغيَرْ

سواعدَ مشلولةً في الفضاءِ

تجمّدَ فيها دعاءُ البشَرْ

تمدُّ إلى الله راحاتها

وتزأرُ في صمتها المستمرِ !

• • •

هنالك والنبعُ ساهٍ ، حزينْ

كحلمٍ تخطّاه صحوُ الجفونْ

رأيت الخطايا عرايا تسير

وتنسلُ من أعينِ التائهينْ

وتزحفُ حيّاتُها في الدروبِ

لتنهش بالنّبه ظلّ السكونْ

وتنثرُ فيه عواءَ الرياح

وتسقي أعاصيرها بالجنونْ !

• • •

بقايا من الذّلّ في كل أرضٍ

يحرّكها النّبه أنّى يشاءُ

ويدفعها البغيُ في راحتيْه

ظلاماً مهينَ الخطا في الفضاءْ

تنصلُ منها تراب الوجود

ولم يبْقَ فيها لخطوٍ رجـاءْ

فكيف استبدّتْ بغايا الحظوظ ؟

فألقتْ بها فوق أرضِ السماءْ !

• • •

تلاقت شرانحُهـا عنـد سفحٍ

تزمجر لعنتُهـا فى حصَاةْ

وتجـارُ فيـهِ توالى الكرُومِ

وتعصرُ نيرانهـا للسُقاةْ

ويصغى لها جبلٌ . كم صغتْ

لمَسْرَى النبّوات يومـاً ثُرَاهْ

تنفّس من دنّس الـواغـلـيـنَ

لهيباً إلى النار يهوى لظـاهْ

• • •

تللتْ من غمَـراتِ الظـلام

ومن عـارِه فى جبينِ الوجُودْ

فأبصرتُ فجراً عنيدَ الضياءِ

تزمجرُ أضواؤهُ بالرعودْ

وتزحفُ راياتُه بالدِّماء

لتجرُفَ بالهولِ كل الحدودْ

وتغسلَ بالنور . ملوَّثةً

خطا التائهين بأرض الجدود . .

غداً يزأرُ الليلُ من حولهمْ

ويرتدُّ فيهم ضلالُ السِّنينْ

ويكتسحُ الفجرُ أيامهُمْ

بيومٍ يكبِّر للعائدينْ

وتخفقُ بالنَّصر هالاتُهُ

على كلِّ دربٍ سقاه الأنينْ

فلسطينُ ! حانَ شروقُ الصَّباحِ

ودوَّى أذانُك للزَّاحفينْ ! !

١٩٦٤

رايـــــة العـــــــرب

كم سقيْنا بالدم الغالى ثراك

ومع الأجيال سرْنا شهدك

١٩٦٥

فى طريق الشمس عودى ، واعيدى

عزة الشرق ، على وجه الوجود

وارحفى بالنـور والنار على

صرْخةٍ للثـأر فى باقى القيـودِ '

• • •

من قديم الدهر حياك الالهْ

وبصوت الوحى نادتكِ سماهْ

واصطفى أرضكِ من بين الثرى

فحبتّـها بالرســالات يـــداهْ

بسناها شعّت الدنيا هدىً

ويها ثارت على الذُّل الجباهْ

ومضت تسقى الليالى من ضُحاها

وتُذيب الرِّقّ من وجه العبيد !

• • •

فى ظلام الدرب فى الماضى الطويلِ

كم حضنتِ العهد جيلاً بعد جيلِ

ومحا خطُوكِ فى إصرارِهِ

من طريق الفجر ، ليلَ المستحيلِ

وضربت السير ، حتى سطعت

شمسُكِ الكبرى على كلّ سبيلِ

وتلاقى الأهلُ بالأهلِ علَى

صبْحةِ الحقّ لأحلامِ الجدودِ !

بصباح الوحدةِ الكبرى الأبيَّهْ

عنْتِ من حلْم الليالى العربيّهْ

مازلت بالنور في كل ثرى

لم تزل فيه من الليل بقيه

وعلى كل ترابٍ ، لم تزلْ

فيه للغرب بقايا الهمجيه

واستمرّي حرّة الخطو ، إلى

أن ترىْ شمسكِ عادتْ من جديدِ !

• • •

كم سقينا بالدّم الغادي ثراكِ

ومع الأجيال سُقْنا شهدكِ

ويدُ الله على كلّ يدٍ

تزرع الفُرْقةَ ما بين خُطاكِ

طال فيك البيْنُ ، حتّى أنْتتْ

ساعةُ الجمْعِ . فدقّتْها يداكِ

والتقيْنا أمّةً واحدةً

تعبر الأيّامَ من غيرِ حُدودِ !

• • •

فإنا شارفتِ أرضاً . زمجرَتْ

ظمأً للفَجْرِ من قلب الخيامِ

فارشُفِيها بشُعاعٍ مؤمنٍ

يستردُّ النُّورَ من أعتى ظلامِ

وينُيبُ العارَ . أنّى خطرَتْ

لرؤاهُ حسرةٌ فوق الرُّغامِ

وضُحى المِعْراجِ يمحُو نَمْعَةً

لم تزَلْ تصرخُ في القدْسِ الشهيدِ

وحـــدة المســيـــر

على طريق الزحف فى كفاحنا الكبيرْ

بروحنا وبأسنا نجـدد المسيـرْ

• • •

محطم السـدود من طريقنـا

ونضـرم الكفاحَ من عـروقنـا

ونبعـث الحياة من شروقنـا

لـربـةٍ عـتـيـة الجـذور

• • •

كفاحنـا فى كـل يـوم صاعـدْ

تعلُو بـه الجباهُ والسـواعد

وعزمُنا فى كل أرضٍ شاهـد

بما سيبقى آيةَ العصور

• • •

إيماننا لا يعـرف المحالْ

وبأسُنا لا يعرف الكلالْ

وشمسنا لا تعرف الزوال

ولن تَحجُبْ نورها الدهور

• • •

من كل نبض فى دمانا ثائرِ

وكل عزمٍ فى خطانا قاهرِ

وكل لمحٍ . من جبـين ناضرِ

شـدّتْ قولنا وحدةُ المصيرْ

• • •

على النضال كبُرتْ ليلمنا

وللشهداءِ ابتسمتْ أعلامُنا

لابدّ   ما ترهد لأحلامُنا

يأتي به صباحُنا النضيرْ !!

١٩٦٦

إلـى الأمـــام يـــا عـــرب

٨ يونيه ١٩٦٧

إلَى الأمــام . . خطونــا . . إلَى الأمَــامْ

إلى الأمام زحفنا إلى الأمام

إلى الأمام واسحقوا العدوان

إلى الأمام واسحقوا الطغيان

• • •

إلى الأمام . . واضربـوا . إلى الأمام

وحطموهـم . . واضـربوا . . إلى الأمام

صبُّوا عليهم غضبةَ الأحرار

شقوا خطاهم باللظى والنار

فى كـل شبـر ، فى الرمـالْ . .

فـوق السهـول و للجبـال

شـدّوا عليهم . . ولضربـوا . . إلى الأمـام

وحَطّموهـم . . واضربـوا . . إلى الأمـام .

• • •

الله ، فى صـف القتال . . يرجـم

يَسقيهمُ نارَ الزّوال . . منكمُ

من كفكُمْ ، من باسكُمْ ، من جُنْدكُمْ

من جُنْدِهِ من السّماءِ فَوْقَكُمْ

شدّوا عليهم واضربوا

وبـددوهـم واضـربـوا

• • •

الثأر نادى ، فازحفوا إلى الأمام !

والحق نادى ، فاقصفوا . . حَشْد الظلام .

مهما أمدّتهم خطا الطغيانْ

أو ساعدتهم عصبة الشيطانْ . .

فالله ، يحدو النصر فى صفوفِكمْ

والله يلقى البأس فى كفوفِكُـمْ . .

فى كل أُفـق يمّمَـتْ زحوفُكُـمْ . .

وزمجـرت فى زحفها جيُوشكـمْ

ليُهْلـك القـادرة الأثيمـَـهْ

ويقذفَ الدمارَ والهزيمهْ

لعصْبَةِ ، الضَّلال ، والجريمه !

سيـروا بنصر الله للأمام

إلى الأمام ابداً . . إلى الأمام

صبـرا . . عليهم لعنـة السَّمـاءِ

بالمـوت بالدمار بالفنـاءِ

فلن تعودَ النـارُ عنهم أبـداً

حتى تعود حرَّةً أرضُ الهُدَى . .

الديـــوان
التاســع

صـلاة ورفض

رَفْضُ الهَزِيمة

«أُنشدت في مهرجان الشعر العربي

الثامن بالقاهرة ١٩٦٨»

. أرفضُ أنْ أتوَهَّمَ نعشَ خيالٍ ،

. عبَرَتْ فيه !

. أرفضُ . . حتى صوتَ القدَرِ ،

إذا ما انحدَرَتْ من أيديهْ !

. . أرفضُ . . خطوَ العُمْر ،

إذا لم تُصبحْ عدماً ، لا يدْريهْ !

. . ترفضُ روحي ، كلَّ رؤاها

يرفضُ زَمني ، أنْ يحياها

يرفضُ صمتي ، همسَ صداها

يرفضُ غضبُ النّاي سُراهـا

.. يرفـض وهْمي لن يتمـثّلَ ،

طيفَ لسّي منهـا يُخـزيـهْ !

.. يرفضُ انْ يلقاها شبَحـاً ،

ريحُ اللعنـةِ لا تطـويـه !

يرفـضُ وتَـري لنْ يعـزفَهـا

يرفـضُ خلَـدي لنْ يعـرلهـا

وإنا قـدرٌ ، ناسـي الخطـوة ،

مـرْ علـيّ ، ومَسّ اسـاهْ !

وغـدا قـدرٌ .. كانَ بصـدريَ

صـدُّ زوالٍ ، لـوْ لاقـاهْ !

ودَنَتْ مـنّي لقعَي التّيـهْ ! ..

هتفْـتُ ، وامسِي لا احكيـهْ :

ارفضُ لنْ اتوهّمَ نعش خيالٍ عبرتْ فيه !!

ترفضُ مثْلي ..

.. أرضٌ سمعت نجوى الله على شفتيها

أصغتْ ، ورنتْ ،

ثـم أضـاءتْ حلكَ الـدنيـا ، من خلفهـا

ثم تهادى خطوُ الرُسُلِ ،

يُغنّونَ نوراً بينَ يديْها

عانـقَ فيـها كـُلُّ نبـيٍ مـرُّ أخـاهْ .

وغدتْ كلُّ حصاةٍ فيها ، قُدْس صـلاهْ ..

حين أتاها حادي النـورِ ،

يشقُّ ضُحاهْ

.. فـوق سفـينٍ ، عبـرتْ لُـجَّ الغـيبِ ،

وطارتْ دون شراعْ ، ،

غير نداه الأفُقَ الأعلَى

سبّح في يُمناه شعاعْ ..

فـدنـا منـه ، وشـرب الحـقَّ من الآيـاتْ

ومضى يُنقذُ وجـه الأرض من الظلُمـاتْ

كلُّ ظلامٍ مرَّ عليه ، توهّج نوراً منه ونابْ

غيرَ وُجوه ابت اللعنةُ ملء نُجاها ان تنسلبْ
حملتْ حقدَ الكونِ وسارتْ ،
تَئِدُ الطهرَ بكل ترابْ
ثم رماها التّيهُ . .
فألقتْ عارَ خُطاها فى المحرابْ !
مهما نهبَتْ مِنى ، مهما ،
بنتُ الغدر . . ولا اروِيهْ !
ارفضُ . . ان اتوهّم نعش خيالٍ عبرتْ فيهْ ! !

● ● ●

ارفُضُ . . نورَ الشمسِ ،
إنا احلامى لم تقْطِفهُ شرارْ
وتجرّعهُ غضبَ العزّة ،
وتُلَقّنُهُ حقدَ النّارْ . .
وتجسّدُهُ فوق سماها ،
بفتّة هولٍ ، فى إعصارْ . .
كلُّ زمانى فيه يَدُورْ

كـلُّ وُجـودىَ فيــه عبــورْ

كُـلُّ دروبـى فيــه سَعيــرْ

كلُّ كيـانى فيـه اسيــرْ . .

كلُّ المـاضى . .

كلُّ الآتى . .

كلُّ حيـاتى قيّـدَ خُطــاهْ . .

. . حتى يسَحَقَ هذا الليلَ ،

ويهْلِـكَ فى جـنبّى نَجــاهْ !

. حتّى يورقَ فى مسْـراه ،

صوتٌ ، كَبِّلَ فيـه صـــداه ،

فى مئــذنةٍ . . .

وقفتْ تَجْأرُ فى الظلمات بلا كفَّيْنْ

لا تسْبيح ،

ولا ترتيل ، يعجُّ به ثانى الحرَمَيْنْ

ذُبحَ النورُ عليه ،

وعاد رُفاتَ دعاءٍ من شفَتَيْنْ

وغدا الرّجسُ ،

يدوسُ ثراهُ ، وينهش فيه بالقدميْنْ

.. مهمـــا نتّس باغ فيــــهْ :

مهمـــا تجـَرت أمُّ التيـــه ،

ارفُضُ .. حتى ان أتوهّمَ نَعْشَ خيالٍ ..

.. عبرَتْ فيه !!

• • •

برفُضُ شيْءْ .

ظلَّ يغنّي فوق جبيني طولَ العُمُرْ

ثوّبَ كبْرَ الشمس ، وثاب ،

فأنبَتَ فيـه إبـاء الـدهـرْ

لمـعَ النّجْمُ ، وشـاب سَنَاهُ .

وكـل شعـاعٍ منه يمـرْ ...

خلقَـتْ منــه صلاةُ البيــدْ

ألفَ لهـاةٍ ، ألـف قصيـدْ

تبْدِيءُ منــه ، ثـم تعيــدْ

هبَ العزّةِ فى التّفريدْ ! !

شىء . . منه انتفض الأمسُ .

وشقّ حشاىَ على سكّينْ

واتى يزْأرُ فى شفتيْهِ ،

قسمُ الثار بالف يمينْ :

. . لنْ اتركها ، وخزّةَ عارٍ فىّ لعينْ ! !

لن اتركها . . . يطرق منها اىُّ جبينْ ! !

ترفض ارضى . .

ترفض عِرْضى . .

ترفض كبْرٌ فىّ طعينْ ! !

يرفض وجْهى

يرفض لهبٌ تحت جراح القلب دفينْ ! !

يرفض كلُّ وجودٍ حوْلى ،

كلُّ حراكٍ ، كل سكونْ ! !

يرفض لن يحياها قدراً . .

لم تسحقْهُ رياحُ جنُون ! !

حتى يصَّعَقَ يومُ الثارِ ،

خُطاها السُّودَ بكلِ بنيهْ !

حتى ينفُضَ حقدُ الرمْلِ ،

صدلها الآثمَ من ايديهْ . . . .

حتّى يرفعَ وجْهُ القُدْسِ ،

أنانَ النَّصْرِ إلى حاميهْ . . . ،

. . لرفُضُ ! !

. . حتَّى لنْ نَتَوهَّمَ نعش خيالٍ

. . عبرَتْ فيهْ ! !

٢١ / ٤ / ١٩٦٨

السَّلاَم الذِى أَعرْف

«القصيدة للشاعر في مهرجان الشعر الدولي المنعقد صيف ١٩٦٦ بمدينة «استروجا» بجمهورية مقدونيا (يوغوسلافيا) مثّل فيه الجمهورية العربية المتحدة، مع شعراء العالم من دول الغرب والشرق»

.. من الشرق .. جئتُ
ومن كل أرضٍ أتيتُ
ولستُ نبيًا على كفّهِ تسطع المعجزاتْ
ولا مُرْسلاً في يميني كتابْ
يُضيءُ الوجود، بآياته البيّناتْ ..
ولا حاملاً شُعلةً في يديّ
تدقُّ السّماءُ بها كلَّ بابْ ..!

. ولكنني . . ؛ مِنْ دُروب الحياة انطلقَتْ ،

ومِنْ كـلِّ جـُرحٍ لإنسانِهـا قـد سـريَتْ ،

ومن كـلِّ وجْهٍ تضجُّ بـه صلواتُ العَبيـدْ ،

ومن كلِّ ساقٍ توَّجُ بها وخـزاتُ القيُودْ ،

ومن كلِّ طرفٍ به الزهر تنبتُ فيه القبورْ

وتُصلَبُ فى عطـرِهِ نغمـاتُ الزُهـورْ . .

ومن كـل طِفْـلٍ . .

مع الموت يرضَـعُ نـدى المشـانِقْ

ويحتْضِنُ الذعر بين الخنـادِق

ويبحثُ عن أمّه فى رفـات الضّحـايـا ،

وفى نظراتِ المشانِقْ . .

ليلْهيه عنها عناق الشّظايا ،

وضمُّ الحرائِقْ ! !

. . ومن حسرة الرِّيح ،

وهى تقُصُّ احتجاجَ السّنابلْ

ونوْحَ الهشيم بِحدِّ المناجِلْ

وتُكَحّل النسيم بسحْرِ الجداولْ

وترْوي لماها ، بدمعِ الفَراشِ ! . .

يُؤبّنَّ مَوْتَى زهورِهْ !

وحُزْنَ الطيور على عشّها ! . .

في مهاوي مصيرِهْ !

. . ومن كل صوتٍ ،

بحقّ الشعوب يُسلّي المنابرْ

وفي راحتيْه ،

من الظلم . . يهدرُ صوتُ المجازرْ

ويعصرُ من أدمع الكادحينَ الرّحيقْ

ويمتصُّ ، يمتصُّ . .

حتّى رفاتَ العروقْ . .

ويسرقُ من أوجه الطيّبينَ ،

شعاعَ الطريقْ

ومن صَحْوَةِ الثائرينَ ،

اتّجاه الشروقْ !

ويُرخي على وجهه ألفَ ستر صفيقْ
لينشبَ أظفارَه في الظلامْ
وينهشَ من كل قلبٍ حنين السلامْ
ويجري بـ"نزوته" في الضحايا ،
يسوقُ الجياعَ ، حفْلةً ، عَرايا . .
وباسم الحضارة يبكي عليهمْ . .
وبالغوث يهذي ، ويجْري إليهمْ
يَمُدُّ لهم فضلَات الموائد ، حوْلَ الخيامْ
وهم من شقاءٍ ، وبؤْسٍ ، بقايا حُطامْ
يضجُّ الوجودُ بكاءً عليهمْ !
وأغلالُه صدئتْ في يديْهم !
ويمع الرياء ، رحيقٌ من الظلْم غـامِرٌ
تُفتِّحُ بالزَّهْر فيه ،
نُعوشُ الضمائر !
. . ملْحٍ على الأرضِ . .
يلهُو صدامًا بحقِّ المصيرْ

ويَخْجَلُ منها حياءُ العصورْ

تلهّى بها مستبدٌ ، وقاتِلْ

وباغٍ بكفّيهِ شدُّ السَّلاسلْ

وترنيمةٌ فوقَ ثغرِ الشِّفاهْ

خداعُ السياسةِ فيها صلاهْ

تناجوْا بها في صدورِ المعابدْ

وفي حلقاتِ الموائدْ

أباريقَ . . تُسْكِرُ حقدَ الطغاةْ

وتذبحُ باسمِ الحياةِ الحياةْ

على ثغرِها مِنْ وجودي خجِلتُ

واشتعلتْ نفسي . وطِرتُ

جناحايَ . . نارٌ . .

على كلِّ ظلمٍ . .

من الأرضِ يَسْلُبُ حقَّ الحياةْ ! !

ونورٌ . . لِكلِّ سلامٍ . .

إلى العدلِ تَمشي خُطاهْ . .

منَ الشرقِ جئتُ

ولستُ نبيًا . .

ولا مُرْســـلاً لي بيمينـي كتــابْ . .

. . . ولكنّني . .

مِنْ ضمير الــوجــود انسلَلْـــتُ

ومن كل جَوْرٍ ،

وبغْيٍ على حقِّهِ ، قــد غضِبْـــتُ

ومن كلِّ قهْرٍ

لإنسانِهِ الحرِّ ، ثُرْتُ !

ومن كل نهْرٍ !

لصوتٍ أسيرْ

تلاشَى حَــوالَيْهِ صَــوتُ الضَّميــرْ !

ومن كلِّ أرضٍ . .

عليها يدُ الشر . . سلّطها مستبدُّ

وأرضٍ . .

عليها من القهــر . . حــرٌّ ، وعبْــدٌ

وأرضي ..

عليها القناصات تسعى للهلاك

وتعوي بخطو النبوءات فيها رياح الخيانه !

وأرضي ..

بها اللون يصبغ وجه المبادئ ،

.. فهذا بياض ، سليب المساوئ ..

تلوذ بكفيه كل المرائين !

وهنا سواد .. أبي ، وثائر !

على كل جائر !

يمر به العدل خزيان حائر !

إذا هب يوماً

ودك السدود ، وشق الستور

ليسمع كالناس شدو الطيور

ويستنشق كالناس عطر الزهور

ويخطو كالناس ،

من غير كره ،

وإطراقِ وجهٍ وخطوٍ أسيرْ ! !

. . تهبُّ عليهِ رياحٌ عتيّةْ

حنتّها قوى الشر للعنصريةْ

تريقُ الدمَ الحرَّ فوق المذابحْ

لفَجْرِ الشعوبِ الأبيِّ المكافحْ . .

وتَمضى على جثث النُّور ،

والزهر ، والحبِّ ،

تحت الظلامْ ! !

تلُوكُ السّلامْ

وتبحث عن ظله فى السديمْ

وفوق النجومْ . .

وعن طيفِهِ فى كهوف القمرْ

وغاب القدر . .

. . وفى الأرضِ ،

تَغوِى صباحاً ، بصوتِ الوئامْ

وللرِّق فى يدِها

كلَّ يومٍ – لِشَعْبٍ – زملمْ ! !

• • •

فيا أمّيَ الأرضُ !

ملذا جنَيْتُ ؟

ومنكِ – ومثلى جميع البرايا – وُلِدْتُ

سواداً . . وجِئْتُ ! !

بياضاً . . وُجِدْتُ ! !

إلى كل لونٍ إليك انتَمَيْتُ !

فماذا أهاجَ نُعاةَ الفوارقْ ؟

سوى جَشَعِ الظلْمِ بين الخلائقْ ! !

خداع . . به فى وجودى كفرتُ . .

ومن كلِّ سَخْطى !

له ما عرَفتُ !

ومن كلِّ نبْضى . . ولرضى

ومن كل بُغْضى . . ورَفْضى

. . له ما عرَفْتُ ! !

• • •

من الشرق جئتُ

ولستُ نبياً . .

ولا مُرْسلاً . .

في يميني من النور شُعْلَةٌ . .

فمِن كلِّ دربٍ ، ومِن كلِّ بابْ

ومن كل قيدٍ ، يُدوِّي زَوالُهُ

ومن كل قلبٍ ، يُضوِّي اشتعالُهُ

ومن كل شعبٍ ، يُغنِّي نضالُهُ . .

ومن ألفِ ليلٍ طويلٍ . . وليلةْ

تدقُّ على الرِّقِّ مليون طبْلَةْ . .

وتزأرُ كالريح فوق الجبالْ

وكالموت . . تعصف بين مروج الزَّوالْ !

. . . لرَفضِ الخُضوعِ لأغلالِ غاشِمْ

ورفض الدموعِ لأحْضانِ راحِمْ . .

ورفض الحياةِ . .

إذا لم يَسُدْها . سواءٌ . . سواءٌ

قطافُ العبيرِ . . .

وريّ البراعمْ . . ! !

ورفض السّلام . . .

إنا لجترّ شوقَ السّلاسلْ

ولخلق ثيوبَ الذّئابِ

على عتباتِ الهياكلْ ! !

• • •

من الشرق جئتُ

ولست نبيا ،

ولا مرسلاً فى يمينى كتابْ ! !

وليست معى من سليمانَ :

أسرارُ قمقمْ . . !

أسلُّ بها الحقدَ من كلّ طاغٍ

على النّور يجثمْ ! !

واستلُّ أضغانه من ترابٍ ،

سقاهُ بكاسهْ

وقفني ظلاماً ،

يدور بطغيانه تحت شمسه !

.. وليست معي من مزامير داود نغمة !

. ولا من وصايا الكليم معي أي كلمة ،

.. ولا من أناجيل عيسى ،

وإصحاحها ، أي رحمة ! !

.. ولا من سنا آية من محمد ،

حملت لكم أي نجمة !

لاجتاح ليل الطريق ،

إلى فجري الحر .. بين الوجود

واجتاح قيد الشروق ،

إلى صحوتي .. من جديد !

فليل الطغاة ، أصم الظلام

وحقد الطغاة ، ضرير الضرام

وما جئت أشدو لهم بالسلام !

فصوت السلام بأيديهم

فى مزيج الكنائسْ !

وفى كلّ أيقونةٍ ، ضوّتها العرائسْ !

وفى كل قرْعٍ لأجراسها

فى صلاة الأحدْ . .

وفى كل خدْ تَناجى بخدْ !

ومالى أراهم ،

. . وفى كل يوم تضج الملامةْ . . ؟ . .

إذا ماتَ فردٌ . . أقاموا القيامةْ !

وإن مات شعبٌ . . أحلّوا منامَهْ !

وصاحوا علَى كل قبرِ شهيدٍ ، وحرّْ . .

هدوءُ الفناء ، نشيد السلامْ . .

وباسم السلام ، أبادوا السلامْ ! !

• • •

من الشرق نارى ، . ونُورى . .

وشمسى التى لا تغيبْ !

وضوئى الذى بثّ فجرَ الحضارة ،

عند المغيبْ !

. . فإنْ نَسَّ ليلُ ضيائى ،

وغامتْ سمائى ،

فقد حطّم الماردُ الحرُّ أغلالَ لعنةْ

ولضرمَ فى كل قيّد لظاهْ

لتخضرَّ أيامه من جديدْ

وتفترَّ أزهاره للوجودْ ! !

* * *

. . . فيا أصدقائى

. . إذا عاد حرٌّ ، إلى أرضه . . فى الصباحْ

. . وعادتْ مع النورِ ،

تبسمْ كلُّ الجراحْ :

. . وكفّتْ عن البغى . . نارُ السّلاحْ

. . وباتت مع اللونِ . . كلُّ العناصرْ

وبادتْ من الأرضِ . . كل المجازرْ

. . ومالتْ عليها رياح التآمرْ

وسطوْ العصابات من كل باغٍ وغادرْ

. وفكّتْ عرْاها . حبالُ الخيامْ ! !

ولم يبقَ فيها . شريدٌ مُضامْ ! !

. وغنّتْ مع الطيرِ . أمٌّ وَطِفلْ

وسبّح للحبِّ .

غصنٌ . وظلٌ ! !

سأشدو . .

ونشدو جميعاً . .

بلحْن السلامْ !

ويشدوه حقلٌ . ودربٌ . وبيْتْ

وناىٌ . . به منْ جراحى شدَوْتْ

ومن عالمى الثائرِ الحرّْ

جئْتُ . .

لسترو جا (مقدونيا) فى ٢٥ / ٨ / ١٩٦٩م

غَضبةُ الثأر

ومعَ كل قطرةٍ من دم كلِّ شهيد عربي . .

وهي تتوهج لصرخة الفداء وغضبة الثأر . .

[. . في الطريق إلى بغداد ١٩٦٨]

وما قيلَ بغدادُ ! !

. . حتّى سمعتُ انتفاضةَ رُوحي ،

يشقُّ صداها ، انهماكَ السكونْ !

وما قيل بغدادُ ! !

. . حتى رأيتُ على الأفقِ ،

طيراً يغنّي ، ويوقظُ كبْرَ السنينْ !

ويهتزُّ فوق اختلاج الغصونْ .

بصوتٍ يُدوِّى ، انلناً

مِن الله هزَّ القرونْ :

يَدُكُّ المسُبلاتَ ،

ويُحْيى الغُفاةَ ،

ويسقى الحياةَ . .

لهيباً يُضَوِّىءُ للسائرينْ

ويغرفُ من كلِّ فجرٍ توارَى ،

ضياء الحيارَى . .

وصدْوَ السُكارَى . . وهُمْ يعلَمون !

ويُحيى من الأمْس ما كفَّنُوهُ

وما ضيَّعوهُ ، وما بدَّدُوه . . وهم سادِرُونْ !

ويضربُ فى كل ماضٍ يراهُ . .

لتبكى عصاهُ

وتبكى خُطاهُ . . وتبكى العيونْ !

ويخترقُ الدهرَ فى سبْحتيْنِ

وسبَّابتيْن . . تَعدُّلن خطو الضياءِ المبينْ !

على كلّ أرضٍ دعاها الإلهُ ، فلبّتْ نداهُ . .
وكانــتْ ثَــراهُ الأبيّ الأمــينْ !
وكانت شعاعاً لليلِ الوجود ،
صحتْ من جديدٍ ،
على فجره غشيَة الحاقدينْ !
وكانــتْ إباءً لوَجْهِ العبــادِ . .
صريرُ الجهاد ،
بها شلّ أسطورةَ الغاشمــينْ !
وكانت ضِــراماً لــرِقّ الوُجُــوه
فما لسوى الله تَجْثُو صلاةً . .
ويَعْنُو جبينْ ! !
وظلّتْ تــدورُ بنبــع السّمـــاءِ
وتُعطى ضحاها . .
وتُدْفقُ فى النور للشــاربــينْ !
. . ودار الزّمانُ ،
ومهما تَدُرْ فى يديه الخُطـوبْ

ومهما اقاميه بالكيد راحتْ تلوبْ !

سينشقُّ فجرٌ من الليل عاتٍ

بأرض الأباةِ

يردُّ الضياء إلى الصامدينْ !

ويخضرُّ للثأر يومٌ ..

أبيُّ الكرامةِ ، يسقي الندامةَ للغادرينْ !

• • •

.. وما قيلَ بغدادُ ،

حتى تفجّرَ للطير لحنٌ ،

جريحُ التغنّي ، جريحُ الرنينْ ! !

يهلّلُ لوتارِهِ بالجراح

ويستلُّ منها بقايا صباحٍ

أبيَّ الرنينْ ! !

على نايهِ غصةٌ لا تنامُ

ولا يعرفُ النومَ ثأرٌ سقتْهُ لهيبَ الجنونْ !

.. فيغضبُ .. إنْ جرّعتْهُ الفناءَ ،

هياماً ، وسحراً ، تُغَنِّي به غفلة الغافلينْ !

.. ويغضبُ إنْ سَورةُ الرياحُ

سُكارى ، تَرَنَّحُ من غير اكواب حقد دفين !

.. ويغضب ، إن نامت السكونَ ،

أباريقُ شدوٍ هواها يتَمْتِم للعاشقينْ !

.. ويغضبُ ، إنْ مرَّ ساقي الضياءِ ،

ولم يضرم الأفقَ حَوْلَهُ ،

.. منْ غضبِ الثائرينْ !

.. ويغضبُ من بسمات الثُّغورِ ،

وتحت الصدورِ ،

على الغار يُشوى إباءُ طعينْ !

ويغضبُ من نغماتِ الطيورِ ،

وعطر الزهورِ ،

وفي الأرض لاحتْ خطا المعتدينْ !

وفي كل أرضٍ يدُ الله مرَّتْ ،

بها واستمرَّتْ ،

تضيءُ على قدَم المُرْسلينْ !

سحقها الأبلةُ بيَن التراب ،

ونثلُ الرقابِ .

وعلّقوا على قنّسها الجرين !

. . هنا سجدةٌ من جبَينِ النبّى .

على ركعتيّنِ ، على لعنتيْن على للذْنبيِينْ !

. . هنا كان مَسْراهُ !

أين لضياءُ ؟

وأين السماءُ

تصبُ الغضبَ على الآثمينْ !

. . هنا الله ، والنورُ ، والمعجِزاتُ ،

ودربُ الصلاة ،

تهيم به نفحةُ التائهينْ !

هنا التُّرْبُ يغضبُ !

والأفق يغضبُ !

والثـار يلهثُ ظمانَ شـوقاً إلى الغاضبِيِنْ !

* * *

فيا طير مزّقْ ، واحرِقْ ، بقايا الجناحِ

إنا لم تكبكبْ ، وتَغْضَبْ ،
شُعوبُ السّلاحِ ،
وتزحفْ سرايا ،
وترْجف منايا ،
تلكُ الجنودَ ،
وتُفْنى الوجودَ على الغاصبين !
فلا كنتِ يا عرَبًا في الحياةِ ،
ولا في المماتِ ،
وزلّنا على أرضنا أجمعين ! !
. . وما قيلَ بغداد . .
حتى تلفَّت طيّري الجريحُ ،
وحطَّ على قلعة الخالدين !
ينادى البطولةَ من كلِّ غيْبٍ !
. . ومن كلِّ صوتٍ ،
. . ومن كل غابٍ أشمّ العرين !
ومن كل قلبٍ عنيد الكرامةِ ،

لزّ القيود على معصميه ،
هناك لعينْ !
.. ومن كل بأسٍ ،
تلين للقادير إنْ لاطمَتْهُ
وإن لطمته الرّدى ، لا يلينْ !
وإنْ غافلته ،
فإنّ الأمانَ لسرّ الغيوبِ ،
قضاءٌ من الله للمؤمنينْ !

• • •

عتوّ الظلامِ ترصّدْتَ فيه خطا القيْدِ ،
حتى نسخْتَ الظلامَ بصبْحٍ مُبينْ !
وفجرتها ثورةً من حياةٍ ،
بليل الطفولةِ ،
سقتّها يدُ الله نورَ اليقينْ !
ولم ترْضكَ الأرضُ يومَ الوداعِ ،
فحلّقتَ حتى لمستَ النجوم بطهْرِ اليَمينْ !

وعانقتَ لطهرَ ما حملتْهُ يدٌ فى الوجودِ ،
ولاقيتَ ربَّك حرَّ الجبينْ !

• • •

.. قُمِ اليومَ ..
واغضَبْ مع الغاضبينْ
فثأرُ العروبة يشتاق كلَّ لظى الثائرينْ !
وينفخُ فى كل حىٍّ ، وفى كل ميْتٍ ،
وبعض القبور ترشُّ الكرامةَ للعابرينْ !
وبعض الذى مرَّ تاريخُهُ ،
من الأمس يزْأرُ ،
حتى يجاوبَهُ الهامدونْ !
.. ومن غَضَبِ الأرض هذا الغناءُ ،
شدتْه الدماءُ
ودوّت به ، تُوقظُ الحالمينْ !
.. ومن غضب العِرْض هذا البكاءُ ،
نراه الإباءُ ،

حنينا إلى حوْمة الزاحفينْ !

. . ومن غضب الثأر الاّ يغنّى ،

ليوم يُجلّجِلُ بالدارعينْ !

. . ومن غضَب الله الاّ نسير إلى الثأرِ . .

نمضى له بالظَى حاشدينْ !

. . نشُمُّ الصفوفَ ،

ونلقَى الحتوفَ ،

بصوتٍ كَوَتْهُ إلى نقمةِ الثأر نارُ الحنينْ !

ومهما لقينا !

ومهما فنينا !

فإمّا نكون ، وإمّا – بلا شرفٍ – لا نكونْ ! !

. وحاشاكِ يا أمّةَ الحقّ .

إنّ الصباحَ سيخلقُ أنوارَهُ .

مِنْ ظلام الجراح . .

ونَحْنُها . . ونَحْنُها . .

ويرتدُّ كِبْرُ الوجوه الأبيّة

يرتدُّ كبرُ الإلهِ المطمئنْ

ويمزجُ في القدّسِ صوتُ الأذانِ ،

سلاماً من الله

حيّا به عزّةَ الظافرينْ ! !

سـيـنـــاء

.. ولو غاللتنى مقادير غيب ،

على وجهها صيحة للنزوح !

.. وشقت دروبى جنازتها ،

بعطر ، شذاه زوال يفوح !

.. ولو شطر الدهر إصفاء روحى ،

وصب الهمود لنابى الجريح !

.. ولو عشش الهم تحت ضلوعى

وظل على رئتيها ينوح ! ! !

.. ولو قفزت من دمى آهة

مسمرة كصليب المسيح !

.. ولو جسّدت نفسَها حيْرتي

لهابيلَ جنٌ بمَهْوَى سفوحْ ،

.. ولو جبّلتْ من عُروقي سياطٌ

.. وظلّتْ بها لعناتي تصيحْ ،

.. ولو كلّم الموْتُ أنهارَ صمْتي

واصغَى سكوني لِنَهْش الفَحيحْ ،

.. ولو فاجأتْني لشفاهُ غيْبٍ

مدثّرةٌ بصفاءٍ كَسيحْ ،

.. ولو داهمَتْني بأجراسها

مرنّحةٌ في ظلامٍ وريحْ ،

ودكّت وُجودي بمقذوفةٍ

من النُّذُرِ العلويات المسُوحْ ،

.. ولو فغرَ التّيهُ أشداقهُ

ليمْتصّ أسرارَ دربيَ الفسيحْ ،

.. ولو كلُّ نائحةٍ من حمَامي

غفتْ نارُها في هشيم السطوحْ ! ..

لأنبتُّ نلتي ، وارجعْتُها

من العدم الهلجع المستريحْ :

ظوامىء ترضعْنَ وقمَ العبيرِ

وترعِشْنَ كل جمادٍ ، وروحْ .

. وجئتُك . . من كل حيٍّ ،

ومن كل ميّتٍ ،

ومنْ كل لحن نميحْ ، ،

أناديك . . .

. أنتِ الغناءُ الوليدُ ،

. لسمْعٍ ترنَّمَ فيه ضريحْ ! !

١٩٦٧

مـن الكـهنـــوتِ

منْ الجرحِ الذى . . ما زالَ نَهْشٌ بديْهِ ،
إعصارٌ يُبَعثِرنى . . . ويَجْمعُنى !
وينسَخُنى بثلثَى طيفَ نلتِ منه . .
يُخْرِسنى . . . ويَسَمَعُنى !
ويَجعلُنى كمعْصيةٍ معلّقةٍ بعفوِ اللهِ
. . يشفعَ لى . . . ويرْدعنى !
ويحملنى . . كتابوتٍ عتىٍّ الرفضِ ،
يُقْبِرُنى . . ونحو ضحاه . . يبلعنى !
تداخلَ فىْ مُهْتلِكٌ
وحىٌّ ثائرُ الميلادِ . . يَخفِضنى . . ويرْفعنى !
ويَخلقُ من أساىَ مشانقاً للعطرِ

يحصدنى . . والموتى للموت ينْزعنى !

أقولُ : أنا ؟ ! فيرفضنى . .

وحين يطلُّ وجهُ الأمس فىَّ ،

. رؤاهُ تفزعنى ؟ !

فأسألُ تايهُ المسحورَ بين يديْنِ

تحترقانِ من فزعٍ . . ومن طربِ :

الأنتَ هذه ؟

أم أنها الأوهامُ . . .

ترحمنى . . فترجعنى إلى نَسَبى ؟

أنا ابنُ الشمس . والبيداء ،

والثارات . والرايات . والغلَبِ !

أنا ابن السيف . والغزواتِ . . .

والصهوات . والنَّجدات . والغضَبِ !

. . زئيرُ الأمس فى خلدى . . يعاتبنى ويفزعنى !

وجرح اليوم فى كبدى . . صداه المرُّ يلسعنى !

فهاتِ الناى مخموراً

بصوت الرفض والإصرار واللهبِ

لعلّ نسيجهُ العاتي . . من التلهوت . . .

ينتزعنى . .

[١٩٦٧]

مــن رَصــيـــفِ الوجـــوه

وقفتُ في الطّريقْ

كعابرٍ غريبْ

يخوض بحر الدمع بالنّسيانْ

ويشرب الوجود بالأجفانْ

خيالهُ مصفّدٌ مشنّوقْ

وحسّهُ ممزّقٌ مسروقْ

والنّاس حولَ حولهِ عبيدانْ

مقْصوفةٌ من روْضها الحيْران

لا يَعرف الصّحْوَ ، ولا تنهُّدَ الشروقْ

ولا رفاتَ الضوء من مصباحه العتيقْ

عيونهُ أكفانٌ ، مفتوحةُ الزوالْ

وملحةٌ لزمانْ ، مهروعةُ الأسمالْ

وموجةٌ تلفّتُ للصلوبْ

وخطوه من خطوهِ هروبْ

وفى مهاوى دَرْبه يعلنْ

بحسْرة المزمار تعزفانْ

وتلْجبانِ الهمّ فى جماجم إصغاؤها محروقْ

كأنّه تهْتَهةُ الضّرير لاختلاجه البروقْ

وذلةٌ من ذلتهِ مُروقْ

ومنْ مهاوى خزيه علوقْ

تصنّمَتْ فى لحْنها العروقْ

ونامتْ نحولُهَـا الرحيقْ

وغاب كلُّ شىءْ

عن وهْم كلِّ شىءْ

إلاّ العبورُ الأبلهُ المسلوبْ

والزمنُ المُحركُ للصهوبْ . .

فهل أنا في وجهه طريقْ !

أم أنّه في سفينتي حريقْ ! . . .

مَن أنتَ ؟ في صداىَ ، في عينىّْ ؟

شابتْ صلاةُ التّرب في يدَى

فاحفرْ لها النسيانْ

واعبرْ . . بلا إنسانْ ! !

قفْ : : إنّني لستُكَ في وقوفي

ولست من موتك في عكوفي

فالألم الزاحف لن يموتْ

والنغـمُ الزائف لن يفُوتْ

يأيّها الهاربُ من مصيره

يأيّها الغاربُ في ضميره

في كلّ شيءٍ تَخذلكَ المُسيّرُ للخلودْ

على صوارى زيفِهِ يكُودْ

فلتمضِ . . فأنتَ والفّ مسممٌ الجراحْ

وأنتَ نخبٌ للموتِ في تميمة الرياحْ ! !

١٩٦٨

جبالُ الصمود

لتمخى للسّماء فى الحلك الثلجى *

وصدّى ظلامهَ عن جبالِكْ . .

أنتِ من جبْهتى خُلِقْتِ ،

ومن أعماق للتى حشدتِ كلْ جلالِكْ . .

فارْدَعى كُلَّ عاصفٍ هَبَّ بحْرو

من ضُحى السفْح ، حبّةً من رمالِكْ . .

واسحقى كلّ حيّةٍ تنْزِفُ السُّمَّ ،

لتغْتالَ سجْوةً من ظِلالِكْ . .

وانبذى كلَّ يائسٍ ، غطَّ فى ليلِ

غبىَّ الكرَى ، ضريرِ المسالكْ . .

وانتفضي كل والقلب ، لم تُلْهِهُ

غضبةُ الثأر في جحيم اشتعالِكْ . .

وامْحقي كلّ ساكنٍ ، يلعَقُ العارَ ،

وتُوهيه إنْ السّمْ ببالِكْ . .

واحْرقي كلّ لحةٍ تنفثُ الهمّ

، وتُلْقِيه عثرةً في نضالِكْ . .

وازْجُري غفوة القاهر . . إنْ طنَّتْ

هدوءَ البركان بعض مَلالِكْ . .

لردعي ، واصعدي كما صعَدَ التاريخُ

نشوانَ من عتِيّ احتمالِكْ . .

واشمخي في العيون ، والخَطْوِ ،

والأنفاسِ ، وامْضي لهبًا في صِبالِكْ . .

. . . وإنا غرِّد النّفيرُ ، لجيلي

ضجةَ الهول ، غفوةً في خيالِكْ . .

وازحفي بالتراب ، والناس ،

والآجال . . والموتُ صائحٌ مِنْ رجالِكْ :

لا وجودَ لطيفٍ عالٍ على سفحي ،

ولا . . لن يكونه بعد ذلكْ !

النسمَ الخضرُ ، لن تذوقَ خُطا الأشرار

من يلمسه عذبَ للهالكْ . .

وعلى القدس تتكئ يدُ اللهِ

تُرسي الصليبَ جنبَ هلالكْ ! !

١٩٦٨

سأشدو

. . . سأشدُو !

. . . وشدْوِى . . أعاصيرُ رَقْصٍ : ونارٌ تدورْ !

على كلِّ صوتٍ بجُرْحى يُسلى فراغَ الصدور

ويسرق مِن غضبةِ الثأر ، بركانَ حقدٍ يفورْ !

ويمرقُ كالإثم . . يحجُبُ عني أنانَ الصير . .

ويُغرى يدَى عن رحيق الفداءِ !

وشوْقِ الدماءِ ، وعصف البنادقْ . . !

وشريانها يَسْتَرِدُّ الكرامةَ من كل باغٍ !

. . ومِن كل سارقْ . . !

ويلْغو بوهمى ،

وهيهاتَ يُصغى ضياعى وحزْنى !

لأسلابِ صمتٍ ،

صداهُ زوالٌ على كلّ لَحنٍ !

. . . لمعركتي . . .

. . . صوتُها فوق صوتِ الوجودِ ،

وصوتِ النشيدِ ، وصوتِ الوَترْ . !

وفوق الحياةِ . وفوق المماتِ . ،

صداها يُدَوّي بصوتِ القَدَرْ !

. . سأشدو لكم . . .

وشتّى مناجلُ مجنونةٌ بحصادِ الهشيمْ !

تُعرّي الجراحَ .

لتستلَّ منها قشورَ الرياء ،

وزيفَ العصورْ !

وتهتكَ ما رَقّعَتْهُ عليها ،

وما كفّنته بها السُتورْ !

وما سطّرَتْهُ نعوشُ الحقيقةِ ،

في تربها . مِن ظلامٍ ، ونُورْ ! !

صَــــوتٌ للـفـُـرقـَـــة

[١]

...   ...

سمعتُكَ توقظ الموتى ،

وترعشُهُمْ ...

وتَنْثُرُهُمْ ...

علَى خلدِي ! !

وتقرَعُ راحتاك البابَ

حولَ سكينةِ الأبَدِ ! !

تَـقْ . تَـقْ ،

حتى تُورق الأكفانُ بين يديْكَ !

وتنزعُ صمتَها البهيّةُ خرساءُ ،

ساحتُها تطيرُ إليكَ !

وتزرعُ نفسَها الأرباعُ ،

فوقَ جذوعٍ ناميةٍ بلا أغصانْ

حدائقُها مسحورةٌ ،

تفوحُ بعطرِها النيرانْ !

.. يُطلُّ بزَهرِها الشُّهداءُ ،

مِن ظمأٍ لنارِ صباكْ ،

وتصرخُ آهةٌ للصبر

طالعةٌ ليومِ الفكاكْ !!

[٢]

أنا قبلَ أنْ أطأ التراب . . .

. . سمعْتُ صوتكَ هابراً ،

كالموج ، يصرُخ فى عروقى

. . وسمعتُ نَهْش صداكَ ،

وهْو يشُبُّ كالإعصار ،

فى أعماق ذاتى . . للتفجُر والشُروقِ !

. . وسمعتُ دَقّ يديك ،

فى بابى المصفّدِ بالْقيود ،

وبالسُدود الضاربات على رحيقى !

. . . وسمعتُ خطوكَ كالرياح ،

تئنينُ صمتَ الذلِّ ما شاءتْ ،

من الندم العميقِ !

. . . وسمعتُ كفكَ ،

تلطمُ الوجهَ للكفن بالهدوء ،

على سفينٍ في سلاسله غريقْ !

. . . وسمعتُ نارك في الفضاءِ ،

تئنين كلَّ صدًى سواكَ ،

مجاوزَ العدم السحيقِ :

. . وسمعْتُ زجْرَكَ للْهديلِ ،

يقُصُّ نَوْحَ حمامةٍ ،

لسكينةِ الأنفاسِ جاثيةَ الخفوقِ !

. . . وسمعتُ جمركَ يلسَعُ الأيـلمَ ،

وهي تَسيرُ في خلدي ،

مُطفأةَ البريقِ ! . .

شوهاءَ . . تأكلُ الوجود . . . ،

تئنُّ ضاحكة . . .

وترتعُ في الطريق . . بلا طريق !

بكُماءَ ، غافلةَ السكونِ ،

تموت بين يديه ،

وهي تعبُّ زمْزَمةَ الحريقِ ! !

● ● ●

. . زمجرْ على كبِدى ،

على جَسَدِى ،

على روحى المزَنَّر في خيــــالِكْ

. . واعصف على قلبى ،

على دربى ،

على وترى للصقّد في حبالِك !

. . وانْزِفْ لهيبَكَ ،

في دمى ، وعلى فمى ،

واصهَرْ وجوديَ في اشتعالِك ! !

[٣]

من الله ، أنت !

من الروح ، أنت !

، ومن كل صمتٍ يُنادى صدَاكْ

وفى كل صوتٍ أبىّ أراكْ

وأسمع فى كل شىءٍ صدَاكْ . .

فأسمعه فى دمى ثورةً للضياءْ

من النار والنارُ تشعلُ فجرَ الإباءْ

وفى خلدى نبْضةٌ كاحتدام الرياحْ

وكالعاصف للنُّهرَى لاختراق البِطاح

.. وفى كيد ، ماردٌ عبقريُّ الجناح

يشدُّ من الليل نور الصَّباحْ

.. ويزأر بالثَّأر تحت العروقْ

ليَسْتَلَّ منها ضياء الشروقْ

.. وفى خطوتى درب عمر جديدْ

وفى نظرتى صحوة للوجودْ ..

تُنفِّضُ عنه غبارَ الليالى السحيقةْ

وتمضى به فى هدير الحقيقةْ

جبينى جديدْ

ووجهى جديدْ

وإيماء عينى ... جديدْ

وإصغاء سمعى .. جديدْ

ونلنى شواظٌ على جلدها للستضلم القديمْ

وكبْرٌ من النور يسطع تحت الأديمْ

ينوّرُ ليل الكهوف الضريرةْ

ويلسعُ كلَّ بقايا الكرَى فى البصّيرةَ

ويُوقظُها كى تشُقَّ المصيرْ

وتوغلَ صامدةً فى المسيرْ

ولـمعةٌ طارقاً من حديث السماءْ

يدقُّ على كل بابٍ باعتى النداء . . .

فمن صوت جبْريلَ وهو يناجى «محمّد»

ومن رعشة الوحى وهو لهيبٌ وموْقِدْ

ونار مجلّجلةٌ من سماء الغيوبْ

لمعركة الحق جاءت تشق الدروبْ

وتزأر في كل ليلٍ يتيمٍ شلليل الضياءْ

وفي كل يأس ذبيح الأمانِ جريح الرجاءْ . .

وفي كل قيْد . . على الذلّ أغفى وغنّى حديدهُ

وفي كل غُلّ . من القهر صلّى عليه عبيدهُ . .

ومن عنكبوتٍ على الغار أرخى الستُورا

بأوْهَى خيوطٍ ، أدار الزمان ، وأحْيا الدهورا . .

. . ومن «بدْر» . . وهْي تميمة كلّ المعاركَ

وصوْتُكَ فيها من الحق . . نارٌ تُشارِكَ . .

. . ومن كل خطو النبيّينَ فوق الصحارى

وهُمْ يحصُدون الدّجى ، من وجوه الحيارَى . .

مِن الله أنت !

مِن الروح أنت !

ترنّمْ . . وجلجِلْ

وبالنور . . اشتبِلْ . .

والمِلمْ زنبقكَ من كلِّ ليلٍ توارَى بأرضِكْ

ومن كل كأسٍ سقَتْها الضحايا . . قبلةً لعرضِكْ

ومن كل سيفٍ وضعنا مع الصيد لنهار شمسهْ

ودرنا نشاوَى بهالات شعرٍ تُغنّي لهامسهْ

ترنَّمْ . . وجلجِل

وبالنور . . اشتبِلْ

وهاتِ الطبولَ ، وهاتِ الخيولَ

وهات البيارِقْ

وهات الصدَى من مزامير «طارق»

وايقظْ عموريةً من كراها

وذقْ نارها ، واسقني من لظاها

بقايا ضحاها . .

وخذ نغمةً من سماوات حِطّينَ ،

واخضبْ نداءكْ . .

وأوغلْ مع الريح في كل أُفْقٍ ،

وفجّرْ إباءكَ . .

ودُرْ بالعصور ، وبوق النشور ،

على الهامدين . .

وأنشِبْ هديرك في كل كهفٍ على الشّامتينْ

ولا تخشَ ليْلاً بفقْلاتنا قد نسَجنا ظلامهْ

ورُحنا من الوهْم نشكو دجاه ونَبكي خيامهْ

ونحن الذين افترقنا فتُهنا ضياعاً بدربهْ

ودُسْنا بأقدامنا كل نورٍ هدانا بركبهْ . .

فكم صَحْوة للشعوب تردُّ من الموت صحو الحياةَ !

وكم يقظة من رمادِ الزوال ! . .

هي الفجر تخضرُّ منها رُباهْ !

. . صَحَونا . ولابدَّ نسحق بالنور ليل الطريقْ

ونصعد ، حتى نردَّ من الليل ضوءَ الشروقْ

فزمجرْ كما كنتَ ،

حتّى تردَّ إباء السّنينْ !

وشُقَّ الصدورَ ،

واضرمْ بها غفلةَ الواقفينْ !

وغيّرْ هوانا . .

وغيّرْ رؤانا . .

واشعلْ منا ثورة لليقينْ

ولن يغسلَ العارَ . . .

. . إلا امتدادك في كل شيءٍ !

ولن يُرْجعَ الثارْ ! . .

. . إلا انتفاضك في كل حيّ !

ولن يرجعَ الدارَ

. إلا التحامكَ ذلّ الخليّة !

ومحُوكَ لليأسِ من كل روح غبيّة :

فصوتُكَ في كل روح حياه

وصوتكَ للنصر أتقَى صلاه

فقاتلْ به في العروق دم اليائسينْ

وأيقظ به في الدماء رؤى الهامدينْ

واعجلْ به النصرَ للصامدينْ

ويوم نردُّ الترابَ الحبيب لأكفنا

وصوتك بالنصر يجرى نشيداً لأيامِنا

ستسمع من كل أفق أفقنا يهز الشهبْ

ويخضرُّ فى الأرض لحن البطوله . .

نحن العربْ ! !

١٩٦٩

القدسُ تتكلَّم

حينَ رأيتُ ذابحَ التَّوْراةِ

وقاتلَ العابدينَ للحياة . .

وشاربَ اللعنة من آياتي ،

. . ينهش نورَ الله من هالاتي

ويبْذُرُ الظلمةَ في ساحاتي

ويغرسُ الرِّجْسَ علَى راحاتي !

. . تضرَّمتْ في أفقها نزفتي

وأسبلتْ أجفانها مشكاتي

والتمَسَتْ بلمسها صَلاتي

مَهْما تَذُقْ من غدّره وبلائي . .

. . لابدَّ أنْ يعودَ لي سجودي

ويصدحَ الأذان من جديد

مكبّرا في قبّة الوُجود ! !

• • •

اقسمت بانعتاقة الإسراءِ

وطهرها العارج للسّماء

من لغصتي البيض ، ومن صفائي

ومن عناق الله في فنائي

مباركا بقُدسه فضائي . .

. . مهما تمادَى الليلُ في عِدائي

لو أُزهقَ النورُ على أشلائي

لو لوّثَ التيهُ خطا ضيائي

أو أخرسَ البغيُ صدَى دعائي

لو هدّم الشرُّ ذُرا بنائي ! !

. . سيزحفُ النورُ إلى قبابي

ويستردُّ طهرَه ترابي

ويورق السّلامُ في أعتابي !

لقسمْتُ باحتراقة الأيام

على طريق الدمع والآلام

.. مهما استبدَّتْ غشيةُ الظلامِ

وصفِّدت مسابِح الإلهامِ

وشلَّت الأجراس بالأنغامِ

فلم تعدْ غيْرَ سكونٍ دامِ

تقرعهُ الرياحُ في الخيامِ ..

.. مهْما رمَى التيه على أقدامى

لو شدَّ فى لو كاره زمامى ! !

سترجع الحياة للتّبتُّلِ ،

فى مسجِدى الباكى وعند هيكلى

على ثرَى اللهِ ،

ومرْقَى الرُسلِ ! !

١٩٦٨

الأذان الذبيـــــح

(إلى أذان المسجد الأقصى وهو

يهدر من وراء السكون والأغلال) .

تلفّتْ . . فما زال خَطوُ النّبىّ

يرشُّ لك النور بالراحتَيْنْ . .

ويسقيك إسراؤُهُ فى الظلام

رحيقَ القداسة من خُطوتَيْنْ . .

للَتْ شعاعاتُهُ بالتراب

وخطّت به أُولَـــةَ القبلتينْ . .

وأوّل إسْناء هذا الوجود

لرب السّماوات فى سَجْدتَيْنْ . .

وأومتْ إلى الأرض فانساب فَجْرٌ

جديدُ الضياء إلى كل عيْنْ . .

وطارتْ بمعراجها فوق بَحْرٍ

وضيءٌ العباب بلا شاطئيْنْ . .

على طائرٍ من هيُولَى غُيوبٍ

سَنا الخُلْد يحدوهُ من جنَّتين . .

وحشْد الملائك من حوله

يزفُّ التسابيحَ فى موكبيْنْ . .

وركْبُ النَّبِيِّين . . عطرٌ ، ونورٌ

ورَيًّا صلاةٍ على الجانبيْنْ . .

ويرقى . . فيهْتزُّ عرشُ الإله

وللْذاتِ يُهْرَعُ فى ومضتين . .

إلى قاب قوْسيْن . . أوْ منه أدْنى

ومن بيْنِهِ ، لا وجودٌ لبيْنْ ! !

عناقٌ للدنَى ، وانعتاقٌ الصدَى

وفجرٌ يضوِّىء للكوكبين . .

وما زال يحدو السنا فى ثراك

ويُجْرِيه للـرُّوح . وللقبلتيْنْ . .

ويُصغى لِجَرَسِ الأذانِ الذَّبيحِ

يبثُّ العتابَ إلى المشرقيْنْ . .

ويهدرُ منْ حشرجاتِ السكونِ

ينادى ! ! وأين الصدى راح ؟ لمَنْ ! !

هنا اللهُ ! ! . . كيف استباحوا حِماهُ ؟

وجاروا علَى حرَمِ القبلتيْنْ . .

وكيف ؟ وقد حاربوه جِهاراً

وعاثوا بِهِمْ مرتيْنْ !

يعودونَ ! ! كلُّ الخطايا خطاهُمْ

وكلُّ الخنا مترعٌ فى اليديْنْ ! !

ومهما استبدُّوا . . سيأتى الصَّباحُ

وتنتفضُ ثالثةُ الكرتيْنْ . .

ويغشاهُمُ الثأر من كلِّ شبرْ

على الروح يزحفُ والساعديْنْ . .

ومِنْ كلِّ صدْرٍ له نهضةٌ

مِنَ العَمْر ، تخفق بالشاطئينْ . .

ومِنْ غضبة الثائرين الأباة

بأرض البحيرات ، والرافديّنْ . .

ومن لهب الرمل في كلِّ وادٍ

صفاهُ يكبِّرُ للصرْوتينْ . .

ومهما عتا رجْسُهُمْ في ثراك

وأنياسهُمْ داستِ الصخرتين :

ستجتاحهُمْ كَرَّةٌ للسّماء

بها النصرُ دوّى بتكبيرتينْ . .

على حومةٍ من جبين العروبةِ

تُعْلي اتّحادكَ للفرقدينْ !!

١٩٦٨

المسْجِدُ الصابر

[وجلست بقايا التائهين فى مصلى الأنبياء ، ومرقى عروج

محمد إلى السماء ، وعاثوا بفجورهم فى ترابه المقدس ،

وتهتكت عرايـاهم على أعتابه ، وهو صابر كظيم . . .

فى ذكرى ليلة الأسراء ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م]

لستَ فى عالم القَداساتِ مَسْجِدْ

إنما أنت هالةٌ . من مُحمَّدْ ! !

فيكَ راح النبىُّ للّه يَسْجُدْ

قبلَ أن يُرفَعَ البناءُ المُرَدْ . .

والنبيُّون خلفَه فى تهجُّدْ

زُمَرًا . . صاحبَتْه من غير موْعِدْ . .

. . . فتلفَّتْ : تجِدْ إماءَ الليالى

كاظمَ الغيْظ ، هاتِفاً في الرمالِ :

رغمَ هذا الدجَى سيعلُو أذانُكْ

ويُدوِّي بكلِّ سمْعٍ لسانُكْ . .

والبُغَاةُ المسلَّطون الحيَارَى

مثلمَا جرَّعُوكَ . . يُسْقَوْنَ ناراً

مِنْ دَمي . . مِنْ دماء كلِّ موحِّدْ ،

عاهدَ اللهَ في خُفُوتِ التَّشهُّدْ ،

ومَضَى في قِيامةِ الثار يُنْشِدْ . .

. . كبِّروا للجهاد ، واللهُ أكبرْ ! !

سيُعينُ الحمَى ، ويرعَى ، وينصرْ . .

فاكْبِتِ الدمعَ في مآقيكَ ، واصبرْ

. . في غدٍ . . والسماء حوْلكَ تزأرْ . .

سترى اللهَ . . حانياً في كفاحك

وترى الحق . . داعياً في صباحِك . .

وترى في الأثيرِ . . من كلِّ مشهدْ

آيةَ النصر ، رفرفَتْ من « محمَّدْ » ! !

لستَ في عالم القداسات مسجدْ

إنما أنتَ . . هالةٌ من محمد ! !

إن يكُنْ قد طغى الظلامُ وعربدَ ،

وأفاعيه ناهشتْ كلَّ معبدَ . .

ومضتْ بالسُّموم تُرغي وتُزْبِدْ . .

إنْ يكُن ليلُها . . تمادى بشمسكْ

وفحيحُ الفسادِ أوْدَى بهمْسِكْ

وخُطا المجرمينَ عاثتْ بقُدْسِكْ

وأمالتْ برجسها طُهْرَ لمْسِكْ ،

لا تُرَعْ . . إنْ رأيتَ خطوَ الخطيئهْ

ورُؤى الإثم في ثراك للضيئهْ . .

. . . إنها صيحةُ السماء لأهلكْ

ورياحُ النُّشور هبّتْ . . لأجلكْ

وأعاصيرُ تُرْعشُ الهامدينا . .

ومقاديرُ تُشعل الخامدينا . .

وتهزُّ الغفاة ، والغافلينا

وتبوز الحركة في الجامدينا
وتغسل الطريق للواقفينا
وتضم الصفوف للزاحفينا ..
ليردوا المنبر الله صوته
ويبدوا من صخرة الحق صمته ..
ويعيدوا صدى الأذان المصفد ،
في قباب من الأسى تتنهد
وتنادى من كل أفق .. وتجأر ..
... كبروا للجهاد .. والله أكبر ..
سيعين الهدى ، ويحمى ، وينصر ..
فاكبت الحزن في ليالك .. واصبر
في غد .. والسماء فوقك تهدر ..
سترى الله .. حاديا في كفاحك
وترى الحق .. شاديا في صباحك
وترى في الأثير .. من كل مشهد ..
آية النصر جلجلت من «محمد» !!

* * *

لستَ في عالم الفلسفات مسجدْ
إنما أنتَ . . هالةٌ من (محمدْ) ! !
. . من ثَراكَ الطهور خفّ بُراقه
يهتكُ الحُجْبَ للسماء اشتياقهْ
فوقَ طيرٍ للّبِّ كُنْهَ الوجُودِ
سِرُّه . . في الخيالِ والتجْسيدِ . .
كيف يرقى ! ؟ . . وكيفَ يهفو جناحهُ ؟
كيف شقّ الدجى . . وعلى صباحهْ ؟
ربِّ سبحانكَ . . لجتلى الغيبَ أمركْ
ودنا نوركَ المصفّى وسرُّكْ
يا لقدسِ اللقاء ! . . كلُّ ضياءِ
شعّ في الكون دونه في الصفاء . . .
قبسَ النور للحياةِ . . وشفًا
لعشاقِ الصلاة بالله . . الثقا
فيه آياتُ ربّه قد رآها
لسلام الأكوانِ تجْرَى سناها . .

ثم عادَ الضياءُ . . للأرض يسرى

بصلاةِ الوجودِ . . فى كلِّ شبْرِ !

. . فإذا المشتاقُ للمصلّين سالِكْ

ولنورِ الإسراء حنّتْ رِحالُكْ

ولذكرِ المِعراج أنت قبالَكْ ،

. . فتلفّتْ . . فما يزالُ ضياؤهُ

هاتفاً فى السّماء بعلُو نداؤهُ :

. . كبّروا للجهاد . . والله أكبرْ !

سيُنِيب النُّجى . . ويخشى . . ويقهرْ . . .

فاكظِم النّار . . وارقُب الثأرَ . . واصبِرْ . .

فى غدٍ ! ! والسماء بالهول تجأرْ . .

. . سترى اللهَ . . حانياً فى كِفاحِكْ

وترى النورَ ضافيا فى صباحِكْ

وترى فى الفضاء من كل مشهَدْ

ليةَ النّصرِ . . أهلَّتْ من محمّدْ ! !

وَجِئْتُ أَصْلِي

مع المسجد الأقصى بعد حريقه الآثم

٢١ اغسطس سنة ١٩٦٩

وجئتُ أصلّي
.. ورَغْمَ انْدِلاعِ الدُّجَى ، كالبَراكين حَوْلي ،
ورغمَ الأعاصير ترْمي خُطاها بسَقْفي وجُرْحي ،
. . . وساحاتِ هَوْلي ،
أتيتُ أصلّي !
.. ورَغمَ احْتراقِ الدُّروب !
ونَهْشِ الخُطوب ، لِحبّاتِ قلْبي ورَملي !
أتيتُ أصلّي !
.. ورَغْمَ انْبثاعِ الذِّئابِ ، على كلّ بابٍ ،
بِه حسرةٌ من شُرايين أهْلي !

.. ورغم الشياطين تغوي بغيظي وشجوي

وبالنارِ تشوي وتكوي مزامير خطوي

.. ورغم الرزايا .. وتجوالها في خميلي وايكي

وعشبي ، وسهلي !

وليلُ المنايا على راحتيها

بزمزم كالجنّ خلفَ جنازات ثكلى ؛

نفستُ السدودَ

ودستُ القيودَ

وجزتُ للدودَ .. وجئتُ لأصلي !!

.. وجئتُ أصلي ،

وفجرتُ لنتي لهيباً جديداً ،

يمزّقُ الغلالَ رقّي ، وذلّي ..

وما كنتُ عبداً

ولا نلتُ قيداً

ولكنّ صوتاً خفياً ، من اللهِ يُملي !!

إذا حدثتُ عنه ، تردّى صباحي بليلي !

. . فلمّا تباعدتُ عنه ،

دَعانى باشْلاءِ حبْلى !

واغْوَى بِىَ النّارَ ،

حتّى رماها بوَجْهى . . وقـدْ جئتُ يومـا لصـلّى !!

لأحْيا . . جديدَ الحياةِ ، جديدَ الصّلاةِ ، جديدَ التّجلّى

أراهُ بقلْبــى ، أراهُ بِــدَرْبى

أراهُ بكلّ المدارات حوْلى . .

. . ورغمَ الظّلام الذى نَفْثَهُ من شرُودى ومَيْلى ،

نَفَضْتُ الـــدُّجَى عن وجـودى ومـــزّقْتُ وَيْلى !

وكبّرْتـهُ . . قلبى يكبّرُ

قبلَ اختِلاجاتِ قوْلى :

وجئتُ لهُ فوقَ نارِى . . ومنْ كلّ نارِى . .

لصلّى !!

وجئتُ إلى أُولَةِ القِبْلَتَيْنِ

وبِنْتِ السماء الّتى ضمّتِ النُّورَ بالسّاعدَيْنْ

وبيْتِ الضيــاءِ الّذى رشّـه اللهُ بالــرّاحتَيْنْ

ضياء ، وعِطراً ،

وقدّساً ، وطُهْراً ،

ورَوحاً يُسبّحُ في لجّتين

.. وجئتُ ،

وجاء بجنبيَّ صوتُ الأذانْ

مع الصّمْت يصرخُ : أيْنَ الأذانْ ؟

وجاءتْ بكفّيَّ تكبيرتانْ

هُمَا رحمةُ الله في كلِّ آن ..

وجاءتْ معي ركعتانِ ، وجاءتْ معي سَجْدتان

وإبهامتانِ إلى اللهِ مشْدُودتانْ

بجفْنَيَّ للنُّورِ فوْقَ المعارجِ تَسْتَطْلعـــانْ ...

... وجاءتْ معَي ليْلَةٌ

عانقتْ بها سدْرةَ العرْشِ تَسْبيحتانْ

بها اللهُ سلّمَ ...

.. لا كفّ تهْفو ، ولا طيْفَ شيء يُسمّى بنانْ !

وجبريلُ حادٍ لمسروجةٍ

تقاصرَ عنها خيالُ الزّمانْ !

ونُورٌ يُنادِى . . .

ونُورٌ يلبِّى . .

ونُورٌ يعانقهُ المشرِقانْ !

ومنْ قابِ قوْسيْنِ

راحتْ تُضىء ، جبينَ السّما هالتَــانْ !

وكـادَ الـذى لا تَــراهُ العيُـونُ ،

يَــراه «محمَّدُ» رُؤياَ عيَــانْ ! !

. . . وجاءتْ معى من يدِ الأنبياء

مَصابيحُ مبـهـورةٌ فى الضيِّـاءْ

. . وجاءتْ حُروفُ الهـدَى ، تَستَجيـرُ

وتلْعَـنُ منْ مَسَّ قُدْسَ البِنَــاءْ !

. . وجــاءتْ خُـطـا «عمَــر»

والوجودُ على سيْفِها مُستَطيرُ المضاءْ

. . وجاءتْ تزْمجِرُ دنْيا «صلاَحٍ»

وتَعْصِفُ مشـدوهَــةً فى إباءْ

.. وجاءتْ لجالوتَ عينٌ تطلُّ

وتَزْوَرُّ من هولِ هذا اللقاء ...

... أتينـا جميعـاً نصلّي ...

وما كاد يُفتَحُ للنُّـــورِ بـــابْ ،

ويُومِضُ للخَطْوِ حُزْنُ الترابْ ..

وقفْنا .. وكانتْ خُطانا تُشَلُّ بأعتابِهِ !

وكانتْ رؤانـا تُغَلُّ على بابِهِ !

وكنّا نُحِسُّ ..

بأنّا بأرضٍ ضللْنا إليها طريقَ الصَّلاهْ

ولمّا اتّجهْنا إلى ساحةٍ

لها نَسَبٌ بفجورِ العُصاهْ

وحاشاً .. وحاشاً .. لبيتِ الإلهْ ،

.. وجدْنا الصلاةَ .. بغايا من الشَّرِّ ترقص فوقَ الحريقْ

وجدْنا الأذانْ ..

شياطينَ لغْوٍ .. تَهاترُ بالإثمِ عرْضَ الطَّريقْ

وجدْنا المصلّى ..

مَيادينَ لهْوٍ ، تَخاصرَ فيها الْخنَا والفُسوقْ
وَجدْنا الحَمامَ الذى كانَ يُصفْقِي
لصوْتِ الْحَوَاميم يخْضرُّ منه السكونُ العريقْ ،
. . ويهيلُ بالطُّهْر نشْوانَ
يشْرَبُ من كلْ حرْفٍ ، خُشوعَ الرَّحيقْ : :
نهيحَ الأمانِ
جَريحَ المكانِ
يُولْوِلُ فى صمْتِهِ لا يفيقْ ! !
. . وجدْنا الْترابَ الذى فيه صَلّى . . «محمدٌ»
حريقاً . . به لعنةُ الله ترْغى ، وتزْبِدْ ! !
. . وجدْنا المنابر . .
تَحكي مَجازرَ للطُّهْر مَخْنُوقةً فى العُروقْ
. . وَجدْنا على صخْرةِ الحقّ
. . ليلاً . . يُنادِى للشُّروقْ
وناراً . . تَشدُّ يدَ النُّورِ
مِنْ قاعِ ليْلٍ عميقْ
وَصوْتاً من الله . . .
يزْأرُ فى كلّ رُكْنٍ عتيقْ ،

ولوْ هدّمتْ كلّ تلك القِبابْ !
وبلتْ مآذِنها
انتزعاً لطغاة الخرابْ !
ستَمْضي لمحرابها القُدْسِ جمْعاً نُصلّى
ولوْ غالنا الموتُ . . لمْ يبْق أنفاسَ شيْخٍ وطفلٍ !
منَ الدمّ ، والعظْـمِ نُعْلى ثراهـا
منَ الروح نُرْجع للأفقِ اعتى سناها . .
بيوْمٍ . . سيزْحفُ بالقادِسيّـهْ
وبالغضبِ الحُرِّ فى كلّ نفْسٍ أبيّهْ
وبالثّار . . وهْوَ الصلاةُ الزّكيّهْ
وصوْتُ الإلهِ إلى كلّ روحٍ تقيّـهْ
بها يُعجّلُ النصر . . جمْعُ الصُفوفْ
وإصرارُها . . فى صمُود الوُقوفْ
فهيّا . . إلى الثأر . . من كلّ سفْحٍ وسهْلٍ
وهيّا . . وهيّا . .
إلى المسجدِ القدْسِ . . . . جمْعاً نصلّى ! !

بنتُ المُعِزّ

(ترنيمةٌ للقاهرة ..

في ذكرى ألف عام ..)

واستيقظتْ ..

ورشَّت الفجر على جبينها

وكبَّرتْ ..

وكحَّلتْ بنورِه عيونَها !

.. وضفَّرت شعورها ، بالشمس والنخيلِ

ووشَّحتْ ستورها ، من ذهَب الأصيلِ

وأوْمأتْ ..

والدهرُ من قبابها يكبِّرُ !

وموكب الدنيا على أعتابها . . و «جوهرا»

وكلمتْ تاريخَها . .

يا قاهرة الغُزاةْ ! !

يا سالكَ الضياء من يدي للحياه ! . .

على ضفافي الخُضْرِ ما تزالْ

رايات «عمرو» تقهرُ الزوالْ

وتتحدّى الليلَ بالمآذنِ

وبالضحى السابح في المدائن

فاسمعْ خطا مجدي . . وقل للأعصر الدائره

تفنى الليالي . . وأنا القاهرةُ . . القاهرةْ !

• • •

بنتُ للعزّ . .

وأنا العزّةُ للماضي وللمستقبلِ

على ترابي من قديم

نوّر الدنيا ضياءُ مشْعَلي

وقمتُ للإسلام

حصناً صامدا بروحه للأزلِ

رنّتْ به منابرى . . وشعّ فيه هيكلِى

ولم أزلْ لقِبْلَةِ الأحرار اعتَى مَوْئِلِ . .

* * *

مهما سرَتْ فى قبّتى . .

او وقفَتْ غيْمه !

او اسبلَتْ اجفانَها . .

فى ربْوَتى نجمهْ !

لوْ رنّتْ انفاسَها . .

فى جبْهتى ظُلْمَه !

فمثلما صدّ الغروبُ الشمس عن سمائِيا

لابدّ للشُروقِ انْ يردُّ شمسِى . . ثانيا

يا كمْ ظلامٍ مرّ وانجابَ . .

وأرضى صابرةّ ! !

حتى اضاء النصر ايامى . .

وعدْتُ القاهره ! !

* * *

بنتَ المعزِّ !!

ذلَّ من عاداكِ

ومَـن رمَـى بغَـدْره ضُحـاكِ

مهما عتا .. فالنصر في سمَاكِ

وأنت أنت الظافرهْ

وأنتِ أنتِ القاهرهْ !!

١٩٦٩

مِصـــر !! أنشـــودةُ الدُّنَّـيــــا

ناداكِ مجدُكِ فاستجيبي !

وامشي لـه فوقَ اللّهيبِ !

وتجشّمي لعلاهُ نيرانَ الشدائدِ والخطُــوب

وتبي لـه البنيانَ شامخــــاً،

ولـو على كَبِدِ الغُيـــوبِ

صفّاً من الأبطـــال يَـــزْ

حَفُ تحتَ الويـةِ القلوبِ

نشوان يهزأُ بالمنايــــــا

الحُمْرِ في اليوم العصيبِ

ويـــزلْزِلُ الأيـــام إنْ

لقيتـــهُ عاتيةَ الكُروبِ . .

هبّى كعاصفة الرياح

وثورة البحر الغضوب

يا «مصر» قد نوى الدهر على خلافك فاستجيبى

واستنهضى النوّام فى

زمن التحفّز والوثوب

زمنٍ نرى الدنيا به

سباقة نحو المغيب

والدهر مثل سريرة

نامت بأعماق الذنوب

غشيت على أرجائها

ظلم التشكك والريوب

والحزن . والقلق المروّ

ع . للمضاجع والجنوب !

والأرض مثل سفينة

رعناء فى يمّ قطوب

حيرى تضللها الـريــــا

ح عن المسالك والدروب

في الشرق ، في الغرب المعرّ

ق ، في الشّمال ، وفي الجنوب

ليلٌ تـرصّد أفقها الــــ

ـجبـا بأعصـار رهيب

وردى يقول لها أثمتِ فأقبلي عندي وتوبي

« ائتي الدّم المسفوكَ منكِ واترعي قدحي وكوبي !

فمضت تخبّط في القتـ

ـام بحيرةِ الطفل الغريب

ربّانها «عزريل» فانظر هولَ مصرعها العجيبِ !

* * *

يا «مصرُ» حولك مرجلُ الآ

فاقِ مضطرمُ الشّبوبِ

ريحُ الحروبِ عليه في الدنيا مجلّجلةُ الهبوب

معتوهةُ الخطواتِ تعصفُ بالخصيبِ وبالجديبِ

هبّتْ وشمسُ العصرِ في سربالِ بهجتها القشيبِ

فإذا بها الفلاةُ ليلٌ فاحمُ الرؤيا كئيب

حفرتْ له قبرَ الحضا

رةِ فتنةُ العقلِ الغريبِ ! !

يا «مصرُ» يا أنشودةَ الد

نيا وأغنيةَ الشعوبِ

يا أمَّ أبطالِ الفنو

نِ ، وأمَّ أبطالِ الحروب

يا أرغنَ التاريخ ، يا نغمًا من السحرِ اللهيب

يا جنّةً تهتزُّ بالأ

سرارِ بينَ شذًى وطيبِ

من كلِّ معجزةٍ ينوءُ

بوحيِها قلمُ الغيوبِ

وتميل عنها حكمةُ الكهّانِ شلّاءَ الدبيبِ . . .

والسحرُ تفزعهُ طلاسمُها فيمعِنُ في الهروب

والشمسُ تخشعُ في ثرا

ها في الشروق وفي الغروبِ

كانوا قوماً لتعلوَ الدُّ

نيا ، بفنِّهمُ العجيبِ

وبما أقاموا من ظِلا

لِ المَجدِ والخُلْدِ الرَّحيبِ

وبما بنَوْا للنّيلِ مِن

عزٍّ بمَوْجتِهِ خَصيبِ ،

النّيلُ : مِرآةُ النُّجو

مِ وكَهْفُ عالَمِها الرَّهيبِ !

هل لمحةُ الشمسِ التي تَسْلُو بها شجَنَ المَشيبِ

وتُذيبُ أحزانَ الأشعّةِ فوقَها عِندَ المَغيبِ . . .

وقصيدةَ الشرقِ المعطَّرةِ المُطَهَّرةِ الطُّيوبِ

جمعَتْ على أنغامِها

شتّى مُنًى وأسى قُلوبِ

وتنفّسَتْ بالحُبِّ بين شذَى رُبًى ، وهوَى شُعوبِ

النّيلُ ! هابَ الفاتحينَ الصِّيدِ غيلانِ الحُروبِ !

يا خيلَ «رمسيس» اصْهَلي

وبجيشِكَ العاتي أهيبي

قومي الذكرى لقول جنبك فوق نيران السهوب . .

فاليوم يومك يا حديد

ويوم فرسان اللهب

يوم الجبال الزاحفات

من السنايا والكروب

يوم جهنم لو رأته لراعها هول الوجيب . . .

فلقي له يا «مصر» واصطرعي بأرزاء الخطوب

ضمي يديك على الجراح

والقي بين القلوب . !

وامشي على الهلاك سا

خرة بأهوال الحروب .

يا كعبة الأحرار ، رن

هتاف شاعرك الطروب

ودعاك مجدك فاستجيبي

وامشي له فوق اللهب

«يا مصر» يا أنشودة الدنيا وأغنية الشعوب ! !

أغنية للنيل

حيّاك قلب الوجودْ يا فتنة الكونِ
يا «نيلُ» يا ابن الخلودْ يا خمرِ «فرعونِ» !
يا قصةً في النهارْ تروي حديث الزمنْ
تلقي نشيد الفخارْ في سمع هذا الوطنْ !

* * *

شيّبتَ عمرَ الزمانْ وأنت فجرٌ جميلْ
سكرانُ تلقي الحنانْ والحبُّ تحت النخيلْ !

* * *

البيضُ أهلُ الشمالْ خَرّوا على بابِكْ
والسُمْرُ خلفَ الجبالْ صلّوا لأمواجِكْ :

* * *

من عهدِ «خوفو» القديمْ وأنتَ راعي السَّلَمْ

تُجرِي لِمصرَ النَّعيمْ مِنْ عاليات القِمَمْ !

• • •

يا ما رأيتُ السَّفينْ فى لُجِّكَ الهادى

بينَ الهوى والحنينْ تُصغِي لإنشادى ! !

• • •

والشمسُ عندَ الأصيلْ حولَ الصَّبايا الحسانْ

حوريَّةٌ فى الحقولْ تبكي فراق الجِنانْ . .

• • •

قلْ مرةً للشبابْ إنْ جاء يشكُو إليكْ :

اصْخَبْ كَهذا العُبابْ واملأ بسحرى يديكْ .

• • •

حيّاك قلبُ الوجودْ يا مُهْجةَ الوادى

يا نيلُ . . يا ابنَ الخلودْ يا مَهْدَ أجدادى . .

• • •

يا موكباً من جَمالْ يَسرى على الكَوْنِ

يا صفحةً فى الرمالْ من سيفِ «فِرْعَوْنِ» . .

أَحْــرَارُ الجَـنُــوب

[في لقاء لفرقة من أبناء السودان الشقيق]

نزلُوا الشمالَ .. فهيّجُوهُ غــرامــا

وسـرَوْا ، فخفّ لهم هوًى وسلاما ..

هتـف الضحى بلقائهـم ، ورأيتُــــه

لهُـم يزفُّ صبابــة ، وهيـامـــا ..

ورأيتُ موْج النيـل حـول خُطــاهمُ

يهَبُ العطور ، ويسكـب الأحــلاما

وتكاد أهرام الخلـود .. وصمتُهـــا

ماتعلمـون .. لهـم تبثُّ كلامـــا :

أهلاً حبيب النيل ! لســتَ جنوبَــهُ

بـل جنبَـــه المتهَـجّدَ القــوّامــــا

عشقتك سمرة ملئه ، فرأيتها

تخذت جبينك معبداً يتسامى

وعشقت أنت رحيقها ، فشربته

لهبا لعالك في يديه حساما . .

وحسوته بيد ، إننا لحتدم اللظى

تركت حديد القيد فيه حطاما . .

ورفضت . . إن لم يمض سيفك ، هذه

أخوات سيفك أصبحت أقلاما

من غابر الدنيا ، وكان زمانها

حبواً . . وخبطاً في الدجى ، وخصاما . .

كنا هنا أخوين ، بل قبسين ، بل

فلكين عنهما الوجود إماما

لا مصر . . لا سودان ، بل نهر جرى

وعليه أحلام العلا تترامى

وعليه شعب راح في جنباته

يبني الحضارة سدة ودعاما

سيّان حلّ على جنوب ضفافه

أو في جبين شمالهن أقاما

هو نهرةٌ ، بل عمرةٌ ، بلْ سحْرةٌ

سكَن الربى ، وتغلّف الأنساما

فعلام حيّرهم ، وشقّ عصيّهم

في حقه ، وتوزع الأفهاما . . .

إنْ كان هذا شرْعُ كلّ سياسةٍ

فعلام لم يتقسّموا الأجراما !

وعليه شعْبٌ منذ ما عُرف الهوى

والنيل يعزف حبه أنغاما

فانٍ على مُهَج العصور . . مشتْ به

دنيا ، وتنشأ للحمى ونماما

يا نيلُ . . نسيْت القرون شبابهَا

بخطى تسوق السحر والإلهاما

وصهَرت أغلال السنين بجذوة

تركَتْ قيود الغاصبين حطاما . .

هنا صدى الأحرار فوقك غنّوةٌ

تُشْجي الضفّاف ، وترعش الأجراما .

حَبِيبُ الذُّنُوب

ومرَّت ذنوبي .. على توبة

من الله ، ادعو لقاها بقلبي ..

منوَّرة في ظلام الوجود

تضيء الطريق لغفران ذنبي ..

وقالت : ندمتُ وما عدت يوما

إلى أي ذنب أمدُّ اليمين ..

فردَّت عليها : وبعد الندامة

جددت كأسكِ في الخاطئين ! !

بسطتُ لك العفو في كل أفق

به تندمين ، وتستغفرين ..

واقتبلتِ كي تبصري لحظة

بها عن معاصيك .. قد تخجلين ..

ولكن لِأمّارة السوء نادت

فطِرتِ إلى صوتها ترقصين ...

فكيف أمد إليك اليمين ،

وأنتِ بهمس الدعاء تكذبين ؟

.. جهلتِ الطريق .. إلى عفو ربّي !!

• • •

ونادى المنادي : جميع الذنوب

يد الله تغفرها .. ما تشاء ..

ورحمتُه وسعَتْ كلَّ شيء

ولو ملأ الإثم قلب الفضاء ..

فأسرفتِ !.. لا توبة ترتجين ،

ولا تتركين لعفوٍ رجاء !

وعاندتِ ربك حتى شربتِ

رحيق الخطايا ، بكف الدعاء ..

فلا تعجبى إن رأيتِ السمــــاء

حوالَيك تحجب نــور الــرجــاء

فإن شئتِ قُربى . . فعهد أمين

مع الله يسقيك نــور اليقــين

ويأتيكِ قبل الــدعا عَفْوُ ربى !

صَلاة ..

وقفتُ طويلاً على سُدَّتكْ
أنادي ربِّي للنور في سِدْرَتكْ ..
كأنِّي سحَّابةٌ أو مَلاكْ
يغيبُ المصلِّي إلى كعبتكْ ..
أنادي .. وأجأر .. في حوّمةٍ
من الصمت ، تهدرُ في حضرتِكْ ..
وانشقَّ ذاتين .. ذاتاً تنوحُ
وأخرى تسبِّح من خشْيَتكْ ..
وكلتاهُمَا من رياح الضمير
صدًى ذائب في صدَى موجَتِكْ ..

تصيحان ، من غير نكْرٍ ، ولا
صـلاة تـؤوبُ ، فى خيمتـكْ . . .
. إجرْنى يا ربّ . . من كـل شـىءٍ
يصـدُّ طـريقى إلى ومضتِـكْ . .
منِ الليل . . يَسحقُ فيـه الظـلامُ
خُطاىَ الضريراتِ ، عن نظرتِكْ . .
من النور . . يفضحُ سـرُّ الطـريق
بنا جئـت لشـربُ من كـرْمتِك . .
من الفجر . . يفهقُ منه الضيـاء ،
فـيغُـرق دنيـاىَ فى هالتِـك . .
من الخطـو . . يُـوغل طىَّ الـدروبِ
وينسَى اتجاهى إلى سـاحتِكْ . .
من الشـدْو . . اعصـره للجمَـالِ
وانسـلب هيمـانَ فى نشـوتِكْ .
من الحـب . . تصهـرنى نـاره
رمـاداً شقيـا على ضفتِـكْ . .

من القلق السّابح المستطيرِ

على نوءِ قلبٍ في لُجّتكْ ..

من الطهر .. يخرق مني العبيرَ

عناقا ، يضوع لـدى جنّتِكْ ..

من الإثم .. طيرٌ شجيٌ للتائبِ

يغنّى ، ويندسُّ في رحمتِكْ .

من النفس .. تورقُ عند الدعاءِ

ويلطفها العقل من ساحتِكْ ..

من العقل .. يحملُ نعش الضميرِ

ويهربُ خزيانَ من سكّتكْ ..

من الناسِ .. ما أنا فيهم سوى

رؤى عابدٍ ضلّ عن آيتكْ ..

أجِرْني .. فما زلتُ في كل شيءٍ

صدًى كبّلتهُ رؤى لحيتكْ ..

وما زال وجهي خلف الضبابِ

هوًى يستشفُّ سنا راحتِكْ ..

يَمُدُّ إليكَ لتعتناق الضميرِ

فيرتدُّ كالوهم عن رؤيتكْ . .

ويدعوك . . وهو كثيف الندامة

حيران . . يصرخ من وهْلَتِكْ :

أجِرْني ! !

تعالى بَدٌ . . في الذي

سقاني خطا التيهِ . في طاعتكْ

أمـــان الـلّـــه

أمانَ الله . . يا قلبى !

أمان الله . . يا حبّى !

أمان الله . . يا ربىّ ! أمان الله . .

• • •

أمـــــانَ الله لا تطفـىء صبابـاتـــى

فنارى لم تزَلْ فى مُهْجتى تضرَعْ . .

ولا تَحجُبْ عن الأنـــوار ليّـــــلاتى

وخلِّ الشـوْقَ من أنفاسها يسطَعْ . .

وقل للطير : جدِّدْ نشـوةَ الألحـــانْ !

وقل للزهر : عطِّرْ وحشة البستانْ !

وكبِّرْ . . للذى خشعت له الأكوانْ ! !

ولأنت حيرة القلبِ ! ! . .

تنادي ربها : ربّي . . أمان اللهِ

أمان الله ، نُورْ كل ساعاتي . .

وهبْ للفجر مِن ظلماتها مَطْلَعْ ! !

• • •

أمانَ اللهِ . . يا قلبي بِكُلِّ لسانْ

أمانَ الله . . يا حبّي . . بكل جنانْ

أمانَ الله . . مادامت ضراعاتي

إليك لسرِّها ووُجودها تركَعْ .

وما دامت لصوت الله راحاتي

بكل دعائها ، ورجائها . . . تَسْمَعْ .

. . ستُورِقُ في دمي ، وتفتَّح الأغصانْ

وتُشرق في فمي ، وتغرِّدُ الألحانْ

وترجعُ بسْمتي لطريقيَ الحيرانْ . .

بحقّ عُلاكَ يا ربّي

سألقى النورَ في دَرْبي

وَيهتف دائما قلبي

. . . أمانَ الله . . تملأ كلَّ ساحاتي

وفي محرابها بحقيقتي أخشعْ

أمانَ الله يا قلبي . . أمان الله ! !

أمانَ الله يا ربي . . أمان الله ! !

١٩٦٩

مُوسيقى الوداع الأخير !!

.. مع انسلال الروح من جلد التراب ،

في لحظة احتضار حزين ...

.. إلى روح ، د . غنيمي هلال !!

ماذا وراء التنفّس للطُّلوع ، من أغصانه الآفلة ،

المتآكلة الحَفيف . . بيْن الحنجرة ؟

ماذا وراء الزّفْرة المَطْرودة الكيان ، والزّمان ،

مِن وُجودها المخْدوع . . حول الجَمْرَة ؟

ماذا وراء النّظْرة الموءودة الشُّعاع ، والوداع . .

. . . في أجفانها المَشْدُوهة المسمَّرة ؟

ماذا وراء اللحظة السارقة ، المسروقة الرّنين .

. . . مِنْ دقّاتها المنْتحِرة ؟

ملنا وراء الرّعشة الخرْساء ، والقلق بكفّ الغيب ..

. . . تهْوى فوق جذْع الشّجرةْ ؟ ،

والرّيح لا تمسّ طيفاً ، فيه وهمُ نزْوةٍ . .

. . ناظرةٍ لأخْتها للمُنتظرةْ ؟

تقطّعتْ بالزّنْبق الحبالْ !

وابلَسَتْ مرافئُ الزّوالْ !

واغلست مسارب الخيال !

وانسحب الضوْء ، من السّراج الضّارع المهزوْم

وانسربَ الوجودُ ، كاللّصّ ، إلى رمادهِ المحتوْمْ

واقفرتْ ! ! لم يبْق حتّى حلْم عودٍ في رفات ثمرةْ

ولا فُتات بذْرةٍ حمْقاءَ . . يهْوى غصنها لن يستردُّ زهرةْ !

ولا مسارُ دعوةٍ لخبرةٍ ، إلى سماءْ

ولا مدارُ حيرةٍ ضريرة ، إلى رجاء

ولا جؤار عتْمةٍ مقهورةٍ ، إلى ضياءْ

ربّاهُ . . ويلَ ساعةٍ أنغامُها في نايها مكرّرةْ . .

تجيء ، ثم تختفي . . . ثم تعودُ فوق سرّ . .

. . لستُ أدري خبْرَهْ ! !

• • •

سكينةٌ تنفضُ ؟ أمْ سكينةٌ تنتفضُ ؟ . .

. . . أمْ إعصارُ صمتٍ ؟ أم شظايا مقبرهْ ؟

. . . أم ودَعْ العرّافِ ، ينْهي غيبَهُ من دربه ما قدّرهْ ! !

. . . أم أنها صائدةٌ ، مقهورة ، مسيّرهْ ؟

. . . ترمي بها بقبضهِ مَنْ شدّ عليْها وتَرَهْ ؟

والسهْمُ . . والقوس . ونبضُ الدّمّ في الخليةْ ،

أشلاء وهْم . . في يدٍ مشلولةٍ . . عتيةْ ،

وطيْفُ حلم موصدٍ . . في قبضةٍ خفيةْ .

. . وحيرةٌ مبْصرةٌ ، في حيرةٍ ضريرةْ

تدْهسُ ضوْء الروح في السريرةِ . .

بدون أيّ رحْمةٍ ، أو انتظارِ رحمةٍ

وفي نُحولِ لحظةٍ ، ضارعةٍ في لحظةٍ !

. . . تُحيل كلّ ما يضيءُ في الحياةِ ، ظلمةً مدثّرَهْ !

. ربّاه ! ! لهْيَ نشوةٌ عند اللقاء مسكرةٌ ؟

لم لنها عند الرّحيلِ . .

. . . - لا للّتْ راحتاهُ - مَجْزَرَة ! ! !

● ● ●

من اجل هذا

. اكره الإيماءَ . لا ندهاشةِ الجنائزِ

واكرهُ الإصغاءَ للدّموع . . مهْما حوّمتْ غرائزى

واكْرَهُ الإفْضاءَ بالأحزانِ . . مهْما خيّمتْ جِراحها

لشمْسى ! !

واكْرَهُ الرثاءَ . والبكاءَ . حتى لو رأيتُ نَعْشى ! !

لكننى اشتاق لنْ ابوح بارتعاشة الضّوْء

إذا رأيتهُ نعسانْ

وانْ لشدّ مِزْهرى لِفَجْرهِ المكبّل الظّمآنْ

. . مهْما لوَى الظّلام وجْهَ عاشقٍ . .

عن كُلّ نورِ فَجّرَهْ . .

ودوّخَ اللّسانَ . . حقْدُ كارهٍ لضَوْئه ،

انْ يتَذكّرهْ . .

أشتاقُ أن أقولَ . . .

. . . كانَ موْجةً صُوفيّةَ الهديرْ

ترُشُّ كلَّ تلعةٍ جاهلةٍ . . من فيْضِها ، وفيْضِها الغزيرْ

وكان شوْقَ لجّةٍ ، تعشقُ أنْ تُعانقَ الغديرْ

وكان وجْهَ عاصفٍ مزمْجرٍ بالموْتِ ، والنشُورْ

. . لحْناً لكلِّ ظلْمةٍ

. . سدّاً لكلِّ رجْعةٍ ، مدّاً لكلِّ نورْ

وكانَ فأسَ حاطبٍ

. . وكان كأسَ شاربٍ

. . . وكان لمحَ ساربٍ في توْهةِ العبُورْ

وكانَ دربَ سائلٍ

. . وكان حرْبَ جاهلٍ

. . وكان سكْبَ يقظةٍ ونُورْ

وكانَ في انطوائه ،

. . . وكان في انتمائه ،

تـوهُّجـاً ، يـدُورْ

وكان فوْحَ عُشْبةٍ

.. نخيلةٍ في ربوةٍ

.. أبيةٍ مستقرة

مرّتْ عليها الريحُ .. ما أفنَتْ عبيراً .. بثّه ، ونشرَهْ

واحتدَمَتْ من حولِه كيْ تصهرَهْ

وتُخفتُ الإشراقَ ، والإبراقَ . في كلِّ ضياءٍ بذرهْ

... لكنها مقهورةً منتصرهْ ! !

دسّتْ له الأشواكَ في كلِّ طريقٍ عبرهْ ..

فداس ، ثمَّ داس ..

.. حتى لو غلتْ في كبْدِه لتعْصرهْ

والطفل للفتُورْ

في مهده يدورْ

يطفئُ السطُوعَ والشمُوعَ في يديْه

ويخطف الصفْاءَ ، والضّياءَ من عينيْهِ

فلمْ يجدْ فينا من السُكونِ والأمانِ ،

يحْميه من ضراوة الأحقاد في الإنسانْ

إلا الغروب .. عند هذه الأكْفانْ ! !

١٩٦٨

سُفنى أقْلَعتْ

فلا تسألونى ، فى دروب الغياب : أيْان تمْضى ؟

مثلما تشهقُ الدُموعُ دعونى ،

أذرف السرَّ من بقيّات ومْضى

لا فراقٌ ، ولا وداعٌ!

ولكنْ رحلةٌ ، من ضفاف بعضى لبعْضى !

لا شراعٌ ، ولا سفينٌ !

ولكن زورقٌ ، من سماء روحى لأرضى !

أطلقتْهُ الأحزانُ من كل شطٌ

زائراً ، يوقظ اللهيب ويُفضى

ويذيق الرمادَ إشراقة الروح . .

ويستلُّ ناره ، ثم يمْضى . .

كالفرّ بالوقوف . يصلبُ نزبي في مصيري .

وسجنتي فوق رفضي . . !

انا ملاّحهُ ، وحادي خُطاهُ

ولنا موجه ، وعلي نجاهُ

ولنا فجرُ حلمه . وكراهُ

وانا يقظةٌ حدلها ، هَواهُ

فاتركوني . . .

كما تغنّتْ رؤاه ، اتغنّى بسرّه . .

. . ثم امْضي ! !

سفُني اقلعَتْ . . وما كنت فيها

إنما كان سبحُها في عروقي . .

تمخرُ الموجَ ، وهو قلبي ،

وتجتاح زئير الرياحَ ، وهو طريقي . .

وتشقُّ العباب هاتكةَ الحُجْبِ ،

لرعْدي ، وعصْفتي ، وبروقي . .

سئمتْ من وقوفها في الكرَى الداجي ،

فخاضتْ بالرُّوح غيهب الشروقِ . .

تنفُضُ الأمس من شراعٍ عليها ،

ملّ تهويمةَ الضّياء العتيقِ . .

وتنادى الغدَ البعيدَ ،

ولو كانَ بإزائِهِ نبيحَ السُّموقِ !

انظروها تميدُ فى لُجِّها النّشوانِ ،

سكرَى ، تجترُّ وهْمَ الرحيقِ . .

نظرتْ ! ! ثم اطرقتْ ! ! ثم سارَتْ ! !

مثلما انهارَ عاصفٌ فى حريقِ . .

حُرّةٌ . . لا تريدُ شطًا . .

ولا تنشدُ برًا . بريد وادِ الخُفُوقِ . .

انهلّتها جنائزُ الموْج . .

فارتدت . . . . . وقالت لكلسها : لا تُفيقى

وامْخُرى فى الرفاتِ ، وللموت ،

واسقى ثاكلاتِ الرياح ، نوْحَ الغريقِ ! !

سُفُنى اقلعتْ . .

وكنتُ وداعاً ولقاءً لها ، بغمْضة عَـينٍ . .

وفضاءً يمتدُّ منها

فيَسقى نارها ما تشاء من نار كَوْنى . .

حملتْ غصّةَ الإباء ، وعضَّ العذرِ ،

واللّغوَ منْ صداىَ الْمرِنّ . .

ثم سارتْ ، ولسْتُ فيها ،

ولكنْ . . كلُّ ما فى كيانها فرَّ منّى . .

فرَّ من وجهى الّذى فرَّ منه

طائرى . . وانحنى إلى الترب غصنى . .

فرَّ من سَمعىَ الذى كان نابها

لصلاة الضحى بمحراب فنّى

فرَّ من ذاتى التّى . .

آه . . لنْ ترْجعَ ذاتى ،

إنْ لم يرْعَ الله سفْنى ! ؟

* * *

الديـــوان العاشـــر

هديـر البرزخ

هديـر البـرزخ

سأشدو . . .

ويشدو معى ،

طائرٌ من الغيب تصغى إليه الدهور

● سأشدو لكُم . .

وأُشعلُ بالنأى أشواقكُمْ

واعصر فى الشدوْ إلهامكُم . .

● وأمتصّ منكم رَمادَ الظلأم ،

وأسقيه نوراً لأحلامِكُم . . .

● وأعزِف ما عِشتُ للحائرينَ ،

وللواقفينَ على بابِكُم . . .

يَعدُّون فى الليل أنفاسَهم

ويعوونَ والريحُ تصغى لهمْ . .

وصمتُ الدروب يُغنى بهمْ . .

وتسمعهُم صلواتُ السكون

* كما يسمع العقلُ صوتَ الجفونْ . .

وما كنتُ إلا صدىً منهمُ ،

ولحناً على دمعهم مُبهمُ . .

يُدارِى . . . وتُضنيهِ آهاتهُ ،

فيذرِف بلواهُ ، أو يكتمُ . .

وظلتْ بجنبيهِ نارُ اليقينِ ،

* تُولولُ فى الروح أو تلْجَمُ ! !

رَبيعيةٌ فى سماءِ الخريف

تَشقُ نُجاها وتَستلهمُ . .

* وتجتاح من عتَمَاتِ الوجوهِ ،

سُدوداً على غَيبها تجثمُ

* وتنهالُ خلف رتاجِ الصدور ،

تَفضُ الحجابَ وتستفهمُ

• وتغطي السرابَ مقالبهُ

كما شاءَ . . يُقبلُ ، أو يُحجمُ

• سواءٌ توارى ،

سواءٌ تعارى ،

بكلِّ الذى دَسَّهُ تعلمُ

• فلا تحسبونى رباب الجفونِ ،

فإنى لأخفى خفاءٍ فمُ ! !

• • •

سأشدوا لكُم

لكل الذين يدُ النُّور مُدتْ لهمْ

وللموصدين عن النور ابصارَهُمْ

• وللقابعين يلُوكونَ أسمارهمْ

وللهاجعينَ يُذيبونَ أسحارهمْ

• وللعاكفين يدَورون أعمارَهمْ

وللواجفينَ يُعاطون أسرارهمْ . .

• وللواقفِ المنتشى بالجمودْ

وللراكدِ المطمئنِ الوجودْ

* وللسامرِ المنتهي في الرقودْ

وللقابعِ المرتمي في الخلودْ !

* وللقانعِ المنتمي للسرودْ

وللقانتِ المنزوي في السجودْ

* وللآبقِ المرتوي بالجحودْ . .

وللزائفِ المعتلي بالورودْ

وللخائفِ المصطلي بالهمودْ . .

لكلِّ السراةِ ، وكلِّ الحداةِ ،

وكل البغاةِ ، وكلِّ الهداةِ

وللخانعينَ ، وللرافضينْ ،

وللثائرينَ ، وللهامدين . .

وللشاربين ، وللهائمينْ

وللراحمينَ ، وللجائرينْ . .

. . لكلِّ انتفاضٍ زواهُ الخمولْ ،

وكلِّ ارتعاشٍ كواهُ الذبولْ . .

وكلُّ اشتعالٍ ضرير اللهيبْ ،

يضيءُ الدُّجى باحتضار المغيب . .

وكل ابتداءٍ ، وكل انتهاءْ ،

يديران في الكأس وهمَ الضياءْ . .

وكلُّ ارتقابٍ ، وكلُّ احتجابْ ،

يُطلانِ من شُرفاتِ اليبابْ . .

ومن كل وجهٍ ، ومن كل قلبٍ

يذيبانِ دمعَ الحيارى بدربى . .

* * *

. . سأشدوا لكمْ

وأسقى العطاش بأكوابكمْ . .

وأستلُّ من سكراتِ الظلامِ

شعاعاً يغنّى لأسرابكم . .

وأنشدُ للعارفينَ ، وللغافلينَ ،

للسالكينَ ، وللضائعينْ . .

وللواقفينَ على كلِّ بابْ . . بقايا ترابْ !

وللجارعين رحيقَ الطلبْ . . ركابا ضبابْ !

وللضارعين بذلَ الرقابْ . . مطايا سَرابْ ! !

وللناس فى كلِ دربٍ بفَوتْ

ومن كلِ خطوٍ صداهُ بموتْ . .

وفى كُلّ صوتٍ شواهُ الرياء

وفى كلِ صمتٍ طواهُ الإباء . .

وفى كلِ جوعٍ ابى الشّكاةِ . .

وفى كلِ رىً بغىٌ اللهاةِ . .

وفى كل حرفٍ رمتهُ الظلالْ

على شفةٍ غطّ فيها الزوال . .

وفى كلّ ماضٍ بليد العطاءْ .

وفى كل آتٍ جديدِ الرجاءْ . .

نشيدى لكم ايها السامعون ،

على زورقٍ من هشيم الظنونْ . .

فلا تعجبوا إن رأيتمْ رياحى ،

تغنى لكم وَقَوهَاتِ الصباحِ

فإني مغنٍ لديهم الجراحْ ،

بأوتاره لاذَ سِرُّ النواحْ

. شربتُ السلاسل في الصاغرينْ

وضيعتُ ذاتي مع الخائفينْ . .

وأوغلتُ حتى كهوفِ اليقينْ

فخالستُ ضوئي من المؤمنينْ . .

وساكرتُ حقلي سُهومَ الهجرِ

فأنّتْ صلاتي مع العاثرينْ . .

وكبّرتُ قبلَ احتدام الأذانِ ،

ومن وهلتي ذبتُ في الساجدين ،

وأسلمتُ عُشْبي ، وأحرقتهُ ،

فأوما إلىّ دجى الجاهلين .

ولوّنتُ روحي غناءً يضيءُ

بأحزانه ، حيرة العاشقينْ . .

ونغمتُ كلّ خفايا السكونْ

حداءً لطيري على الواقفينْ . .

وإنّي تلفتُّ نحتَ الضياءَ ،

وألمحُه حسرةَ التائهين . .

وبعثرتُ روحي رياحاً تجوبُ

ويا طول شوقي لرؤيا سكونْ !

وأوشكتُ لولا عتو الزوالِ

أترك تنهيدةَ للسنينْ . .

ولم تخلُص عني طيورُ الضّلالِ ،

وإن سكنتْ أوجهَ الطيبينْ . .

ولا روّافتني بأعشاشها

متاهاتُ زور من الناظرين

ومالي سلالٌ لغني بها ،

وأجني صبابها مع القاطفينْ . .

فلي روضةٌ إن دهاها الخريفُ ،

ربيعي على صدرها كلّ حين !

ولي رشفة من رحيقٍ عميقٍ

بساتينهُ عطرُها لا يحينْ !

مِن الروح للروح يجرى شذاهُ
وتنهلُ أنهارُهُ فى الجبينْ . .
وفى قدرٍ فى دمى ناغمٌ
تلاغيه إصغاءةُ العابرينْ . .
عبرتُ الوجود بلا أى فلكٍ ،
ولا أى موجٍ يناجى السفينْ .
وشاهدتُ حتى اصطفاقَ الظلامِ ،
وحتى احتراقَ الضياء السجينْ ! !
ولوحاتُ لله . . فى كلِ شئٍ ،
وإن جل عن أن تراهُ العيون !
بكل الخطايا . . وكل الرّزايا .
وكلِ المرايا . . وكلِ الفتون . .
• وفى كل وجهٍ سفتهُ البراقعُ
أسمالها بالضياءِ المهينْ !
• وفى كلِ راشفةٍ فى الضمير ،
وفى كل زاشفةٍ فى العضون . .

• وفى كل تسبيحة نقلت

بحباتها في يد العابدين !

• وفى كل حلمٍ ، وفى كل وهمٍ ،

تجنحُ رؤياه للساهمينْ . .

• وفى كل ذراتِ هذا الوجودِ

طرحتُ الشباكَ بشدو السنينْ

• وغنيتُ . . غنيتُ . . حتى شربتُ

صُبابات لحنى . . مع النادمين ! !

ساشدوا لكم

واشعل بالناى اشواقكمْ

واعصر فى الشدو أيامكُم . .

وأسكبُها فى دم الحائرين ،

صلاة لفجرٍ قريب لكُم . .

• • •

• فهيا نغنى على دربه . .

لتشربَ نجواهُ ابصاركُم . .

• وهيا نشد إليه الزّمامَ ،

ليخضرّ للروحِ بستانُكُمْ . .

• وتدنو لكم يانعاتُ الثمارِ

قطوفاً . . قطوفاً لأطياركم . .

• تساوتْ لديها جميعُ الأكفِ ،

سراباً ، وماءً ، بأكوابكُمْ

• ولم تَبْقَ عين ترى ما تُريقُ ،

خريفاً لها . . وربيعاً لكُمْ !

• ولم تبق تأويهةٌ للحيارى ،

تنغصُ بالسخطِ أنفاسكم !

• ولم يبق ظمآن تحت الكروم

يناجى ثُمالة أقداحِكم . .

• ويا ليتها زَعْزَعَتْ جنةً ،

وظلتْ عطاءً لأحلامِكم ! !

• أطلوا . . تروني بها عازفاً ،

حصادى هشيمٌ لأسرابِكُم .

* أغنى ! وغنى ربابى أوطارَ . .

وغنتْ سمائى لأصولتكْم !

* وغنى نبىٌ ، وغنى رسولٌ ،

وانضى إلهٌ لأسفاركْم . .

* وباخَ الغناءُ ، وباخَ الربابْ

وباختْ حروفى بأسواركم ! !

* أصيخوا فإنّى لكْم رافضٌ

إنا لم تردوا إلى الجبين . .

* فقد ضاعَ وجهى . . فى غفلة ،

وضاع الغناءُ ، وضاعَ الرنينْ . .

* وقلبتُ غيبى فى كلّ أفقٍ ،

لعلى أعودُ مع العائدين . .

* لعلى أرى الأرضَ ألقتْ كراها ،

ودبتْ بها صحوةُ النائمين . .

* لعلّ الأسى فى اختلاج الوجوهِ

تشبُّ القيامة فى الراقدين . .

* لعل المنادى يهزُّ الدروب

ويسقى خطاها لظى الغاضبينْ . .

* لعلى أرى فوقَها كلَّ شيءٍ

حصادَ انتقامٍ ، وسُخط دفينْ !

* لعلى أرى سجدات السماءِ

عليها . . أعادتْ شذى المرسلين ؛

* وردتْ عبيراً سحقنا رباهُ ،

ودسناهُ قبل خُطا المجرمينْ !

* لعلى أرى كلَّ شيء إباءْ

ورفضاً لهذا الوجودِ المهين !

* ولا عاشَ حرٌّ ! ولا عاشَ عبدٌ !

ولا مرَّ عيشٌ ، على صابرينْ ! !

* ولا كان ماضٍ ، ولا كان آتٍ ،

ولا كان دنيا ، ولا كانَ دينْ ! !

* ولا كان شعرٌ ، ولا كان فنٌّ ،

ولا كان شدوٌ ، ولا سامعونْ . . .

● . . لنا لم تروا لسارير وجهي ،

ووجهِ الوجودِ الذي تعبرونْ ! !

● ● ●

سلشدوا لكم

● ويشدو معي طائر في سطوعٍ

من الغيب ، تُصغي اليها الدهورْ

● خلونيةٌ . . . اومأتْ للزوالِ

فنلهتْ بهِ موصدات للصبرْ . .

● ترعرعَ فيها لندهاش السماء ،

وأينع فيها ارتعاشُ العصور . .

● ومرتْ عَصاها على كُلّْ دربٍ ،

فلم تلق للنورِ رؤيا عبورْ . .

● ولم تلق الا متاهات فجر ،

تريدُ الردى ، ويريدُ النشورْ . .

● ابابيلُ من شهواتِ الظلام ،

تناهشَ فيها زمانٌ ضريرْ . .

* ولم يبق للناس الا رقْلت

بهِ كلُّ جارحةٍ تستجير . .

* صلاةُ التراب ، لعبد التراب

ورقُّ الضمير ، لنعشِ الضميرْ . .

* ومَلْطومةٌ من أكف الهوانِ

على جفنها الذلُّ طاغٍ أسيرْ . .

* ومَوءودةٌ فى يَديها الفناءُ

إلى كل خزى ، بِعَلهُ تُشيرْ . .

* وندابةٌ من سبايا الوجوهِ ،

عليها أسيرانِ : قيدٌ .. ونيرْ . .

* ووجهانِ : وجهٌ لرش العبيرَ ،

ووَجهٌ لنهشِ الدُّجى فى الحفيرْ !

* وهذا مزّارٌ لكبر الضياءِ ،

وهذا منَار لقهرِ الشعورْ . .

* وجاثينَ . . لاَ ربَّ فى أىِّ شىءٍ ،

ولا شىءَ . . إلا انكفاء الصدور . .

* وآلهةَ جسدتها العيونَ

طواغيتَ ، ينَصب فيها المصيرْ . .

* وأشلاءُ قافلةٍ ، زمزَمتْ

لِحادٍ ، سقَاها سرَابَ المسيرْ . .

* وَجلادُ روحٍ ، يدلهُ ضريحّ

يُكفنَ بالوهمِ وجهَ الفقيرْ . .

* وعالين . . فوق التفات الجفونِ ،

وفي كأسهم عصاراتُ زورْ ،

* وغافينَ في حلكٍ مرّغتهُ

على الظلمِ دُنيا فَراغٍ تَدورْ

* وسارين ، لا الخطو يومي لأفقٍ ،

ولا أيَّ أفقٍ إليه يَصيرْ . .

ظلام . . ظلامْ . .

ولُجُّ انعدامْ . .

* وكونٌ تَرَّبصَ فيه زَوالهْ ،

واخْنَى على كل شيء ضَلالُهْ

* وشابَ عليهِ اخضرارُ السفوح ،

وإصغاؤها لارتعاشِ الضريحْ

* فمرّتْ عَصاها

ولوّما ثراها

وَضجتْ على يأسه مُقلتاها

* ولم يَبقَ إلا الأسى في رُباها

ولم يبقَ ناعٍ يُناجي سَماها

* فقد ملّتِ الأرض . . ملّ السجودْ

وملّ الطغاةُ . . وملّ العبيدْ

* وملّ الظلامْ . . وملّ الضياءْ

وملّ الوجودُ . . وملّ الفناء

* وملّتْ صداها شفاهُ السماءْ . .

وملتْ بها حيّرةُ الأشقياءْ

وشوقُ الرسالات والأنبياء . .

* وضاعتْ على الليل كلُّ الوجوهْ ،

وكادَ المدَى في مداهُ يتوهُ . .

وما هو الا صدى كِلمةٍ

وإصغاءُ نذبٍ إلى توبةٍ ،

ومن قبلُ . . يرتدُّ طرفٌ لعين ،

تهاوى نُجى الأرضِ في لحظتينْ . .

ففي لحظة ، تلبَ ذُلُّ الترابْ ،

واخرى . . تألّق فيها شِهابْ . .

وشقّت لسى الليل . . بشرى شُعاعْ

على راحتيهِ ، تهادى . . . شِراعْ ! ! .

نبيُّ الرياحِ . . إذا ما سمَاهُ

نَعتّها ، ترامَتْ لكلّ اتجاهْ . .

وشعّتْ . . وجوداً جديداً ضُحاهُ

ودَرباً إلى الحقِّ تمضى خطاهْ ،

على كلّ ارضٍ تألقتْ بِناهْ

وفي كلِ ظلماءَ مَسّتْ ضِياهْ ،

وفي كل لجٍّ هديرُ السفينِ

باحشائه ، سرمدىُّ الأنين ،

وفي كلّ حيران تسقي العيونْ

أساريرَهُ ، ترّهاتُ الجفون ،

وفي كل زَفرٍ ، وفي كلِ لهفةْ

وفي كل دنيا سرُاها متاهةْ . .

مَضى ثورةً في خفايا العبابْ

على كل زيفٍ . . يفُضُّ الحجاب . .

تَمُرُّ على كل شيءٍ بِذلهْ

حَيلة . . تغير فيها الحياةْ ،

. . هنا الليلُ . . تَزهقُ فيه دُجاهْ

هنا الذُّلّ . . تمحقُ فيه لساهْ

هنا الظلمُ . . شلّتْ عليه عَصاهْ

هنا الوَهم . بادَتْ عليه رؤاهْ

هنا القيدُ . . ذابت به حلقتاه

هنا العبدُ . . رنّتْ إليه خُطاهَ

هنا الافكُ . . شلّتْ عليه الشفاهْ

هنا الشركُ . . أورَقَ فيهِ هُداهْ

هنا وَثنٌ . . عانقتهُ صلاهْ ،

وريعتْ ، فهلتْ عليه تراهْ . .

هنا ساجدٌ . . زمزمتْ راحتاهْ

على صخرةٍ . . قال : هذى إله

ومرّتْ به فى غواشٍ عماهْ ،

فرُدّته للنورِ يعوى يَداهْ ،

هنا كلُّ ظلٍّ تَساوى جناهْ

هنا كلُّ صبحٍ تساوى سناهْ . .

فلا ناهبٌ غطَّ فيما حواهْ ،

ولا سالبٌ شطَّ فيما ادّعاهْ

ولا جالبٌ ريهُ من دموع . .

ولا عاصرٌ خمرَهُ من نجيعْ . .

ولا خاطف نجمهُ من شُموعْ . .

ولا شامخٌ جلب فيه وضيعْ . .

ولا صارخٌ غابَ فيه سَميعْ . .

تساوى على النور جفْن الجميعْ . .

* * *

فلا جائعون ، ولا متخمون

ولا تابعونَ ، ولا سيّدونْ ،

ولا خائفونَ ، ولا زائفون

ولا عاثرونَ ولا قاهرون

ولا فاسدونَ ، ولا مُفسدون

ولا هامِدونَ ، ولا سامِدون

صَحا الكلُّ حينَ أهلَّ الشراع ،

ودوّى النفير بدنيا الضياع . .

هنا النورُ يمخرُ لجَّ العذابَ

بنورٍ تجسدَ منه الكتاب

على كلِ حرْفٍ به كوكبان

يُضيئانِ حيرةَ هذا الزمان . .

وفى كل سطرٍ . . تصدى صباح

ومدّ على كلّ شيء جنَاح . .

وفي كل بشرٍ تحدّى نداه

يردّدُ للأرض صوتَ السماء . .

هنا الروحُ . . والعقلُ . . لاتوْأمانْ

ولكن . . شعاعان لا يفْرُبان . .

على خيمةِ الغيب يستطلعان

ومن غَيمةِ الحجب يَسترفدان

ولا انسدّ بابٌ ، ولا اغتمّ غاب ،

انا جلْجلت بالصدى طَرقتان . .

فهنا يَدقُّ ،

وهنا يَدقُّ ،

وضَوءُ الصدى سابق في الكيان ! !

فإن حل هنا ،

وإن مالَ هنا ،

فللتيه ، والوَهم ما يَنشدان ! !

هنا المشرقُ الحقُ . . فيه الضياءُ

وفيه الرجاءُ ، وفيه الأملُ ! !

وجودٌ جديد . .

وكونٌ وليد . .

وفجرٌ جديدٌ على العالمين . .

سبحتم به في خضم العصورِ

وكان الشراعَ ، وكان السفين . .

وكنتم يداً في يديه ، فكانت

يدُ الله بينكم اجمعين ،

وكنتم عليه حُماةَ الأنام

سُقاةَ الظلام بكأس معين . .

من الشرق للغربِ . . مدُّ الرحين

وشدٌّ الشروق إلى النائمين ! !

ولما غفوتم . . ودارَ الظلامُ

ودار السرابُ البهيُّ اللعين . .

ودرتم سُكارى به . . كلُّ وجهٍ

نديمٌ لأفقٍ له يستكين ،

ولما صحوتم . . صحت كلُّ ريحٍ

حواليكمُ من ظلام العرين ،

ولما استجرتُم . . أشاح الضياء

وأصغى اليكم عتابُ القضاءِ ،

ضَراعاتِ غرقى ، تلوكُ الدعاء

ولم تدرِ أنَّ رياحَ الجزاء ،

لها بغتةُ الغيب فى غير حين ! !

* * *

سأشدو لكم . . .

وأشجى بشبوى معانيركم

وأشوى بلغوى مقاديركم

فإن قلتموها . . صروفُ القضاء ،

سيهتكَ نابى أساريركَم ! !

وينشبُ فيكم صرير الفناء ،

يعرى لظاهُ سماديركمْ . .

وما كان نوْحى لجرحى لجيرٌ ،

فتلهي صباحي مزاميركم . .

ولا غربتي في رياءِ الوجوهِ ،

تداهنُ في الروح تكبيركُم ! !

فإني على كلِّ دربٍ حصاةٌ

ولمحٌ يطلُّ بضوء دفينْ ! !

رأيتكمُ عبر هذي القرونِ ،

وساورتُكُم أينما تعبرون ،

وكلمتُ تاريخكم . . كلَّ همسٍ

وجرسٍ ، ولمسٍ به تفخرونْ

وكلِّ ارتفاعٍ ، وكُلِّ انحدارٍ .

وكل انبهارٍ بما تبصرونْ

وكلِّ انسيابٍ بموجِ الرياحِ ،

ولو جرّعتكُم بما تكفرون !

وكلِّ انسكابٍ بضوءِ الظلامِ ،

ولو ذقتمُ فيه ما ترفضون !

وكلِّ انتثارٍ بفش السجودِ ،

ولو كنتمُ فيه لا تؤمنونْ

وكلّ انبهارٍ بسحرِ القيودِ ،

وأنتمْ على طيفها تصرُخونْ . .

وكلّ انحسارٍ برِقّ الظلالِ ،

ومنه لرقّ الثرى تزحفونْ

* وكلّ ارتيابٍ بوجهِ الدروب

وأنتم لإيماضها عارفون —

* وكلّ انهارٍ بمدّ الجفونِ

وأنتمْ على هُدبها زائفونْ —

* وكلّ احتضارٍ بزهر الأسارِ

وأنتمْ على عطرهِ حانقون

* وكلّ انبهارٍ بكأسِ الغريبِ ،

على غيها ويلكمْ تشربونْ . .

* لكم نبعُكمْ . . منه نبعُ الضياءِ ،

ومنهُ الإباءُ الذى تنشدون

* ومنه يشعُّ ظلامُ الطريقِ ،

ومهما دهاكم بها . . تعبرونْ ؛

* أصيخوا . . وهذا أوانُ النفيرِ

فإما نكونُ . . وإما نهونْ !

* وحاشا لأرضٍ سقاها الضياءُ

على الذلِّ يشهقُ فيها جنينْ ! !

* فخفوا إلى الثأر من كلِّ أفقٍ ،

منايا مدرعةً باليقين . .

* وصدوا عن النور زحفَ الظلام ،

وقد مزقتكم رياحُ المنون . .

* ولا تنصتوا حائرين !

ولا تبلسوا واجفينْ !

* ولا تلبثوا عمرَ طيف تليلٍ ،

على قدرٍ أعمهٍ صاغرين ؛

* فمنكم هُداةُ البشرْ

ومنكم حُداةُ القدر

* ومنكم صَواعقُ تمحو الزوالْ ،

ويأسٌ على الدهر أفنى المحال

* فكيفَ وأنتم بهذا الوجود ،

إبائي إلى جبهتي لا يَعودْ ؟ !

* * *

سأشدو لكم . .

* وتشدو معي ذكرياتُ الضياءْ

ويشدو الصباح ، ويشدو المساء

* ويَشدو اللسانُ ، ويشدو الضمير

ويشدو الزمانُ ، ويشدو المصير

ويَشدو لقاءٌ مع النور فاتْ

ويشدو لقاءٌ بكفيه آت . .

ويشدوهُ صحوٌ ويشدو سباتٍ

وتشدو المعاركُ ، والتضحياتْ . .

وتشدو النازلاتُ ، والمعجزات

وتشدو الأباطيلُ والترهات . .

ضممتم خطاكم . . فسار الضياءْ

ومدٌ على كل أرض سماء . .

وفرقتموها فماق الظلامْ

وصرتُم نَداماهُ تَحت الخيام . .

وكنتم مع الزور مَوجَ الطريق

فصرتم بلاهُ . لهاثَ الغريق

* وكم قالَ ! والحقُ فيه نَشيد

وأنتمُ لما لم يَقلهُ عُبيد !

* فقال : لتبعوني ، ازيدكُم ضياءْ

غدرتُم نشاوى بخمر الرياء !

* وقال : أعملوا . . أينَ ما تعملونْ ؟

. . تهاويلُ نكرٍ بها تختفون ! !

* برَاقعَ للزور فيها نصيبٌ ،

وللنفس لخزى سُرىً للهروب

* وفى كل صدقٍ تمارى كذب ،

وفى كل عطر توَارى لَهب ! !

* وقال الأمانةُ ! فارتج قلبُ ،

ونَبت القاع من الغدر تَخبو

• مَزَاعِقها تحت غلب الضلوعْ ،

مَزَاعْف من كلِّ عَهْدٍ صريح

• ونال الصلاةُ ، قلعتم إليها

تماثيل تلفظُ فيها حروفْ

• وراحاتِ تلُّ لرب السماءْ ،

عليها تَنهد قهرُ الضعيفْ

• وحملق من فُرج الأنملات ،

متاب بشوق الخطايا يطوفْ

• وقهقة للجائع المستغيثِ ،

خَيالٌ للمساواةِ بين الصفوف

• اقمتم شعائرها للعيون

موازين شدت عُراها السقوفْ

• وساجلتموها بطولِ الركوعِ ،

وطولِ السجود ، وطول الوقوف

• ولما فَرغتم ، وزايلْتموها ؛

ترامت عليكم مَهاوى الزيوف . .

● . . فهنا . . يَصدُّ حياءَ القتير ،

وهنا يردُّ شقاءَ اللهيفْ

● وهنا . . يُلامِنُ وَجهَ الوجوهِ

ومن دونها في حَشاهُ كهوف

● وهنا . . وقد تَمَّ وَعدُ الربيع

يجدد للإثم وعدَ الخريفْ

● فيرخي على الرُّوح سِتر الضياءِ

ويمضي إلى حيث تُخْفِي السدوفْ

● حبيٌ على عتباتِ المصلى

نتيٌ انا ازورّ عنها كفيفْ

ومِن حفنتين على اصبعين

يُكشَفُ للنفس اعتى سجوف

صلاةٌ . . وفجر ، وقلبانِ . . قلبٌ

يروغُ ، وقلب إليه يؤوب . .

وربانِ . . والشركُ زادُ الضلالِ

فربٌ يُثيبُ ، وربٌ يتوب

وسبحانَ من يرقبُ الخائنينَ

على حفرة تُسَّ فيها كئيب

وهنا . . يرى الله في حوزةٍ

مُغلَّقةٍ عن جميع الدروب . .

تهشُّ عليها عصاً من خشوعٍ

ترعُ خطاها عليها الذنوب . .

فيدعو . . لتدنوَ كلُّ الثمار ،

له وحدهُ دون كلِّ القلوبْ . .

ويدعو . . ليشربَ كلُّ الظلال

وإن حولهُ ، بحُّ صوتُ اللهيب . .

ولم يدرِ أن حصادَ العبير

لكل الربى من شذاه نصيبْ . .

ومن نشوة العدلِ ألا تلوذَ

إلى جفنه دمعةٌ من كئيبْ . .

وألا تُطلَّ يدٌ وجهها

شموخٌ . وأخرى صغارٌ يذوبْ . .

وعلّيا تَبِل على العاليهنَّ . .

بأن السموات منها قريبْ . .

وسفْلى براعمها الانحناءُ ،

كمشلولةٍ حاذرَت من لهيب . .

وألا ترى نِعمة فى الرّياحِ ،

وأخرى على الصخر ظلت تلوب . .

سقاها بكفٍ ، ونادى بكفٍ ،

فلم تصغ إلا لكالسٍ غريب . .

حواها جنىٌّ من الم الأشقياء

تَسربْ من حالكاتِ السهوب . .

فمراً بمنقار طيرٍ شريدٍ ،

تَسلل من فيْءِ روضٍ عجيبْ !

جفتهُ السماءُ ، فلا فيه حَبٌّ

ولا فيه ماءٌ . . مفازٌ جديب . .

وحارِسهُ أعمهٌ لا يراهُ

وإن كان فيه دواماً يجوبْ . .

رشتَهُ الرياحُ فشدَّت اليه . .

. . من الوهم ، اغصانَ زهرٍ رطيب . . .

ترعرعنَ فوق رفاتِ الضمير ،

وامرعْن تحت لقاءٍ مَريبْ . .

ربيعاً يرشُّ على قاطفيهِ ،

من العار انهارَ خزى صبيب

هجينَ النسيم . . فلو مرَّ فيه ،

لأوشكَ من نعره ان يذوب !

• ثراءً لقيطاً ، ورزقٌ سليطاً ،

بلا اى مهدٍ . . صفيقُ الهبوبْ . .

وهنا حلالٌ ، وهنا حرامٌ

كلامٌ على الحقِّ ، شقَّ الجيوب !

• • •

اديروا على النور اقداحكمْ

تروا ليةَ النور تمحو الغروب

• وتشرق فى كل وجهٍ سلاما

وعدلاً . ورؤيا وجودٍ خصيب

فكم قالَ : . حتى سهُوم الجهال ،

تلفتَ من خَشية للقيودِ

وكم قال : حتى تَلاغى صداهُ ،

وأورق في سادراتِ الجنوبْ

• وكم قال : ضجّتْ جميع الشفاهِ

وأجّتْ هتافاً جميعُ الكروب !

وقال : ارحموها . . نفوساً عليها

سرابيلُ مشحونةٌ بالقذرْ . .

فمنهُ خطاها ، ومنه عصاها ،

ومنه تعاويذها م السَّفر . .

• ومنه ضراعاتُها في الظلام ،

وإغضاؤها عن دجاهُ العكر .

أناخت عليها دواهي الهموم ،

فأنّت رحاها ، وغنى الحجر . .

وجاءتها الرزقُ غدرَ اللقاءِ

فاناً يواتي وأناً يفر . .

* ملاميةً في عناق الحظوظ

على وجهها كلُّ خيرٍ يمر . .

وتنكتُ بالعود احزانها

تسلي به ثاكلاتِ الضجرْ . .

وتحضن اغلالها من ترابٍ

عليه لِوَخْزِ الرّزايا اثرْ . .

* سقته دُموعَ الرّضا ، والهوانِ

شقيقينِ ، عبدين انّى عبَر . .

مقوسةَ العمر ، قص الخضوعُ

على ظهرها ، مبكياتِ السيرْ . .

ولا تطرفُ الجفنَ الا انكساراً

يعذبُ بالقلق المستمر . .

* يريدُ الضياءَ فتنبتُ فيه

من القهر كل أماني البصر .

ولو رادُها خلفَ نعش الظّلام

كأصدافها ، ضائعاتٌ النظر

مدرّبة من وجوم السنين

على صفحة الطرْف أنّى نظر . .

● ولو صادفتْ نفسها في خيال

لألفى رؤاها ، فناء الصور . .

تمرّ عليها خطا الغاشمين ،

أباطيل رقٍّ ، حدّاها الصغر . .

عبّرتم بها . . وانفصامُ الوجود

لها مُسدلٌ – كابهاتِ الستْر !

● ولستم أناسٌ ، وهم من أناسِ

سواءٌ ترابٌ ، سواءٌ بشَر ! .

توهجَ للنور فيها التفاتٌ

ولجّتْ عليها هوادي السُّور . .

وقالَ . . ارحموها ! ! فكنتم ، وكانوا

وكانَ الوجود مَرايا عبَر :

تطلون منها . . يد في السماء ،

ولخرى على ويلها تنتظر . .

* * *

. . . ومانا أنا . . إن لظلّ الضياءُ

ولم يلقَ فى الأفق تسبيحَ جفنى !

ولم يلقَ فى انعتاقِ الصباحِ ،

وإيماضهُ فى حشاشاتِ لحنى ! !

ولم يلق فىّ المدى مستمرا

إلى الشمس يعرفُ منها لكونى !

وماذا أنا . . إن عبرتُ الوجودَ

أناديه . . أين الذى ضاع منىّ ؟

* وماذا أنا . . إن تجرعتهُ

تهاويلَ ، مصلوبةً فوق دنىّ !

أغنّى لها نعشها فى العشى

جنازاتِ صبحٍ تُغنىّ بعينى . . .

ونايى هباءٌ . . وروحى هباءٌ

وإصغاءُ عمرى هباءٌ بأذنى . .

وتسبيحتى فى شرود الظلام

متى النور أجنيه . . حتى يظلنى ؟ !

ولابد . . وجهى لوجهى يعود ،

ولو خطفته أساطيرُ جنٍّ ! !

سأستلُّ ذاتى . . فإن لم أجدها

سأستلُّ ما بين ذاتى وبينى

* وأُشْعِلُ فيها ضرامَ التحرُّكِ

من عارها الخامد المطمئنْ

وأضرى بها نشوة الناظرين

ليوم ضحاهُ أهاويلُ جن ؛

. . فلا بدَّ من غضبةٍ نارها

تردُّ الذى ضاع منكم ومنى ! !

* ولابد أمسى ليومى يعود ! !

ويأتى غدى عاتياً فى الصعود ! !

ومهما استبدَّ عويل الظلام ؛

وغطَّ بجنبيه خزىُ النيام ؛

فللفجر شوقٌ لأبوابكم

وللثار دقٌ بأعتابكم . .

فلصفوا بثار الليالي إليّ ،

ولن يهدأ الناىُ في راحتيّ .

إذا لم يعد لي جبيني الأبيّ !

وحتى تعودَ لوجهي سماهْ ،

ويرجعَ للأفقِ عاتي ضحاه : . .

. . سأشدو . . وأشدو لكم لا أملْ ! !

ولو ضاعَ - لا ضاع - باقي الأجلْ ! !

١٩٦٨ م

الديـــوان
الحادى عشـر

صـوت من الله

إهــــــداء

إلى الرّوح التى جعلتنى أرى

النّور فى حلك الظلام ،

وأرتشفُ الشروق من

أقداح المَغيب .

محمود حسن إسماعيل


الناشيء

هنـه

. . وهناك . . عند الفجر فى إشراقة كلظى الهجير

وعلى خطا لمرهفة الإيماض ،

يصفح نورها كذب الصخور . .

. روض رحيب الهامش [illegible] الزهور

وتكلمت بعطوره لغة الطيور

وتلوهت ريح مجنحة للسير ،

على مخاضره شذور

وترنمت ورقاء صالبة الشعور

معشوقتى . . وعشيقة النغم المصفد فى الوكور

وذبيحتى . . وأنا الذبيح ،

وجازر الرؤيا أسهر

متلفع تحت العروق ، بمهده الثمل الوثير

في كفه نهر الحياة لهيبه قلق مرير

وعلى شواطئه هتاف لج في ندم غزير

وضراعة بلهاء تصرخ وهي هالعة النفير

وخطيئة .. تلد الحياة ،

ومهدها يلد الدثور

وصدى يغرد نائحاً ، وبدمعه يلغو السرور

وغمامة عوجاء ، دوخها المسير

آناً تسير .. وآنة تبكي المصير

والأفق مصلوب كسير

شحنته أوهام العصور ،

ومسابح النساك وهي على مزالقها تدور

بالكف مؤمنة

وظل الكف مشنقة الضمير

وتمائم للمتبتلين ..

كأنها هرج الغواية في الصدور

مسكينة الأصداء ، تلعق فى المـلاهى والبخور

وتئن فى حبلاتها الـدعوات ،

جائعـــة الصفا لزجاج كوب أو حصير

متلمظـــــات للـــورود

على هوادج أخجلت خشب النـــذور !

تتلقف الأزواد . . من عبق تنـاسم بالشـــرور

والنـور . . من حلك تناغم فى الجـسور

والطهر من شطحـــات أوهـــام ونـور

وتعانق القدس النبع . . كأنما سكن المستور !

بفهيق راغبـــة محيرة على زبـــد الثغور

ونقيق غاويـــة مبعثرة على خبل حسيـر

فتخالج اللمحـات ، أعمى دس فى ألق ضـرير

طحنته سنبلـــة السيـــادة بالقشور . .

والرزق ، والعوز المخدر بالسكينة والصبور

ولواه جلاب العطايا للغرور

ومضفر الأصلاب اعتاباً مطهمـة الظهور !

لنواسها تئد السهام . . وتنشب المخلب الحقير
وتحيل هش الوارفين مشانقاً لربى القصور
وعلى خضوع الهائمين ، بكفها تعلى الجسور
وتدور تطحن في غياهبها . .
فتطحن أو تدور !
سبحان وهاب الظلام لمن يريد بصيص نور !
سحبوا من الأكفان قدرته ، ولجوا في الثبور
وتلوّوا خبباً وتهتهة ، وليّاً للصدور
في حومة . . لا للسماء ولا التراب
لديها نسب يثير !
زعموا للاه الله وحدهم . . وجل !
لنوره عمر الدهور . .
. . في الحب ، في الأمل للخلق
في الأجنة والبذور . .
في الريح ، في النسم المرنح ،
في العشايا ، والبكور

. . فى الطيف تلمحه ظلال ظلاله فوق الغدير

فى السفح فى ضجر المغاور

فى البرزخ ، فى البحور

. . فى كل راقىء دمعة من جفن مظلوم فقير

. . فى كل كاسر حلقة من قيد مقهور أسير

. . فى كل رافض لقمة ، لليل جالبها أجير

. . فى كل واهب روحه لفدا التراب المستجير

. . فى كل ذات حركت عدم الفراغ إلى الصرير

فى خطوة القدسى الذى

هتك البراقع عن دجى القمر المنير

وحدا السديم ورش بين يديه أسرار الأثير

ومشى على الأجيال يسحق جهل عالمها الغرير

ويزيح ستر العقل عن إعجاز خالقه الكبير

الدرب ضوءًا للسراة

حقيقة ، وحصاد نور

وهدى الدجى . .

وتمزقت حجب الرياء على الحضور !

• • •

لماذا يصحب كل من صحب النهار

وما لي عن غبش المستور !!!!



الله .. والنـــاى

إلهى ! . . وما زال فى النّاى سر
وشطٌ من الوَحْى ما زُرْتُهُ
ولا شرِبتْ حيْرتى منهُ لحناً
ولا أىّ يوم بــــه ذقتُه . .
عميقٌ . كحلْم الرُؤى فى خيالىَ
على غفْوةِ الرُوحِ كفّنتُـــهُ !
توارَى . وأسْبلَ أنغامــــه . .
على وتَـرٍ . كنْتُ قطّعتُـــهُ
وأحرقتُ فيـهِ ربيعَ الحيـاةِ
ومنْ غفوةِ القلْب ودّعْتُـــهُ . .
عميقٌ . . ولكنّــــه ســــابح

قريبٌ إذا ما تذكّرتُهُ

وذكْراه في كلّ ما أشتهي

وفي كلّ شيءٍ تعشّقتُهُ

أراهُ على الزّهْرِ ، لكنّني

إذا صانعَ للعطرَ غافلْتُهُ

أراه على النّهْرِ ، لكنّني

إذا عانقَ الموْجَ غامَرْتُهُ

أراهُ على الدوح ، لكنّني

إذا مايل الغصن رايقته

أراهُ على الأفقِ شيئاً أضاءَ

ومن نفسين نارى توهّمتهُ ..

أراهُ على الرّيحِ ، صوتَ الحنين

تجسّدَ حتّى تأمّلْتُهُ ،

وأبصرتُ فيهِ مزارَ الخيالِ

على معبدٍ كنتُ حرّمتُهُ ..

وأودعْتُهُ في جنازِ الغروبِ

لقـــاءٌ مع الْغَيب راعتهُ !

أراهُ بـذاتى فى كلّ همسٍ

وفى كلّ طَيفٍ تخيّلْتـُــهُ

أراهُ ، يسيرُ معى فى الحيـاة

كياناً خفيّـــا وصاحبتُهُ

وقاسَمْتُهُ كُلَّ زاد السكون

وكلَّ الهوَى حـينَ صافيْتهُ

وكلّ الصّباح ، وكلّ المساء

وكُلّ الدُّجى حين خامرْتهُ

وكلّ الجـراحِ وكلّ النواح

وكُلّ الأسَى ، إنْ تـرَشّفْتهُ

وكلّ الأثيـر ، وكلّ العبير

وكلّ المصير . . . إذا كنتهُ !

وفى كل ذرّات هذا الوجود

أراهُ رنينـــاً تسمّعْتـــهُ

وأصْغيْتُ فيـــه ، وكرّرْتهُ

وجوداً لِذاتى لخفقتِـــهِ !

إلهى . . ومنْ أينَ أهفو إليـهِ ؟

ونزهى لِـرؤْيَـــاهُ ضيّعْتُـهُ !

وهجْرتُهُ فى زمانى ، زمانـــاً

وتيها على التّيـهِ واصلْتُهُ . .

وما كـان إلاّ غِنـــاءَ الظنون

وشجْواً من الحبِّ أثقلْتُـــهُ

وأشعلْتُ فيـه صلاةَ الرّبيع

تُغنّى الزمانَ . وما ذُقْتُهُ !

تلاشيْتُ فى كلِّ دربٍ . فما

أحسُّ بغيرِ المدى ، فتِهْتُهُ !

وأوغلْتُ حتّى سقانى الطريقَ

ثمالاتِ . سحْرٍ . . تصوّرْتُـهُ . .

شَوانى . . وأبقى رمادَ الضّياء

وما زال جمْـــراً تشهّيْتُـــهُ

تبسّـم فى نارِه كـــلُّ شىءٍ

وتنهد نايي كما جئته !

على الريح يهدر لاهثة

ولا ظل ظل تمنيته !

ولا سجوة في مهب الخيال

يغني بها ما تلقنته !

نشدت السكينة في كل جمر

على وتر القلب أوقدته !

وما لي يد فيه . إلا صدى

كما تسمع الروح رننته

غنائي . ومني . وما لي سبيل

إليه فأني أتى سقته !

سمعت به الكوخ تحت الظلام

عويلاً من البؤس غنيته

والقداح يقي بكف الطفولة

لساها بنايي تجرعته !

وشلت يد الله طاغوتها

بفجرٍ على النيلِ لمستُهُ

فناغمتُ فيه انتفاضَ الحياةِ

بسحرٍ من اللهِ أُلهِمتُهُ ! !

وسبَّحتُ لما أطلَّ الضياءُ

وَدَكَّ الظلامَ الذى عِشتُهُ ! !



هـو اللّــه

[.. بالطائرة .. وفى أعلى مراقى الارتفاع ، تلاشى
إحساس الشاعر بالأرض وعالمها .. وسمع كل ذرة
حوله تـردد .. هـو الله !] فكـان هذا النشـيـد ..

علَى أمْواجِ هاتِيك الْغيُــومِ
ومِنْ أعلى المْراقى فى السَّدِيمِ

• • •

فقدتُ الأمْسَ .. لا أدرى مداهُ
ولاَ أدرى متَى عبرتْ خُطاهُ
ولا ما قـدَّمَتْ لِيَـدى يَـداهُ
ولا ما كان من ماضى أســـــاهُ
سوَى هذا المضىّ إلى النُّجُوم ! !

• • •

فقد وُلدتْ حيَاتى من جـديـد
وفكَّتْ من اسى الـدنّيا قيُودِى

وشَبَّ على مَعارِجِها نَشيدى

جَديدَ الطَّير ، والنغم الوليدِ

جَديدَ اللحن ، والوتَرِ العميدِ

يكـادُ يعانقُ للمجهولِ شوقاً

ويَبْتُرُ في ضفاف النفس أُفُقاً

• • •

هوَ الخلْدُ الَّذى انسَحَرتْ جهاتُهُ

هوَ اللهُ الَّذى انحَجَبَتْ صفاتُهُ

• • •

عَرَجْتُ إليْهِ فوق جناح طيرِ

هوَ الغيبُ الَّذى بيديْهِ يسْرى !

دليلَ وُجودِهِ فى كلِّ شبْرِ

وفى أَعْماقِ أَعْماقِ لسرِّى ! !

ظللْتُ أدقُّ بابَ العُمْرِ علّى

أُشاهِدُهُ على رَعَشاتِ ظِلّى !

وطارَ الطهرُ وانكشفَ الحجابُ

وغنّى فى مسابحِه السّحابُ

• • •

يا نفسُ لا حدودْ !

لا قيدَ ، لا سُدود !

لا جسْمَ ، لا وجودْ !

تَبخَّرَ الطينُ الذى فى بَدنى ..

وانصَهَرَ السُّورُ الذى حدَّدنى

وانسحَقَ القيّدُ الذى يخنقنى

وصرتُ بعضَ النور .. بعضَ الزمن

بعض ضياءٍ كانَ قد نوَّهنى ..

علَى ترابٍ مظلمٍ عذّبَنى

• • •

بَعْض بيانٍ خاشعٍ لربّهِ

كالحلْمِ يحْيا الصحْوَ دونَ دَرْبِه

• • •

بعضَ انعتاقٍ موغلٍ الخطوةِ خلف العدمْ

كلمـــا يحدثُ الله بِغَيرِ ما لَمْ !!

• • •

يُسمعُــه حقيقــةَ الإنســانِ

وليلةٌ للسفــوح فى كيــانى

• • •

مِنْ ضحكــاتِ الذابح للــراثى

والعاشقِ الراكــد فى البغضــاء

• • •

والتائــهِ للمسلوبِ من كيـــانِه

كالوهــم يجترُّ خطـا زمانِــه

• • •

والشــاربِ الرحيــقَ إلا من عِنــبْ

مـزوّرِ الكرمَــة مـزوُرِ النسـبْ

• • •

والراكعِ للمصلــوبِ فى صــلاتِــهِ

يسْبِقُ عفْوَ اللهِ من آياتِـهِ . .

* * *

تجرَّدتْ نفسى من نفْسى ، إلى

كونٍ يذيبُ فى صـــداهُ الأزَلاَ

* * *

لا شىءَ إلاَّ النُّورُ فى إصفـاتِـــــه

للنُّورِ . . يمتصُّ لُغَى سمائِه !

* * *

والأرْض من آثامـهـا الخطيئةْ

فى سِتْرٍ من الضُّحى بريئةْ ' !

الله .. والذات

(وقفة على الأعتاب)

وقفتُ طويلاً ، على سدّتك

أنادى ربى النور فى سدْرتكْ

• • •

أنادى ، وأجار فى حوْمة

من الصمت . تهدرُ فى حضرتكْ

• • •

وأنشقُّ ذاتين ذاتاً تنوحْ

وأخرى تُسبّحُ من خشيتكْ

• • •

وكلتاهما من رياح الضّمير

صدىً نلتب فى صدى مَوْجتكْ . .

• • •

تَصيمان من غير ذِكْرٍ ، ولا

صلاةٍ تؤوب فى خيمتِكْ :

• • •

أجِرْنَى يا ربِّ . . من كل شيء

يصد طريقى إلى ومْضَتِكْ

من الليل

. . يسحقُ فيه الظلامُ

خُطايا الضريرات عن نظرتكْ . .

من النور

. . يفضحُ سرَّ الطريقِ

إذا جئْتُ أشربُ من كَرْمتكْ . .

من الفجر .

. . يفهقُ فيه الضياءُ

فيُغْرقُ دنياىَ فى هالتِكْ

من الخَطْو . .

. . يوغلُ طيَّ الدُّروب

وينْسى اتجاهى إلى ساحتكْ

من الشَّدْو . .

. . اعصره للْجمـــال

وانسابُ هيْمَانَ فى نشــوتكْ

من الحبِّ . .

تصهــرنى نــــارهْ .

رمــاداً شقيّـا على ضفّتـكْ

مِنَ القلَقِ الســـابحِ المُسْتطيـر

علَى زوْرَقٍ ذاب فى لُجّتكْ

من الطهْر . .

. . يَغْرف منّى العبير

عــناباً يضوع لدَى جنّتـكْ

* * *

مِنَ الإثـم طيـرٌ شجىٌّ المثـــاب

يُفتّى . ويندسُ في رحمتِكْ

مِنَ النّفْس . .

. . توري عند الدُّعـاءِ

ويَنطِقها العقلُ من ساحتِكْ

من العقل . .

. . يحمل نعشَ الضّمير

ويَهْربُ خزيـــان من سِكّتِكْ . .

من الناسِ . .

. . ما أنا فيـــه سِـــوَى

رؤَى عابدٍ ، ضلّ عن ليتـــكْ . .

لجرْني فما زلت في كل شيءٍ

صـــدَى كبْلُهُ رُؤَى لمحتِـكْ

● ● ●

وما زالَ وجْهي خلفَ الضبـاب

هوًى يستَشِفُّ سنا راحتِكْ

● ● ●

تُمدُّ إليكَ انعتاقَ الضمير

فيرتدُّ كالوهم عن رؤيتكْ ..

• • •

ويدعوكَ وهو كطيف الندامةِ

حيّران ، يصرُخ من وَهْلَتِكْ ..

• • •

أجرني

.. فما لي يدٌ ، في الذي

سقاني خُطأ التّيهِ في طاعتِكْ ! !

الله .. والوعد

كلُّ الخطايا فى يدى

يا رب .. أجِّلْ موعدى

حملتُ أمسى وغدى وسِرْتُ نحو المَوْعِدِ

حتى وصلتُ شاطئنا يَعْبقُ بالتَّشَهُّدِ

وترنوى قافُه بالنورِ والتعبُّدِ

فقلت : طيرى واصعَدِى يا نفسُ حانَ مَوْرِدى

فأجهشَتْ وانتفضت بلحنها المُرنّدِ

كلُّ الخطايا فى يدى يا ربِّ أجِّلْ مَوْعِدى

فتوبتى مَوْءُودةٌ فى مَهْدها لم تُولَدِ

ما زلتُ أدعُو اللهَ عُمْراً ثانيا لجَسَدى

أعيدُ فيه سيرةً   للروح منذ مولدي

نقيةً من كلِّ ما   يقبضني في مرقدي

بريئةً من كلِّ ما   يشوي الرؤى في خلدي

ويجعلُ الإيمان في   نفسي غريب البلدِ

يعيشُ كالضوء السجينِ   في سكونِ المعبدِ

تثيرهُ أغلالُه   لغايةٍ لم توجدِ

معذبا كلنهُ   سريرةُ المضطهدِ

أو ظامئٌ إلى سرابٍ   ظامئ مصعّدِ

أو طائرٌ على خريفٍ   طالع مبدّدِ

صبَّ الأسى في نابه   أنينَ حلمٍ أسودِ

يقطرُ من قضبانه   كمستغيثٍ مقعدِ

.. أو طارقٌ لدارٍ بابِ   في الظلام موصدِ

يصبرُ ثم يمّحي في   اليأس والتردّدِ

.. أو سابحٌ في لجّةٍ   مطمورةٍ بالزبدِ

في جيبِ إعصارٍ على   الأفق يتيم الرشدِ

يئنُّ كالغيظ بصدر   الظالم المقيّدِ

أضاعه الأمسُ وضاع ... الأمسُ في تيهِ الغدِ

لو حائرٌ على ظلامٍ ... قلِقٍ مسهَّدِ

بغير نارِ الشك ... لم يهتجْ ولم يُوسَّدِ

لو تائبٌ لله ... لم يُمْهِلْ ولَمْ يتَّئدِ

تنقّلتْ أشواقُه ... من موقدٍ لموقدِ

وللمعاصي حولَها ... أجنّةٌ لم تُولَدِ

تنزُّ في أحشائها ... بجُلوةٍ لم تَخْمدِ

أو راحلٍ بغير تيهِ ... الدربِ لم يزوَّدِ

وغير ليلٍ كافرِ ... الراحاتِ مغلولِ اليدِ

نُجومه مبهوتةٌ ... في أُفقِها المصفَّدِ

يطلُّ من شعاعها ... للسحورِ ألفُ رصدِ

وقدُّ شيطانٍ بفنٍّ ... الوجهِ باغي الجسدِ

مُحرَّمٌ من الخطايا ... بشهابِ المُرْدِ

يخطِبُ كلَّ تائبٍ ... بسهمه المسدَّدِ

ويجعل العصيان ... للندمانِ أشهى موردِ

ويُغرق الناسكَ في بحرٍ ... أثيمِ المددِ

يظلُّ والإيمـــانُ فى   جنبَيْـــه نُواحَ اليـــدِ
ملوّحـــاً بالنُّسُـــكِ   والصَّـــلاةِ والتَّهجُّـــدِ
وكـلُّ زُهْـــدٍ وتُقىً   للـــرُّوحِ أو تَعَبُّـــدِ
فتعصـــفُ الريـحُ على   دُعـائـــه المبـــدَّدِ ..

ربَّاه بعض النـــور   قد طمَّ الدجى فى خلدى
سَبَحْتُ بالإيمـــان فى   تيـــهٍ عميقٍ أبـــدى
قلبى إلى نُـــورِكَ   نشـوانُ بحبٍّ سرمَـدِى
منْطلِقٌ إلى سَمـــاءٍ   بابُها لمْ يُوصَـــدِ . . .
وجســـدى مُحمَّـــلٌ   بكـلِّ ذنبٍ مُبْعِـــدِ
واصلـتُ دقَّ البـــابِ   حتَّى كاد يمضى مَوْعدى
وكـاد يُبلينى سعيـــرُ   الإثـم حولَ مَوْقِـــدى
ربَّـــاه بعض التَّـــوبِ   والغفـــران للمُسْتَشْهِدِ
نـزعــتُ ذاتى وانتهــتْ   حقيقتى للأبَـــدِ
وجئــتُ أدْعـــو اللهَ   عمْراً ثانياً لجَسَـــدى !!

الله .. والنفس

[وتنكَّرتْ لي ذاتي ، فقدَّمتْ لي الرحيق لترَوى

ظلماءَ من عنائي ، ثم جاءتْ تستجير ..]

وقالتْ أجرني .. فقلتُ اخسئي

فمَنْ غير ربِّ السماءِ المُجيرْ ؟

• • •

تعاميتِ .. حتَّى ركبتِ الظَّلامَ

على هوْدجٍ من ضبابِ الغرورْ

• • •

جناحاهُ من شَهَوات الحياةِ

ومنْ يأسِها في لقاء المصيرْ

• • •

هَوَى بكِ فى قاعِ ليلٍ بهيم
تَتُوهِينَ فيه بِخَطْوِ الضريرْ !

• • •

دعيني . . فما لِى يدٌ فى انسياكِ
ولا عبرتْ فى طريقى خطاكِ

• • •

تنكَّرتِ . . حتَّى وَهَى ساعِدُكِ
فأقبلت نـادمـةً تستجيـرْ

• • •

تنكَّـرتِ فِىَّ . . وصــورْتنى
لوجــه الحيلة كما تشتهينْ

• • •

ففى الرَّوض كنتُ نـديم الرُّبى
وأنتِ التى بالشـذَى تَسكَـرينْ

• • •

تقــولـين : هــذا ربيعُ الجمـــال

ظامئا . وأنتِ التى تشربينْ

• • •

وأسرى بدربِ الحياةِ العميقِ

فأرنو وأنتِ التى تعبُرينْ

• • •

أُنادى . . وللسرّ يمضى صدَاكِ

وأعدو . . وبالسحرِ يَخْتَفى هناكِ

• • •

وأشكو . . وما كانَ إلاّ شكاكِ

وأدعو وما كانَ إلاّ دُعاكِ

• • •

يَداىَ إلى الله مبسُوطةٌ

وأنتِ التى عليها تضرَعينْ

• • •

لبستِ بىَ الشَّبحَ المستعارَ

وبَدَّدْتنى بين نُور الحياه

أُصلّي .. فأسمعُ فحّ الذنوب

على شفتيكِ يُصلّي العصاه

• • •

وأبكي بدمعكِ لكنني

أرى لكِ سُخْرِيةً من أساه

• • •

تلثّمت بي في هدوء الظلام

وفي الهول ألقيتِني في نُجاه

• • •

وجئتِ تُنادين غوثَ الهلاكِ

وممّنْ ؟ مِنَ المشتكِي من لظاكِ !

• • •

وممّنْ غداً رُزْؤهُ من نِداكِ

وممن غدا دَعْوة في سَمَاكِ

• • •

مُضيّعةً أرجعتها الغيُوبْ

إلى صدرها من طريق الإله

• • •

تخلت بىَ ألحانَ فى مرّةٍ
وكان اتّجاهى إلى المَعبدِ

• • •

وكانَتْ صلاتِىَ قبْلَ الصَّلاةِ ،
مزاميرَ علْويّةَ المَوْردِ

• • •

فخطّفْتها مِنْ فمى للرّحيقِ
وقلتِ لِىَ اليومَ قبلَ الغدِ

• • •

إذا كنتَ للنُّور صبَّ الحَنين ،
فقرِّبْ شفاهك مِنْ مَوْقِدى

• • •

وقرَّبْتُ حتّى طوانى هواكِ
وذوَّبتنى قطرةً فى صفاكِ

ولما انتهى السرُ طارتْ خُطاكِ

وأوْمَتْ لنورٍ بعيدٍ عصاكِ

• • •

فولّيتُ وجهي إلى سحْـرِه

كأني مصلٍّ بلا مسجدٍ !..

• • •

فلاحتْ لقلبي سفوحٌ وضاءٌ

وروض عرفْناه منذ الأزلْ

• • •

أزاهيرهُ مؤمنـاتُ العبيـر

وأطيارهُ فاتنـاتُ الزجَـلْ

• • •

وأنهارهُ من ضفاف القلـوب

تحـدّرْنَ بالنـدم المشتعِـلْ

• • •

فألقيتُ عمري بأعتابـه

وتلاشيتُ حتى تلاشى الأملْ

• • •

وأوصلتُ شوقاً لعلّي أراكِ !

لعلّي أرى شاطئاً من لقاكِ !

• • •

لعلّي بقبضةِ نورٍ يداكِ

تضيء السّبيلَ الصّمتْ سماكِ ،

• • •

وخلّفْتِني في الفلاَ أستجيرُ

وأزمعتِ بينَ ربيعٍ وظِلْ !!

الله .. وللعهد

[.. إلى النفس وقد رآها تتسلل هاربة من العهد .. تحمل نشوة الخطيئة، وحيرة التقلب .. فلقّنها مهنا العتاب].

لا !!

لنْ أقولَ الوَداعا

ولن أعيدَ القِناعا ..

● ● ●

على رحيقٍ رشفْتُهْ

وأيّ سِرٍّ كتمْتُهْ

● ● ●

فليسَ للـذنْب عُـذْرٌ

وليسَ للقلبِ سرٌ . .

• • •

ولا لِمَـوْج المتـاب

في الدهْر ايُّ حجابٍ . .

• • •

شُدّي الربابَ ، وقومي

على سُفوح النجوم . .

• • •

وسبّحي كيف شئتِ

على غنـاءٍ وصمتِ

• • •

هيّا أعيدي الشّراعـا

ولا تقولي الْوداعاً ! !

• • •

سمعتُ منكِ دُعَـاءَ

كالعِطْر فى الفجر جـــاء

* * *

يَـدورُ حَوْلَ الخطيئَـــــــــةْ

بكل بُشْـَـرى مُضيئَـــــــــةْ

* * *

منهـــا اطلَّ الصبّــــاحُ

وام تُهَمْهِـــمْ جـــراحُ . .

* * *

وأَقبـلَ النّـــور يَسْـــرى

على هيــاكِلِ صــــخْرى

* * *

لا تُغْلِقى البابَ . . وامضـى

من بَعْــض ذاتى لبَعْضى

* * *

قوافـــلاً من ضراعَـــــةْ

تطير نحو الشفَـاعةْ . .

مهلاً .. وارتفاعًا

ولا تقولى الوداعا !!

• • •

سيرى مع النُّور ، سيرى

وغلّغلى فى الأثير

• • •

ولوغلى فى الدهور

وفى الزّمان الكبير

• • •

وكلّما امتدّ دربٌ

سيرى ، سيمتدُّ دربٌ ..

• • •

ولا تهابى ظلامًا

ولو تلظّى ضراما

• • •

فالليل صمتٌ واهنْ

وغفلةٌ وانتباهَهْ

• • •

وليس َللعفْوِ سدٌّ

ولا زمانٌ ، وبُعدٌ . .

• • •

النُّور عمّ المقاعا

فلا تقولى وداعا . .

• • •

إنْ خفتَ إثْمَ إليكِ

ظمآنَ بالدّمع يبكى

• • •

فذكّريهِ بباسِهْ

من العتاب ، ولمْسهْ

• • •

ونكّهِ ، وانكساره . .

وما الهمّ بساره .

ووجهُها في ابتهـــالِ

مُنْفَتِــــرٌ بـالـزّوالِ

• • •

نَعْوِى بِرِبحِ النّدامَـــةْ

وبانتفـــاض المَلاَمَـةْ . .

• • •

ووخْزُهـــا كالـذّبيحـَةْ

وكانْتِهاكِ الفضيحةْ ! !

• • •

لا ترْحميـه بكـــأسِكْ

ولا بأحلامِ نفسِكْ . .

• • •

مُدّي إليـهِ شعاعـــا

ولا تقولي الوداعاً . .

• • •

مِن عُمْقِ ذاتي وسرّي

ومِنْ سَراديبِ صَدْرى

* * *

ومِنْ صلاتى الحزينَةْ

على ضِفافِ السكينَةْ

* * *

ومن تَلفُّتِ نفسى

لعالَمٍ غيرِ حسّى

* * *

ومن هَديرِ المعاصى

ويأسِهاَ فى الخلاصِ

* * *

ومن تَمَزُّقِ قلبى

على خُطا كلِّ ذنبِ :

* * *

عَزَفْتُ كلَّ وجودى

سِحْراً لهذا النشيدِ . .

فإن أردتِ سماعـــا

فلا تقولي أوناعاً ؟!

الله .. والتوبة

(دخلت بزورقها لجة الظلام ..

إلى الشاطئ، فلعلها الوصول)

وشاطئ في يديه

كفَّارة للخطايا

• • •

ذهبتُ يوماً إليه

بأدمعي وشقايا

• • •

وبالمعاصي اللواتي

صَحِبْتُها في سُرايا

ورحت ألقى عليه

تهتلى وهدايا

• • •

فصرتُ قبراً غريباً

تناهشتهُ المنايا

• • •

زفّوا عليه غصوناً

منضّراتٍ صبايا

• • •

وحملوهُ طيوراً

لقّنتها من غنايا

• • •

وصرتُ بعض صلاةٍ

تضمُّ بعض الخطايا

• • •

وتوبةً فى خطاها

تمشي الذنوبُ عَرايا

• • •

كأنّها من عـــذابٍ

للإثمِ صارت مَطايا

• • •

لو أنّهـــا مِنْ ريـــاءٍ

أضحتْ لـديـــه مَرايا

• • •

ذهبتُ يوماً ونفْـسي

جريحـــةٌ تتَعايـــا

• • •

وللمعاصي عـــواءٌ

مُدَمْدِمٌ في الحنايـا

• • •

كـأنّه صـــوتُ ذئبٍ

تخاطفتـه العشايـــا

أو نحُّ لشعى شنْوتّها

من الهجير شغلها

• • •

أو نوْح ثكلى لهاجتْ

لها القبورُ خفايا

• • •

أو وخزةٌ من ضمير

للعار فيه بقايا

• • •

أو صرخةٌ من يتيم

تلقّفتْه الرزايا

• • •

حمّلتها وكأنّى

حملْتُ هولَ المنايا

• • •

وجئتُ ندمانَ أُزجى

إلى القلب خطاها

* * *

حيرانَ ضلّ امامي

وضلّ خلفي ورايا

* * *

وضلّ أفقي وضجّت

أرضي له وسَمايا

* * *

أبكي وتبكي ويبكي

دمعي ويبكي بُكاها

* * *

ولي يدَيَّ غنـــاءً

مؤوّلٌ من أساها

* * *

وحفنةٌ من دعاء

غرفتُه من بكايا

مُهَمْهِمٌ فى صبَاحى

مزَمْزِمٌ فى مسائها

• • •

كأنّه صوتُ رُؤْيا

سجينةٍ فى الخفايا

• • •

أو حُزْنُ طيرٍ غريب

فى الليل ينفُخُ نايا

• • •

أو مستجيرٌ تَلقّى

صداه نفْسُ الرزايا

• • •

أو مُسْتَغيثٌ عليه

يردُّ صوتُ البلايا

• • •

أو ضارعٌ فى زوالٍ . . .

دعــاؤه من دعليــا

• • •

يقــولُ : يا ربِّ ! هــذا

إثمى وهــذى تقايــا

• • •

وتلكَ دربى وهــذِى

على الطريق عَصايا

• • •

ما كنتُ أعمَى ! ولكِنْ

أعْما المغنّى شجايــا

• • •

دقّ الدفوف فطارَتْ

إليــه دنيا هوايــا

• • •

وطِرْتُ عبْداً أُنادى

فى سِحْرِهِ مُشْهَايا

ربّاه ! عفوَكَ إنِّى

لِلنــور مدَّتْ يَدَايــا

* * *

نزعت أسْرار قلبى

وجئتُ ألقى أسايــا

* * *

وأشتكى طىّ صدرى

درباً سحيقَ الطوايا

* * *

بـــه بـــدأتُ ولكنْ

لم أدر ما مُنتهايا

* * *

لم أدر يأسى فيه ،

ولا عرفتُ هدايا !

* * *

ولا عرفتُ ظلامى !

ولا عرفتُ ضُحاهـا

• • •

ولا لغيـرِكَ دوّى

يا رب يوماً نِعليا . .

• • •

إليك . . أنتَ صبَاحي

مُصفَدٌ في مَسايا . .

• • •

عهدْلن في الشوْق تاها

وتهتهـا بِالخطايـا

• • •

فاسكبْ ضيـاءك إنّي

ظمآنٌ ضلّ صـدايا

• • •

لمْ ادر من أىِّ نبْـعٍ

اسقى حنين الركايا

والشطُّ لا مــاء فيــه

يطفئ الظمأ في حشايــا

• • •

رحمـــاكَ يـا ربْ إنّي

وزورقي والخطايــا ،

• • •

في لُجّة ليس فيهــا

من الضيــاء بقايــا

• • •

جفّت وغــاضتْ ولكــنْ

ما زلتُ أزجي رجلهــا

• • •

غفرت أمْ لمْ فــإنّي

ما زلتُ أدعوك يا . . يا . .

يا رب ! !

النـّــه .. والشـّـــرك

كانتِ الأرضُ قصةً من ظلامِ
رددتْـهـــا قوافـلُ الأيـّـامِ
وتناجَتْ بها قلوبُ الخيـامِ
واستطارَتْ بها نفُوس الأنامِ
لهفَى إعصارُ جنّةٍ فى قتامِ
والبرايا فى قبضتيه أسـارى

• • •

ويْكِ يا نارُ .. أىُّ سرٍّ حبيسِ
فى لظاكِ رآه أهلُ المجوسِ
زمْزَموا بالصّلاة والتقْديسِ

ولراقصوك في شعاب النفوس

خمرة الحبّ من يدَيْ إبليسِ

ثم طافوا حوْل اللهيب سُكارى

• • •

ويْكَ يا صخرْ أنتَ رمْلٌ وماءُ

جبلَتْهُ الرّياحُ والأنواءُ

كيف هلّتْ من طينكَ الأضواءُ

كيف صبّتْ بك الغيوبَ السّماءُ

فأتاك العبّادُ والخُشعاءُ

وترامَوْا على يديْك صغارا ؟

• • •

صنَمٌ أنت أم صفاةٌ أجبنى !

ما لجفنيْك ساهمَان لجفنى

ما لكفيْك في هوانٍ وجُبْن ،

شلّتا ؟ يا أصمُّ بالله دعْنى

مِنْ رُبوبيَّـــةٍ زعَمْـــتَ وفَنّْ

كيْف يا شىَء قدّستْكَ الصّحارى ؟ !

* * *

معْبـدٌ للعبـاد يحنـُـو ويَخْشَـعْ

ولنَجْوَى الخُفّاش يَصْغُو ويخْضَعْ

وإنا الرِّيح فى الدّيـاجى تزَعْزِعْ :

كبْكَبـتْ وجهَـــهُ المُعـــارَ المرَقّعْ

فتلاشى حَصاهُ من كلّ موضـعْ . .

ربَّ هذا الظـلامُ يبْغِى نهـــارا ! !

* * *

ما لِتلْكَ الوليـــدةِ المُسْتَضيئـــهْ

ووُرِيَتْ فى التُّـراب وهْى بريئَـــهْ

أيُمـــا سوْأةٍ ، وأىُّ خطيئـــةْ ،

يا لتلكَ الآثـــام هبّت جريئـــهْ

صرَعَ القوْمُ أمْ بهتْهُمْ خبيئـــهْ ،

صيّـروا نعمـةَ الخليقةِ عذرا !

• • •

عابدَ النجـمِ لا تزغْ من عتابى
لستُ معفيكَ من عذابِ الجوابِ
ما الذى فيكَ من عطايا الشهابِ ؟
كوكـبٌ يستعير ضـوءَ الثيابِ
كيفَ يُعطيكَ ؟ وهو عبدٌ يُحابى
ثورةَ الشمسِ ، والبروجَ الكبـارا !

• • •

أيها الصابىءُ الشريـدُ الصلاةِ
ضعتَ ما بينَ هـذهِ اللفتـاتِ
تعبدُ النورَ وهو عبـدُ الحيـاةِ
عبدُ من بثّـه بتلكَ الفـلاةِ ،
ثمّ ألقـاهُ فى يـدِ الظلمـاتِ
فهدا للقلوبِ الذكـا منارا . . !

• • •

ما لَــديكُمْ يا ضــاربى الأزْلامِ

أنا أشكُو الطريق ماذا أمامى ؟

ما ورائى ؟ ما بدْأتى ؟ ما ختامى ؟

اسألوا السَّهْمَ . . ليس فيه لرامِ

نَمأٌ يشتَفِى لـنيَّــــه أوامى

إنهــا ضلَّةٌ سقتْكُمْ تبــاراً !

• • •

ربَّ هذى مَضاربُ الجاهليــة

خَيَمَتْ فوقَها العُصورُ الشقيــة

جامِـــا والزمــانُ يجتُّر غبيّة

قابِمٌ فى خُطـــاه فجرُ البرية

وبكفَيْـــه نجوةُ البَشَرِيّــــة

مِنْ قرونٍ صبَّتْ عليها الخَسارا .

• • •

قبلَ بُشرَى الوجودِ ؟ قالتْ : محمَّدْ

فاكبتْ أوثانُهُمْ وهى تُعْبَـــدْ

واستجارتْ نيرانُهمْ وهْي تُخْمَدْ

وتهاوى إيوانُ كسـرى للمُرَدْ

خَطْرَةُ الطَّيْفِ ! وانتهى كلُّ معْبَدْ

وغداً للزّمان أعلى منَـــارا . .

طَهَّرَ الكونَ من ضلالٍ ورِجْسِ

أنقذَ النّــاس مِنْ ظــلامٍ وبُؤْسِ

كم سرَى نـوره إلى كلّ نفسِ

سيرةَ الشمس بين ماءٍ وغرْسِ

ينْبتُ الخير للحيـــاةِ ويرْسِي

مَجْدَها . إنما على الأرض سـارا

• • •

وبيُمناهُ للـــدُّهورِ كِتــــابُ

نوّرتْ من ضيائــــه الأحقـابُ

وسَقَى العالمين منـــه عُبَـابُ

فيــه للعصـر نَجْـدةٌ وإهـابُ

فيــه عن ظُلْمةِ الليالي حِجابُ

سَرْمَدِىٌّ بِفَجْرِ الأَنْوارِا

• • •

أعْجَزَ المُشْرِكِين منهُ بَيانُ
كَبُرتْ من جَلالِهِ الأزمانُ
وتَهاوَى لِنُوره الكُهّانُ
وجَثا الجِنُّ روعةً واستكانُوا
فهُوَ بحرٌ من الهدَى وأَمانُ
كلُّ حَىٍّ إليه يَبْغِى القَرارا

• • •

ربِّ بارِكْ بنُوره كلَّ عصْرِ
وأفِضْ هَدْيَهُ على كلِّ مِصْرِ
وانْفَعِ الشرقَ من سَناهُ بِذُخْرِ
يجعلُ الحقَّ فى مواكبِهِ يَجْرِى
ماضِىَ الخطْوِ واصلاً كلَّ نَصْرِ
يَتَحَدَّى ويَقْهَرُ الأقدارا

الله .. والوثنية

يا هادمَ ظُلْمِ الأيّامِ

ومُذِلَّ جِباهِ الأصنامِ

• • •

ومُمهِّدَ أكوانٍ ركعتْ

لِسِباطِ قُوىً ظلّامِ

• • •

يُغريهِ سرابٌ للبأسِ

فيقولُ : لنا ربُّ الناسِ

• • •

ويظلُّ يتيهُ بما عزفَتْ

لخطاهُ اكسفُ الأوهـامِ

• • •

حتّى اقبلتَ بإلهـامِ

لا سيّفٌ ولا حدُّ حُسامِ

• • •

ولطفتَ علاهُ بما حملتْ

يمناكَ من الألقِ السّامي

• • •

فانـدكَّ إلـه الأرجاسِ

بشعاعٍ من نـور محمّدْ . .

• • •

يا مطفيء نـارٍ عجميّـةْ

في الموقدِ لا حتْ ابديّـةْ

• • •

عجماءُ لها نغمٌ . سكبتْ

بهيبته صَلاةُ الوثنيّة

• • •

فجثا لقبلتها كِسْرى

والنّاسُ لها ظلّوا أسرى

• • •

حتى أشرقتْ . . لما سمعتْ

إلا برياءِ الزليّة

• • •

تحدوها شُهبٌ قدسيّةْ

زارتْ بسماءٍ عربيّة

• • •

فانصعق لظلّها واحتُضِرَتْ

أمُّ الأربابِ الهَمَجيّة

• • •

ورمادُ الشرك غدا عطراً

يتسابقُ شوقاً لمحمّدْ

• • •

يا حاملَ شـــرعٍ للأمَمِ
سوّى اللهعـــان مع القِمَم

• • •

الأرضُ بمن فيها سلَكتْ
لـيـــلاً يـتـرلشـق بالظّلم

• • •

فالعدلُ بها عشِيَتْ سبُلُهُ
والحقُّ بهـا شـقيَتْ حيلَهُ

• • •

والمجدُ لركّـــاعٍ صلُبَتْ
كتفـــاهُ بـذلْ في القِمَمِ

• • •

والظلـم قريـر بالصمم
والـعهــد نعوش للــتمم

• • •

ونفاقُ الوجه كما اختلَجتْ

حوْلاهُ بضوءٍ منْقَسِمِ

• • •

والكوْنُ يُناديهِ خجلُهْ

يا ربُّ اجِرْنا بمحمَّدْ

• • •

يا راقىء دمْع الباكِينا

ومشفّع ذنْب العاصِينا

• • •

جئْناكَ حيارَى قد نفَرَتْ

اعماق الجرح بوادينا

• • •

حِدْنا عن نور الإيمان

فغدوْنا عِبرَ الأزمان

• • •

وطنُ الإسلام به فتكَتْ

اطماعُ القوم الطّاغينا

قــد مزّقناهُ بأيـديـنـــا

وجبَهْنا الغرب مساكينـا

• • •

فرّقنا الأنفُس ، واختلفَتْ

حتّى في الرَّوْع أمانينا

• • •

يـا رب اعـدْنا لكيـــانٍ

لهــدىً في ظلّ «محمّدْ»

اللــّــه .. والطـريـــق

[إيماءة الروح لخطوات النبى ..

فى طريقه من الغار إلى المدينة]

كلُّ حَصاةٍ فى الطَّريق أوْمأتْ تنتظِرُ

وكلُّ ذرَّاتِ الأثيــر أقبلَتْ تُكبِّــرُ ..

* * *

والرِّيحُ مِنْ كلِّ اتّجاهٍ أيقظتْ ربابَهــا

واسبَلَتْ على جبينِ أُفقِهاَ اهـدابَهَــا

* * *

واسْترْسلَتْ تعزِفُ لِلسُّكونِ من صلاتِها

وتَسْتعِيـدُ شَجْوَها همْساً علىَ لَهاتِها

* * *

وتُسْمِعُ الجبالَ من تسْبيحها أنْغاما

لم تدرِ كيف انحَدَرَتْ من قلْبِها إلهاماً

* * *

والفَجْرُ من مَزَارِهِ للنَّعْسانِ فى وجْهِ الوَثَنْ

ردَّ خُطاهُ لِخُطاً جديدةٍ على الزَّمَنْ . .

* * *

جاءَتْ تهزُّ مُطرِقاً أمام ربٍّ مطرقِ

كِلاهُما وهْمٌ لوَهْمٍ جاهِلٍ مُلَفّق !

* * *

جاءتْ تردُّ الظلمَ مَدحوراً إلى طاغوتِه

نَدامةً مذْعُورةً تصرخُ فى تابوتِه !

* * *

جاءتْ تؤجّ نارَها تلوُّهَ المضطهَد

وتُضْرِمُ الإباءَ فى جبينِه المستَعْبَد !

* * *

جاءَتْ ونورُ الله يَحْدو الخطوَ فى طريقِها

والكونُ يستافُ عبيرَ الصحْوِ من شروقها

• • •

والعبدُ ليلٌ ضارعٌ فى القيْدِ حولَ الصنمِ
والناسُ أوهامٌ تدورُ فى ضلالها المُلْتَمِّ !

• • •

فى خيْمةٍ خيَّمَ فيها الرقُّ منذُ الأزلِ
وغمغمَ الإنسانُ حول قيْدِهِ المكبِّلِ

• • •

جاءتْ إليه ، تنْزِعُ الهوانَ من جبينِهِ
وتحصُدُ الإطراقَ والذلَّةَ مِنْ جفونِهِ !

• • •

جاءتْ . . من الفجْرِ . . من النُّورِ . . خُطا «محمَّدٍ»
طوبَى لمَنْ خفَّ إليها بالضياءِ يهتَدى ! !

اللـــه .. والجبـــل

[مع خُطا الهائمين شوقاً لعرفات]

يا مُجيبَ الدَّعوات جئتُ أُزْجي صلَوَاتي

ضارعاً تخشعُ عيداني .. وتجثُو نغَمَاتي

وتُناديك صباباتي بكلّ اللّهجات

إنْ تَلَفَّتُ فمنكَ النور يطوى لفتَاتي

أوْ تهامسْتُ احسُّ النور يغْزو همساتي

وإذا أدْعو .. أرى الأنوار تُرْدي كلماتي

وإذا أصمتُ ، يدعو كلُّ شيء في حياتي !!

نشوةُ الإيمانِ بحرٌ زاخرٌ بالرَّحماتِ

وجنانٌ في فضاء النَّفْس خُضْرُ الرَّبَواتِ

تصدحُ الأحلامُ فيها كطُيور ناغماتِ

ويفيضُ الطُهْرُ منهـا كعُيونٍ جاريـاتِ
وتَعُبُّ الروحُ منها كلَّ أطيابِ الحياةِ . .

• • •

تلكَ الضَّـاربُ فى ليلٍ وضىء الظُلُماتِ
مزّقَ الشوقُ حناياه لِطيّبِ المَقْفِراتِ
غنّتِ الحُبَّ لياليـهِ وجنّت بالغَـــداة
وتلاشَتْ فى صداهُ كهزيجِ السّاقياتِ ! !
ظامىءٌ للنـور ملهوفُ الحشا والنّظَراتِ . .
أرأيْتَ الطيْرَ فى دعـوتهـا للربَـواتِ ؟
أرأيـتَ الريـحَ فى هبّتهـا بالفَلَـواتِ ؟
أرأيْتَ الحكْمَ فى صحْوة جفْنٍ من سُباتِ ؟
هكذا ينفُضهُ الوجْـد لرؤيـا عرَفـاتِ
والهاً يشتاقُ فى واديهِ بعضَ الخُطواتِ !
يتمنّى لو تكونُ الـروحُ ذرّ الحَصَيـاتِ
وتكون النفس همْسـاً حائماً بالشُرفاتِ . .
أيهـا النّور سلاماً قُدُسىّ النفَحـاتِ

تَرْبُكَ الميمونُ أُنْسٌ شاهقيٌّ الحُرُماتِ

كلُّ من مرَّ عليه مرَّ مسحورَ السِّماتِ

هُرِعَ الناسُ إلى بابِكَ من كلِّ الجهاتِ

طَرَحوا الدنيا وخفُّوا بقلوبٍ نادماتِ

حُسَّراً يمشُون لله بأيْدٍ ضارعاتِ

وصدورٍ هائماتٍ من عذابٍ للعُصَياتِ

وقلوبٍ جارَتْ أسرارُها بالطَّيبَاتِ

وجفُونٍ من ضياءِ الله باتتْ مُسْبَلاتِ

ونفوسٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتِ

ناشِاتٍ في رحيقِ النورِ نَشْوى قانتاتِ

عاشقاتٍ منبعَ الطهرِ منارَ الكائناتِ

سيِّدَ الدنيا ، شفيعَ الحقِّ ، سرَّ الرحمَاتِ !

ربِّ باركْنا بهِ آصالَنا والغَدَوَاتِ

وابعثِ الشرقَ بنورٍ منكَ ضاحي اللَّمحاتِ

ويُعيدُ الميتَ الهامدَ حيّاً للحياةِ

بعد ما شابَتْ به الأغلالُ في أسرِ الطُّغاةِ

قبضَ الله له ناراً على كفّ العتاةِ

شبّها الأحرار في وجه القيود الغاشماتِ

فتلاشتْ في لظاها بين أطباق الرُفاتِ . .

سجدة لله

كلّما هلّ صباحْ

وهفا كلُّ جناحْ

وعلى الربوةِ صاحْ ،

* * *

بلبلٌ يشكو هوَاهْ ؛

ونَدى شكواهْ

واسجدي لله !!

* * *

كُلّما رنّ أذانْ

موقظاً سمعَ الزمانْ

وشــدا كلُّ جنَــانْ

* * *

ضارعاً يدعو سمَاهْ . .

فاسمعِى نَجْــواهْ

واسجُــدِى لله

* * *

كلَّمــا رفرَفَ عــودْ

راقصاً بيْن الـوُرودْ

ومضَى فوْقَ الـوجودْ

* * *

هاتفاً يُحْيِى رُباهْ . .

باركِى دُنْيــاهْ

واسْجُــدِى لله

* * *

إيهِ يا نفسُ استَعِينى

بالرِّضا فى كلِّ حينِ

فهوَ نورٌ لليقين ،

• • •

وهوَ صفوٌ للحياة

وهوَ من نور الالـه

فاسجُـــــدي لهْ

• • •

الله .. والطبيعة

ربِّ سبحانك دوماً يا إلاهى
نغمة تسرى بقلبى وشفاهى

* * *

كلما غرّد طير فى خميلَهْ
وصفتْ للحب دنياه الجميلَهْ

* * *

وتهادى العطرُ فى الربْوةِ من دَرْبٍ لدَرْبِ
عاشقاً يبحث فى البستان عن قلبٍ وحُبّْ

* * *

نَسى العطرُ خطاهُ وخبا شدْوُ الطيور

ونهلتُ السحرَ والإيمانَ من صمتِ الزهورِ

• • •

ورأيتُ الحبَّ ينسابُ نُغاءً من شفاهى

وغناءً من صفاءِ الروحِ يجرى يا إلاهى

• • •

كلمــــا قبّــلَ ضـــوءُ الشمس زهـــرة

وانحنَى الغصـــنُ لهــــا يقبّـــل سـرّة.

• • •

لاح لى وجهُـــك فى كلّ شعــــاع يتجلى

يمـــلأ الأيـــام عطــرا وأناشيــــدا وظــلا

ساقِى الإيمانِ من نورِكَ طُفْ بالكأس وامْلا

• • •

واسقِنى واشربْ . . ولا تَحْرِمْ من النور شفاهى

فأغنّى . . ربِّ سبحانَكَ دومــــا يــا إلاهى

• • •

كلمــــا أشرقَ بالإيمـــــان صــــدرى

وهفت لشوقه الكبرى بشرى

• • •

ثملت روحى من الحب ولانت عند بابك

ورنا قلبى فشاهدت السنا خلف حجابك

• • •

وهفت عينى فأبصرتك فى كل زمان

وانتشت روحى .. فشاهدتك فى كل مكان

• • •

قوتى منك ومنها تنهل الحمد شفاهى

وتغنى الروح تسبيحا وشكراً يا إلاهى

• • •

إن يكن نفسى توارى عن ضميرى

وخطا التوبة تاهت فى المسير

• • •

فأنا فى كل خطوى ، لك حمد ومتاب

وحنين رنّتـــــه حَولَ ليّامى الشعــــاب

• • •

فلسكُبْ النُّور لقلبى ، وارو بالسحر شِفاهى

فاغنّى   رب سبحانك دوْما يا إلاهِى !

الـلّـه والـريـاء

إن كنتَ لا تعرفُ سرَّ دمعةٍ يذرفها الفقيرْ

يسقي بها خريفَهُ العطشانَ في لُهاثِه المريرِ

فيزرعُ الوهمُ على جفونه بستانَهُ النضيرْ

.... ثمارُهُ بطيئةُ القطافْ

.. ظِلالُهُ وارفةُ الضفافْ

لكنها لا شيءَ !! حين ينحني، ويبسُطُ اليمينْ

حزينةً، مسكينةً، مقهورةَ الدعاءِ والأنينْ

تقولُ من حسرتها ..: ربّاهْ !

يا مسرعاً في خطوه للهِ ..

خفقةَ قلبٍ تُنقذُ الحياةْ !

وتخدعُ للمحرومَ عن أساهْ !!

إن كنتَ لا تُبصرُ هنا السرَّ فى خشوعِك القريرْ

فأىُّ شيءٍ نحوَه مبتّهـــةً كئآبةً تُشيـــرْ ؟ !

إن كنتَ لا تَسْمَعُ سرَّ آهةٍ على فم اليتيـــم

تسمَعُها ! ! لكنَّها تمْرُقُ من رِبابِكَ الرَّخيـــمْ

لنشوةٍ من وتَرٍ عاثت عليـــه رعشةُ النسيمْ

يَعْزِفُهـــا تلفُّتٌ سجيـــنْ

من نظرةٍ شلَّت علىَ الجبين

يغتالُها الملالُ ، والحيرةُ ، والتوجعُ الدفيـن

ويشتكى إباؤها الشقىُّ من سُخرية العيون

يصيح من أغـــلاله : ربــاهْ ! !

يا مسرعـــاً فى خطـوه لله . .

خفقةً قلبٍ تنتـــذُ الحيـــاه ،

قبلَ اتِّجاه الخطو للصَّلاه . . !

إن كنتَ لا تسمَعُ هـــنا السرَّ فى بكائِـــه الأليم ،

فأىُّ ربٍّ نحـــوه اتَّجهتَ فى سجـــودكَ العظيمْ ؟ !

إن كنـتَ لا تـــدرى بأنَّ اللهَ لم يظلِلْكَ فى نعمتِـــهِ

إلا لتمتدَّ بهـــا للبائس المحروم من لقمتـــهِ

لكنَّ كفَّ شلَّهــا البغىُ لتنســاب إلى نظرتِهِ . .

وتلتقى بوجهه الرحيقْ

يلعقُ منه زيفك العريق

ويتــركُ الإحســاس بالإنســان فى إيمائهــا الحزين

متاهةً صمَّاءَ . . رنَّ فوقهـا تفجُّعُ السنيــن . .

يصيحُ من أساه : يا ربَّاهُ !

يا ساجـــداً بوجهـــه لله . .

يا مفرق الوجوه فى تقُلاه !

وسابحاً بالزُّور فى هُداه !

إن كنــتَ لم تَــذر ضيــاءَ الله فيما شئْ من رحمتِهِ ،

فكيفَ يا زورَ التقى كفَّنْتَ هذا السرَّ فى سَجْدتِهِ ! !

أذان الله

يا أذانَ الحق يا صوتَ السماء

طُفْ على الدنيا ، ورفرف بالنداء

واملأ الأرواحَ من نور الرجاء

• • •

انتَ لحنٌ عاطرٌ يَهدى قلوب الحائرينا

ورحيقٌ طاهر ، يروى يقينَ المؤمنينا

فانشر الرحمةَ فى كلْ صباح ومساء

واسكب التَّوحيدَ واصعد بين أجواز الفضاء

أنتَ صوتُ الله يهدى بِهُداهُ الغافلينا

ربُّ سبحانكَ لا تُحصِى أياديك صِفاتُ

للهــدى والحق نابيتَ فلبتْكَ الحيَــاةُ

وإلى عرشك طارتْ كلُّ أسراب الدعـاء

فاسقنا ما شئت . . من عفوٍ وصفو وضياء

فالهدى منكَ ، ومن نورك تجرى الرحمـاتُ

سبّحتْ باسمـك يا ربّ شفـاهٌ وقلوبُ

والسمواتُ العلا ، والأرضُ والكونُ الرحيبُ

وجرتْ بالحمـــد والإيمـان أنفاسُ الهـواء

فانثنت ، عابدات ، ضارعـاتٍ للسمـــاء

ربَّنا افتحْ قلبنا للحقّ . . أنتَ المستجيبُ ! !

داع إلى الله

(المؤذن)

[في ذلك الصوت العميق الذي يهتف في صمت السحر من القباب والمآذن تتدفق روحية الشرق . ويهتز الجو بأشباح وطيوف شعرية هائلة . .]

وشاعر في الفجر يَسْبِى النُّهَى
بِسَوْرَة جلت عن المأثمِ

• • •

خياله من سِدْرة المُنْتَهى
ولحنُه من وتر الأنجمِ
عَفُّ التَّرانيم إنا نَصُّها

كـانت تخشى الطهرَ فوق الفمِ

• • •

مُعتَبَرُ اللَّحْنِ ، إنما ما شدا

ورجع الأنغـام فى فجـرِهِ

• • •

نخالُه مجْمرةً ، والصـدى

فوْح التقى ينساب من ثغرِهِ

وسائر الكون لـه معبـداً

اترعـه الإيمان من طهرِهِ !

• • •

النُور - لمّا صـاح فى جوّه -

هلّل بالأضـواء من فرْحتِـهْ

• • •

ولاح كالنشوان من شـدوه

يرقص من بِشْرٍ على صيحتهْ

• • •

كتَمَ سرَّ الشمس لم يَرْوِهِ

إلا لذاك الصَّبُّ ، في نشْوَتِهْ

• • •

كبر حتى خف من صدحه

من نام في الكوخ ومن لم ينم

• • •

والديك لما رن في سطحه

صوت ندى اللحن زاكي النغمْ

• • •

ورتل الأنغام في صبحه

يطري بها النور ويهجو الظلم

• • •

تلك النجوم الغُرُّ لما رنا

وطيْرُ النجوَى لها نغمةً ،

• • •

. . حبَّات نور صافياتُ السنا

جَوْهَرَهَـــا الله لـــه صبْحة

• • •

وقال يا متألف إنّى هنـــا

اسمعها منـــك منىً عفةْ .

• • •

جنحتها بالطهر حتى غـدتْ

ازكى من الزهر غذته النطَفْ

• • •

ريّانةُ الأصـــداءِ إمّا شـدَتْ

جلّى لها العرش رخى السجف

• • •

فحوّمتْ فى قُدْسِـــه وارتوَتْ

من منبع الرحمة عذْبَ الرُّشَفْ

• • •

هذى الطيور البيض قد رفرفَتْ

تعانق التسبيح من مَسْجِدِهْ

والسُبْحَةُ العذراء قد طُوقتْ

كأنها ناسكةٌ في يدِهْ

* * *

ظمأى إلى الإيمان قد أشرفتْ

تفْنى من الشوق على موردِهْ

اللـه . . والزمــن
رمضــان

أضيفٌ انتَ حلَّ على الأنَـامِ

وأقسمَ لنْ يُحيَّا بالصّيَـام ؟ !

قطعْتَ الدهر جوّابــاً وفياً

يعودُ مَزارهُ في كلّ عـــام

تُخيّـم . . لا يُحدُّ حماكَ ركنّ

فكلُّ الأرض مهدٌ للخيــام

نسخْتَ شعائرَ الضّيفان . لمّا

قنعْتَ من الضّيافــة بالمقام

ورُحْت تَسُنُّ للأجـواد شرْعـاً

من الإحســان علْويَّ النظـام .

يانّ المجودَ حِرْمــــانٌ وزُهْدٌ

اعزُّ من الشّراب أو الطّعـام ! !

• • •

أشهرٌ أنتَ أم رُؤْيا مَتــــابِ

تألّقَ طيْفُها مثل الشّهابِ ؟

تمَرّغَ فى ظلالِكَ كلُّ عاصٍ

وكلُّ مرَجّسٍ دنِسِ الإهــابِ

فأنتَ محيّر الأنام . . تَجْرى

فتلحقها بأحـلام العـذابِ

تَراكَ شفيعَ توْبتها ، فتَخْزَى ؛

وتُوأدُ تحت أجنحةِ الشّبـابِ !

وأنتَ منارة الغفْران ، يأوِى

إليــكَ اليـائسون من المتَابِ

وعندَ الله سؤْلُك مستَجــابٌ

ولو حمّلْتَ أوْزارَ التّـــراب ! !

وقفتَ خطاكَ عندَ اليائسينـــا

فكنتَ للبلهمْ قلقاً مُبينا

تُساقُ إليكَ أمواجُ الضحايا

فتدفعُها لبابِ المُعوزينا

فكم آهاتِ محرومٍ جنّاها

إليك البؤسُ ! فانقلبتْ رنينا . . .

فأنتَ بِمدفعِ البُخّال تَجْرى

خُطاكَ على حجارتهمْ مُعينا

وأنتَ مُلَقّن الأيدي نَداها

ومُكْسِبُها التراحُمَ والحنينا

بخلفك كلُّ قارونٍ شَحيحٍ

فيخْجلُ أنْ يردّ السائلينا

ومُنْذُ تهلُّ ترهبُكَ الذنوبُ

وتَخْتَشِعُ السرائرُ والقلوبُ

وتفزعُ أن تُقابلك المعاصى

فتَهْرَعُ ، أو تُقنّعُ ، أو تتوبُ

ويُخْجَلُ أنْ يراك أخو هَواها

ولو تَتَلَّتْ مشاعرَه العيُوبُ

كأنَّكَ فارسُ الأيـــام ، تبــدو

فيصعقهـــا مهنَّدكَ الغضُوبُ

كأنَّ بكفِّك البيضــــاء سراً

من النَّجْوى تكتِّمهُ الغيــوبُ

تجابــهُ كلــهَ غيّانٍ عنيـــدٍ

فيكْتتِــمُ الغوايـــةَ أوْ يتُوبُ

جعلتَ النَّاس فى وقت المغيبِ

عبيدَ نداكَ العاتى للرَّهيبِ . .

كم ارتقبُوا الأنانَ كأنَّ جُرْحاً

يعذِّبُهُمْ تلفَّتَ للطَّبيــب . .

واتلعَتِ الرِّقاب بهم ، فلاحوا

كرُكْبانٍ على بلَدٍ غريبِ

عُتاةُ الإنْسِ ، انتَ نسخْتَ منهم

تنَأُّلَ أوْجُــهٍ وضنى جنُـــوبِ

فيا . . من لقْمــة ، حليـف مــاءٍ

يُقَلِّب روحه فوق اللهيـب :

علامَ البغْيُ والطغيان ؟ إنِّى

كفرْتُ بمنطق الدنيا العَجيبِ !

تَلَفَّتْ للمــآذن حاليــاتٍ

كَحُوريَّات خلْــد سافـراتِ

تلوحُ مـبــاخرُ النُّسَّاك منهــا

فتحسُبُها غُصُــوناً عاطـراتِ

تلألأ حولها أطـــواق نــور

كأنك حامل وحْيــاً إليهــا

وقفْنَ لسِحْــره متلهفــاتِ

إذا صاح الأذانُ بهــا لرنَّتْ

بإلْهام كموْج البَحْرِ عــاتِ

ينكِّرُ بالهدايـــة كلَّ ناسٍ

ويُوقظُ كلَّ غـافٍ فى الحَيَـاةِ !

وهــذا المُعْجِزُ العالى الرَّخيمُ

أذانُ الله ، والــذكْرُ الحكيـم . .

تلاهُ في سكون الليل تالٍ

فكاد لهوْله تهوى النجومُ

نداء تفزع الأفلاك منه

ويخشع في مساريه السديمُ ..

على سمع الهداة يضوعُ عطراً

وتُقذفُ منه للغاوى رجُومُ

أصاخَ الكونُ مسحوراً إليهِ

وخرّ لبأسه الأزلُ القديمُ

تنزّلَ فوق صدركَ منْ علاه

بشيرُ الوحي ، والدّينُ القويمُ

سلاماً ناسك الزمنِ القويّ

من القلب الحزينِ الشاعريّ ..

حملت إليك أشواقى وسرّى

لتحملها إلى الأفق العليّ

تمائمى التعبُّدُ بالأغانى

على نغمات قيثارٍ شجيّ

لمرّ بها على زمنى غريبـــاً

كطيْرٍ تــاهَ فى ظُلَـمِ العَشِيِّ . .

واعزفُ للصّبائــحِ والأمــاسى

فينتَفِضُ الغنــاءُ لِكلِّ حَىِّ . .

كــانى ما نزفْتُ اسَى زمــانى

ولا أفْضَى صَــداى بأىِّ شَىّ ! !

طلَعْتَ منـوّراً فـوق العبــادِ

فايقِظْ من تشبّثَ بالرُّقــادِ . .

. وقلْ للشّرق : إنّ الكـون يَمْشى

على سبُلٍ مغيَّبـةِ الرّشـــادِ . .

فخُذْ لزمانـــكَ الزّاد المرَجّى

من الخُلُقِ القويم والاتّحــادِ . .

ولا يوقفْكَ فى التيـــار هوْلٌ

فنارُ الهوْلِ ، نورٌ للجهادِ

لقـــد ملّتْ تقلُّبنــا اللّيالى

على وَضَرِ التّنعمِ والفَسَـــادِ . .

شـــدا لكَ بالأذان خميـــلُ مصـــرِ

فقُمْ . . وانشرْ صداهُ على البوادِي !! . .

• • •

صلاة الله

[.. وسلامهُ على نبيّهِ الأمين]

أصلّى عليكْ ..

وكلُّ الوجود صلاةٌ وشوقٌ إليكْ

أصلّى عليك ..

ونورُ الهدَى ساطعٌ من يديْكْ

وروحى نَشيدٌ من الحُبّ يهفو لديّكْ

أصلّى بقلبى ، وأعماقِ حبّى

وأمشى وأنتَ الضّياء لدرْبى

وكلّى حنينٌ وشوْقٌ إليكْ

أصلّى عليكَ .. وصلّى وسلّم نُورُ الالهْ

وصلّتْ عليكَ جميعُ الحيَاهْ

عليكَ الصلاةُ

عليكَ السّلامْ

• • •

رفعْتَ المنــــاراتِ للحائــــرينْ

ونـــوّرْتَ بالحـــق للعـــالمين

وبالعـــدْل صنْتَ إبـــاء الجبين

ويَحْيُ السمّـــا هلْ من رائحتيِّــكْ

وكلُّ البرايـــا تصلّي عليْـــك

عليكَ الصلاةُ

عليكَ السّلامْ

• • •

أصلّي عليكَ . . ضياءً وطهراً لأحلامِنا

أصلّي عليكَ . . إبــاءً . ونصْراً لأيّامِنا

فمِنْ نورِ خطْـوِكَ شعَّ الفـداءْ

ومِنْ نُورِ هدْيِكَ يأتي الرَّجـــاءْ

أُصلّي عليكَ وصلّى وسلّمَ نورُ الإلـهْ

وصلّتْ عليكَ جَميعُ الحَياةْ

عليكَ الصلاةُ

عليكَ السّلامْ

• • •

الملك لله

[بجنبي طير غريب الجناح]

على الأرض نورٌ .. وفي الأفق نورْ ..

وفي كلّ قلبٍ شعاعٌ يدورْ

ولحنٌ يُسبّح طيَّ الصُّدورْ

ويستغفرُ اللهَ مِنْ كلّ ذنبِ

ويدعوك يا ربُّ أنتَ الملبّى

ولبيك أنت الرحيمُ الغفورْ ..

• • •

إلهي .. تباركتَ ربُّ السماءْ

مع الليلِ نبعثُ فجْرَ الضّياءْ

وتفتحُ لليـــاس بـابَ الرّجـــاءْ
وما خـــابَ من ظلّلتهُ يَـــداكْ
ولا ضلَّ فى خطوهِ منْ دعـــاكْ
فانتَ السّميعُ بِهمْسِ الدُّعـــاءْ . .

* * *

لكَ الملْكُ والحَمْدُ   انتَ النّصيرْ
وانـتَ الأمـــانُ لمن يَستجيـــرْ
وأنتَ لِمَنْ قالَ   يا ربِّ . . نوِّر . .
يَرُدُّ السكينـــــةَ لِلْحـائـــرينْ
ويَسْكبُ للـرُّوحِ نـورَ اليقيـنْ
ويَمْحُو الأسى من ظلامِ الصُّدورْ . .

* * *

إلهى دعوْتُـــكَ ! فاقبلْ دُعـائى
وناديتُ يا ربِّ . . فاسمَعْ نِـــدائى
ومَنْ غيرُ بابِكَ يُحْيى رَجـائى ؟
فامضى إلى النـورِ خلْـفَ الحجابِ

صلاةً تغنّى بقدسِ الضيـــاءْ

• • •

يجيئني طيرٌ غريبُ الجنــــاحِ
يغنّي وتُصغى إليـه جراحى
ويبسطُ كفّيْه عنـد الصّباح
إلهى ! اعِنّى ، وبـاركْ صلاتى
وبالعفو طهِّرْ خُطــا ، مَعْصِياتى
ويا رب بالنـور ساعــد جناحى

• • •

إلهى وما لى دعاءٌ سواكـــا
ولا لى مع الصبح إلاّ ضيــاكـا
ولا عونَ للرُّوح إلا بــــاكا
إذا رفرفتْ كنت فيهـا الدُّعاء
وإن هتفتْ كنتَ نُور الرَّجـــاءْ
فما لِى ، ولا لِى ، مُجيرٌ عدَاكَا ! !

الحمد لله

يا ربَّنا لك الصلاة

والحمدُ من كلِّ الحياه

• • •

من زهْرةٍ على الغصون

لهفانةٍ إلى نِداكْ

• • •

مِن دمعةٍ على الجفونْ

ظمأنة إلى رضاكْ

• • •

منْ بسمةٍ على العيُونْ

ولهانةٍ إلى ضياكْ

من تائبٍ إلى حِماكَ . . .
هلَّكَتْ خطـــــــاه

• • •

منْ ضارعٍ إلى عُـــلاكَ
كبُـــــرتْ بـــــلاهْ

• • •

«يا ربّنــا لك الصـــلاة»
«والحمد من كل الحياه»

• • •

يا رحمـــةً للتـــائبينْ
للعفوِ لا نرجو ســـواكْ

• • •

يا مـونـــلاً للعـاثـرينْ
طوبَى لِمَنْ يلقَى هُـــداك

• • •

يا غوْثَ كلْ العالَميـنْ

حمْداً لما تُعْطِي يَداكْ

* * *

بكلِّ ما تحْيا الحياةُ نعْبُدكْ

وكلُّ ما فوقَ الثرى يوحِّدكْ

* * *

وكلُّنا ندعوكَ يا ربَّاهْ

يا ربَّنا لكَ الصلاةُ والحمد من كلِ الحياه !

سبحان الله

ربِّ سبحانك في أعلى علاكْ
كلما ندعوكَ .. تُعطينا يداكْ

* * *

خيّمَ الليلُ ، فناديتُ .. إلهي
فإذا الكونُ ضياءْ
وجرى الدمعُ فناديتُ . إلهي
فإذا الدُّنيا صفاءْ
والرِّضا يغمُرُ قلبي وشفاهي
وتُناجيني السَّماءْ
«ربِّ سبحانك في أعلى علاكْ»

«كلّما ندعوكَ تعطينا يـداك»

• • •

كلّما تُشرق شمسٌ أو تَغيبْ

يَمْـلأ القلب ضيـاكْ

وإذا ضاقَتْ من اليأس القلوبْ

يغمُـر الروحَ هُـداكْ

وإذا ملّتْ من العفو الذنوبْ

صافحَ النفس رضاكْ

«ربِّ سبحانك في أعلى علاك»

«كلّما ندعوك .. تعطينا يداك»

بيت الله

إلهي سعينا مع الموكب
هُياماً إلى البلد الطيب

• • •

ظمئنا وفزنا بحظ الوصول
ومن غير نورك لم نَشربِ

• • •

ظمئنا فقرِّب إلينا الرحيق
وجُدْ بالمتابِ على المذنبِ

• • •

ولبيك . . لبيك ربَّ السماء
فقربِ خطانا لأرض النبي

• • •

نبيُ الهدى ورسولُ السلامْ
حادى الشفاعةَ يومَ الزحامِ

* * *

حملت الهدايةَ للحائرينْ
وفجرتَ بالنورِ قلبَ الظلامْ

* * *

وكنت المنارة للعالمين
وكنت الكرامة تحدو الأنام

* * *

فطوبى لمن زار هذا الضياء
عليه الصلاةُ عليه السلامْ

* * *

ولما نزلنا بأرض الهدى
وردَ السلامَ حمَامُ الحَرمْ
وطفنا مع الشوق حولَ الستورْ
ورحنا بأرواحِنا نستلِمْ

* * *

دعونَـاَ ومــاذا تقـولُ الشفـــــاه

إنا الــروُح غنتْ بســحــرِ النغــمْ

* * *

فغـابــت تتـــوب وذابت قلـــوبْ

من العينِ تسكبُ دمعَ النـــدم

* * *

هنــا النــورُ يشْرُقُ في كل عيـــنْ

هنــا العطرُ يسبحُ في الروضتينِ

* * *

هنا الرُّوح في عتبات الضياءِ

وفوق الصّفا وعلى المروتينِ

* * *

صفــــاء يعطّر كلَّ الــــدروبْ

وطهـــرّ يفيضُ على الجـــانبيـنْ

* * *

هنــا مهبط الوحي من سار فيــه

ســرى هائـم الـروح في جنتيــن

الديـــوان

الثانى عشـر

نهـر الحقيقـة

إهـــــداء

ابنتى لسحار

وراء كل نغَم فى نهر الحقيقة

رفض وإصرار لكل ما يخفى حقيقة القيَم

والمثل العليا للإنسان بزور الحياة

وغِش الإنسان ! فانسجى

حيلتك من هذا الرفض بالإيمان

وقوة الذات لتكونى مثلاً

مضيئاً فى الحياة

٧ / ٤ / ١٩٧٢

وجُودي حقيقه

وشُوي حقيقه

وما اشتقت نزهاً على ساعديه تموت الحقيقهَ

. . اغنّي السّرابَ لتنشقّ منْهُ ،

ضفافٌ من النور تُجْلي طريقةً

. . وأسْرِجُ للوَهْم خيلا من الرُّوحِ ،

. . تخطِفُ مِن راحتَيه بُروقهْ

وتُفْني شفُوقهْ

وتأتي به راكعاً للحقيقه ! !

نهر الحقيقة

وُجودى حقيقةٌ

ونلتى حقيقه

ولنّى على الأرض طيرٌ يغنّى . . حقيقهْ

ونور الحقيقه سرُّ الحياةِ ، وسرُّ الأملْ

ومَن لم يسرْ فى ضيائهْ ،

سيَمْشى ، ويَمْشى . .

ولو نال خدَّ الجبلْ ،

وشقَّ الرياحَ بجِنّ الخيالِ ،

ووَهْمِ المُحالِ ، وحلْم الأزلْ ،

سيَمْشى ، ويمشى . .

ويلقى عصاهُ أخيرا على ترُّهاتِ الفشلْ !

• • •

وجودى حقيقةٌ

وشنوى حقيقةٌ

وما اشتعلتُ دربا على ساعديْه تموت الحقيقةْ

أغنّى السراب

لتنشقَّ منه ضفافٌ من النور ،

تُجلى طريقهُ . .

وأسرجُ للوهم خيلاً من الروحِ ،

تخطف من راحتيه بروقه

وتغنّى شفوفه

وتأتى به راكعاً للحقيقةْ

على وجهه زلةٌ للندامةْ

وفى خدّه من ضحايا الضلالةِ . .

والتّيهِ . . . أخزى علامةْ

لمَنْ غير سرْ ، جنا للغبارْ

ومن غير نورٍ ، بكَى واستدارَ ،

وخرَّ على الأرض عبْدَ الجِدارْ !

ونادى على القوتِ ، وهْو سليبُ الحراكْ

ومن فوقه طيرٌ فى السَّماكْ

أذلَّ الأثيرَ ،

وشدَّ العصُورَ بأقدامه فوق صدر القَمَرْ !

وما لى . . ومَن يرضَعُ التُّرَّهاتِ ؟

ويَظلمُ بالليل نورَ القَدَرْ ، !

وكل الذى حول دنياه . . عبد الحقيقةْ . .

وعبد الذى صاغَ كلَّ كيان الحقيقـةْ !

هُوَ اللهُ . .

فى كل قلبٍ مُضىءٍ . . حقيقةْ

ولا غيرهُ ، .

فى حذاء الليالى حقيقةْ

نَمَاها ، وأوجد فيها الضّياءْ

وللعقل مدَّ طريق الرَّجاء

فكلهُ ابتداءٍ ، حقيقةْ

وكل انتهاءٍ ، حقيقةْ

* • *

بغير الحَقيقةِ كل المعانى سرابْ

ومن دونها كلُّ شىءٍ خرابْ

على الحُبِّ قامتْ أصولُ الحياةْ . . حقيقةْ !

وبالخير يَسْقى هواها هواهْ . . حقيقةْ !

وبالأمل الحلْو تغدو خُطاها

بساتينَ . . . يُسْكر قلبى شذَاها

ونَهراً . . . تذُوقُ الرُؤَى كلَّ لَنٍ رحيقهْ

وتخضرُّ فى شاَطئيهْ زهورُ الحقيقَـهْ !

وجودى . . حقيقَـهْ

وذاتى . . حقيقَـهْ

وقلبى يغنِّى لأضوائها لا يَملُّ

فنورُ الحقيقةِ . .

سرُّ الحياةِ . وسرُّ الأملْ ! !

التـــــزام

متلازمانْ . . . متعانقانْ

فى كلّ آوانٍ ، ولَنْ

كالظلّ فى كبِد الغدير يهوّمانْ

وكالشُعاعة فى تلفُّتِ نجمةٍ وحشاً هجيرٍ يهبطانْ

كالوهْم . . حين تروغُ حيْنةٌ باغصانِ الشُعورِ . . يدلهمانْ

كالحلْم يخلقُ من خريف النّفس اجنحةً تطيرُ . يرفرفانْ

كالشكّ يلمحُ فى هسريرة طيف هاجسةٍ تزورُ . . يُخافتانْ

كالصمْت فى الموت المصفّد فى القبور يُشارفانْ

كالعطر فى العبَق المقيَّد فى الزهور . . يجنّحانْ

كرباةٍ سكنتْ وعازفُها بنغمته يدورْ . . . متداخلانْ

كصدَى صدَى ، لصدَى تنكّبَ في العبورْ . . . متكامِلانْ

بصدَى الصدَى متسَاقِيانْ .

والكأس خلْف الصوْت ساقيها زوالٌ في عيَانْ

مُترَائيانْ ، متخفّيانْ ! !

متلازمانْ ، متعانقانْ

أنا والحقيقةُ كلٌ لنْ ! !

* * *

فأنا بكيتُ فدمعتانْ

وإنا ضحكتُ فبَسْمتانْ

وإنا انتشيْتُ فطائرانِ محلّقانْ

بالدمع قد يتبسّمانْ

بالصفو قد يتناوحانْ

وعلَى الندَى للَسكوب من قدح الزمان يُهاجرانْ

في الجوُع منَ سبلِ البيادرِ يشبَعانْ

ومن السرَاب الحرْقي شفَة الطبيعةِ يشْربانْ

وعلى السّلاسل في رِقاب الذُّل عشُّهما أمانْ

يتململان ، ويَصْفِيان
ويَخْطِفان ، ويَهْـدِلانْ
ومن اندلاع القَهْر ، في خَرَس العُروق يُلاغيان
ويتَّظرة للظلُوم في غَلَس العدالة يسكُنانْ
وباهة للحُروم ، في نَفَس العواصِف يجْرِيان
متكلِّمان ، وصامِتانِ
وشاديان ، واخْرسانْ
لُغة السماء عوَتْ ، وما نهضَت يدانْ
ويداهما بيدِ السَّيلط . . .
يداهما مَشْلولَتانْ ! !

● ● ●

. . . في الحبّ ضَمَّهُما زمانْ
ما زال يمشي في دُجى الأيام مشتَعِل الحنَانْ
الكونُ فيه تَميمتانْ
والنهر غفْوةُ زورقٍ ، ينعَى خُطاهُ الشاطئانْ
لا موجَ فيه ، ولا رياحَ ، ولا خفَاءَ ، ولا عيَانْ

عصرتْ كرومُ الخلْد نشوتها ، وسارَ العاشقانْ

وتلفَّتا ، فإذا الطريق ولا رحيقَ ولا دِنانْ !

مرّا ، ومرّ الوحيُ ، لا يتكلّمانْ ،

وهما على نَعْش الهوى يتطارحانْ ،

متُلازِمانْ . . . متَعانِقانْ ! !

• • •

. . في الله يهدر هائمانْ ،

لا للصعودِ ، ولا السُّجود ، يُعرِّجانْ

لهما صلاةُ الواصلِينَ بلا حدودٍ ! ! طائرانْ ،

يتسوّرانِ على ضفافِ النور ،

ثمّ يشاهدانْ !

والنورُ يسمع ما يقول الزّائرانْ . .

لا همْس إلا من صداهُ ، يكبّرانْ

لا لَمْحَ إلا من سناهُ ، ويسجُدانْ

في كلّ سرٍّ للإلهْ ،

متلازمانْ ، متعانقانْ

نلتأ موحشةَ الكيانْ

فى الله لا يتفارقانْ !!

• • •

عبرا بساتينَ القيودِ . .

وكل ما فيها هوانْ !

الأوجهُ العبلاتُ احذيةٌ لخطو الصولجانْ ،

والأعينُ الشماءُ ، ساجدةُ الضحى للديدبانْ

والخطوُ ، مسبحةٌ تدورُ ،

ولا تحركها يدانْ

مقهورة الدعواتِ تفهقُ بالرياء بلا لسانْ

ويسوقها رِقُّ العصور لفلكه فى كل آنْ

شطحات عبدٌ ، خادعتهُ شجاعةٌ ،

نسختهُ ضحكةَ بهلوانْ !

دورى ، وسلّى ، واقطفى ،

بيديك زهرَكِ يا جنانْ !

مرّا عليها فى السلاسلِ يصرخانْ

وعلى جبله الساجدين يُناديان :

كلُّ الظلال تحوّلُ ،

إلا ظِلُّ وجهكِ . . . والزمانْ !

عينان من قلق العصورْ . . سكرانتانْ

ويدانِ في عبق الزهُور . . ممدودتانْ

والقيدُ يَفْغَرُ فاهُ والدنيا أمانْ !

وهما بنارِ خُطاهما فوق الكواكبِ هائمانْ

يتعَجَّبانِ ، ويمضيانْ ،

متعانِقانْ ، مُتلازمانْ

خلفَ الجماجِمِ ، يبكيان ويَضحكانْ !

* * *

أنا ، والصَّدَى . . بيد الحقيقة نغمتانْ

من عازفٍ ، مالي بريشتهِ الخفيَّةِ أيُّ شانْ

هوَ في دمي ! وعلى فمي !

وعلى انسكاب الروح مسحورَ الفنّانْ

يَسقي ويَشرب لا يَمدُّ يداً ،

ولا يجْرى لنشْوته لِسانْ . .

. . وله الكرُوم كما تشاءُ غصونُها ،

لا ما يشاءُ لها بنانْ !

تُعْطي . . فيقْطِف ، لا يَمَسُّ ، ولا يُحِسُّ

ومنه تهدرُ موْجتانْ

نغَمٌ ، وساقيةٌ تدور ، وجدْولانْ

متلازِمان . . متعانقانْ

ظِلُّ الوجود ، وذاتُه لهما كيانْ

وحقيقة الإنسان تُولدُ لو تَموتُ ، بجُنْحانْ

أو من حبائلها تفوتُ ، بفتّيانْ . .

وبِسِرّها يتكلّمانْ

شفَةٌ ولحْنٌ واحدٌ وصدًى يدور به الزمانْ ! !

• • •

متعانقانْ . . متداخلانْ

وتَرٌ ، وضاربة تطِلُّ وتختفى ، لا يلْمحانْ

فى صدرىَ المهدود أسمعُ منهما قبلَ الأوانْ :

خلجاتِ ناي يرفضُ التحديق فيهما يُغطيان

الظلُ ذنبٌ ، والهجيرُ شفاعةٌ ، يتساويانْ !

واللحنُ ومْضٌ ،

لا لهاسَ ! ولا أصابعَ تَرْجُمان !

أمواجُ موسيقى مُجهَّزةِ الرنينِ

بغيرِ ناي ، أو بَنَانْ !

وبلا مثالثَ ، أوْ مثَانْ

وبغيرِ أبعادٍ تحدّدُها المزاهرُ للقيانْ

ريحٌ تهُبُّ ، ولا يُقيدُها زمانٌ أو مكانْ

وعلى أناملِها يغرّد طائرانْ

عبْدا ملاك مستبِدٍّ عبقرى الصوْلَجانْ

بجناحه ، وصياحِهِ ، وصُداحِهِ متعلّقانْ

متعانقانْ ، متلازمَانْ !

أنا والحقيقةُ ، كلٌ أنْ ! !

١ يناير ١٩٧٠

موسيقا من الجن

وأكاد أسمعهمْ !! . .

ورغم ضراوة الغيب الكثيف ،

أكاد أسمعُهم وأُبصرهُمْ . .

وأرى حفيفَ خطاهُمُ ،

خلفَ الأثير مزاهراً حُمْرا ،

تغنّيهم وترقِصُهُمْ . .

يَتَسلّلونَ وَيَمرُقُون ،

ولا طُيور الوهم فوق الظنّ

بالأحْلاَمِ تُدْرِكُهُمْ !!

وأكاد مِنْ خلَدَى أكلُمهمْ ،

وأكادُ مِنْ شفتَى أهزُّ لهم . .

نغما يسامرُهُمْ

وأكاد أبسُطُ راحتي ويَدي تُصافحهمْ

وأكاد أسلُكُ دَرْبهمْ ،

وأسيرُ مَحجُوبَ الخُطا مَعَهُمْ

وأكاد أدعوهمْ

وأنْتَشِلُ الصدَّى المخطوفَ من بَيْنهم ، وأعرِفُهُمْ

مَنْ هؤلاء يَرَوْنَني شبَحاً

وعيْنَي لا تشـــــــاهِـدُهُمُ ؟

شُقَّي يدي قلبَ الأثير

وصافحي بيديك موْكِبَهُمْ

مَن هؤلاء ؟

أراهُمُ ، وأكادُ رغْمَ السِّتْرِ أعرفهُمْ !

ستَرُوا الوجوهَ ، فَمَنْ هُمُ ؟

يا قلبُ مَهْلَكَ !

بُرْقُعٌ يُخفيكَ أم يُخفي مَلاَمِحَهُمْ ؟

تعِبوا من الإخفاء ،

حتى كاد شيّبُ الصمْتِ مِنْ فكّيْهِ يلْفظُهُمْ

إنّى اراهُمْ رغم أنّهمو

لا شيْءَ . لا إحْساسَ يَكْتُمُهُمْ

جنُّوا ، فذابوا فى مرنّحةٍ

بكماءَ حَوْلَ صداىَ تشربُهُمْ

لافى فَمى جرْسٌ يُخَاطِبُهُمْ

لا فى دَمى همسٌ يُوَاكِبُهُمْ

خرْسٌ واسمع فجّ ألسُنِهِمْ

واضِجُ فى خَرَسى لأعْلِنَهُمْ

زامُوا بزَمْزَمَةٍ . . مزْمَلةٍ .

بِعُواء أصْواتٍ تْزامِنُهُمْ

صَمْتٌ بِصَوْتٍ ،

لا طنينَ ، ولا سكونَ ،

هَلاَ ! !

مستْ يدَىَ قدَحاً علَى فَمِهِمْ

عَطْشانُ للأسْرار

فاسقوني . .

وكنتُ أنوِيَ ما نالَتْهُ نظرتُهُمْ

بلْ نلْتُها ، وغدوتُ مَشدوداً بعُصْبَتِهِمْ . .

وشطرتُ ثلثي

واحداً معهمْ ،

والواحدُ الثّاني يراقبهُمْ . .

هيّا . . وسِرْتُ ! بنِصْفِ مُغْتَرِبٍ

وخيالِ ضيفٍ عابرٍ معهُمْ !

وإلى هناك . . وسِرْتُ . .

لا إنْساً ، ولا جنّاً ، أصاحِبهُمْ

بلْ طيفَ روحٍ لا يُغادِرهُمْ

سِرْنا سواءً . .

أينما ذهبوا

لا حقْتُهمْ ، وظلَلْتُ صاحِبَهمْ . .

تتلقّفُ الحدَقاتُ مِنْ حدَقي ،

والهمْسُ من شفتي على فمِهِمْ . .

دخلُوا محاريبَ الصّلاةِ ،

فرُحْتُ أتبعُهمْ ..

ووراء جاثٍ خاشعٍ لله ،

كنْتُ مكاشفًا معَهمْ !

يجْثُو .. ويطْرقُ ! صحت أسألُهُمْ :

ماذا ؟ فقال كبيرهمْ : مَهْمَا ! !

ويْلاً ! لسجّادين أتْعبهُمْ

اللعْنُ تهْجعُ في زبيبتهمْ

والروحُ تفزَعُ من حقيقتهمْ

دعهم سُكارَى ،

نلبَ واجدهمْ

في دمْعِ منْ مارَى طريقتهمْ ! !

انظرْ صدَى البهتانِ في دمهمْ

إبريقَ خمّارٍ لنشْوتهمْ

ويدُ الفقير ذراعُ مرْوحةٍ

شلاّءَ بالدّعواتِ تُنْعشُهمْ

سكَنوا ، وزنَّت نحلةٌ ،

خَفِيَتْ رؤيا ملامحِها لِتلْسَعَهُمْ

وتُريق سمَّ الخَمْر في قدحٍ

بالرِّقِّ والإحسانِ رنَّحَهُمْ ! !

. . ساروا ، وسِرْتُ ،

وكلَّما وقفوا

كنتُ الخُطا الشّلاءَ تتْبَعُهُمْ . .

ومُخيِّل القَسَماتِ ، لحْيَتُهُ

غربال زور كاد يُسْقِطُهُمْ

عيناه . . راهبةٌ ، وعاهِرةٌ

والنَّبْر في الماخور يجذبهمْ !

تتناقلان الحبْوَ في شَركٍ ،

شدَّ الخيوطَ ، وقال : أعرفهمْ

ومضى يُجاذبُ في أعِنَّتِهِمْ

ويَصيح مأخوذاً بمَقْدَمِهِمْ

أصغوْا إليه تمائماً ورُقًى ،

وسطورُ أحجبةٍ تُكاتبهُمْ

ونُعومُ غرْقَى فوقَ لُجّتهمْ

تَئدُ الضياءَ ،

وما بها قَبَسٌ إلاّ الظلامَ

يلُفُّ وَحْشتَهمْ

ومضَى يلوكُ الغيبَ عن فمهِمْ

وينبّئه العاتي بمَقْدَمِهمْ

أعمَى ! ولم يرَهمْ

ويقول أحبابي ، أُواصلُهمْ !

وأنهبُ سرَّ الله

من أسرار صُحْبتِهمْ !

كذبَ الضّرير . .

فما رأى شيئاً ، ولا انتبهنا يُزاولُهمْ

همْ يبصرونَ عمَى بجُعْبتِه

وهو الكَفيفُ . . عليه لعنتهمْ

بَصقُوا ، ونابُوا في مسيرتهم

وسمعتُ عاقِلَهُمْ يناغِمَهُمْ

ظِلُّ الحيارى حائرٌ معهمْ

والْكاس حادِي العقل حطمَهَا

ومضى بها للنُّور يَسْبِقُهُمْ

ضلُّوا الطريقَ !

فما لمتَّجِعٍ غيبَ الإله سناً يُضَوِّئُهُمْ

الغيبُ غيبُ الله يبْعدُهُمْ

والعقلُ مدّ الروحَ يحملُهُمْ

والروح قبْلَ العقْلِ ترفضُهُمْ ! !

هتك البراقع

-١-

وقالت ، وقد أبصرَتْ راكعاً

يسبِّح في غير وقت الصَّلاه :

أهذا تقيٌّ ؟

فقلت : اسكتي : شقي من الأمس عادت خطاه !

يدبُّ بها في هديرِ الضباء ،

ويلعق أوهامَ صيد يراهْ ،

دعيه يُسَبِّح كما يشتهي ،

فما عادَ شيء يُسمى إلهْ .

سوى الله في مُلْكِه

لا يرى ، ولا يَعْبُدُ الناسُ رباً سوا ! !

-٢-

وقالت : وقد أبصرتْ صائمـــاً

فصيحَ اللسان كسيح الضمير :

وكيف بهـذا تسير الحيـــاة ؟

ويـزحـف إصـرارُهـا للنشـورْ ؟

لقد نُفخ الصور في كُل شيءٍ . .

فمـا باله في صـداه يـــدور ؟

وما بالـه واقفـاً في خطـــاهُ ،

وقوفَ العصا في يمين الضرير ؟

وما باله ؟

قلت : لا تسألي !

فهذا الذي منه مات للسير ! !

-٣-

وقالت : وهنا الذى فى السماء ..

لــه هامــةٌ من شعـــاع نعيـــم

تعـالى بلمشــاج رنقٍ لقيـــط ،

من العار ، تخجل منه ستُومْ ..

يطل بجلفنهـن يَسْتَرجعـــانِ

من الأمس أشلاءَ طيـر رميـمْ

ويمّنـى بهـا خلْفةُ الـريـاح ،

شهابَ الجـديــد بنعشِ القديـم

فقلت : لتركبـه لأوهامــه ..

ستصعقهُ بقظلت النجوم !!

-٤-

وقالت : وهنا للغنى بكل الرّبابِ

ولم يشدُ منه وَتَرْ ؟

يمَوْه بأنغامه فى الفراغ

ويَجْتَرُّها فى الدجى للعتكِر . .

شجيُّ المزارات أنّى شدا

أصاخت له سفريات السَّمَر . .

فقلت : اعبرى ! ! لن يصيخ الوجودُ

لغير الذى من بهيه سكرْ

حيارى ، سُكارى ، من النور جئنا ،

وللنور نمضى . . خيالاً . . عَبَرّ ! !

ومرّت خطاها على زهرةٍ

يدق الخريف على بابها . .

وللعطر فيها جنَازٌ ، تغنّى

ليالي هواه لأحبابها

وقالت : هوانا ؟ ؟

فقلت : الهوى يدير الليالي بأكوابها

سواءٌ ربيعٌ ،

سواءٌ خريفٌ !

هوى الروح خلدٌ بأعتابها

فموت الكروم حياةٌ ،

تثور على الموت ،

شوقا لأعنابها . .

-٦-

وفي مرةٍ ، والدجى ملحدٌ

إلى الله أقبلَ يستغفرهُ ونفسي كتائبٍ لم تزل

رفات للمعاصي بها تنتظرُ . .

فقالت : وكيف التقى العاشقان ؟

متابٌ وإثمٌ به يجأرُ !

وكيف الخطايا تصلّى ؟

وكيف خضوع ورفض به تؤمَرُ ؟

فقلت : استريحي !

مرايا النفوس . .

على وجهها الحق . . لا يُسفِرُ !

-٧-

وقالت : مررتُ على عاشقين يذيبان سحر الهوى

في الغروب

حبيبان للصمتِ . في كل جفنٍ

وفي كل سمع غناء غريب

فما عالَم الحُبّ ؟

قلت : للذى تُحسّينَ . . من غير خمرٍ وكوب

يُغنّى الوجود على راحتيكِ . .

ولا نايَ إلا وجود الحبيب . .

سعير بقلبين . . من غير نارٍ

ونارٌ . . يغرد فيها اللهيب . !

وقالت : وكان الأسى عابرا

علّى وجهها الشاعرى الحزين :

وريحانةٌ سقطَتْ فى الطريق

فداست عليها خطا السائرين ،

وماذلك الأمر ؟ . .

قلت اصمتى . .

غداً مثلها فى الثرى تُصبحين !

يشيب الجمالُ . . يشيب الشبابُ ،

تشيب الحياة ،

تشيب السنينْ . .

خذى ما تشائين من كل شئ

حذار الذى عنه . .

ما تسألين !

-٩-

وقالت : حلَمْتُ بفردوس حُبٍّ

وأنهارِ سحرٍ

بلا شاربين . .

وحورٍ ترفرف مثل الطيور

فتُسكرُ أسرابُها الناظرين

فما ذاك ؟

قلت : لحلمي كيف شئت !

وياضيعة العمر للحالمين !

زهوري حوالَي ، إن لم أذُقها . .

ليسقى شذاها رُبَى النائمين ؟ ؟

فقيقي من الوهم !

لن تعرفي من العمرْ

إلا الذي تبصرينْ !

-١٠-

وقالت : وما الفقرُ ؟

قلت : انظرى : مُنْكِد على فمه نَغمتانْ . .

لشاتمةِ الفأس وعدُ الحصاد ،

وأخرى : لها الرزق طوع البنانْ

فمن غير غرس ، ومن غير حصدِ

يُزَفُّ لها الرزق

فى مِهْرَجَانْ

فلا تسألى . .

واغرسى . .

وابذرى

ولا تَسألى عن حظوظ الزمان

فمرًّا يجيئك قبلَ الأوان

ومرًّا . .

يفوت عليك الأوان ! !

-١١-

وقالت : أجبني !

أتتك الكروم ، وافتلحتها

عاطشات الرحيق

ومالت عناقيدها في خطاكَ

فحيَّرتَها . . .

وشربتَ الطريق

لماذا ؟ . .

وأنت علَى قطرةٍ من الشوق

تَتَوهل نار الحريقْ

تَميلُ ، فتنأى ؟

وتنأى فتَشْقَى

وتشتاق طيف البريق ؟

فقالت : أخاف احتدام الغروب . .

إذا ذاب في الكأس ،

كلُّ الشروق ! !

١٩٧٠

أوقـــدوا الشمـــوع

أوقِدوا الشموعْ

أطفئوا الشموعْ

الضياءُ نورْ والظلام .. نـــورْ

قبلةُ الدهـــورْ لـم تـزل تـــدورْ

في فم الـزمـــانْ !

تقطف الثغـورْ تشرب النحورْ ..

موقد البخورْ في يـد العصـــورْ

نـاره سـلامْ عطـره حمَـــامْ

لم يزل يـدورْ حـائرَ المكـــان :

يهتكُ الستـورْ ينفضُ العطـــورْ

ناهلَ الدموعْ ناهلَ الخشوعْ .

دامىَ الجناحْ خابىَ الفتونْ

عاطش الصباحْ جائش الغصون

صمتُه نواحْ والصدَى جُنونْ . .

يَنشد الأمانْ ألثغَ اللسان

زائغ العيونْ

أفقُهُ دخانْ والربى هَوانْ

والأسى فنونْ

روضةٌ . . خريفْ مُذْنِبٌ . . كليفْ

لوْثةُ الرياحْ حوله تطوفْ

تنهب الرغيفْ من يد الضعيفْ

تنهشُ الرفيفْ في الشذا الوريف

تقتلُ الحياءْ في السّنا العفيفْ ! !

. .

تعصر الغديرْ في حشا الهجيرْ

وهوَى الطيور في ذرا النُسورْ

وخطا العبير — في دجى الضمير !!

نارُه تلوحْ — غضّة المسوحْ

تكبس الستور — ومضمضةَ السطوحْ

كَرْمها .. كسيحْ — فجرها .. جريحْ

دربها .. شحيح — يكره النشور

خطوهُ لو توحّدا — عنّبَ القمرْ

لارتعش السدودْ .. — لانطلقَ الحجرْ

لدهشَ السديم — لانعش الرميم

انهلَّ النجومْ — كلما .. عبرْ

يدخلُ الكهوف — خيفة المطرْ

يقحم السهوم .. — يلطم الحجرْ ..

يبسط الكفوف .. — عاتيَ النظرْ ..

الضياءُ .. جاءْ — هبَّ واستمرْ

والزمان .. جاءْ — حافيَ القدرْ ..

اشعلوا السمرْ

ايقظوا الوتـــــرْ

صفقوا الهالاتْ عانِقوا العيدانْ

رتلوا الكلماتْ نشوةَ النّسيانْ !

* * *

الوهْمُ . . لى خضوعْ !

العقلُ . . لى سطوعْ !

أوْقِدُوا . . الشموعْ . . أطفئوا الشموع ! !

* * *

أطفئوا الشموع ! !

أوقدوا الشموع

الزمانُ . . جاءْ أشْهَبَ الرّداءْ

بعضُهُ . . دموعْ بعضُهُ . . دماء

يحمِلُ الرجاءْ كافرَ الضياءْ

بعضه غصونْ بعضه هباء

جفْنُهُ دعاءْ أبْكَمُ النداء

وجهه غصونْ زهرها بكاء

خطوةٌ مضاءْ ! !   واقف . . يضيعْ

فالضحَى رضيع   والمدى سريع

والسلام . . عاد   في يد الطُغاةْ

زَهْرةٌ رمادْ   يخنقُ الحياةْ

يوقف الصلاه

يخرس الشفاه

* * *

فاحبسوا الأنفاسْ

ولقرّعوا الأجراسْ

غضبة المسيحْ   صمتها يصيحْ

حطّموا الأغلالْ . .   ارفعوا الأثقالْ . .

يُورق السلام

يهدلُ الحمامْ   في فَمِ الجميع

أطفِئوا الشموع . .   اوقِدوا الشموعْ ! !

ليلة رأس السنة الميلادية

١٩٧١

الوهـــج والديـــدان

هـل التناهـي حولكـم عبـادة الأكفان

فجددوا أرواحكم ، لا تظلموا الميزان .

تفعيلتانْ ..

ثلاثُ تفعيلات ..

وسبعُ تفعيلاتْ ..

والحرفُ تعانقَ الألحانَ بالأحضان والرّاحاتْ ..

تدفّقَ النور على حناجرِ الأمواتْ

شلّالَ موسيقا ..

بلا قواعد مرّسُومةِ الرنّاتْ

معصومةَ الإيقاع دُون حاسب ،

مُزيّفَ للبيّناتْ

يَعدُّها من قبل أن تجيءَ . .

بالأسبابِ ، والأوْتادِ ، والشطْراتْ

تشقُّ باب الرُّوحِ ،

لا تستأذن الإصغاء والإنْصاتْ

وليس فى إعْصارها سبَّابةٌ ،

تُعنِّبُ الهالاتْ . .

ولا فضولُ الموت

وهُوَ يسألُ الْحياةَ ،

عنْ توهُّجِ السّاحاتْ . .

ولا فضول اللّيْـل ،

وهْو يسألُ الفجر لماذا تنسخُ الرُّفاتْ

ضجَّ البِلى منْ صيْحة الإشراقِ ،

فى تشبُّثِ المَواتْ . .

وانتفضَتْ هيا كلٌ ،

مرصوفة الطقوس من تناسقِ الأشْتاتْ . .

وكلُّ ما فيها قرابينُ

تَقْفِسُ الرِّمالَ في كلِّ حصادٍ ماتْ

مصلوبةُ الجمودِ ، والركودِ ،

والهمودِ والسُّباتْ

على مطايا زَمَنٍ

مُهَرَّءِ الأكفاتْ . .

تحركَتْ في غَبَش الكُهُوفْ

جنائزاً في لَحْدِها تطوفْ

مشلولة للسهرِ ،

والحراكِ ، والوقوفْ

كأنَّها لُترَّهات امسِها رفوفْ

لو أنها لكلِّ نورٍ شعَّ في زمانها حتُوفْ

تريدُ شلَّ الوهَج العصوفْ

بأعينٍ ضياؤها مكفُوفْ

والسُنٍ نداؤُها مَعْقوفْ

تهاتَرَتْ مخدورةً من سَهْته العكوفْ

وراءها تمزّقُ السُّجوفْ

وخيْبة التّكرار ، والدُّوارِ فى القيعان

فانشبَتْ هُنامها فى القش والْعيدان

والْحبُّ عن عمائها مغلّفٌ نشوانْ

ووعْيُها من غَشْيةٍ غفّلانْ

وطرْفُها من عَشْيةٍ ظمآنْ ،

لكلّ ما لم يبْقَ فيه قبسٌ لخطوة الإنسان !

سبحانَ ربِّ النُّور من تحرُك الأكْفانْ

سبحانهُ سبحانْ !

مَنْ أيقظَ الدّيدانْ ! !

لنغامُ هذا الطيرِ ما لقّنَها بُستانْ

ولا حدَاها حارسٌ يقْظانْ

ولا بغيْر ما تجيشُ نارها تحرّكتْ بنانْ

مِنْ ذلتها ، ووحيها رحيقُها الصّدْيانْ

للرّافض الإيماءَ للوَرَاءِ ،

يَمتصُّ خطا الرُّكْبانْ

الراقصُ اللاهي في الصَّدَى ،

وفي المَدَى ، وفي الأسلانْ

وفي هَوَى التَّنغيمِ ،

والتفخيمِ ، والترنيمِ ، والارنانْ

تَدَفَّقَتْ . .

لا تعرفُ التَّطريزَ في تَوهُّجِ الألحانْ

ولا خداعَ السَّمْعِ في تبرُّجِ الحروفِ للآذانْ

ولا لِخَطْوِ اللحن قبلَ سكبه مِن نايها مِيزانْ

لسكرها خالقها قبل انبثاقِ اللَّحن بالأوزانْ

تحرَّرتْ . . فما بها للقلبِ المصبوبِ قبلَ كأسها إذعانْ !

زخارفٌ . . مطارفٌ . متاحفٌ لِقِشْرة الأكوانْ . .

قواقعٌ . . مَراقعٌ . . بدائعٌ زيّافةُ الألوانْ . .

جلَّ عزيفُ النايِ لن يقوده إنسانْ !

وجلَّ روحُ الفنِّ عن تَناسُخِ الأبدانْ

فالشِّعر . . شيءٌ فوق ما يصطرعُ الجيلانْ

روحٌ تزجُّ الروحَ كالأعصارِ في البُستانْ

بزَقّها وحرْفها ونورها للمُوْسَقِ النّشوانْ

وخمْرُها المعصورةِ الرّحيق من تَهاللِ الأزمانْ

لِكُلِّ جيلٍ كأسهُ . . لاَ تفرضوا الدّنانْ

ملَّ التّلمّي حولكم عبادةَ الأكفانْ

فجنّدوا أرواحكُم . . لا تظلمُوا المِيزانْ !

فالشعر لحنٌ من يد الرّحْمانْ

سبحانهُ . . . سبحانْ

ملّهِي النسور . . عن خطا الدّيدانْ ! ! !

١٩٧٠

مأتم الطبيعة

نشرتها مجلة أبولو، عدد فبراير ١٩٣٣

وقدمتها بعنوان (القصيدة من الشعر الحر)

وأعادت نشرها مجلة الهلال عدد أكتوبر ١٩٧٠

أطرقَ الطيرُ على هام الغصونْ

كئيبٍ ، نفرتْ منه الكِلامْ

وخبا الكونُ ، وسجّاه السكونْ

بدِثارِ الموت ، والموتُ ظلامْ

وذكا فيه لُهابٌ للشجونْ

أخرسَ الشادي بشجوٍ ، وغرامْ

أيُّ خطبٍ قد دهاهْ ؟

وأسىً أطبقَ فاهْ ؟

أترى شام الجِنانْ

خمدَتْ فيها الحياه

فبكى ؟ !

أم رأى ملْكَ الكَنارْ

هامداً فوق الكُثُبْ ؟

ومزاميرَ الهَزارْ

مثل عيدان الحطَبْ

فاشتكى ؟ !

أم ترَى مهْجتَهُ ظفرُ العقُاب

ومضى فى جنبه سهم سديد

فسرَى فيه من الموت لُعاب

وغدا يخفُق كالقلب العميد

فى نُزُوعٍ يتلَّهى بالنغَمْ

صارخاً مما نَهَلهْ . .

من فناءٍ ، وعدَم

إنّه يبكى ممَات الشاعِريّهْ . .

وخرير النهر في الوادي

كانغام النُّوَّاحْ ،

ومَسيلٌ للماء من جفن البطاحْ

اسمَعِ الكون ، وعبَّراتُ الطبيعةْ . . .

كلُّ طير ناح فيها . . ناعياً !

كلُّ غصن مال فيها . . راثياً !

كلُّ نبْعٍ سال فيها . باكيا !

عبرَتْ يمّ للمنايا .

ولعاصيرُ الأسى . غالت الرُّبان منْها .

فهَوَتْ . .

ثكْلَى على شطْ للمَنون . . لاهِفهْ

ترسلُ الأنّاتِ من قلْب حزينْ . .

هاتِفهْ :

كلِّلُوا النَّعْش بريحان الرِّياضْ ،

والوُرودْ !

ليضوعَ الطّيبُ من أردانه فيها . .

حَيْلةً ، وممكنًا !

أنشدوا ، والطّيرُ في حفل الرِّثاءْ

كلَّ صبحٍ ، ومَساءْ !

لم يمتْ « شوْقي »

وفي الشرق شُعاعٌ مِن سَنَاهْ

سائلوا الأيامَ ، والأحلامَ ، والدنيا ،

وما ضمّتْ أفانينُ الحياةْ

واسمعوا فيها صداهْ

دولةٌ قامتْ على عرش الحياه

من شعور ، وجهاد ، ودماءْ

شاعرٌ في الأرض لم يلْقَ مُناهْ

فرقَى . .

. . يشدُو لسُكّانِ السّماءْ

من جنازة شوقي

أكتوبر ١٩٣٢

تغيير

غيّريني . .

. . فلنا اشتاقُ لن ابصر شيئاً غير نفْسي

غير لن يصبح يومي في نُجاه .

في ضحاهُ . . مثل امْسي

غيرَ ان ابصر كأسي في سُراها

كلُّ يـــوم هي كأسي !

غيريني ..

ولسمعي فيْ صدى التّغْيير . .

منْ همسٍ لهمـــس

خالفتَ الضّجة . . لم اسمعه من قبلُ

على اعمـــاق حِسي ! !

مع الله

إلهى رأيتُكْ

إلهى . . وفى كل شىءٍ رأيتُكْ

إلهى سمعتُكْ

إلهى ، وفى كل شىءٍ سمعتُكْ

رأيتكَ فى كل حىّ

سمعتك فى كل شىّ

وفى كل أفْقٍ بروحى شهدتُكْ

تعاليتَ . . لم يبْدُ شىءٌ لعيْنى

تعاليتَ . . لم يهْفُ صوتٌ بأذْنى

ولكنَّ نـــوراً بقـلبى يطــــلّ
ومن طيفه كل نـــورٍ يهَـلّ . . .

هو الحبُّ فى كل خطــوى أراهْ
واسمع فى كـل همسٍ صـــداه
هو الظلُّ . . إن مسَّ قلبى الهجيرْ
هو العطر . . إن غاب عنى العبيرْ
هو الطهرُ . . فوق جبين الطفولةْ
هو الصفــو فى كل روح جَميلــه
هو الفترةُ العــذبةُ الصافيــه
تــدندنُ للحقــل والساقيــه
هو الخفقُ بين حفيف السنــابلْ
هو الرزق يهواه حدُّ المناجــلْ
هو الفأس فى قبضــة الكادحين ..
هو العرَق الحرُّ فـوق الجبّينْ
هو النفَس فى تمتمات الصــلاه

الحـــب

مع الحب

حبيبي حياةْ

وحبِّي حياه

وفي وجهه كل نور الحياةْ .

وفيـــه الهوى والأمـــل

وفيـــه صبـــاحٌ . . أطَـــلْ

وفيـــه دروب الضيـــاءْ

إلى ليلَى المستهـام الرجاءْ

وفيـه الـرُّبَى ، والغصـونْ

وفيـــه المـنَى ، والظنـونْ

وفيـــه صفـاءُ الجـــداول

وفيه غناء البلابل

وفيه سماوات حلم تغنى

وانهار سحرٍ لراها بعينى

واشرب من كأسها كل لن

صلاة تجدد حلم الزمان

حبيبى تبسم

حبيبى تكلم

حبيبى .. صحا الورد فى كل روضٍ

وما زلت نعسان . اين ابتسامك ؟

حبيبى .. شدا الطير فى كل أيكٍ

وما زلت فى الصمت يجرى كلامك !

تبسم ...

.. فكل الوجوه انتظار لتبرك

إنا رن للحب ناى بصدرك

وهبت طيورى تغنى لفجرك

الحيـــاة

مع الحياة

حياتي ، حياه

وعمرٌ جديد أراهْ

فما فات منها رحلْ

وما غابَ فهو طريدُ الأملْ !

حياتى أملْ

أناديه من زهرةٍ فى الصباحْ

وأدعوهُ من لفةٍ فى الجراحْ

. . فإنْ جاء . . أهلاً بضيفى وسهلاً !

وإن فرّ . . يا قلبُ مَهْلاً !

ولا بــدّ يأتيــك ضــوء النهـــارْ

وتلثمك بالنور كلُّ الثمارْ

فكم تتلطفُ من غصون الظلامْ

تلاشَى على زهره فى الزِّحامْ !

أناديه لهْفانَ ، فى كل حينْ

ولو فرَّ من ربواتِ السنينْ

أناديه من طائرٍ هام فوق الغُصونْ

ومن جدولٍ حالم فى ظلام السكونْ

ومن زورقٍ سابح فى الأصيل

تُوَدِّعُهُ الشمسُ قبل الرحيلْ

ومِن موْجةٍ هادنتها الرياحْ

فناقت مع الحب كاس الصباحْ

ومن قبلة فى فم العاشقينْ ،

أناديه للحبِّ فى كل حينْ

أناديه من كل سر دفين

ولو غيَّبَتْهُ رياحُ الظنونْ

أناديه . . وهو الْهوَى والأملْ

الأرض

مع الأرض

أرضي . . وما ألمسها حياه

ترابها حياه

وماؤها حياهْ . . وعشبها حياهْ

نَسيمها قُبلْ

وأُفقُها أملْ

جَميلةٌ في وجهها الحقولُ والجنائنُ

عظيمةٌ في جوّها السحابُ والمآذنُ

رخيمة في سمعها الأمواج والسفائنُ

الطيرُ فوق دوْحها يُصلِّي

والعطر نشوان بكل سهْلِ

وكل خطوٍ ، عاشقٍ مُفتَّنُ
للحب فيه عازفٌ وأُرْغُنُ
مهما يكن فَيْئِيَ من ظلالها .
لوْ وقدةِ الهجير من رمالِها ،
لحبْها في مهجتي نسائمُ
وأغصنٌ تشدو بها الحمائم
إنْ مسَّها الليل أكون دونَها
فجراً جديداً يعتلي غصونَها
وإن دهتْها غادراتُ الرِّيحِ
وهبتُ روحي فديةً لرُوحي . .
ضفافها كم غرّدتْ لحبيْ
واشعلتْ أحلامها بقلبي
ونيلُها كم حرّكَ الإلهاما
وسلْسَلَ النَّشيدَ والأنغاما !
خَضراءُ . . مثل الحُبِّ ، مثل الأملِ
وضيئةٌ . . مثل جبين الرسلِ

النهـــر

مع النهر

سكونُهُ حياه

ونُطقهُ حياه

والموْج فوق صدره صلاهْ . .

حين تنام الرّيحْ

والموج يستَريحْ

تخالُه نشوانْ ، فى افقِه النّعْسانْ

اناحهُ وضُوءْ . .

للصّمت والهدوءْ

يمرُ بالحياهْ ، ومَوْجهُ مِرآهْ

امواجهُ سَجّادَة

للطهر والعبادة

تجثو بها الطيورُ ، وتمرحُ العطورْ

وتصبحُ الزّوارقُ

كأنها حدائقُ

مسحورةُ الأغصانْ . . في ربوة النّسيانْ

كل رؤاهُ حُبٌّ

ومعبد ، وربٌّ

وكل ما في شطّه حياهْ . . . ، وخُطوة تحرّكُ الحياهْ

لولاه زهرُ الحقل ما تبسّمْ

لولاه طير الروض ما ترنم

في صدره الأسرارْ . . عتيّةَ الأستارْ

لا الريحُ تدري أمرَها ، ولا النجوم تعرفُ

سفائنٌ ولهانةٌ ، وعاشقٌ مطوّفُ . .

وصائدٌ أيامُه في خيطه معلّقهْ

يلْقي الشباك مؤمناً مؤمّلا أنْ ترزُقهْ

والليل حوْلَ طرْفهِ ،

للصبر مدّ طرْفَهُ

لوْما . . وظلَّ ساكِناً يرقب الغيوبا

كأنه مَلَكٌ ينتظرُ الحبيبا

وفجأةً . . .

صافَحه الفجرُ

والأمل الموعود ، والنهْرُ

فعاد للكوخ بحمد اللهْ

والحبِّ ، والإيمانِ ، والحَيَاهْ

سكونه حياه ، ونُطْقه حياه

والموجُ فوق صدره صلاهْ ! !

الطــريـــق

مع الطريق

طريقى لمَلْ

وخُطوى لمَلْ

وكلُّ دروبى أملْ

إذا لاح لىَ الشوكُ ، لبصرتُ فيه الزُّهورْ

وأقداحَها وهى بالعطرِ حولى تَدورْ

فإنْ كان شوكٌ . . مضيّتُ

وإنْ كان عطرٌ . . مضيْتُ

ولابدَّ لمضى ، ويمضى طريقى

وتمضى خطا الروح بين الحريقِ .

نشأتُ مع الطير حول النَّخيلْ

وسبّحتُ للحبِّ فوق الحقول

وغنّيْت للنور عند الشروقِ

وعانقته فى لهيب الهجيرْ

وكلّمته فى صلاة الغروبِ

كلانا لغيبٍ خفىٍّ يسيرْ

وسِرْنا . . وما زال يبدو ويخْفَى ،

وما زالتُ فى راحتيْه أسيرْ

فإنْ كان ضوءٌ مضيْتُ

وإن كان ليلٌ مضيْتُ

ولابدّ أمضى ، ويمضى طريقى

على الزهر . . . أو فوق صدر الحريق

وكم مرّةٍ واجهتنى الصخورْ

وسدّتْ بوجهى فجاج العبورْ

وفى حلك الليل قامتْ جسورْ

ولم يبْقَ حتّى رفاتٌ من الوهم من طيف نورْ

وحتّى رفاقى . تلفّتُّ لم ألق إلا بقايا مَسيرْ

ونبعاً يطلُّ ، فامتدُّ أشربُ . .

أغدُو سرابًا يعانقُ دنيا سرابٍ ضريرْ

وظلاً ظليلاً . . ولا ظلَّ ! !

أطبَقَ حولى الهجيرْ

وماذا . ؟ !

تخيلْتُها جنّةً . .

مقاصيرها من ضياء ، وحُورْ

وقلتُ : مع الله جدّ المسيرْ

ولابدّ تخشع كلُّ السُّدود

وتخضع للروح كل الحدودْ

وتهوى القيودْ

وللخطو يفْتَحُ دربٌ جديدْ .

. . وفعلاً ، مضيْتُ

ومن كل ليلٍ وويلٍ عبرْتُ

ولا شيءَ !

فوقى سماءْ

وتحتى ترابٌ عنيدُ الرّجاءْ

وحولى كما كنتُ ،

مراً ضياءً ، ومراً هباءْ . .

طريقى طويلْ

ودربى لا يعرف المستحيلْ

وخطوى مع الريح يجهلُ معنَى الوقوفْ

وشـلُّ الرؤى فى ظلام الكهوفْ

ويهوَى يطوفْ

ويخلق فردوسهَ فى الحتوفْ . .

. . فإنْ كان دمعاً . . مضيتُ

وإن كان زهراً . . مضيتُ

وكوْنى احسُّ بكوْنى ، حيَاةْ

ولِنىْ لسير بدربى حياه

ودنيا . . بها كل شوق لتحيا الحيَاه

مع الروح تهتف طول الأجلْ :

طريقى أملْ

وخطوى أملْ

وكل دروبى – ومهما تناءتْ – أملْ ! !

الشـمـــس

مع الشمس

جَبينُها حياه

ووجهها حياه

وخطوها حياه

تمسُ كلَّ هامد لتَنْبُتَ الحياهْ

وتورقُ العيونُ والشفاه

. . مع انتهاء الفجر والصلاه

ويَقْظَة العصفور من كرله :

رأيتُها بحراً من الدماءْ

أمواجه تخترق الفضاءْ

وتجذب الأرض إلى السماء

نحكي لكل كائن حكايه

ختامها يسوِّرُ البدايهْ !

تقول للزهرة : أين عطرُكْ ؟

تقول للكروم : أين خمْرُكْ ؟

تقول للنّعسانِ : أين عمرُكْ ؟

قم للحياة أملاً جديدا

يذوّب الأغلالَ والقيودا

تقولُ للحيْرانِ : لاحتْ سبُلُكْ

تقول لليائسِ : هنا أملُكْ

إنْ لم تسرْ دارتْ بك السّاعاتُ

على خطأ تجرفُها الحيَاةُ

فالأملُ الجديدُ لا ينْتظرُ

ويقظةُ الوجود لا تأخّرُ

كان هنا طيْرانْ

في العشْ نائمان

ناداهما الأملْ

نشوانَ لا يَملْ

فغادرا الأعشاش للحقولِ

ورفرفا للنور والسُّهولِ

للحبْ يلْقُطانْ

للفرْخِ يَجمْعانْ

للعشْ يَرْجِعان . .

. . يا ليتّنا كالشمس نبعث الضياءَ للحيَاةْ

ياليتنا كالطير يشرب الغناء من ضُحاهْ

والحبْ ، والإيمانَ ، والحياة ، والصلاةْ

جبِّينها حيَاه . .

ووجهها حياه . .

وخطوها حياه . .

تمسُ كل هامد فتنَبْتُ الحياه

وتورقْ العيونْ والأحلامْ والشفاه . .

الأمـــــل

مع الأمل

وجُودى لمَلْ

وعمرى لمل

وكلُّ حياتى لملْ

ومهما تكنْ خلايات الأجلْ

فإنى لملْ

ودربٌ جديد لشطِّ الأمل . .

فلو هاجت الريحُ ،

كنتُ لموجى شراعَ السّفينْ

ولو زمجر الموْجُ ،

كنتُ ضِفافَ السكونْ

وإنْ ذبلتْ زهرتى فى شعاب الجبَلْ

فحبّى سيخلق منها الأملْ

يُجدّدها روْضة يانعهْ

وينسخُها جنّةٌ رائعهْ

ويَمضى . . يرُشُّ الصّبا فى الرمالْ

بَساتين ، ترقص فيها الظلال . .

خُلقْتُ لأنسِجَ من كل موتٍ حيَاه

ومن كل امسٍ غداً وانها فى خطاه

.ومن كلّ ليل ضياهْ

ومن كل دمع صفاهْ . .

فإنْ شجرى قطعتْهُ ايادى الخريفْ

ربيعى سيُحْييه غضُّ القْطوفْ

. وإنْ زهرى اسقطتْهُ الرّياحْ

سياتى معَ العطر عند الصباحْ

مع الحُبّ يَنْبتُ فى كلّ فجرٍ ،

وُجوداً جديداً يُغنّى لعمْرى

أسيرُ به سالكاً كلَّ دربِ

ولو مزّقَ الشوكُ أحلام قلْبى

فحبّى ، وإيمان قلبى وروحى ،

يُذيبانِ جمْرَ الأسى من جُروحى

. . سأمْضِى بدربى إلى كلّ فجّ

ولو كان ما بين ريحٍ ولُجّ

ومهما بروضى غصنٌ ذَبلْ

سيُحْيِيه للروح فجر الأملْ

وجُودى أملْ

وعمرى أملْ .

وكل حياتى أملْ ! !

النفـــس

مع النفس

كلّما هلّ صباحْ

وهفا كلُّ جناحْ

وعلى الوردة صاحْ بلبلٌ يشكو هواهْ

ردّدي شكـــــواهْ واسجُـــدي للهْ

• • •

كلّما رنّ أذانْ

مُوقظا سمع الزمانْ

وشدا كلُّ جنَانْ ضارعا يدعو سَماهْ

فاسمعي نَجْواهْ واسجـــــدي لله . . .

• • •

كلّما رفرفَ عودٌ

راقصا بين الورودْ

ومضى فوق الوجودْ — هاتفاً يُحيى ربّـه

باركي بنهـاهْ — واسْجُـدي لله . .

• • •

كلّما عاد المَساءْ

وغفَا جفنُ الضياءْ

وغدا طير المسـاءْ — عازفاً ملّ الغنـاءْ

سبِّحى انتِ وعودى — فى محاريب الوُجودِ

حرّةً . . فوق القيودِ

حرةً . فوق السُّدودِ

تسمع السرَّ وتشدو — ولكل الكَون تَحْدُو

فى طـريق لا يـزالْ — نورهُ فـوق الـزَّوالْ :

فـانتَهِى مَسْـراهْ — واسجُـدى لله . .

• • •

الابتسام

مع الابتسام

تبسمي أملْ

وحيرتي أملْ

ونظرتي ما لمحتْ إلا تبسُّمَ الأملْ

في اليأسِ . في الملالِ .

في مصرعِ الفشلْ

يبسمُ كاللؤلؤ في إحساسِ الأمل

يا أختَ فجرٍ في زماني

بالضياء لم يزلْ

يضيء كلَّ أنجمي

يحيي سمايا نغمي

تبسّمى . تبسّمى تحيا الحياةُ فى دمى

ويعزف النورُ على الشفاهِ عذْبَ النغم

إنْ مرَّ طيفٌ مِنْ ذكراكِ

صبَّ الحنين مثلكِ

اصغى إليه . . مثلما يُصغى الكرى للحلُم

ورفرفى كالطير فى فضائه . . وردِّدى

واسقى جراح قلبِه . من ثغرك المبتسِم

• • •

تبسّمى . تبسّمى

تحيا الحياةُ فى دمى

ويعزف النور على الشفاه عذْبَ النّغمِ . .

. وإن طواك السّهَرْ

وغاب عنك القمرُ .

كونى على الشرفة حلْمَ الفجر بين الأنجُمِ

كونى صلاةً . . تسكب النور على كل فمِ

وغنْوةً ترْوِى الهوَى لكل قلب مغْرمِ

تبسّمي ، تبسّمي

تحيا الحياة في دمي

وتعزف النورَ على الشفاهِ عذبَ النغَم . .

* * *

تبسّمي للزمَنِ

وللأسى والشجَن

وللخريفِ ، إنْ سرتْ رياحهُ . . تبَسّمي

وللربيع ، إنْ مضَى صباحهُ . . تبَسّمي

وللمَساءِ ، إنْ هفاَ جناحهُ . . تبسّمي

فأنتِ بَسْمةُ الزهَرْ

وأنت نغمة الوتَرْ

وأنتِ خفْق السحْر ، فى كل نشيدٍ ملْهَمِ

تبسّمي ، تبسّمي . . تَحْيا الحياةُ في دمي . .

* * *

تبسّمي للفجر فى ابتسامهِ

تبسّمي لليل فى ظلامهِ

تبسمي إن عبّسَ الطريقْ

وإنْ توارى خلفه الشروقْ

فالعابس للحزين في انطوائه

لا يرْجعُ النورَ إلى فضائه

ونظرةُ الكئيبْ

تجدّدُ الغروبْ

وتملأ الشفقْ بالدمْعِ والحُرَقْ

فوق المدَى تبسّمي

فوق الردَى تبسّمي

فالحب ، والحياة ، والأمَل

سفينةٌ لا تعرف المللْ

وإنْ دهتّها غضبة الرياحْ

تستلُّ منها بسْمةَ الصباحْ

وتنشر الجناحْ

للسحرِ ، والترنُّم . .

تبسّمي ، تبسّمي تحيا الحياة في دمي ! !

البقـــــاء

مع البقاء

إلهي !

وإنْ ذبلَتْ في يدَيَّ الزهورْ

وجفَّتْ حواليَّ كلُّ العطورْ

ولم يبْقَ حتى خريفُ الغصونْ

وأحلامهُ في رميم الظنونْ . .

ولم تبقَ للظلِّ روحٌ سفوحْ

على فرْعها مالَ طيرٌ جريحْ

وأنا بهنّتي

وأنا بنوحْ

وأنا على صمْتِهِ يستريحْ . .

وإنْ غامَ كلُّ السُّطوعْ

وأغمَضَت الجفنَ كلُّ الشُّموعْ :

. . فأنتَ العبيرُ ، وأنتَ الربيعْ

وأنت الغديرُ ، وأنت الشُّعاعْ

وما ضاعَ ضاعَ ! !

فأمسي بقايا شُعاعٍ على الثَّلْجِ ذابْ

ويَوْمي شُعاعٌ جديدُ الإهابْ

يَشُقُّ التُّرابْ ،

ويهتِكُ بالروح وَجْهَ السَّرابْ

وإن صارعتْهُ رياحُ الحُجُبْ ،

تفجَّرَ من كلِّ جنْبْ

نماءً ، وماءً ، وحَبّْ . .

وناداكَ من كلِّ غيْبْ

دعاءً ، وشوقاً ، وحُبّْ . .

إليكَ ، وأنتَ لكلِّ المقادِرِ ربّْ !

فترتدُّ روحي بزَهْرٍ جديدْ . .

وبستانُ عطرٍ وشَهدْ . .

به فتّحَ الوردُ لهفانَ يرنو إلىْ

به صدّحَ الطيرُ يُلقي الهوى في يدَيْ

به كلُّ غصنٍ . . ربيعٌ يرِفُّ

به كلُّ طيرٍ . . غِناءٌ ، ونَفُّ

به العمرُ فجرٌ جديدُ الضياءْ

ودنيا من السِّحرِ غرَّدَ فيها الرَّجاءْ

وذابَ على نورِها كلُّ ليلٍ وكَرْبْ

وسبَّحَ لله في روْضِها كلُّ قلبْ

وفي أرْضِها كلُّ سارٍ ودَرْبْ

تعاليْتَ يا ربّْ !

تباركْتَ يا ربّْ ! !

الصـــلاه

مع الصلاة

صلاتى حَياهْ

ونُسْكى حياه

ومَحْياى مهما يكُنْ فى حَياتى صلاهْ !

فإن عزَفَ النايُ . . طوبى لتسبيحةٍ فى صَدَاهْ !

تكبِّر لله . . لا تستفيقُ من الحُبِّ والشوْقِ ،

حتى تعانقَ نورَ الإلهْ .

ففى الزهْرِ . . ترنو وترْنُو ،

إلى أن يذوب عليها شذَاهْ

وفى العطرِ تمتصُّ عمقَ العبيرِ ،

إلى أن تَصيرَ ، هى العطرُ فوق الشفاهْ

وفى الموْج . . تشربُ صوتَ الهديرِ

كما تشربُ الكاسَ عيْنُ السُّقاةْ

وفى الرّيح . تَسْبِقُ خَطْوَ الرياحِ

لتعرفَ أيّانَ يُلْقى عصاهْ !

وفى اللّيل . . تُصْغِى لهَمْسِ الظّلام ،

لتُدْرِك فى النورِ مَعْنى نَجاةْ

وفى الطّيْرِ . . تسبحُ فوق الضّياءِ ،

وتَصْدَحُ باللحْنِ حتى ترَاهْ

تغنّيهِ طيْراً : وتشدوهُ طيْراً ،

وتغدو جناحاً له فى سُرَاهْ

فإن رنّمَ الليلُ كانَتْ لُغاهْ

وإن حوّمَ الفجْرُ كانت سَنَاهْ

. ففى كلّ شىءٍ لنابى صلاةْ !

وفى كل شىءٍ ، ضياءٌ أراهْ !

وتكبيرةٌ حرّةٌ فى مَدَاهْ !

«فإنْ عزفَ النايُ ،

طوبى لتسبيحةٍ فى صداهْ

وإن سكت النّاى ،

طوبى لتسْبيحةٍ فى كرَاهْ !

فشدْوى صلاهْ

وإغفاء نابى صلاهْ

بكلّ الوجودِ ، وكلّ الحياهْ ،

يسبّحُ فى كلّ شئٍ هواهْ . .

وفى كلّ نُطْقٍ ،

وفى كلّ صمْتٍ ،

له خَشْعةٌ لجلال الإلهْ ! !

تعاليت ربّى !

فمنك السكونُ ، ومنك الحراكَ لخطوِ البَشَرْ

ومنك العيونُ ، تُطِلُّ بها مركباتُ القَمَرْ

وتزْحفُ . . حتى كهوفِ القَدَرْ

لكيْما ترَاكَ ، وأنتَ الضّياءُ ، وأنتَ الخفَاء ،

وأنت المدى ، والصّدَى ، والوَتَرْ ! !

وأنتَ العبادةْ

وأنتَ الصلاةُ وأنتُ الإلهْ . .

تعاليتَ . . ياربُّ !!

أهواك يا وطني

«ترنيمة للوطن وهو يشق الظلام ،

ويستل من ضراوته وشائج الفجر»

،

أهواكَ يا وطني

يا كلَّ ما ترْوى به شفَةُ الهوَى فِتَنِي

وتصبُّه فى الكاسِ ايامى

رحيقَ الخلْد ،

اشربُهُ ، ويَشْربُني

– يا كلَّ لحن فى لهاةِ الطّيرِ ،

أعرِفُهُ ويَعْرِفُني

يا كلَّ صفْقٍ بيْن موْج النهْر ،

أسمعه يُناغمني ويُطْرِبُني

يا كلّ ناي في غروب الشمْس

من رِقّتي يجتذبني

ويشدّني لصدّله مسحوراً

لأسمعَه ، فيَسْمَعَني . .

أنا عازفُ الفِتَن المخيلةِ فيكَ

ما خُلِقْتْ لتحرمَني

ومنابعُ الأسرارِ ، قلبُ الرّيح

من لمسها يكلمُني

يا كلّ شدْوٍ من خُطا الرُّعْيانِ

فوق العشب يسحرني

يا كلّ وجهٍ طيّبٍ

بصلاةِ نظرته يُصافحني

يا كلّ كفٍّ ، في تراب الرّقّ

تُنميه لتعتقني

يا نخلةً بسريرتي ، خضْراءَ ،

تحت الظلّ تزرعني

يا زورقاً حَمَلَ الخلودَ ، وناغم التَّاريخ

من زمنٍ إلى زمنِ

لا موْجةُ الطاغين توقفُه ،

ولا تهْويمةُ لِلِحنِ

يا صخرةً وهنَتْ رياح الدهْر ،

وهَى الدهرُ ، لم تَهِنِ

يا رلحةً رفَعت شِراع الكونِ

قبلَ تحرُّكِ السُّفُنِ

قبلَ انبلاجِ الفجر للدُّنيا

لزالت ظلمةَ الوسَنِ

وحَدتْ زمامَ الشمس

حتى شعَّت القيعانُ بالقُنَن

يا قِبلة للشرق ، تُلهِمُ

كلَّ قيثارٍ ، وتُلهمني

وتُفِيضُ سحرَ الحبِّ والإلهامِ

من ترجيعة الشَّجَنِ !

أهواك يا وطني

أهواكَ ، أنتَ هَوَايَ أهواهُ وأعبدهُ

ونشيدي َ الغالي مدَى الدنيا أرددهُ

كلُّ القلوب لـديكَ مهْجتَها تزوّدهُ

مَنْ للهـلالِ . . يهلُّ مَسْجِـدهُ ؟

مَنْ للصّليب . . يظل معبـدهُ ؟

مَنْ للجَمال . . رُباكَ موْرِدهُ ؟

السّحر فيك ، السحرُ يُنْشِـدهُ

والحب فيك بكلّ خافقة تجدّدهُ

والروح أنت شـراع زوْرقها ،

للشط . تُدنيه وتُبعِـدهُ

ويـداك فوق الهـول تُفْرِدهُ

مهما استبـدُّ الليلُ يا وطَني

بك أنتَ كالرؤيا نُمَـدّدهُ

بهواكَ ، بالشطآن ، بالأزهار ، بالأعمار

مثلَ النـار نُحَمِّـدهُ

بِنَسيمك الهانى نُمزِّقهُ

وبمَوْجِك الصافى نحرّقهُ

وبكلّ ساجعةٍ شدلها العطرُ فى الفَنَنِ

وبكلّ سامعةٍ رِبابَ الشمس من أُذنى

وبكلّ فلس سِرُّها

ما زالَ عن شفتيْهِ يَحْجِبُنى

وبكلّ سامعةٍ ربابَ الشمس من أُذنى

خِلْتُ السمـاءَ بها تعـانقنى

وبكلّ راهبةٍ ، يرتّلُها

نلقّوسهـا نغَمـا يسـاكِرُنى

وبكلّ طير فوق رابيةٍ

بالحـبُ نغمتـــه تعطّـرنى

وبكلّ قلب صبٌ مهجتـــه وخفقتـــــه لـــداكْ

وبكلّ ما حَمَلَتْ إلى الدنيا ولَمْ تبخل يَـداكْ . .

وبكل طفلٍ مـدّ راحتَـه لتُصبِح شعلةُ لـدُجاكْ

وبكلّ كفٌ لوقدتْ مصباحَها قبسا امـام خطاكْ

وبكلِّ روح لو رقت للنور تشربه رحيق هواكْ

وبكلِّ شيخ يرقب الأجيالَ واعدةً بكبرِ ضحاكْ

وبكلِّ خطوٍ يغرس الآمال صاعدةً لشمس علاكْ

وبكلِّ وجه فيكَ يرفضُ كلَّ بارقة بغير ضياكْ

وبكلِّ سمع فيكَ يرفضُ كل هاجسةٍ بغير صداكْ

وبكلِّ شيء فوق أرضكَ تحت ظل سماكْ

بالناسِ ، بالأجال يا وطني

بترددِ الأنفاسِ ، بالزمنِ

بزغاردِ الأعراس ، بالكفَنِ

مهما تمادى الليلُ . نحصدُهُ ،

وبكلِّ غضبتنا . . نبددُهُ !

ونردُّ فجركَ من يدِ المِحَنِ

متوهجاً متشامخَ القسَمات والفِتَنِ

متألقاً كالشمس فوق الكوْن . . يا وطَني ! !

• • •

أهـواكَ . . يـا وطنى

وبِـــدَاكَ كلُّ هـــوایَ ،

كُلَّ رجایَ يا وطنى ! !

وغــداً يهلُّ ضُحَــاكْ

ويـَـذلُّ كـلُّ عِــداكْ

وتعودُ أنتَ الصـوْتَ

فى تكْبيرة الأقــدارِ

.. للأبطالِ .. يـا وطنى !

الهديـــة للصحـــارى

يا صحارَى . .

أصبحَ الليلُ نهاراً .

والحصى أصبحَ عِطْراً ،

وزُهورا ، وثمارا

• • •

ظلَّت الأرضُ تنادى من قديم الأزلِ :

أين ماء النهر . يَرْوِينى ، ويحيِى أملى ؟

كيف أظْما ؟ . . وهْوَ يَجْرِى فى يدِى ؟

ولمن يُهديه أهْلى قبْلى ؟ !

• • •

ظلّت الأرض تُنادى

وسُكون الصخرِ يستمعْ !

وأنا صوتٌ . . لديه مُهجة الأيام تخشع ! !

ردّدَ البشرى . . عتها

من سمــــاء النيـــل يُــرعِـــــدْ :

. . أنا صوتُ الله . .

للفانينَ فى كل مكـــان يتَـــــردّدْ

. . أنا صوتُ النارٌ . .

للأغلال والطغيـانِ نـارى تتـــــوقّدْ

. . أنا صوتُ الشعب . .

مِنْ أصلابِهِ فى القهر صوتى يتَجَسّدْ

. . أنا صوْت الأرض . .

ملّتْ عَطَشَ الأرض . .

فراحتْ تتقصّدْ

أنا صوتُ البيدِ . . .

اسقاها جوار الماءِ .

من قطرة ماءٍ لم تتزوّدْ

لنا صوت الثورة الكبرى

على كل مُحالٍ في طريقى يتمددْ !

لنا صوت القدر المحتوم

.. مَن حارب صوتي يتبددْ !

قالها .. حلُماً وطارا

قالها .. بأساً .. وسارا

قالها .. الثائر .. للدُّنيا جهارا !! ..

وأنا زندكِ يا مصر

يُحيل الطَّوْدَ خصبًا وعَمارا

وأنا سدُّكِ ..

لا يرضى سوى الشمس لكفَّيهِ جوارا !!

وأنا كلُّ نشيدٍ يتبارَى ..

يا صحارَى

أصبحَ الليل نهارا ،

والضُّحَى أصبح عطراً

وزهوراً ، وثمارا . .

• • •

يا صحارَى . .

حدثنى الشطآنَ . . ليْلاً ونهارا

أصبحَ السدُّ منَارا . . ،

فارفَعِي زَنْدَكِ فى أىْ دُجًى واقتحميهِ

واشرعى سنَّك فى كَبْدِ الأعــادِى ،

. واسْحَقيهِ ،

واسلُكِى دربَــكِ فى نــورِ ضحـاه ،

. . وانشريه ،

كلنا صفٌ . .

خيالُ الريح يفنى دون أن ينْفُذَ فيهِ

خَلِقَ الهوْلُ لتخضرْ البطولات

بأيـدى حاصـديــهِ ،

فازحفى . .

واللهُ بالنَّصْر كفيلٌ . . فارقُبيهِ ،

وعلَى راحاتِهِ الليلُ توارَى

والضحَى عمَّ النّهاراً ! !

يا صحارَى . .

أصبح الليلُ نهارا ،

والحصى أصبحَ عطراً ،

وزهوراً ،

وثِمارا !!

قاهر النهر

عانقتْ شمسُ الضحى ، أعلى ذُرَاكْ

وحبَا التاريخُ شوْقاً . . كيْ يَراكْ

• • •

وَشَدا النيلُ ، وغنّى مَوْجُهُ

للذى شادَ منَ الماسِ عُلاكْ

• • •

كُنْتَ لُجاً شارِداً . . تَجْرِى بِهِ

عاتِىَ التيارِ للبحرِ يَداكْ . .

• • •

وأتاكَ العِلْمُ ، والعقلُ ، على

ثورةٍ بيضاءَ .. يــدريها ثراكْ ..

• • •

واتساكَ العـــزْمُ ، في إصـــراره

صلبياً مرّاً ، يدوّي في سمَاكْ ..

• • •

واتتْ مِصـــرُ .. على راحـــاتِها

منْ بكاسِ العمْرِ يسقيها ، سنَاكْ !!

• • •

زحفتْ نحْـوكَ منْ كـلّ الـــرّبى

مهَجٌ تعـــلى بنـــاديها هــواكْ ..

• • •

رفـفـــتْ ســاعِـــدهـــا ...

فارتفعتْ ، رايةُ المَجْدِ على كلّ حِماكْ

• • •

وجـرى مـــاؤكَ عَـــــدْلاً ...

.. قبلما تظما الأرضُ ، ترافيها خُطاكْ !!

• • •

لستَ سعياً في الثرَى .. بل سكّةً
تنْبتُ الأرزاق مِنْها خطوتاكْ .

• • •

الصحارَى ، هللتْ أغراسُها
حينَ مستّها علَى البُعد عصاكْ

• • •

ورمالُ الشطِّ .. أضحتْ جنّةً
بالشذَى والنُّورِ .. روّاها ضحاكْ !!

• • •

أبناءٌ أنتَ ؟ أمْ معْجِزةٌ ؟
خلدتْ في الدهر منْ أعلَى بناكْ !! ..

• • •

مع النور الأعظم

في ذكرى مولد المصطفى

محمد صلى الله عليه وسلم

يا أوّل نورٍ

سكبَ الله النورَ الأعظمَ مِن شفتيه

يا أوّل نورٍ

كلُّ النور تألق منه ، وجلب الكون على كفّيْه

يا أوّل نورٍ

خفَّ إليه الروحُ القدُسُ وكبّر شوقاً بين يدَيْه

يا أوّل نورٍ

عطَشُ الدنيا جُنَّ عليه ، وروّى الحَيْرةَ من قدَمَيْه ! !

البيدُ الظماى شربتْ منْهُ

وراحتْ تصطفي الظّما اللاّهثَ في الأكوانْ

وانقلبَ ضحاهُ جبلٌ الليل

واوغل ، اوغلَ ، حتى شعشعَ في الإنسانْ

رشُّ اليقظة ، والتّوحيدَ على رنتيه

ومحا الذلّةَ والإطراقةَ مِنْ جفنَيْهْ

ونفَى الرقّ وكان محالاً لا يتزحزح عن كتفيْه

ومضى يسحقُ كلَّ ظلامٍ

عبَر الدهرَ ، ومرّ عليهْ . .

عرجَ الأفقَ ، وانّنَ مِن اعلى اعلاهُ

وراحَ يدقُّ ، ويطْرُقُ . . يطْرُقُ في الأبوابْ :

. . الفجرُ توهجَ يا سارينَ على الأعتابْ

والليلُ الضاربُ حول الكوْن

تصدّع في شفتيه وقلبْ

والله الحقُّ . . تعالى الله

. . سناهُ تفجّرُ فوق الفلَكْ

وانشقَّ ستارْ

وارتعشت كلّ حناياها الكون الغارق ،
في ليل مسجورْ
بشرى للأرض . أتاها النورُ ! ،
يا أوّلَ نورِ
شرب الكونُ رحيقَ العزةِ ،
لمّا سار على شطئنهْ .
رفضَ الظلْمَ ،
وأوقدَ ناراً ،
لا تتحركُ من جنبيهْ
رفض خضوعَ الحقّ لباغٍ
غنّى الحقّ ، وحلّق بالأغلال عليهْ
رفضَ خنوعَ المظلومينْ
وطيبةَ وجْه المنهورينْ
رفضَ صلاة الأوّابين لغير اللهْ
رفض خشوع الكذّابينَ بغير شفاهْ . .

رفض الرزقَ إذا لم يأت

أبيَّ الخطوة غيرَ هَجِينْ

رفضَ الكلمةَ

إنْ لم تسحقْ كمدَ الذُلّْ ،

بكل جبينْ

رفضَ اللُقمةَ

إن لم تأتِ حصادَ الغرْس ،

لكل يَمين

رفَض خُفوتَ المغلوبينْ

رفض سكوت المسلوبينْ

رفض همسَ الرشوةِ

حين تفحُ ، وتمْرقُ كالتِّنِّينْ

رفضَ البسمةَ حين تَزوْغُ

لتخلس صيْدَ الغشَّاشين ،

رفض حياةً .

. . شقِيَ الرفْضُ عليها غضَباً للْغافين ! !

رفع النورُ حُداءَ الدرب . .

وتهْنا عنْ نَغْمةٍ قدحيةٍ

فشربنا الحيرةَ لم يرحمنا نُورُ يديهْ ! !

• • •

يا أولَ نور

سكبَ الله النورَ الأعظمَ

من شفتيه

عدْ لخُطانا . .

عدْ لهوانا . .

يعُدُ النور لروُح الحائر فى كهْفيَةْ ! !

الديوان

الثالث عشر

موسيقا من السر

موسيقا من السَّرْ !!

كلما أبصرتُ شيئاً

كنتَ فيه كلَّ شيءْ . .

. أبصرُ الليلَ . . فألقاك به شلالَ ضوءْ !

أبصر الظلَّ فألقاك به انهارَ فيءْ !

أبصرُ الزهر . . فألقاكَ به موجَ عبيرْ !

أبصر الروضَ . . فألقاك به شطَّ غديرْ !

وأنا أسمعُ . . يشجينى صدًى منكَ مثيرْ !

. . قلقُ الشوق . . وضجّاتُ الهوى فى رئتَىّ

عصفَتْ كالريحِ ، كالإعصارِ ، تشوى جانبَىّ

أتلاشى . . ثمّ أحيا . . ثم أغدو كلَّ شىءْ . .

فأنا النظرةُ تنبثُّ حنينا من عيونِك

ولنا الحيرةُ تنْسابُ التياعاً من جفونِك
ولنا التّرتيلةُ الكبرى على نهر جبينك
.. ما الذى فى أعينٍ كالحبِّ لهولها .. وسكْرَى ؟
تَجْرعُ الحبَّ ، وتَسْقيهِ لأحلامىَ حَيْرَى
وتُنهبُ الكونَ فى شُرْفَةِ إحساسى
.. وتَتْرَى !
أغصنٌ من شَجَرِ الحبِّ
رضيعاتٌ لِسرّةْ
وطيورٌ من رُبىَ الحبِّ
سَميعاتٌ لأمرِهْ
وعطورٌ من صلاةِ الحبِّ
هالاتٌ لزِهْره ..
سلبَتْ من كل سرٍّ فى كؤوس الناس قطرة
ومضَتْ تَسْقِى ضَرَاعات الهوى نارا وهمسةْ
غيّرتْ كُلّ وجودى .. لمسةٌ فى إثْر لمسةْ
ما الّذى فيها ؟

حياةٌ ؟ أم زوالٌ ، أمْ خلُودْ ؟

أم أساطيرُ رَوَاها الحُبُّ . . أخشَى لا تَعودُ !

أمْ مزاميرُ . . ؟

ولا لحنٌ !

ولا نايٌ ، وعودُ ! !

٣٠ / ١٠ / ١٩٧٢

موسيقا من الكَلمَه

يوليه ١٩٧٣

• وليسَ هنا ترابى . .

وليس لحنٌ ربابى

وليس مفتاحُ بابى ، وليس ليّلُ حجابى

• • •

• لم اتهَّ مرةً بزيّف الطريقِ ،

إنما الغارُ ، تشتكى من حريقى

• فى ضباب الوجود ، اوقفتُ خطوى

لأرىَ الغيبَ فى المتاهاتِ يخطو !

• شُقْتُ طيراً معذّباً . . يتقر الباب ،

ومن خلفه القوس ، سهمها فى ضحاهُ . .

• ليس رؤيا ، وليس حلماً لراءٍ

بل وجودٌ . . وراءه الناس تاهوا !

• فتحَ البابُ . . .

. . . ليس في الروضةِ إلا شعاعُ نورٍ وكلمةٌ . .

• عصرتْها السماءُ من سرِّها الأعلى

وسارتْ . . يحدو خطاها الإلهُ ! !

• لعلَم الكائنين ، فانشقَّ منهمْ

كاذبٌ . . وردّهُ سلتَهُ الشفاهُ

• وسعى الأرضَ وزرهُ ، فهي صدقٌ

كذبَ الروحِ مطربٌ في صداهُ

• لنا ندرى ، مجوعهُ في الضمير

يلقطُ الحبَّ قبل غرسِ البذورِ

• ويغني ويحملُ الزهرَ ناياً

ليهمسَ الحياةَ . . منْ أيِّ نورِ !

• • •

• • كلمةٌ . . تشتكى ! وليس بها شكوى

وتبكى ! والدمعُ زيفٌ غزيرُ

• ولها صائتان : هذا إلى الرَّحْمة —

نشوانٌ ، لحنٌ لغافلاتِ الطيورِ !

• ولهذا . . نهمةٌ من نثائبِ

تلْعَقُ العَصفَ من سكونِ العبير ! !

• • •

• • كِلْمةٌ . . بالهوَى البليد تُناغى

أىَّ وَجْهٍ تراهُ عندَ العبُورِ

وتدسُّ الفَراغَ : والحِقْدَ ، سَهْماً

عبقريّا . . بزورغُ قبل الظهُورِ . .

• • •

• كلمةٌ . . سَجْدةٌ تواتَرَ ذكر اللهِ فيها

من غير جذوةٍ فى الشعورِ

وبغير احتراقِ نورٍ ، بنُورٍ

وبغير انتفاضةٍ فى الضَّمير . .

فَقَرَّتْ للسماءِ تطلُبُ رزقاً ،

لو متاهاً ، لو سهلة للمستور . .

• رفعت ، ثم لهيت ، ثم عادت

لحرف للموت في لهاة القبور . .

• هرفعت نفسها رياءً ، وعادت

سجدة تستميل وجه للمصير . .

• كررت كاسها ، اتكالاً على العفو . .

ودارت وفي يديها البخور . .

ليس لي عندها كلام ، ولكن . . لم تشفق على الشفاه العطور ؟ !

لم ؟ والسر والمسح ، نخدع السر ، بسر تعاف منه القشور ؟

ولهيب الصدى محبط . . يرى للوجة والريح ، في رفات الهدير

ويرى النفس وهي حولاء . . زاغت !

. . فهي رؤيا حقيقة ، وهي زور ! !

• كلمة . . للصفاء فيها بساتين ، وللعطر جنة لا تزول

تخطف القلب بالعبير . . . ربما ليت شذاها في كل قلب يجول

زغرغت ايكاً . . وغنت طيورا . . وسرت جدولاً حمله لسيل

ثم امعنت ! ! حية تنفث الفردوس سما ، يخضر فيه الأفول . .

• • •

• كِلْمة . . لا تقولُ شيئاً ، وتصغى لصلها . يقتات سَمْعَ الفضاءِ
بلَمّتْ كلّ ساكنٍ ، ثم تاهتْ ، فهى تابوتُ خيبةِ الضوْضاءِ
خُلِقَ الحرف للحياةِ ، وكانتْ فى عجيج الحياةِ مسْرَى هَبَاءِ
سمعتْ البُلْبلُ الجريحُ ، وضجّتَ لتصبُّ الصدى عزيفَ الدماءِ
مرّ سمعى بها كما مرّ وهْمُ اخرسٌ ، حَوْل مهْجةٍ خرساءِ

• • •

• كلْمةٌ للهوَى ، تُحسُ ربيعَ العُمْرِ يحنُو على بَنيْها الدقائقْ
وترىَ الحبُّ ضارعاً . . يعْبدُ النيرانَ مصلوبةً على وجه عاشقْ
وتراها تدُقُّ صدْراً ، فيغزو نارهُ العطر مُن جميع الحدائقْ
آهِ . . كم قلْتُها . . فلم يبْقَ فى ذاتى انتماءٌ لُحسّةُ للحقائقْ
اتلاشَى ، وانتهى ، فانا الموجودُ والمُنْتَهى بإعجاز خالِقْ
هربْتُ بالعقلب والسحْر يوْما . . اين يا حبُّ معبدى ؟ انت سارقٌ ! !

• • •

كِلْمةٌ . . منْ صرير وجهٍ بتهم جائع الذلّ . . نائع فى سكونهْ
مطرقٍ ذاهل ، يكاد من الحسرة يقتات كلّ جوعٍ جفُونهْ
حرِمَ الظلُّ ، فاستحالَ سؤالاً لخرسَ الصوتِ قابعا فى عيونهِ

قالها ، واستمرَّ . . شبَّتْ رياحاً من خريف الحياة فوق غُصونهْ
لم تكنْ أحرفاً ، ولكن شظاياً مكَّحلات اللهيب تحت أنينِهْ ! . .
. . زعمَ العقلُ أنهُ يُطفىء النارَ وغنَّى ، فجُنَّتْ في لحونِهْ !

• • •

كلِمةٌ . . قالَها مُصلٍّ ، وصلَّى ، ثمَّ بعد الصلاة عادتْ غريبَهْ
زمجرتْ في السجود ، حتى لجنَّتْ ندمَ الليل ، ثم شبَّتْ لهيبه
ثم قال السلام ! ثم تولَّى ، يمنةً ، يسرةً . . يُغنِّي هروبَهْ
وإذاها مصلوبةً فوقَ لوْح عبقرى التقى ، يبارى غيُوبَهْ
فارق اللهَ ! ثم ولَّى ، فولَّتْ مثلهُ في كهوف نجوى عجيبَهْ
تمضغُ الخبزَ بالحروفِ وتلقيه على الشرِّ لانتشال الثويه
ليتها لم تكُنْ ! . . فإن صلاةَ الجسم من غير روحِه لكْذوبَهْ !

• • •

• كلمة غنَّت السلامَ وفضَّتْ لعبير الحياة مليون زهرة
لاكها جائرُ الشعوب بشدقَيْن يَصُبَّان في الشذى ألفَ جمره
تطلبُ الظلَّ للحياة ، وتشويها بنارٍ ، رياحُها مستمرَّه
وتنادى الهدوءَ . . وهَى تَصُبُّ الموتَ هولاً يسابِقُ الموتُ طهْرَهْ

يفجأ الروضَ بالزوالِ ، وفى قاعِ ضميرِ السلامِ ، يحفرُ قبْرَهْ . .

كذبَتْ ! ! لن تليق إلا بروضٍ ينسخُ الزهرَ حدَّ سيْفٍ وثورهْ ! !

● ● ●

• كلمةٌ . . تضفرُ الأباطيلَ بالحق ، وتغوي فى الناسِ : هذى الحقيقه !

تسرِقُ الدربَ من يديها وتُخفيه ، وتُعطيه وهو غالٍ شقوقه

وتلوك الصدَى ، ، وتحكيه مدْعاً . . وتُروِّى بكل إفك عروقهْ

ولها مخلبانِ : سفاحُ نورٍ ، عاطرُ الحدْ ، وهو يرْدى شقيقهْ

وَوَفىٌّ لضعفه ، يغرزُ الحدْ ، ويمضى فى الضحايا طريقَه . .

لا منها . . شقيةٌ ، لستُ منها ! فهْى حرفٌ مزيفٌ لن نطيقهْ ! !

● ● ●

كِلمةٌ . . جشعةٌ ، التجارة فيها يُرتمَى للعبيد ، يهتفُ : حرَّةْ !

تفرِسُ الصيْدَ فى الشِّباك لتصطاد - مع العارِ وهْمَ مجْدٍ وشُهْرَهْ

خسِر الصيدُ ! إنها لحرفُ الخزْى ، ستجْنى الشِّباكُ بلوَى وحسْرَهْ

جنِّبونى حديثَها ، وامنحوها مثَلاً للذئاب فى الغاب مرَّهْ

ليس فيها نزاهةٌ . . ليس فيها للصدَى الحرِّ . . أىُّ طيفٍ لنَبْرَهْ ! !

● ● ●

• كلمةٌ .. ترفُض الحروفَ طريقًا وتريد الكلامَ خلْقًا جديدا

وتشقُّ التابوتَ ، تُخرجُ منه للميّتَ الحيّ في ضحاه وليدا

في يديه الشعاعُ ، والدربُ ، والخطوةُ ، مزّاحةً ترجُّ الوجودا

تكشحُ اليأسَ ، والجمودَ ، وتُذكي غضبةَ الروح كي تلهب الجنودا

وتردُّ الترابَ حيًّا لهيبًا ، يقهرَ الدهرَ في ضحاه صُمُودا ..

هذه كلمةُ الحياةِ !!

... إذا لم نكنْ فيها ، سننتهي ..

... لنْ نعُودا !!

موسيقا من الله

الله

.. وهنَاكَ عند الفجْرِ فى إشراقَةٍ كلَّظى الهَجيرْ
وعلى خُطا لمرّيةِ الإيماضِ ،
يسفحُ نورُها كذبَ الصُّخورْ
.. روضٌ رحيبٌ أجهشَتْ فيه الزُّهورْ
وتكلَّمتْ بعطورِه لغةُ الطيورْ
وتأوَّهتْ ريح مُجنَّحةُ للسيرِ ،
علَى مخاضِه تَدُورْ
وترنَّمتْ ورْقاءُ صاليةُ الشعورْ
متَشوِّقتى ..
.. وعشيقةُ النُّغَم المصَفّد فى الوكُورْ

وأبهجتني . .

. . وأنا الذَّبيحُ !

. . وجاوزَ الرؤيا لسيرْ

متلفّعٌ تحت العروقِ بمهدِهِ النَّمِلِ الوثيرْ

في كفّـهِ نهرُ الحياةِ لهيبُـهُ قـلـقٌ مزهـرْ

وعلى شواطئهِ هتافٌ لجَّ في نَدمٍ غزيرْ

وضراعةٌ بلهاء تصرخُ وهْيَ هالعةُ النَّفيرْ

وخطيئةٌ . . تلدُ الحياةَ ،

ومَهْدُها يَلِدُ النُّشورْ

وصدًى يُغرِّدُ ناشجاً ،

وبدمعه يلغو السُّرورْ !

وغمامَـةٌ عرجاءُ دَوْحُها المسيرْ

لنا نسيرُ ، وأنـةٌ تبكي المصيرْ

والأفُقُ مصلوب كسيرْ . . .

شحنتْهُ أوهامُ العصورْ ،

ومسابحُ النُّسّاك وهْيَ على مزالقها تدورْ

.. الكفُّ مؤمنةٌ ،

وظلُّ الكفِّ مشنقةُ الضميرْ

وتمائمُ المتهتّكين كأنها مزَجُ الغوايةِ في الصدورْ

مسكينةٌ الأصداء ، تلعقُ في اللاعنِ والبخورْ

وتئنُّ في حبّاتها الدعواتُ ..

جائعة الصفّا لزُجاج كوبٍ أو حصيرْ

متلمظاتٍ للورودِ

على هوادجَ أخجلَتْ خشبَ النذورْ !

تتلقفُ الأنوارَ من عبقٍ تناسمَ بالسرورْ

والنورَ .. من حلكٍ تناغمَ في الجفونْ

والطهرَ .. من شطحاتِ أوهامٍ ونذورْ

وتُعانقُ القدسَ للنبعَ ، كأنما سكنَ الستورْ !

بفحيحِ راغبةٍ محيّرةٍ على زبدِ الثغورْ

ونقيقِ غاويةٍ مبعثرةٍ على خبلَ حسيرْ

متخالج اللمحاتِ ، أعمى دسَّ في الرقِّ ضريرْ

طحنتْهُ سنبلةُ السيادةِ بالقشورْ ....

.. والرزق ، والعوزَ المختَر بالسكينة والصبور
ولواهُ جلابُ الطايا للغرورْ
ومضفرُ الأصلابِ اعتلها مطهَّمةَ الظهورْ !
أقواسُها تئدُ السهامَ وتنشبِ العشبَ الحقيرْ
وتحيل هشَّ الوارفين مشاتِلاً لربَى القصورْ
وعلى خضوعِ الهائمينَ ... بكفِّها تعلى الجسورْ
وتدورْ تطحنُ في غيابتها ..
فتطحَنْ أو تدورْ !
... سبحانَ وهاب الظلام لمنْ يُريد بصيصَ نورْ !
سحبُوا من الأكفانِ قدرتَهُ
.. ولجوا في القبورْ
وتأوّدوا خبباً ، وتهتهة ،
.. وليّاً للصدورْ !
في حوْمةٍ .. لا للسماء ، ولا الترابِ ،
.. لبثُّها نسبٌ يشيرْ !! ..
.. زعموا لقاء اللهِ وحدَهم .. وجلَّ !!

فثورةٌ غمَرَ الدهورْ . .

. . فى الحبِّ ، فى الأملِ للخلْقِ ،

فى الأجِنّة ، فى البُــذُورْ

. . فى الرّبيعِ ، فى النّسَمِ المُرنّحِ فى العشايا والبُكُورْ

. . فى الطيْفِ تلمحهُ ظلالُ ظِلالِهِ فوقَ الغديرْ

. . فى السّفْحِ ، فى ضجرِ المغاورِ ،

. . فى البرازخِ ، فى الصُخُوْرِ ،

. . فى كلِّ راقىءِ دمعةٍ من جفْنِ مظلومٍ فقيرْ

. . فى كلِّ كاسرِ حلْقةٍ من قيدِ مقْهُورٍ أسيرْ

. فى كلِّ رافِضِ لُقْمةٍ ، لِلبذْلِ جالبُها أجيرْ

. . فى كلِّ واهبِ روحِهِ غوْثَ التراب المسْتَجيرْ

. . فى كل ذلتِ حرّكتْ عدمَ الفراغِ إلى الصّريرْ

. . فى خُطْوةِ القَدَمِ الذى هتكَ البراقعَ ،

. . عنْ نُجى القمرِ المُنيرْ . .

وحنَا السّديمَ . . .

وشقَّ بين يديه أسرارَ الأثيرْ

ومشى على الأجيال يسحق جَهْلَ عالمها الضرير

ويُزيح سِتْرَ العقل عن إعجاز خالقِهِ القديرْ !!

.. الدَّربُ ضوءٌ للسُّراة ...

حقيقةٌ وحصادَ نُورْ

وهوَى الدجَى ...

. وتمزقتْ حُجُبُ الرِّياءِ علَى الحضُوْر

فالله يَصْحَبُ كلَّ من صَحِبَ النَّهارَ ..

ومالَ عن غَبَشَ السُّتُورْ ! !

٥ / ٥ / ١٩٧٦

موسيقا من الزمان

طَوَاف

«النغم من طير العقلة

سمعتُها .. عام الألفين»

٢٥ / ٥ / ١٩٧٢

ألفانِ ، وعشرةُ آلافْ

وأنا طوّافْ ..

.. في البحر الغارقِ في الإسدافْ

روحي مجدافْ

قلبي مِجدافْ

يجتاز جُنونَ الريح ، ويَنفذُ في الألفافْ

ويُحيلُ الثلجَ طريقاً للأعرافْ

ويُلاقي الجوهرَ في الأعماقِ . . فلا أغوار .. ولا أصدافْ

وحقيقةُ هذا الكونِ تلوحُ . . فلا أسرارَ ، ولا أطيافْ . .

. . المركَبُ طافْ

عُريانَ الرؤيةِ . . لا مكشوفَ ، ولا خوّافْ

للزيفُ ازورَّ ، ومرَّ ، وفاتْ

والنقشُ . . انصلَبَ على جفنيه وصارَ رُفاتْ

والمجْدُ . . نشيدٌ ضاعتْ منه الكلماتْ

والشهرَةُ . . وقفتْ تضحكُ في الطرقاتْ

وتُطلُّ بلا عَينين على الأمواتْ

وتَرُشُّ زوالاً كانوا فيه ، وعاشوا فيه بِلا راياتْ

والضوءُ رياءْ

والفيءُ رياءْ

والنغمُ الحالمُ وترٌ مذبوحُ الزفراتْ :

مبحوحُ الآهاتْ

يترنح بين يدين بلا راحاتْ .

وبلا كاسماتْ !

مخدوعَ الشهَواتْ ،

مفجوعَ اللهواتْ ،

يتحرّكُ في اللاشيء . . بلا حرَكاتْ

ويدور ، يدورُ . . ولا يدْري من أيّ فضاءاتْ . .

. . العقلُ اقتحمَ السرّ ، واوغلَ فيه وطافْ

والروحُ التحَمَ بكلّ خطاهُ . . وكان للوجة والمجدافْ

لكنّ خِصاماً دبّ به عُميانُ الرُّوح على الأطرافْ . .

فتوارىَ النورُ . . . وعاد النورُ بلا اقوافْ ! :

يتخطّى الغُصنَ ،

ويسْحبُ منه وِساد الرُّوحِ على الأليافْ

وغباوةَ كلّ عصورِ التيه . . . وكلّ ظلام طافْ

مِنْ دجَل الكاهنِ ، والمتنبّيء والعرّافْ

والرّابضِ خلفَ الأمسِ . .

. . يُعيد خطاهُ ، يَمدُّ يداه ليقطفَ حلْقة قيْدٍ بالخُطّافْ

وللوتَ يموتُ ، ويحيا فيهِ . . ويرجعُ موتاً منه يَعافْ ! !

ألفانِ ، وعشْرة آلافْ

وأنا طوّافْ

روحي مجدافْ !

قلبي مُجدافْ ! !

ألفانِ وعشْرة آلافْ

وأنا طوّافْ

في البحر الغارق في الأسْدَافْ

روحي مجدافْ

قلبي مجدافْ

وسرابٌ يبْحرُ فيه سفينُ الكون بغير ضِفافْ

لم يبْقَ شراعْ ،

لم يبق شعاعْ ،

لم تبق رياحٌ تُغْرق شيئاً تُنقذُ شيئاً غَرقٍ وضاعْ !

. كلُّ الأمواج خِداعْ

كل الأثباجِ ضياعْ

كل السارين لساري صمْتٍ حجبَ السرَّ فلا إفْلاعْ

تنهار قِلاعْ ، وتقوم قِلاعْ

وتسير قلاعْ ، ، وتعوم قلاعْ

وأنا ملْتاعْ . .

. . قلَقٌ للزمارِ ، شقْى الطّارِ . . طريدُ النغمة فى الأسماعْ

ووَرَيقُ الدمعة . . لا إجهاشَ ، ولا إدماعْ !

أتفُ بقبْض السرِّ . . فلا أنْهارُ ولا ارتاعْ !

وأدور . . أدور وراء الرِّيح فلا أتقَصفُ ، ولا أنصاعْ !

وأفتِّش عن سرِّ الأغلال لركّاعين بلا إخْضاعْ

جاثين جياعْ . .

للزّاد الأوّل للإنسان . . شعاعٌ حرٌّ جنْبَ شعاعْ !

يجتاحُ الذلَّ . . ويرفضُ كل نعيم يأتى من كفِّيه ، وكل متَاعْ

ويعيش الفقر شريفَ اللقمة . . لا محتالَ ولا خدّاعْ

ويخوضُ الشوك ،

ويصخرُ فيه ولو يُغنيه أسًى لذّاعَ !

. . مَن قال رِعاعْ ؟

نحن الإغماضُ لعدل الجائر حين يُصوّبُ بالمِقْلاعْ

نحن الإيماضُ لوهجَ الظلمِ . وهج الظُّلم فقيدُ القاعْ

عات ، بلأْ . . .

يزْبَردُ الدَّمْعَةَ ، والإعْوَال ، وحقُّ الُقمة ، دون بقاعْ

ويَصيدُ تَعاسةَ جوَّابينَ بغير شِراعْ

ويُبيد ضراعةَ مقهورينَ ، بِغير رَضَاعْ

. . جرفتْهُمْ في الأجيال ، عطايا الرّقّ المرّ بغير صِراعْ !

دهستْهُمْ شيئاً . . آمنَ ذلاً بالإخضاعْ . . وبكل ضَيَاعْ

قانونَ !

واعجبْ . . شبحُ الموتِ يلوحِ حيلةً لا تَرتَاعْ

تخْضَرُّ ، وتورقُ بالتّحقير ، وبالتخدير ، وبالإفزاعْ

الحقُّ السّافرُ ضاعْ . .

والرّزق قِلاعْ . . ،

يتسلّق فيها الأعرجُ ، والمتعارجُ ، والمُقَنّاعْ

والذّائب في أحضان الله يمدُّ يديه بغير ذراع

أعشَى في الحبّ ، ضريرُ القلْب يشدُّ الثمرَ بغير قطافْ ! !

وبلا إنصافْ !

.. يتحرك شيء ، يوجدُ شيء !! كيف يكونُ بغير زِحاف ؟؟

وبلا أوتارٍ .. سلِّ النغْمة من عزّافْ

وبلا نيرانٍ .. جَذَبَ النورَ من الأسدافْ !!

هنا إجحاف !!

هنا إرجاف !!

وبكاءُ عيونٍ لا تتحرك للأطيافْ !!

عبرتْ .. حتى وقَفَتْ !

نظرتْ .. حتى عشيتْ !

ضجرتْ .. حتّى هلكَتْ !

وزمانُ الزمنِ لها عزّافْ ،

كذّابُ الحكمة ، خاوى النغمة م الأوهام يُريد سُلافْ !

ويريدُ وصولَ الشطِّ بغير مطافْ !!

الفانِ .. وعشرة الاف .. وأنا طوّافْ

عُمْرى مجدافْ

خطوى مجدافْ

يتخطّى للوجهْ والتيارَ ، ولا يتلفّتُ للإعصارْ

ويشقُّ طنين الريح ، فلا يتوقّفُ لو يتّعثرْ

فخُطاه حصاد للأسرارْ . .

وصداهُ مدارٌ للإصرارْ . .

أصغَى للعصر وطافْ

وانسرب لقاع الصمت ، وقاع الوقت ، وشق بروحى كلّ شغافْ

وانجذب ، وغاص ، وحوّمَ فى حلَكِ الأعماق وفى الأطرافْ

ووراءَ الحرف . . يدِفُّ ، يُسِفُّ ويعلو لا إقتار ولا إسرافْ

ببدِ للغيب ، تحرّكُ فيه شعاعَ السرّ ، وتلْقُط منه هوى الأوتارْ

ياما سمعتْ نعشَ الحق بصوت الباطل فى المزمارْ ! !

ياما شهدتْ جسدَ حقيقة شىءٍ . . يذْبح فيه الكاذب كالجزّارْ

ويغنّى الزور ويصدح فيه بالأشعارْ ! !

وترٌ غدّارْ ! ! وفنونٌ لعبتْ بالأجيال وصبّتْ فى شفتيْها النارْ

وأنا محتارْ ! !

ماذا أحكى عن قرْن مرّ . . كطيفٍ شعشعَ . . ثم انهارْ

وغدا السُّمَّارُ . . بقايا عارْ

وانا خوّافْ ، وانا طوّافْ !

لا دربَ لديَّ ! ولا مّلاحَ ! ولا مجدافْ !

الفانِ وعشرة آلاف . . وانا طوّاف ! !

(. . وظلت تشرب من كأس لا تدرى منابع

كرمه فضلّت خطاها فى الطريق : .

فعزف لها هذا النشيد . .)

٥ / ٦ / ١٩٧٣

موسيقا من الضّياع

النّفس .. والكأس

.. عندها كل حقائق السرّ ومن غير كرّمها ..

ظلّتْ تشرب الكأس !! وتلقنها في دروب

الضّياع .. فعزفت لها هذا النّشيد !!

لرفُضي الكاس .. ولا . لا تَشْربيه !

. ولرفُضي . لاَ تقْربيه

ولرفضي النشوةَ ، والتّخدير َفيهِ

.. ولرفُضي ! لا تُحضريهِ !

وارفضي تحويمهُ حولَ الخَلايا ، وأطْرديهِ

.. ولرفُضي ، ولا تَشْتهيهِ

وارفضي ذاتَكِ ، إنْ تهُنْ على مُعْتَصرِيهِ

.. وارفضي ، لا تلمسيهِ !

ارفُضيهِ ، فهو لا كأس ، ولا خمرَ ، لكي ترتشفيهِ

ارفضيه ، فهو ليسَ الحبّ ، ليس السرُّ كي تستلهميهِ

ارفضيه ، فهو ليسَ المجدَ ، ليسَ الخلْد .. كي تستعظميهِ

ارفُضيه ، فهْو لا شيءَ ، ولا أحلامَ شيءٍ كيْ تعيه !!

عبَرتْ روحي بالدنيا ، وجابَتْ كلّ حانٍ ترْتجيهِ

غيرَ هذا القاتلِ الملعُونِ فيها .. فمِنَ الروحِ الْعنيهِ !

الْعنيهِ .. واسْخري إنْ جفّ في عزْلتِهِ .. لا تنْدُبيهِ

فهو سرُّ الموتِ في كل وجودٍ مستعارٍ يرتديه

وهو تابوتكِ .. يسقي للموتَ سِحْراً .. فانبذيهِ

.. واطرحيه ، واسْحقيهِ

وانظُري .. ايُّ اساطير من الزيْف لضلّت عاشقيهِ ؟!

وانثلْتْ واريتيه ؟!

وأحالتْهمْ سرَاياً غنَم تجترُّ في اعشاب تيهِ

تُسْبل الأيام رِقّاً .. لِهوانٍ بيديْها تحتويه

نَوْبَةٌ من عصور الدهر كأساً من زوال تحتسيهِ

. . فيه ما يكمل سِرّ الفعل ، سِرّ الرُّوح ، حتّى لا تعيهِ !

ينسخ التاريخَ أسمالاً ، ولغواً . . بصدًى لَنْ تفهميهِ !

عاكفٌ في أمسه المشلول في كل غشاءٍ يرتديه

وألفٌ يرسُفُ في أغلال شيء . . كلُّ شيءٍ يزدريهِ

دائرٌ في حلْقةٍ ، دارتْ بها الدُّنيا على مُصْطحبيهِ

دائخ في نشوةٍ ، تجهل في كلِّ مدًى ما تبتغيهِ

سامدٌ في مَرْبَضٍ للرُّوح . . لا يدْري ! لها ما تصطفيه

يشربُ اللهَ خيالاتٍ ، وجلَّ اللفظ عن مُحْترفيه . .

فهْو في كل ضميرٍ وطريقٍ شقَّه في سالكيهِ ،

وهو صِدْقُ الكلمة البيضاء . . لا تعرف زوراً تفتريهِ

وهو طهْرُ النَّفس شمّاءَ . . فلا تعرف إفكاً تفتنيه . .

. . ضاعَ نورُ الحقّ من كرْمكِ . . فاستخلي به واستنكريه ، :

وارفضيه . . قدَحاً يمتدُّ من كف الردَى . .

. . لا تشربيهِ !!!

• • •

لرافضيه . . فلكمّ غنّاه لحنَ الوهْم . . . لاَ . . لا تسمعيه !! . .

. . نغَمٌ من وَرَقِ التُّوتِ . . ألهي ، فلْ فى مُستمعيهِ

يَمْزِجُ العطرَ مع الفار . . ويَسْتَصفى الشذَى مِنْ حاصديه

ويشدُّ النورَ من نُور . . هو اللّيلُ بأيْدِى حامليهِ

يُسكِر اللّحدَ . . فيغْدُو لَحدَ إحْياءٍ لَموْتٍ يجْتنيهِ !

ويغنّى ضوءَ شمْسٍ لم يَعُدْ منها بضوءٍ يرْتئيهِ !

ويُسلّى غفلَةَ الأيّامِ . . يلْهيها بما عشّشَ فيه . .

. . لم تزلْ قرطبةٌ تصرخُ . . والتّاريخ يُصغى لأبيه ،

وهو يمشى فاغِرَ الفّاى . . ويحكى كل شىءٍ لبنيه ،

مثلما يسرد دمعُ العين بلوله إلى مستنزِفيهِ

شُجَرُ البان نَوىً ، وارتاح ! ! حاديه بذكرى غارسيهِ

وعلَى الأقصى سبَىُ الطيْرِ بالأغلال يُشْجى صائديهِ

وترابُ القدس خزيانُ من الإصغاءِ . . يرثى مُنْشِديهِ

. . حلَمَاتٌ . ولحاءٍ ، ومزاميرُ . . شجَتْ مُغْتصبيهِ

ورَضاعُ الشعْر أنهارٌ منَ اللّغْو جرَتْ فى عازفيهِ

ورموزٌ فجّةُ الإضْمارِ . . كاللّص جنَى من سارقيهِ

وشارات ، ونهش وإلغ الرشفة من قلب لغيه
ومتاهات لأسفار من الكلمة في درب سفيه :
الدجى ، والوهم ، والتطريب بالزيف . . عذارى عاشقيه !
وزجاج الكأس متهول ضرير الحس عماصب فيه . .
. . حطميه . . واسحقيه .

• • •

وارفضيه . . واملئي كأسك من معترضيه ! !
ارفضيه . . واجتويه . وإذا شئت عنادا قربيه .
وانظري في القاع . . ما فيه
ويا ليتك لم تغترفيه ! !
. . أنفس مجذورة الوجه . . تلاشت في دجى لم تلمحيه
وعيون تعشق النور . . غذت أهدابها من ناحيه . .
وقلوب تلعق الحق . . وتخشى أن ترى من قابعيه !
وكلام أخضر الحرف تشهت كل نفس عطرها من ناطقيه
راغ حول الأوجه السكرى . . وباب الحان يطوى داخليه
يلفوا منه مساكين . . لروض كانت العطر شوى مستنشقيه

عبرَ الفنُّ به في هَودج للروح مختوم للتلاوات كَرِيهِ

حشدَ الزهرةَ والحبَّة والسجدةَ والزورَ إلى مُستَرفديهِ

وتلاشى في سطوح الزيف ومْضاً معجزاً . . لا لون فيهِ

وأثار النغم السَّارقَ والمسروق . . من طيرٌ خبيءٍ يفتنيهِ

علّقَ الكرُ جناحيه على الأقفاصِ أمرٍ في حشاه ينتويهِ

حرْفهُ . . حرفانِ : حرفٌ في لسانٍ ينلق الباطل فيهما يدّعيهِ

وصدًى حرفٍ . . بكهف الناس مصلوب على نبرتهِ . . لا تسألِيه . .

. . فضمير نامَ ، في صدر ضميرٍ قام خزيانَ الرؤى . .

لا تحرُجيهِ ،

واصرفي وجهك عنه ، وازدريه

وانعبي لا تذكريه

واجهليه

فهو سِرُّ الخيبة الكُبرى ، وإن شئت . فقومي شيعيه

واهجري كل رؤاه . . وارفضيهِ

وانتهي من كل عشب تمضغيهِ

. . فهو روض كانت الخضرةِ . . والماءِ الّذي يَسقيه ،

يُرْدِي شاربيه !!

• • •

.. آهِ .. لو لمَلمت أحلامَكِ من سرداب مَجْد قابع لم توقظيه !

آهِ .. لو نَفْضتِ النبلَكِ من كرْم مخيل .. سرُه لم تكشفيه !

آهِ .. لو أخرستِ مُجالين بالعرف ، ومِنْ رَجْع الصدَى لم تُرضعيه !

آهِ .. لو كلُّ ضمَيرٍ فيك .. لم يُضْمِرْ صدًى ... لم تعتميه !

آهِ .. لولا شيْكِ كالوَهْم كذّابُ السّنا .. ليتكِ لم تقتهميه !!

آهِ .. مِنْ ليلِ بعينيك . أنبتِ الناىَ طوافا لغنى ساكنيه !!

.. سمعوا شدوى

.. ومالوا نشاوَى .·. خمّرهمْ من عنبٍ .. لم تَعْصريه

لا سكَارَى ،

لا حيارَى

بلْ .. أسارَى حَجَرٍ دارَ علَى مُسْتَعْبَدِيه !!

.. مرّةً .. لو ذُقْتِ من كَرْمِي الذى نَوّيْتُ آفاقى وأعماقىَ فيه

لعرفْتِ السّرّفى رفضى لكأسٍ .. لستُ من مستلهميه !!

إنّنا .. مِنْ كَرْمةِ الشّرْقِ أنا شيدى ويُسقنى الّذى لم تدخليه ..

وبكأسي جوهرُ السّرّ

فإنْ شئتِ حياةً من جديدٍ ،

.. فلتشربيه !!

. وَاشْتَدَّ كِبْرُ العقل . .
وزاد غرورُهُ ،
حين وصل العلمُ بأقدام البَشَرْ
إلى سطح القَمَرْ . .
. . فعزف الشاعر هذا النشيد

مُوسيقا مِن الرُّوح

• سألُوا نبيَّ الله . .

قال اللهُ : قل لا !

الرُّوحُ منْ عندى ، فقُلْ : لا تَسألُوا . .

• لا تسألُوا الأنغامَ ، كيف تَفَجَّرتْ !

السرُّ تاهَ ، وتاهَ فيه الهيْكلُ

• وتَحَيَّرتْ بدمى الطُّيورُ

فمرَّةً تندُ الطريق ،

ومَرَّةً تستعجِلُ

• أصغيْتُ ، ثم أطلْتُ إصغاءَ الرُّؤى

فلعلَّ طارقةً لِلَيْلِىَ تُقبِلُ !

• والشُّرفةُ الكبرى بذاتي أجْهَشَتْ

واللَّهفةُ العمياءُ راحتْ تُقَوْلُ

• والعقلُ مسجورٌ ،

يُطلُّ ، ويختفي

مات الضياءُ به ، وجُنَّ المِشْعَلُ

• خطفَتْهُ أضواءُ الطريقِ ،

فظنَّها وصلَتْ ، فراح من الْعِمايةِ يدْخُلُ !

• ونبتْ مَخالِبُهُ ،

ودَقّ جناحهُ بالنُّورِ فَهْرَ النُّور ،

وَهْوَ مُخَبَّلُ

• سلَبَ الغرورُ ضياءَهُ ،

فمضى كما يَمضي الغرورُ ، على السَّراب يُحَوْقِلُ

• أغراهُ . . أنَّ الذَّرّةَ انفلَقَتْ على كفَّيْهِ

فهْوَ بِكِبْرِها يتَدلَّلُ !

• قَهَرَ السَّماءَ ، وشقَّها ،

وسَرَى بها

ومَشَى على القمر الأصمِّ يرَتِّلُ

• نشوانَ يلْطِمُ كلَّ غيْبٍ !

لا ترَى شيئاً وراءَ الغيبِ منه يُجْفِلُ

• لا ربَّ ! لا روحاً !

ولا لمَنأً به من سَطْوةِ المجهولِ طَيْفٌ يَمْثُلُ

• ملكَ الوجودَ ، فلا حدودَ لخَطْوه

القَمْحُ صافَ لهُ ، وجاعَ المِنْجَلُ !

• يرْقَى ، كما لو كانَ يَهْبِطُ ،

لا يرَى إلاَّ المحالَ بشَوْقِه يتنزَّلُ

• اهدايةٌ بيدِ الإله . .

وخطوُه بيدِ الحقيقةِ . . فارسٌ مُتَرَجِّلُ

• صهرَ الظلامَ مع الضّياءِ ،

وصاغَهُ دُرًّا على ومضَاتِهِ يتنقَّلُ

• وصلَ النُّواةَ فصاغَها نثراً

على راحاته كلُّ الوجودِ يُهَلِّلُ

• يرمي بها ،

فيحيلُ كلَّ زمانها عدَماً

يَنْهبُ رُؤَى الحياةِ ويُثْكِلُ

• يُفْنِى ! ولا يُحْيِى !

وليس بطَوْقِهِ ردُّ الحياةِ ،

لأىِّ شىءٍ يذْبلُ

• الزهرُ ماتَ !

فهلْ بسرِّكَ قدرةٌ ؟

تدعُ الخلودَ بعطرِهِ يتنقّلُ !

• والعطرُ ماتَ !

فهلْ بسرِّكَ قدرةٌ

تُحيِيهِ من روضِ البِلَى يتسلَّلُ !

• وأتى الخريف !

فهل بِسِرِّكَ قدرةٌ

تدع الربيعَ علَى ضحاهُ يهلِّلُ !

• والحبُّ ؟

هل بيديكَ تُوقِدُ نارَهُ ،

فى مُهْجةٍ مِنْ حِقْدِها تتآكّلُ !

• والروضُ ، إنْ خرستْ جميعُ طيورِهِ ،

ألديكَ للأغصانِ نايٌ يَهْدِلُ ؟

• أعرفتَ سرَّ غنائها وسكوتها ؟

أعرفت ؟ أم أنتَ العليمُ الأجهلُ !

• أعرفتَ نفسكَ ؟

كيف تعقل ما ترى لولا ترى في كل شيءٍ يَعقِلُ ؟

• أعرفت كيف تضيءُ فيكَ شعاعةٌ ؟

كيف الضياءُ بطرفها يتَرَهَّلُ ؟

• أعرفتَ إنْ سكنتْ بذاتكَ نبضةٌ ،

لِمَ أنتَ بعد سكونها تتبدّلُ ؟

• . . يغشاكَ صمتٌ ، لا تعي لهمُومه سِراً

على أسرارٍ ، وعَنيكَ يُسْهِلُ !

• تَفْنَى ،

وطائرك الخفيُّ مُجنّحٌ فوق الزّوالِ

. . جناحهُ لا يَنْزِلُ !

• قد كانَ فيكَ ، وكنتَ فيهِ ، وكُنْتُمَا . .

هُوَ ضوؤُكَ الساري ،

. . وانتَ المُهَيْكَلُ ! !

• فإذا انطفأتَ ،

تخلصتْ ومَضَاتُهُ ،

ورجعْتَ للاشيءِ . . صَمْتاً يُعْوِلُ

• هي فيك تجهلُها ، وتشربُ خَمرَها

فإذا تطيرُ . . فانتَ كأسٌ مهملُ !

• يسقيكَ طينُ الأرضِ اصلَكَ ،

مثلما يُسْقَى الزَوالُ من الحياة ويثْمَلُ ! ! . . .

• دَعْها ملائمةَ !

وحاورْ دَرْبَهَا . .

ودعِ القوافلَ ، فالطريقُ مُكَبَّلُ

• ما شِئْتَ :

أو ما لم تشأ :

إنَّ السُّرَى شربَ الوقوفَ

وانْتَ فيهِ مُخبَلٌ !

• ستظلُّ تمرقُ ،

ثم تَمْرقُ ،

ثمّ لا تَجدُ الرؤْىَ فيعودُ طَرفُكَ يهْزِلُ ! . .

• وتظلُّ تلْهثُ ،

والحقيقة سرها فى كل شىءٍ ،

• وأضحّ متمثّلٌ !

الروحُ . . روحُ الله !

والعقلُ الذى يُشْقِيكَ ؛

ضيْفٌ فى حماها يَنْزِلُ !

• فإذا مضيْتَ

مَضَى ! !

وتبْقَى حرّةً

وكما يُريدُ شُعاعُها . .

. . تتَجوّلُ ! ! "

موسيقى من الشهداء

كتبت في مدينة دمشق ليلة ٦ مايو ١٩٧٤

(عيد الشهداء)

وأنشدت في مهرجان عيد الشهداء بدمشق

بدعوة من الجمهورية العربية السورية

ماذا أُغنّي ؟ والسَّماءُ بِقُدْسِها وبِنُورِها .. غنَّتْ لَهُمْ .. ؟ !!

.. والأرضُ لَمْلَمَتِ العبيرَ وَضَمَّخَتْهُ بعاطرٍ من ذِكْرِهِمْ

واللهُ قرَّبَهُمْ وَمَدَّ العرشَ ظلالاً لِرفْرَفِ خُلْدِهِمْ

وكتائبُ الأحرارِ شدّتْ في النِّضالِ خيامَهَا مِنْ دَرْبِهِمْ

وخُطا الشُّعوبِ تضلُّ إن لَمْ تَستَمِدَّ حياتَهاَ مِنْ خَطْوِهِمْ

عرفوا طَريقَ الخلْدِ فاتجَهَوا إليهِ وَعَانَقُوهُ بِعُمْرِهِمْ .

وبِرُوحِهم ، وبِسِرِّهِمْ ،

وبكلّ ما حملتْ منابتُ كرْمِهِمْ

وبكلّ ما وهَبته أقداحُ الحياةِ لِدمْعِهِمْ ولخمرِهِمْ

بالنُّور . . والأغلالُ ترفُضُ ضوءَه – من عزّة – عنْ لبلبِهِمْ

بالحبّ . . والأغلالُ تنسخهُ لظًى متاججاً منْ سُخطِهِمْ

بالدّمْ . . وهو النّارُ عاطِشة مُتَعيّمة لساعةِ ثأرِهِمْ

بالحلْم . . وهْو تميمةُ الجُبناء تَعجزُ أن تَطُوفَ بلَيْلِهِمْ

بالرّوحِ . . وهْيَ الطّائرُ المجروحُ من غيْظ الترابِ بأرْضِهِمْ

بوجُودهمْ . . ووُجُودُهمْ هذا التّرابُ الحرُّ يَصْرُخُ تحتَهمْ . :

إنْ لم أكُنْ حرّاً فلا دَاستْ على وجْهي عُرُوبةُ وجْههِمْ :

ردّوا عليه بأنْ سقَوْهُ بكلّ آخر قطرةٍ وفي كأسِهِمْ

بدمائهمْ . بإبائهمْ . بمَضائهمْ قطعُوا الحياةَ بموتِهمْ . .

واللهِ ما ماتوا . . ولا عرَفَ البِلى عرْقاً يجفُّ بجسْمهِمْ

عرفُوا طريقَ الخُلْدِ فاتّجهوا إليه وبايعوهُ بعمرِهِمْ ! !

منْ هولاء ؟ هم الّذين مشاعلُ الإنسانِ تحملُ ضوْءَهُمْ

صنَعُوا منَ الآجال مِصباحاً عرفْتُ بِهِ . أشِعّةَ شمسِهِمْ . .

. . فعرفتُهمْ لمّا رأيتُ العارَ تغسلُهُ الدماءُ بجرْحِهِمْ

وعرفتهمْ . . لما رأيتُ الذلَّ يحصدهُ الإباءُ بكبْرِهِمْ

وعرفتهم . . لما رأيتُ اليأسَ بدّدَهُ اليقينُ بعزمِهِمْ

وعرفْتُهمْ . . لما رأيتُ الأرضَ ترفعُ رأسَها من بأسِهِمْ

وبكلِّ يوم تشتهيهمْ حاصداً لعتوِّها من تربِهِمْ

وعرفْتُهمْ . . لما رأيتُ كرامةَ الأوطانِ تَهزجُ باسمهم

وعرفتهمْ . . لما استَعَدتُ وجودَ وَجْهى فى الوجود بيومِهمْ

قد كانَ ضاعَ وضاعَ . . حتى عادَ يمتشقُ الإباءَ بكفِّهمْ ! !

شهداءُ تخشعُ كلُّ ذراتِ الفضاءِ لهالةٍ منْ طُهْرِهمْ

وتميسُ راياتُ المعاركِ كلما نشقتْ معارجَ عطرِهمْ

كلُّ البطولةِ قطرةٌ شربَتْ رحيقَ مضائها منْ بحْرِهِمْ

كلُّ الثرى عبدٌ إذا لمْ يرشُقُوهُ بوقدةٍ منْ جمْرِهمْ

شهداءُ . . صوْتُ الحقِّ جلجلَ كالأذانِ محلقاً من صوتهمْ

شهداءُ . . ريحُ النصرِ هبّتْ منْ لظَى قبسَ اللظى منْ صبْرِهمْ

ذبحوا أساطيرَ الطغاةِ ولقّنوها آيةً منْ درْسِهمْ

ومَضَوْا ، ويمْضِى كلُّ يومٍ للفرادسِ زائرٌ منْ ركبِهمْ

حتّى تُغرِّدَ فى الترابِ حقيقةٌ تُشجِى سرائرَ طيْرِهمْ ! !

حوَيْتهُمُ في كلّ شِبْرٍ امتلكوا فيه سلاسلَ قيدِهِمْ

وطرقتُ بابَ الخلدِ أسألُ أيّ روْضٍ في الأرائكِ ضمَّهُمْ ؟

وبأيّ رفرفِ جنّةٍ أملاكُها وطيُورها حظيت بِهِمْ ؟

فعلمتُ أنّ اللهَ كرّمهم ونعّمَ بالشهادة قربَهمْ

.. ماذا أغني ؟

والسماءُ بقُدْسِها وبنُورها غنّتْ لهمْ !!

.. أنا إنْ شدَوْتُ فلنْ أكون سوى صدى للقصيدة

من شعرهمْ ؟ ؟

موسيقا من الحقيقة[1]

وحاورتني في السحر

فعزفتُ منها هذه النغمات !!

• وغنّى مع الصبح طيرٌ قديمٌ

تكرّرَ تغريدُه في زماني ..

فاجهشتُ بالرفض :

ما ذاك طيرٌ ،

ولا ذاك لحنٌ يروّي كياني !

فقالتْ : وحيّرتني ،

كيفَ تُصغي ؟؟

فقلتُ : سكوني غزيرُ الأغاني ..

---

(١) استمد النغم من قصيدة هتك للبراقع بديوان «نهر الحقيقة» .

بَجِيءُ الصَّباحُ ، بَجِيءُ المساء

علَى الرُّوح تُسكِرُنى نغْمتانِ . .

مُحَرَّرَةٌ . . طيَّرُها فى ضميرى ،

وأُخرَى مُقَيَّدةٌ فى لسانى ! !

واجْتازَ بُستانَ سمعى جديداً ،

واصغاءُ رُوحى له مرَّتانِ ؛

فمرَّاً مع الناس عبْدَ الوجودِ ،

ومرَّاً معَ الرُّوحِ حرٌّ الجِنانِ ،

ومراً . . إذا مرّ حولى الزمانُ ، كأنَّنى زَمانٌ حوالَيه ثانِ . .

لىَ اللهُ ! ما علّمنى ما أراهُ ! . .. فليتَنى باعماقه نغْمتانِ

أكلمُ ما شئتُ نبْضَ الوجوهِ . . ونفسى مع الله فى كلِّ آنٍ ! ! !

• • •

• وقالتْ :

رأيتكَ تهْوَى الهجير

وتستلْهِم الظِّلَّ من نارِهِ . .

وتشربُ أنفاسهُ كالرَّحيقِ

وتشدو الربيعَ بأوتارِهِ . .

فماذا تقولُ ؟

فقلتُ : الهوَى ،

على النَّار أمضَى لأسرارِهِ !

سوَاءٌ نسيمٌ ، سواءٌ جحيم

خُطا الرُّوح تَجْرى لأستارِهِ . .

تَشقُّ الرياحَ . . تشقُّ الجراحَ ، وتَهْوِى مُضيًّا لأغوارِهِ

فما كنتُ عبْداً لخطوِ الوجودِ ! ولا كنتُ موْجاً بتيَّارِهِ . .

هجيرى مع الحبِّ فجرٌ ، وعمرٌ يطُلُّ بأزهارِهِ

فإن تَمْتَمَ الظلُّ . . هِمْتُ حياةْ

وإن دمْدَمَ الحرُّ . . شِمْتُ حياةْ

وإن أقْدَمَ الفجرُ . . واحيْرتاهْ !

يَهُبُّ الوجودُ لمزمارِهِ

وتأتى صلاةٌ ! وتمضى صلاةْ

ويأتى الغروبُ بأسفارِهِ

فرُوحٌ تنامُ ! وأخرَى هيامُ .

يلفُّ الظلامَ بإعصارِهِ ! !

• • •

• وقالت : وعُمرك ؟ !

قلتُ : لنتهي من اللّغو !

ماتتْ حدودُ الزّمانْ . .

شبابٌ كِسيحُ الرؤى . . .

لَنْ يكون سوى زَيْفِ شيخٍ بَريقِ الكِيانْ

فلَيسَ الحياةُ زَماناً يَمُرُّ ،

ومِسْبَحةَ لاجترارِ الأوَانْ :

ولكنّها زورقٌ حين يَمْضي ،

يَجِدُ مُحيطٌ به زورَقانْ :

غبيٌ للجاذبيه ، يَجْرى ضَريراً !

وبِدْعٌ . . تُصلّى له الضّفّتانْ ! !

• • •

• وقالتْ : وما أنتَ ؟ ؟

حيّرتنى . . وحيّرتَهمْ فى معانى صفَاكْ !

وحيّرتَ نفسَكَ . .

• ماذا تريدُ ؟

وفى أىّ دربٍ ترامَى هوَاكْ ؟ !

فقلتُ : اطْمئنّى ! !

فمراتُهُم تكَوّتْ عليها جميعُ الشّباكْ !

فما يُبْصرونَ سوى ما يَرَوْنَ ،

ومالا يَروْنَ ، شَكّىْ الحراكْ . .

لنا رؤيَةٌ من غدٍ . . لا تلوحُ

ومالى بأغلالِها من فِكاكْ ! !

• • •

• فلا تَسألينى !

فمالى وُجودٌ كما أنتِ . . فى أنْتِ كلُّ البَشرْ !

سلِى السرّ فيكِ ،

فإنّى شعاعٌ به مستطارُ الشّرَرْ

بضجٍ ، ولا صوتَ :

لكنّه صراخٌ ، نبئٌ الأغاني عبَرّ . .

يغنّي . . . .

. . ولا أيَّ شيءٍ يريدُ ، ولا أيَّ خلدٍ له ينتظِر ! . .

. . ولكنّه كاشفٌ ما أضلّتْ ،

ودسّتْ من النفسِ ، كلُّ الحفَر ! !

فمَنْ ؟ خبّريني !

يريقُ الضياءَ ، وجنّباهُ ليلٌ على الشرِّ شرّ ! !

ومَنْ ؟ انبئيني ! له قبلةٌ ؟

تحجُّ الأفاعي عليها استقرّ !

ومَن ؟ زالغٌ الكأسِ ،

يمتصُّ عينًا ، بعينين سفّاحتينِ النظرْ !

ومَن دلّسَ النّورَ ؟

فضّى دجاكِ لتكشفَ للناس كلُّ العِبَر . . ،

تلاشى الحياءُ من الذاتِ ،

حتّى غدَتْ سجدةُ الوجهِ دنيا صغَرّ ! !

موسيقا من الجَمال
عينان ..

انصهرَ الوُجودُ ،

واستَحالَ ضوءَ أبدٍ نشوانَ في جفنَيهما ..

فما هُما ؟ ومن هُما ؟

وما الذي أراهُ يحنُو العمْرَ في لُجّيهما ؟

وما الذي أبصر بالأحداقِ والأعماقِ في عُمْقَيهما ؟

وما الذي يجتاحُ ذاتي مِنْ دُجَى هدبيهما ؟

وهلْ بعَيني ، أو بقلبي ، وتر يقوَى على صَوتَيهما ؟

اجلْ ..

أنا الهَوى والعاصفُ المصلوبُ في شطّيهما !

.. ضجت رياحي في دمي ، واشتعلَتْ مشدودة إليهما ،

وانتحرتْ نهران «زلزاً» من لَظى لَحْظَيهما . .

. . فالخيرُ والشرُّ صدَىً مُخْتَلِطٌ يُزْهِرُ فى كفيْهِما

والسّحْرُ والإلهامُ ، حيّرانانِ ،

. . مِن أىّ شعاعٍ للهوى عليّهما . . !

والرُوحُ . . رغْم أنها جبّريّةُ النّفاذِ ،

ظلّتْ تَشْتهى كاسيّهما . .

تضرّعتْ ، وانسرّبتْ . . كالطّيف ،

تبْغى رشْفةً لديهما ،

• تدورُ بالأقداح ، حوْل حانةٍ تجولُ فى روْضيّهما

• وتسألُ الرحيقَ ، والحريقَ ، فى كل شذًى حوليْهِما

. . . وتستردُ طيفَها المطعونَ من سهْميْهِما ! !

جريحةً ضلّت مَسَارَ السّحر فى دربيْهما ! !

فما هُما ؟ ومَنْ هُما ؟

عينانِ ؟ . . أم كاسانِ فى حانتيْهما ؟

تَصلّبا . . وانتفضا . . طيريْنِ فى عشّيْهما

مُرفْرفان ، ساكنانِ ، غارقانِ فى شذَى حلْميْهِما !

ولهفةُ الإشعالِ ، واللهيبِ ، والتَّعذيبِ فى يَدَيْهِما .

لوغلتُ فى عُمْقيْهِما ، فذُبْتُ فى كهْفيّهِما ! !

أسْرارُ هذا الكون لاذَتْ فى دُجَى ليْليّهِما

ونوّرَتْ كالزَّنْبقِ للقطُوفِ من ضَوْءَ يْهِما

فما هُما ؟ ومن هما ؟

وأىُّ بَعثٍ زفَّ بَعْثَ الحبِ من رُوحيّهِما ! !

• • •

. . جاءا . . وجئتُ . .

وارتمتْ ثارى على نارَيْهِما

وجاءَ عطرُ الخُلْد يَشْويني لَمُوقِديهِما . .

فلاَ الرَّبيعُ ! ! ما أتى إلاَّ على أفقيْهِما

ولا الصباحُ ! ! ما أتى . . إلاَّ على فَجْريهما

ولا الجمالُ ! ! ماهفَا . إلا علَى وَجْهَيْهِما

ولا الخيالُ ! ! ما سرَى إلاَّ على طيْفيّهِما . . .

فما هُما ؟ ومن هما ؟

. . . كوْنان مَشْدوهان - بالسِّحْر على هُدْبيّهِما!

كَوْنَانِ مَشْحونانِ بالفتنةِ فى لَوْنَيْهِما

لا أبْيَضٌ ، لا أسْوَدُ ،

.. لا شَيْءَ إلاّ الخَطْفَ فى نَجْمَيْهِما ؟

تَقْسِمانى بَشَراً ، وقَدَراً ،

... عبْدَيْن فى قَيْدَيْهِما !

لذَّ الإسارُ .. وانبرَى كالرِّيحِ فى بَحْرَيْهِما

يَسْكَرُ بالزوالِ والإغراق ، والتِّيهِ على تِيهَيْهِما .

فمَنْ هما ؟ وما هما ؟

يالَوْعة القيْثارَ من نُورَيْهِما !!

• • •

فمن هما ؟ وما هما ؟

... كلنا حجاب النَّفْس نَسَّت نفسَها ، .

واختبأتْ بالسِّحْر فى سِتْرَيْهِما

وبعد أن ذاقتْ رحيقَ الحُبِّ حتى أسكَرَت نَبْيَهِما :

شقَّتْ حجاب السِّحر .

أفعَى أهلَكَتْ سِحْرَيْهِما .

بالسمّ ، بالحقيقة التى رأيتُ فى جنبيهما !!

يا حيرة القيثار !!

يا جمرة المزمار !!

يا خمرةَ الأسرار !!

كأسٌ بغير خمرٍ ، خمرٌ بغير كأسٍ ؟؟

وزهرتى بغير عطرٍ تُسكرُ الإحساسْ !!

فليخدع للجمال لو يفى

وفى الرياءِ ما يشاءُ يختفى !

.. عينان أخريانِ فى طريقى ،

ولنْ يغيبَ السحْرُ عنْ عروقى

حتى أرى عينيْن ... صوْتُ النفْسِ فى جفنيْهما

وأشرَبُ الحقيقةَ العاريةَ الفتنة مِنْ كفّيْهما !!!

موسيقا من النور

(.. بين السطح والأعماق)

(.. ابريل ١٩٧٥)

ما زلتُ رغم سِنِّي الكبيرْ

لا أعرف الشوكَ من الزهورْ

ولا سُرَى النَّمْل من الطيورْ

ولا وقوفَ الخَطْوِ والمسيرْ

ولا انتفاض الدمع ، والسرور

ولا الربيَ من خُضْرة الغُرورْ

ولا فحيحَ العشب والعطورْ

ولا ومَيضَ النور ، وهو نور ! ..

أخْفَتَهُ الليلُ بلا ستُّورْ

. . . فعالمى ليس هو المنظورْ
ولا مرايا البصر المبهورْ
ولا انبعاثَ الوترِ المقهورْ
لكل شىءٍ حوله يدورْ : . . .

• • •

فالليلُ ليس نشوةً ، يجرعها النيامْ
ولا احتضارَ النور ، فى توهجِ الظلامْ
ولا ابتسامَ الدمع من تبرجِ الأحلام
ولا الرؤى منْ خبلةِ الخطيطِ فى القتامْ
ولا هُدوءَ القلقِ للصفد الآلام
ولا وضوءَ الإثم من بحيرة الأوهامْ
لكنه قيثارةٌ ، للروح فى عزيفها كلام
يسمعه من يسمع الأسرار من غبارة الأجسام
ومَنْ يرى بحسهْ تحركَ الرنين فى الأنغام . . .
. . . يا زهرتى . . لا تُسبلى فى ليلك الأكمامْ
فالنور فى شذاك . . فى هواك فى سكونك التمتامْ

سيّان إن توقّع العبيرُ . . لونَ اللّونِ في الضّرام
لا تُغْمِضي جَفْنَيكِ . . فاللّهيب في الحياة لا ينام
والسحر في اشتعالِهِ ، لا يعرف الضياء والظلام
لنحترقْ ! ! لو نفترقْ . . ويهدل السكون بالسلام
وتستعرْ خيبةُ الغُرُورْ في لَغْوِها تدورْ
حتى تقول رأيَهَا العصورْ ! !
ما زلتُ في دوّامَةِ الليل ، على دوّامة النّهارْ
اخترقُ الأرواحَ والاشباحَ في دوّامةِ القِفارْ
وكلّ ما عرفتُ . . اني تُهتُ بين عالم مُحتارْ !
أُعطيه ما الطفُ للوجُود ، مِنْ حدائق الأسرارْ
واشربُ النيرانَ خلفَ طائرٍ مجنّحِ المِزْمارْ
ادورُ حيثُ دار في افلاكهِ ، اطيرُ حَيْثُ طارْ
وارتمي في غيْبهِ ، واستلي ، واعزف الشّرارْ
واسمَعُ التّغريد من جناحِه لو رفض النّقارْ
واخلقُ الطريقَ للانسانِ في مسيرهِ الغدّارْ
والحُبُّ للحياة في انفعالها المشوّشُ الثرثارْ

ورشْقِها الحيلةَ والشّحناءَ في تداولِ الثمارْ

والحقدَ . والتّملّقَ المْوغلْ في تناهش الغُبارْ

والشّنْو للزمان في انسحاره الملفوفِ بالتّكرار .

ولم أزلْ حيّرانَ من تناقض العبيرْ ! !

أسقيه عطراً جارفَ الإيقاظ للصخرة والغديرِ ! !

وشوكُه في مهجتي يُمزّق الشعورْ ! ! !

ولم أزل أدورْ . .

. . كظلمةٍ مصلوبةِ العذاب فوقَ وَهْجٍ من نُورْ ! !

موسيقا من الرَّمْز

«صلاة لقدرة الله .

في أغوار النفس»

حطّتْ بَرْوضى ، ومضَتْ ، حَمامةْ

مجهولة السرّ ، بلا علامةْ

ليس لها كالطيرْ في جنَاحها جَنَاحْ

ولا لها كالطير في صفاتها ، صُدَاحْ

ولا تـذوقُ الشّـدْوَ إن عانقَها الصَّباحْ

ولا يُكاءَ اللحن ، إن أنّتْ بها الجراحْ

. أسطورةٌ مقْهورةٌ . . لا تعرف النّواحْ

ولا تطيق نشْـوَةَ الإفـلات والسَّـراحْ

مَسْحورةٌ في قَيْدها ، مَسْحورةَ الرياحْ

تشْرَبُ من ذُهولها الغُدُوَّ والرَّوَاحْ .

إنْ همستْ في نارها الملامةْ

واحتَبَستْ في قلبها الندامةْ

.. تناقضتْ ! ! فأصبحَتْ عبابَةْ

ونشوةً بسحْرها مُنْتَابَةْ

ترى الظلالَ دمعةَ الهَجيرْ

والنار حلْم الشكّْ في الضّميرْ

والنور ، نَعْش الليل في المَسيرْ ،

تلَفّتَتْ .. وانْطلقَتْ حوّامَةْ

في كلّ روحٍ نفسُها لوّامَةْ

تطوفُ كالإعصار بالأغصانِ

وتَجذبُ الموْجَ إلى الشطآنِ

تُمزّقُ الأستارَ ، وهي هائمةْ

وتلْقُطُ الأسرارَ وهي حائمةْ

وتَسْحقُ الأيْكَ على غمُوضهِ

وتسْرقُ الأغلالَ من فروضهِ

لاهِثـةً ، باحثـةً عن ترْبِها
مـخطوفةَ السّحْرِ بإذْنِ ربِّها ؛
تَغِيْـدهُ في صَحْوِها الْجَديـدِ
وفى انبثاق نَبْعِها الوَلِيـدِ
بـكـلِّ روْضٍ شـاكـلِ الْورودِ
بغيرِ نهارٍ أراها عائمةْ
وغير أوتارٍ أراها ناغمةْ
. . كـبـرْتُ فى ضلالها ورُشْدِها
وهِمْتُ فى سُباتها وسُهْدِها . . .
بغيرها لا أشـهَـدُ الضيـاءَ
ولا أرى الذاتَ ولا الصَّفـاءَ
سـألتُها وسرُّها فى خَـلَـدى
أدريه . . . لكنّى سَجينُ الأبَدِ
مَن أنت ؟ . يا عجيبةَ الحضُور ؟
يا موْجةَ الكَشْفِ لعمْقِ نُورِى ؟
يا جـذْوَةً . . تـغْـتـسِـلُ بالإيمانِ !

يا سرٌ كلُّ السرِّ فى الهَتَّانِ ،

.. فلم تكدْ تسمعُ .. حتّى انتفضتْ

ومِنْ جنانى وكيانى ، هربتْ

لكنّها فى غفلاتِ الكلّ

شىءٌ .. ولا شىءَ كظلِّ الظلِّ !!

مـوسـيـقـــا من الإيـمــــان

ظمـىءَ الإيمـانُ فى أعمــاق روحِــى . . ذاتَ مـرَّه
وأنــا جـلتِ علَى الأعــتـــابِ . . لا أعــرف سِـــرَّهْ
كبَّل الحبُّ ضيائى ، بقيـودٍ ، مستمرَّه
إنْ مضَى هــنا . . أتــى هَــنا ، ولا أعلـم أمْــرَهُ !

• • •

إنما أعرف أن السرَّ خلْف العطر فى أكمام زَهـرَه
خلف غُصنٍ أبكم النبض ، على الكتمان مَــكْــرَه
خلف ضوءٍ مُخْـتَـفٍ بالسر ، فى أحشـاء بِــذْرهْ
إن مضى . . يأتى سواه حامــلاً بالسرِّ غَــيْـرَه !

• • •

كلما أوغلتُ صدّتنى عن الأستار صَخْرةْ

فتراجعتُ ، فصارتْ على أعماقىَ نَهْرةْ

خُضْ فجاجَ السرِّ ما شئتَ .. فلن تسبُرَ غَوْرَهْ

فهو يجرى فى خلاياكَ دلالاتٍ ، وقُدْرَةْ !

وهْوَ فى كُل الذى تُبصِرُ .. إن أثبتَ نظرةْ

وهو فى ترْداد أنفاسك يجرى كلَّ ذرَّه

فإذا داهمك الصمتُ هنا تعرف سرَّه :

فامضِ ظمآن .. ولو شقّ لك المجهولُ صدرَهْ

واشربْ السرَّ من الحبِّ .. ولَوْ أعطاكِ جمرَةْ

واشرب السرَّ من الخطو .. ولو أسقاكَ صخرةْ

واشرب السرَّ من السرِّ .. ولو لم تدرِ سرَّهْ

واشرب الكونَ هشيما كان أو شلالَ نُضْرَةْ

• • •

واشرب الدنيا سواءً حلوة تقتاتُ مُرَّهْ

واشرب الأيامَ أنغاما ، لِماَ ترضَى ، وتكْرَهْ

واشرب النفس ، تصاويرَ لآحادٍ ، وزمره

والشُرْبِ الأيمانَ ! ! تَسقى الصفوَ من لهات حسرَهْ

* * *

ليس للايمان أسوارٌ وأصفادٌ بسناتِكْ

لاَ ! ! ولا فيه مكانٌ أو زمانٌ لحياتِكْ ؟ ؟

هو كلُّ النورِ أنّى ذقتَهُ في سبُحاتِكْ

فترَشَفْ . .

فضياءُ الله غطىَّ طرُقاتِكْ ! !

موسيقا من التكرار

«.. مع النفس في رحلتها الدائمة المزمنة

.. ويقينها بحتمية الشروق »

• ومن غير وعدٍ أتاني الصباحْ ،

جديدَ الكيانِ ، جديدَ الضياءْ

• جديدَ التلفُّتِ حول الوجودِ ،

جديدَ التحرُّكِ بين الفضاءْ

• جديدَ الطيور .. فما لحنُها ،

سمعتُ به مرةً في غناءْ

• تمرُّ بجنبيَّ أسرابُها

فراديسَ ، مشحونةً بالضياءْ

• وتهوي بروحي أغاريدُها

لتمتصَّ منها بقايا الشقاءْ

• وتَمْعِنُ فى كلِّ عُمْقٍ حزينٍ
لتجتاحهُ من طريق النّماءْ
• وتخلُقُ فىَّ الحياةَ التى
أكادُ بها ابدأ الإنتهاءْ
• . . مللْتُ التكرّرَ فى كلِّ شىءٍ ،
فالقاءُ فى خَطْوِهِ حين جاءْ . .
• فالفَى من الشمْسِ ، إطلالَها
علىَّ ، كما كنْتُ عند المساءْ . .
• والفَى من النور بهتانَهُ ،
يضىءُ فيعْطى ظلامَ الخفاءْ . .
• والفَى من العطرِ إنضاعَهُ ،
بما يخدعُ النّفسَ قبل الهواءْ . .
• والفى من النهر ، إخفاءَهُ
انينَ الحيارى بظلٍّ وماءْ
• والفَى رياءَ النّسيمِ العليلِ ،
وانفاسَهُ نشْوةَ الأشقياءْ

• وألقى بنفلق السكونِ العميقِ

وانطلاقةً هادرً بالدماءْ

• وألقى وجوهاً على وجهها

سِلالٌ تخالسُ نزَّ الهُباءْ

• وألقى الأحاديثَ تُلقي الشِّباكَ

فتصطادُ من كلِّ لفظٍ رجاءْ . .

• وألقى شموعاً . تضيءُ الطريقَا

ليورقَ بالظلم غُصنٌ أضاءْ

• وألقى يدَ الزمَنِ . . ظلّتْ تغوصُ

وترقدُ بالروح حتى الفناءْ

• وألقى اطّرادَ العقول الكسيحِ

وتكرارهُ في ضبابِ الذكاءْ

• وبدّلَ في كلِّ شيءٍ أراهُ

فسوّاهُ خلقاً جديداً الرواءْ .

• • •

• . . تلفّتُ خلفى ، فأبصرتُ تربى

تواريتَ تلهثُ بالأشقياءْ

• عليها من الزُّهدِ ، أمواجُ حُزنٍ

مضفّرةٌ باحتضارِ الحياةْ !

• تظلُّ توجهنينِ . . هنا جميلٌ ،

عليلُ الصَّدَى ، مطمئنُّ الرّداء

• ومن تحته ساحرٌ فى مسوحٍ

تفتُّ الصدى قبل همسِ الدُّعاةْ

• وهنا بفرقعةٍ من دموعٍ

تكادُ من الإفكِ تبكى البُكاةْ ، . .

• . . يكرّرنى الكونُ فى كلّ يومٍ

وللغدِ بَحٌّ بأمسى النداءْ ،

• يُكَرِّرُ ذاتى ليُفنى رؤاها

وذاتى تُكرِّرهُ للبقاء !

• تغوص بأعماقِه كلُّ أنٍ

لتَلْتَقَّ من سِرِّهِ ما تشاءْ

• وتغطى جنبها الخطو التراب

يشد مراياه خطو السماء . .

• • لي الله ! !

عمرى على كل شىء تكرر . .

وعصرى على كل ماض توارى . . تسمر !

وقلبى بالرفض من كل لمس تحرر

. . غدى فارس في يد النور عات مسمر

سيمحو الهشيم ،

ويمحو الرميم ،

ويشدو الحقيقة من غير مزهر

ومن غير إصغاء روع لهمس

وغير اكتراث لأوهام لمس

. . وينفض حتى يرانى جديد الضياء ! !

١٩٧٢

موسيقا من الشتاء

شتاءٌ على مرّ ..

ويتدفق المطر كشلالٍ سماويٍّ هادر على الأرض الملتهبة ..

وتلاشت ملامح الناس من حول الطبيعة ..

لسمعت هذه النغمات !

١٩٧٢

رأيتُ بعينيَّ كِبْرَ القدَرْ

وسلطانَه فوق كلِّ البشَرْ

وبطشَ الملوكِ بالعقل في كل هَوْلٍ خَفِيٍّ عليهم يمُرّ

وتمناهُمُ بالرُّقى والدعاءِ إذا عجَزوا عن لقاء الخطَرْ

.. لِماذا وهُمْ كالشظايا ،

وعصفِ الرزايا !

إذا مرَّ فيهم نسيمُ السحَرْ

وعطرُ الزهَرْ

وشوقُ الطبيعة نشوَى بلا ايِّ كأسٍ وخَمْرْ

وسكرَى بلا ايِّ حانٍ وسُكْر

مساءٌ جميلٌ . . أصيلٌ عليلٌ . . صباحٌ وفَجرْ !

. . . أراهمْ شياطينَ شرّْ

براهينَ رَفْضٍ ضريرِ النَّظَرْ

يَرَوْنَ الحياةَ ،

قشورا وسطحاً ،

وشَطحاً بناي غبيِّ الوتَرْ ! !

• • •

. . لماذا . . ؟

وهُمْ في رياءِ الهدوءِ :

وعطر اللُّجوءِ لحضْنِ الطَّبيعة في كلّ أمْرْ :

ولو كانَ زَهْرَ الحفَرْ :

. . يَبيعونَ للعقْلِ في كلِّ سرٍّ ؟ ؟ !

• • •

. لماذا . . ؟

وأبريقهم لا يطيق الرحيق

من الفيض يرفض كل رحيق عليه عبر

وتخزى الكؤوس من الهجر لمّا . . .

وعشّاقها فى انهماك الخدر ؟ ؟ !

بلا أىّ ردع

بلا أىّ عقل

بلا أىّ شىء

. يثورون بالعقل فى أىّ سر ؟ ؟ !

● ● ●

لماذا . . . ؟

ضمان الطريق

وعشق البريق

وأمن الشهيق

. . يؤكد فيهم أمان الغير : :

. . يهش الوجود لهم غافلين

ويستفهمُ علمهُمْ جاهلينْ

.. يلوذونَ بالعقلِ في كلِّ سِرٍّ ؟ ؟

• • •

لماذا . . . ؟

وحين تئزُّ السَّماءُ

ويغدو الفضاءُ ،

ضميراً من الغيْظِ .. صبَّ الشَّرَرْ

بروقٌ ، ومَنْ

ورَعْدٌ شقَيْ ،

على صوتِهِ كالقنبلِ انفَجرْ ؟ ؟ !

وخطفٌ من الوَمْضِ ،

ايقظَ وجهي ،

فعانقتُهُ بانْزياحِ السُّتُرْ

وضرْبِ الوترْ

وخلْقِ الغِناء بهذا الشَّرَرْ ؟ ؟ !

• • •

.. لماذا .. ؟

يقولون ، هذا مَطَرْ

ورعْدٌ ، وبَرْقٌ ، وبَشر ؟ ؟ !

ويغْدُون كالطير عنْد انْزِعاج الشجرْ ،

وحُزْنِ القمَرْ ،

. ويأوُون . : كالذَرْ فى مُرْجَفاتِ البصرْ ،

بِكُوخٍ ، وقصرٍ ، .. وعشٌ نُجرْ ..

... ولاجئةٍ فى تُرابِ الرّصيفْ ،

كلشْقى مَضيفْ :

ولا يذْكُرونَ بأنْ مدَى العقل تاهْ ،

وأنّ وراءَ الحياةِ . . إلهْ ! ! !

موسيقا من الأرض

(البستان والأفاعي)

. . توارَتْ زهوري ،

وكانت بساتين ، تَرضَعُ منها شفاهُ اللّيالي

. . وغابتْ عطوري ،

وكانت رياحينَ خلْدٍ لقلْبِ الزّوالِ . .

. ومالَ الشراعْ ،

وبلستْ خطا الرّيح لشلاّمهْ الدامية

. وهبّ الضّياعْ ،

فلم يبقَ في الروض ، حتى صدَى النغمةِ الباكي

طيوري مصاليبّ فوق الفُرُوعْ

وأحزانُها خيّمتْ في الجذوعْ

وتاهتْ بلابلْ !

وشاهتْ خمائلْ !

وجفّتْ من الهول كلُّ الجداولْ

وأومتْ . . كلُّ الوجوه جراحٌ تُطِلْ

وفى كلِّ جفنٍ مغاراتُ يأسٍ وذُلّْ !

وصوتُ المآذنِ ، صمتٌ به دهشةُ الغيب تفزَعْ ،

وإصغاءُ ماضٍ حزين التأمُّل فى الأفق يسمعْ !

جميع النّبيِّين ، كانوا سؤالاً على راحتيهْ

وكانوا شعاعاً أذانُ الحقيقة يمشى عليهْ !

«محمدٌ» . . بالنور ، والحق ، يسأل عن ركعتينْ

وعيسى بدرب الدموع يفتّشُ عن دمعتيْنْ

وعيْن السماءِ تُطِلُ العتابَ ، على نظرتيْنْ

تطلُّ . . وتدرى !

وتَخفى ، وتسْرى !

وتُنْشِب فى السرِّ أعماقَ سرٍّ ،

وتنْقَضُّ باللّمح فى عشبة النور ، فى كل فجْرِ !

. . تدير السؤالَ على المنبرَيْن !

وتبحثُ عن ثالثِ المسجدين !

وتضربُ في قلب سينا تنادى السنينا

وتعصر من قَنْسها امتين !

وتحصدُ في العار بالراحتين !

. . وتَشْوِى ضميرى

وتُحْيِي قبورى . .

وتسقى الصدَى من بقايا طيورى

وتسألنى والضحى فى غديرِى . :

لماذا مع النور ماتتْ زهورى ؟ ! !

وحطَّتْ على أوَّل القبلتين ! !

. ومهما الظلامُ الذى كفَّن النورَ في كلِّ بابْ ،

ومهما الرياح التى بدَّلَتْ عطر هذا الترابْ ،

ومهما الجراحُ التى دوَّختْ كبْرَ كل الرقابْ :

ومهما استبدَّ علَى النور بطشُ الضبابْ :

ومهما تمارَى بروحى الغيابْ :

ومهما ضيائى على الليل ذابْ :

. . . فإنّى على الموتِ أرفض أطيافَ هذا العذابْ ! !

وأرفضُ حِسّى بمعنى الوجودْ ؟ !

إذا لم يَعُد للبساتين عطرُ الثرى من جديد !

وتنفُضُ حبّاتُ رملى على كل أرض أساها

وتدفن فى تُربها كُلَّ عادٍ رماها . .

وصيَّرها لبغاء اليهود محاريبَ فِسْقٍ ولعنةْ

وأسمارَ عارٍ ، تلوكُ العصورُ بها كلَّ مِحْنةْ ! !

وكانَتْ مصلّى لوجه السماء

فصارتْ مواخيرَ بجارٍ فى جانبيْها الضّياءْ ! !

وأرفُضُ للأرض أىَّ انتماءٍ .

إذا لم يَعُدْ لى ثَرَاهى الحزينْ

وتحيا زهورى

وتحيا عطورى

ويرتدُ كِبْرى ، يرفرفُ فوق سفوح السّنينْ ! !

ولابُدّ روضي يُفتّحْ!

وطيري مع النور يصدَحْ!

وبستاني العربيُّ المُصوّحْ:

يلوّحْ بالعطر للعابرينْ!!

مـوسـيـقـــا مـن الـوَحْـــدَةْ

أغنيك من أين ؟ داخ الرهلب

١٩٧١

• أُغنّيك ! من أين ؟

داخ الرهلبُ من الشدْو شوقاً لهالاتِ نورِكْ !

• وداخَ الغِناءْ . . .

فاضحى صريراً ،

ينكمِشُ في الصمْتِ بلوى مَصيرِكِ

• وبلغتْ على الأرض ذكرى زمانٍ

به هزّتْ الشمسَ رؤيا عبورِك !

• وداخ المغنّي

هذا يصيحُ ،

وهذا يُماري الصدَى من عطورِك

• وأنت على كلِّ ثغرٍ نشيد

وجرحٌ تواسيه سلوَى عصورك !

• أناديكِ من أينَ ؟

. . من جازرٍ

يدسُّ نهايتَهُ في طريقك . .

• ويغوي من الزُّورِ شوقاً إليكِ ،

فإنْ لُحْتِ . . صبَّ الدجى في شروقِكْ

• ويَسْتَنِيكِ لسمارِهِ في القصورِ

أباريقَ سُمٍّ جرى في عروقِكْ

• ويبكي عليكِ ! !

وتحت الخيام ،

جنازتُهُ ولوثت من بريقكْ

• أبيُّ الخيانةِ ،

يأبى نجاها ،

فيمزجُها جهرةً في رحيقكْ ! !

• • •

• أغنيكِ من أينَ ؟

. . مِنْ قبةٍ ،

لِسُقْط النَّهـرَيْن صارتْ مرايا

• تتُوَّى بها لعنَاتُ السّماءِ

وتجتاحُها من جميع الزّوايا

• يُناديكِ منْها جَبينُ الذّبى

مِهادُ السجُود ، وسادُ البغايا ؟

• اطِلّى . . ولا تَفْزَعى . .

فالكرَى بجفْنَيكِ ما زال منه بقايا

• مشَى العارُ يخْطِرُ فى المِنْبَرَيْنْ

وتفوح من راحتَيْه المنايا ! !

* * *

• أغنيكِ من أين ؟

. . مِنْ حبةٍ ، بِرمْلى الصحارى تنادى عليْكِ

• ومِنْ كلّ مئذنةٍ ،

لم تزَلْ تكبّر للهِ شوقاً إليكِ

• وتجأرُ ظمآنةَ الرّاحتيْنِ ،

إلى دهشةِ الفَجْرِ من راحتيكِ

• إلى النُّورِ يَحْصدُ ليلَ النِّيام ،

عتَّى الضُّحى هاسراً من يديكِ

• جناحاه ثلرٌ تموتُ الرِّياحُ ،

ويحيا به الموْتُ من ساعديكِ !

• اغنِّيكِ . . من أينَ ؟

. . صوتُ التناثر من القلبِ ،

اضرَم نايى الحزينْ !

• ومزَّقتُ عمرى بتيهِ الغِناءِ ،

وتلهَ الصدَّى فى صدى السكَّينينْ . .

• وما زلتُ ادعوكِ . .

حتَّى تلاشتْ

مزاميرُ شدْوى مع العابرينْ

• وما زالتُ ادعوكِ . .

حتَّى اهلَّتْ

خُطاكِ ، على وَحْدةِ الثَّائرينْ

● تعالىْ . . .

صباحاً جديدَ الضِّياءِ

يُوحِّدُ في دربِهِ الزَّاحفينْ . .

● ● ●

● تعالَىْ . .

لهيباً عنيدَ الأُوار

يردُّ التراب من الغاصبينْ

● تعالىْ

وضمِّي شتَاتَ الصُّفوفِ

فقد بحَّ بالثأر صوتُ العرينْ

● تُنادِي السماءُ ،

تُنادِي الدماءُ ،

يُناديكِ لهْفانَ جرحُ الجبينْ

● تنادِي المعاركُ في الرَّابضينْ

تنادى المضاجع في الراقدِينْ

● تنادى العُصورُ ، . .

تنادى القبورُ . . .

يُناديكِ عارٌ ، وثأرٌ طَعِينْ ،

* وماذا من العيْش تبغي الحياةُ ،

إذا ماتَ فيها لهيبُ الإباءْ !

* وماذا ؟ ؟ وماذا ؟

تعالىْ . . وصبّى ،

على كُلِّ قلبٍ سعيرَ النداء . .

* وشدّى الزمامَ على الواقفينْ

فمِنْ دُون زحفكِ زحفُ الفَناءْ !

* لَها الله . .

من أمةٍ أمهلَتْ !

ولا يُمهِلُ الحرُّ غوثُ البقاءْ

* فَسيرى . .

ولابدَّ للنّصر يومٌ

بكفّيْكِ يحدوهُ نصرُ السّماءْ ! !

١٩٧١

مـوسـيـقـــا مـن الإصـــرار

سلامٌ عليكْ

فرحمةُ ربّى جرت من يديكْ

ولَعنتُه طوّقتْ ساعديكْ

سلامٌ عليك

بُعثنا من الموتِ فى راحتيكْ

وكنا نياما

وكنا ظلاما

يدسُّ الحقيقةَ فى الراقدِين

ويُخفى الطريقَ عن الثائرين

وهبّتْ علينا رياحُ النشور

مُزَمْجِرةٌ العصْفِ من جانبك

تُنيبُ البلى من رفاتِ القبور

وتَخْترق الليلَ تحت الصدور

لِتسْأل منها العمى والغرور

وتوغلُ فى كلِّ ما لقَّنته رزايا العصور

وفى كلِّ ما قنَّعتْهُ الرُّؤَى

وما كشفتْ من رياءٍ وزور

وتُلقى على كلِّ شىءٍ رياحا .

ربوقابدوِّى

ونارا تدور

وتُشعلُ فيه رميمَ الوجودْ

وتجتثُ معه بقايا الجذور

وتزرعُ فيها الضُّحى من جديد

بساتين صحوٍ وأقداحَ نور

وفجراً جديدَ الخُطا والعبُور

يردُّ الظلام ضياءً إليك

سلامٌ عليكْ

• • •

سلامٌ عليكْ

ورحمةُ ربي جرت من يديك

رحمتَ النيامَ فحركتَهمْ

وانقذْتَهم من سُباتِ السنين

وقلْبتَهم بانتفاضِ الطريق

على غفلةٍ من كَرى الهامدينْ

وانشبّتَ فيهم شعاعَ الحياة

حيارى يلوكون عُمْقَ الجراح

ونسألها في الصباح الحزين

توغلْتَ فيهم بنارِ الهبوبِ .

واصلَيْتَهم من سياط اليقين

واجريْتَ فيهم دماءَ الوجودِ

وكانوا من التيه كالميّتين

رحمت الظلامَ فعرّيتَهُ

وَمَزَّقْتَ فيه الخداع الدفين

وبعثرتَ كلَّ خبايا الكهوفِ

وألقيْتَهَا حسرةَ العابرينْ

* * *

. . رحمتَ الضمائر ، كانت مرايا

مقسَّمةَ اللَّمح للخائنين

وكانت رُفاتا عنيد الزوالِ

فوحَّدتَ فيها انطلاقَ الجنين

رحِمتَ الصدور

وكانت طيورا على الدَّوْحِ تَهزِج للصائدين

تُدارِى لساها

وتُبدى هواها

وتحرقُ بالخوفِ فى الهاطشين

وتخشى ظِلالَ الرؤى فى الدروبِ

فتخشعُ للوهم فى كلِّ حين

. . رحمتَ الحقيقةَ ، جرَّدْتها

من البرقع المستعار اللعينْ

ومن جنةِ الزُورِ تُجرى الظلال

ضلالاً من الإفكِ للغافلين

فتُخفى الحقائقَ فى كلِّ شىءٍ

وتندسُّ فى أوْجهِ الزائفين

كما ينزِعُ الموتُ عطرَ النعوشِ

رمَتْ زهْرَها جنةَ الكافرين

خضوعٌ ورفضٌ ويامَا صلاةً ،

تُغنّى بها حيْرةُ الفاسقين

• • •

رحمت الطريق فأشعلتهُ

لهيباً ، أضلَّ خطَا المفسدين

وظنُّوه نورا لهم فى القتامِ

فعاشوا بلا رحمةٍ حائرين

فمِن خاطفٍ بالضياءِ

لظلّ العارِ فى أوْجهِ الغاضبين

ومن عازفٍ لحنَهُ بالظلامِ

ليمتصَّ إيماضةَ المؤمنين

ومن حالكٍ فى قِناعِ الضحى

سرابيهُ تنهلُ الساحرين

على وجههِ دمعةَ الطاهرين

وفى عينِه بَسمةُ المُرْتشين

بقايا من الليل ربُّ السماء

اعاد لها ثورةَ الزاحفين

واحيا لها فجرها من جديد

ليجتاحَ فى خطوهِ المارقينْ

ومَن خادَعوا النورَ فى جانبيكْ

سلام عليك

• • •

سلام عليْك . .

فرحمة ربى جرَت من يديك

ولعنتُه طوّقت ساعديك

لتلعنكَ الأرض حتى تضجَّ السماءْ

ويلعنكَ الطيرُ حتى يموتُ الغناءْ

ويلعنك البحرُ حتى تموجَ الدماء

ويلعنك الثأرُ حتى يصيحَ الفداء

• • •

محوناك من صفحات الزمان

وعدنا بيومٍ تغنّي له الشمسُ في المهرجان

ويصدحُ بالنّصر صوتُ الأذان

على أوّلِ النورِ للمسجدَيْن

وفي جنّةِ النصر بالشاطئين

وفي كلّ شبرٍ بكفّهُ الكرامة

ومعركة الحق رنّت سلامةْ

وشبّت براكينها بالغضبْ

لترجعَ للشمسِ وجهَ العرب ! ! !

موسيقا من الموت

• لا أرفضُ الموتَ !!

لكنّي أسائلُهُ :

هل نِلْتَ ما أنتَ بالإنسانِ فاعِلُهُ ؟

• شيءٌ .. هو الموت يا جبّارُ

تكتمهُ خطاكَ .. أنتَ وراء العيّنِ حاملهُ ..

• مُقنّعٌ بمتاهاتٍ ، وأوديةٍ ،

وأغصنٍ .. زهرُها ماتتْ بَلابِلُهُ

• وتَسْخرُ الناسَ تأوي في مخادعهمْ ،

وفي خُطاهم بكهفٍ لا تُزايِلُهُ

• تَمشي بلا شَبَحٍ ،

تَسقي بلا قَدَحٍ ،

وكلُّ بابٍ ، ومهما . . لنتَ داخِلهُ !

• أعمى ! !

عصاكَ ، بلا دربٍ ، ولا بصرٍ

ولا صدًى ، يُرشدُ الآذانَ قائلهُ

• ولا يقودكَ إلا الغيبُ ،

تعلَمُهُ ، وكلُّ حيٍّ بوجهِ الأرض جاهلهُ !

• تزوّرُ ،

لا أبُ التّزاويرِ تعرفهُ

ولا لديكَ إلى إذنٍ وسائلهُ

• ولا تبالي إذا داهمْتَ ،

منتهياً يدْعوكَ ،

أمَ فارساً . . تمضى تُصاولهُ

• بِكفّه أملُ الدنيا ، وغفلتُها

وكفُّكَ الغدْر شتّته مناجلهُ

• سكنْتَ في شرَكِ الأنفاسِ ،

ترْصدُها كصائدٍ لم تخبْ يوما حبائلهُ

• تُرخي الحبالَ ، وتَغْفِي كائناً ،

وعلى جفنيكَ سهمٌ ، يُماري مَن تحاولهُ

• تشـدُّ منْ شئتَ ،

لَنْ شئتَ ،

لا شبكٌ يلْقَى ، ولا كفُّ صيادٍ تُحايلهُ

• ولا انتظارٌ ، ولا خوفٌ ،

ولا حذرٌ منْ أيِّ شيءٍ تواري فيك حاملهُ

• كلَّ البريةِ طيرٌ ،

أنتَ تَغْمَتُهُ

مهما استكنَّتْ على الدُّنيا خمائلهُ

تميلُ بالذرةِ البلهاء

• تلْقَفُها من الخليةِ ،

فى نبضٍ تُغَافِلُهُ

• وتُسكر الرُّوحَ

حتَّى لا تحسُّ بما يَطوِي رحيقٌ ،

بما يسقِي تبادِلُهُ

• سكْرانُ ،

تَخبط في ماشٍ

فتَنْسَخه توثّقاً ، ويلىَ سكْرى مَجاهلهِ

• وتلجأُ الروْضَ ، غنّاءَ مراتعهُ

فيستَحيل ردىً ، ثكلَى هواتله

• لا طيْرَ ، لا زَهَر ،

لا عطراً ، ولا أملاً لعاشقٍ تُشعل الذكرى أصائلهُ

• وتلمس الجَسدَ العاتى

فلا جَسَدٌ . .

ولا حياةٌ . .

ولا شئٌ تقابلهُ !

• سبْحان حاديكَ . .

لا يهْدَى له نغمٌ

ولا لأيّ مدًى تمضى قوافلهُ ! !

موسيقا من الخلود

«بعد ألف عام على رقدة الشاعر العربي الخالد «أبي تمام» . .
بتراب الموصل بمدينة «نينوى» بالعراق . . استوحى الشاعر
هذه النفحة من الذكرى للمحتفلين به وقدمها للذكرى
في المهرجان الألفي لغيابه ١٢ / ١٢ / ١٩٧٢ م .»

أنا . . والمنجِّمُ . . فوق قبرك يا ابن أوْسٍ ، ساجدانِ ، مُسبِّحانْ
وتـرانِ من نغـم الخلـود ، على ثـراكَ . . يغرِّدانِ . يُصلِّيانْ
يتهلّلانِ بكل ما خلَّـقْتَ فيـه من البيانِ ويسْجدانْ
وبكلِّ سِحْرٍ رحْتَ تعزفُـهُ جديـد الطيْلسانِ ، يُهوِّمانْ
. نشوانَ ! يرفُضُ أنْ يكون اللفظ مسبوق الكيانِ ، بلا كيانْ
غضبانَ ! يـرفُضُ أنْ يكونَ الوهْـمُ مصباحَ التلفُّتِ ، في الزمانْ
عطشانَ للأضـواء . . ينْزعُها حقائق ، تَـزْدري كـذب اللّسانْ
صيِّدَ تائهة العوالم ، في كُهوفِ تائهاتِ الدرب في غلَس الجَنانْ !

شرابَ عنقود الرّحيق ، ولو أطلّ بغير كَرْم ، لو دنانْ

سلابَ ملصبة للشاعر . . من ضمير الشعر يَلْقنُها العيانْ

. . . خالفتَ أصداءَ العيلة . . صدًى وروحاً بالصدى يتكلمانْ

لا اللفظ جَرْسٌ للسّماع ؛ وإنّما جرْسٌ وهَمْسٌ . . عاشقانْ !

متعانقانِ على الرّبابِ هواهُما رُوحٌ مُفكّرةُ اللّسانْ

لطمَتْ من التقليد وجْهاً ، كان في شرفات نايكَ ينْدمَانْ

يئد الصدى ، بصداه تسطعُ نبَرةٌ أو همسَةٌ . . مَخْلوقتان

لم تسمع الأوتارُ مثلَهما ، ولم يرضَعْ شعاعهما بيانْ

بينَ السطورِ غريبتانِ ، وفي العصور جديدتانِ ، عريقَتانْ

لا حذْوَ . . لا منهاج ، بل بركانَ إحساسٍ به تتألّقانْ

بيدَيْهما شجنُ النفُوسِ . بِكُلّ أفْقٍ للحياة تنابِلانْ

في ثوْرةٍ ليتِ الوقوف : بعُمقها ، وجديدها تتغَنّيانْ

أصلاهُما عربيةٌ وهما الغد الآتي لها عربيّتانْ

تتْحركان بكل معنًى ، . . لا اجْترار ، ولا اكْترارَ ، ولا اختزانْ !

عبرتْ دُجى التاريخ ، ترفعُ مبدأً . . رفعَ الحقيقة بالبنانْ . .

. السيْفُ حقٌ !

والنجومُ خرافةٌ ! والغمْدُ هيكلةٌ هوانْ !

أصغيتُ . . ثم رأيتُ . . ثم تفجَّرتْ من قاع روحي نغْمتانْ

أنا . . والنَّجم فوق قبرك ساجدانْ

أنا . . في الصَّدى ! !

وهو الردَى للحتومُ ! ! تلك حقيقتانْ ! !

أنا كُنْتُ لحنَ السّيفِ !

وهو جبينُ عمُّوريةٍ . . متناقضانْ !

حدٌ ، وخدٌ كان أشْهى في هواك من الهوى

يوم الهوانْ ! !

كلُمته . . بصبا السُّيوفِ ، وكبْرها وجنونها يوم الطِّعانْ ،

ومانَّها شرَفُ الثرى . . بعد الإله بغيرها لا يُستَعانْ

. . جئناك . .

مزْمورينْ ، مخمورينْ . .

مِن دَهَش للذي يتَعجَّبانْ !

يتنقّلان علِى صدك مع الخلودِ . .

. . ويشربانِ ، ويسْقيانْ !

قُمْ ، وامْلأ الأقداحَ ثانيةً . .

وجلْجِل فى الصفوفِ بلا أوانْ

فاللّهو ، واللعبُ ، استمرّا فى العُروقِ مع المرارة يَجْرِيانْ ! !

واعِدْ نفيرَ الأرضِ ! !

اعمّوريّة أخُرَى تشوقُ للأذانْ ! !

موسيقى من لحظة الوداع
من لحظة الحزن العظيم !

[مع غروب الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠]

إلى روح الزعيم الخالد جمال عبد الناصر

وفي لحظةٍ . . تسقطُ الغيبُ فيها على كلهِ شيءٍ لسىً لا نهايةْ

عميقٌ . عميقٌ . . كجبٍّ الظنون . على كلّ حسٍّ تلاشى مداهْ . .

سحيقٌ . . سحيق . . كما لو نزحتَ من الروح . كلّ حياة الحياة

. . وطيرٌ يحطُّ بلا أيّ غصنٍ

على شجرٍ موغلٍ في كآبةْ

يفرُّ . . كما لو لحسُّ الغناءَ

يطاردهُ من زوايا صداهْ . .

ويرتدُّ . . حيرانَ . . هذى رباهُ ،

وهذى الخمائل فيها هَوَاهْ . .

يمرُّ ، وتَمْضِى ، ويأتى خلفِها

وَيَمْرُقُ فى الوهم كُلُّ اتجاه !

تحسَّسْتُ وجهى ،

لَعلّى أُلامِسُ طيّفاً على ايّ طيفٍ رماهْ ! !

تحسستُ صدرى ،

لعلّى أُصافحُ سِراً توارتْ به راحتاهْ ! !

تحسستُ حولى جُموحَ الأثيرِ ،

وتَحْنيقَهُ فى مرايا فضاهْ ! !

وامعنت فى درب ذاتى لَعلّى ،

تناسَخْتُ أُخْرَى وضلت سُراه !

لعلّى صهرتُ المدَى وانتهيْتُ

إلى ابعد البعدِ فى منتهاه . . .

وصمتٌ يُطِلُّ . . ضريرَ السكونِ

تلَجْلَجَ . . لم يدْرِ ماذا دهاهْ !

تحيرُ فيه ارتقابُ الوجود ،

وماذا يكون ! وماذا عساه !

تراءيتُ في عينه جائزاً ،

ومنْهجةً لخفقتَها يداهْ

وسنهماً يصوّبهُ ، لا اراهْ ،

وإن كُنْتُ في هلَعٍ من رؤاهْ . .

اخافُ على جبهتي .

بعدما سنَا الشمْس رشّ عليها ضحاه !

. . اخافُ على خُطْوتي

بعدما جئنا الرّقَ يدفنُ فيها خُطاهْ

ويهْربُ في الأمس عبْرَ القرونِ

يسلّي نجاها بذكرَى نجاهْ !

. . اخافُ على زهرتي

بعد ما اعادتْ لي العطرَ .

يسقي الذي من يديه سقاهْ !

اخافُ . . . .

وظلّ اندهاشي يدور !

وتضرب في كل كربٍ عصاهْ

وحولي كؤوسُ الغروب الحزين

محطّمةٌ فوق كل الشّفاهْ . .

. . . وشقّ النّعيُ عذابَ السكونْ ،

وعاصفةٌ دمدمتْ بالجنُونْ ! !

وتصرخُ . . لا . . لَنْ يكونْ ! !

يَموتُ الضحَى . . والضياءُ العميق الذي بثّهُ - لا يموتْ !

اباريقه لا تزولْ ، بقلبِ الغصُونْ ، .

يموت الصباحُ ، ومَوْج السنا بعده لا يموتْ !

مصابيحهُ لا تحولُ بخفْقِ الجفونْ !

يموت الزمان ، وما شبّهُ في المدى - لا يموتْ !

مشاعله في الليالي تحولُ بخَطْو السنينْ . .

ولو أنها من غيوب الإلٰهِ ،

مقاديرُ تُلجمُ سرَّ الحياهْ ،

فإنّ المسجّى على راحةِ الخلْد . . حيّ . . وثائر

ومازال . . لم يمض ناصرٌ ! !

. . فما زال فى الدرب حيّاً

وما زال للثائرين لندلاعا ووَحْياً . .

وما زال يرفع للسالكين المبادىءْ . .

ويُعطى سناها لكلّ الشواطىء . .

تعاليْتَ . . يا مالك السرِّ ! !

سَمْعُ الملايين ما زال يُصغِى لصوتِهْ ،

ويُجهش بالدمع . . حين يراه ، بَصمْتَهْ :

. . علَى خطوةَ الكادحينْ . .

وفى لوجهِ الشرفاءِ . .

وفى نظرة الفقراء ،

وفى كل فأس بكفّ السنينْ ،

وفى كل صنْصافةٍ كفكفَتْ ،

بأوراقها لدمع المتعبينْ . .

حياريَ التَّراحيل ، اهل المُعاول والدمع ، اهل الأنين .

وفى قبضة الزاحفينْ . .

وفى صيحة الثائرين :

وفى زلزلة السُّود ، وهى تُذيب العناصرْ

لِسحقِ الفوارقِ بين الوجوه علِى كل سائر . . !

وفى المسجد المستجير الحزينْ ،

وفى القُدْس . . وهى تُناديه من فتكةِ الغاصبينْ . .

وفى كل حبةِ رملٍ وشاطىءْ ،

سناهُ يُضَوّى كلَّ المرافىءْ !

وفى كلِّ شىءٍ ضياهُ . .

مع الشمس مازال يُعطى الحياةْ

لِكلِّ الذين أرادوا الحياه ! ! . .

ورغْم انطفاء السراجِ على عتَبات الجسدّ ،

فما زال منه السنا هادراً للأبد ! !

تُحلّق راياتهُ فى المدُنْ . .

وتنطق آياته فى القُرى والمدائنْ . .

وما نام فى الأرض حرٌ وثائر . .

وما نام فيها حياه . .

فما ماتَ . . ناصرْ ! !

ولا غَرُبَتْ من يديه الحياه ! !

موسيقا من الطبيعة

فى شاطىء البحر

مع إصغاءة الشاعر لسحر الطبيعة

وجمالها فى شاطىء المنستير بتونس

٤ اغسطس ١٩٧٣

نزلْتُها . . والشمسُ فى أحضانِها   حوريةٌ سكرَى على شطآنِهـــا

لا كأس فى راحتِها . . لا راحَ فى   كاساتِها   لا صوْتَ فى إرنانِها

وكلُّ شىءٍ . . نشوةٌ ، وقدحٌ   يصب سحْرَ السحْرِ من اغصانِها

وكلُّ أُفُقٍ وتَرٌ ، ونغمـــةٌ   واعينٌ تُصغى إلى ألحانِهـــا

وكلُّ خطْوٍ قُبْلَـــةٌ ووَجْنَةٌ   مدَّتْ دروبَ الحبِّ فى وديانِهـــا

ونظرةٌ ، لم تلْقَ إلاّ نظرةً   مبْهورةَ النور على أجْفانِها

خضراء؟ . لا . . بيضاء ؟ لا . . زرقاء ؟ لا . . تاهت حدود اللون فى بستانها
البحرُ ، والنخيلُ ، والزيتون ؛ لا قيودَ للضياءِ فى ألوانها . .
. . كأنها خلاصةٌ من زمنٍ ووطنٍ . . يُطلُّ من أزمانها !
كأنها فى كل وقتٍ ، سجدةٌ لِلَّهِ . . لا تُقبلُ فى آنانها . .
والسحْر ، والجمالُ . . مؤمنان فى آفاقها . . رُكْنان من أركانها
لاحَتْ صلاةً ، وهوًى ، وفتنةً وجنّةٌ . . فردوسها فى حانها !

* * *

الشمسُ فيها غيمةٌ ، وخيمةٌ للظلِّ . . لا يزورُ عن مكانها
والريح فيها نسمَةٌ ، ولمَةٌ ونَغْمةٌ ، تهمسُ من عيدانها
والنّخلُ فيها شاعرٌ ، فى صمته قصيدة ثارت على أوزانها
فنخْلةٌ كفارسٍ فى حومَةٍ يَخْنُو وغَى الدهر بصولَجانها
ونخلةٌ ناسكةٌ موصولةٌ بالغيْب . . . تسقى النور من إيمانها
ونخلةٌ راهبةٌ مشدُوهةٌ تكلَى على ماضاعَ من صلُبانها . .

* * *

أصغيْتُ للتاريخ ، وهْوَهائمٌ مثلى . . يَعُبُّ السحر من بنانها
. . وإذْ بصوْتٍ هامسٍ من قلْبها يَشْوِى رفات القيْدِ فى نيرانها !

موسيقا من العلم

مهداة إلى الدكتور طه حسين لمناسبة

صيحته الحرة : العلم كالماء والهواء

كتبت عام ١٩٥١

غناءٌ . . ولشجى منه ما انتَ قائلُهْ

وسحر . . واعتى منه ما انت فاعلُهْ

• • •

حشدتُ لك الإلهامَ من كل مُهْجَةٍ

ومن كل نورٍ انت للفنّ باذلُهْ

• • •

ومن قمةٍ للفكر انت بفجرها

شعاعٌ من الرحمن هلّت مشاعلهُ

• • •

ومن صيحةٍ للحق ، يمضي زئيرُها

كأنّ بها للغيب خفّت نزاملهُ

• • •

. . ومن أدبٍ حرٍّ الأعنة سُقْته

إلى الناس ركباً لا تُجارَى قوافلهْ

• • •

مددتَ لها الأرْسانَ في كل وجهةٍ

لحتّ بها ليلاً ، فطارت تقاتله

• • •

يمرُّ على جدْبِ العقول حداؤها

ربيعاً جديد الخطو ، غنّتْ لصائلهُ

• • •

له مذْهبٌ في السيْر ، فالأرضُ كلُّها

زمانٌ وأفقٌ يمّمتهُ قبائله :

.. ومن فرحةٍ للعلْم ... هذا هديرُها

حواليْك ضجّتْ بالوفاء سواحلهْ

• • •

تنادَى لها طيرُ الجزيرة بالْهوَى

وانطلقَ أشواقَ الرّياحين زاجلهْ

• • •

واصغى إليها النيلُ حتى حسبته

لها لوْعةٍ تهفو إليك خمائلهْ

• • •

وسبّحَ صمتُ للنخل فيها ، ولم تكنْ

لتعْرفَ فى التّسبيح شيئاً أناملهْ

لكادُ ولو لم أصغ .. ألقى بظلّهِ

ترانيمَ طيرٍ بالحنين تُساجِلهُ

فهل هو مِمّنْ يعشق الفكرَ قلبهُ ؟

وممّن لأهل العلم تُنْمى سلائلهُ ؟

.. ومن كلّ إيمانٍ ، وكلّ عقيدةٍ

وكلُّ خيالٍ طاوعَتْه حبائلُه . .

حشدتُ رباباتى ، وفنى ، وصاحباً

هو الشعر لم تهدأ بأرض رواحلُهْ

وجئتكَ أهفو طيفَ سحر ، فإنما

بيانُكَ . . يدرى أين تُخفيه بابلُهْ !

بربك هبْنى بعض وَحْىٍ لعلّنى

بسَمْعِكَ أشدو بعض ما أنا حاملُهْ . .

فلا كانت الأوتارُ إن هزَّ عودَها

هواكَ ، ولم تُشْجِ الليالى بلابلُهْ . .

• • •

أتاكَ بنكةُ العقل ، من عهد آدم

وهُمْ حوْلَه نهْمٌ تَبَرُّ مناهلُه

يجىءُ لهم طفلاً ، غريرا مدثَّراً . .

بثوبِ غريرِ الوَعْى ، هُبْلٍ غلائلُهْ

يمدُّ يداً ظمأى ، وأخرى لعلّها

تُشيرُ إلى رِىٍّ بعيد تحاولُهْ

تلقّوه سمْحاً جاهلاً فى مفازةٍ

بها غيهبُ الإظلام طنّتْ مجاهلهُ

عنيدُ الدُّجى ، إنْ خالسَ النورُ ليلهُ .

يضىءُ ، وإنْ يلجا حماهُ ، يصاولهُ

سقوْا مهْدَهُ خطوَ الرّسالات رحمةً

وكنّا صبوراً ، لا تنىْ معَاولهُ

وشقّوا ثراهُ ، فاستحال يبابُهُ

حقولاً ، عليها العِلْم صافتْ سنابلهُ

وخلّوا جناها للحياة . . فإنّهُمْ

مُثلها ، وهُمْ فى كل شعبٍ دلائلهُ !

فإن شئتَ بعثاً للبلاد ، فهذه

يدُ الله فوق الجهل ، هذى جحافلهُ

بنانٌ ، وإيماءٌ ، ولوْحٌ ، ووقفةٌ

وما بعد هذا ، كلّهُ أنت خاذلهُ . .

أتوْك . . فجاءوا للذى سارقَ الحِجا

فخرّتْ له أبراجهُ ومنازلهُ

لهُ منطقُ للنُّورِ المُبين ، إذا هوَى

على الشكِّ ، راحتْ تَستجير مقاتلهُ

يُمزِّقُ بالتِّبيانِ كلَّ مُطلَّسَمٍ

من الرأى ، حتى تَستبينَ مَخاتلهُ

وينتفضُ لِسرارَ النفوس بيانُهُ

كما لو رواها كلُّ طيفٍ تُزلولهُ

إذا رقَّ . فالأسحار لحنٌ بكفّه

وطيرُ الرُّبى ناىٌ رخيمٌ يُغازِلهُ

وإنْ مسَّ ظُلماً ، خلْتَ ناراً وعاصفاً

وذكرى هشيم فى الفيافى تقابلهُ .

يسير وحبُّ النيل لحنٌ مقدسٌ

يهزُّ به سمْعَ الضُّحَى ويُطاوِلهُ

تطوف على الدنيا خُطاهُ ، كأنها

لمصْر نشيدٌ لا تَكِلُّ فواصلهُ

فكم رحلةٍ للغربِ طارتْ بذكرها

وغنّتْ بوادِيها العزيز رسائلهُ

يُحبُّ ضنى الأسفارِ حباً لمجدها
وتُشجيه لشحانُ السُّرى وشواغِلهُ . .
رأى العلمَ مأسور الضّياء ، كأنّهُ
شقيٌّ على الأصفادِ شدّت سلاسلهُ
أقاموه في سوقٍ تعالت دروبهُ
وصدّتْ أياديه . وسدّتْ مداخلهُ
ونادى منادٍ ، فوق أعتاب بابِهِ
بصوتٍ جهير الظُّلمِ بحّتْ غوائلهُ :
هنا الألِفُ العصماءُ ، عودٌ ممنّعٌ
من الغرّة الفعساءِ شِيدّت حوائلهُ ؛
هنا الباء طير عبقري مُجنّحٌ
على طيفهِ يبكي من اليأس حاملِهُ ؛
هنا «ألفٌ» «كالباء» كلٌّ بدرهمٍ
ومَنْ ساوَمَ الأسعار لستْ أعاملِهُ !
هنا كلُّ حرفٍ في وعاءٍ مُختّمٍ
شحيح الرُّؤى ، إيّاكَ يوماً تُسائلهُ !

إذا كنتَ ذا مالٍ فأنعِمْ . . . وإنْ تكُنْ

فقيراً . . فحلْمُ الشمسِ ما أنت آملهُ !

هنا كلُّ سطرٍ تحْتَ قبرٍ ، فإن تُرِدْ

نشوراً ، فهاتِ المالَ تخشعْ جنادلهُ

هنا سدُّ يأجوجٍ ، هنا العلمُ سِلْعةٌ

تُباعُ وتشْرى كالمتاعِ مراحلهُ . .

وكم مِنْ يدٍ جاءت تبكي لقطْرةٍ

فقالتْ لها : بيعي الدموعَ ! جداولُهْ !

وكم من أبٍ في الكوخ أفنى شقاؤه

وناحتْ عليه فأسهُ ومناجلهُ

أتى ببنيه ضارعا متوسّلا

لعلّ حظوظ العاجزين تُقابلهُ

فهَبَّ المنادي صائحا في عتابهم

بصوتٍ على الآفاق دوّتْ زلازلهُ

إلى الكوخ عودوا يا بني الفقْر ، واقنعوا .

فأولى بكم قُطْعانهُ وسنابلهُ !

.. أساطيرُ عن «دنلوب» تُرْوَى وإنها
لفتّكٌ بروح الشعب دقّتْ وسائلُهُ
وقيدٌ لمجدِ النيل طال هوانُهُ
وطالتْ عليه نارُهُ ومشاكلُهُ
خطا نحوه « طه » العظيمُ مؤزَّراً
بشعبٍ من الأغلال مُلّتْ كواهلهْ
وكرَّ عليه فارساً ، في يمينه
شبا قلم للحقّ سُنّت مناصله !!

موسيقا من التاريخ

وانهتك الستار عن وجه التاريخ لحظة ، لنتذكر

شهيد الغربة والنضال محمد فريد بعد

خمسين عاما على رحيله . . .

٢٢ / ١١ / ١٩٦٩

رُفع الستارْ . .

وانشقَّ زورُ الليل عن شرفِ الحقيقة كالنهارْ

وأفاق للتاريخ قلبْ

كان من عبثِ التسلُّط . . في دُوارْ

أغرَى به الزمنُ الغشومُ

فزاغَ في وهج الحقائق واستدارْ

وضَعَ القناعَ على الشعاع . . وشاد للحلك الثارْ

ومضى يجوبُ الخلدَ آفاقاً .

يلصُّ كما تشاء له البراقع ! !

يضعُ البراقع في الذُّرى ،

ويمصُّ ومضَ النورِ في كبد البراقعْ !

ويعيدُ خلْقَ النور

ينسخُهُ دجىً ، متألقَ الآهات ، مشبوبَ المواجعْ !

ويُزَنِّرُ الظُّلُماتِ في قبس

من البُهتانِ يسترق الضمائر والعيونْ :

. فيصوِّرُ الأغلالَ مسبَحةً مُصلّيةً

تضوّىء في رقاب الصاغرينْ !

. . والظلمَ بُستاناً يرفُّ العطرُ منه تمائماً للظالمينْ !

. . والدمعَ ، أجنحةً من الرّحماتِ

زاشفةَ التبتُّلِ ، والتَّهللُ ، والحنَينْ . .

. . ويصوِّرُ الطاغين رُهباناً بدَير العدل تجمعُهم صلاةْ !

والغاصبينَ الحقَّ نُوَّاباً . . يصوِّرهُم حُماةْ !

والسارقينَ المجْدَ تحشرهُمْ ملائكةَ يداهْ !

والثّاجِرين بعزَّة الأوطانِ أبطالاً يُخلِّدهُمْ هَواهْ !

يَسقيهم النسيانَ لا يبقى لهم ذكرى حيَاه !

يا للْجحُود ! وللْخلُودِ ! وللْبوار ! !

. . رفِع السّتارْ ! ! . .

رُفِع السّتارْ

وتَمزّقتْ حُجُبٌ من النّسْيانِ عاتيةٌ مكبلة الإزارْ

وانْفَضّ سوقُ العنكبوتِ . . وشعشعَتْ بكهُوفهِ ظُلَمُ الجِدار

وارفَضّ من وجه الخلود تَبرُّجُ الألَقِ الجَليب للسّتارْ

وانْقَضّ صرحٌ مَوّهتْهُ يَدٌ تُريقُ اللّيلَ من شفةِ النّهارْ

وتَحيكُ أروقةُ الضياءِ خيوطَ قبْرٍ لا يُتاح له مَزارْ

. . ماذا أصاب الخالدينَ ؟

تحرّكَتْ أصلابُ سمْعتِهمْ . .

. . وفاجأهُمْ نَهارْ

وتلفّتوا . . فإذا قبابُ المَجْدِ . .

ضوّأها لهم زورُ الإسارْ

هنا حبيبُ القيْدِ . .

يُكْتَبُ : كانَ بِأَكْمِه الشَّرارْ !

هذا عدوُّ القَيْدِ . .

يَنْسِجُ فوق جلْوَتِه بِثارْ !

. . وتلاغَطَ الزَّمَنُ الأسِيرُ . .

فضاعَ حادِى النورِ ، فى حادِى النَّهارْ

. . وانْسابَ ساقى الليلِ فى ساقى الضياء ، وتحت الظُّلْمُ الشَّرارْ ،

. . وغدا رَمادُ الذاهبينَ على الأسرَّة والنمارق فى النَّهار ،

والخائنينَ الخانعينَ لكلِّ طاغٍ فى ضفاف النيل سارْ ؛ ؛

إكليلَ مَجْدٍ فوق هاماتٍ معصَّبة الخيانة بالشِّعارْ

ويزفُّها التاريخ لا يدْرِى أعارٌ ما بمجْدٍ لم فخارْ !

وسُطورُ خِزْيٍ فيه . . لم ريْحانُ مقبرةٍ وغارْ ! !

وغدا لهيبُ الثائر المستشهد الحرِّ الأمينْ

الرَّافضِ الأغلالَ . . تلمعُ فى صدُورَ الحاكِمِين ،

رُتباً وَأَوْسمةً يُشَعْشِعُ ذُلُّها للناظِرِينْ ،

وتزيدُ وَجْهَ الشعبِ إطراقًا لوجه الغاصِبين . .

. . وَغداً لظاهُ للستَمِيتِ بكل ما بيديْه من زاد الأوارْ ؛ ؛

« لهبًا أبيَّ النارِ . . . »

يرفضُ أن يكونَ مع السلاسل في جوارْ !

ويموتُ مفترياً على شفتيه للحرية الكبرى منارْ

ليتوهُ بين العائدين ونعشه يُسقى العزاءَ والانتظار

رُفع الستار ! ! !

رُفعَ الستارْ . .

وتهاوت الظلماتُ وانقشعتْ بفجرِ الثائرينْ

ومضى الصباحُ لتنلبَ ظل القيد من خطر السنين

وتغيّر الإنسانُ لم تعُد الرؤى تسقيه خمرَ الزائفينْ

وتغيّرتْ روحُ الحياة فلنْ يلوحُ بها سناً للواقفينْ

وتغيرتْ قيمُ الخلود فلنْ يطلّ شعاعهُ للخاطفينْ

وتغيّرَ التاريخُ . . نفحةُ غاره لم تبقَ إلاّ للحملةَ المخلصينْ

فاعذرْ زمانكَ يا فريدُ فإنّهُ أعشى تلمّس ضوءَهُ في الغافلينْ !

وانظرْ خطانا اليومَ . . وقعُ نضالها لهبٌ تؤرّق ناره المتجبّرينْ

مهْما استبدُّوا بالظلام فإننّا بصمود وحدتنا ستُصبح غالبينْ

بالله ، بالدم في العروق : بكلّ ما ملكتْ يدانا اليومَ نناضلُ

مفتتنينْ

سنذيبُ وجهَ الليلِ نسحقُهُ بأجنحةِ النهارْ

ونشدُّ منْ أعماقِ ظلمتهِ بشائرَ الانتصارْ

لنتمّم على بُعْدِ الجوارْ .. رفعَ الستارْ !!

موسيقا من الخوف

«الخوف»

. . . وأخاف . .

حتى أن أُوبِّن نعشه

وارقص اللعنات خلف رفاته

. وأخاف رفَضَ للموت ينسخُ وجههَ

فيعود زَيف السم من حيَاتِهِ

. وأخاف نبضَ الوهم يُرعش صمته

فيعودُ يزأر من وجوه نُعاته

. وأخاف خوفي منه . وهو مُمتَدٌّ

تعوي أغاني الذعر فوق سباته

. . وأخاف أيّ صدى يدورُ بحرْفِهِ

ويعيد فحَّ الذُّل في كلماته

.. وأخاف مِمّن شيعوهُ

فبعضُهم مسخَ للسروحَ السود عند وفاته

وأخاف أنيابُ الحفائرِ بعده

تلد الأفاعي الخضر من مَخِلاته ..

وأخاف من تابوته شبحَ الرُّؤى

وتهُرأ الأكفان في جنباته

... وأخاف نشوةَ لا حبيه ،

يذيبُها صدا الضباب المُرّ في مرآتهِ

... وأخاف بعد هلاك أنتاله ..

يتسكَّعون على بِلى طرقاته ..

يتسللون كأنهم أعداؤهُ

وهم عصيرُ الرّق من ظلماتهِ

ويلأيَ منه ! !

بنَى الكهوف من الضحى

وأذلَّ كِبرَ النور في ساحاتهِ

.. سلِ الأمان من الحياة ،

فشقُّها نصفين محاورين من سطواته

.. هذا جبانُ الوجه يكتم ذلته

ويُقيم مِزْلجَها على لهواته

والخائف الثانى

تكفّن عمرَه بالصمت يحمله على راحلته

ميتٌ ومصلوبٌ على أضلاعه

كهفان ، يزدردان كلَّ حياته

لم ينجُ منه سوى الذين تزلّفوا

كالرَّغوة الملساءِ فى حركاته

رصدت عظامُ ظهورهم أقواسُها

لتلوّد البهتان فى قسماتهِ

أعمى يُطلُّ بألف عين

كلما لاح الضياءُ اندسَّ فى نظراته

لخنى عليه الشرفاء

حتى أصبحوا أشياخ إصغاءٍ إلى متكأته

يخشْون َكلّ رؤى الوجود ، لعلّها

رصدت ضمائرهم لتسجيلاته

يخشْون عطرَ الزهر لن تُخْفَى به

أذن مدوِّنةٌ لسمّاعاتِه

يخشون ضوءَ الشمس لن يخفى به

متلصص بالأمر فى هالاته . .

يخشون طيف الحق ينبس مرّةً

فيكون همْس القيد بعض رواته

يبدون أحرارا

وجرس قيودهم فى الصمت يَفْضَحُهُمْ بتأويلاته

إيمانهم ، خاف الإله

وخوفهم خاف الضلال ببعض مخلوقاته . .

•

•

موسيقا من الذات
في غروب النفس

. . وماذا ستكتب عني ، إذا غبتَ يوما

وماذا ستحكي لدنياك عن سرِّ فنّي ؟ !

وماذا ستَرْوِي عن الناي . . .

لمَا تركهَ حزيناً بلا أي دمعٍ ! بلا أي لحن ؟ !

. . أتعرفني ؟

أين مفتاحُ بابي . . .

وأين الطريقُ إلى جنّتي . . لو يبابي ؟

. أين الحدائق ؟ أين الحدائق ؟

أين الحقائق ؟ . . مصلوبةً بين عصري وبيني ؟

وأين اختِلاجاتُ روحي ،

والطيارُها حائماتُ الصفوح ؟

تجيء ، وتمضى ، وترنو ، وتُغْضى ، . .

وفى فمها السرُّ . . هيهات يُفضى ! !

. . أتعرف ماذا تريد ؟

وماذا بها من أحاسيس ومضى ؟

. . أتعرف أيّانَ عادتْ ؟

النُّور ؟ أم للنُّجى فى متاهاتِ أرْضى ؟

• • •

وما هى هذى الخمائلُ فى قاع نفسى ؟

وما ذلك السِّحر ؟

مَنْ شبهُ فى فراديس كأسى ؟

. . أتعرف كيف انسلالُ الرؤى من خيالى ؟

وكيف انصهارى بِلحْنى عند اشتعالى ؟

. . أتعرف كيف انكشافى لعُمقْ الوجود ؟

وأىَّ القُوى حطَّمَت لى جميعَ السدود . . . . ! !

• • •

. أتعرف كيف امتدادي بناري لربي ؟

وكيف احتدادي ورفضي لأشواقِ قلبي ؟

وكيف التناقض يجتاحُ ذاتي ، ويمضي بعيداً

ليرتاد شيئا . . أحِسّ به في زماني ، شريدا !

ينادي عليّ ، وأخشى صداه

وأهوى لقاهُ . غريبا جديدا ؟ ؟

• • •

أتعرف ما في كياني ؟ وعمقي ؟

. سرّ غريب

تخطى العصور

وفات الدهور

إلى سرّ روضٍ عجيب :

به الزهر يسكر ! و العطر يسهرّ !

. . والليل داعٍ يتوب ،

ومن غير ذنبٍ يمدُّ اليدين . .

ويرفَع لله تسبيحتين !

وقد احتويه ، وانساب فيه ،

ويبقى بعيدَ المدَى عن خيالى وجَفنى ! !

. . فلا أنا منه

ولا هو منى

ولكننا نغمةٌ فوق غصنٍ :

بلا أى طيرٍ ،

بلا أى نبرٍ ،

. . تغرِّد للروح فى جوِّها المطمئن !

* * *

. . . أتعرفنى بعد هذا ؟

وتدرك ماذا أغنى !

* * *

لنا من سمائى وأرضى قطوفى ،

ومن ثورة الروح للروح لحنى !

. . وأحرقت ذاتى لضوءِ التراب ،

وغنَّيْتُهُ القمرَ . . .

. . . ماذا تريدون منى ! !

الديوان

الرابع عشر

رياح المغيب

«رياحُ المغيبْ !!»

«إلى التي عرفتْ معها عمر

الرياح في غروب صيف مات»

يا رياحَ المغيبْ ... يا أغـاني الزَّمَنْ

أيُّ سِرٍّ رَهيـبْ ... في حَشاكِ استكَنّْ

للشَّقِيِّ الغـريبْ ... فوقَ هذا الوطنْ ..

• • •

هلْ سمعْتِ الجبالْ ... في سُكونِ الظُّلَمْ ؟

تشْتكي للرِّمـالْ ... سجنَها منْ قِـدم

أمْ سقاكِ الخيالْ ... جرْعةً منْ عَـدَمْ

فعبَرْتِ التِّـلالْ ... والرُّبَى ، والقِمَمْ

غايـةً منْ زوالْ ... أطلقَتْهـا السُّدُمْ

شابَ نُورُ الغُيوبْ وَهْيَ رَيّا الفِتَنْ
إنْ سَرَتْ لا تَؤوبْ لو بَكَتْ لاتَنِنْ...

* * *

«يا رياحَ الغيبْ يا أغاني الزّمنْ..»

* * *

هلْ سَمِعْتِ البِحارْ لاَغِطاتِ الزَّبَدْ؟
تَشْتكي لِلقِفَارْ مِنْ قُيودِ الأبد
مِنْ قديم السِّفارْ مَوْجُها مُضْطَهَدْ
مِلّ طُولَ الإسارْ بينَ جَزْرٍ ومَدْ
فارتَمَى واستَجارْ مِنْ ضَلالِ الأمَدْ..
فَهْوَ مِثْلُ الذُّنُوبْ صَحْوُها في الوَسَنْ
وهْوَ مِثْلُ القُلُوبْ شَجْوُها في الفِتَنِ...

* * *

«يا رياحَ الغيبْ يا أغاني الزّمَنْ..»

* * *

هلْ سمِعَتِ الرِّياحْ لِخُتَاتِ النّادبه

خلّفتها في البطاحْ قِصّةً هاربهْ
سطّرتها الجراحْ والمُنَى الغاربهْ
وَرَوَاها الصّباحْ للرُّؤى الكاذِبَهْ
فانتشتْ بالنُّواحْ وانثنتْ غاضِبَهْ
فهْي حَيْرى تلوبْ مِنْ زُعافِ المِحَنْ
وهْي سكْرى تَذوبْ في حَشا كلِّ دَنْ . .

• • •

«يا رياحَ المُغَيبْ يا أغاني الزّمَنْ . .»

• • •

هلْ رأيْتِ الظّلامْ في شِعابِ الجَبَلْ ؟
قدْ تَمطّى ونامْ بَيْنَ حِضْنِ الأزَلْ
فهْوَ فوْقَ الرّغامْ جاثِماً كالأجَلْ
مَا رِدٌ مُسْتَضامْ أوْ شقِيٌّ ثَمِلْ
ملَّ عيْشَ الأنامْ والصِّبا ، والأمَلْ
فانطوى كالمُريبْ غالَهُ كلُّ ظَنْ
فهْوَ ضيْفٌ غريبْ فوقَ هذِي القُنَنْ !

• • •

«يا رياحَ الغيبْ   يا أغاني الزَّمَنْ ..»

• • •

هلْ رأيتِ السُّحبْ   وهْوَ دامٍ ضجِرْ ؟
فارسٌ مِنْ عنبْ   في شِراكِ القَدَرْ
جرَّ فوْقَ الهضابْ   رُمْحَهُ المُنْكَسِرْ
في بحيرةِ الإيابْ   جارِحٌ كالسَّفَرْ ..
أنتَ فوْقَ الترابْ   نَوْحُهُ المستَمِرْ
وهْوَ فوْقَ الغيبْ   صابرٌ مُطْمَئِنْ
شابَ قبْلَ الشيبْ   فانْتَبِه إذَنْ !!

• • •

«يا رياحَ الغيبْ   يا أغاني الزَّمن ...»

• • •

هلْ سمعتِ القبورْ   والثرى مِلْؤُها ؟
قافلاتُ الدهورْ   خيَّمَتْ حوْلَها
كلُّ حيٍّ يدورْ   ثم يأتي لَها
نفْحةً مِنْ غرورْ   عانَقَتْ نَمْلَها

تَوَّهَتْهـــا العُصُورْ وَالْبِلَى دَلَّهـــا ..
فى صِبَاها الرَّهِيبْ مــاتَ صَوْتُ الــزَّمَنْ
وانْتَهَى كــالْغَيِـبْ كُلُّ سِحْـــرٍ وفَــنْ !

• • •

«يـا رِيـاحَ الْغَيبْ يا أغـانى الزَّمَنْ ..»

• • •

نَشْوَةٌ فى يَـــدَىْ شَعْشَعَتْ خَمْرَهَا . . .
أىُّ قَلْـــبٍ شَقَىْ لَم يَذُقْ سُكْرَهَـــا ؟
أىُّ لَحْـــنٍ شَجِـىْ لَمْ يَرِدْ سِحْرَهَـــا ؟
أىُّ بَحْـــرٍ عتِىّ لَمْ يَزُرْنَهْرَهَـــا ؟
أىُّ ســـرٌ خَـفِىْ لَمْ يَكُنْ سِرَّهَـــا ؟
سُقِيتها فى الْغُرُوبْ مِنْ صَحَـارَى الحَزَنْ
حــانَةٌ من قُلُوبْ تَهْتَهَـــتْ للــزَّمَنْ ..

• • •

«يـا ريـــاحَ الْغَيَبْ يا أغانِى الزَّمَنْ ...»

• • •

هلْ سقَاكِ للسماءْ — أدمعَ العاشقينْ ؟ !
فذرفتِ الغنَاءْ — منْ عيُونِ السنينْ
وجعلتِ الفضاءْ — مفعَمًا منْ حنينْ
مرّ فيهِ الهوَاءْ — كمغنّ حزينْ
علّمَ الأشقياءْ — كيْفَ يبكي الرّنينْ . .
فهْوَ لحنٌ عجيبْ — وهْوَ دمْعٌ يَرِنْ
لكِ منْه الوجيبْ — والأغانى لمَنْ ؟ !

* * *

«يا رياحَ المغيبْ — يا أغاني الزّمن . . .»

* * *

خبّرى عن لسانك — ما الذي تكتمينْ ؟
لوْعةٌ فى صدَاك . . — ما الذى تعشقينْ ؟
حيْرةٌ فى خطاك — ما الذى تنشُدينْ ؟ !
منْ سقَاني سقَاك — خمْرَةَ التائهينْ ؟
إنّ قلْبى رآك — قبلمَا تُخلَقينْ
مزهرًا للغيُوبْ — هائمًا لا يرِنْ

كلُّ لحْنٍ طرُوبْ　　　　في حشَــــاهُ كمَنْ !

• • •

يــا رِيــاحَ المَغِيبْ　　　　يا أغــانى الـزَّمَنْ . .

• • •

علّميني الهُـرُوبْ　　　　مِنْ ضَجِيـجِ الحيَــاهْ
فتشَـاهى غُرُوبْ　　　　شابَ فِيـــهِ صِبــاهْ
وهُمُودِي وثُـــوبْ　　　　عــاقَ جِسْمِي خُطاهْ
ورَمــادِي شبُوبْ　　　　مَــلَّ قلْبِى لَظَـــاهْ
كلُّ لحْنٍ يـذُوبْ　　　　في نَمي　　غمْرَ آهْ !!
لو . بنْت اللهيبْ　　　　وَصــــلاةِ المِحَــــنْ
شيَّعَتْ فى المَغيبْ　　　　مِنْ ضلُوعى سكَنْ . . !!

• • •

يا رِياح المَغيبْ　　　　يــا أغانى الزَّمَنْ . .

• • •

كمْ سقَيْتِ الفِراقْ　　　　كُــلَّ غُصْنى خَمِيــلْ !
وسَكَبْتِ العِنَــاقْ　　　　في التُّـــرابِ المُهَيــلْ !

أفَهِـــمْنا نِفَــاقْ؟ لَمْ عَذابٌ جَمِيـلْ؟!

فيـهِ خَمْرُ التَّلاقْ كَدُمُوعِ الرَّحيـلْ...

لَمْ يَعُدْ لي رِفَاقْ في طَريقي الطَّويلْ..

فَاصْحَبِيني نَجُوبْ عَــالـيــاتِ القُنَــنْ

عِلْ عُمْرِي يَــؤُوبْ صَخْـــرَةً فَوْقَهُنْ!

• • •

«يـا رِياحَ المَغيبْ يا أغاني الزَّمَنْ..»

• • •

اعْصِفي بِالعُهُـودْ وَالأمَـاني الكِـــذابْ

فَلَنـا في الوُجُودْ قَبْضَـةٌ مِنْ تُـــرابْ

ولَنـا في القُيُـودْ حَلْقَةٌ مِنْ عَـــذابْ

ولَنا في السُّجُودْ دَعْوَةٌ لا تُجَـابْ!!

ولَنـا في الخُلُـودْ مَوْجَةٌ مِنْ سَـــرابْ

ولَنا في المَغِيـبْ بِقَطْــــةٌ مِنْ وَثَنْ

وَخَرِيــفٌ غَرِيبْ في مَغَاني الزَّمَنْ!!

• • •

يا رياحَ المَغيبِ يا أغاني الزَّمَنْ ...

• • •

لي ملامٌ شَقِيْ هَسَتْني لوْ بَكَادْ
لَمْ أنَلْ مِنْهُ شيْ غيْرَ هذا الرَّمادْ ..
وَضنًى سَرْمَدِيْ لاَ يُريدُ النَّفادْ !
ما الذي لي بيَدَيْ غيْرُ جرْحٍ مُعادْ ؟ ..
وأنينٍ شَجِيْ مِنْ بقَايا الفؤادْ ..
رقَصتْهُ الخُطوبْ فَوْقَ أوْتارِ جِنْ
فَهْوَ حُزْنٌ لَعُوبْ في نَوَايا كَفَنْ !!

• • •

«يا رياحَ المغيبِ يا أغاني الزَّمَنْ ..»

• • •

زارَ كأسٌ جَديدْ حَانِيَ الْبَاكيَا
خِلْتُهُ مِنْ بَعيدْ رَاحِماً أسِيَا
فإذا بي أعيدْ مَلْبَحِي ثانيَا
وأُرِيقُ النَّشيدْ لِلْهَوَى دامِيَا ..

لَيْتَ لى ما أُرِيدْ .. مَعْبَداً غائِباً ،
بيْنَ ليْلٍ وطِيبْ وصَلاةٍ وَمَنْ
وَالْهوَى ، والحبيبْ يَسْتَبِيلنى الزَّمَنْ !!

* * *

«يا رياحَ المغيبْ يا أغانى الزَّمَنْ ..

* * *

كَمْ شِراعٍ شَقِىْ فى خِضَمٍّ غَزِيرْ !
وَاقِفٍ يسْتَقى حيْرَةَ المُسْتَجِيرْ
فَهْوَ كَالمُغْرَقِ بيْنَ لُجِّ الأثِيرْ
كِدْتِ أنْ تَسْبِقِى بِمُناهُ الهَدِيرْ ..
فاعْذِرِى زَوْرَقى إنْ بكَى فى السَّهَرْ
سابِحٌ فى جَدِيبْ مِنْ ثَكالَى الدِّمَنْ
وَالْهوَى لا يُجِيبْ سائِلاً بيْنَهُنّ ..

* * *

«يا رياحَ المغيبْ يا أغانِى الزَّمَنْ ..»

* * *

تَعْبُرِينَ الوُجُـودْ		كُلَّ وَقْـتٍ بِحَـالْ
مَرَّةً كَـالرُّعُـودْ		تُغْضِبِينَ الجِبَـالْ
وكَهَمْسِ الـوُرُودْ		تُطْرِبِيـنَ الظِّـلالْ
وكَسِحْرِ العُهُـودْ		تُرْقِصِينَ الخَيَـالْ
وكَقَلْبِى الشَّـرُودْ		تَطْلُبِينَ المُحَالْ . . .
فاطْوِنا يـا مَغِيبْ !		وانْسَنَا يـا زَمَنْ !
علَّنـا عَنْ قَرِيـبْ		نَتَلاقَى . . بِمَنْ ؟ !

* * *

«يـا رياح المغيب		يا أغانى الزَّمن ؟ !»

* * *

رَبِّ مَاذَا هُنَـاكْ		خَلْفَ هذا السِّتَارْ ؟ !
كادَ قَلْبِى يَـرَاكْ		فانْتَشَى واسْتَطَارْ . .
مِثْلَ مُوسَى دَعَاكْ		مِنْ ظَـلامِ القِفَـارْ
فأتَـاهُ سَنَـاكْ		هادِراً كَالبِحَـارْ . .
وأنَا فى الشِّـراكْ		صارِخٌ لا يُجَـارْ !
تَـائِـهٌ فى دُرُوبْ		تَائِـهٌ لِيَلْهَنْ

أتُراهـــا تَتُوبْ ؟		أمْ تُراهَـــا فِتَنْ ؟ !

• • •

«يا رِيـاحَ الْمَغيبْ		يا أغـانى الـزَّمَنْ . . .»

• • •

طارَ عنّى الْمَغِيبْ		وَالأسَى لَمْ يـــزَلْ
لَيْتَنِى عَنْ قَرِيـبْ		مِن دِيــارِ الأزَلْ ؟ !
الْحَنَــانُ الرَّهيبْ		فى رَمادِى اشْتَعَلْ . .
والزَّمـــانُ الْكَئيبْ		فى فَضَـائى نَزَلْ
فى صَدْرِى غَرِيبْ		ضَاعَ مِنْـهُ الأمَلْ ! !
آه لَوْ يَسْتَجِيـــبْ		دَعْـــوَةً لِلْفِتَــنْ !
لَوْ شَكَتْ أنْ تَغِيبْ		نَارُها فى الْحَزَنْ ! !

• • •

«يا رِياحَ الْمَغيـبْ		يا أغـــانِى الزَّمَنْ !»

• • •

هلْ رأيْتِ الزَّمـانْ		راكِضاً فى الْمَسِيرْ ! ؟
مُسْتَطارَ الْجَنــانْ		مُسْتَخَفَّ الضَّمِيـــرْ

ألهبتـــــهُ بـــــدنٌ تجهلانِ المصيرْ . .
فهو مرخى العنـــانْ في صحارى الأثيرْ
كلُّ حيٍّ وفـــــانْ منــهُ يلقى النذيرْ . .
فالضحى ، والغروبْ والصبـــا ، والكفنْ
كلها في شحـــوبْ من غبـــارِ الزمنْ

* * *

«يـا ريـــاح المغيبْ يا أغاني الزمنْ . . .»

* * *

هلْ رأيتِ الخـريفْ في مغاني الشجرْ ؟
مُستبـــدٌّ كفيفْ منْ جمالٍ انحـــدرْ
لا يبـــالى بخيفْ أنفساً أمْ زهـــرْ !
كمْ خميلٍ ورِيـــفْ في يـــديهِ انتحرْ !
وشبـــابٍ رفيــفْ في خطاهُ انتثرْ . .
كلُّ وادٍ رطيـــبْ مرَّ فيـــهِ يئنْ
أهوَ إثمُ الكئيـــبْ أمْ خطايا الفتنْ ؟ !

* * *

«يا رياحَ المَغيبْ   يا أغانى الزَّمَنْ»

• • •

هلْ رأيتِ الهَجيرْ   فوقَ صخرِ التِّلالْ ؟
ماردٌ منْ سَعيرْ   داسَ وَجْهَ الظِّلالْ
فى يديْهِ الغديرْ   حيَّةٌ مِنْ خيالْ
والخميلُ النَّضيرْ   مأتمٌ مِنْ جمالْ
لَثَتِ فيهِ نذيرْ   باختلاجِ الزَّوالْ . . .
ماتَ جرْسُ الهُبوبْ   وانتِجاسُ الفَنَنْ
غيرُ لفحٍ يَجُوبْ   كمُنادِى المِحَنْ . .

• • •

«يا رياحَ المغيبْ   يا أغانى الزَّمَنْ»

• • •

هلْ رأيْتِ التُّرابْ   فى يَدِ اللأحدِ ؟ . .
خطْفةٌ منْ سرابْ   فى صفاً هامدِ
كمْ أذلَّتْ رِقابْ   فى الثَّرَى البارِدِ ،
فهْىَ لِقسى عقابْ   مرَّ بالرَّاقِد

مالَ عنهُ الرَّكابْ　　في دُجى خالِدِ

فاتركيهِ يذوبْ　　في خيوطِ الكفَنْ . .

راحلٌ لَنْ يؤوبْ　　خطوةٌ للزَّمَنْ !

• • •

أيها رياحَ للغيبْ　　يا أغاني الزَّمن . . !

• • •

هلْ رأيتِ الصَّباحْ　　وهْوَ يُحيي الحَياهْ ؟

ويُنيبُ البِطاحْ　　والرُّبى في هَولهْ

فإذا الدِّيكُ صاحْ　　فيه . . كانتْ صلاه !

وأنا النُّورُ لاحْ　　كانَ خمرَ الإلهْ

أشربي يا رياحْ　　واجعلينا شِفاهْ

١٩ من سبتمبر ١٩٤٦ ساعة الأصيل
بطابية ملطاة　　E A . A

• • •

نحنُ صبحٌ غريبْ　　في بقايا بِمَنْ

للأسى والنحيبْ　　خيمةٌ فوقهنْ

• • •

يا رياحَ المغيب — يا أغاني الزّمَنْ . .

• • •

هلْ رأيت الرُّبَاءْ — في وُجُوهِ العِبادْ

حبةٌ من ضياءْ — في مرايا وبلادْ

كيفما جئتُ جاءْ — طيفُها واستزادْ

فهْيَ قبْلَ اللقاءْ — واحةٌ من مِهادْ

وهْيَ بعدَ الخَفَاءْ — شوكةٌ من قتادْ . .

• • •

وَخْزُها في الجنُوبْ — سَالِخٌ مُطْمئِنْ

في خُطاهُ لُهُوبْ — وصَحارَى محِنْ !

يا رياح المغيب — يا أغاني الزمن . .

هل رأيت الخلودْ ؟ — وشهدتِ القَدَرْ ؟

أمْ عبرتِ السُّدودْ — مثلَنا في السفرْ ؟

ورمتْكِ القيُودْ — في ظلامِ الحُفَرْ

فعرفْتِ الحدودْ — وكتمتِ الخَبَرْ

وتـركتِ الوجـــودْ حَوْلَ تلكَ السُّتُرْ . .

* * *

السَّنـا فى القلُوبْ والـــدجَى فَوْقهُنْ
مَشْرِقٌ فى مغيبْ ! أمْ صباً فى كفَنْ ؟

* * *

يـا ريـــاح المغيـب يـا أغـانى الزّمَنْ ! !

* * *

حدِّثي عن صباىْ والّذى كـان فيـــهْ
وهْوَ لَحنٌ ونَـــاىْ سِـــرُّه لا أعِيـــهْ
وأسىً فى حَشَاىَ نـــارُهُ تصْطَلِيـــهْ
والْهَوَى مِنْ هَوَاىْ هَـــاربٌ لرتَجِيـــهْ
عُدْتُ منْهُ . . خُطاىْ فى ضَلَالٍ وتيهْ . .
رُحْتُ يومـــا لزُورْ ناسكـا فى العراءْ
صبَّ كلّ الـدُّهورْ فى مَهَبِّ الهبـــاء
ورَمَى بـالعصـــور فى سديم الفنــاءْ
وأنا بــــى أنُورْ مثلــه فى الغيـاءْ

بين إفك ونذر
وسواقي نعاه

كبقايا بخور
في بقايا فضاه

في بقايا غروب
ناهل بينهن

صرعة ؟ أم هروب ؟
أم تهاويل جن ؟

• • •

يا رياح المغيب
يا أغاني الزمن ! !

• • •

سافري في الضباب
للغد القادم

واطرقي كل باب
لبكم ساهم

واعزفيني عتاب
للهلى الجاثم

ثم رشي العباب
في الصدى الكاظم

وامضلي كل غاب
لخرس صائم

غللته نيوب
فاتكات بهن ؟ !

بجميع الجنوب
في الثرى حيث كن . .

• • •

يا رياح المغيب
يا أغاني الزمن

• • •

الـذى فاتَ ماتْ وانتهى .. فاتركيـه

غارقـا فى سُبـاتْ مستَضَـــامٍ سفيــه

فالغَـدُ الحـر آتْ ساطعـــــا فارقُبيـهْ

ليس فيه الْتفاتْ لاجترار .. وتيـهْ ..

أومَرايا رُفـــاتْ من هوًى يشتهيهْ ..

فيـه كل الدُّروبْ لجميـــــع الْفِتَـــنْ

ليس فيه غروبْ لضيـــــاء الـزمن

* * *

يـا ريـاح المغيب يـا أغـــانى الـزمن

* * *

اِمْضِ بى يا زَمانْ لِزَمـــانٍ بعيـــــدْ

ليْس فيـــه أوانْ طوَّقَتْه قُيــــودٌ ..

بلْ بـــه راحتـانْ تَغْرفــــان الوُجودْ

مِنْ روابى مكانْ ظلَّلَتْــهُ العُهــــود

وكَستْهُ الجنـــانْ بالشَّـــذى والـورودْ

والرؤى والطيُوبْ والْهَـــــوى حوْلَهنْ

ودنـــلنْ الغـــروبْ دار عمـــرى بهِنّ

• • •

يــا ريـــاح المغيب يا أغـــانى الزمن

• • •

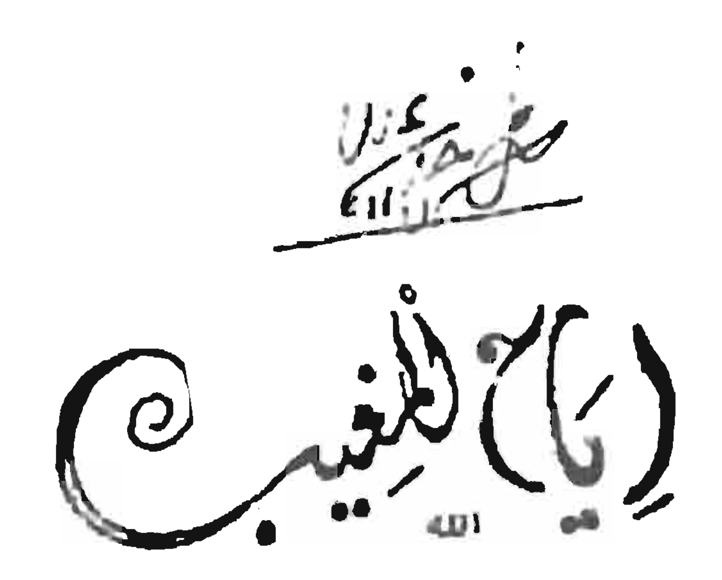
اى ســـر رهيـب فى حشاك استكنْ
للشـقى الغـــريب فوق هـــذا الوطن
كـانَ لى زورقـــانْ يمْخــران الظّــلامْ
زورقٌ من دنـــان فارغـــات الهيَـامْ
سـابحٌ فى دخـــانى فيـــه رؤيـا مُدامْ
جُسِّـــدتْ مُرتَـــانْ ثم عادت حطّام . .
. . وجرَى فى العيَان زورق من ضرامْ
لم يزَل فى اللهيبْ لاحتِـــراقٍ يحِنْ

• • •

يــا ريـــاح المغيب يا أغـــانى الزَمنْ

• • •

اى ســـر رهيـب فى حشاك استكَنْ
للشـقى الغـــريب فَـوق هـــذا الوطنْ !



للأستاذ محمود حسن إسماعيل

٢٥ مارس ١٩٤٢

١٢ ديسمبر ١٩٤٢

مايو ١٩٥٠

٢٥ مارس ١٩٧١   ٢٥ مارس ١٩٧٢

٢٥ مارس ١٩٧٦

« رياحُ المغيب !! »

« إلى التي شربت معها خمر الرياح في غروب صيف مات ! »

يا رياحَ المغيبْ يا أغانى الزمنْ

أيّ سرٍّ رهيبْ في حشاكِ اختزنْ

للشقيّ الغريبْ فوق هذا الوطنْ ..

هل سمعتِ الجبال في سكون الظلام ؟

تشتكي للرمال سحقها من دِيَمْ

أم سقاكِ الجبال جرعةً من ندمْ

فعزفتِ الظلال والزهور والنغمْ

غابةً من زوال أطلقتها السُّدُمْ

- ٢ -

شابَ فَوْدُ الغُيوبْ وهْيَ ريّا الفِتَنْ
إنْ سَرَتْ بِي تَؤوبْ أوْ بَكَتْ لا تَئِنْ...

x x x

«يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزَّمَنْ...»

x x x

هَلْ سَمِعْتَ البِحارْ تَرْغِلاتِ الزَّبَدْ:
تَشْتَكِي ... قُيودَ الأَبَدْ
مِنْ قَديمِ القِفارْ مَوْجُها مُضْطَهَدْ
مَلَّ طولَ الإِسارْ بَيْنَ جَزْرٍ وَمَدّْ
فارْتَمَى واسْتَجارْ مِنْ ضَلالِ الأَمَدْ.
فَهْوَ مِثْلُ الذُّنوبْ تَمْحُوها في الوَسَنْ
ونُهَى مِثْلُ القُلوبْ شَجْوُها في الفِتَنْ...

x x x

-٣-

« يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزَّمنْ - »

× × ×

هَلْ سمعتِ الرِّياحْ أُختكِ النَّادِبَهْ

خلَّفتْها في البِطاحْ قِصَّةً هارِبَهْ

سطَّرتْها الجِراحْ والمُنى الغارِبَهْ

وَرَواها الصَّباحْ لِلرُّؤى الكاذِبَهْ

فانتشتْ بالنُّواحْ وانتشتْ غاضِبَهْ

فهيَ حيرى تلوبْ مِنْ زفافِ المِحَنْ

وهيَ سكرى تذوبْ في حشا كُلِّ دَنّْ

× × ×

يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزَّمنْ ... »

× × ×

- ٥ - ٤ -

هل رأيتَ الظلامْ   في شِعابِ الجبالْ ؟

قد تمطّى ونامْ   بين بيضِ الأزلْ

فهو فوق الرَّغامْ   جاثماً كالأجلْ .

ماردٌ مستهامْ   أو شقيٌّ ثملْ

ملّ عيشَ الأنامْ   والصِّبا والأملْ

فالهوى كالربيعْ   عاله حلّ ظعنْ

فهو ضيفٌ غريبْ   فوق هذي القننْ !

x x x

يا ربيعَ المغيبْ   يا أغاني الزمنْ ...

x x x

هَلْ رأيْتَ السّحابْ   وهْوَ دامٍ ضَجِرْ ؟

فارسٌ مِنْ عذابْ   في شِراكِ القَدَرْ

جَرّ فوْقَ الهِضابْ   رُمْحَهُ المُنْكَسِرْ

في يَدَيْهِ الرَّبابْ   جازِعٌ كالسّفَرْ ..

أنْتَ فوْقَ [illegible]   المُسْتَمِرْ ..

وَهْوَ فَوْقَ المغيبْ   صابِرٌ مُطْمَئِنْ

شابَ قَبْلَ المَشيبْ   فَانْدُبيهِ إذَنْ ..!!

× × ×

«يا رِياحَ المغيبْ   يا أماني الزّمَنْ ...»

× × ×

هل سمعتِ القبور   والثرى مَن بها ؟

قافلاتُ الدهور   تجمعت تحت هولها

كلُّ حيٍّ يدور   ثم يأتي لها

نغمةً من غرور   أنشدتْ ذكرها

ثم تهتز الصدور   [illegible]

في صداها الرهيب   مات صوتُ الزمن

وانتهى كالمغيب   كلُّ سحرٍ وفنّ !

x x x

.. يا رياح المغيب   يا أغاني الزمن ..

x x x

- ٧ -

نشوةٌ في يديك شعشعت خمرها ..

أيُّ قلبٍ شجيّ لم يذق سكرها ؟

أيُّ لحنٍ شجيّ لم يرد سحرها ؟

أيُّ بحرٍ عتيّ لم يزر نهرها ؟

أيُّ سرّ الخفيّ لم يكن سرها ؟

مستقرٌّ في الغروب من مصارع الحزن

حانةٌ من قلوب فرّقتها للزمن ..

* * *

يا رياح الغيب يا أغاني الزمن ..

* * *

هَلْ سَقَاكِ الْمَسَاءْ أَدْمُعَ الْعَاشِقِينْ ؟!

فَذَرَفْتِ الْفَنَاءْ مِنْ عُيُونِ السِّنِينْ

وَجَعَلْتِ الْفَضَاءْ مَعْبَدًا مِنْ حَنِينْ

مَرَّ فِيهِ الْهَوَاءْ كَمُفَوَّهٍ حَزِينْ

عَلَّمَ الْأَشْقِيَاءْ كَيْفَ تَبْكِي الرَّنِينْ ..

فَهْوَ لَحْنٌ مَهِيبْ وَهْوَ دَمْعٌ يَرِنّْ

لَكِ مِنْهُ الْوَجِيبْ وَالْأَغَانِي لِمَنْ ...؟!

× × ×

يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ...

× × ×

خبِّري مَن أُسائلُ   ما الذي تكتمين ؟

لوعةٌ في صداكِ ..   ما الذي تعشقين ؟

حيرةٌ في خيالكِ ..   ما الذي تنشدين ؟!

مَنْ سقاني سؤالكِ   خمرةَ التائهين ؟

إنَّ قلبي [illegible] قبلما تُخلقين ..

يزهرُ العندليبْ   ها هنا يا حزين

كلُّ لحنٍ طروبْ   في حشاهُ كمين !

× × ×

،، يا رياحَ الحنين   يا أغاني الزمنْ ،،

علمني الهروب   من مهجع الحياة
فشبابي غروب   شاب فيه صباه
وهمومي دثوب   عاق جسمي خطاه
ورمادي شحوب   مل قلبي لظاه
كل لحن يذوب   في فمي .. غير آه !!
آه .. بنت اللهيب   وصلاة المحن
شيدت في المغيب   من ضلوعي سكن ...!!

× × ×

" يا رياح المغيب   يا أغاني الزمن ... "

كَمْ سَقَيْتِ الفِرَاقْ كُلَّ غُصْنٍ جَمِيلْ !

وَسَكَبْتِ العِنَاقْ فِي التُّرَابِ المَهِيلْ !

أَهَوَانًا نِفَاقْ ؟ أَمْ عَذَابٌ جَمِيلْ ؟!

فِيهِ خَمْرُ التَّلَاقْ كَدُمُوعِ الرَّحِيلْ ..

لَمْ يَعُدْ لِي رِفَاقْ فِي طَرِيقِي الطَّوِيلْ ..

فَاصْحَبِينِي نَجُوبْ عَالِيَاتِ القُنَنْ

كَلَّ عُمْرِي تَذُوبْ صَخْرَةً فَوْقَهُنّ !

× × ×

يَا رِيَاحَ المَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ .. »

- ١٢ -

أعصفني بالعهود والأماني الكذاب

وأنا في الوجود قبضة من تراب

وأنا في القيود حلقة من عذاب

وأنا في السجود دعوة لا تجاب !!

وأنا في الخلود موجة من سراب ..

وأنا في المغيب يقظة من وسن

وخريف غريب في مغاني الزمن !!

× × ×

" يا رياح المغيب يا أغاني الزمن .... "

لحنَ ما من شقيٍّ هدّني أو يكادْ

لم أذقْ منه شيئًا غيرَ هذا الرمادْ..

وحنينًا سرمديٌّ لا يريدُ النفادْ!

ما الذي في يديَّ غيرُ جرحٍ معادْ؟..

وأنينٍ في الفؤادْ..

رقّصتْهُ الخطوبُ فوقَ أوتارِ حزنْ

فهو حزنٌ لعوبٌ في زوايا كفنْ!!

× × ×

.. يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزمنْ...

زارَ كأسٌ بجديدْ .. هاتِني الباكيا

خِلتُهُ مِن بعيدْ   راجعاً آسيا

فإذا بي أُعيدْ   مذهبي ثانيا

وأُريقُ النشيدْ   للهوى داميا ..

ليتَ لي ما أُريدْ   مُغمضاً غافيا ،

بينَ ليلٍ وطِيبْ   وصلاةٍ ودَنّْ

والهوى، والحبيبْ   يسقياني الزمنْ !!

× × ×

يا رياحَ المغيبْ   يا أغاني الزمنْ ..

كَمْ شِرَاعٍ شَقِيٍّ فِي خِضَمٍّ غَزِيرٍ!
وَاقِفٍ يَشْتَقِي حَيْرَةَ الْمُسْتَجِيرْ
فَهْوَ كَالْمُغْرَقِ بَيْنَ لُجِّ الزَّئِيرْ
كِدْتُ أَنْ تَشْتَقِي بِمُنَاهُ التَّهْدِيدُ..
فَاعْذِرِي إِنْ تَلُجِّي فِي الْمَسِيرْ
سَابِحٌ فِي جَدِيدٍ مِنْ تَكَالِي الزَّمَنْ
وَالرَّحِيلُ لَا يُجِيبُ سَائِلًا بِشَيْءٍ..

× × ×

« يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ... »

تغمرين الوجود كل وقت بجمال

مرة كالرعود تغضبين الجبال

وكهمس الورود تطربين الظلال

وكسحر العهود ترقصين الخيال

وكقلبي الودود تطلبين المحال ...

فاطوِنا يا مغيب! وانسنا يا زمن!

علّنا عن قريب نتلاقى .. بمن ؟!

× × ×

« يا رياح المغيب يا أغاني الزمن ؟! »

رَبِّ مَاذَا هُنَاكْ خَلْفَ هَذَا السِّتَارْ ؟!

كَادَ قَلْبِي يَرَاكْ فَانْتَشَى وَاسْتَطَارْ ..

مِثْلَ مُوسَى دَعَاكْ مِنْ ظَلَامِ الْقِفَارْ

آهِ آهِ سَنَاكْ هَادِرًا كَالْبِحَارْ

وَأَنَا فِي الشُّرُودْ صَارِخٌ أَسْتَجَارْ !

تَائِهٌ فِي دُرُوبْ مَا لَهُ لَيْلُهُنّْ

أَتُرَاهَا ذُنُوبْ ؟ أَمْ تُرَاهَا فِتَنْ ؟!

٭٭٭

وَيَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ +

طارَ عنّي المغيبْ والأسى لم يزلْ

ليتني عن قريبْ من ديارِ الأزلْ ؟!

الحنانُ الرهيبْ في رمادي يشتعلْ ..

والزمانُ الكئيبْ في فضائي نزلْ ..

حتى تذري الأملْ !!

آهِ لو يستجيبْ دمعةٌ للفتنْ !

أو شكتْ أن تغيبْ نارُها في الحزنْ !!

(٢٢٢)

« يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزمنْ ! »

هل رأيتَ الزمانْ راكضاً في المسيرْ؟!

مستطارَ الجَنانْ مستخفَّ الضميرْ

ألهبتهُ يدانْ تجهلانِ المصيرْ..

فهو مرخى العِنانْ في مهاوي الأثيرْ

كلُّ حيٍّ وَ [illegible] النذيرْ..

...ثُمَّ الضحى والغروبْ والصِّبا . والكفنْ

كلُّها في شحوبْ مِنْ غبارِ الزَّمَنْ

يا رياحَ المغيبةْ يا أغاني الزَّمَنْ ..

هل رأيتِ الخريف في مغاني الشجر؟

مستبدًّا كخفيف من جمالٍ انحدر

لا يبالي بحيف أنفٌ أم زهر!

كم جميل وريف في يديه انتحر!

وشبابٍ [illegible] في عداه اندثر..

كلُّ وادٍ رطيب قرّ فيه يئنّ

أهو إثم الكئيب أم خطايا الفتن؟!!

"يا رياح المغيب ما أغاني الزمن..."

هَلْ رَأَيتِ الرَّحيلْ فَوقَ هُدْبِ التِّلالْ؟

مارِدٌ مِنْ عَبيرْ داسَ وَجْهَ الظِّلالْ

في يَدَيْهِ الغَديرْ حَفْنَةٌ مِنْ خَيالْ

وَالجَميلُ النَّضيرْ مَأْتَمٌ مِنْ جَمالْ

أَنْتِ فيهِ [illegible] باخْتِلاجِ الزَّوالْ...

ماتَ جَرْسُ الهُبوبْ وَالدُّجى بائِسُ الفَنَنْ

غَيْرَ لَفْحٍ يَجوبْ كَمُنادي الدِّمَنْ.

«يا رِياحَ المَغيبْ يا أَغاني الزَّمَنْ»

هَلْ رَأَيتَ التُّرابْ في يَدِ اللاحِدِ ؟..

خَطفَةٌ مِن سَرابْ في صَفا هامِدِ

كَمْ أَذَلَّتْ رِقابْ في الثَّرى البارِدِ !

فَوقَ أَقسى عِقابْ مَرَّ بالرّاقِدِ..

مالَ عَنهُ [illegible] في دُجى خالِدِ

ذا تَركيهِ يَذوبْ في خُيوطِ الكَفَنْ..

راحِلٌ لَنْ يَؤوبْ خَطوةً لِلزَّمَنْ !

~~~~~

يا رِياحَ المَغيبْ يا أَغاني الزَّمَنْ...
~~~~~

هل رأيت الصباح   وهو يحيي الحياة؟!

ويذيب البطاح   والربى في هواه

فإذا الديك صاح   فيه.. كانت صلاة!

وإذا النور لاح   كان خمر الإله

أشربي يا رياح   اصطبحنا شذاه

١٩ سبتمبر ١٩٤٦ في الرمل
ساعة: ٨٠٠ E.A

١٦ مايو ١٩٥٠

نحن صبح غريب   في بقايا دمن

للأسى والنحيب   خيمة فوقهن

"يا رياح المغيب   يا أغاني الزمن.."

- ٦ -

هل رأيت الرياء في وجوه العباد

تحية من ضياء في مرايا وداد

كلما جئت مستجداً لصيفها واستزاد

وهي تقبل اللقاء واحة من مراد

وهي بعد الجفاء جرداء من وداد..

ذخرها في الجيوب تأتيك مطمئنة

في خفة وهروب متجاوزة محنة!

هنا رياح المغيب يا أغاني الزمن..

- - - - - -

هل رأيتَ الخلودَ، وشهدتَ القدرْ؟

أُمْ عبرْتَ الحدودَ وبلغتا في الحفرْ؟

ورميتَ النقودْ تحت ظلالِ الحفرْ

فعرفْتَ الحدودْ وكتمتَ الخبرْ

وتركتَ الوجودَ حولك الستْرْ..

آلستنا في القلوبْ والدجى فوقنا

مشرقٌ في مغيبْ أم صباً في كفنْ

يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزمنْ!..

حدثني عن صباك والذي كان فيه

وهو لحنٌ ونايٌ سيرة للأحبة

وأشتي في حشاي نارة تصطليه

والتمر من بعد ذا هذا رب أرتجيه

علني منه .. نخلا في خيال وتيه ..

و

رُحتُ يوماً أزورْ ناسكاً في العراءْ

صبَّ كلَّ الدهورْ في قريبِ القباءْ

ورمى بالعصورْ في سديمِ الفناءْ

وإذا بي أدورْ مثلَهُ في العراءْ

بين إفكٍ وزورْ وسواقي دماءْ

كبقايا [illegible] في بقايا فناءْ

في بقايا غروبْ ناحلٍ يتشتّتْ

صرعةٌ؟! أم هروبْ؟! أم قِناعٌ وليدْ؟

يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزمنْ!!

سأفرغ في الضباب للغد القادم

وأطرق كل باب أبكم ساهم

وأعزف عتابه للتل الجاثم

ثم رشق العباب في الضدى الناجم

وأسقي كل ملك أخرس صائم

علّته نيوب فاتكات .. يمن ؟!

بجميع الجنوب في الشرق حيث لن ..

يا رياح المغيب يا أغاني الزمن

------------ ------------

الذي فاتت ماتت وانتهت ذكرياته

عابرا في سُبات مستقيم سنينه

والغد المرتقب سائلها وارتقبته

ليس فيه الغد إلا حسرات ونشيه..

أو مرايا رفات من هوى يستريحه

[illegible]

فيه كل الدروب لجميع الفتن

ليس فيه غير درب لسماء الزمن

* * *

يا رياح المغيب يا أغاني الزمن

٣٣ -

إمضي بي يا زمان   بزورقي سعيد
ليس فيه أوان   لمرفئه فيعود
بل به راقصات   تغردن الوجود
من روابي مكان   ظللته الغيوم
وكستة [illegible]   بالسنعة الورود
والثرى والطيوب   الهوى [illegible]
ودنانه [illegible]   [illegible]

يا رياح الجنوب   يا أغاني الزمن
أين سر الهوى   وحنانك اشتكين
للشقي الغريب   دون هذا الوطن

كانَ في زورقٍ   يمخرُ المُلتطِم

.. زورقٌ من دنانْ   فارغاتِ الرنينْ

سابحٌ في دخانْ   في رؤىً من هوامْ

فجأةً سُدّت منافذٌ   ثم غارت جفناهُ ..

وعبرت به العيانْ   زورقٌ من ضرامْ

لم يزلْ في [illegible]   [illegible]

x x x

يا رياحَ المغيب   يا أعاصيرَ ثُرْ

أيُّ سرٍّ رهيب   في حشاكِ استقرّ

للفتى الغريب   في وهدهِ الأخيرْ !

[illegible]

الـزلـــزال

زلـــزال تــركـيـــا

١٦ يناير ١٩٤٠

مع الأرض الجريحة وهى تتلوى من شهلة الزلزال ، لتعمل شروق الشمس . . . «إلى المنافسة الباقية على الروح لتعطر الضحايا وتواسى المنكوبين»

هات الشدائد للجريحة ، هاتها ... للصبرُ فى الأهوال بين أساتِها

واحشدْ حروبك يا زمانُ لربّما ... لهَبُ العظائمِ شبَّ من نكباتها

ولعلّها خمرٌ تدور ، فيستقى ... خمرَ الكفاح الشرقُ من كاساتها

هى أمة زلزلتَ جنبَ مهادِها ... وتفخت ريحَ الموت فى جنباتها

شوّهتَ صفحتها بمنية جائرٍ ... الرحمة انتصرت بحدِّ شباتها

مجنونة الحدَين ، لوهى لوّحتْ ... لا تهدّ ركنُ الأرض من حركاتها

نهبةُ الشهوات ، جاع جنينها ... وأراق جوعَ الوحش فى كهواتها

ومضى وللأكوان هجعة شاعر سكرت لغانى الليل من سكراتها

والفجرُ فى الوادى رسولٌ لشعةٍ يستنزل الإلهام من هالاتهــا

والصمتُ خاطرُ فيلسوف نائم شردت به الأحلامُ فى خطراتهــا

والغابُ نعسانُ الروح فزهرةٌ نامتْ وأخرى هدهدت لخواتهـا

والريحُ فى الأدغال هامدةُ السُّرى مصلوبة شُنقت على خطواتها

والليل شابَ ، فمدُّ لحيةَ ناسكٍ نسجَ الشتاء الثلجُ من شعراتهـا

والطيرُ مغلولُ الحناجر ثاكلٌ أوتارُه نُبحتْ على نغمــاتهـا

والناس غرقى فى السكون سجتْ بهم سِنةٌ ينام الهولُ فى سكناتها

بيناهمُ فوق المهود عوالمٌ غشَّى ضبابُ الصمت كلُّ جهاتها

وإذا بقلب الأرض برجفُ رجفةً ، تُكُّ الصياحُ ، وتلب فى خلجاتها . .

وانشقَّتْ الدنيا لديه ، فلم يجد أرضاً يُغيث النورَ فى ربواتهـا

فطوى للدائن والقرى ، وهوىَ بها فى سُدفةٍ تهوى على ظُلُماتها

وطوى الأثير فلم يغادر ذرَّةً فى الجوِّ سابحةٍ إلى غاياتها

وطوى الحياةَ ، شقيَّها بسعيدها وصفاء فرحتها بدمع شكاتهـا

وطوى للروحَ فملت من أحالها خطو الربيع الفض نحـو نباتهـا

وطوى الزمانَ فكأن عقرب ساعةٍ سبقت خيال الجنّ فى دوراتها

لاقى الأجنة بالكهول ، وشاد من	جبر الحسان مقابراً لرفاتها

وبنى اللحود على المهود وهدّها	فتحا ستورَ الموتِ عن عوراتها

فى لحظة عمرُ الصدى من عمرها	وحياة طيف الحلْم كلّ حياتها

زلزلتْ جراحُ الأرض ، فاهتاج	الصدى وتنهّد الزلزال فى ساحاتها

فهوتْ قبابٌ كُنّ لشمخ عزةً	من أنجمُ الجوزاء فى هالاتها

وهوتْ قصورٌ ترقصُ الدنيا بها	وتخرّ جاثيةً على عتباتها . .

وهوتْ بروجٌ عرّشتْ فيها المنى	وأطلّ وجهُ الدهر من شرفاتها

وهوتْ معالم لم يُفِقْ سَحَرُ الهوى فيها . . وعاثَ الموتُ فى ردَهاتها

وهوى بها عزوماً فى جوف الدجى	فَزِعَ الجنان مرنّحا أهاتها

ولها على فِتَن العذارى . . والصبا	والطهر ينسكبان من نظراتها !

ولها على الأسحارِ ، والأملِ الذى	فاضت بشاشتهُ على لوقاتها !

ولها على الطفل المهدهد فى الكرى	حملته كفُّ الريح فى لطماتها

وحلَتْ كراهُ بغفوةٍ أبديةٍ	لا يستريحُ الموت فى حضراتها

بعد الأسرة والحنان يهزُّها	صمته لمُ الصخرِ فى هزاتها . .

يا رُبَّ ثاكلةٍ تدور بهولها	فترى حشاها أنسلُ فى طرقاتها

صرعتْ ! فلا مدتْ يدا لوحيدها	عند الفراق ولأمرتْ عبراتُها

وحبيبةٍ فُجِعَتْ ووجدُ حبيبها   يجري مع الأنفاس في زفراتها

قبلُ اللقاء هناك فوق شفاهها   ونجاد خلنُ للموت في مرآتها

ويحَ المساجد ! ما دهى أركانها !   أهوَتْ منابرُها على سكناتها !

أين المآذنُ ؟ أين صوت أذانها في الفجر ! أين مُضي رنينُ نُعاتها ؟

أين كَوكبَ عابدوها ؟ وانتهت بهم   جراحُ الأرض في رَعشاتها !

وكنيسة كانت تميمةُ راهبٍ   سهران يرقب في الدُّجى ظلماتها

لجرسها قرعتْ ، فخفَّ بصوتها   أهل المسيح وتمتموا نبراتها ..

وإذا نواقيسُ القضاء بساحِها   تُلقي نذير الموت من أصواتها

وإذا بهم صرعى على صلواتهم   أشلاؤهم نُثِرتْ على خشباتِها ! !

أين المروجُ الفيح ؟ أين خميلُها ؟   وهمُ الضحى المتململ في ورقاتها ؟

أين الكرومُ المائلاتُ عُروشها ؟   الذابلات أسى على عتباتها

عرّى الشتاء غصونها ، وطوى الردى   حلُمَ الربيع النَّضرِ من جنباتها

يا أرض واستمعي .. ويحك إنها   دنيا يحار العقلُ في حالاتها

مريحةُ الأعصاب تُشبه مومِساً   الغدرُ والبهتانُ كلُّ صفاتِها

ههنا تعاطيكِ الرحيق ، إنما بها   أفعى تمجُّ السمَّ من ريقاتِها

نشرت عليك مع المساء هدوءها   ويأتي الصباح (بُنيَّ) من ثوراتها

بعثتهُ لتُعدّ حاملاً همَّ الورى ومآتم الدنيـا ، وإثمَ جُناتِهـا

في مجمرةٍ من الجنون زوابعٌ ربضتْ لها الآسادُ في أجماتِهـا

أنفاسُهُ لَهَبُ الجحيم ، وخطوُهُ خطوُ المنايا السُّود في فجآتها

ما كان زهرٌ في يديه ولا ندىً ، لكن ربيعُ ردىً على راحاتها

وسُجًى دخانٍ من جهنَّم ثائرٌ سبقَ الرياحَ الهوج في فلواتهـا

كُتِمتْ سريرتُهُ ، فهبَّ كماردٍ طعنَ الحياةَ ، وجاء من غفلاتها

ومشى كزنديقٍ يعيثُ بساحةٍ يتفجّرُ الإيمـان من ذرّاتهـا

ركَمَ الثلوجُ على الزُّروع ، وخافَ من هول المصير فنام في طيّاتهـا

أتُراه ماتَ ، وهذه أكفانُهُ ؟ أم شيبةُ الدنيا طوتْ صبواتهـا !

• • •

يا بنتَ أهوالِ الطبيعة إنَّها لم يبدأ العفـو عن هفواتهـا

حسناءُ ساخرةٌ ، يعابثُ سحرُها بالموتِ ، فالقتلى لها زلاتهـا

ولصفّقْ لغريدٍ كمرحك جرحُهُ ، والنفسُ كم شقيتْ بسرِّ حياتهـا

غنّى لي الزلزال في أنشودةٍ سوداء للمنيـة على أماتهـا . .

حلمُ الفناءِ يطوف حول رنينها وصدى الخلودِ يرنُّ من لهواتها ! !

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW egyptianbook org. eg

E-mail : info@egyptianbook.org.eg